Columbia University
in the City of New York

THE LIBRARIES

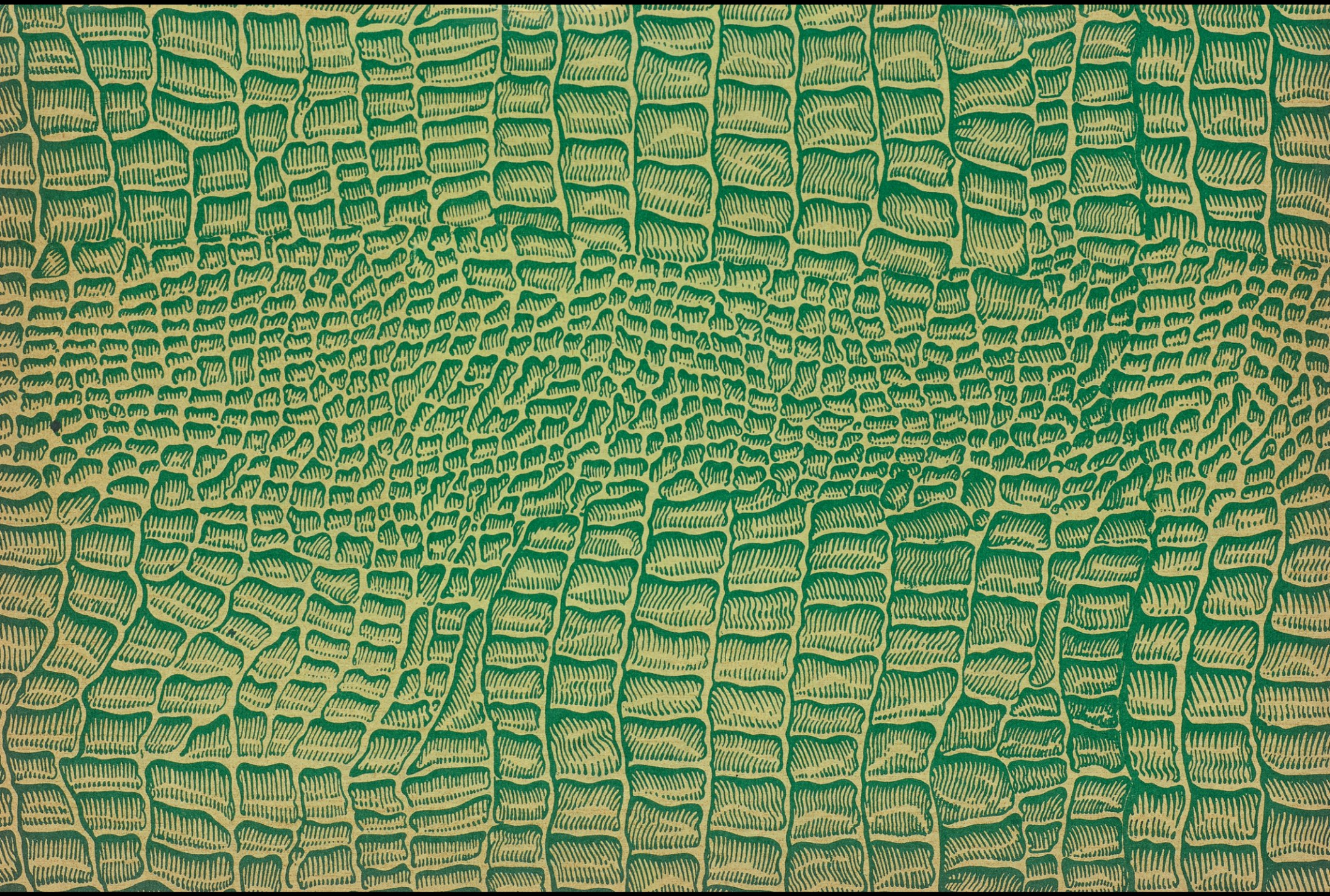

تفسير الخازن

وبهامشه البغوي

المسمى لباب التأويل فى معانى التنزيل تأليف الامام العلامة قدوة الأمة وعلم الأئمة ناصر الشريعة ومحيي السنة علاء الدين على بن محمد بن ابراهيم البغدادى الصوفى المعروف بالخازن فرغ من تأليفه يوم الاربعاء العاشر من رمضان سنة ٧٢٥ هجرية تغمده الله برحمته آمين

(وقد حلي هامش هذا الكتاب بالتفسير المسمى بمعالم التنزيل)
(تأليف الامام الجليل محيي السنة أبي محمد الحسين الفراء البغوى)
(عليه سحائب الرحمة والرضوان)

(قال فى كشف الظنون)

(معالم التنزيل فى التفسير) للامام محيي السنة أبي محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوى الشافعى المتوفى سنة ٥١٦ نقل فيه بالاسناد عن مفسرى الصحابة والتابعين ومن بعدهم

الجزء الثاني

يطلب من المكتبة التجارية الكبرى بأول شارع محمد على بمصر
لصاحبها مصطفى محمد

893.1K84
DA7
1.2

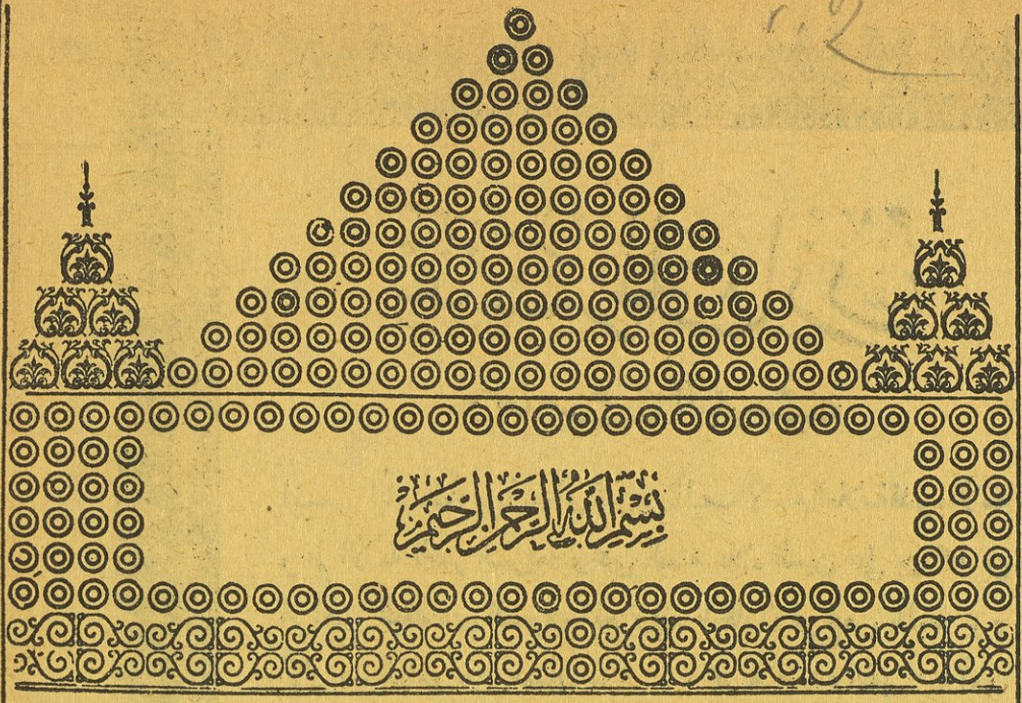

تفسير سورة المائدة

نزلت بالمدينة إلا قوله تعالى اليوم أكملت لكم دينكم فانها نزلت بعرفة فى حجة الوداع والنبى ﷺ واقف بعرفة فقرأها النبى ﷺ فى خطبته وقال يا أيها الناس أن سورة المائدة من آخر القرآن نزولا فأحلوا حلالها وحرموا حرامها * فان قلت لم خص النبى ﷺ هذه السورة من بين سور القرآن بقوله فأحلوا حلالها وحرموا حرامها وكل سور القرآن يجب ان يحل حلالها ويحرم حرامها * قلت هو كذلك وإنما خص هذه السورة لزيادة الاعتناء بها فهو كقوله تعالى إن عدة الشهور عند الله إثنا عشر شهرا فى كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم فأكد اجتناب الظلم فى هذه الأربعة أشهر وإن كان لا يجوز الظلم فى شىء من جميع أشهر السنة وإنما أفرد هذه الأربعة أشهر بالذكر الزيادة الاعتناء بها وقيل إنما خص النبى ﷺ هذه السورة لأن فيها ثمانية عشر حكما لم تنزل فى غيرها من سور القرآن قال البغوى روى عن ميسرة قال ان الله تعالى أنزل فى هذه السورة ثمانية عشر حكما لم ينزل لها فى غيرها وهى قوله والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع إلا ما ذكيتم وما ذبح على النصب وأن تستقسموا بالازلام وما علمتم من الجوارح مكلبين وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب وتمام بيان الطهر فى قوله إذا قمتم إلى الصلاة والسارق والسارقة ولا تقتلوا الصيد وأنتم حرم ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام وقوله شهادة بينكم إذا حضر أحدكم الموت

(بسم الله الرحمن الرحيم)

* قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود) يعنى العهود قال الجماعة واختلفوا فى المراد بهذه العقود التى أمر الله تعالى بوفائها فقال ابن جريج هذا خطاب لأهل الكتاب والمعنى يا أيها الذين آمنوا بالكتب المتقدمة أوفوا بالعقود التى عهدتها اليكم فى شأن محمد ﷺ والإيمان به وقيل هو خطاب للمؤمنين

(سورة المائدة)
مدنية كلها إلا قوله اليوم اكملت لكم دينكم الاية فانها نزلت لعرفات وهى مائة وعشرون اية
(بسم الله الرحمن الرحيم)
روى عن ابى ميسره قال انزل الله تعالى فى هذه السورة ثمانية عشر حكما لم ينزل لها فى غيرها قوله احلت لكم بهيمة الأنعام وقوله والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما اكل السبع إلا ماذكيتم وماذبح على النصب وان تستقسموا بالازلام وما علمتم من الجوارح مكلبين تعلمونهن وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم وتمام الطهور فى قوله إذا قمتم إلى الصلاة والسارق والسارقة ولا تقتلوا الصيد وأنتم حرم الآية وماجعل الله من بحيرة ولاسائبة ولا وصيلة ولاحام وقوله شهادة بينكم إذا حضر أحدكم الموت قوله تعالى (يا ايها الذين آمنوا أوفوا بالعقود) أى بالعهود قال الزجاج هى اوكد العهود يقال عاقدت فلانا وعقدت عليه أى ألزمته ذلك باستئناف واصله من عقد الشىء بغيره ووصله به كما يعقد الحبل بالحبل إذا وصل واختلفوا فى هذه

العقود قال ابن جريج هذا خطاب لأهل الكتاب يعنى يا أيها الذين آمنوا

بالكتب المتقدمة اوفوا بالعهود التى عهدتها اليكم فى شأن محمد ﷺ وهو قوله إذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس وقال الاخرون هو عام قال قتادة اراد بها الحلف الذى تعاقدوا عليه فى الجاهلية قال ابن مسعود رضى الله عنه هى عهود الايمان والقرآن وقيل هى العقود التى يتعاقدها الناس بينهم (احلت لكم بهيمة الأنعام) قال الحسن وقتادة هى الانعام كلها وهى الإبل والبقر والغنم واراد تحليل ماحرم أهل الجاهلية على أنفسهم من الأنعام روى أبو ظبان عن ابن عباس رضى الله عنهما قال (٣) بهيمة الأنعام هى الأجنة وهثله عن الشعبى قال هى الأجنة التى توجد ميتة فى بطون أمهاتها اذا ذبحت او نحرت ذهب أكثر اهل العلم الى تحليله قال الشيخ رحمه الله تعالى قرات على ابى عبد الله محمد بن الفضل الخرقى فقلت قرا على ابى سهل محمد بن عمر ابن طرفة الشجرى وانت حاضر فقيل له حدثكم أبو سليمان الخطابى أنا أبو بكر ابن داسة انا أبو داود السجستانى انا مسدس انا هشيم عن مخلد عن ابى الوداك عن أبى مسعود رضى الله عنهم قال قلنا يارسول الله ننحر الناقة ونذبح البقرة والشاة فنجد فى بطنها الجنين انلقيه ام نا كله فقال كلوه ان شئتم فان ذكاته ذكاة أمه وروى ابو الزبير عن جابر عن رسول الله ﷺ قال ذكاة الجنين ذكاة امه وشرط بعضهم الاشعار قال بن عمر ذكاة مافى بطنها فى ذكاتها إذا تم خلقه ونبت شعره ومثله عن سعيد بن المسيب وعند أبى حنيفة رضى الله عنه لايحل أكل الجنين إذا خرج ميتا بعد ذكاة الام وقوله تعالى (إلا ما يتلى عليكم) يعنى فى القران تحريمه واراد به قوله تعالى حرمت عليكم الميتة إلى اخر الاية فهذا من المتلو علينا وهو ما استثنى الله عز وجل من بهيمة الانعام (غير محلى الصيد وانتم حرم) يعنى احللت لكم الانعام كلها والوحشية ايضا من الظباء والبقر والحمر غير محلى صيدها وانتم محرمون فى حال الاحرام فلا يجوز للمحرم ان يقتل صيدا فى حال إحرامه (إن الله يحكم مايريد) يعنى ان الله يقضى فى خلقه مايشاء من تحليل ما أراد تحليله وتحريم ما اراد تحريمه وفرض مايشاء ان يفرضه عليهم من احكامه وفرائضه مما فيه مصلحة لعباده * قوله تعالى (يا ايها الذين امنوا لاتحلوا شعائر الله) نزلت فى الحطم واسمه شريح بن هند بن ضبة البكرى اتى المدينة وحده وخلف

أمرهم بالوفاء بالعقود قال ابن عباس هى عهود الايمان وما أخذه على عباده فى القرآن فيما أحل وحرم وقيل هى العقود التى كانت فى الجاهلية كان يعقد بعضهم بعضا على النصرة والمؤازرة على من حاول ظلمه أو بغاه بسوء وذلك هو معنى الحلف الذى كانوا يتعاقدونه بينهم قال قتادة ذكر لنا ان النبى ﷺ كان يقول اوفوا بعقد الجاهلية ولاتحدثوا عقدا فى الاسلام وقيل بل هى العقود التى يتعاقدها الناس بينهم ومايعقده الانسان على نفسه والعقود خمس عقد اليمين وعقد النكاح وعقد العهد وعقد البيع وعقد الشركة زاد بعضهم وعقد الحلف قال الطبرى وأولى الأقوال عندنا بالصواب ماقاله ابن عباس ان معناه اوفوا يا أيها المؤمنون بعقود الله التى أوجبها عليكم وعقدها فيما احل وحرم عليكم وألزمكم فرضه وبين لكم حدوده وإنما قلنا ان هذا القول اولى بالصواب لأن الله تعالى بالبيان عما أحل لعباده وحرم عليهم فقال تعالى (أحلت لكم بهيمة الأنعام) وهو خطاب للمؤمنين خاصة والبهيمة اسم لكل ذى أربع من الحيوان لكن خص فى التعارف بما عدا السباع والضوارى من الوحوش وإنما سميت بهيمة لأنها أبهمت عن العقل والتمييز قال الزجاج كل حى لايميز فهو بهيمة والانعام جمع النعم وهى الابل والبقر والغنم ولا يدخل فيها ذوات الحافر فى قول جميع أهل اللغة واختلفوا فى معنى الاية فقال الحسن وقتادة بهيمة الأنعام الابل والبقر والغنم والمعز وعلى هذا القول إنما أضاف البهيمة إلى الأنعام على جهة التوكيد وقال الكلبى بهيمة الأنعام وحشيها كالظباء وبقر الوحش وحمر الوحش وعلى هذا إنما أضاف البهيمة إلى الأنعام ليعرف جنس الأنعام وما أحل منها لأنه لو افردها فقال البهيمة لدخل فيه مايحل ويحرم من البهائم فهذا قال تعالى أحلت لكم بهيمة الأنعام وقال ابن عباس هى الاجنة التى توجد ميتة فى بطون أمهاتها إذا ذبحت أو نحرت ذهب أكثر العلماء إلى تحليلها وهو مذهب الشافعى ويدل عليه ماروى عن ابى سعيد عن النبى ﷺ انه قال فى الجنين ذكاته ذكاة أمه أخرجه الترمذى وابن ماجه وفى رواية ابى داود قال قلنا يارسول الله ننحر الناقة ونذبح البقرة والشاة ونجد فى بطنها الجنين انلقيه أم نأكله قال كلوه ان شئتم فان ذكاته ذكاة امه وروى الطبرى عن ابن عمر فى قوله أحلت لكم بهيمة الانعام قال مافى بطنها فال عطيه العوفى قلت ان خرج ميتا آكله قال نعم هو بمنزلة رئتها وكبدها وعن ابن عباس قال الجنين من بهيمة الانعام وعنه ان بقرة نحرت فوجد فى بطنها جنين فاخذ ابن عباس يذنب الجنين وقال هذا من بهيمة الانعام وشرط بعضهم الاشعار وتمام الخلق وقال ابن عمر ذكاة مافى بطنها ذكاتها إذا تم خلقه ونبت شعره ومثله عن سعيد بن المسيب وقال ابو حنيفة لايحل أكل الجنين إذا خرج ميتا بعد ذكاة الام * وقوله تعالى (إلا ما يتلى عليكم) يعنى فى القران تحريمه واراد به قوله تعالى حرمت عليكم الميتة إلى اخر الاية فهذا من المتلو علينا وهو ما استثنى الله عز وجل من بهيمة الانعام (غير محلى الصيد وانتم حرم) يعنى احللت لكم الانعام كلها والوحشية ايضا من الظباء والبقر والحمر غير محلى صيدها وانتم محرمون فى حال الاحرام فلا يجوز للمحرم ان يقتل صيدا فى حال إحرامه (إن الله يحكم مايريد) يعنى ان الله يقضى فى خلقه مايشاء من تحليل ما أراد تحليله وتحريم ما اراد تحريمه وفرض مايشاء ان يفرضه عليهم من احكامه وفرائضه مما فيه مصلحة لعباده * قوله تعالى (يا ايها الذين امنوا لاتحلوا شعائر الله) نزلت فى الحطم واسمه شريح بن هند بن ضبة البكرى اتى المدينة وحده وخلف

الظباء وبقر الوحش وحمر الوحش سميت بهيمة لانها أبهمت عن التمييز وقيل لانها لا تنطق لها (إلا ما يتلى عليكم) أى ماذكر فى قوله حرمت عليكم الميتة إلى قوله وماذبح على النصب (غير محلى الصيد) وهو نصب على الحال، اى لامحلى الصيد ومعنى الاية احلت لكم بهيمة الانعام كلها إلا ما كان منها وحشيا فانه صيد لايحل لكم فى حال الاحرام فلذلك قوله تعالى (وانتم حرم إن الله يحكم مايريد يا أيها الذين امنوا لاتحلوا شعائر الله) نزلت فى الحطم واسمه شريح بن ضبيعة البكرى أتى المدينة وخلف خيله خارج المدينة ودخل وحده على رسول الله ﷺ فقال له إلام تدعو الناس فقال له إلى شهادة ان لا إله إلا الله وان محمدا رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة فقال حسن

الاان لى أمراء لاأقطع أمرا دونهم ولعلى أسلم وآتى بهم وقد كان النبى ﷺ قال لأصحابه يدخل عليكم رجل من ربيعة يتكلم بلسان الشيطان ثم خرج شريح من عنده فقال الرسول ﷺ لقد دخل بوجه كافر وخرج بقفا غادر وما الرجل بمسلم فمر بسرح المدينة فاستاقه وانطلق فاتبعوه فلم يدركوه فلما كان العام القابل خرج حاجا حجاج بكر بن وائل من اليمامة ومعه تجارة عظيمة وقد قلدوا الهدى فقال المسلمون للنبى ﷺ هذا الحطم قد خرج حاجا فخل بيننا وبينه فقال النبى ﷺ انه قلد الهدى فقالوا يارسول الله هذا شىء كنا نفعله فى الجاهلية فابى النبى ﷺ فأنزل عز وجل يا أيها الذين آمنوا لاتحلوا شعائر الله قال ابن عباس رضى الله عنهما ومجاهد هى مناسك الحج (٤) وكان المشركان يحجون ويهدون فاراد المسلمون ان يغيروا عليهم فنهاهم الله عن ذلك وقال أبو عبيدة شعائر الله هى الهدايا المشعرة والأشعار من الشعار وهى العلامة واشعارها اعلامها بما يعرف أنها هدى والأشعار ههنا أن يطعن فى صفحة سنان البعير بحديدة حتى يسيل الدم فيكون ذلك علامة انها وهدى وهى سنة فى الهدايا إذا كانت من الإبل لما أخبرنا عبد الواحد المليحى أنا أحمد بن عبد الله النعيمى أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل ثنا أبو نعيم أنا أفلح عن القاسم عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت فتلت قلائد بدن النبى ﷺ بيدى ثم قلد وأشعرها وأهداها فما حرم عليه شىء كان كان أحل له وقاس الشافعى البقر على الابل فى الاشعار وأما الغنم فلا تشعر بالجرح فانها لاتحتمل الجرح لضعفها وعند أبى حنيفة رضى الله عنه لايشعر الهدى وقال عطية عن ابن عباس رضى الله عنهما لاتحلوا شعائر الله هى أن تصيد وانت محرم

خيله خارج المدينة ودخل على النبى ﷺ فقال النبى ﷺ إلام تدعو الناس فقال إلى شهادة ان لااله إلا الله وان محمدا رسول الله واقام وإيتاء الزكاة فقال حسن ألا إن لى امراء لاأقطع أمرا دونهم ولعلى اسلم وآتى بهم فخرج من عنده وقد كان الرسول ﷺ قال لأصحابه يدخل عليكم رجل من ربيعة يتكلم بلسان شيطان فلما خرج شريح قال للنبى ﷺ لقد دخل بوجه كافر وخرج بقفا غادر وما الرجل بمسلم فمر بسرح من سرح المدينة فاستاقه وانطلق به وهو يرتجز ويقول :

لقد لفها بالليل سواق حطم * ليس براعى إبل ولاغنم
ولا بجز على ظهر وضم * باتوا نياما وابن هند لم ينم
بات يقاسيها غلام كالزلم * خدلج الساقين ممسوح القدم

فتبعوه فلم يدركوه فلما كان العام القابل خرج شريح حاجا مع حجاج بكر بن وائل من اليمامة ومعه تجارة عظيمة وقد قلد الهدى فقال المسلمون يارسول الله هذا الحطم قد خرج حاجا فخل بيننا وبينه فقال النبى ﷺ انه قد قلد الهدى فقالوا يارسول الله هذا شىء كنا نفعله فى الجاهلية فابى النبى ﷺ فأنزل الله يا أيها الذين آمنوا لاتحلوا شعائر الله قال ابن عباس هى المناسك كان المشركون يحجون ويهدون فاراد المسلمون ان يغيروا عليهم فنهاهم الله عن ذلك وقيل الشعائر الهدايا المشعرة وإشعارها ان يطعن فى صفحة سنام البعير بحديدة حتى يسيل دمه فيكون ذلك علامة انها هدى وهو سنة فى الابل والبقر دون الغنم ويدل عليه ماروى عن عائشة فتلت قلائد بدن النبى ﷺ ثم اشعرها قلدها ثم بعث بها إلى البيت فما حرم عليه شىء كان له حلالا أخرجاه فى الصحيحين (م) عن ابن عباس ان الرسول ﷺ صلى الظهر بذى الحليفة ثم دعا بناقته فاشعرها فى صفحة سنامها الايمن وسلت الدم عنها وقلدها نعلين ثم ركب راحلته فلما استوت به على البيداء اهل بالحج وعند ابى حنيفة لايجوز إشعار الهدى بل قال بكره ذلك وقال ابن عباس (١) فى معنى الاية لاتحلوا شعائر الله هى ان تصدوا انت محرم وقيل شعائر الله شرائع الله ومعالم دينه والمعنى لاتحلوا شيئا من فرائضه التى افترض عليكم واجتنبوا نواهيه التى نهى عنها (ولا الشهر الحرام) أى ولاتحلوا الشهر الحرام بالقتال فيه والشهر الحرام هو الذى كانت العرب تعظمه وتحرم القتال فى الجاهلية فيه فلما جاء الاسلام لم ينقض هذا الحكم بل أكده والمراد بالشهر الحرام هنا ذو القعدة وقيل رجب ذكرهما ابن جرير وقيل المراد باحلال الشهر الحرام النسىء قال مقاتل كان جنادة بن عوف يقوم فى سوق عظاظ فيقول انى قد احللت كذا وحرمت كذا يعنى به الاشهر فنهى الله عن ذلك وسيأتى تفسير النسىء فى سورة براءة (ولا الهدى ولا القلائد) الهدى مايهدى إلى بيت الله من بعير أو بقرة أو شاة أو غير ذلك مما يتقرب به الى الله تعالى والقلائد جمع قلادة وهى التى تشد فى عنق البعير وغيره والمعنى ولا الهدى وذات القلائد قال الشاعر

حلفت

(١) قوله وقال ابن عباس الخ كان هذا قول ثان له رضى الله عنه إذ تقدم له غير هذا اه

بدليل قوله تعالى وإذا حللتم فاصطادوا وقال السدى أراد حرم الله وقيل المراد منه النهى على القتل فى الحرم وقال عطاء شعائر حرمات الله واجتناب سخطه واتباع الطاعة قوله (ولا الشهر الحرام) أى بالقتال فيه وقال ابن زيد هو النسىء وذلك أنهم كانوا يحلونه عاما ويحرموه عاما (ولا الهدى) هو كل مايهدى إلى بيت الله من بعير أو بقرة أو شاة (ولا القلائد) أى الهدايا المقلدة يريد ذوات القلائد وقال عطاء اراد أصحاب القلائد وذلك أنهم كانوا فى الجاهلية اذا أرادوا الخروج من الحرم قلدوا أنفسهم وابلهم بشىء من لحاء شجر الحرم كيلا يتعرض لهم فنهى الشرع على استحلال شىء منها وقال مطرف بن الشخير هى القلائد نفسها

وذلك أن المشركين كانوا يأخذون من لحاء شجر مكة ويتقلدونها فنهوا عن نزع شجرها قوله (٥) تعالى (ولا آمين البيت الحرام) أى قاصدين البيت الحرام يعنى الكعبة فلا تتعرضوا لهم (يبتغون) يطلبون (فضلا من ربهم) يعنى الرزق بالتجارة (ورضوانا) أى على زعمهم لأن الكافرين لا نصيب له فى الرضوان وقال قتادة هو أن يصلح معايشهم فى الدنيا ولا يعجل لهم العقوبة فيها وقيل ابتغاء الفضل للمؤمنين والمشركين عامة وابتغاء الرضوان للمؤمنين خاصة لأن المسلمين والمشركين كانوا يحجون وهذه الآية إلى ههنا منسوخة بقوله اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وبقوله فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا فلا يجوز أن يحج مشرك ولا يأمن كافر بالهدى والقلائد قوله عز وجل (وإذا حللتم) أى من إحرامكم (فاصطادوا) أمر إباحة أباح للحلال أخذ الصيد كقوله تعالى فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض (ولا يجرمنكم) قال ابن عباس رضى الله عنهما وقتادة لا يحملنكم يقال جرمنى فلان على أن صنعت كذا أى حملنى وقال الفراء لا يكسبنكم يقال جرم أى اكسب وفلان جريمة اهله أى كاسبهم وقيل لا يدعونكم (شنآن قوم) أى بغضهم وعداوتهم وهو مصدر شئت قرأ ابن عامر وأبو بكر شنآن قوم بسكون النون الأولى وقرأ الآخرون بفتحها وهما لغتان والفتح أجود لأن المصادر أكثرها فعلان بفتح العين مثل الضربان والسيلان والنسلان ونحوها (إن صدوكم عن المسجد الحرام) قرأ ابن كثير وابو عمرو بكسر الألف على الاستئناف وقرأ

حلفت برب مكة والمصلى * وأعناق هدين مقلدات

فعلى هذا القول إنما عطف القلائد على الهدى مبالغة فى التوصية لأنها من أشرف البدن المهداة والمعنى ولا تستحلوا الهدى خصوصا المقلدات منها وقيل أراد أصحاب القلائد وذلك ان العرب فى الجاهلية كانوا إذا أرادوا الخروج من الحرم قلدوا أنفسهم وأبلهم من لحاء شجر الحرم فكانوا يأمنون بذلك فلا يتعرض لهم أحد فنهى الله المؤمنين عن ذلك الفعل ونهاهم عن استحلال نزع شىء من شجر الحرم (ولا آمين البيت الحرام) يعنى ولا تستحلوا القاصدين إلى البيت الحرام وهو الكعبة شرفها الله وعظمها (يبتغون) يعنى يطلبون (فضلا من ربهم) يعنى الرزق والأرباح فى التجارة (ورضوانا) يعنى ويطلبون رضا الله عنهم بزعمهم لأن الكافر لا حظ له فى الرضوان لكن يظن ان فعله ذلك طلب الرضوان فيجوز أن يوصف به بناء على ظنه وقيل ان المشركين كانوا يقصدون بحجهم ابتغاء رضوان الله وإن كانوا لا ينالونه فلا يبعد أن يحصل لهم بسبب ذلك القصد نوع من الحرمة وهو الأمن على أنفسهم وقيل كان المشركون يلتمسون فى حجهم ما يصلح لهم دنياهم ومعاشهم وقيل ابتغاء الفضل هو للمؤمنين والمشركين عامة وابتغاء الرضوان للمؤمنين خاصة وذلك أنهم كانوا يحجون جميعا

﴿فصل﴾ اختلف علماء الناسخ والمنسوخ فى هذه الآية فقال قوم هذه الآية منسوخة إلى هنا لان قوله تعالى لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام يقتضى حرمة القتل فى الشهر الحرام وفى الحرام وذلك منسوخ بقوله تعالى اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وقوله تعالى ولا آمين البيت الحرام يقتضى حرمة منع المشركين عن البيت الحرام وذلك منسوخ بقوله تعالى فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا فلا يجوز أن يحج مشرك ولا يأمن بالهدى والقلائد كافر وهذا قول ابن عباس ومجاهد والحسن وقتادة وأكثر المفسرين قال الشعبى لم ينسخ من سورة المائدة إلا هذه الآية وقيل المنسوخ منها قوله ولا آمين البيت الحرام نسختها آية براءة اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وقوله ولا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا قال ابن عباس كان المؤمنين والمشركون يحجون البيت جميعا فنهى الله المؤمنين ان يمنعوا أحدا أن يحج البيت أو يتعرضوا له من مؤمن أو كافر ثم أنزل الله بعد هذا إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وقال آخرون لم ينسخ من ذلك شىء سوى القلائد التى كانت فى الجاهلية يتقلدونها من لحاء شجر الحرم قال الواحدى وذهب جماعة إلى أنه لا منسوخ فى هذه السورة وأن هذه الآية محكمة قالوا ما ندبنا إلى أن تخيف من يقصد بيته من أهل شريعتنا فى الشهر الحرام ولا فى غيره وفضل الشهر الحرام عن غيره بالذكر تعظيما وتفضيلا وحرم علينا أخذ الهدى من المهدين وصرفه عن بلوغ محله وحرم علينا القلائد التى كانوا يفعلونها فى الجاهلية وهذا غير مقبول والظاهر ما عليه جمهور العلماء من نسخ هذه الآية لاجماع العلماء على أن الله عز وجل قد أحل قتال أهل الشرك فى الأشهر الحرم وغيرها وكذلك أجمعوا على أن المشرك لو قلد عنقه وذراعيه جميع لحاء الشجر لم يكن ذلك له امانا من القتل إذا لم يكن قد تقدم له عهد ذمة أو أمان وكذلك أجمعوا على منع من قصد البيت بحج أو عمرة من المشركين لقوله تعالى إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا والله أعلم * وقوله تعالى (وإذا حللتم) يعنى من إحرامكم (فاصطادوا) هذا أمر إباحة لأن الله حرم الصيد على المحرم حاله إحرامه بقوله تعالى غير محلى الصيد وأنتم حرم وإذا حل من إحرامه بقوله وإذا حللتم فاصطادوا وإنما قلنا أنه أمر إباحة لأنه ليس واجبا على المحرم إذا حل من احرامه أن يصطاد ومثله قوله تعالى فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض معناه أنه قد أبيح لكم ذلك بعد الفراغ من الصلاة (ولا يجرمنكم) قال ابن عباس لا يحملنكم وقيل معناه لا يكسبنكم ولا يدعوكم (شنآن قوم) يعنى بغض قوم وعداوتهم (أن صدوكم) يعنى لأن صدوكم (عن المسجد الحرام) والمعنى لا يحملنكم عداوة قوم على الاعتداء لأن صدوكم عن المسجد الحرام لأن هذه

الاخرون بفتح الألف أى لأن صدوركم ومعنى الاية ولا يحملنكم عداوة قوم على الاعتداء لأنهم صدوكم وقال محمد بن جرير لأن هذه السورة نزلت بعد قصة الحديبية وكان الصد قد تقدم (ان تعتدوا) عليهم بالقتل وأخذ الأموال (وتعاونوا) أى ليعن بعضكم بعضا (على البر والتقوى) قيل البر متابعة الامر والتقوى مجانبة (٦) النهى وقيل البر الاسلام والتقوى السنة (ولا تعاونوا على الاثم والعدوان) قيل الاثم الكفر والعدوان الظلم وقيل الاثم المعصية والعدوان البدعة اخبرنا أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيرى انا أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن أبى طاهر الدقاق ببغداد أنا أبو الحسن على بن محمد بن الزبير القرشى أنا الحسن على بن عفان انا يزيد بن الحباب عن معاوية بن صالح حدثنى عبد الرحمن بن جبير بن نفير ابن مالك الحضرمى عن أبيه عن النواس بن سمعان الأنصارى قال سئل رسول الله ﷺ عن البر والاثم قال البر حسن الخلق والاثم ماحاك فى نفسه وكرهت ان يطلع عليه الناس (واتقوا الله ان الله شديد العقاب حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به) أى ماذكر على ذبحه غير اسم الله تعالى (والمنخنقة) وهى التى تخنق فتموت قال ابن عباس كان أهل الجاهلية يخنقون الشاة حتى إذا ماتت اكلوها (والموقوذة) هى المقتولة بالخشب قال قتادة كانوا يضربونها بالعصا فاذا ماتت اكلوها (والمتردية) هى التى تتردى من مكان عال أو فى بئر فتموت (والنطيحة) هى التى تنطحها أخرى فتموت وهاء التأنيث تدخل فى الفعيل إذا كان بمعنى الفاعل فاذا كان بمعنى المفعول استوى فيه المذكر والمؤنث نحو عين كحيل وكف خضيب فاذا حذفت الإسم وافردت الصفة ادخلوها الهاء فقالوا ربنا كحيلة وخضيبة وهنا ادخل الهاء لأنه لم يتقدمها الاسم فلو اسقط الهاء لم يدرانها صفة لمؤنث أم مذكر ومثله الذبيحة والنسيكة واكيلة السبع

السورة نزلت بعد قصة الحديبية فكان الصد قد تقدم أن تعتدوا) عليهم يعنى بالقتل وأخذ المالى (وتعاونوا على البر والتقوى) يعنى ليعن بعضكم بعضا على ما يكسب البر والتقوى قال ابن عباس البر متابعة السنة (ولا تعاونوا على الإثم والعدوان) يعنى ولا يعن بعضكم بعضا على الاثم وهو الكفر والعدوان هو الظلم وقيل الاثم المعاصى والعدوان البدعة (م) عن النواس بن سمعان قالت سالت رسول الله ﷺ عن البر والاثم فقال البر حسن الخلق والاثم ماحاك فى صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس (واتقوا الله) أى احذروا الله أن تعتدوا ما امركم به أو تجاوزوا إلى ما نهاكم عنه (ان الله شديد العقاب) يعنى لمن خالف أمره ففيه وعيد وتهديد عظيم * قوله عز وجل (حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير) بين الله تعالى فى أول السورة ما احل لنا من بهيمة الانعام بقوله احلت لكم بهيمة الانعام ثم أنه تعالى استثنى من ذلك بقوله إلا ما يتلى عليكم فذكر ذلك المستثنى بقوله حرمت عليكم الميتة فكل ما فارقته الروح مما يذبح بغير ذكاة فهو ميتة وسبب تحريم الميتة ان الدم لطيف جدا فاذا مات الحيوان حتف أنفه احتبس ذلك الدم وبقى فى العروق فيفسد ويحصل منه ضرر عظيم والدم هو المفسوح الجارى وكانت العرب فى الجاهلية تجعل الدم فى المصارين وتشويه وتاكله فحرم الله ذلك كله ولحم الخنزير أراد به جميع أجزائه وأعضائه وإنما خص اللحم بالذكر لأنه المقصود بالأكل وقد تقدم فى سورة البقرة أحكام هذه الثلاثة أشياء وما استثنى الشارع من الميتة والدم هو السمك والجراد والكبد والطحال وذكرنا الدليل على إباحة ذلك واختلاف العلماء فى ذلك * وقوله تعالى (وما أهل لغير الله به) يعنى ما ذكر على ذبحه غير اسم الله وذلك ان العرب فى الجاهلية كانوا يذكرون أسماء أصنامهم عند الذبح فحرم الله ذلك بهذه الاية وبقوله ولا تاكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه (والمنخنقة) قال ابن عباس كان أهل الجاهلية يخنقون الشاة حتى إذا ماتت اكلوها فحرم الله ذلك والمنخنقة من جنس الميتة لأنها لما ماتت لم يسل دمها والفرق بينهما أن الميتة تموت بلا سبب أحد والمنخنقة تموت بسبب الخنق (والموقوذة) يعنى المقتولة بالخشب وكانت العرب فى الجاهلية يضربون الشاة بالعصا حتى تموت ويأكلونها فحرم الله ذلك (والمتردية) يعنى التى تتردى من من مكان عال فتموت او فى بئر فتموت والتردى هو السقوط من سطح أو من جبل ونحوه وهذه المتردية تلحق بالميتة فيحرم اكلها ويدخل فى هذا الحكم إذا رمى بسهمه صيدا فتردى ذلك الصيد من جبل أو من مكان عال فمات فانه يحرم اكله لأنه لا يعلم هل مات بالتردى أو بالسهم (والنطيحة) يعنى التى تنطحها شاة أخرى حتى تموت وكانت العرب فى الجاهلية تاكل ذلك فحرمها الله تعالى لأنها فى حكم الميتة فاما الهاء فى الكلمات التى تقدمت اعنى المنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة فانما دخلت عليها لأنها صفات لموصوف مؤنث وهو الشاة كانه قال حرمت عليكم الشاة المنخنقة والموقوذة والمتردية وخصت الشاة لأنها من أعم ما ياكله الناس والكلام إنما يخرج على الأعم الأغلب ثم يلحق به غيره * فان قلت لم اثبتت الهاء فى النطيحة مع أنها فى الأصل منطوحة فعدلوا بها إلى النطيحة وفى مثل هذا الموضع تكون الهاء محذوفة تقول كف خضيب وعين كحيل يعنى كف مخضوبة وعين مكحولة * قلت إنما تحذف الهاء من الفعيلة إذا كانت صفة الموصوف يتقدمها فاذا لم يذكر الموصوف وذكرت الصفة وضعتها موضع الموصوف تقول رأيت قبيلة بنى فلان بالهاء لأنك إن لم تدخل الهاء لم يعرف ارجل هو أم امرأة فعلى هذا إنما دخلت الهاء

(وما اكل السبع) يريد ما بقى مما اكل السبع وكان أهل الجاهلية ياكلونه (إلا ماذكيتم) يعنى إلا ما أدركتم ذكاته من هذه الأشياء وأصل التذكية الاتمام يقال ذكيت النار إذا أتممت اشتعالها والمراد هنا اتمام فرى الأوداج وانهار الدم قال النبى ﷺ ما انهر الدم وذكر اسم الله عليه فكل غير السن والظفر وأقل الذكاة فى الحيوان المقدور عليه قطع المرىء والحلقوم كماله أن يقطع الودجين معهما ويجوز بكل محدد يقطع من حديد أو قصب أو زجاج او حجر إلا السن والظفر فنهى النبى ﷺ عن الذبح بهما وإنما يحل ماذكيته بعد ماجرحه السبع وأكل شيئا منه إذا أدركته والحياة فيه مستقرة فذبحته فأما ماصار بجرح السبع إلى حاله (٧) المذبوح فهو فى حكم الميتة فلا يكون حلالا وان ذبحته وكذلك المتردية والنطيحة إذا أدركتها حية قبل أن تصير إلى حالة المذبوح فذبحتها تكون حلالا ولو رمى الى صيد فى الهواء فاصابه فسقط على الأرض ومات كان حلالا لأن الوقوع على الأرض من ضرورته فان سقط على جبل أو شجر ثم تردى منه فمات فلا يحل وهو من المتردية إلا أن يكون السهم أصاب مذبحة فى الهواء فيحل كيف ماوقع لأن الذبح قد حصل باصابة السهم المذبح (وما ذبح على النصب) قيل النصب جمع واحده نصاب وقيل هو واحد وجمعه انصاب مثل عنق وأعناق وهو الشىء المنصوب واختلفوا فيه فقال مجاهد وقتادة كانت حول البيت ثلثمائة وستون حجرا منصوبة كان أهل الجاهلية يعبدونها ويعظمونها ويذبحون لها وليست هى باصنام إنما الأصنام هى المصورة المنقوشة وقال الاخرون هى الاصنام المنصوبة ومعناه وماذبح على اسم النصب قال ابن زيد وماذبح على النصب وما أهل لغير الله به هما واحد قال قطرب على بمعنى اللام اى وماذبح لاجل النصب (وان تستقسموا بالازلام) اى وحرم عليكم الاستقسام بالازلام والاستقسام هو طلب القسم والحكم من الازلام والازلام هى القداح التى لاريش لها ولا نصل واحدها زلم بفتح الزاى وضمها كانت ازلامهم سبعة قداح مستوية من شوحط يكون عند سادن الكعبة مكتوب على واحد منها أمرنى ربى وعلى واحد نهانى وعلى واحد منكم وعلى واحد من غيركم وعلى واحد مصلق وعلى واحد العقل وعلى واحد غفل اى ليس عليه شىء ملصق وعلى واحد العقل وواحد غفل وليس عليه شىء فكانوا إذا أرادوا امرا من سفر او نكاح او ختان او غيره أو تداوروا فى نسب أو اختلفوا فى تحمل عقل جاءوا إلى هبل وكان أعظم أصنام قريش بمكة وجاءوا بمائة درهم اعطوها صاحب القداح حتى يجيل

الهاء فى النطيحة لأنها صفة لموصوف غير مذكور وهو الشاة وقال ابن السكيت قد تاتى فعيلة بالهاء وهى فى تاويل مفعول بها تخرج مخرج الأسماء ولا يذهب بها مذهب النعوت نحو النطيحة والذبيحة والفريسة واكيلة السبع ومررت بقبيلة بنى فلان * وقوله تعالى (وما اكل السبع) قال قتادة كان أهل الجاهلية إذا جرح السبع شيئا فقتله او اكل منه اكلوا ما بقى منه فحرمه الله تعالى والسبع اسم يقع على كل حيوان له ناب ويعدو على الناس والدواب فيفترس بنابه كالأسد والذئب والنمر والفهد ونحوه وفى الاية محذوف تقديره وما اكل السبع لان ما اكله السبع فقد فقد فلا حكم له إنما الحكم للباقى منه (إلا ماذكيتم) يعنى إلا ما أدركتموه وقد بقيت فيه حياة مستقرة من هذه الأشياء المذكورة والظاهر ان هذا الاستثناء يرجع الى جميع المحرمات المذكورة فى الاية من قوله تعالى والمنخنقة الى وما اكل السبع وهذا قول على بن ابى طالب وابن عباس والحسن وقتادة وقال ابن عباس يقول الله تعالى وما ادركتم من هذا كله وفيه روح فاذبحوه فهو حلال وقال الكلبى هذا الاستثناء مما أكل السبع خاصة والقول هو الأول وأما كيفية ادراكها فقال اكثر اهل العلم من المفسرين ان ادركت ذكاته بان توجد له عين تطرف او ذنب يتحرك فاكله جائز قال ابن عباس إذا طرفت بعينها أو ركضت برجلها أو تحركت فاذبح فهو حلال وذهب بعض أهل العلم الى أن السبع إذا جرح فأخرج الحشوة أو قطع الجوف قطعا تيأس معه الحياة فلا ذكاة لان ذلك وان كان به حركة ورمق إلا انه قد صار الى حالة لا يؤثر فى حياته الذبح وهو مذهب مالك واختاره الزجاج وابن الأنبارى لأن معنى التذكية ان يلحقها وفيها بقية تنشخب معها الأوداج وتضطرب اضطراب المذبوح لوجود الحياة فيه قبل ذلك وإلا فهو كالميتة وأصل الزكاة فى اللغة تمام الشىء فالمراد من التذكية تمام قطع الاوداج وانهار الدم ويدل عليه ماروى عن رافع بن خديجة عن النبى ﷺ قال ما انهر الدم وذكر اسم الله عليه فكلوه ليس السن والظفر وسأحدثكم عن ذلك أما السن فعظم واما الظفر فمدى الحبشة اخرجاه فى الصحيحين وأقل الذبح فى الحيوان المقدور عليه قطع المرىء والحلقوم واكمله قطع الودجين مع ذلك والحلقوم بعد الفم وهو موضوع النفس والمرىء مجرى الطعام والودجان عرقان يقطعان عند الذبح واما آلة الذبح فكل ما انهر الدم وفرى الاوداج من حديد وغيره إلا السن والظفر لما تقدم من نهى النبى ﷺ عن ذلك * قوله تعالى (وماذبح على النصب) يعنى وحرم ماذبح على النصب والنصب يحتمل أن يكون جمعا واحدا نصاب وأن يكون واحدا وجمعه انصاب وهو الشىء المنصوب قيل كان حول الكعبة ثلثمائة وستون حجرا منصوبة كان اهل الجاهلية يعبدونها ويعظمونها ويذبحون لها وليست هذه الحجارة باصنام الصور المنقوشة وقال ابن عباس هى الاصنام المنصوبة والمعنى وما ذبح على اسم النصب أولا جل النصب فهو حرام (وان تستقسموا بالازلام) يعنى وحرم عليكم الاستقسام بالازلام وهو طلب القسم والحكم من الازلام وهى القداح وكانت ازلامهم سبع قداح مستوية مكتوب على واحد منها أمرنى ربى وعلى واحد نهانى وعلى واحد منكم وعلى واحد من غيركم وعلى واحد مصلق وعلى واحد العقل وعلى واحد غفل اى ليس عليه شىء

القداح ويقولون يا إلهنا انا أردنا كذا وكذا فان خرج نعم فعلوا وان خرج لا لم يفعلوا ذلك حولا ثم عادوا الى القداح ثانية فاذا اجالوا على نسب فان خرج منكم كان وسيطا منهم وا خرج من غيركم كان حليفا وان خرج ملصق كان على منزلته لا نسب له ولا حلف واذا اختلفوا في عقل فمن خرج عليه قدح العقل حمله وان خرج الغفل أجالوا ثانيا حتى يخرج المكتوب فنهى الله عز وجل عن ذلك وحرمه وقال (ذلكم فسق) قال سعيد بن جبير الازلام حصى بيض كانوا يضربون بها وقال مجاهد هي كعاب فارس والروم التي يتقامرون بها وقال الشعبي وغيره الازلام للعرب والكعاب للعجم وقال سفيان بن وكيع هي الشطرنج وروينا ان النبي صلى الله عليه وسلم قال العيافة والطرق والطيرة من الجبت والمراد من الطرق والضرب بالحصا

أخبرنا ابو سعيد الشريحي اخبرنا ابو اسحق الثعلبي انا ابن فنجويه انا فضل السندي اخبرنا الحسن ابن داود الخشاب انا سويد ابن سعيد انا ابو المختار عن عبد الملك بن عمير عن رجاء ابن حيوة عن أبي الدرداء قال قال رسول الله ﷺ من تكهن أو استقسم او تطير طيرة ترده عن سفره لم ينظر الى الدرجات العلى من الجنة يوم القيامة (اليوم يئس الذين كفروا من دينكم) يعني أن ترجعوا الى دينهم كفارا وذلك أن الكفار كانوا يطمعون في عود المسلمين الى دينهم فلما قوى الاسلام ايسوا ويئسوا وأيس بمعنى واحد (فلا تخشوهم واخشون اليوم أكملت لكم دينكم

لا ئتى

وكانت العرب في الجاهلية إذا أرادوا سفرا او تجارة او نكاحا او اختلفوا في نسب او امر قتيل او نحمل عقل أو غير ذلك من الأمور العظام جاؤا الى هبل وكانت أعظم صنم لقريش بمكة وجاؤا بمائة درهم وأعطوها صاحب القداح حتى يجيلها لهم فان خرج أمرني ربي فعلوا ذلك الأمر وان خرج نهاني ربي لم يفعلوه وان أجالوا على نسب فان خرج منكم كان وسطا فيهم وان خرج من غيركم كان حلفا فيهم وان خرج ملصق كان على حاله وان اختلفوا في العقل وهو الدية فمن خرج عليه قدح العقل تحمله وان خرج الغفل أجالوا ثانيا حتى يخرج المكتوب عليه فنهاهم الله عن ذلك وحرمه وسماه فسقا وقيل الازلام كعاب فارس والروم التي كانوا يقامرون بها وقيل كانت الإزلام للعرب والكعاب للعجم وهي النرد وكلها حرام لا يجوز اللعب بشيء منها * عن قطن بن قبيصة عن أبيه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول العيافة والطيرة والطرق من الجبت اخرجه ابو داود وقال الطرق الزجر والعيافة الخط وقيل العيافة زجر الطير والطرق الضرب بالحصى والجبت كل ما عبد من دون الله عز وجل وقيل الجبت الكاهن وروى البغوي بسند الثعلبي عن ابي الدرداء قال قال رسول الله ﷺ من تكهن أو استقسم بالازلام أو تطير طيرة ترده عن سفره لم ينظر إلى الدرجات العلى يوم القيامة وقوله تعالى (ذلكم فسق) يعني ما ذكر من هذه المحرمات في هذه الاية لأن المعنى حرم عليكم تناول كذا وكذا فانه فسق والفسق ما يخرج من الحلال الى الحرام وقيل ان الإشارة عائدة على الاستقسام بالازلام والأول أصح (اليوم يئس الذين كفروا من دينكم) يعني يئسوا ان ترجعوا عن دينكم إلى دينهم كفارا وذلك ان الكفار كانوا يطمعون في أن يعود المسلمون الى دينهم فلما قوى الاسلام أيسوا من ذلك وذلك هو اليوم الذي دخل فيه رسول الله ﷺ مكة عام حجة الوداع فعند ذلك يئس الكفر من بطلان دين الاسلام وقيل ان ذلك هو يوم عرفة فنزلت هذه الاية والنبي ﷺ واقف بعرفة وقيل لم يرد يوما بعينه وانما المعنى الان يئس الذين كفروا من دينكم فهو كما تقول اليوم قد كبرت تريد الآن قد كبرت وتقول فلان كان يزورنا وهو اليوم يجفونا ولم تر يوما بعينه يعني وهو الان يجفونا ولم نقصد به اليوم قال الشاعر

فيوم علينا ويوم لنا * ويوم نساء ويوم نسر

أراد فزمان علينا وزمان لنا ولم يقصد ليوم واحد معين (فلا تخشوهم) فلا تخافوا الكفار أيها المؤمنون الذين امنوا ان يظهروا على دينكم فقد زال الخوف عنكم باظهار دينكم (واخشون) اي وخافوا مخالفة امري وأخلصوا الخشية لي * قوله عز وجل اليوم أكملت لكم دينكم) نزلت هذه الاية في يوم الجمعة بعد العصر في يوم عرفة والنبي ﷺ واقف بعرفات على ناقته العضباء فكادت عضد الناقة تندق وبركت لثقل الوحي وذلك في حجة الوداع سنة عشر من الهجرة (ق) عن طارق بن شهاب قال جاء رجل من اليهود إلى عمر ابن الخطاب فقال يا أمير المؤمنين اية في كتابكم تقرؤنها لو علينا نزلت معشر اليهود لاتخذنا ذلك اليوم عيدا قال فأي اية قال اليوم اكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا فقال عمر اني لأعلم اليوم الذي نزلت فيه والمكان الذي نزلت فيه نزلت على رسول الله ﷺ بعرفات في يوم الجمعة أشار عمر الى أن ذلك اليوم يوم عيد لنا وعن ابن عباس انه قرىء اليوم اكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا وعنده يهودي فقال لو نزلت هذه الاية علينا لاتخذنا ها عيدا فقال ابن عباس فانها نزلت في يوم عيدين في يوم جمعة ويوم عرفة اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب قال ابن عباس كان في ذلك اليوم خمسة أعياد يوم جمعة ويوم عرفة وعيد لليهود وعيد للنصارى وعيد للمجوس ولم تجتمع اعياد لأهل الملل في يوم واحد قبله ولا بعده وروى انه لما نزلت هذه الاية بكى عمر فقال له النبي ﷺ ما يبكيك يا عمر فقال ابكاني انا كنا في زيادة من ديننا فاما اذا اكمل فانه لم يكمل شيء الا نقص قال صدقت فكانت هذه الاية نعي رسول الله ﷺ عاش بعدها احدا وثمانين يوما ومات ﷺ يوم الأثنين لليلتين خلتا من ربيع الأول وقيل

وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا) نزلت هذه الاية يوم الجمعة يوم عرفة بعد العصر في حجة الوداع والنبي ﷺ واقف بعرفات على ناقته العضباء فكادت عضد الناقة تندق من ثقلها فبركت أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا احمد بن عبد الله النعيمي انا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسمعيل حدثني الحسن بن الصباح سمع جعفر بن عون أنا أبو العميس أنا قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ان رجلا من اليهود قال له يا أمير المؤمنين اية في كتابكم تقرؤنها لو علينا معشر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيدا قال أية آية قال اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا قال عمر قد عرفنا ذلك اليوم والمكان الذي نزلت فيه على النبي ﷺ وهو قائم بعرفة يوم الجمعة أشار عمر إلى أن ذاك اليوم كان عيدا لنا قال ابن عباس كان في ذلك اليوم خمسة أعياد جمعة وعرفه وعيد اليهود والنصارى والمجوس ولم تجتمع أهل الملل في يوم قبله ولا بعده وروى هرون بن عنتره عن أبيه قال نزلت هذه الاية بكى عمر رضي الله عنه فقال له النبي ﷺ ما يبكيك يا عمر فقال ابكاني انا كنا في زيادة من ديننا فاما إذا كمل فانه لم يكن شيء إلا نقص قال صدقت وكانت هذه الاية نعي النبي صلى الله عليه وسلم وعاش بعدها إحدى وثمانين يوما ومات يوم الاثنين بعد ما زاغت الشمس لليلتين خلتا من شهر ربيع الاول سنة احدى عشرة من الهجرة وقيل توفي يوم الثاني عشر من شهر ربيع الاول وكانت هجرته في الثاني عشر من شهر ربيع الاول اما تفسير الاية قوله عز وجل اليوم أكملت لكم دينكم يعني يوم نزول هذه الاية أكملت

لاثنتي عشرة ليلة وهو الأصح سنة إحدى عشرة من الهجرة وأما تفسير الاية فقوله تعالى اليوم أكملت لكم دينكم يعني بالفرائض والسنن والحدود والأحكام والحلال والحرام ولم ينزل بعد هذه الاية حلال ولا حرام ولا شيء من الفرائض هذا معنى قول ابن عباس وقال سعيد بن جبير وقتادة معنى اكملت لكم دينكم أي حيث لم يحج معكم مشرك وخلا الموسم لرسول الله ﷺ والمسلمين وقيل معناه اني أظهرت دينكم على الأديان وامتنكم من عدوكم بان كفيتكم ما كنتم تخافونه وقيل إكمال الدين لهذه الامة ان لا يزول ولا ينسخ وان شريعتهم باقية إلى يوم القيامة وقيل اكمال الدين لهذه الامة انهم امنوا بكل نبي وكل كتاب ولم يكن هذا لغير هذه الامة وقال ابن الانباري اليوم أكملت شرائع الاسلام على غير نقصان كان قبل هذا الوقت وذلك ان الله تعالى كان يتعبد خلقه بالشيء في وقت ثم يزيد عليه في وقت اخر فيكون الوقت الاول تاما في وقته وكذلك الوقت الثاني تاما في وقته فهو كما يقول القائل عندي عشرة كاملة ومعلوم ان العشرين أكمل منها والشرائع التي تعبد الله عز وجل بها عباده في الأوقات المختلفة مختلفة وكل شريعة منها كاملة في وقت التعبد بها فكمل الله عز وجل الشرائع في اليوم الذي ذكره وهو يوم عرفه ولم يوجب ذلك ان الدين ناقصا في وقت من الاوقات ونقل الامام فخر الدين الرازي عن القفال واختاره ان الدين ما كان ناقصا البته بل كان أبدا كاملا كان الشرائع النازلة من عند الله كافيه في ذلك الوقت إلا انه تعالى كان عالما في أول وقت البعثة بان ما هو كامل في هذا اليوم ليس بكامل في الغد ولا يصالح فيه لاجرم كان ينسخ بعد الثبوت وكان يزيل بعد التحتم وأما في اخر زمان البعثة فأنزل الله شريعة كاملة وحكم ببقائها إلى يوم القيامة فالشرع أبدا كان كاملا إلا أن الاول كمال إلى يوم مخصوص والثاني كمال إلى يوم القيامة فلأجل هذا المعنى قال اليوم أكملت لكم دينكم ثم قال تعالى (وأتممت عليكم نعمتي) يعني باكمال الدين والشريعة لانه لا نعمة أتم من الاسلام وقال ابن عباس حكم لهم بدخول الجنة وقيل معناه انه تعالى أنجز لهم ما وعدهم في قوله ولاتم نعمتي عليكم فكان من تمام النعمة ان دخلوا مكة امنين وحجوا مطمئنين لم يخالطهم أحد من المشركين (ورضيت لكم الإسلام دينا) يعني واخترت لكم الاسلام دينا من بين الاديان وقيل معناه ورضيت لكم الاسلام لامري والانقياد لطاعتي فيما شرعت لكم من الفرائض والاحكام والحدود ومعالم الدين الذي أكملته لكم وإنما قال تعالى ورضيت لكم الاسلام دينا يوم نزلت هذه الاية وان كان الله تعالى لم يزل راضيا بدين الاسلام فيما مضى قبل نزول هذه الاية لانه لم يزل يصرف نبيه ﷺ وعباده المؤمنين من حال إلى حال وينقلهم من مرتبه إلى مرتبه أعلى منها حتى أكمل لهم شرائع الدين ومعالمه وبلغ أقصى درجاته ومراتبه ثم أنزل عليهم هذه الاية ورضيت لكم الاسلام دينا يعني بالصفة التي هو اليوم بها وهي نهاية الكمال وأنتم الان عليه فالزموه ولا تفارقوه روى البغوي بسنده عن جابر ان عبد الله قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال جبريل قال الله عز وجل هذا

(٢ — خازن ني) لكم دينكم يعني الفرائض والسنن والحدود والجهاد والأحكام والحلال والحرام فلم ينزل بعد هذه الآية حلال ولا حرام ولا شيء من الفرائض والسنن والحدود والأحكام هذا معنى قول ابن عباس رضي الله عنهما ويروى عنه ان اية الربا نزلت بعدها وقال سعيد ابن جبير وقتادة فأكملت لكم دينكم فلم يحج معكم مشرك وقيل أظهرت دينكم وامتنكم من العدو وقوله عز وجل وأتممت عليكم نعمتي يعني وانجزت وعدي في قوله ولاتم نعمتي عليكم فكان من تمام نعمته ان دخلوا مكة آمنين وعليها ظاهرين وحجوا مطمئنين لم يخالطهم أحد من المشركين ورضيت لكم الإسلام دينا سمعت عبد الواحد قال سمعت عبد الواحد المليحي قال سمعت أنا محمد بن حاتم قال سمعت أبا بكر النيسابوري سمعت أبا بكر محمد بن الحسن المسيب المروزي سمعت أبا حاتم محمد بن إدريس الحنظلي سمعت عبد الملك بن مسلمة انا مروان المصري سمعت ابراهيم بن أبي بكر بن المنكدر رضي الله عنه سمعت عمي محمد بن المنكدر سمعت جابر بن عبد الله يقول سمعت رسول الله

ﷺ يقول قال جبريل قال الله تعالى هذا دين ارتضيته لنفسي ولن يصلحة إلا السخاء وحسن الخلق فاكرموه بهما ماصحبتموه
قوله عزوجل (فمن اضطر فى مخمصة) أى جهد فى مجاعة والمخمصة خلو البطن من الغذاء يقال رجل خميص البطن إذا كان طاويا خاويا (وغير
متجانف لاثم) أى مائل الى اثم وهو ان يأكل فوق الشبع وقال قتادة غير متعرض لمعصية فى مقصده (فان الله غفور رحيم) وفيه اضمار أى
فأكله فان الله غفور رحيم أخبرنا أبو عبدالله (١٠) محمد بن الحسن المروزى أنا أبو العباس احمد بن محمد بن سراج الطحان أنا ابو أحمد محمد

ابن قريش بن سليمان انا
ابو الحسن على بن عبد
العزيز المكى انا أبو عبيدة
القاسم بن سلام انا محمد بن
كثير عن الاوزاعى عن
حسان بن عطية عن أبى
واقد الليثى قال رجل
يارسول الله انا نكون
بالأرض فتصيبنا بها
المخمصة فتى تحل لنا الميتة
فقال مالم تصطبحوا أو
تغتبقوا أو تحتفوا بها بقلا
فشأنكم بها قوله (يسئلونك
ماذا أحل لهم) الاية قال
سعيد بن جبير نزلت هذه
الآية فى عدى بن حاتم
وزيد بن المهلهل الطائيين
وهو زيد الخيل الذى سماه
رسول الله صلى الله عليه
وسلم زيد الخير قالا
يارسول الله انا قوم نصيد
بالكلاب والبزاة فماذا
يحل لنا منها فنزلت هذه
الاية وقيل سبب نزولها
ان النبى ﷺ لما أمر
بقتل الكلاب قالوا
يارسول الله ماذا يحل لنا
من هذه الامة التى أمرت
بقتلها فنزلت هذه الاية
فلما نزلت أذن رسول الله
صلى الله عليه وسلم فى
اقتناء الكلاب التى ينتفع
بها ونهى عن إمساك مالا
تقع فيه منها اخبرنا احمد
ابن عبدالله الصالحى انا ابو
الحسن على بن محمد بن عبدالله بن بشران انا اسماعيل بن محمد الصفار انا احمد بن منصور الزيادى انا عبدالرازق انا معمر عن الزهرى فلا
عن ابى سلمة عن ابى هريرة رضى الله عنه ان النبى ﷺ قال من اتخذ كلبا إلا كلب ماشية او صيد او زرع انتقص من اجره كل يوم قيراط
والاول اصح فى سبب نزول الاية (قل أحل لكم الطيبات) يعنى الذبائح على اسم الله تعالى وقيل كل ماتستطيبه العرب وتستلذه

دين ارتضيته لنفسى ولن يصلحه إلا السخاء وحسن الخلق فاكرموه بهما ماصحبتموه وروى الطبرى
عن قتادة قال ذكر لنا انه يمثل لكل اهل دين دينهم يوم القيامة فاما الايمان فيبشر اصحابه واهله ويعدهم
فى الخير حتى يجىء الاسلام فيقول يارب انت السلام وانا الاسلام فيقول اياك اليوم اقبل وبك اليوم
اجزى * وقوله تعالى (فمن اضطر فى مخمصة غير متجانف لاثم) هذه الاية من تمام ماتقدم ذكره فى المطاعم
التى حرمها الله تعالى ومتصلة بها والمعنى ان المحرمات وإن كانت محرمة إلا انها قد تحل فى حالة الاضطرار
اليها ومن قوله تعالى ذلكم فسق إلى هنا اعتراض وقع بين الكلامين والغرض منه تأكيد ماتقدم ذكره
من معنى التحريم لان تحريم هذه الخبائث من جملة الدين الكامل والنعمة التامة والاسلام الذى هو المرضى
عند الله ومعنى الاية فمن اضطر اى اجهد واصيب بالضر الذى لا يمكنه معه الامتناع من أكل الميتة
وهو قوله تعالى فى مخمصة يعنى فى مجاعة المخمصة خلو البطن من الغذاء عند الجوع غير متجانف لاثم يعنى غير
مائل الى اثم أو منحرف اليه والمعنى فمن اضطر الى أكل الميتة او الى غيرها فى المجاعة فليأكل غير
متجانف لاثم وهو ان يأكل فوق الشبع وهو قول فقهاء العراق وقيل معناه غير متعرض لمعصية فى مقصد
وهو قول فقهاء الحجاز (فان الله غفور رحيم) يعنى لمن اكل من الميتة فى حال الجوع والاضطرار * قوله
عزوجل (يسئلونك ماذا احل لهم) روى الطبرى بسنده عن ابى رافع قال جاء جبريل إلى النبى ﷺ
يستأذن عليه فاذن له فلم يدخل فقال قد أذنا لك يارسول الله قال اجل ولكنا لا ندخل بيتا فيه كلب قال
أبو رافع فأمرنى ان اقتل كل كلب بالمدينة ففعلت حتى انتهيت إلى امرأة عندها كلب ينبح عليها فتركته رحمة
لها ثم جئت إلى رسول الله ﷺ فاخبرته فامرنى بقتله فرجعت إلى الكلب فقتلته فجاءوا إلى رسول الله
ﷺ فقالوا يارسول الله ما يحل لنا من هذه الأمة التى امرت بقتلها قال فسكت رسول الله ﷺ
فأنزل الله يسئلونك ماذا أحل لهم قل أحل لكم الطيبات وما علمتم من الجوارح مكلبين وروى عن
عكرمة ان النبى ﷺ بعث ابا رافع فى قتل الكلاب فقتل حتى بلغ العوالى فدخل عاصم وسعد
ابن ابى خيثمة وعويمر بن ساعدة على رسول الله ﷺ فقالوا ماذا أحلنا فنزلت يسئلونك ماذا احل
لهم قل احل لكم الطيبات وما علمتم من الجوارح مكلبين قال ابن الجوزى واخرج حديث ابى رافع الحاكم
فى صحيحه قال البغوى فلما نزلت هذه الاية اذن رسول الله ﷺ فى اقتناء الكلاب التى ينتفع بها
ونهى عن إمساك مالا نفع فيه منها (ق) عن ابى هريرة قال قال رسول الله ﷺ من امسك كلبا
فانه ينقص كل يوم من عمله قيراط إلا كلب حرث أو ماشية ولمسلم ان رسول الله ﷺ قال من
اقتنى كلبا ليس بكلب صيد ولا ماشية ولا ارض فانه ينقص من اجره قيراطان كل يوم وقال سعيد بن
جبير نزلت هذه الاية فى عدى بن حاتم وزيد بن المهلهل الطائيين وهو زيد الخيل الذى سماه رسول الله
ﷺ زيدا الخير قالا يارسول الله انا قوم نصيد بالكلاب وبالبزاة فماذا يحل لنا فنزلت هذه الاية
قال البغوى وهذا القول اصح فى سبب نزولها واما التفسير فقوله تعالى يسألونك يعنى
يسألك اصحابك يامحمد ما الذى احل لهم أكله من المطاعم والمآكل لما تلى عليهم من
خبائث المآكل ماتلا سألوا عما احل لهم (قل احل لكم الطيبات) يعنى قل لهم يامحمد احل لكم
الطيبات يعنى ماذبح على اسم الله عزوجل وقيل الطيبات كل ماتستطيبه العرب وتستلذه من
غير ان ورد بتحريمه نص من كتاب او سنة واعلم ان العبرة فى الاستطابة والاستلذاذ بأهل
المروءة والأخلاق الجميلة من العرب فان اهل البادية منهم يستطيبون اكل جميع الحيوانات

من غير ان ورد بتحريمه نص من كتاب أو سنة (وما علمتم من الجوارح) يعنى وأحل لكم صيد (١١) ما علمتم من الجوارح واختلفوا فى

فلا عبرة بهم لقوله تعالى ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث فان الخبيث غير مستطاب فصارت هذه الاية الكريمة نصا فيما يحل ويحرم من الاطعمة . وقوله تعالى (وما علمتم من الجوارح مكلبين) يعنى واحل صيد ما علمتم من الجوارح فحذف ذكر الصيد وهو مراد فى الكلام لدلالة الباقى عليه ولانهم سالوا عن الصيد وقيل ان قوله وما علمتم من الجوارح ابتداء كلام خبره فكلوا مما امسكن عليكم وعلى هذا القول يصح معنى الكلام من غير اضمار والجوارح جمع جارحة وهى الكواسب من السباع والطير كالفهد والنمر والكلب والبازى والصقر والعقاب والشاهين والناشق من الطير مما يقبل التعليم سميت جوارح من الجرح لانها تجرح الصيد عند إمساكه وقيل سميت جوارح لأنها تكسب والجوارح الكواسب من جرح واجترح إذا اكتسب ومنه قوله تعالى الذين اجترحوا السيئات يعنى اكتسبوا وقوله ويعلم ما جرحتم بالنهار اى اكتسبتم مكلبين يعنى معلمين والمكلب هو الذى يغرى الكلاب على الصيد وقيل هو مؤدب الجوارح ومعلمها وإنما اشتق له هذا الاسم من الكلب لانه اكثر إحتياجا إلى التعليم من غيره من الجوارح (تعلمونهن) يعنى تعلمون الجوارح الاصياد (مما علمكم الله) يعنى من العلم الذى علمكم الله ففى الاية دليل على انه لا يجوز صيد جارحة ما لم تكن معلمة وصفة التعليم هو أن الرجل يعلم جارحة الصيد وذلك بان يوجد فيها امور منها انه إذا شليت(١) على الصيد استشلت وإذا زجرت انزجرت وإذا أخذت الصيد أمسكت ولم تاكل منه شيئا ومنها ان لا ينفر منه إذا أراده وان يجيبه إذا دعاه فهذا هو تعليم جميع الجوارح فاذا وجدت ذلك منها مرارا كانت معلمة وأقلها ثلاث مرات فانه يحل قتلها إذا جرحت بارسال صاحبها (ق) عن عدى بن حاتم قال سالت رسول الله ﷺ فقلت أنا قوم نصيد بهذه الكلاب فقال إذا أرسلت كلبك المعلم وذكرت إسم الله عليه فكل مما أمسك عليك إلا أن ياكل الكلب فلا تاكل فانى أخاف أن يكون إنما أمسك على نفسه وإن خالط كلابا لم يذكر إسم الله عليها فامسكن واقتلن فلا تاكل فانما سميت على كلبك ولم تسم على غيره وفى رواية فانك لا تدرى انها قتلى وسالته عن الصيد المعراض فقال إذا أصبت بحده فكل وإذا أصبت بعرضه فقتل فانه وقيذ فلا تاكل وإذا رميت الصيد فوجدته بعد يوم أو يومين ليس به إلا أثر سهمك فكل فان وقع فى الماء فلا تاكل واختلف العلماء فيما إذا أخذت الكلاب الصيد وأكلت منه شيئا فذهب أكثر أهل العلم إلى تحريمه ويروى ذلك عن ابن عباس وهو قول عطاء وطاوس والشعبى وبه قال الثورى وابن المبارك وأصحاب الرأى وهو أصح قول الشافعى ويدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم وإن اكل فلا تاكل فانما أمسك على نفسه ورخص بعضهم فى أكله يروى ذلك عمر وسلمان الفارسى وسعد بن أبى وقاص وبه قال مالك لما روى عن أبى ثعلبة الخشنى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى صيد الكلب إذا أرسلت كلبك وذكرت إسم الله فكل وإن أكل منه أخرجه أبو داود وأما غير المعلم من الجوارح إذا أخذت صيدا أو المعلم إذا خرج بغير إرسال صاحبه فاخذه وقتل فانه لا يحل إلا ان يدركه حيا فيذبحه فيحل (ق) عن أبى ثعلبة الخشنى قال قلت يارسول الله انا بأرض قوم أهل كتاب افناكل فى آنيتهم وبأرض صيد اصيد بقوسى وبكلبى الذى ليس بمعلم وبكلبى المعلم فما يصلح لى قال اما ما ذكرت من آنية أهل الكتاب فان وجدتم غيرها فلا تاكلوا فيها وإن لم تجدوا غيرها فاغتسلوها وكلوا فيها وما صدت بقوسك فذكرت اسم الله عليه فكل وما صدت بكلبك المعلم فذكرت اسم الله عليه فكل وما صدت بكلبك غير المعلم فادركت ذكاته فكل وقوله تعالى (فكلوا مما أمسكن عليكم) دخلت من قوله مما للتبعيض لانه إنما أحل أكل بعض الصيد وهو اللحم دون الفرث والدم وقيل من زائدة فهو كقوله تعالى وكلوا من ثمره إذا اثمر (واذكروا اسم الله عليه) قال ابن عباس يعنى إذا

هذه الجوارح فقال الضحاك والسدى هى الكلاب دون غيرها ولا يحل ما صاده غير الكلب إلا ان تدرك ذكاته وهذا غير معمول به بل عامة اهل العلم على ان المراد من الجوارح الكواسب من سباع البهائم كالفهد والنمر والكلب من سباع الطير كالبازى والعقاب والصقر ونحوها مما يقبل التعليم فيحل صيد جميعها سميت جارحة لجرحها أربابها اقواتهم من الصيد أى كسبها يقال فلان جارحة اهله اى كاسبهم (مكلبين) والمكلب الذى يغرى الكلاب على الصيد ويقال للذى يعلمها ايضا مكلب والكلاب صاحب الكلاب ويقال للصائد بها ايضا كلاب ونصب مكلبين على الحال اى فى حال تكليبكم هذه الجوارح اى اغرائكم اياها على الصيد وذكر الكلاب لانها اكثر وأعم والمراد جميع جوارح الصيد (تعلمونهن) تؤدبونهن آداب اخذ الصيد (مما علمكم الله) اى من العلم الذى علمكم الله قال السدى اى كما علمكم الله من بمعنى الكاف (فكلوا مما امسكن عليكم واذكروا اسم الله عليه) اراد ان الجارحة المعلمة إذا خرجت بارسال صاحبها فاخذت الصيد وقتلته كان حلالا والتعليم

(١) قوله إذا أشليت قال فى الصحاح وقول الناس أشليت الكلب على الصد خطأ أبو زيد أشليت الكلب دعوته وقال ابن السكيت يقال أوسدت الكلب بالصيد وآسدته إذا أغريته به ولا يقال أشليته انما الاشلاء الدعاء اه

هو أن يوجد فيها ثلاثة أشياء إذا أشليت استشلت وإذا زجرت انزجرت وإذا أخذت الصيد أمسكت ولم تاكل وإذا وجد ذلك منه مرارا وأقلها ثلاث مرات كانت معلمة يحل قتلها إذا خرجت بارسال صاحبها اخبرنا عبد الواحد المليحى أنا أحمد بن عبد الله النعيمى انا محمد

ابن يوسف أنا محمد بن اسمعيل أنا موسى بن اسماعيل أنا ثابت بن زيد عن عاصم عن الشعبي عن عدي بن حاتم عن النبي ﷺ قال إذا أرسلت كلبك المعلم وسميت فامسك وقتل فكل وان اكل فلا تاكل فانما امسك على نفسه وإذا خالط كلابا لم يذكر اسم الله عليها فامسكن وقتلن فلا تاكل فانك لا تدري ايها قتل وإذا رميت الصيد فوجدته بعد يوم أو يومين ليس به إلا اثر سهمك فكل وان وقع في الماء فلا تاكل واختلفوا فيما إذا اخذت الصيد واكلت منه شيئا فذهب اكثر اهل العلم إلى تحريمه روى ذلك عن ابن عباس وهو قول عطاء وطاوس والشعبي وبه قال الثوري وابن المبارك واصحاب الرأي وهو أصح قول الشافعي لقوله ﷺ وإن اكل فلا تاكل فانما أمسك على نفسه ورخص بعضهم في أكله روى ذلك عن ابن عمر وسلمان الفارسي وسعد بن أبي وقاص وقال مالك لما روى من ابي ثعلبة الخشني قال قال رسول الله ﷺ إذا ارسلت كلبك وذكرت اسم الله تعالى فكل وان اكل منه واما غير المعلم من الجوارح إذا اخذ صيدا و المعلم إذا جرح بغير ارسال صاحبه فاخذ وقتل فلا يكون حلالا إلا ان يدرك صاحبه حيا فيذبحه (١٢) فيكون حلال اخبرنا عبد الواحد المليحي انا احمد بن عبد الله النعيمي انا محمد بن يوسف انا محمد ابن إسمعيل انا عبد الله بن يزيد انا حيوة اخبرني ربيعة ابن يزيد الدمشقي عن ابي ادريس عن ابي ثعلبة الخشني قال قلت يا نبي الله انا بارض قوم اهل كتاب افنا كل في انيتهم وبارض صيد اصيد بقوسي وبكلبي الذي ليس بمعلم وبكلبي المعلم فما يصح لي قال اما ما ذكرت من انية اهل الكتاب فان وجدتم غيرها فلا تاكلوا فيها وان لم تجدوا فاغسلوها وكلوا فيها وما صدت بقوسك فذكرت اسم الله عليه فكل وما صدت بكلبك المعلم فذكرت اسم الله عليه فكل وما صدت بكلبك غير المعلم فادركت ذكاته فكل (واتقوا الله ان الله سريع الحساب) ففيه بيان ان ذكر اسم الله عز وجل على الذبيحة شرط حالة ما يذبح وفي الصيد حالة ما يرسل الجارحة أو السهم أخبرنا أبو الحسن علي بن عبد الرحمن بن محمد الداودي أنا أبو الحسن علي بن محمد بن ابراهيم بن الحسن ابن علوية الجوهري قال انا ابو العباس محمد بن احمد بن الاثرم المقرئ بالبصرة انا عمر بن شيبة انا أبي عدي عن سعيد عن قتادة عن انس قال ضحى رسول الله ﷺ بكبشين املحين اقرنين ذبحهما بيدي وسمى وكبر قال رايته واضعا قدمه على صفاحهما ويذبحهما بيده ويقول بسم الله والله اكبر قوله عز وجل (اليوم احل لكم الطيبات) يعني الذبائح على اسم الله عز وجل (وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم) يريد ذبائح اليهود والنصارى ومن دخل في دينهم من سائر الامم قبل مبعث محمد ﷺ حلال لكم فاما من دخل في دينهم بعد مبعث محمد ﷺ فلا تحل ذبيحته ولو ذبح يهودي أو نصراني على اسم غير الله كالنصراني يذبح باسم المسيح فاختلفوا فيه قال عمر لا يحل وهو قول ربيعة وذهب اكثر اهل العلم الى انه يحل وهو قول الشعبي وعطاء والزهري ومكحول سئل الشعبي وعطاء عن النصراني يذبح باسم المسيح قالا يحل فان الله تعالى قد احل ذبائحهم وهو يعلم ما يقولون وقال الحسن إذا ذبح اليهودي او النصراني فذكر إسم غير الله وأنت تسمع فلا تاكله فاذا غاب عنك

أرسلت جارحك فقل بسم الله وإن نسيت فلا حرج ومنه قوله صلى الله عليه وسلم لعدي إذا أرسلت كلبك وذكرت اسم الله عليه فكل فعلى هذا يكون الضمير في عليه عائدا إلى ما علمتم من الجوارح اي سموا الله عليه عند ارساله وقيل الضمير عائد الى ما أمسكن عليكم والمعنى سموا الله عليه اذا ادركتم ذكاته وقيل يحتمل ان يكون الضمير عائدا إلى الاكل يعني واذكروا اسم الله عليه عند اكل فعلى هذا تكون التسمية شرطا عند ارسال الجوارح وعند ارسال الذبيحة وعند الاكل وسياتي بيان هذه المسئلة (١) في سورة الانعام عند قوله ولا تاكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه (واتقوا الله) يعني واحذروا مخافة الله يعني فيما احل لكم وحرم عليكم (إن الله سريع الحساب) يعني إذا حاسب عباده يوم القيامة ففيه تخويف لمن خالف امره وفعل ما نهاه عنه * قوله عز وجل (اليوم احل لكم الطيبات) انما كرر احلال الطيبات للتاكيد كانه قال اليوم احل لكم الطيبات التي سالتم عنها ويحتمل ان يراد باليوم اليوم الذي انزلت فيه هذه الاية او اليوم الذي تقدم ذكره في قوله اليوم يئس الذين كفروا من دينكم اليوم اكملت لكم دينكم ويكون الغرض من ذكر هذا الحكم انه تعالى قال اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي فبين انه كما اكمل الدين واتم النعمة فكذلك اتم النعمة باحلال الطيبات وقيل ليس المراد باليوم يوما معينا وقد تقدم الكلام في ذلك اليوم وفي معنى الطيبات في الاية المتقدمة وقوله تعالى (وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم) يعني وذبائح اهل الكتاب حل لكم وهم اليهود والنصارى ومن دخل في دينهم من سائر الامم قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم فاما من دخل في دينهم بعد مبعث النبي صلى الله عليه وسلم وهم متنصرو العرب من بني تغلب فلا تحل ذبيحته روى عن علي بن ابي طالب قال لا تاكل من ذبائح نصارى العرب بني تغلب فانهم لم يتمسكوا بشيء من النصرانية الا بشرب الخمر وبه قال ابن مسعود ومذهب الشافعي ان من دخل في دين أهل الكتاب بعد نزول القران فانه لا تحل ذبيحته سئل ابن عباس عن ذبائح نصارى العرب فقال لا باس به ثم قرا ومن يتولهم منكم فانه منهم وهذا قول الحسن وعطاء بن ابي رباح والشعبي وعكرمة وقتادة والزهري والحكم وحماد وهو مذهب ابي حنيفة ومالك واحدى الروايتين عن أحمد والرواية الاخرى مثل هذا مذهب الشافعي واجمعوا على تحريم ذبائح المجوس وسائر اهل الشرك من مشركي العرب وعبدة الاصنام ومن لا كتاب له وأجمعوا على ان المراد بطعام الذين اوتوا الكتاب ذبائحهم خاصة لان ماسوى الذبائح فهي محللة قبل ان كانت لاهل الكتاب وبعد

(١) قوله وسياتي بيان هذه المسئلة الخ لم يتعرض لما ذكره هنا عند الآية الآتية في سورة الانعام اهـ مصححه

فكل فقد احل الله لك قوله عز وجل (وطعامكم حل لهم) فان قيل كيف شرع لهم حل طعامنا وهم كفار ليسوا من اهل الشرع قال الزجاج معناه حلال لكم ان تطعموهم فيكون خطاب الحل مع المسلمين وقيل لأنه ذكر عقيبه حكم النساء (١٣) ولم يذكر حل المسلمات لهم فكانه قال

ان صارت لهم فلا يبقى لتخصيصها باهل الكتاب فائدة ولان ما قبل هذه الآية فى بيان حكم الصيد والذبائح فحمل هذه الآية عليه اولى ولأن سائر الطعام لا يختلف من تولاه من كتابى أو غيره وإنما تختلف الذكاة فلما خص اهل الكتاب بالذكر دل على ان المراد بطعامهم ذبائحهم واختلف العلماء فيما لو ذبح يهودى او نصرانى على غير اسم الله فقال ابن عمر لا يحل ذلك وهو قول ربيعة وذهب اكثر اهل العلم إلى انه يحل سئل الشعبى وعطاء عن النصرانى يذبح باسم المسيح فقال يحل فان الله قد أحل ذبائحهم وهو يعلم ما يقولون وقال الحسن إذا ذبح اليهودى والنصرانى وذكر غير اسم الله وأنت تسمع فلا تاكل وإذا غاب عنك فكل فقد احله الله لك وقد زعم قوم ان هذه الآية اقتضت اباحة ذبائح أهل الكتاب مطلقا وإن ذكروا غير اسم الله فيكون هذا ناسخا لقوله تعالى ولا تاكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وليس الأمر كذلك ولا نسخ لأن الاصل انهم يذكرون الله عند الذبائح فيحمل امرهم على هذا فان تيقنا انهم ذبحوا على غير اسم الله لم تاكل ولا وجه النسخ * وقوله تعالى (وطعامكم حل لهم) يعنى أن ذبائحنا لهم حلال وهذا يدل على أنهم مخاطبون بشريعتنا وقال الزجاج معناه ويحل لكم ان تطعموهم من طعامكم فجعل الخطاب للمؤمنين على معنى ان التحليل يعود إلى اطعامنا اياهم لا اليهم لانه لا يمتنع أن يحرم الله تعالى ان تطعمهم من ذبائحنا وقيل إن الفائدة فى ذكر ذلك ان اباحة المناكحة غير حاصلة من الجانبين واباحة الذبائح كانت حاصلة من الجانبين لاجرم ذكر الله تعالى ذلك تنبيها على التمييز بين النوعين ثم قال تعالى (والمحصنات من المؤمنات) قال مجاهد هن الحرائر فعلى هذا القول لا تدخل الامة المؤمنة فى هذا التحليل ومن أجاز نكاحهن اجازه بشرطين خوف العنت وعدم طول الحرة وقال ابن عباس المحصنات العفائف فعلى هذا القول لا يحل نكاح الزانية لانها لم تدخل فى هذا التحليل وأباح العلماء نكاحها إذا تابت وحسنت توبتها روى طارق بن شهاب ان رجلا أراد ان يزوج اخته فقالت انى اخشى ان افضحك انى قد بغيت فاتى عمر فذكر ذلك له منها فقال اليس قد تابت قال بلى قال فزوجها وقيل انما خص المحصنات بالذكر هن الحرائر والعفائف ليحث المؤمنين على تخير النساء ليكون الولد كريم الأصل من الطرفين * وقوله تعالى (والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم) يعنى وأحل لكم المحصنات من اهل الكتاب اليهود والنصارى قال ابن عباس يعنى الحرائر من اهل الكتاب وقال الحسن والشعبى والنخعى والضحاك يريد العفائف من أهل الكتاب فعلى قول ابن عباس لا يجوز التزوج بالأمة الكتابية وهو مذهب الشافعى قال لأنه اجتمع فى حقها نوعان من النقصان الكفر والرق وعلى قول الحسن ومن وافقه يجوز التزويج بالأمة الكتابية وهو مذهب أبى حنيفة لعموم هذه الآية واختلف العلماء فى حكم هذه المسئلة فذهب جمهور الفقهاء إلى جواز التزويج بالذميات من اليهود والنصارى روى ان عثمان بن عفان تزوج نائلة بنت الفرافصة على نسائه وهى نصرانية وإن طلحة بن عبيد الله تزوج يهودية وروى عن ابن عمر كراهية ذلك ويحتج بقوله تعالى ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن وكان يقول لا اعلم شركا أعظم من قولها ان ربها عيسى وأجاب الجمهور عن قوله ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن بانه عام خص بهذه الآية فاباح الله تعالى المحصنات من اهل الكتاب وحرم من سواهن من أهل الشرك وقال سعيد بن المسيب والحسن يجوز التزويج بالذميات والحربيات من أهل الكتاب لعموم قوله تعالى والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وأجاب جمهور العلماء بان ذلك مخصوص بالذميات دون الحربيات من اهل الكتاب قال ابن عباس من نساء أهل الكتاب من تحل لنا ومنهن من لا تحل لنا وقرأ قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله إلى قوله حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون والمراد بهم أهل الذمة دون أهل الحرب من اهل الكتاب * وقوله تعالى (إذا اتيتموهن اجورهن) يعنى مهورهن وهو العوض الذى يبذله الزوج للمرأة (محصنين غير مسافحين) يعنى متعففين بالتزوج غير زانين (ولا متخذى اخدان) يعنى ولا منفردين يبغى واحدة قد خادنها وخادنته

حلال لكم أن تطعموهم حرام عليكم ان تزوجوهم قوله عز وجل (والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم) هذا راجع إلى الأول منقطع عن قوله وطعامكم حل لهم اختلفوا فى معنى المحصنات فذهب اكثر العلماء إلى أن المراد منهن الحرائر وأجازوا نكاح كل حرة مؤمنة كانت او كتابية فاجرة كانت او عفيفة وهو قول مجاهد وقال هؤلاء لا يجوز للمسلم نكاح الأمة الكتابية لقوله تعالى فما ملكت ايمانكم من فتياتكم المؤمنات جوز نكاح الأمة بشرط أن تكون مؤمنة وجوزا كثرهم نكاح الأمة الكتابية الحربية وقال ابن عباس لا يجوز وقرأ قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله إلى قوله حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون فمن أعطى الجزية حل لنا نساؤه ومن لم يعطها فلا يحل لنا نساؤه وذهب قوم الى أن المراد من المحصنات فى الآية العفائف من الفريقين حرائر كن أو إماء وأجازوا نكاح الأمة الكتابية وحزموا البغايا من المؤمنات والكتابيات وهو قول الحسن وقال الشعبى احصان الكتابية أن تستعف من الزنا وتغتسل من الجنابة (إذا اتيتموهن أجورهن محصنين غير مسافحين) غير معالنين بالزنا (ولا متخذى أخدان) أى غير مسرين تسرونهن بالزنا قال الزجاج حرم الله الجماع على جهة السفاح وعلى جهة اتخاذ الصديقة وأحله على جهة الاحصان وهو التزوج

(ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله وهو فى الآخرة من الخاسرين) قال مقاتل بن حيان يقول ليس احصان المسلمين إياهن بالذى يخرجهن من الكفر أو يغنى عنهن شيئا وهى للناس عامة ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله وهو فى الاخرة من الخاسرين قال ابن عباس ومجاهد فى معنى قوله تعالى ومن يكفر بالايمان اى بالله الذى يجب الايمان به وقال الكلبى بالإيمان اى بكلمة التوحيد وهى شهادة ان لا إله إلا الله وقال مقاتل بما أنزل على محمد ﷺ وهو القران وقيل من يكفر بالايمان اى يستحل الحرام ويحرم الحلال فقد حبط عمله وهو فى الاخرة من الخاسرين قال ابن عباس خسر الثواب قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة) أى إذا أردتم القيام إلى الصلاة كقوله تعالى فاذا قرأت القران فاستعذ بالله أى إذا أردت القراءة (١٤) وظاهر الاية يقتضى وجوب الوضوء عند كل مرة يريد القيام إلى الصلاة لكن علمنا ببيان السنة وفعل النبى ﷺ ان المراد من الاية إذا قمتم الى الصلاة وأنتم على غير طهر قال النبى صلى الله عليه وسلم لا يقبل الله صلاة احدكم اذا احدث حتى يتوضأ وقد جمع النبى ﷺ يوم الخندق بين أربع صلوات بوضوء واحد أخبرنا أبى القاسم عبد الله بن محمد الحنفى انا أبو الحارث طاهر بن محمد الطاهرى أنا ابو محمد الحسن بن محمد بن حكيم انا أبو الموجة محمد بن عمرو ابن الموجة انا عبدان انا سفيان عن علقمة بن مرثد عن سليمان بن بريدة عن أبيه ان النبى صلى الله عليه وسلم صلى يوم فتح مكة الصلوات بوضوء واحد ومسح على خفيه وقال زيد بن اسلم معنى الاية إذا قمتم الى الصلاة من النوم وقال بعضهم هو امر على طريق الندب ندب من قام الى الصلاة ان يجدد لها طهارة وان كان على طهر روى ابن عمر رضى الله عنهما أن النبى ﷺ قال من توضأ على طهر كتب الله له عشر حسنات وروى عبد الله بن حنظلة بن عامر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بالوضوء عند كل صلاة طاهرا أو غير طاهر فلما شق ذلك عليه امر بالسواك لكل صلاة وقال بعضهم هذا اعلام من الله سبحانه وتعالى لرسول الله ﷺ أن لا وضوء عليه إلا إذا قام الى الصلاة دون غيرها من الأعمال فان له ان يفعل بعد الحدث ما بدا له من الأفعال غير الصلاة اخبرنا أبو القاسم الحنفى أنا ابو الحارث الطاهرى أنا الحسن بن محمد بن حكيم أنا ابو الموجة انا صدقة انا ابن عيينة عن عمرو بن دينار سمع سعيد بن الحويرث سمع ابن عباس رضى الله عنهما يقول كنا عند النبى صلى الله عليه وسلم فرجع من الغائط فأتى بطعام فقيل له ألا تتوضأ فقال لم أصل فأتوضأ قوله عز وجل (فاغسلوا وجوهكم) وحد الوجه من منابت شعر الرأس إلى منتهى

واتخذها لنفسه صديقة يفجر بها وحده حرم الله الجماع على جهة السفاح وهو الزنا واتخاذ الصديق وهو الخدن وأحله على جهة الاحصان وهو التزويج بعقد صحيح (ومن يكفر بالايمان) يعنى ومن يجحد ما أمر الله به من توحيده ونبوة محمد ﷺ وما جاء به من عند الله (فقد حبط عمله) يعنى فقد بطل ثواب عمله الذى كان عمله فى الدنيا وخاب وخسر فى الدنيا والاخرة وقيل فى معنى الاية ومن يكفر بشرائع الايمان وتكاليفه فقد خاب وخسر وقال قتادة ذكر لنا ان ناسا من المسلمين قالوا كيف نتزوج نساءهم يعنى نساء أهل الكتاب وهم على غير ديننا فانزل الله تعالى ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله وهو فى الاخرة من الخاسرين وقيل لما اباح الله تعالى نكاح الكتابيات قلن فيما بينهن لولا أن الله قد رضى أعمالنا لم يبح للمؤمنين تزويجنا فانزل الله هذه الاية والمعنى أن تزوج المسلمين إياهن ليس بالذى يخرجهن من الكفر وقيل ان أهل الكتاب وإن حصلت لهم فى الدنيا فضيلة باباحة ذبائحهم ونكاح نسائهم إلا ان ذلك غير حاصل لهم فى الاخرة لان كل من كفر بالله وجحد نبوة محمد ﷺ فقد حبط عمله وهو فى الاخرة من الخاسرين وقيل ان من احل ما حرم الله أو حرم ما أحل الله أو جحد بشىء مما انزل الله فقد كفر بالله وحبط عمله المتقدم (وهو فى الاخرة من الخاسرين) إذا مات على ذلك وهذا الشرط لا بد منه لأنه إذا تاب وآمن قبل الموت قبلت توبته وصح إيمانه قوله عز وجل (يا أيها الذين امنوا إذا قمتم إلى الصلاة) يعنى إذا أردتم القيام إلى الصلاة ومثله قوله تعالى فاذا قرأت القران فاستعذ بالله أى إذا أردت قراءة القران فاستعذ بالله ومثله من الكلام إذا تجرت فاتجر فى البر أى إذا أردت التجارة وهذا القول يقتضى وجوب الوضوء عند كل صلاة وهو ظاهر الاية ومذهب داود الظاهرى وذهب جمهور العلماء من الصحابة فمن بعدهم الى انه يجزىء عدة صلوات بوضوء واحد وأجيب عن ظاهر الآية بان المعنى إذا قمتم إلى الصلاة وأنتم على غير طهر فحذف ذلك لدلالة المعنى عليه وهذا أحد اختصارات القران وهو كثير جدا ولان النبى صلى الله عليه وسلم جمع يوم الخندق بين أربع صلوات بوضوء واحد وعن أبى هريرة قال قال رسول الله ﷺ لا يقبل الله صلاة أحدكم إذا حدث حتى يتوضأ أخرجاه فى الصحيحين وقيل فى معنى الاية إذا قمتم إلى الصلاة من النوم وقيل هو أمر ندب ندب من قام إلى الصلاة ان يجد لها طهارة وإن كان على طهر ويدل عليه ما روى عن ابن عمر ان رسول الله ﷺ قال من توضأ على طهر كتب الله له عشر حسنات اخرجه الترمذى وقيل هذا اعلام من الله إلى رسول الله ﷺ ان لا وضوء عليه إلا اذا قام إلى الصلاة دون غيرها من الأعمال ويدل عليه ما روى عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج يرما من الخلاء فقدم اليه طعام فقالوا ألا نأتيك بوضوء فقال إنما امرت بالوضوء إذا قمت الى الصلاة اخرجه مسلم والقول الأول هو المختار فى معنى الاية وفروض الوضوء المذكور فى هذه الاية أربعة الأول غسل الوجه وهو قوله تعالى (فاغسلوا وجوهكم) واستدل

الذقن طولا وما بين الأذنين عرضا يجب غسل جميعه فى الوضوء ويجب أيضا إيصال الماء إلى ما تحت الحاجبين واهداب العينين والشارب والعذار أو العنفقة وإن كانت كثيفة وأما العارض واللحية فان كانت كثيفة لا ترى البشرة من تحتها لا يجب غسل باطنها فى الوضوء بل يجب غسل ظاهرها وهل يجب امرار الماء على ظاهر ما استرسل من اللحية عن الذقن فيه قولان أحدهما لا يجب وبه قال أبو حنيفة رضى الله عنه لأن الشعر النازل عن حد الرأس لا يكون حكمه حكم الرأس فى جواز المسح عليه كذلك النازل عن حد (١٥) الوجه لا يكون حكمه حكم الوجه فى وجوب غسله والقول الثانى يجب امرار الماء على ظاهره لأن الله تعالى امر بغسل الوجه والوجه ما يقع به المواجهة من هذا العضو ويقال فى اللغة بقل وجه فلان وخرج وجهه إذا نبتت لحيته قوله تعالى (وأيديكم إلى المرافق) أى مع المرافق كما قال الله تعالى ولا تأكلوا أموالهم إلى اموالكم اى مع أموالكم وقال من انصارى إلى الله أى مع الله وأكثر العلماء على انه يجب غسل المرفقين وفى الرجل يجب غسل الكعبين وقال الشعبى ومحمد بن جرير لا يجب غسل المرفقين والكعبين فى غسل اليد والرجل لأن حرف إلى للغاية والحد فلا يدخل فى المحدود قلنا ليس هذا بحد ولكنه بمعنى مع كما ذكرنا وقيل الشىء إذا حد إلى جنسه يدخل فيه الغاية وإذا حد إلى غير جنسه لا يدخل كقوله تعالى ثم أتموا الصيام إلى الليل لم يدخل الليل فيه لأنه ليس من جنس النهار قوله تعالى (وامسحوا برؤوسكم) اختلف العلماء فى قدر الواجب من مسح الرأس فقال مالك يجب مسح جميع الراس كما يجب مسح جميع الوجه فى التيمم وقال ابو حنيفه يجب مسح ربع الرأس وعند الشافعى رحمه الله يجب قدر ما يطلق عليه اسم المسح واحتج من اجاز مسح بعض الراس بما اخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب انا عبد العزيز بن احمد الخلال انا ابو العباس الأصم انا الربيع انا الشافعى انا يحيى بن حسان عن حماد بن زيد وابن علية عن ايوب السختيانى عن ابن سيرين عن عمرو بن وهب الثقفى عن المغيرة بن شعبة ان النبى ﷺ توضأ فمسح بناصيته وعلى عمامته وخفيه فاجاز بعض اهل العلم المسح على العمامة بهذا الحديث وبه قال الأوزاعى واحمد واسحق ولم يجوز اكثر اهل العلم المسح على العمامة بدلا عن مسح الراس وقال فى حديث المغيرة ان فرض المسح سقط

واستدل الشافعى على وجوب النية عند غسل الوجه بهذه الآية وحجته أن الوضوء مأمور به وكل مأمور به يجب أن يكون منويا ولما روى فى الصحيحين من حديث عمر بن الخطاب ان النبى ﷺ قال إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرىء ما نوى والوضوء من الأعمال فيجب أن يكون منويا وإنما قلنا أن الوضوء مأمور به وانه من أعمال الدين لقوله تعالى وما امروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين والاخلاص عبارة عن النية الخالصة ومتى كانت النية الخالصة معتبرة كان أصل النية فى جميع الأعمال التى يتقرب بها إلى الله تعالى معتبرا واستدل أبو حنيفة لعدم وجوب النية فى الوضوء بهذه الآية قال ان النية ليست شرطا لصحة الوضوء لان الله تعالى أوجب غسل الأعضاء الأربعة فى هذه الآية ولم يوجب النية فيها فايجاب النية زيادة على النص والزيادة على النص نسخ ونسخ القران بخبر الواحد وبالقياس غير جائز وأجيب عنه بانا إنما أوجبنا النية والوضوء بدلالة القرآن وهو قوله تعالى وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين وأما حد الوجه فمن منابت شعر الرأس إلى منتهى الذقن طولا ومن الأذن إلى الأذن عرضا لأنه مأخوذ من المواجهة فيجب غسل جميع الوجه فى الوضوء ويجب إيصال الماء إلى ما تحت الحاجبين واهداب العينين والعذارين والشارب والعنفقة وإن كانت كثة وأما اللحية فان كانت كثة لا ترى البشرة من تحتها لا يجب غسل ما تحتها ويجب غسل ما تحت اللحية الخفيفة وهل يجب امرار الماء على ظاهر ما نزل من اللحية عن الذقن فيه قولان أحدهما وبه قال أبو حنيفة لا يجب لأن الشعر النازل عن حد الرأس لا يكون حكمه حكم الرأس فى المسح فكذلك حكم الشعر النازل عن حد الوجه لا يجب غسله والقول الثانى يجب امرار الماء على ظاهره لأن الوجه مأخوذ من المواجهة فتدخل جميع اللحية فى حكم الوجه الفرض الثانى قوله تعالى (وأيديكم إلى المرافق يعنى واغسلوا أيديكم إلى المرافق والمرفق بالكسر هو من الانسان أعلى الذراع وأسفل العضد وذهب جمهور العلماء إلى وجوب إدخال المرفقين فى الغسل ونقل عن مالك والشعبى وزفر وأبى بكر بن داود الظاهرى انه لا يجب إدخال المرفقين فى الغسل اختاره ابن جرير الطبرى ونقل عن مالك وقد سئل عن قول الله عز وجل فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق فقال الذى امر به أن يبلغ المرفقين فى الغسل لا يجاوزهما وحجة أصحاب هذا القول أن كلمة إلى لانتهاء الغاية وما يجعل غاية للحكم يكون خارجا عنه كما فى قوله تعالى ثم أتموا الصيام إلى الليل ولأن الحد لا يدخل فى المحدود فوجب أن لا يجب غسل المرفقين فى الوضوء وحجة الجمهور أن كلمة إلى هنا بمعنى مع ومنه قوله تعالى ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم أى مع أموالكم ويعضده من السنة ما صح من حديث أبى هريرة أنه توضأ فغسل وجهه فاسبغ الوضوء ثم غسل اليمنى حتى أشرع فى العضد ثم يده اليسرى حتى أشرع فى العضد ثم قال هكذا رأيت رسول الله ﷺ كان يتوضأ والجواب عن الحجة المتقدمة ان الحد إذا كان من جنس المحدود دخل فيه كما فى هذه الاية لان المرفق من جنس اليد وإذا لم يكن من جنس المحدود لم يدخل فيه كما فى قوله تعالى ثم أتموا الصيام إلى الليل لأن النهار من غير جنس الليل فلا يدخل فيه الفرض الثالث قوله تعالى (وامسحوا برؤوسكم) اختلف العلماء فى القدر الذى يجب مسحه من الرأس فقال مالك يجب مسح جميعه وهو احدى الروايتين عن أحمد والرواية الأخرى أنه يجب مسح

عنه بمسح الناصية وفيه دليل على أن مسح جميع الرأس غير واجب قوله عز وجل (وأرجلكم إلى الكعبين) قرأ نافع وابن عامر والكسائى ويعقوب وحفص أرجلكم بنصب واللام وقرأ الآخرون وأرجلكم بالخفض فمن قرأ وأرجلكم بالنصب فيكون عطفا على قوله فاغسلوا وجوهكم وأيديكم أى واغسلوا أرجلكم ومن قرأ بالخفض فقد ذهب قليل من اهل العلم إلى انه يمسح على الرجلين وروى عن ابن عباس انه قال الوضوء غسلتان ومسحتان ويروى ذلك عن قتادة ايضا ويروى عن انس انه قال نزل القرآن بالمسح والسنة والغسل وعن عكرمة قال ليس فى الرجلين غسل انما نزل فيهما المسح وعن الشعبى انه قال إنما هو المسح على الرجلين ألا ترى أن ما كان عليه الغسل جعل عليه التيمم وما كان عليه المسح أهمل ومذهب الامامية من الشيعة ان الواجب فى الرجلين المسح وقال جمهور العلماء من الصحابة والتابعين فمن بعدهم والأئمة الأربعة وأصحابهم ان فرض الرجلين هو الغسل وقال داود الظاهرى يجب الجمع بينهما وقال الحسن البصرى ومحمد بن جرير الطبرى المكلف مخير بين الغسل والمسح وسبب هذا الاختلاف القراءة فى هذا الحرف فقرأ نافع وابن عامر والكسائى وحفص عن عاصم وأرجلكم بفتح اللام عطفا على الغسل فيكون من المؤخر الذى معناه التقديم ويكون المعنى فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وارجلكم الى الكعبين وامسحوا برؤسكم وقال أصحاب هذه القراءة انما أمر الله عباده بغسل الأرجل دون مسحها ويدل عليه أيضا فعل النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه والتابعين فمن بعدهم وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وحمزة وأبو بكر عن عاصم وارجلكم بكسر اللام عطفا على المسح أما قراءة النصب فالمعنى فيها ظاهر لانه عطف على المغسول لوجوب غسل الرجلين على مذهب الجمهور ولا يقدح فيه قول من خالف وأما قراءة الكسر فقد اختلفوا فى معناها والجواب عنها فقال ابو حاتم وابن الانبارى وأبو على الكسر عطف على الممسوح غير ان المراد بالمسح فى الارجل الغسل وقال أبو زيد المسح خفيف الغسل لقول العرب تمسحت الصلاة بمعنى توضأ لها وهات ما اتمسح به للصلاة بمعنى أتوضأ قال أبو حاتم وذلك أن المتوضىء لا يرضى بصب الماء على أعضائه حتى يمسحها مع الغسل فسمى الغسل مسحا بهذا الاعتبار فعلى هذا الرأس والرجل ممسوحا إلا أن مسح الرأس اخف والذى يدل على أن المراد بالمسح فى الرجل الغسل ذكر التحديد وهو قوله تعالى إلى الكعبين لأن التحديد إنما جاء فى المغسول ولم يجىء فى الممسوح فلما وقع التحديد مع المسح علم أنه فى حكم الغسل وقال جماعة من العلماء ان الأرجل معطوفة على الرؤس فى الظاهر والمراد فيها الغسل لأنه قد ينسق بالشىء على غيره والحكم فيهما مختلف كما قال الشاعر

ياليت بعلك قد غدا * متقلدا سيفا ورمحا

والمعنى وحاملا رمحا لأن الرمح لا يتقلد به وكذلك قول الآخر * علفتها تبنا وماءا باردا * يعنى وسقيتها ماءا باردا وكذلك المعنى فى الآية وامسحوا برؤسكم واغسلوا أرجلكم فلما لم يذكر الغسل وعطفت الأرجل على الرؤوس فى الظاهر اكتفى بقيام الدليل على ان الأرجل مغسولة من مفهوم الاية والأحاديث الصحيحة الواردة بغسل الرجلين فى الوضوء وأما من جعل كسر اللام فى الأرجل على مجاورة اللفظ دون الحكم واستدل بقولهم جحر ضب خرب وقال الخرب نعت للجحر لا للضب وإنما أخذ إعراب الضب للمجاورة فليس بجيد لأن الكسر على المجاورة إنما يحمل لأجل الضرورة فى الشعر أو يصار إليه حيث يحصل الامن الالتباس لأن الخرب لا يكون نعتا للضب بل للجحر ولأن الكسر بالجوار إنما يكون بدون حرف العطف أما مع حرف العطف فلم تتكلم به العرب وقوله تعالى إلى الكعبين فيه دليل قاطع على وجوب غسل الكعبين كما فى وجوب غسل الرجلين كما فى قوله تعالى وأيديكم إلى المرافق والمعنى واغسلوا أرجلكم مع الكعبين وقد تقدم اختلاف

العلماء

الخطيب انا أبو عبد الله الحافظ انا ابو عبد الله محمد بن يعقوب انا يحيى بن محمد بن يحيى انا الحجبى ومسدد قال أخبرنا ابو عوانة عن ابى بشر عن يوسف بن ماهك عن عبد الله بن عمرو قال تخلف عنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سفر سافرناه فادركنا وقد ارهقتنا الصلاة صلاة العصر ونحن نتوضأ فجعلنا نمسح على أرجلنا فنادانا بأعلى صوته ويل للاعقاب من النار أخبرنا

عبد الواحد المليحي أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسماعيل أنا عبد الله انا معمر حدثني الزهري عن عطاء بن يزيد عن حمران مولى عثمان قال رأيت عثمان رضي الله عنه توضأ فأفرغ على يديه ثلاثا ثم تمضمض (١٧) واستنشق ثم غسل وجهه ثلاثا ثم غسل يده اليمنى إلى المرفق ثلاثا ثم غسل يده اليسرى الى المرفق ثلاثا ثم مسح برأسه ثم غسل رجله اليمنى ثلاثا ثم قال رأيت رسول الله ﷺ توضأ نحو وضوئي هذا ثم قال من توضأ نحو وضوئي هذا ثم صلى ركعتين لا يحدث نفسه فيهما بشيء غفر له ما تقدم من ذنبه وقال بعضهم اراد بقوله وارجلكم المسح على الخفين كما روى ان النبي ﷺ كان إذا ركع وضع يديه على ركبتيه وليس المراد منه أنه لم يكن بينهما حائل ويقال قبل فلان رأس الأمير ويده وان كان العمامة على راسه ويده في كمه أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي انا محمد بن يوسف انا محمد بن اسماعيل انا ابو نعيم ذكريا عن عامر عن عروة بن المغيرة عن أبيه رضي الله عنهما قال كنت مع النبي ﷺ ذات ليلة في سفر فقال امعك ماء فقلت نعم فنزل عن راحلته فمشى حتى توارى عني في سواد الليل ثم جاء فأفرغت عليه من الاداوة فغسل وجهه ويديه وعليه جبة من صوف فلم يستطع أن يخرج ذراعيه منها حتى اخرجهما من أسفل الجبة فغسل ذراعيه ثم مسح برأسه ثم أهويت لأنزع خفيه فقال دعهما فاني أدخلتهما طاهرتين فمسح عليهما قوله تعالى الى الكعبين فالكعبان هما العظمان الناتئان من جانبي القدمين وهما مجمع مفصل الساق والقدم فيجب غسلهما مع القدمين كما ذكرنا في المرفقين وفرائض الوضوء غسل الأعضاء الثلاثة كما ذكر الله تعالى ومسح الرأس واختلف أهل العلم في وجوب

العلماء في ذلك عند قوله الى المرافق والكعبان هما العظمان الناتئان عند مفصل الساق والقدم هذا قول جمهور العلماء من أهل الفقه واللغة وشذت الشيعة ومن قال بمسح الرجلين فقال الكعب عبارة عن عظم مستدير على ظهر القدم ويدل بطلان هذا القول ان الكعب لو كان على ما ذكروه لكان في كل رجل كعب واحد فكان ينبغي ان يقال وأرجلكم الى الكعاب كما في قوله تعالى وايديكم الى المرافق فلما قال الى الكعبين علم ان لكل رجل كعبين فبطل ما قالوه وثبت قول الجمهور

(فصل) قد تقدم ان الفروض المذكورة في هذه الاية أربعة وهي غسل الوجه وغسل اليدين الى المرفقين ومسح الرأس وغسل الرجلين الى الكعبين وقد تقدم استدلال الشافعي بهذه الاية على وجوب النية في الوضوء فصارت فرضا خامسا وذهب الشافعي ومالك وأحمد الى وجوب الترتيب في الوضوء وهو أن يغسل الأعضاء في الوضوء على الولاء كما ذكره الله في هذه الاية فيغسل أولا وجهه ثم يده ثم يمسح رأسه ثم يغسل رجليه فصار الترتيب فرضا سادسا وذهب ابو حنيفة الى أن الترتيب في الوضوء غير واجب احتج الشافعي على وجوب الترتيب بهذه الاية وذلك ان الله تعالى امر بغسل الوجه ثم بغسل اليدين ثم بمسح الرأس ثم بغسل الرجلين فوجب ان يقع الفعل مرتبا كما أمر الله تعالى ولقوله ﷺ في حديث حجة الوداع ابدأ بما بدأ الله به وهذا الحديث وإن ورد في قصة السعي بين الصفا والمروة فان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ولأن أفعال النبي ﷺ في الوضوء ما وردت إلا مرتبة كما ورد في نص الاية ولم ينقل عنه ولا عن غيره من الصحابة انه توضأ منكسا أو غير مرتب فثبت أن ترتيب أفعال الوضوء كما أمر الله تعالى ونص عليه في هذه الاية واجب واحتج أبو حنيفة لمذهبه بهذه الاية أيضا وذلك ان الواو لا توجب الترتيب فاذا قلنا بوجوب الترتيب صار ذلك زيادة على النص وذلك غير جائز وأجيب عنه بأنه لم ينقل عن النبي ﷺ أنه توضأ إلا مرتبا كما ذكر وبيان الكتاب إنما يؤخذ من السنة

(فصل في ذكر الأحاديث التي وردت في صفة الوضوء وفضله) (ق) عن حمران مولى عثمان بن عفان ان عثمان دعا بإناء فافرغ على كفيه ثلاث مرات فغسلهما ثم ادخل يمينه في الإناء فمضمض واستنشق واستنثر ثم غسل وجهه ثلاثا ويديه الى المرفقين ثلاثا ثم مسح برأسه ثم غسل رجليه ثلاث مرات الى الكعبين ثم قال رأيت رسول الله ﷺ توضأ نحو وضوئي هذا ثم قال من توضأ نحو وضوئي هذا ثم صلى ركعتين لا يحدث فيهما نفسه غفر له ما تقدم من ذنبه (ق) عن عبد الله بن زيد بن عاصم الانصاري قيل له توضأ لنا وضوء الرسول ﷺ فدعا بإناء فأفرغ منه على يديه ثلاثا ثم ادخل يده فاستخرجها فمضمض واستنشق من كف واحد فعل ذلك ثلاثا ثم أدخل يده فاستخرجها فغسل وجهه ثلاثا ثم أدخل يده فاستخرجها فغسل يديه إلى المرفقين مرتين مرتين ثم ادخل يده فاستخرجها فمسح برأسه فأقبل بيديه وأدبر ثم غسل رجليه الى الكعبين ثم قال هكذا كان وضوء الرسول ﷺ زاد في رواية بعد قوله فاقبل بيديه وأدبر بدأ بمقدم رأسه ثم ذهب بهما إلى قفاه ثم ردهما حتى رجع إلى المكان الذي بدأ منه عن عبد خير قال اتانا علي كرم الله وجهه وقد صلى فدعا بطهور فقلنا ما يصنع بالطهور وقد صلى ما يريد إلا ليعلمنا فأتي بإناء فيه ماء وطست فافرغ من الإناء على يمينه فغسل يده ثلاثا ثم تمضمض واستنشق ثلاثا فمضمض ونثر من كف يأخذ منه ثم غسل وجهه ثلاثا وغسل يده اليمنى ثلاثا وغسل الشمال ثلاثا ثم جعل يده في الإناء فمسح رأسه مرة واحدة ثم غسل رجله اليمنى ثلاثا ورجله الشمال ثلاثا ثم قال من سره ان يعلم وضوء الرسول ﷺ فهو هذا أخرجه أبو داود عن عبد الله ابن عمرو بن العاص أن رجلا أتى النبي ﷺ فقال يا رسول الله كيف الطهور فدعا بماء

النية فذهب أكثرهم إلى وجوبها لأن الوضوء عبادة فيفتقر إلى النية كسائر العبادات وذهب بعضهم إلى أنها غير واجبة وهو قول الثورى واختلفوا فى وجوب الترتيب وهو (١٨) أن يغسل أعضاءه على الولاء كما ذكر الله تبارك وتعالى فذهب جماعة إلى وجوبه وهو قول مالك والشافعى واحمد وإسحق رحمهم الله ويروى ذلك عن أبى هريرة رضى الله عنه واحتج الشافعى بقول الله تعالى ان الصفا والمروة من شعائر الله وبدأ النبى ﷺ بالصفا وقال نبدأ بما بدء الله به وكذلك ههنا بدأ الله تعالى بذكر غسل الوجه فيجب علينا أن نبدأ فعلا بما بدا الله تعالى بذكره وذهب جماعة إلى أن الترتيب سنة وقالوا الواوات المذكورة فى الاية للجمع لا للترتيب كما قال الله تعالى انما الصدقات للفقراء والمساكين الاية واتفقوا على انه لا تجب مراعاة الترتيب فى صرف الصدقات الى اهل السهمان ومن أوجب الترتيب أجاب بأنه لم ينقل عن النبى ﷺ انه راعى الترتيب بين أهل السهمان وفى الوضوء لم ينقل انه توضا مرتباً كما ذكر الله تعالى وبيان الكتاب يؤخذ من السنة كما قال الله تعالى يا ايها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا لما قدم ذكر الركوع على السجود ولم ينقل عن النبى ﷺ انه فعل إلا كذلك فكان مراعاة الترتيب فيه واجبة كذلك الترتيب هنا قوله عز وجل (وان كنتم جنبا فاطهروا) اى اغتسلوا اخبرنا ابو الحسن السرخسى انا زاهر بن احمد انا ابو اسحق الهاشمى انا ابو مصعب عن مالك عن هشام بن عروة عن عائشة رضى الله عنها ان النبى ﷺ كان اذا اغتسل من الجنابة بدا فغسل يديه ثم توضا كما يتوضا للصلاة ثم يدخل اصابعه فى الماء فيخلل بها اصول شعره ثم يصب على راسه ثلاث غرفات بيديه ثم يفيض الماء على جلده كله

فى اناء فغسل كفيه ثلاثا ثم غسل وجهه ثلاثا ثم غسل ذراعيه ثلاثا ثم مسح برأسه فأدخل أصبعيه السبابتين فى أذنيه ومسح بابهاميه على ظاهر أذنيه ثم غسل رجليه ثلاثا ثلاثا ثم قال هكذا الوضوء فمن زاد على هذا أو نقص فقد أساء وظلم أو قال ظلم وأساء أخرجه أبو داود عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ مسح برأسه وأذنيه ظاهرهما وباطنهما أخرجه الترمذى وصححه (ق) عن أبى هريرة أن النبى ﷺ رأى رجلا لم يغسل عقبه فقال ويل للأعقاب من النار (م) عن جابر قال أخبرنى عمر ابن الخطاب أن رجلا توضأ فترك موضع ظفر على قدمه فأبصره النبى ﷺ فقال ارجع وحسن وضوءك قال فرجع فتوضأ ثم صلى أخرجه مسلم عن خالد عن بعض أصحاب النبى ﷺ ان النبى ﷺ رأى رجلا يصلى وفى قدمه لمعة قدر الدرهم لم يصبها ماء فأمره النبى ﷺ أن يعيد الوضوء والصلاة أخرجه أبو داود (ق) عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال تخلف عنا رسول الله ﷺ فى سفرة سافرناها فادركنا وقد أرهقتنا الصلاة ونحن نتوضأ فجعلنا نمسح على أرجلنا فنادانا باعلى صوته ويل للأعقاب من النار مرتين أو ثلاثا عن ابن عباس أن النبى ﷺ توضا مرة أخرجه البخارى عن أبى هريرة أن النبى ﷺ توضا مرتين أخرجه أبو داود والترمذى وقال قد روى عن أبى هريرة أن النبى ﷺ توضا ثلاثا ثلاثا (م) عن عقبة ابن عامر قال كانت علينا رعاية الابل فجاءت نوبتى فرحتها بعشى فادركت الرسول ﷺ قائما يحدث الناس فادركت من قوله ما من مسلم يتوضا فيحسن وضوءه ثم يقوم فيصلى ركعتين مقبل عليهما بقلبه ووجهه إلا وجبت له الجنة فقلت ما أجود هذا فاذا قائل بين يدى يقول التى قبلها أجود فنظر فاذا عمر قال إنى رأيتك جئتك آنفا قال ما منكم من احد يتوضا فيبلغ أو فيسبغ الوضوء ثم يقول اشهد ان لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء (م) عن ابى هريرة ان رسول الله ﷺ قال اذا توضا العبد المسلم أو المؤمن فغسل وجهه خرج من وجهه كل خطيئة نظر إليها بعينيه مع الماء أو مع آخر قطر الماء فاذا غسل يديه خرج من يديه كل خطيئة كان بطشتها يداه مع الماء أو مع آخر قطر الماء فاذا غسل رجليه خرجت كل خطيئة مشتها رجلاه مع الماء أو مع آخر قطر الماء حتى نقيا من الذنوب (ق) عن نعيم بن عبد الله المجمر عن أبى هريرة ان النبى ﷺ قال ان من امتى يدعون يوم القيامة غرا محجلين من آثار الوضوء فمن استطاع منكم أن يطيل غرته فليفعل وفى رواية قال رأيت أبا هريرة يتوضا فغسل وجهه فاسبغ الوضوء ثم غسل يده اليمنى حتى اشرع فى العضد ثم غسل يده اليسرى حتى اشرع فى العضد ثم مسح رأسه ثم غسل رجله اليمنى حتى أشرع فى الساق ثم غسل رجله اليسرى حتى اشرع فى الساق ثم قال هكذا رأيت رسول الله ﷺ يتوضا وقال قال رسول الله ﷺ انتم الغر المحجلون يوم القيامة من اسباغ الوضوء فمن استطاع منكم فليطل غرته وتحجيله وفى رواية لمسلم قال سمعت خليلى رسول الله ﷺ يقول تبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء عن ابن عمر ان رسول الله ﷺ قال من توضا على طهر كتب الله له عشر حسنات أخرجه الترمذى عن أبى هريرة قال قال رسول الله ﷺ لا صلاة لمن لا وضوء له ولا وضوء لمن لم يذكر اسم الله عليه أخرجه أبو داود وابن ماجه * وقوله تعالى (وان كنتم جنبا فاطهروا) أى اغتسلوا أمر الله بالاغتسال من الجنابة وذلك يجب على الرجل والمرأة باحد شيئين اما بخروج المنى على أى صفة كان من احتلام أو غيره أو بالتقاء الختانين وإن لم يكن معه إنزال فاذا حصل وجب الغسل (ق) عن عائشة أن النبى ﷺ كان إذا اغتسل من الجنابة بدأ فغسل يديه ثم يفرغ بيمينه على شماله فيغسل

قوله تعالى (وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه) فيه دليل على أنه يجب مسح الوجه واليدين بالصعيد وهو التراب (ما يريد الله ليجعل عليكم) بما فرض عليكم من الوضوء والغسل والتيمم (من حرج) ضيق (ولكن يريد ليطهركم) من الأحداث والجنابات والذنوب (وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون) قال محمد بن كعب القرظي إتمام النعمة تكفير الخطايا بالوضوء كما قال الله تعالى ليغفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فجعل تمام نعمته غفران ذنوبه أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب أنا عبد العزيز بن أحمد الخلال أنا أبو العباس الأصم أنا الربيع أنا الشافعي أنا سفيان عن هشام بن عروة عن أبيه عن حمران أن عثمان توضأ بالمقاعد ثلاثا ثلاثا ثم قال سمعت رسول الله ﷺ يقول من توضأ وضوئي هذا خرجت خطاياه من وجهه ويديه ورجليه أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن أحمد أنا أبو إسحق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن هشام بن عروة عن أبيه عن حمران مولى عثمان بن عثمان أن عفان رضي الله عنه جلس على المقاعد (١٩) يوما فجاءه المؤذن فاذنه بصلاة العصر فدعا بماء فتوضأ ثم قال والله لأحدثنكم حديثا لولا آية في كتاب الله ما حدثتكموه ثم قال إني سمعت رسول الله ﷺ يقول ما من امرئ مسلم يتوضأ فيحسن وضوءه ثم يصلي الصلاة إلا غفر له ما بينه وبين الصلاة الأخرى حتى يصليها قال مالك أراه يريد هذه الآية أقم الصلوة لذكري ورواه ابن شهاب وقال عروة الآية أن الذين يكتمون ما أنزلناه من البينات أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسمعيل أنا يحيى بن بكير أنا الليث عن خالد بن سعيد بن أبي هلال عن نعيم المجمر قال رقيت مع أبي هريرة رضي الله عنه على ظهر المسجد فتوضأ قال إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن امتي يدعون يوم القيامة غرا محجلين من اثار الوضوء فمن استطاع أن يطيل منكم غرته فليفعل قوله تعالى (واذكروا نعمة الله عليكم) يعني النعم كلها (وميثاقه الذي واثقكم به) عهده الذي عاهدكم به أيها المؤمنون (إذ قلتم سمعنا وأطعنا) وذلك حين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة فيما أحبوا وكرهوا وهو قول أكثر المفسرين وقال مجاهد ومقاتل يعني الميثاق الذي أخذ عليهم حين أخرجهم من صلب آدم عليه السلام (واتقوا الله إن الله عليم بذات الصدور) بما في القلوب من خير وشر قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط) أي كونوا له قائمين بالعدل قوالين بالصدق أمرهم بالعدل والصدق في أعمالهم وأقوالهم (ولا يجرمنكم) ولا يحملنكم (شنآن قوم) بغض قوم (على أن لا تعدلوا) أي على ترك العدل فيهم لعدواتهم ثم (اعدلوا) يعني في أوليائكم واعدائكم (هو أقرب للتقوى) يعني إلى التقوى (واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون)

فيغسل فرجه ثم يتوضأ كما للصلاة ثم يدخل أصابعه في الماء يخلل بهما أصول شعره ثم يصب على رأسه ثلاث غرفات بيده ثم يفيض الماء على سائر جسده أما قوله تعالى (وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النسا فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه) فقد تقدم تفسيره وأحكامه في تفسير سورة النساء وفي قوله تعالى منه دليل على انه يجب مسح الوجه واليدين بالصعيد وهو التراب * وقوله تعالى (ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج) يعني من ضيق بما فرض عليكم من الوضوء والغسل والتيمم عند عدم الماء (ولكن يريد ليطهركم) يعني من الأحداث والذنوب والخطايا لأن الوضوء تكفير للذنوب (وليتم نعمته عليكم) يعني ببيان الشرائع والأحكام وما تحتاجون اليه من أمر دينكم (لعلكم تشكرون) يعني تشكرون نعمة الله عليكم بان طهركم من الأحداث والذنوب وما جعل عليكم في الدين من حرج * قوله تعالى (واذكروا نعمة الله عليكم) يعني ما انعم به عليكم من النعم كلها لأن كثرة النعم وذكرها يوجب مزيد الشكر من المنعم عليه والأشغال بطاعة المنعم بها والانقياد لأمره وهو الله تعالى (وميثاقه الذي واثقكم به) يعني واذكروا عهده الذي عاهدكم به أيها المؤمنون (إذ قلتم سمعنا وأطعنا) وذلك حين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة فيما أحبوا وكرهوا وهو قول الله تعالى (واتقوا الله) يعني فيما أخذه عليكم من الميثاق فلا تنقضوه (إن الله عليم بذات الصدور) يعني ان الله تعالى عالم بما في قلوب عباده من خير وشره قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله) قال ابن عباس ويريد انهم يقومون لله بحقه ومعنى ذلك هو ان يقوم لله بالحق في كل ما يلزمه القيام من العمل بطاعته واجتناب نواهيه (شهداء بالقسط) يعني وتشهدون بالعدل يقول لا تحاب في شهادتك اهل ودك وقرابتك ولا تمنع شهادتك اهل بغضك وأعدائك اقم شهادتك لهم وعليهم بالصدق والعدل (ولا يجرمنكم شنآن قوم) ولا يحملنكم بغض قوم (على الا تعدوا) على ترك العدل فيهم لعدواتهم (اعدلوا) امر الله بالعدل في كل أحد القريب والبعيد والصديق والعدو (هو أقرب للتقوى) أي العدل أقرب للتقوى (واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون) يعني ان الله تعالى خبير بجميع أعمالكم مطلع

وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة وأجر عظيم) وهذا في موضع النصب لأن فعل الوعد واقع على المغفرة ورفعها على تقدير أي وقال لهم مغفرة وأجر عظيم (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمت الله عليكم) بالدفع عنكم (إذهم قوم أن يبسطوا إليكم أيديهم) بالقتل وقال قتادة نزلت هذه الآية ورسول الله ﷺ ببطن نخل فأراد بنو ثعلبة وبنو محارب أن يفتكوا به وباصحابه إذا اشتغلوا بالصلاة فاطلع الله تبارك وتعالى نبيه على ذلك وانزل الله صلاة الخوف وقال الحسن كان النبي ﷺ محاصرا غطفان بنخل فقال رجل من المشركين هل لكم في أن أقتل محمدا قالوا وكيف تقتله قال أفتك به قالوا وددنا أنك قد فعلت ذلك فأتى النبي ﷺ والنبي ﷺ متقلد سيفه فقال يا محمد أرني سيفك فاعطاه إياه فجعل الرجل يهز السيف وينظر مرة إلى السيف ومرة إلى النبي ﷺ وقال نمنعك مني يا محمد قال الله فتهدده أصحاب رسول الله (٢٠) ﷺ فشام السيف ومضى فانزل الله تعالى هذه الآية وقال مجاهد وعكرمة والكلبي وابن

عليها وخير بمن عدل ومن لم يعدل ٥ قوله تعالى (وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات) يعني عملوا بما وأتقنهم الله به واوفوا بالعهود التي عاهدهم عليها (لهم مغفرة وأجر عظيم) هذا بيان للوعد كأنه لما تقدم ذكر الوعد فقيل أي شيء هذا الوعد فقال لهم مغفرة وأجر عظيم وإذا وعدهم أنجز لهم الوعد فانه تعالى لا يخلف الميعاد (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا) يعني والذين جحدوا وحدانية الله ونقضوا عهوده ومواثيقه وكذبوا بما جاءت به الرسل من عنده (أولئك) يعني من هذه صفته (أصحاب الجحيم) هذه الآية نص قاطع في أن الخلود في النار ليس الا للكفار لأن المصاحبة تقتضي الملازمة كما يقال فلان صاحب فلان يعني الملازم له * قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمت الله عليكم) يعني اذكروا نعمة الله عليكم بالدفع عنكم مع سائر نعمه التي أنعم بها عليكم ثم وصف تلك النعمة التي ذكرهم بها وامرهم بالشكر عليها فقال تعالى (إذهم قوم أن يبسطوا إليكم أيديهم) يعني بالقتل والبطش بكم فصرفهم عنكم وحال بينكم وبين ما ارادوه بكم اختلف اهل التفسير في سبب نزول هذه الآية وفي صفة هذه النعمة التي امر الله تعالى اصحاب نبيه صلى الله عليه وسلم بذكرها والشكر عليها فقال قتادة نزلت هذه الآية ورسول الله ﷺ ببطن نخلة حين اراد بنو ثعلبة وبنو محارب ان يفتكوا برسول الله ﷺ وباصحابه إذا اشتغلوا بالصلاة فاطلع الله تعالى نبيه ﷺ على ذلك وانزل صلاة الخوف وقال الحسن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم محاصرا غطفان بنخل فقال رجل من المشركين هل لكم ان أقتل محمد قالوا وكيف تقتله قال افتك به قالوا وددنا أنك فعلت ذلك فاتى النبي صلى الله عليه وسلم والنبي صلى الله عليه وسلم متقلد سيفه فقال يا محمد أرني سيفك فاعطاه إياه فجعل الرجل يهز السيف وينظر اليه مرة والى النبي صلى الله عليه وسلم مرة ثم قال من يمنعك مني يا محمد قال الله فتهدده أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاغمد السيف ومضى فانزل الله هذه الآية وقال مجاهد وعكرمة والكلبي بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم المنذر بن عمر والساعدي هو أحد النقباء ليلة العقبة في ثلاثين راكبا من المهاجرين والأنصار إلى بني عامر بن صعصعة فخرجوا فلقوا عامر ابن الطفيل على بئر معونة وهي من مياه بني عامر فاقتلوا فقتل المنذر وأصحابه إلا ثلاثة نفر كانوا في طلب ضالة لهم أحدهم عمرو بن أمية الضمري فلم يرعهم الا الطير تحوم في السماء يسقط من بين مناقيرها علق الدم فقام أحد النفر الثلاثة قتل أصحابنا ثم تولى يشتد حتى لقي رجل من المشركين فاختلفا ضربتين فلما خالطته الضربة رفع رأسه إلى السماء وفتح عينيه فقال الله أكبر الجنة ورب العالمين ورجع صاحباه فلقيا رجلين من بني سليم وكان بين النبي ﷺ وبين قومهما موادعة فانتسبا لهما إلى بني عامر فقتلاهما وقدما قومهما إلى النبي ﷺ يطلبون الدية وبين

يسار عن رجاله بعث رسول الله ﷺ المنذر بن عمرو الساعدي وهو أحد النقباء ليلة العقبة في ثلاثين راكبا من المهاجرين والأنصار إلى بني عامر بن صعصعة فخرجوا فلقوا عامر بن الطفيل على بئر معونة وهي من مياه بني عامر فاقتتلوا فقتل المنذر ابن عمرو واصحابه إلا ثلاثة نفر كانوا في طلب ضالة لهم احدهم عمرو بن أمية الضمري فلم يرعهم إلا الطير يحوم في السماء يسقط من بين خراطيمها علق الدم فقال أحد النفر قتل اصحابنا ثم تولى يشتد حتى لقي رجلا فاختلفا ضربتين فلما خالطته الضربة رفع رأسه الى السماء وفتح عينيه وقال الله اكبر الجنة ورب العالمين فرجع صاحباه فلقيا رجلين من

(فكف أيديهم عنكم واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون أو لقد خذ الله ميثاق بنى إسرائيل وبعثنا منهم اثنى عشر نقيبا) وذلك ان الله عز وجل وعد موسى عليه السلام أن يورثه وقومه الأرض المقدسة وهى الشام وكان يسكنها الكنعانيون الجبارون فلما استقرت لبنى إسرائيل الدار بمصر أمرهم الله تعالى بالسير إلى أريحاء من أرض الشام وهى الأرض المقدسة وكان لها الف قرية فى كل قرية الف بستان وقال يا موسى إنى كتبتها لكم دارا وقرارا فاخرج اليها وجاهد من فيها من العدو فانى ناصرك عليهم وخذ من (٢١) قومك اثنى عشر نقيبا من كل سبط نقيبا يكون كفيلا على قومه بالوفاء منهم على ما امروا به فاختار موسى النقباء وسار موسى ببنى اسرائيل حتى قربوا من أريحاء بعث هؤلاء النقباء يتجسسون له الاخبار ويعلمون علمها فلقيهم رجل من الجبارين يقال له عوج ابن عنق وكان طوله ثلاثة الاف وثلثمائة وثلاث وثلاثين ذراعا وثلث ذراع وكان يحتجز بالسحاب ويشرب منه ويتناول الحوت من قرار البحر فيشويه بعين الشمس يرفعه اليها ثم ياكله ويروى أن الماء فى زمن نوح عليه السلام طبق ما على الأرض من جبل وما جاوز ركبتى عوج وعاش ثلاثة الاف سنة حتى أهلكه الله على يدى موسى عليه السلام وذلك انه جاء وقلع صخرة من الجبل على قدر عسكر موسى عليه السلام وكان فرسخا فى فرسخ وحملها ليطبقها عليهم فبعث الله الهدهد فنقر الصخرة بمنقاره فوقعت فى عنقه فصرعته فاقبل موسى عليه السلام وهو مصروع فقتله وكانت امه عنق احدى بنات آدم وكان مجلسها جريبا من الأرض فلما لقى عوج النقباء وعلى رأسه حزمة حطب أخذ الاثنى عشر وجعلهم فى حجزته وانطلق بهم إلى امرأته وقال انظرى إلى هؤلاء الذين يزعمون انهم يريدون قتالنا وطرحهم بين يديها وقال اطحنهم برجلى فقالت امرأته لا بل خل عنهم حتى يخبروا قومهم بما رأوا ففعل ذلك وروى انه جعلهم فى كمه واتى بهم إلى الملك فنثرهم بين يديه فقال الملك ارجعوا فاخبروهم بما رأيتم وكان لا يحمل عنقودا من عنبهم إلا خمسة أنفس منهم فى خشبة ويدخل فى شطر الرمانة اذا نزع منها حبها خمسة انفس فرجع

وبين قومهما موادعة فانتسبا إلى بنى عامر فقتلاهما وقدم قومهما إلى النبى صلى الله عليه وسلم يطلبون الدية فخرج النبى صلى الله عليه وسلم ومعه ابو بكر وعمر وعثمان وعلى وطلحة وعبد الرحمن بن عوف حتى دخلوا على كعب بن الاشرف وبنى النضير يستعينهم فى عقلهما وكانوا قد عاهدوا النبى ﷺ على ترك القتال وعلى ان يعينوه فى الديات وقيل اراد ان يستقرض منهم دية رجلين فقالوا نعم يا ابا القاسم قد ان لك أن تأتينا وتسألنا حاجة اجلس حتى نطعمك ونعطيك الذى سألته فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فخلا بعض اليهود ببعض وقالوا إنكم لم تجدوا محمدا أقرب منه الان فمن يظهر منكم على هذا البيت فيطرح عليه صخرة فيريحنا منه فقال عمرو بن جحاش انا فعمد إلى رحى عظيمة ليطرحها على النبى ﷺ فامسك الله يده ونزل جبريل فأخبر النبى صلى الله عليه وسلم بذلك فخرج النبى صلى الله عليه وسلم راجعا إلى المدينة قال وخرج معه على بن أبو طالب فقال النبى صلى الله عليه وسلم لعلى لا تبرح مكانك حتى يخرج اليك اصحابى فمن خرج اليك منهم وسالك عنى فقل توجه إلى المدينة ففعل ذلك حتى تناهوا اليه ثم اتبعوه إلى المدينة وأنزل الله عز وجل هذه الاية يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ هم قوم يعنى اليهود ان يبسطوا اليكم أيديهم يقال بسط يده اليه إذا بطش به وهو مدها إلى المبطوش به ليقتله (فكف ايديهم عنكم) يعنى انه تعالى منعهم مما ارادوه بكم (واتقوا الله) يعنى فيما امركم به ونهاكم عنه (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) امر الله تعالى المؤمنين بالتوكل لانه هو الكافى عباده جميع أمورهم فاذا فعلوا ذلك وتوكلوا عليه حفظهم ورعاهم ممن ارادهم بسوء كما كف أيدى اليهود عنهم مما أرادوا أن يفتكوا بهم وهذه القصة أولى بالصواب لانه عقب الاية بذم اليهود وذكر قبيح أفعالهم وخيانتهم وذلك قوله تعالى (ولقد أخذ الله ميثاق بنى إسرائيل) لما ذكر الله فى الآية المتقدمة بعض غدرات اليهود وما أرادوه من كيد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه اتبعه بذكر اسلافهم وما نقضوه من المعقود والعهود ومعنى الاية ان الله أخذ ميثاقهم ان يعبدوه ولا يشركوا به شيئا وان يعملوا بما فى التوراة من الأحكام والتكاليف (وبعثنا منهم اثنى عشر نقيبا) اختلف العلماء فى معنى النقيب فقال ابن عباس النقيب الضمين وقال قتادة هو الشهيد على قومه وقيل هو الأمين الكفيل وقيل هو الباحث عن القوم وعن احوالهم

﴿ ذكر القصة فى ذلك ﴾

قال اصحاب الاخبار والسير أن الله عز وجل وعد موسى عليه السلام أن يورثه وقومه الأرض المقدسة وكان يسكنها الكنعانيون الجبارون فامر الله موسى ان يسير ببنى اسرائيل الى الأرض المقدسة وقال انى كتبتها لكم دارا وقرارا فاخرج اليها وجاهد من فيها من العدو فانى ناصرك عليهم وخذ من قومك اثنى عشر نقيبا من كل سبط نقيبا يكون كفيلا على قومه بالوفاء منهم على ما امروا به فاختار موسى النقباء وسار ببنى اسرائيل حتى قربوا من اريحاء وهى مدينة الجبارين فبعث هؤلاء النقباء يتجسسون له الاخبار ويعلمون علمها فلقيهم رجل من الجبارين يقال له عوج بن عنق وعنق امه وهى احدى بنات آدم عليه السلام وكان طوله ثلاث آلاف ذراع وثلثمائة وثلاثين ذراعا وثلث ذراع هكذا نقله البغوى وفيه نظر لان آدم عليه السلام طوله على ما ورد فى الاحاديث الصحيحة ستين ذراعا قال وكان عوج يأخذ السحاب ويشرب من مائه ويتناول الحوت

النقباء وجعلوا يتعرفون أحوالهم وقال بعضهم لبعض ياقوم انكم ان أخبرتم بنى إسرائيل خبر القوم ارتدوا عن نبى الله ولكن اكتموا وأخبروا موسى وهارون فيريان (٢٢) رأيهما وأخذ بعضهم على بعضهم الميثاق بذلك ثم أنهم نكثوا العهد وجعل كل واحد منهم ينهى

من قعر البحر ويشويه فى عين الشمس ويروى أن الماء لما طبق على الأرض من جبل وغيره ما بلغ ركبتى عوج وقال لنوح عليه السلام احملنى معك فى السفينة فقال نوح عليه السلام اخرج عنى ياعدو الله فانى لم أومر بك وعاش عوج ثلاثة الاف سنة حتى أهلكه الله تعالى على يد موسى عليه السلام وذلك أنه اقتلع صخرة من الجبل على قدر عسكر موسى وكان فرسخا فى فرسخ وحملها على رأسه ليطبقها عليهم فبعث الله الهدهد فنقب الصخرة وقورها بمنقاره فوقعت فى عنقه فصرعته واقبل موسى عليه السلام وهو مصروع فقتله قال فلما لقى عوج النقباء أخذهم وجعلهم فى حجزته وكان على رأسه حزمة حطب وانطلق بهم إلى امرأته وقال لها انظرى إلى هؤلاء الذين يريدون قتالنا وطرحهم بين يديها وقال اطحنهم برجلى فقالت امرأته بل خل عنهم حتى يخبروا قومهم بما رأوا منك وقيل أنه جعلهم فى كمه وأتى بهم إلى الملك فنثرهم بين يديه فقال لهم الملك ارجعوا إلى قومكم فاخبروهم بما رأيتم وكان مما رأوا أن العنقود العنب لا يحمله إلا خمسة أنفس منهم بينهم فى خشبة ويدخل فى شطر الرمانة إذا نزع منها خمسة أنفس فرجع النقباء وقال بعضهم لبعض ياقوم أنكم إذا أخبرتم بنى اسرائيل خبر القوم رجعوا عن نبى الله موسى ولا يقاتلونهم معه اكتموا عن بنى اسرائيل خبر القوم واخبروا موسى وهارون بما رأيتم فيريان رأيهما وأخذ بعض النقباء على بعض الميثاق بذلك فلما رجعوا إلى بنى اسرائيل نكثوا العهد الميثاق واخبر كل رجل سبطه بما رأى إلا رجلان منهم وهم يوشع بن نون وكالب بن يوفنا فانهم أوفيا بالعهود ولم ينكثا الميثاق فذلك قوله تعالى ولقد أخذ الله ميثاق بنى اسرائيل وبعثنا منهم اثنى عشر نقيبا (وقال الله إنى معكم) فيه حذف تقديره وقال للنقباء انى معكم يعنى بالنصر والمعونة وقيل هو خطاب لعامة بنى اسرائيل والقول الأول أولى لأن الضمير يعود إلى اقرب مذكور فكان عوده إلى النقباء اولى ثم ابتدأ الكلام فقال مخاطبا لبنى اسرائيل (لئن اقمتم الصلاة) هذه جملة شرطية والشرط مركب من خمسة أمور وهى قوله لئن اقمتم الصلاة (وآتيتم الزكاة وآمنتم برسلى وعزرتموهم وأقرضتم الله قرضا حسنا) وجزاء الشرط قوله تعالى (لأكفرن عنكم سيئاتكم) وذلك اشارة إلى ازالة العذاب * وقوله تعالى (ولأدخلنكم جنات تجرى من تحتها الأنهار) إشارة إلى إيصال الثواب ومعنى الآية لئن اقمتم الصلاة المكتوبة وآتيتم الزكاة المفروضة وآمنتم برسلى يعنى جميع رسلى وإنما أخر ذكر الإيمان بالرسل لأن اليهود كانوا مقرين باقام الصلاة وإيتاء الزكاة والايمان ببعض الرسل فقال الله لهم انه لا يتم ذلك ولا يحصل المقصود إلا بالإيمان بجميع الرسل وقوله تعالى وعزرتموهم يعنى ونصرتموهم واصل التعزير فى اللغة لردع فمعنى وعزرتموهم نصرتموهم بأن تردوا أعداءهم عنهم وقيل معناه وقرتموهم وعظمتموهم والقول هو الأول واقرضتم الله قرضا حسنا يعنى به الصدقات المندوبة لأن الزكاة تقدم ذكرها فلا فائدة فى تفسير هذا القرض بالزكاة * فان قلت كيف قال واقرضتم الله قرضا حسنا ولم يقل إقراضا حسنا لأن مصدر اقرضتم الاقراض * قلت ان قوله قرضا اخرج مصدرا من معناه لا من لفظه وذلك ان اقرض بمعنى قرض فكان معنى الكلام واقرضتم الله فقرضتم قرضا حسنا ونظير ذلك قوله تعالى والله انبتكم من الأرض نباتا اذ كان معناه فنبتم نباتا وقوله لأكفرن عنكم سيئاتكم يعنى إذا فعلتم سائر ما امرتكم به لأمحون عنكم سيئاتكم واغفرها لكم ولأدخلنكم جنات تجرى من تحتها الأنهار (فمن كفر بعد ذلك منكم) يعنى بعد اخذ العهد والميثاق (فقد ضل سواء السبيل) يعنى فقد اخطأ الطريق المستقيم وهو طريق الدين الذى شرعه والهدى الذى امر باتباعه * قوله تعالى (فبما نقضهم ميثاقهم) اى بسبب نقضهم الميثاق وذلك ان بنى اسرائيل نقضوا ميثاق الله وعهده بأن كذبوا الرسل الذين جاؤا من بعد موسى وقتلوا انبياء الله ونبذوا كتابه وضيعوا فرائضه (لعناهم) يعنى جازيناهم على ذلك بأن ابعدناهم وطردناهم عن رحمتنا واصل اللعنة الابعاد عن الرحمة (وجعلنا قلوبهم قاسية) يعنى غليظة يابسة لا تلين لأن القوة خلاف اللين والرقة وقيل معناه ان قلوبهم ليست خالصة للايمان بل ايمانهم مشوب بالكفر وقيل معناه ان قلوبهم ليست بخالصة للايمان بل ايمانهم مشوب بالكفر والنفاق ومنه الدراهم القاسية وهى الردية المغشوشة

سبطه عن قتالهم ويخبرهم بما رأى إلا رجلان فذلك قوله تعالى ولقد اخذ الله ميثاق بنى اسرائيل وبعثنا منهم اثنى عشر نقيبا (وقال الله إنى معكم) ناصركم على عدوكم ثم ابتدأ الكلام فقال (لئن اقمتم الصلاة) يامعشر بنى اسرائيل (وآتيتم الزكاة وامنتم برسلى وعزرتموهم) نصرتموهم وقيل وقرتموهم وعظمتموهم (وأقرضتم الله قرضا حسنا) قيل هو اخراج الزكاة وقيل هو النفقة على الأهل (لأكفرن عنكم سيئاتكم) لأمحون عنكم سيئاتكم (ولأدخلنكم جنات تجرى من تحتها الأنهار فمن كفر بعد ذلك منكم فقد ضل سواء السبيل) اى اخطأ قصد السبيل يريد طريق الحق وسواء كل شىء وسطه (فبما نقضهم) اى فبنقضهم وماصلة (ميثاقهم) قال قتادة نقضوه من وجوه لأنهم كذبوا الرسل الذين جاؤا بعد موسى وقتلوا انبياء الله ونبذوا كتابه وضيعوا فرائضه (لعناهم) قال عطاء ابعدناهم من رحمتنا قال الحسن ومقاتل عذبناهم بالمسخ (وجعلنا قلوبهم قاسية) قرأ حمزة والكسائى قسية بتشديد الياء من غير الف وهما لغتان مثل الذاكية والذكية وقال ابن عباس رضى الله عنهما قاسية اى يابسة وقيل غليظة لا تلين

(يحرفون الكلم عن مواضعه) قيل هو تبديلهم نعت النبي ﷺ وقيل تحريفهم بسوء التأويل (ونسوا حظا مما ذكروا به) أي وتركوا نصيبا أنفسهم مما امروا به من الإيمان بمحمد ﷺ وبيان نعته (ولا تزال) يا محمد (تطلع على خائنة منهم) أي على خيانة فاعلة بمعنى المصدر كالكاذبة واللاغية وقيل هو بمعنى الفاعل والهاء للمبالغة مثل رواية ونسابة (٢٣) وعلامة وحسابة وقيل على فرقة

بالكفر والنفاق (يحرفون الكلم عن مواضعه) يعني يغيرون حدود التوراة وأحكامها وقيل هو تبديلهم صفة محمد ﷺ ونعته من التوراة وقيل هو تحريفهم معاني الألفاظ بسوء التأويل (ونسوا حظا مما ذكروا به) يعني وتركوا نصيبا أنفسهم مما امروا به من الإيمان بمحمد ﷺ وبيان نعته وصفته (ولا تزال تطلع على خائنة منهم) قال ابن عباس يعني على معصية منهم وكانت خيانتهم نقض العهد ومظاهرتهم المشركين على حرب محمد ﷺ وهمهم بقتله وسمه ونحوها من خيانتهم التي ظهرت (الا قليلا منهم) يعني أنهم لم يخونوا ولم ينقضوا العهد وهم عبد الله بن سلام وأصحابه الذين اسلموا من اهل الكتاب (فاعف عنهم واصفح) أي فاعف عن زلاتهم يا محمد واصفح عن جرمهم ومؤاخذتهم وهذا الأمر بالعفو والصفح عن اهل الكتاب منسوخ بقوله تعالى قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر الاية التي نزلت في سورة براءة قاله قتادة وقيل أنها غير منسوخة بل نزلت في قوله كان بينهم وبين النبي ﷺ عهد فغدروا ونقضوا ذلك العهد فأظهر الله تعالى نبيه ﷺ على ذلك وأنزل هذه الآية ولم تنسخ وذلك انه يجوز أن يعفو عن غدرة فعلوها مالم ينصبوا حربا ولم يمنعوا من اداء الجزية والصغار وعلى هذا القول بانها غير منسوخة يكون معنى الآية فاعف عن مؤمنهم ولا تؤاخذهم بما سلف منهم قبل ذلك وقيل معناه فاعف عن صغائر زلاتهم ما داموا باقين على العهد (ان الله يحب المحسنين) يعني إذا عفوت عنهم فانك تحسن والله يحب المحسنين * قوله عز وجل (ومن الذين قالوا إنا نصارى أخذنا ميثاقهم) لما ذكر نقض اليهود الميثاق اتبعه بذكر نقض النصارى الميثاق وان سبيل النصارى مثل سبيل اليهود في نقض العهد والميثاق وانما قال تعالى ومن الذين قالوا انا نصارى ولم يقل من النصارى لأنهم الذين ابتدعوا هذا الاسم وسموا به أنفسهم لأن الله تعالى سماهم به اخذنا ميثاقهم يعني كتبنا عليهم في الإنجيل أن يؤمنوا بمحمد ﷺ (فنسوا حظا مما ذكروا به) يعني فتركوا ما امروا به من الإيمان بمحمد ﷺ (فاغرينا) يعني فالقينا واوقعنا (بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة) قال قتادة لما تركوا العمل بكتاب الله وعصوا رسله وضيعوا فرائضه وعطلوا حدوده ألقى الله العداوة والبغضاء بينهم وقيل العداوة والبغضاء هي الأهواء المختلفة في الهاء والميم من قوله تعالى بينهم قولان أحدهما ان المراد بهم اليهود والنصارى فان العداوة والبغضاء حاصلة بينهم الى يوم القيامة والقول الثاني أن المراد بهم فرق النصارى فان كل فرقة منهم تكفر الأخرى (وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون) يعني أن الله تعالى يخبرهم في الاخرة باعمالهم التي عملوها في الدنيا فقيه وعيد وتهديد لهم * قوله تعالى (يا اهل الكتاب) يعني اليهود والنصارى (قد جاءكم رسولنا) يعني محمدا ﷺ (يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب) يعني ان محمدا ﷺ يظهر كثيرا مما أخفوا وكتموا من احكام التوراة والانجيل وذلك انهم اخفوا آية الرجم وصفة محمد ﷺ وغير ذلك ثم ان رسول الله ﷺ بين ذلك واظهره وهذا معجزة النبي ﷺ لانه لم يقرأ كتابهم ولم يعلم ما فيه فكان اظهاره ذلك معجزة له (ويعفو عن كثير) يعني مما يكتمونه فلا يتعرض ولا يؤاخذهم به لانه لا حاجة إلى إظهاره والفائدة في ذلك انهم يعلمون كون النبي ﷺ عالما بما يخفونه وهو معجزة له أيضا فيكون ذلك داعيا لهم أن الايمان (قد جاءكم من الله نور) يعني محمدا ﷺ انما سماه الله نورا لأنه يهتدى به كما يهتدى بالنور في الظلام وقيل النور هو الإسلام (وكتاب مبين) يعني القرآن (يهدي به الله) يعني يهدي

خائنة قال ابن عباس رضي الله عنهما على خائنة أي على نقضهم العهد ومظاهرتهم المشركين على حرب رسول الله ﷺ وهمهم بقتله وسمه ونحوهما من خياناتهم التي ظهرت منهم (إلا قليلا منهم) لم يخونوا ولم ينقضوا العهد وهم الذين أسلموا من أهل الكتاب (فاعف عنهم واصفح) أي اعرض عنهم ولا تتعرض لهم (إن الله يحب المحسنين) وهذا منسوخ بآية السيف قوله عز وجل (ومن الذين قالوا إنا نصارى أخذنا ميثاقهم) قيل اراد بهم اليهود والنصارى فاكتفى بذكر أحدهما والصحيح ان الآية في النصارى خاصة لأنه قد تقدم ذكر اليهود وقال الحسن فيه دليل على أنهم نصارى بتسميتهم لا بتسمية الله تعالى أخذنا ميثاقهم في التوحيد والنبوة (فنسوا حظا مما ذكروا به فاغرينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة) بالأهواء المختلفة والجدال في الدين قال مجاهد وقتادة يعني بين اليهود والنصارى وقال الربيع هم النصارى وحدهم صاروا فرقا منهم اليعقوبية والنسطورية والملكانية وكل فرقة تكفر الأخرى (وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون) في الاخرة قوله عز وجل (يا أهل الكتاب يريد يا أهل الكتابين (قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب) اي من التوراة والانجيل مثل صفة محمد ﷺ وآية الرجم وغير ذلك (ويعفو عن كثير) اي يغرض عن كثير مما اخفيتم فلا يتعرض له ولا يؤاخذكم به (قد جاءكم من الله نور) يعني محمدا ﷺ وقيل الاسلام (وكتاب مبين) اي بين وقيل مبين وهو القرآن (يهدي به الله

من اتبع رضوانه) رضاه (سبل السلام) قيل السلام هو الله عز وجل وسبيله دينه الذى شرع لعباده وبعث به رسله وقيل السلام هو السلامة كاللذاذ واللذاذة بمعنى واحد والمراد بها طرق السلامة (ويخرجهم من الظلمات إلى النور) أى من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان (باذنه) بتوفيقه وهدايته (ويهديهم إلى صراط مستقيم) وهو الاسلام قوله تبارك وتعالى (لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم) وهم اليعقوبية من النصارى يقولون المسيح هو الله تعالى (قل فمن يملك من الله شيئا) أى من يقدر أن يدفع من أمر الله شيئا إذا قضاه (إن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن فى الارض جميعا ولله ملك السموات والارض وما بينهما يخلق ما يشاء والله على كل شىء قدير وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه) قيل أرادوا ان الله تعالى لنا كالأب فى الحنو والعطف ونحن كالأبناء له فى القرب والمنزلة وقال ابراهيم النخعى أن اليهود وجدوا فى التوراة يا أبناء احبارى فبدلوا يا أبناء ابكارى فمن ذلك قالوا نحن ابناء الله وقيل معناه نحن أبناء الله يعنى أبناء رسول الله قوله تعالى (قل فلم يعذبكم بذنوبكم) يريد إن كان الامر كما زعمتم انكم أبناؤه وأحباؤه فان الاب لا يعذب ولده والحبيب لا يعذب حبيبه وانتم مقرون انه معذبكم وقيل فلم يعذبكم أى لم عذب من قبلكم بذنوبهم فمسخهم قردة وخنازير

الله بالكتاب المبين (من اتبع رضوانه) أى اتبع ما رضيه الله وهو دين الإسلام لانه مدحه وأثنى عليه (سبل السلام) قال ابن عباس يريد دين الله وهو الاسلام فسبله دينه الذى شرع لعباده وبعث به رسله وأمر عباده باتباعه وقيل سبل السلام طرق السلام وقيل سبل السلام دار السلام فيكون من باب حذف المضاف (ويخرجهم من الظلمات إلى النور) يعنى من ظلمات الكفر إلى نور الايمان (باذنه) يعنى بتوفيقه وهدايته (ويهديهم إلى صراط مستقيم) يعنى دين الاسلام * قوله عز وجل (لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم) قال ابن عباس هؤلاء نصارى نجران فانهم قالوا هذه المقالة وهو مذهب اليعقوبية والملكانية من النصارى لأنهم يقولون فى المسيح انه الله تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا وإنما قالوا هذه المقالة الخبيثة لانهم يقولون بالحلول وان الله قد حل فى بدن عيسى فلما كان اعتقادهم ذلك لاجرم حكم الله عليهم بالكفر ثم ذكر الله ما يدل على فساد مذهبهم فقال تعالى (قل) يعنى يا محمد لهؤلاء النصارى الذين يقولون هذه المقالة (فمن يملك) يعنى يقدر ان يدفع (من الله شيئا) يعنى من أمر الله شيئا (إن أراد ان يهلك المسيح ابن مريم وامه) يعنى يعدم المسيح وامه (ومن فى الأرض جميعا) ووجه الاحتجاج على النصارى بهذا ان المسيح لو كان إلها كما يقولون لقدر على دفع امر الله إذا أراد هلاكه واهلاك أمه وغيرها (ولله ملك السموات والأرض وما بينهما) إنما قال وما بينهما ولم يقل وما بينهن لأنه أراد ما بين هذين النوعين أو الصنفين من الأشياء فانها ملكه واهله عبيده وعيسى وامه من جملة عبيده (يخلق ما يشاء) يعنى من غير اعتراض عليه فيما يخلق لأنه خلق آدم من غير أب وأم وخلق عيسى من أم بلا أب وخلق سائر الخلق من أب وأم (والله على كل شىء قدير) يعنى ان الله تعالى لا يعجزه شىء أراده فلا اعتراض لأحد من خلقه عليه قوله تعالى (وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه) قال ابن عباس اتى رسول الله ﷺ عثمان وابن اصار وبحرى بن عمرو وشاش بن عدى فكلموه وكلمهم رسول الله ﷺ ودعاهم إلى الله وحذرهم نقمته فقالوا ما تخوفنا يا محمد نحن ابناء الله وأحباؤه كقول النصارى فأنزل الله عز وجل فيهم وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله وأحباؤه الآية وسبب هذه المقالة ما حكاه السدى قال اما اليهود فانهم قالوا إن الله أوحى إلى إسرائيل انى أدخل من ولدك النار فيكونون فيها أربعين يوما حتى تطهرهم وتأكل خطاياهم ثم ينادى مناد أن أخرجوا كل محتون من ولد إسرائيل فيخرجون فذلك قوله تعالى لن تمسنا النار إلا أياما معدودات واما النصارى فان فرقا منهم يقولون المسيح ابن الله وكذبوا فيما قالوا على الله تعالى فأما وجه قول اليهود فانهم يعنون انه من عطفه عليهم كالأب الشفيق على الولد واما وجه قول النصارى فانهم لما قالوا فى المسيح انه ابن الله وادعوا انه منهم فكانهم قالوا نحن ابناء الله لهذا السبب وقيل ان اليهود إنما قالوا هذه المقالة من باب حذف المضاف والمعنى نحن أبناء رسول الله واما النصارى فانهم تأولوا قول المسيح اذهب إلى ابى وابيكم وقوله إذا صليتم فقولوا ابانا الذى فى السماء لتقدس اسمك فذهبوا إلى ظاهر هذه المقالة ولم يعلموا ما اراد المسيح عليه السلام إن صحت هذه المقالة عنه فان تأويلها انه فى بره ورحمته وعطفه على عباده الصالحين كالأب الرحيم لولده وجملة الكلام فى ذلك ان اليهود والنصارى كانوا يرون لانفسهم فضلا على من سواهم بسبب أسلافهم الأفاضل حتى انتهوا فى تعظيم انفسهم إلى ان قالوا نحن ابناء الله واحباؤه فابطل الله عز وجل دعواهم وكذبهم فيما قالوا بقوله تعالى (قل فلم يعذبكم بذنوبكم) معناه إذا كان الأمر كما تزعمون فلم يعذبكم الله وأنتم قد أقررتم على أنفسكم أنه يعذبكم أربعين يوما وهل رأيتم والدا يعذب ولده بالنار وهل تطيب نفس محب أن يعذب حبيبه فى النار (بل أنتم بشر ممن خلق) يعنى بل أنتم يا معشر اليهود والنصارى كسائر بنى آدم مجزيون بالاساءة والاحسان * قوله تعالى (يغفر لمن يشاء) يعنى لمن تاب من اليهودية والنصرانية (ويعذب من يشاء) يعنى من مات على اليهودية والنصرانية وقيل معناه يهدى من يشاء فيغفر له ويميت من يشاء على كفره فيعذبه (ولله ملك السموات والارض)

(بل أنتم بشر ممن خلق) كسائر بنى آدم مجزيون بالاساءة والاحسان (يغفر لمن يشاء) فضلا (ويعذب من يشاء) عدلا (ولله ملك السموات

والأرض وما بينهما واليه المصير يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا) محمد ﷺ (يبين لكم) أعلام الهدى وشرائع الدين (على فترة من الرسل) اى انقطاع من الرسل واختلفوا فى مدة الفترة بين عيسى عليه السلام ومحمد صلى الله عليه وسلم قال أبو عثمان النهدى ستمائة سنة وقال قتادة خمسمائة وستون سنة وقال معمر والكلبى خمسمائة وأربعون سنة وسميت فترة لان الرسل كانت تترى بعد موسى عليه السلام من غير انقطاع إلى زمن عيسى عليه السلام ولم يكن بعد عيسى عليه السلام سوى رسولنا ﷺ (أن تقولوا) كيلا تقولوا (ماجاءنا من بشير ولا نذير فقد جاءكم بشير ونذير والله على كل شىء قدير) قوله عز وجل وإذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم إذ جعل فيكم أنبياء) أى منكم أنبياء (وجعلكم ملوكا) أى فيكم ملوكا قال ابن عباس رضى الله عنهما يعنى أصحاب خدم وحشم قال قتادة كانوا أول من ملك الخدم ولم يكن لمن قبلهم خدم . روى عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال كانوا بنو إسرائيل إذا كان لأحدهم خادم وامرأة ودابة يكتب منكا وقال أبو عبد الرحمن الحبلى سمعت عبد الله بن عمرو بن العاص وسأله رجل فقال ألسنا من فقراء المهاجرين فقال له عبد الله ألك امرأة تأوى اليها قال نعم قال ألك مسكن تسكنه قال نعم قال فانت

والأرض وما بينهما) يعنى انه تعالى يملك ذلك لاشريك له فى ذلك فيعارضه وهو الذى يملك المغفرة لمن يشاء والتعذيب لمن يشاء وفيه دليل على أنه تعالى لا ولد له لأن من يملك السموات والأرض يستحيل ان يكون له شبيه من خلقه أو شريك فى ملكه (واليه المصير) يعنى وإلى الله مرجع العباد فى الاخرة فيجازيهم بأعمالهم . قوله تعالى (يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل) قال ابن عباس قال معاذ بن جبل . سعد بن عبادة وعقبة بن وهب لليهود يا معشر اليهود اتقوا الله فوالله انكم لتعلمون انه رسول الله لقد كنتم تذكرونه لنا قبل مبعثه وتصفونه لنا بصفته فقال رافع بن حريملة ووهب بن يهودا ما قلنا ذلك لكم وما أنزل الله من كتاب بعد موسى ولا ارسل بشيرا ولا نذيرا بعده فانزل الله هذه الآية يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يعنى محمدا ﷺ يبين لكم يعنى أحكام الدين والشرائع على فترة من الرسل قال ابن عباس يعنى على انقطاع من الرسل واختلف العلماء فى قدر مدة الفترة فروى عن سلمان قال فترة ما بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم ستمائة سنة أخرجه البخارى وقال قتادة كانت الفترة بين عيسى . محمد ﷺ ستمائة سنة وما شاء الله من ذلك وعنه انها خمسمائة سنة وستون سنة وقال ابن السائب خمسمائة وأربعون سنة وقال الضحاك انها أربعمائة وبضع وثلاثون سنة ونقل ابن الجوزى عن ابن عباس على فترة من الرسل قال على انقطاع منهم قال وكان بين ميلاد عيسى وميلاد محمد ﷺ خمسمائة سنة وتسعة وستون سنة وهى الفترة وكان بين عيسى ومحمد أربعة من الرسل فذلك قوله إذ أرسلنا اليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث قال والرابع لا أدرى من هو فكانت تلك السنون مائة وأربعا وثلاثين سنة نبوة وسائرها فترة قال أبو سليمان الدمشقى والرابع والله أعلم خالد بن سنان الذى قال فيه رسول الله ﷺ نبى ضيعه قومه قال الامام فخر الدين الرازى والفائدة فى بعثه محمد ﷺ عند فترة الرسل هى ان التحريف والتغيير كان قد تطرق إلى الشرائع المتقدمة لتقادم عهدها وطول زمانها وسبب ذلك اختلاط الحق بالباطل والكذب بالصدق فصار ذلك عذرا ظاهرا فى اعراض الخلق عن العبادات لأن لهم أن يقولوا إلهنا عرفنا انه لابد من عبادتك ولكنا ما عرفنا كيف نعبدك فبعث الله فى هذا الوقت محمدا صلى الله عليه وسلم لازالة هذا العذر فذلك قوله عز وجل (أن تقولوا ماجاءنا من بشير ولا نذير) يعنى لئلا تقولوا وقيل معناه كراهية أن تقولوا ماجاءنا من بشير ولا نذير فى هذا الوقت (فقد جاءكم بشير ونذير) يعنى فقد أرسلت اليكم محمدا ﷺ لازالة هذا العذر (والله على كل شىء قدير) يعنى انه قادر على بعثه الرسل فى وقت الحاجة اليهم * قوله عز وجل (وإذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم) قال ابن عباس اذكروا عافية الله وقيل معناه اذكروا ايادى الله عندكم وأيامه التى انعم فيها عليكم قال الطبرى هذا تعريف من الله تعالى نبيه محمدا ﷺ بنادى هؤلاء فى الغى وبعدهم عن الحق وسوء اختيارهم لأنفسهم وشدة مخالفتهم لأنبيائهم مع كثرة نعم الله عليهم وتتابع ايادية والائه لديهم سلى بذلك نبيه ﷺ عما نزل به من مقاستهم ومعالجتهم فى ذات الله عز وجل (إذ جعل فيكم أنبياء) يعنى ان موسى عليه السلام ذكر قومه بنى اسرائيل بايام الله عندهم وبما انعم به عليهم فقال اذكروا نعمة الله عليكم إذ فضلكم بان جعل فيكم أنبياء قال الكلبى هم السبعون الذين اختارهم موسى من قومه وانطلق بهم إلى الجبل وأيضا كان أنبياء بنى إسرائيل من اولاد يعقوب بن إسحق بن إبراهيم عليهم السلام وهؤلاء لاشك انهم من اكابر الأنبياء واولاد يعقوب وهم الاسباط انبياء على قول الاكثرين وموسى وهرون عليهما السلام وايضا فان الله تعالى اعلم موسى انه يبعث من بعده فى بنى إسرائيل انبياء فانه لم يبعث فى امة ما بعث فى بنى اسرائيل من الأنبياء فكان هذا شرفا عظيما لهم ونعمة ظاهرة عليهم (وجعلكم ملوكا) يعنى وجعلكم احرارا تملكون انفسكم بعد ان كنتم عبيدا فى ايدى القبط . قال ابن عباس يعنى جعلكم اصحاب خدم وحشم قال قتادة كانوا اول من ملك

من الأغنياء . قال فان لى خادما قال فانت من الملوك قال السدى وجعلكم ملوكا احرارا تملكون امر انفسكم بعدما كنتم فى ايدى القبط يستعبدونكم وقال الضحاك كانت منازلهم واسعة فيها مياه جارية فمن كان منزله واسعا وفيه نهر جار فهو ملك

(وآتاكم مالم يؤت أحدا من العالمين) يعنى عالمى زمانكم قال مجاهد يعنى المن والسلوى والحجر وتظليل الغمام قوله تعالى (ياقوم ادخلوا الأرض المقدسة التى كتب الله لكم) اختلفوا فى الأرض المقدسة قال مجاهد هى الطور وماحوله وقال الضحاك ايليا وبيت المقدس وقال عكرمة والسدى هى اريحاء وقال الكلبى هى دمشق وفلسطين وبعض الأردن وقال قتادة هى الشام كلها قال كعب وجدت فى كتاب الله المنزل ان الشام كنز الله من أرضه وبها اكثر عباده قوله عز وجل كتب الله لكم يعنى كتب فى اللوح المحفوظ انها مساكن لكم وقال ابن إسحق وهب الله لكم وقيل جعلها لكم وقال (٢٦) السدى امركم الله بدخولها وقال قتادة أمروا بها كما أمر بالصلاة أى فرض عليكم (ولا ترتدوا على أدباركم) أعقابكم بخلاف أمر الله (فتنقلبوا خاسرين) قال الكلبى صعد ابراهيم عليه السلام جبل لبنان فقيل له انظر فما أدركه بصرك فهو مقدس وهو ميراث لذريتك (قالوا يا موسى ان فيها قوما جبارين) وذلك أن النقباء الذين خرجوا يتجسسون الاخبار لما رجعوا إلى موسى وأخبروه بما عاينوا قال لهم موسى أكتموا شانهم ولا تخبروا به أحدا من اهل العسكر فيفشلوا فاخبر كل رجل منهم قريبه وابن عمه إلا رجلان واقيا بما قال لهم موسى أحدهما يوشع بن نون بن أفرائيم بن يوسف عليهم السلام فتى موسى والآخر كالب بن يوفنا ختن موسى عليه السلام على أخته مريم بنت عمران وكان من سبط يهود وهما النقباء فعلمت جماعة من بنى إسرائيل ذلك ورفعوا أصواتهم بالبكاء وقالوا ياليتنا فى أرض مصر او ليتنا نموت فى هذه عاينوه البرية ولا يدخلنا الله ارضهم فتكون نساؤنا وأولادنا واثقالنا غنيمة لهم وجعل الرجل يقول لصاحبه تعال نجعل علينا رأسا وننصرف إلى مصر فذلك قوله تعالى اخبارا عنهم ياموسى ان فيها قوما جبارين (وإنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فان يخرجوا منها فانا داخلون) أصل الجبار المتعظم الممتنع عن القهر يقال نخلة جبارة إذا كانت طويلة ممتنعة عن وصول الأيدى اليها وسمى أولئك القوم جبارين لامتناعهم بطولهم وقوة أجسادهم وكانوا من العمالقة وبقية قوم عاد فلما قال بنو إسرائيل ما قالوا وهموا بانصراف إلى مصر خر موسى وهرون ساجدين وخرق يوشع وكالب ثيابهما وهما اللذان أخبرا الله تعالى عنهما فى قوله

الخدم ولم يكن لمن قبلهم خدم وروى عن أبى سعيد الخدرى عن النبى ﷺ قال كان بنو إسرائيل إذا كان لاحدهم خادم وامرأة ودابة يكتب ملكا ذكره البغوى بغير سند وسأل رجل عبد الله بن عمرو بن العاص فقال ألست من فقراء المهاجرين فقال له عبد الله ألك امرأة تأوى اليها قال نعم قال ألك مسكن تسكنه قال نعم قال انت من الأغنياء قال فان لى خادما قال فانت من الملوك وقال الضحاك كانت منازلهم واسعة فيها مياه جارية ومن كان مسكنه واسعا وفيه ماء جار فهو ملك (وآتاكم مالم يؤت أحدا من العالمين) يعنى من عالمى زمانكم يذكرهم ما أنعم الله به عليهم من فلق البحر لهم وإهلاك عدوهم وإنزال المن والسلوى عليهم وإخراج الماء من الحجر لهم وتظليل الغمام فوقهم إلى غير ذلك من النعم التى انعم الله بها عليهم قوله تعالى (ياقوم ادخلوا الأرض المقدسة التى كتب الله لكم) لما ذكر موسى قومه ما انعم الله به عليهم امرهم بالخروج إلى جهاد عدوهم فقال ياقوم ادخلوا الأرض المقدسة يعنى المطهرة سميت مقدسة لأنها طهرت من الشرك وصارت مسكنا للأنبياء والمؤمنين وقيل المقدسة المباركة قال الكلبى صعد إبراهيم عليه السلام جبل لبنان فقيل له انظر فما أدرك بصرك فهو مقدس وهو ميراث لذريتك والأرض هى الطور وماحوله وقيل هى اريحاء وفلسطين وبعض الأردن وقيل هى دمشق وقيل هى الشام كلها قال كعب الاحبار ووجدت فى كتاب الله المنزل ان الشام كنز الله فى أرضه وبها أكثر عباده التى كتب الله لكم يعنى كتب الله فى اللوح المحفوظ انها لكم مساكن وقيل فرض الله عليكم دخولها وأمركم بسكناها وقيل وهبها لكم فان قلت كيف قال الله تعالى ادخلوا الأرض المقدسة التى كتب الله لكم وقال فانها محرمة عليهم وكيف الجمع بينهما قلت فيه وجوه أحدها أنها كانت هبة من الله ثم حرمها عليها بشؤم تمردهم وعصيانهم الوجه الثانى ان اللفظ وان كان عاما لكن المراد منه الخصوص فصار كانه مكتوب لبعضهم وحرام على بعضهم فان يوشع بن نون وكالب بن يوفنا دخلاها وكان ممن خوطب بهذا الخطاب الوجه الثالث ان هذا الوعد كان مشروطا بالطاعة فلما لم يوجد المشروط الوجه الرابع أنه قال انها محرمة عليهم اربعين سنة فلما مضت الأربعون دخلوها وكانت مساكن لهم كما وعدهم الله تعالى (ولا ترتدوا على أدباركم) يعنى ولا ترجعوا القهقرى مرتدين على أعقابهم إلى ورائكم ولكن امضوا الأمر الذى أمركم به وإن فعلتم خلاف ما أمركم الله به (فتنقلبوا خاسرين) يعنى فترجعوا خائبين لأنكم رددتم أمر الله قوله عز وجل (قالوا) يعنى قوم موسى (ياموسى ان فيها) يعنى فى الأرض المقدسة (قوما جبارين) يعنى قوما عاتين لا طاقة لنا بهم ولا قوة لنا بقتالهم وسموا أولئك القوم جبارين لشدة بطشهم وعظم خلقهم وكانوا ذوى أجسام عظيمة وأشكال هائلة وهم العمالقة بقية قوم عاد اصل الجبار فى صفة الانسان فعال من جبرة على الأمر يعنى أجبره عليه وهو العاتى الذى يجبر الناس على ما يريدون وقيل انه مأخوذ من قولهم نخلة جبارة إذا كانت طويلة مرتفعة لا تصل الأيدى إليها ويقال رجل جبار إذا كان طويلا عظيما قويا تشبيها بالجبار من النخل (وإنا لن ندخلها) يعنى أرض الجبارين التى أمرهم الله بدخولها (حتى يخرجوا منها) حتى يخرج الجبارون من الأرض المقدسة وإنما قالوا ذلك استبعادا لخروج الجبارين من أرضهم (فان يخرجوا منها فانا داخلون) يعنى اليها قال العلماء بالاخبار ان النقباء لما خرجوا يتجسسون الاخبار لموسى عليه السلام ورجعوا اليه وأخبروه خبر القوم وما

(قال رجلان من الذين يخافون) أي يخافون الله تعالى قرأ سعيد بن جبير يخافون بضم الياء وقال الرجلان كانا الجبارين فأسلما واتبعا موسى (أنعم الله عليهما) بالتوفيق والعصمة قالا (ادخلوا عليهم الباب) يعني قرية الجبارين (فاذا دخلتموه فانكم غالبون) لأن الله منجز وعده وانا رأيناهم فكانت أجسامهم عظيمة وقلوبهم ضعيفة فلا تخشوهم (وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين) (٧) فاراد بنو إسرائيل أن يرجموهما

عاينوه ومنهم قال لهم موسى لا تخبروا بني إسرائيل بهذا فيجبنوا ويضعفوا عن قتالهم وقيل ان النباء الاثنى عشر لما خرجوا من ارض الجبارين قال بعضهم لبعض لا تخبروا بني اسرائيل بما رأيتم فلما رجعوا أخبروا موسى أمرهم أن لا يخبروا بني إسرائيل بذلك فخالفوا امره ونقضوا العهد واخبر كل رجل من النقباء سبطه بما رأى إلا يوشع بن نون وكالب فانهما كتماه ووفيا بالعهد فلما علم بنو إسرائيل بذلك وفشا ذلك فيهم رفعوا اصواتهم بالبكاء وقالوا ليتنا متنا في ارض مصر ولا يدخلنا الله أرضهم فتكون نساؤنا وأولادنا أموالنا غنيمة لهم وجعل الرجل من بني إسرائيل يقول لصاحبه تعالوا نجعل لنا رأسا ونتصرف إلى مصر فلما قال بنو إسرائيل ذلك هموا بالانصراف إلى مصر خر موسى وهرون ساجدين وخرق يوشع وكالب ثيابهما وهما اللذان اخبرنا الله عنهما بقوله (قال رجلان من الذين يخافون) يعني يخافون الله ويراقبونه (أنعم الله عليهما) يعني بالهداية والوفاء بالعهد (ادخلوا عليهم الباب) يعني قال الرجلان وهما يوشع بن نون وكالب بن يوفنا لبني إسرائيل ادخلوا على الجبارين باب مدينتهم (فاذا دخلتموه فانكم غالبون) لأن الله وعدكم بالنصر وأن الله ينجز لكم وعده (وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين) يعني يقول الرجلان لقوم موسى ثقوا بالله فانه معكم وناصركم ان كنتم مصدقين بان الله ناصركم ولا يهولنكم عظم أجسامهم فانا قد رأيناهم فكانت أجسامهم عظيمة وقلوبهم ضعيفة فلما قالا ذلك أراد بنو إسرائيل أن يرجموهما بالحجارة وعصوا أمرهما وقالوا ما أخبر الله عنهم بقوله تعالى (قالوا يا موسى انا لن ندخلها أبدا) يعني قال قوم موسى لموسى إنا لن ندخل مدينة الجبارين ابدا يعني مدة حياتنا (ما داموا فيها) يعني مقيمين فيها (فاذهب انت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون) إنما قالوا هذه المقالة لأن مذهب اليهود التجسيم فكانوا يجيزون الذهاب والمجيء على الله تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا قال بعض العلماء إن كانوا قالوا هذا على وجه الذهاب من مكان الى مكان فهو كفر وإن كانوا قالوه على وجه الخلاف لأمر الله وامر نبيه فهو فسق وقال بعضهم إنما قالوه على وجه المجاز والمعنى اذهب أنت وربك معين لك لكن قوله فقاتلا يفسد هذا التأويل وقال بعضهم إنما أرادوا بقولهم وربك أخاه هرون لأنه كان أكبر من موسى والأصح انهم إنما قالوا ذلك جهلا منهم بالله تعالى وصفاته وما قدروا الله حق قدره (خ) عن ابن مسعود قال شهدت من المقداد بن الاسود مشهدا لأن أكون أنا صاحبه احب إلي مما عدل به اتى النبي ﷺ وهو يدعو على المشركين يوم بدر فقال يا رسول الله إنا لا نقول كما قالت بنو إسرائيل لموسى اذهب انت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون ولكن امض ونحن معك فكانه سرى عن رسول الله ﷺ وفي رواية لكنا نقاتل عن يمينك وعن شمالك ومن بين يديك ومن خلفك فرايت الرسول ﷺ اشرق وجهه وسره قوله تعالى (قال) يعني موسى عليه السلام (رب) أي يا رب (اني لا أملك إلا نفسي وأخي) يعني إني لا املك إلا نفسي واخي لا يملك إلا نفسه وقيل معناه لا املك إلا نفسي ونفس اخي لأنه كان يطيعه وإذا كان كذلك فقد ملكه وإنما قال موسى لا املك الا نفسي واخي وان كان معه في طاعته يوشع بن نون وكالب بن يوفنا لاختصاص هرون به ولمزيد الاعتناء باخيه ويحتمل ان يكون معناه واخي في الدين ومن كان على دينه وطاعته فهو اخوه في الدين فعلى هذا الاحتمال يدخل الرجلان في قوله واخي ثم قال (فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين) اي افصل وقيل احكم بيننا وبين القوم الفاسقين يعني الخارجين عن طاعتك وإنما قال موسى ذلك لانه لما راى بني اسرائيل وما فعلوه من مخالفة امر الله وهمهم بيوشع وكالب غضب لذلك ودعا عليهم فاجاب الله تعالى دعاء موسى عليه السلام (قال) الله عز وجل (فانها محرمة عليهم) يعني فان الأرض المقدسة محرمة عليهم ومعناه ان تلك البلدة محرمة

بالحجارة وعصوهما (قالوا يا موسى انا لن ندخلها أبدا ما داموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون) اخبرنا عبد الواحد المليحي أنا محمد بن عبد الله النعيمي انا محمد بن يوسف انا محمد بن إسمعيل أنا أبو نعيم أنا إسرائيل عن مخارق عن طارق بن شهاب قال سمعت ابن مسعود يقول لقد شهدت من المقداد بن الأسود مشهدا لأن أكون صاحبه أحب إلي مما عدل به اتى النبي ﷺ وهو يدعو على المشركين فقال لا تقول كما قال قوم موسى عليه السلام اذهب انت وربك فقاتلا ولكنا نقاتل عن يمينك وعن شمالك وبين يديك ومن خلفك فرأيت النبي ﷺ أشرق وجهه وسره ماقال فلما فعلت بنو إسرائيل ما فعلت من مخالفتهم أمر ربهم وهمهم بيوشع وكالب غضب موسى عليه السلام ودعا عليهم (قال رب إني لا أملك إلا نفسي وأخي) قيل معناه لا يملك إلا نفسه وقيل معناه لا يطيعني إلا نفسي وأخي (فافرق)

فافصل (بيننا) قيل فاقض بيننا (وبين القوم الفاسقين) العاصين (قال) الله تعالى (فانها محرمة عليهم) ههنا تم الكلام معناه تلك البلد محرمة عليهم ابدا لم يرد به تحريم تعبد وإنما اراد تحريم منع فاوحى الله تعالى الى موسى لأحرمن عليهم دخول الأرض المقدسة غير عبدي يوشع وكالب ولأتيهنهم في هذه البرية

عليهم أبداً ولم يرد تحريم تعبد وإنما أراد تحريم منع فاوحى الله تعالى إلى موسى فى حلفت لأحرمن عليهم دخول الأرض المقدسة غير عبدى يوشع وكالب ولأتيهنهم فى هذه البرية أربعين سنة مكان كل يوم من الأيام التى كانوا يتجسسون فيها سنة ولألقين جيفهم فى هذه القفار وأما أبناؤهم الذين لم يعملوا الشر فيدخلونها فذلك قوله تعالى فانها يعنى الأرض المقدسة محرمة عليهم قال أكثر أهل العلم هذا تحريم منع لا تحريم تعبد وقيل يحتمل أن يكون تحريم تعبد فيجوز أن يكون الله تعالى أمرهم بان يمكثوا فى تلك المفازة فى الشدة والبلية عقابا على سوء صنيعهم (أربعين سنة) فمن قال ان الكلام تم عند قوله فانها محرمة عليهم قال اربعين سنة يتيهون فى الأرض فاما الحرمة فانها مؤبدة حتى يموتوا أو يدخلها أبناؤهم وقيل معناه ان الأرض المقدسة محرمة عليهم أربعين سنة ثم يدخلونها وتفتح لهم وقوله تعالى (يتيهون فى الأرض) يعنى يتحيرون فيها يقال تاه يتيه إذا تحير واختلفوا فى مقدار الأرض التى تاهوا فيها فقيل مقدار ستة فراسخ وقيل ستة فراسخ فى اثنى عشر فرسخاً وقيل تسع فراسخ فى ثلاثين فرسخا وكان العسكر ستمائة الف مقاتل وكانوا يرحلون ويسيرون يومهم اجمع فاذا مسوا إذا هم فى الموضع الذى رحلوا منه وكان ذلك التيه عقوبة لبنى اسرائيل ما خلا موسى وهرون ويوشع وكالب فان الله تعالى سهله عليهم وأعانه عليه كما سهل على ابراهيم النار وجعلها بردا وسلاما ٥ فان قلت كيف يعقل بقاء هذا الجمع العظيم فى هذا المقدار الصغير من الأرض أربعين سنة بحيث لم يخرج منه أحد ٥ قلت هذا من باب خوارق العادات وخوارق العادات فى أزمان الأنبياء غير مستبعدة فان الله على كل شىء قدير وقيل ان فسرنا ذلك التحريم بتحريم التعبد زال هذا الاشكال لاحتمال ان الله ما حرم عليهم الخروج من تلك الارض بل أمر بالمكث أربعين سنة فى المشقة والمحنة جزاء لهم على سوء صنيعهم ومخالفتهم أمر الله ولما حصل بنو اسرائيل فى التيه شكوا إلى موسى عليه السلام حالهم فانزل الله عليهم المن والسلوى وأعطوا من الكسوة ما هى قائمة لهم فينشأ الناشئ منهم فتكون معه على مقداره وهيئته وسأل موسى ربه أن يسقيهم فاتى بحجر ابيض من جبل الطور فكان اذا نزل ضربه بعصاه فيخرج منه اثنى عشر عينا لكل سبط منهم عين وأرسل الله عليهم الغمام يظلهم فى التيه ومات فى التيه كل من دخله ممن جاوز عشرين سنة غير يوشع بن نون وكالب بن يوقنا ولم يدخل اريحاء ممن قال انا لن ندخلها أبدا واختلفوا فى ان موسى عليه السلام مات فى التيه ام خرج منه فقيل ان موسى وهرون ماتا فى التيه جميعاً

(أربعين سنة) مكان كل يوم من الايام التى تجسسوا فيها سنة ولألقين جيفهم فى هذه القفار وأما بنوهم الذين لم يعملوا الشر فيدخلونها فذلك قوله تعالى فانها محرمة عليهم أربعين سنة (يتيهون) يتحيرون (فى الارض

(قصة وفاة موسى وهارون عليهما السلام)

فاما هرون فانه كان اكبر من موسى بسنة قال السدى اوحى الله عز وجل إلى موسى انى متوفى هرون فات به جبل كذا وكذا فانطلق موسى وهرون نحو ذلك الجبل فاذا بشجرة لم ير مثلها وإذا ببيت مبنى وفيه سرير عليه فراش وفيه رائحة طيبة فلما رأى هرون ذلك البيت اعجبه وقال يا موسى انى احب ان أنام على هذا السرير قال نم قال انى اخاف أن يات رب هذا البيت فيغضب على قال لا تخف انى اكفيك رب هذا البيت فنم قال يا موسى فنم أنت معى فان جاء رب هذا البيت غضب على وعليك جميعا فلما نام أخذ هرون الموت فلما وجد مسه قال يا موسى خدعتنى فلما قبض هرون رفع البيت والسرير إلى السماء وهرون عليه وذهبت الشجرة فرجع موسى إلى بنى إسرائيل وليس هرون معه فقال بنو إسرائيل حسد موسى هرون فقتله لحبنا اياه قال موسى ويحكم ان هرون أخى أفترى أقتله فلما أكثروا عليه قام موسى فصلى ركعتين ثم دعا الله عز وجل فنزل السرير وعليه هرون فنظروا إليه وهو بين السماء والارض فصدقوه ثم رفع وقال على بن ابى طالب رضى الله عنه صعد موسى عليه السلام وهرون إلى الجبل فمات هرون وبقى موسى فقال بنو إسرائيل لموسى أنت قتلته وآذوه فامر الله الملائكة فحملوه حتى مروا به على بنى اسرائيل وتكلمت الملائكة بموته فصدقت بنو اسرائيل انه مات وبرأ الله موسى مما قالوه ثم ان الملائكة حلوه ودفنوه ولم يطلع على موضع قبره أحد إلا الرخم فجعله الله أصم أبكم ٥ وأما وفاة موسى عليه السلام فقال ابن اسحق كان صفى

الله موسى عليه السلام قد كره الموت واعظمه فأراد الله أن يحبب إليه الموت فنبأ يوشع بن نون فكان موسى يغدو ويروح إليه ويقول له يا نبي الله ما أحدث الله إليك فيقول له يوشع يا نبي الله ألم أحببك كذا وكذا سنة فهل كنت أسألك عن شيء مما أحدث الله إليك حتى كنت أنت تبتدىء به وتذكره لي ولا يذكر له شيئاً فلما رأى موسى ذلك كره الحياة وأحب الموت (ق) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسل ملك الموت إلى موسى فلما جاءه صكه ففقأ عينه فرجع إلى ربه فقال أرسلتني إلى عبد لا يريد الموت فرد الله إليه عينه وقال ارجع إليه فقل له يضع يده على متن ثور فله بكل ما غطت يده من شعرة سنة قال أي رب ثم مه قال ثم الموت قال فالآن يسأل الله أن يدنيه من الأرض المقدسة رمية بحجر قال رسول الله ﷺ فلو كنت ثم لأريتكم قبره إلى جانب الطريق عند الكثيب الأحمر وفي رواية لمسلم قال جاء ملك الموت إلى موسى فقال أجب ربك قال فلطم موسى عين ملك الموت ففقأها ثم ذكر معنى ما تقدم قال الشيخ محيي الدين النووي قال المازري وقد أنكر بعض الملاحدة هذا الحديث وأنكر تصويره قالوا كيف يجوز على موسى فقء عين ملك الموت وأجاب عنه العلماء بأجوبة أحدها أنه لا يمتنع أن يكون الله قد أذن لموسى في هذه اللطمة ويكون ذلك امتحاناً للملطوم والله تعالى يفعل في خلقه ما يشاء ويمتحنهم بما أراد الثاني (٣) أن موسى لم يعلم أنه ملك من عند الله وظن أنه رجل قصده يريد نفسه فدافعه فأدت المدافعة إلى فقء عينه لأنه قصدها بالفقء وتؤيده رواية صكه وهذا جواب الإمام أبي بكر بن خزيمة وغيره من المتقدمين واختاره المازري والقاضي عياض قالوا وليس في الحديث تصريح بأنه قصد فقء عينه فإن قيل فقد اعترف موسى حين جاءه ثانيا بأنه ملك الموت فالجواب أنه أتاه في المرة الثانية بعلامة علم بها أنه ملك الموت فاستسلم له بخلاف المرة الأولى وأما سؤال موسى الأدناء من الأرض المقدسة فشرفها وفضلها وفضل من بها من المدفونين من الأنبياء وغيرهم وفيه دليل على استحباب الدفن في المواضع الفاضلة والمواطن المباركة والقرب من مدافن الصالحين قال بعض العلماء وإنما سأل موسى الأدناء يسأل نفس بيت المقدس لأنه خاف أن يكون قبره مشهورا عندهم فيفتتن به الناس والله أعلم قال وهب بن منبه خرج موسى لبعض حاجته فمر برهط من الملائكة وهم يحفرون قبرا لم ير شيئا أحسن منه ولا مثل ما فيه من الخضرة والنضرة والبهجة فقال لهم يا ملائكة الله لمن تحفرون هذا القبر فقالوا لعبد كريم على ربه فقال إن هذا العبد من الله بمنزلة ما رأيت كاليوم قط فقالت الملائكة يا صفي الله تحب أن يكون لك قال وددت قالوا فانزل واضطجع فيه وتوجه إلى ربك فنزل واضطجع وتوجه إلى ربه عز وجل ثم تنفس اسهل تنفس فقبض الله روحه ثم سوت الملائكة عليه التراب وقيل إن ملك الموت أتاه بتفاحة من الجنة فشمها فقبض روحه وكان عمر موسى عليه السلام مائة سنة وعشرين سنة فلما مات موسى عليه السلام انقضت الأربعون سنة وبعث الله يوشع إلى بني إسرائيل فأخبرهم أن الله قد أمره بقتال الجبارين فصدقوه وتابعوه فتوجه ببني إسرائيل إلى اريحاء وهي مدينة الجبارين ومعه تابوت الميثاق فأحاط بمدينة اريحاء ستة أشهر فلما كان في السابع نفخوا في القرون وضجوا في الشعب ضجة واحدة أسقط سور المدينة فدخلوها وقاتلوا الجبارين وهزموهم وهجموا عليهم يقتلونهم فكانت العصابة من بني إسرائيل يجتمعون على عنق الرجل من الجبابرة يضربونها حتى يقطعونها وكان القتال والفتح يوم الجمعة فبقيت منهم بقية وكادت الشمس أن تغرب وتدخل ليلة السبت فقال اللهم أردد علينا الشمس وقال للشمس إنك في طاعة الله وأنا في طاعة الله وسأل الشمس أن تقف والقمر أن يقف حتى ينتقم من أعداء الله قبل دخول السبت فرد الله عليه الشمس وزيد في النهار ساعة حتى قتلهم أجمعين وتتبع ملوك الشام فاستباح منهم إحدى وثلاثين ملكا حتى غلب على جميع أرض الشام وصارت كلها لبني إسرائيل وفرق عماله نواحيها وجميع الغنائم فجاءت النار لتأكلها فلم تطعمها فقال إن فيكم غلولا فليبايعني من كل قبيلة رجل ففعلوا فلصقت يد رجل بيده فقال فيكم الغلول فجاؤا برأس ثور من ذهب مكلل بالياقوت والجوهر قد غله رجل منهم فجعله في القربان وجعل الرجل معه فجاءت النار فأكلت الرجل والقربان وفي

(٣) قوله والثاني الخ هذا هو الجواب الثالث في شرح النووي على مسلم ونص الجواب الثاني فيه والثاني ان هذا على المجاز والمراد ان موسى ناظره وحاجه فغلبه بالحجة ويقال فقأ فلان عين فلان إذا غلبه بالحجة ويقال عورت الشيء إذا أدخلت فيه نقصا قال وفي هذا ضعف لقوله صلى الله عليه وسلم فرد الله عينه فان قيل أراد رد حجة كان بعيد والثالث الخ اه

فلا تأس على القوم الفاسقين) اى لا تحزن على مثل هؤلاء القوم فلبثوا أربعين سنة فى ستة فراسخ وهم ستمائة ألف مقاتل وكانوا يسيرون كل يوم جادين فاذا امسوا كانوا فى الموضع الذى ارتحلوا عنه وقيل ان موسى وهرون عليهما السلام لم يكونا فيهم والأصح أنهما كانا فيهم ولم يكن لهما عقوبة إنما كانت العقوبة لأولئك القوم ومات فى التيه كل من دخلها من جاوز عشرين سنة غير يوشع وكالب ولم يدخل اريحاء احد ممن قالوا إنا لن ندخلها أبدا علما هلكوا وانقضت الأربعون سنة ونشأت النواشئ من ذراريهم ساروا إلى حرب الجبارين واختلفوا فيمن تولى تلك الحرب وعلى يدى من كان الفتح فقال قوم وإنما فتح موسى اريحاء وكان يوشع على مقدمته فسار موسى عليه السلام إليهم ممن بقى من بنى إسرائيل فدخلها يوشع فقاتل الجبابرة ثم دخلها موسى عليه السلام فأقام فيها ماشاء الله تعالى ثم قبضه الله تعالى إليه ولا يعلم قبره أحد وهذا أصح الاقاويل لاتفاق العلماء ان عوج بن عنق قتله موسى عليه السلام وقال الآخرون إنما قاتل الجبارين يوشع ولم يسر إليهم بعد موت موسى عليه السلام وقالوا مات موسى وهرون جميعا فى التيه

﴿فصل فى ذكر وفاة هرون﴾

قال السدى أوحى الله عز وجل إلى موسى إنى متوفى هرون فات به جبل كذا وكذا فانطلق موسى وهرون عليهما السلام نحو ذلك الجبل فاذا هما بشجرة لم ير مثلها وإذا ببيت مبنى وفيه سرير عليه فرش وإذا فيه ريح طيبة فلما نظر هرون إلى ذلك أعجبه فقال يا موسى إنى أحب أن انام على هذا السرير قال فنم عليه فقال إنى احاف ان يأتى رب هذا البيت فيغضب على قال له موسى لا ترهب إنى اكفيك امر رب هذا البيت فيم قال يا موسى ثم انت معى فان جاء رب البيت غضب على وعليك جميعا فلما ناما أخذ هرون الموت فلما وجد مسه قال يا موسى خدعتنى فلما قبض رفع البيت وذهبت تلك الشجرة ورفع السرير به إلى السماء فلما رجع موسى إلى بنى إسرائيل وليس معه هرون قالوا إن موسى قتل هرون وحسده لحب بنى إسرائيل له فقال موسى عليه السلام ويحكم كان أخى فكيف اقتله فلما أكثروا عليه قام فصلى ركعتين ثم دعا الله تعالى ونزل السرير حتى نظروا إليه بين السماء والارض فصدقوه وعن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال صعد موسى وهرون عليهما السلام الجبل فمات هرون فقالت بنو إسرائيل لموسى عليه السلام أنت قتلته وآذوه فأمر الله الملائكة فحملوه حتى مروا به على بنى إسرائيل وتكلمت الملائكة بموته حتى عرف بنو إسرائيل انه قد مات فبراه الله تعالى مما قالوا ثم ان الملائكة

الحديث الصحيح ما يدل على صحة هذا وهو ما روى عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم غزا نبى من الأنبياء فقال لقومه لا يتبعنى رجل ملك بضعة امرأة وهو يريد ان يبنى بها ولم يبن بها ولا أحد بنى بيتا ولم يرفع سقوفها ولا رجل اشترى غنما أو خلفات وهو ينتظر أولادها فغزا فدنا من القرية صلاة العصر أو قريبا من ذلك فقال للشمس انك مأمورة وأنا مأمور اللهم احبسها علينا فحبست حتى فتح الله عليه فجمع الغنائم فجاءت يعنى النار لتأكلها فلم تطعمها فقال إن فيكم غلولا فليبايعنى من كل قبيلة رجل فلزقت يد رجل بيده فقال فيكم الغلول فجاءوا برأس مثل رأس بقرة من الذهب فوضعها فجاءت النار فأكلتها زاد فى رواية فلم تحل الغنائم لاحد قبلنا ثم أحل الله لنا الغنائم لما رأى ضعفنا وعجزنا فأحلها لنا اخرجه البخارى ومسلم ٭ شرح غريب هذا الحديث ٭ قوله لا يتبعنى رجل ملك بضع امرأة البضع بضم الباء كناية عن فرج المرأة ولم يبن بها اى لم يدخل عليها والخلفات النوق الحوامل وقوله للشمس إنك مأمورة وأنا مأمور اللهم احبسها علينا قال الشيخ محيى الدين قال القاضى عياض اختلف الناس فى حبس الشمس المذكور هنا فقيل ردت إلى ورائها وقيل وقفت ولم ترد وقيل بطء حركتها وكل ذلك من معجزات النبوة قال ويقال إن الذى حبست عليه الشمس يوشع بن نون قال القاضى وقد روى أن نبينا محمدا ﷺ حبست له الشمس مرتين إحداهما يوم الخندق حين شغلوا عن صلاة العصر حتى غربت الشمس فردها الله عليه حتى صلى العصر ذكر ذلك الطحاوى وقال رواته ثقات والثانية صبيحة ليلة الاسراء حين انتظر العير لما أخبر بوصولها مع شروق الشمس ذكره يونس بن بكير فى زياداته عن سبرة بن إسحق وقال وهب ثم مات يوشع بن نون ودفن فى جبل افرائيم وكان عمره مائة سنة وستا وعشرين سنة وكان تدبيره امر بنى إسرائيل بعد موسى سبعا وعشرين سنة وقيل إن الذى فتح اريحاء هو موسى عليه السلام وكان يوشع بن نون على مقدمته فسار إليهم بمن بقى من بنى إسرائيل فدخلها يوشع وقاتل الجبابرة ثم دخلها موسى واقام بها ما شاء الله تعالى ثم قبضه الله إليه ولا يعلم أحد قبره وهذا أصح الأقاويل لاتفاق العلماء ان موسى عليه السلام هو الذى قتل عوج بن عنق وهذا القول هو اختيار الطبرى ونقل عن السدى قال غضب موسى على قومه فدعا عليهم فقال رب إنى لا أملك إلا نفسى وأخى الآية فقال الله عز وجل فانها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون فى الارض فلما ضرب عليهم التيه ندم موسى وأتاه قومه الذين كانوا يطيعونه فقالوا له ما صنعت بنا يا موسى فمكثوا فى التيه فلما خرجوا منه رفع المن والسلوى والبقول والتقى موسى وعوج فنزا موسى فى السماء عشرة أذرع وكانت عصاه عشرة أذرع وكان طوله عشرة فأصاب كعب عوج فقتله قال الطبرى ولو كان قتل موسى إياه قبل مصيره فى التيه لم يجز بنو إسرائيل لانه كان من أعظم الجبارين وروى عن نون قال كان كاسر عوج ثمانمائة ذراع وقال وإن أهل العلم بأخبار الاولين مجمعون على أن بلعم بن باعورا كان ممن أعان الجبارين بالدعاء على موسى لانه كان يعلم الاسم الاعظم فدعا عليه وستر قصته فى سورة الاعراف إن شاء الله تعالى ٭ وقوله تعالى: (فلا تأس على القوم الفاسقين) يعنى لا تحزن عليهم لانهم أهل مخالفة وخروج عن الطاعة وقيل لما ندم موسى

حملوه ودفنوه فلم يطلع على موضع قبره أحدا لا الرخم بجعله الله أصم وأبكم وقال عمر بن ميمون مات هرون قبل موت موسى عليه السلام فى التيه وكانا قد خرجا إلى بعض الكهوف فمات هرون ودفنه موسى وانصرف إلى بنى اسرائيل فقالوا قتلته لحبنا إياه وكان محبا فى بنى اسرائيل فتضرع موسى عليه السلام إلى ربه عز وجل فأوحى الله إليه أن انطلق بهم إلى قبره فانى باعثه فانطلق بهم إلى قبره فناداه هرون فخرج من قبره ينفض رأسه فقال أنا قتلتك قال لا ولكنى مت قال فعد إلى مضجعك وانصرفوا وأما وفاة موسى عليه السلام قال ابن اسحاق كان موسى عليه الصلاة والسلام قد كره الموت واعظمه فاراد الله ان يحبب اليه الموت فنبا يوشع بن نون فكان يغدو ويروح عليه قل فيقول له موسى عليه السلام يا نبى الله ما احدث الله اليك فيقول له يوشع يا نبى الله ألم أصحبك كذا وكذا سنة فهل كنت اسألك عن شىء مما احدث الله اليك حتى تكون أنت الذى تبتدىء به وتذكره ولا يذكر له شيئا فلما رأى ذلك كره موسى الحياة وأحب الموت انا أبو على حسان بن سعيد المنيعى أنا أبو ظاهر محمد بن محمد بن محمش الزيادى أنا أبو بكر محمد بن الحسين القطان انا أحمد بن يوسف السلمى انا عبد الرزاق انا معمر عن همام بن منبه قال انا ابو هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ جاء ملك الموت الى موسى بن عمران فقال له اجب ربك قال فلطم موسى عليه السلام عين ملك الموت ففقأها فرجع الموت الى الله تعالى فقال إنك أرسلتنى الى عبدلك لا يريد الموت وقد فقأ عينى قال فرد الله اليه عينه وقال ارجع الى عبدى فقل له الحياة تريد فان كنت تريد الحياة فضع يدك على متن ثور فما وارت يدك من شعرة فانك تعيش بها سنة قال ثم مه قال ثم تموت قال فالان من قريب رب ادنى من الأرض المقدسة رمية بحجر قال رسول الله ﷺ والله لو انى عنده لاريتكم قبره إلى جنب الطريق عند الكثيب الأحمر وقال وهب خرج موسى لبعض حاجته فمر برهط من الملائكة يحفرون قبرا لم ير شيئا قط احسن منه ولا مثل ما فيه من الخضرة والنضرة والبهجة فقال لهم يا ملائكة الله لم تحفرون هذا (٣١) القبر قال العبد كريم على ربه فقال ان هذا العبد لمن الله له بمنزلة ما رأيت كاليوم مضجعا فقالت الملائكة يا صفى الله تحب أن يكون لك قال وددت قالوا فانزل واضطجع فيه وتوجه الى ربك قال فاضطجع فيه وتوجه الى ربه ثم تنفس اسهل تنفس فقبض الله تبارك وتعالى روحه ثم سوت عليه الملائكة وقيل ان ملك الموت اتاه بتفاحة من الجنة فشمها فقبض روحه وكان عمر موسى مائة وعشرين سنة فلما مات موسى عليه السلام وانقضت الاربعون سنة بعث الله يوشع نبيا فاخبرهم ان الله قد أمره بقتال الجبارة فصدقوه وتابعوه فتوجه ببنى إسرائيل إلى اريحاء ومعه تابوت الميثاق فاحاط بمدينة اريحاء ستة اشهر فلما كان السابع نفخوا فى القرون وضج الشعب ضجة واحدة فسقط سور المدينة ودخلوا فقاتلوا الجبارين وهزموهم وهجموا عليهم يقتلونهم وكانت العصابة من بنى إسرائيل يجتمعون على عنق الرجل يضربونها حتى يقطعوها فكان القتال يوم الجمعة فبقيت منهم بقية وكادت الشمس تغرب وتدخل ليلة السبت فقال اللهم اردد الشمس على وقال للشمس انك فى طاعة الله سبحانه وتعالى وأنا فى طاعته فسأل الشمس ان تقف والقمر ان يقيم حتى ينتقم من اعداء الله تعالى قبل دخول السبت فردت عليه الشمس وزيدت فى النهار ساعة حتى قتلهم اجمعين وتتبع ملوك الشام فاستباح منهم أحدا ثلاثين ملكا حتى غلب على جميع ارض الشام وصارت الشام كلها لبنى إسرائيل وفرق عماله فى نواحيها وجمع الغنائم فلم تنزل النار فاوحى الله إلى يوشع ان فيها غلولا فرهم فليبايعوك فبايعوه فالتصقت يد رجل منهم بيده ففال هلم عندك فاتاه برأس ثور من ذهب مكلل بالياقيت والجواهر كان قد غله فجعله فى القربان وجعل الرجل معه فجاءت النار فاكلت الرجل والقربان ثم مات يوشع ودفن فى جبل افرائيم وكان عمره مائة وستا وعشرين سنة وتدبيره أمر بنى إسرائيل من بعد موسى عليه السلام سبعا وعشرين سنة قوله تعالى (واتل عليهم نبأ ابنى ادم بالحق) وهما هابيل وقابيل ويقال له قابين (اذ قربا قربانا) وكان سبب قربانهما على ما ذكره اهل العلم ان حواء كانت تلد لادم عليه السلام فى كل بطن غلاما وجارية وكان جميع ما ولدته أربعين ولدا فى عشرين بطنا اولهم قابيل وتوامته اقليما واخرهم عبد المغيث وتوامته امة المغيث ثم بارك الله عز وجل فى نسل ادم عليه السلام قال ابن عباس لم يمت ادم حتى بلغ بلغ ولده وولد ولده اربعين الفا واختلفوا فى مولد قابيل وهابيل فقال بعضهم غشى ادم حواء بعد مهبطهما الى الارض بمائة سنة فولدت له قابيل وتوأمته اقليما فى بطن واحد ثم هابيل وتوامته لبودا فى بطن وقال محمد بن اسحق عن بعض

موسى على ما دعاه على قومه أوحى الله اليه فلا تأس على القوم الفاسقين قال الزجاج وجائز أن يكون خطابا لمحمد ﷺ أى لا تحزن يا محمد على قوم لم يزل شانهم المعاصى ومخالفة الرسل * قوله عز وجل (واتل عليهم نبأ ابنى آدم بالحق) يعنى اذكر لقومك واخبرهم خبر ابنى آدم وهما هابيل وقابيل فى قول جمهور المفسرين ونقل عن الحسن والضحاك ابنى ادم اللذين قربا القربان ما كان ابنى ادم لصلبه وانما كانا رجلين من بنى اسرائيل ويدل عليه قوله تعالى فى اخر القصة من أجل ذلك كتبنا على بنى اسرائيل انه من قتل نفسا بغير نفس الاية والصحيح ماذهب اليه جمهور المفسرين لان الله تعالى قال فى اخر الاية فبعث الله غرابا يبحث فى الأرض لأن القاتل جهل ما يصنع بالمقتول حتى تعلم من فعل الغراب بالحق أى اخبرهم خبرا ملتبسا بالحق والصدق لانه من عند الله وموافقا لما فى الكتب المتقدمة وهم يعلمون صحته ومقصود هذا الخبر هو تقبيح الحسد لان المشركين واهل الكتاب كانوا يحسدون رسول الله ﷺ (إذ قربا قربانا) القربان اسم لما يتقرب به الى الله عز وجل من صدقة او ذبيحة أو غير ذلك مما يتقرب به

أهل العلم بالكتاب الأول آدم كان يغشى حواء في الجنة قبل أن يصيب الخطيئة فحملت فيها بقابيل وتوأمته إقليما فلم تجد عليهما وحما ولا وصبا ولا طلقا حتى ولدتهما ولم ترمعهما دما فلما هبط إلى الأرض تغشاها فحملت بهابيل وتوأمته فوجدت عليهما الوحم والوصب والطلق والدم وكان آدم إذا شب أولاده يزوج غلام هذا البطن جارية بطن أخرى فكان الرجل منهم يتزوج أية اخواته شاء إلا توأمته التي ولدت معه لانه لم يكن يومئذ نساء إلا (٣٢) اخواتهم فلما ولد قابيل وتوأمته اقليما ثم هابيل وتوأمته لبودا وكان بينهما سنتان في

﴿ ذكر قصة القربان وسببه وقصة قتل قابيل هابيل ﴾

ذكر أهل العلم بالاخبار والسير ان حواء كانت تلد لآدم في كل بطن غلاما وجارية فكان جميع ما ولدته اربعين ولدا في عشرين بطنا اولهم قابيل وتوأمته إقليما وآخرهم عبد المغيث وتوأمته ام المغيث ثم بارك الله في نسل آدم قال ابن عباس لم يمت آدم حتى بلغ ولده وولد ولده اربعين ألفا واختلفوا في مولد قابيل وهابيل فقال بعضهم غشي آدم حواء بعد هبوطها إلى الارض بمائة سنة فولدت له قابيل وتوأمته اقليما في بطن ثم هابيل وتوأمته لبودا في بطن وقال محمد بن اسحق عن بعض اهل العلم بالكتاب الاول ان ادم كان يغشى حواء في الجنة قبل ان يصيب الخطيئة فحملت بقابيل واخته فلم تجد عليهما وحما ولا صبا ولا طلقا ولم تر دما وقت الولادة فلما هبط إلى الارض تغشاها فحملت بهابيل وتوأمته فوجدت عليهما الوحم والوصب والطلق والدم وكان إذا كبر اولاده زوج غلام هذا البطن جارية بطن اخرى وكان الرجل منهم يتزوج اية اخواته شاء غير توأمته التي ولدت معه لانه لم يكن يومئذ نساء إلا اخواتهم فكبر قابيل واخوه هابيل كان بينهما سنتان فلما بغوا امر الله ادم ان يزوج قابيل لبودا اخت هابيل ويزوج هابيل اقليما وكانت إقليما احسن من لبودا فذكر ادم ذلك لهما فرضي هابيل وسخط قابيل وقال هي اختي وانا احق بها ونحن من أولاد الجنة وهما من أولاد الارض فقال ابوه ادم إنها لا تحل لك فابى ان يقبل ذلك وقال إن الله لم يأمرك بهذا وإنما هو من رايك فقال لهما ادم قربا قربانا فايكما تقبل قربانه فهو احق بها وكانت القرابين إذا كانت مقبولة نزلت من السماء نار بيضاء فاكلتها وإن لم تكن مقبولة لم تنزل النار بل اكلها الطير والسباع فخرجا من عند ادم ليقربا القربان وكان قابيل صاحب زرع فقرب صبرة من طعام ردي وأضمر في نفسه لا ابالي يتقبل مني ام لا لا يتزوج اختي احدا غيري وكان هابيل صاحب غنم فعدل إلى احسن كبش في غنمه فقربه وأضمر في نفسه رضا الله فوضعا قربانهما على جبل ثم دعا ادم فنزلت النار من السماء فاكلت قربان هابيل ولم تاكل قربان قابيل فذلك قوله تعالى (فتقبل من احدهما) يعني هابيل (ولم يتقبل من الآخر) يعني قابيل فغضب قابيل إذ لم يتقبل قربانه فاضمر لاخيه الحسد الى ان اتى ادم مكة لزيارة البيت وغاب عنهم فأتى قابيل هابيل وهو في غنمه (قال لاقتلنك قال) قال هابيل ولم تقتلني قال قابيل لان الله تقبل قربانك ورد قرباني وتريدان تنكح اختي الحسناء وانكح اختك الدميمة فيتحدث الناس انك خير مني ويفخر ولدك على ولدي فقال هابيل وماذنبي (إنما يتقبل الله من المتقين) يعني ان حصول التقوى شرط في قبول الاعمال فلذلك كان احد القربانين مقبولا دون الآخر ولان التقوى من اعمال القلوب وكان قد اضمر في قلبه الحسد لاخيه على تقبل قربانه وتوعده بالقتل فقال له إنما اوتيت من قبل نفسك لانسلاخها من لباس التقوى وإنما يتقبل الله من المتقين فاجابه بجواب مختصر وقيل يحتمل ان يكون خطابا للنبي ﷺ فكانه تعالى بين للنبي صلى الله عليه وسلم انه انما لم يتقبل قربانه لانه لم يكن متقيا وانما يتقبل الله من المتقين ثم قال تعالى اخبارا عن هابيل (لئن بسطت الى يدك) يعني لئن مددت الى يدك (لتقتلني ما انا بباسط يدي اليك لاقتلك) يعني ما انا بمنتصر لنفسي بل استسلم لامر الله وقيل معناه ما كنت بمبتدئك بالقتل وذلك ان الله كان قد حرم عليهم قتل نفس بغير نفس ظلما وقال مجاهد كان قد كتب عليهم اذا اراد الرجل ان يقتل رجلا تركه ولا

قول الكلبي وادركوا امر الله تعالى آدم عليه السلام ان ينكح قابيل لبودا اخت هابيل وينكح هابيل اقليما اخت قابيل وكانت اخت قابيل احسن من اخت هابيل فذكر ذلك ادم لولده فرضي هابيل وسخط قابيل وقال هي اختي انا احق بها ونحن من ولادة الجنة وهما من ولادة الارض فقال له ابوه انها لا تحل لك فابى ان يقبل ذلك وقال ان الله لم يامره بهذا وانما هو من رايه فقال لهما ادم عليه السلام فقربا قربانا فايكما يقبل قربانه فهو احق بها وكانت القرابين اذا كانت مقبولة نزلت نار من السماء بيضاء فاكلتها واذا لم تكن مقبولة لم تنزل النار واكلته الطير والسباع فخرجا ليقربا قربانا وكان قابيل صاحب زرع فقرب صبرة من طعام من ارد أزرعه وأضمر في نفسه ما ابالي يقبل مني أو لا لا يتزوج أختي أبدا وكان هابيل صاحب غنم فعمد الى احسن كبش في غنمه فقرب به واضمر في نفسه رضا الله عز وجل فوضعا قربانهما على الجبل ثم دعا ادم عليه السلام فنزلت نار من السماء واكلت قربان قابيل فذلك قوله عز وجل (فتقبل من احدهما) يعني هابيل يمتنع (ولم يتقبل من الآخر) يعني قابيل فنزلوا على الجبل وقد غضب قابيل لرد قربانه وكان يضمر الحسد في نفسه الى ان اتى ادم مكة لزيارة البيت فلما غاب ادم اتى قابيل هابيل وهو في غنمه (قال لاقتلنك) قال ولم قال لان الله تعالى قبل قربانك ورد قرباني وتنكح اختي الحسناء وانكح اختك الدميمة فيتحدث الناس انك خير مني ويفتخر ولدك على ولدي (قال) هابيل وما ذنبي (انما يتقبل الله من المتقين لئن بسطت) اي مددت (الي يدك لتقتلني ما انا بباسط يدي اليك لاقتلك

إنى أخاف الله رب العالمين) قال عبد الله بن عمرو ايم الله ان كان المقتول لاشد الرجلين ولكن منعه التحرج أن يبسط إلى أخيه يده وهذا فى الشرع جائز لمن أريد قتله ان ينقاد ويستسلم طلبا للاجر كما فعل عثمان رضى الله عنه قال مجاهد كتب الله فى ذلك الوقت إذا أراد رجل قتل رجل أن يمتنع ويصبر (إنى أريد أن تبوء) ترجع وقيل تحمل (باثمى وإثمك) باثم قتلى إلى اثمك اى اثم معاصيك التى عملتها من قبل هذا قول أكثر المفسرين وروى ابن ابى نجيح عن مجاهد قال معناه انى اريد ان يكون عليك خطيئتى التى عملتها إنا اذا قتلتنى واثمك فتبوء بخطيئتى ودمى جميعا وقيل معناه أن ترجع باثم قتلى واثم معصيتك التى لم يتقبل لأجلها قربانك او اثم حسدك فان قيل كيف قال إنى أريد ان تبوء باثمى واثمك وارادة القتل والمعصية لا تجوز قبل ذلك ليس بحقيقة ارادة ولكنه لما علم انه يقتله لا محالة (٣٣) وطن نفسه على الاستسلام طلبا للثواب

يمتنع منه وقيل ان المقتول كان اقوى من القاتل وأبطش منه ولكنه تحرج عن قتل أخيه فاستسلم له خوفا من الله فذلك قوله (إنى أخاف الله رب العالمين) والمعنى إنى اخاف الله فى بسط يدى إليك وأن أبسطها لقتلك أن يعاقبنى على ذلك قوله عز وجل إخبارا عن هابيل (انى اريد ان تبوء باثمى وإثمك) يعنى ترجع باثم قتلى إلى اثم معاصيك التى عملتها من قبل * فان قلت كيف قال هابيل انى اريد وارادة القتل والمعصية من الغير لا تجوز * قلت أجاب ابن الأنبارى عن هذا بأن قال ان قابيل لما قال لأخيه هابيل لأقتلنك وعظه هابيل وذكره الله واستعطفه وقال لئن بسطت إلى يدك الآية فلم يرجع فلما راه هابيل قد صمم على القتل وأخذ له الحجارة ليرميه بها قال هابيل عند ذلك انى أريد ان تبوء باثمى واثمك اى اذا قتلتنى ولم يندفع قتلك اياى الا بقتلى إياك فحينئذ يلزمك اثم قتلى اذا قتلتنى فكان هذا عدلا من هابيل واليه أشار الزجاج فقال معناه ان قتلتنى فاانا مريد ذلك فهذه الإرادة منه بشرط أن يكون قاتلا له والانسان إذا تمنى ان يكون اثم دمه على قاتله لم يدل على ذلك وعلى هذا التاويل قال بعضهم معناه انى أريد ان تبوء بعقاب اثمى واثمك فحذف المضاف وما باء باثم باء بعقاب ذلك الاثم ذكره الواحدى وقال الزمخشرى ليس ذلك بحقيقة الارادة لكنه لما علم انه يقتله لا محالة وطن نفسه على الاستسلام للقتل طلبا للثواب فكانه صار مريدا لقتله مجازا وان لم يكن مريدا حقيقة (فتكون من أصحاب النار) يعنى الملازمين لها (وذلك جزاء الظالمين) يعنى جهنم جزاء من قتل اخاه ظلما * قوله تعالى (فطوعت له نفسه قتل أخيه) يعنى زينت له وسهلت عليه القتل وذلك ان الانسان إذا تصور ان قتل النفس من اكبر الكبائر صار ذلك صارفا له عن القتل فلا يقدم عليه فاذا سهلت عليه نفسه هذا الفعل فعله بغير كلفة فهذا هو المراد من قوله تعالى فطوعت له نفسه قتل أخيه (فقتله) قال ابن جريج لما قصد قابيل قتل هابيل لم يدر كيف يقتله فتمثل له ابليس وقد أخذ طيرا فوضع رأسه على حجر ثم رضخه بحجر اخر وقابيل ينظر فعلمه القتل فرضخ قابيل رأس هابيل بين حجرين وهو مستسلم صابر وقيل بل اغتاله وهو نائم فقتله واختلف فى موضع قتله فقال ابن عباس على جبل ثور وقيل على عقبة حراء وقيل بالبصرة عند مسجدها الأعظم وكان عمر هابيل يوم قتل عشرين سنة * وقوله تعالى (فاصبح من الخاسرين) قال ابن عباس خسر دنياه واخرته اما دنياه فاسخاط والديه وبقى بلا أخ وأما اخرته فاستخطر به وصار إلى النار (ق) عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله ﷺ لا تقتل نفسا ظلما الا كان على ابن ادم الأول كفل من دمها لأنه أول من سن القتل * قوله تعالى (فبعث الله غرابا يبحث فى الأرض ليريه كيف يوارى سوءة أخيه) قال أصحاب الأخبار لما قتل قابيل هابيل تركه بالعراء ولم يدر ما يصنع به لأنه أول ميت من بنى ادم على وجه الأرض فقصدته السباع لتأكله فحمله قابيل على ظهره فى جراب أربعين يوما وقال ابن عباس حتى اروح واتن فاراد الله ان يرى قابيل سنته فى موتى بنى ادم فى الدفن فبعث الله غرابين فاقتتلا فقتل احدهما الاخر فحفر له بمنقاره ورجليه حفيرة ثم القاه فيها ووراه بالتراب وقابيل ينظر فذلك قوله تعالى فبعث الله غرابا يبحث فى الأرض يعنى يحفرها وينثر ترابها

فكانه صار مريدا لقتله مجازا وان لم يكن مريدا حقيقة وقيل معناه انى أريد ان تبوء بعقاب قتلى فيكون إرادة صحيحة لأنها موافقة لحكم الله عز وجل فلا يكون هذا ارادة للقتل بل لموجب القتل من الإثم والعقاب (فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين) قوله عز وجل (فطوعت له نفسه) أى طاوعته وشايعته وعاونته (قتل أخيه) فى قتل أخيه وقال مجاهد فشجعته وقال قتادة فزينت له نفسه وقال يمان سهلت له ذلك أى جعلته سهلا تقديره صورت له نفسه ان قتل أخيه طوع له أى سهل عليه فقتله فلما قصد قابيل قتله لم يدر كيف يقتله قال ابن جريج فتمثل له ابليس وأخذ طيرا فوضع رأسه على حجر ثم شدخ رأسه بحجر آخر وقابيل ينظر اليه فعلمه القتل فرضخ

قابيل راس هابيل بين حجرين قيل قتل وهو مستسلم وقيل اغتاله وهو فى النوم فشدخ راسه فقتله وذلك قوله تعالى (فقتله فاصبح من الخاسرين) وكان لهابيل يوم قتل عشرين سنة واختلفوا فى موضع قتله قال ابن عباس رضى الله عنهما على جبل ثور وقيل عند عقبة حراء فلما قتله تركه بالعراء ولم يدر ما يصنع به لانه كان أول ميت على وجه الأرض من بنى ادم وقصدته السباع فحمله فى جراب على ظهره أربعين يوما وقال ابن عباس سنة حتى اروح وعكفت عليه الطير والسباع تنتظر متى يرمى به فتأكله فبعث الله غرابين فاقتتلا فقتل احدهما صاحبه ثم حفر له بمنقاره ورجله حتى مكن له ثم القاه فى الحفرة ووراه وقابيل ينظر اليه فذلك قوله تعالى (فبعث الله غرابا يبحث فى الأرض ليريه كيف يوارى سوءة اخيه) فلما رأى قابيل ذلك

(قال ياويلتا أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأوارى سوأة أخى) أى جيفته وقيل عورته لأنه قد سلب ثيابه (فاصبح من النادمين) على حمله على عاتقه لا على قتله وقيل على فراق أخيه وقيل ندم لقلة النفع بقتله فانه أسخط والديه وما انتفع بقتله شيئا ولم يكن ندمه على القتل وركوب الذنب قال عبد المطلب بن عبد الله بن حنطب لما قتل ابن آدم أخاه وجفت الأرض بما عليها سبعة أيام ثم شربت الأرض دمه كما يشرب الماء فناداه آدم أين أخوك هابيل قال ما أدرى ما كنت عليه رقيبا فقال آدم إن دم أخيك لينادينى من الأرض فلم قتلت أخاك قال فأين دمه إن كنت قتلته فحرم الله عز وجل على الأرض يومئذ أن تشرب دما بعده أبدا وقال مقاتل بن سليمان عن الضحاك عن ابن عباس رضى الله عنهما لما قتل قابيل هابيل وآدم عليه السلام بمكة اشتاك الشجر وتغيرت الاطعمة وحمضت الفواكه وأمر الماء وأغبرت الارض فقال آدم عليه السلام قد حدث فى الارض حدث فاتى الهند فاذا قابيل قد قتل هابيل فأنشأ يقول وهو اول من قال الشعر

تغيرت البلاد ومن عليها ... فوجه الأرض مغبر قبيح

تغير كل ذى طعم ولون ... وقل بشاشة الوجه المليح

وروى عن ميمون ابن مهران عن ابن عباس رضى الله عنهما قال من قال ان ادم عليه السلام قال شعرا فقد كذب على الله ورسوله فان محمدا ﷺ والانبياء كلهم عليهم السلام فى النهى عن الشعر سواء ولكن لما قتل قابيل وهابيل رثاه آدم وهو سريانى فلما قال ادم مرثيته قال لشيث يا بنى انك وصى احفظ هذا الكلام ليتوارث فيرق الناس عليه فلم يزل ينتقل حتى وصل إلى يعرب بن قحطان وكان يتكلم بالعربية والسريانية وهو اول من خط بالعربية وكان يقول الشعر فنظر فى المرثية فرد المقدم إلى المؤخر والمؤخر إلى المقدم فوزنه شعرا وزاد فيه أبيات منها

وما لى لا اجود بسكب دمع ... وهابيل تضمنه الضريح

ارى طول الحياة على غما ... فهل انا من حياتى مستريح

قال الزمخشرى ويروى انه مر ثاه بشعر وهو كذب بحت وما الشعر إلا منحول ممحون وقد صح ان الانبياء عليهم السلام فلما مضى من عمر آدم عليه السلام مائة وثلاثون سنة وذلك بعد قتل هابيل بخمس سنين ولدت له حواء شيثا واسمه عبد الله يعنى انه خلف من هابيل علمه الله تعالى ساعات الليل والنهار وعلمه عبادة الحق فى كل ساعة منها وانزل عليه خمسين صحيفة فصار وصى آدم وولى عهده واما قابيل فقيل له اذهب طريدا شريدا فزعا مرعوبا لا تأمن من تراه فأخذ بيد اخته إقليما وهرب بها إلى عدن من ارض اليمن فاتاه إبليس فقال له إنما كانت النار قربان هابيل لانه كان يعبد النار فانصب ايضا انت نارا تكون لك ولعقبك فبنى بيتا للنار فهو اول من عبد النار وكان لا يمر به احد من ولده إلا رماه فاقبل ابن له اعمى ومعه ابن له فقال للاعمى ابنه هذا ابوك قابيل فرمى الاعمى اباه فقتله فقال ابن الاعمى قتلت اباك فرفع يده ولطم ابنه

ليريه كيف يوارى سوأة أخيه يعنى ليرى الله أو يرى الغراب قابيل كيف يوارى ويستر جيفة أخيه فلما رأى ذلك قابيل من فعل الغراب قال ياويلتا) أى لزمه الويل وحضره وهى كلمة تحسر وتلهف وتستعمل عند وقوع الداهية العظيمة وذلك أنه ما كان يعلم كيف يدفن المقتول فلما علم ذلك من فعل الغراب علم أن الغراب اكثر علما منه وعلم انه إنما ندم على قتل أخيه بسبب جهله وعدم معرفته فعند ذلك تلهف وتحسر على ما فعله فقال ياويلتا وفيه اعتراف على نفسه باستحقاق العذاب (أعجزت أن اكون مثل هذا الغراب) يعنى مثل هذا الغراب الذى وارى الغراب الآخر (فأوارى سوأة أخى) يعنى فأستر جيفته وعورته عن الاعين (فاصبح من النادمين) يعنى على حمله على ظهره مدة السنة لا على قتله وقيل انه ندم على قتل أخيه لانه لم ينتفع بقتله وسخط عليه أبواه وإخوته فندم لاجل ذلك لا لاجل أنه جنى جناية واقترف ذنبا عظيما بقتله فلم يكن ندمه ندم توبة وخوف وإشفاق من فعله فلأجل ذلك لم ينفعه الندم قال المطلب بن عبد الله ابن حنطب لما قتل ابن آدم وجفت الارض بمن عليها سبعة أيام وشربت دم المقتول كما تشرب الماء فناداه الله تعالى أين أخوك هابيل فقال ما أدرى ما كنت عليه رقيبا فقال الله تعالى ان دم أخيك لينادينى من الارض فلم قتلت أخاك قال فأين دمه إن كنت قتلته فحرم الله تعالى على الارض يومئذ أن تشرب دما بعده أبدا ويروى عن ابن عباس قال لما قتل قابيل هابيل كان آدم بمكة اشتاك الشجر وتغيرت الاطعمة وحمضت الفواكه وأغبرت الارض فقال آدم قد حدث فى الارض حدث فأتى الهند فوجد قابيل قد قتل هابيل وقيل لما رجع آدم سأل قابيل عن اخيه فقال ما كنت عليه وكيلا فقال بل قتلته ولذلك اسود جلدك وقيل أن آدم مكث بعد قتل هابيل مائة سنة لا يضحك وأنه رثاه بشعر فقال

تغيرت البلاد ومن عليها * فوجه الارض مغبر قبيح

تغير كل ذى طعم ولون * وقل بشاشة الوجه المليح

ويروى عن ابن عباس انه قال من قال ان آدم قال شعرا فقد كذب وأن محمدا ﷺ والانبياء كلهم فى النهى سواء ولكن لما قتل هابيل رثاه ادم وهو سريانى فلما قال ادم مرثيته قال لشيث يا بنى انت وصى احفظ هذا الكلام ليتوارث فيرثى الناس عليه فلم يزل ينتقل حتى وصل إلى يعرب ابن قحطان وكان يتكلم بالعربية والسريانية وهو أول من خط العربية وكان يقول الشعر فنظر فى المرثية فرد المقدم إلى المؤخر والمؤخر إلى المقدم فوزنه شعرا وزاد فيه ابيات منها

وما لى لا اجود بسكب دمع * وهابيل تضمنه الضريح

ارى طول الحياة على غما * فهل انا من حياتى مستريح

قال الزمخشرى ويروى انه مر ثاه بشعر وهو كذب بحت وما الشعر إلا منحول ممحون وقد صح ان الانبياء

عليهم السلام معصومون من الشعر قال الامام فخر الدين الرازى ولقد صدق صاحب الكشاف فيما قال فان ذلك الشعر فى غاية الركاكة لا يليق إلا بالحمق من المعلمين فكيف ينسب إلى من جعل الله عليه حجة على الملائكة قال أصحاب الاخبار فلما مضى من عمر آدم مائة وثلاثون سنة وذلك بعد قتل هابيل بخمسين سنة ولدت له حواء شيثا وتفسيره هبة الله يعنى انه خلف من هابيل وعليه الله تعالى ساعات الليل والنهار وعليه عبادة الخلق فى كل ساعة وأنزل عليه خمسين صحيفة وصار وصى آدم وولى عهده وأما قابيل فقيل له اذهب طريدا شريدا فزعا مرعوبا لا تأمن من تراه فأخذ بيد أخته إقليما وهرب بها إلى عدن من أرض اليمن فأتاه إبليس وقال له إنما أكلت النار قربان هابيل لأنه كان يعبدها فانصب انت نارا تكون لك ولعقبك فى بيت النار فهو أول من عبد النار وكان قابيل لا يمر به أحد إلا رماه بالحجارة فأقبل ابن لقابيل أعمى ومعه ابنه فقال ابن الأعمى لأبيه هذا أبوك قابيل فرماه بحجارة فقتله فقال ابن الأعمى لأبيه قتلت أباك قابيل فرفع الاعمى يده ولطم ابنه فمات فقال الاعمى ويل لى قتلت ابى بر ميتى وقتلت ابنى بلطمتى فلما مات قابيل علقت إحدى رجليه بفخذه وعلق بها فهو معلق بها إلى يوم القيامة ووجهه إلى الشمس حيث دارت وعليه حظيرة من نار فى الصيف وحظيرة من ثج فى الشتاء فهو يعذب بذلك إلى يوم القيامة قالوا واتخذ أولاد قابيل آلات اللهو من الطبول والزمور والعيدان والطنابير وانهمكوا فى اللهو وشرب الخمر وعبادة النار والفواحش حتى أغرقهم الله تعالى جميعا بالطوفان فى زمن نوح عليه السلام فلم يبق من ذرية قابيل أحد وابقى الله ذرية شيث ونسله إلى يوم القيامة * قوله تعالى (من أجل ذلك) يعنى بسبب ذلك القتل الذى حصل وقيل الاجل فى اللغة الجناية يقال أجلى عليهم شرا أى جنى عليهم شرا (كتبنا) أى فرضنا وأوجبنا (على بنى إسرائيل) فان قلت من أجل ذلك معناه من أجل ما مر من قصة قابيل وهابيل كتبنا على بنى إسرائيل وهذا مشكل لانه لا مناسبة بين واقعة قابيل وهابيل وبين وجوب القصاص على بنى إسرائيل قلت قال بعضهم هو من تمام الكلام الذى قبله والمعنى فأصبح من النادمين من أجل ذلك أى من أجل انه قتل هابيل ولم يواره ويروى عن نافع انه كان يقف على قوله من أجل ذلك ويجعله تمام الكلام الاول فعلى هذا يزول الاشكال لكن جمهور المفسرين وأصحاب المعانى على ان قوله من أجل ذلك ابتداء كلام وليس يوقف عليه فعلى هذا قال بعضهم ان قوله من أجل ذلك ليس هو إشارة إلى قصة قابيل وهابيل بل هو إشارة إلى ماذكره فى هذه القصة من أنواع المفاسد الحاصلة بسبب هذا القتل الحرام منها قوله فأصبح من الخاسرين وفيه إشارة إلى أنه حصلت له خسارة فى الدين والدنيا والاخرة ومنها قوله فأصبح من النادمين وفيه إشارة إلى أنه حظر فى أنواع الندم والحسرة والحزن مع انه لا دافع لذلك البتة فقوله من أجل ذلك كتبنا على بنى إسرائيل اى من أجل ذلك الذى ذكرناه أثناء القصة من أنواع المفاسد المتولدة من القتل العمد المحرم شرعنا القصاص على القاتل * فان قلت فعلى هذا تكون شريعة القصاص حكما ثابتا فى جميع الامم فما الفائدة بتخصيصه ببنى إسرائيل * قلت ان وجوب القصاص وإن كان عاما فى جميع الاديان والملل إلا أن التشديد المذكور ههنا فى حق بنى إسرائيل غير ثابت فى جميع الاديان والملل لانه تعالى حكم فى هذه الاية بأن من قتل نفسا فكأنما قتل الناس جميعا ولا يشك ان المقصود منه المبالغة فى عقاب قاتل النفس وعدانا وان اليهود مع علمهم بهذه المبالغة العظيمة أقدموا على قتل الانبياء والرسل وذلك يدل على قساوة قلوبهم وبعدهم عن الله عز وجل وما كان الغرض من ذكر هذه القصة تسلية للنبى ﷺ على ما أقدم عليه اليهود بالفتك بالنبى ﷺ وبأصحابه فتخصيص بنى إسرائيل فى هذه القصة بهذه المبالغة مناسب للكلام وتوكيد للمقصود والله أعلم بمراده * قوله عز وجل (انه من قتل نفسا) يعنى من قتل نفسا ظلما (بغير نفس) يعنى بغير قتل نفس لا على وجه الاقتصاص فيقاد من قاتل النفس عمدا وجه العدوان المحرم (أو فساد فى الارض) هو عطف على بغير نفس يعنى وبغير فساد فى الارض فيستحق به القتل لان القتل على أسباب كثيرة منها القصاص وهو المراد من قوله قتل نفسا بغير نفس ومنها الشرك والكفر بعد الايمان ومنها قطع الطريق ونحو ذلك وهو المراد من قوله أو فساد فى

ممات فقال الأعمى ويل لى قتلت أبى بر ميتى وقتلت ابنى بلطمتى وقال مجاهد فعلقت إحدى رجلى قابيل إلى فخذها وساقها وعلقت منها فهو معلق إلى يوم القيامة ووجهه إلى الشمس ماداريت عليه فى الصيف حظيرة من نار وفى الشتاء حظيرة من ثلج قال واتخذ أولاد قابيل آلات اللهو من اليراع والطبول والمزامير والعيدان والطنابير وانهمكوا فى اللهو وشرب الخمر وعبادة النار والزنا والفواحش حتى أغرقهم الله بالطوفان أيام نوح عليه السلام وبقى نسل شيث أخبرنا عبد الواحد المليحى أنا احمد بن عبد الله النعيمى أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسمعيل أنا عمر بن حفص بن غياث ثنا أبى الاعمش حدثنى عبد الله بن مرة عن مسروق عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ لا تقتل نفس ظلما إلا كان على ابن آدم الاول كفل من دمها لانه اول من سن القتل قوله عز وجل (من أجل ذلك) قرأ ابو جعفر من أجل ذلك بكسر النون موصولا وقراءة العامة بجزم النون وفتح الهمزة مقطوعا أى من جراء ذلك القاتل وجنايته يقال أجل يأجل أجلا إذا جنى مثل أخذ يأخذ أخذا (كتبنا على بنى إسرائيل أنه من قتل نفسا بغير نفس) قتلها

فيقاد منه (أو فساد فى الأرض) يريد بغير نفس وبغير فساد فى الأرض من كفر أو زنا أو قطع طريق أو نحو ذلك

الارض (فكانما قتل الناس جميعا ومن أحياها فكانما أحيا الناس جميعا) قال مجاهد من قتل نفسا محرمة يصلى النار بقتلها كما يصلاها بقتل الناس جميعا ومن سلم من قتلها فكانما سلم من قتل الناس جميعا وقال ابن عباس من قتل نبيا أو امام عدل فكانما قتل الناس جميعا ومن شد عضد نبي أو امام عدل فكانما أحيا الناس جميعا قبل معناه ان من قتل نفسا محرمة يجب عليه من القصاص مثل الذي يجب عليه لو قتل الناس جميعا ومن أحياها يعني من غرق أو حرق أو وقوع في هلكة فكانما أحيا الناس جميعا يعني ان له من الثواب مثل ثواب من أحيا الناس جميعا وقيل معناه من استحل قتل مسلم بغير حقه فكانما استحل قتل الناس جميعا لأنهم لا يسلمون منه ومن تورع عن قتل مسلم فكانما تورع عن قتل جميع الناس فقد سلموا منه قال أهل المعاني قوله ومن أحياها على المجاز لأن المحي هو الله تعالى في الحقيقة فيكون المعنى ومن نجاها من الهلاك فكانما نجى جميع الناس منه سئل الحسن عن هذه الاية هي انا هي لنا كما كانت لبني اسرائيل فقال اي والذي لا إله غيره ما كانت دماء بني اسرائيل اكرم على الله من دمائنا * وقوله تعالى (ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات) يعني ولقد جاءت بني اسرائيل رسلنا ببيان الاحكام والشرائع والدلالات الواضحات (ثم ان كثيرا منهم بعد ذلك) يعني بعد مجيء الرسل وبعد ما كتبنا عليهم تحريم القتل (في الارض لمسرفون) يعني بالقتل لا ينتهون عنه وقيل لمجاوزون حد الحق إنما قال تعالى وإن كثيرا منهم لانه تعالى علم ان منهم من يؤمن بالله ورسوله وهم قليل من كثير * قوله عز وجل (إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله) قال ابن عباس نزلت في قوم من اهل الكتاب كان بينهم وبين رسول الله ﷺ عهد وميثاق فنقضوا العهد وافسدوا في الارض فخير الله رسوله ﷺ ان شاء يقتل وإن شاء يصلب وإن شاء يقطع ايديهم وأرجلهم من خلاف وهذا قول الضحاك ايضا والكلبي نزلت في قوم هلال بن عويمر وذلك ان النبي ﷺ وادع هلال بن عويمر وهو ابو برزة الاسلمي على ان يعينه ولا يعين عليه ومن مر بهلال إلى النبي ﷺ فهو امن لا يهاج فمر قوم من بني كنانة يريدون الاسلام بقوم هلال ولم يكن هلال شاهدا فشدوا عليهم فقتلوهم وأخذوا اموالهم فنزل جبريل عليه السلام بالقضاء فيهم بهذه الاية وقال سعيد بن جبير ونزلت هذه الاية في قوم من عرينة وعكل اتوا إلى رسول الله ﷺ وبايعوه على الاسلام وهم كذبة فاستوخموا المدينة فبعثهم رسول الله ﷺ إلى ابل الصدقة فارتدوا وقتلوا الراعي واستاقوا الابل (ق) عن انس بن مالك ان ناسا من عكل وعرينة قدموا على النبي ﷺ وتكلموا بالاسلام فقالوا يا نبي الله انا كنا اهل ضرع ولم نكن اهل ريف واستوخموا المدينة فامر لهم النبي ﷺ بذود وراع وامرهم ان يخرجوا فيه فيشربوا من البانها وأبوالها فانطلقوا حتى إذا كانوا ناحية الحرة كفروا بعد الاسلام وقتلوا راعي النبي ﷺ واستاقوا الذود فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فبعث الطلب في اثرهم فامر بهم فسمروا اعينهم وقطعوا ايديهم وارجلهم وتركوا في ناحية الحرة حتى ماتوا على حالهم قال قتادة بلغنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان بعد ذلك يحث على الصدقة وينهى عن المثلة زاد في رواية قال قتادة فحدثني ابن سيرين ان ذلك قبل ان تنزل الحدود وفي رواية للبخاري ان ناسا من عرينة اجتووا المدينة فرخص لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ياتوا ابل الصدقة فيشربوا من البانها وابوالها فقتلوا الراعي واستاقوا الذود فارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتي بهم فقطع ايديهم وارجلهم وسمر اعينهم ونركهم في الحرة يعضون الحجارة زاد في رواية قال أبو قلابة وأي شيء أشد مما صنع هؤلاء ارتدوا عن الاسلام وقتلوا وسرقوا وفي رواية ابي داود ان قوما من عكل او قال من عرينة قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجتووا المدينة فامر لهم النبي صلى الله عليه وسلم بلقاح وامرهم ان يشربوا من ابوالها والبانها فانطلقوا فلما صحوا قتلوا راعي رسول الله ﷺ واستاقوا النعم فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خبرهم من أول النهار فارسل في اثارهم فما ارتفع النهار حتى جيء بهم فقطعت ايديهم وارجلهم وسمرت اعينهم والقوا في الحرة يستسقون فلا يسقون قال ابو قلابة فهؤلاء قوم سرقوا وقتلوا وكفروا بعد إيمانهم وحاربوا الله ورسوله وزاد في

(فكانما قتل الناس جميعا) اختلفوا في تأويلها قال ابن عباس رضي الله عنهما في رواية عكرمة من قتل نبيا أو امام عدل فكانما قتل الناس جميعا ومن شد عضد نبي أو إمام عدل فكانما أحيا الناس جميعا قال مجاهد من قتل نفسا محرمة يصلى النار بقتلها كما يصلى لو قتل الناس جميعا ومن أحياها من سلم من قتلها فقد سلم من قتل الناس جميعا قال قتادة أعظم الله أجرها وعظم وزرها معناه من استحل قتل مسلم بغير حقه فكانما قتل الناس جميعا في الاثم لأنهم لا يسلمون منه (ومن أحياها) وتورع عن قتلها (فكانما أحيا الناس جميعا) في الثواب لسلامتهم منه قال الحسن فكانما قتل الناس جميعا يعني انه يجب عليه من القصاص بقتلها مثل الذي يجب عليه لو قتل الناس جميعا ومن أحياها أي عفا عمن وجب عليه القصاص له فلم يقتله فكانما أحيا الناس جميعا قال سليمان بن علي قلت للحسن يا أبا سعيد أهي لنا كما كانت لبني إسرائيل قال أي والذي لا إله غيره ما كانت دماء بني إسرائيل أكرم على الله من دمائنا (ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات ثم ان كثيرا منهم بعد ذلك في الأرض لمسرفون إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله

ويسعون فى الأرض فسادا) قال الضحاك نزلت فى قوم من أهل الكتاب كان بينهم وبين رسول الله ﷺ عهد فنقضوا العهد وقطعوا السبيل وافسدوا فى الارض وقال الكلبى نزلت فى قوم هلال بن عويمر وذلك أن النبى ﷺ وادع هلال بن عويمر وهو أبو بردة الاسلمى على أن لا يعينه ولا يعين عليه ومن مر بهلال بن عويمر إلى رسول الله ﷺ فهو آمن لا يهاج فمر قوم من بنى كنانة يريدون الاسلام بناس من اسلم من قوم هلال بن عويمر ولم يكن هلال شاهدا فشدوا عليهم فقتلوهم وأخذوا أموالهم فنزل جبريل عليه السلام بالقبضة فيهم وقال سعيد بن جبير نزلت فى ناس من عرينة وعكل أتوا النبى ﷺ وبايعوه على الاسلام وهم كذبة فبعثهم النبى ﷺ إلى إبل الصدقة فارتدوا وقتلوا الراعى واستاقوا الابل اخبرنا عبد الواحد المليحى أنا احمد بن عبد الله النعيمى انا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا على بن عبد الله ثنا الوليد بن مسلم ثنا الاوزاعى حدثنى يحيى بن أبى كثير حدثنى أبو قلابة الجرمى عن انس بن مالك رضى الله عنه قال قدم على النبى ﷺ نفر من عكل فاسلموا واجتووا المدينة فأمرهم النبى ﷺ أن يأتوا إبل الصدقة فيشربوا من أبوالها والبانها ففعلوا فصحوا فارتدوا (٣٧) وقتلوا رعاتها واستاقوا الابل فبعث النبى ﷺ فى آثارهم فأتى بهم فقطع أيديهم وأرجلهم وسمل أعينهم ثم لم يحسمهم حتى ماتوا ورواه أيوب عن أبى قلابة عن انس رضى الله عنه قال فقطع أيديهم وأرجلهم ثم أمر بمسامير فكحلهم بها وطرحهم بالحرة يستسقون فما يسقون حتى ماتوا قال أبو قلابة قتلوا وسرقوا وحاربوا الله ورسوله وسعوا فى الارض فسادا واختلفوا فى حكم هؤلاء العرنيين فقال بعضهم هى منسوخة لان المثلة لا تجوز وقال بعضهم حكمه ثابت إلا السمل والمثلة وروى قتادة عن ابن سيرين ان ذلك كان قبل أن ينزل الحد وقال أبو الزناد فلما فعل رسول الله ﷺ بهم أنزل الله الحدود ونهاه عن المثلة فلم يعد وعن قتادة قال بلغنا أن رسول الله ﷺ بعد ذلك كان يحث على الصدقة وينهى عن المثلة وقال سليمان التيمى عن انس إنما سمل النبى ﷺ أعين أولئك لانهم سملوا أعين الرعاة وقال الليث بن سعد نزلت هذه الاية معاتبة لرسول الله ﷺ وتعليما منه إياه عقوبتهم وقال إنما جزاؤهم هذا إلا المثلة ولذلك ما قام النبى ﷺ خطيبا إلا نهى عن المثلة واختلفوا فى المحاربين الذين يستحقون هذا الحد فقال قوم هم الذين يقطعون الطريق ويحملون السلاح على المسلمين والمكابرون فى الامصار وهو قول الاوزاعى ومالك والليث بن سعد والشافعى رحمهم الله وقال قوم هم المكابرون فى الامصار ليس لهم حكم المحاربين فى استحقاق هذا الحد وهو قول ابو حنيفة رضى الله عنه وعقوبة المحاربين بين ماذكر الله سبحانه وتعالى (ان يقتلوا او يصلبوا او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف او ينفوا من الأرض) فذهب قوم إلى ان الامام بالخيار فى امر المحاربين بين القتل والقطع والصلب والنفى كما هو ظاهر الاية وهو قول سعيد بن المسيب والحسن والنخعى ومجاهد وذهب الأكثرون إلى ان هذه العقوبات على ترتيب الجرائم لا على التخيير لما اخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب انا عبد العزيز بن احمد الخلال انا ابو العباس الاصم انا الربيع انا الشافعى انا إبراهيم بن محمد عن صالح مولى التوأمة عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قطاع الطريق إذا قتلوا واخذوا المال قتلوا وصلبوا وإذا قتلوا ولم يأخذوا المال قتلوا ولم يصلبوا وإذا اخذوا المال ولم يقتلوا قطعت ايديهم وارجلهم من خلاف

رواية له وأنزل الله عز وجل إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الارض فسادا أن يقتلوا الاية * شرح غريب هذا الحديث وحكمه قوله انا كنا أهل ضرع يعنى أهل ماشية وبادية يعيش باللبن ولسنا من اهل المدن والريف هو الارض التى فيها زرع وخصب والجمع ارياف قوله استوخموا المدينة يعنى اصابهم تواف مزاجهم وكذا قوله فاجتووا المدينة وهو معناه والذود من الابل ما بين الثلاثة إلى العشرة والحرة هى أرض ذات حجارة سود وهى هنا اسم لارض بظاهر المدينة معروفة وقوله فسمر أعينهم معناه أنه حمى مسامير الحديد وكحل بها أعينهم حتى ذهب بصرها وقوله وينهى عن المثلة المثلة ان تقطع أطراف الحيوان وتشوه خلقته ومثلة القتيل ان يقطع أنفه وأذنيه ومذاكيره ونحو ذلك واختلف العلماء فى حكم هذا الحديث فقيل هو منسوخ لنهى النبى ﷺ عن المثلة وقيل حكمه ثابت غير السمل والمثلة وقيل ان هذه الاية ناسخة لما فعله النبى ﷺ بهم وقيل كان ذلك قبل ان تنزل الحدود فلما نزلت الحدود وجب الاخذ بها والعمل بمقتضاها وقيل نزلت هذه الاية معاتبة لرسول الله ﷺ وتعليما من الله تعالى اياه عقوبتهم وما يجب عليهم فقال تعالى إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله واعلم ان المحاربة لله غير ممكنة وفى معناها للعلماء قولان أحدهما أن المحاربين لله هم المخالفون امره الخارجون عن طاعته لان كل من خالف أمر إنسان فهو حرب له فيكون المعنى لمن يخالفون الله ورسوله ويعصون أمرهما والقول الثانى معناه يحاربون أولياء الله وأولياء رسوله فهو من باب حذف المضاف (ويسعون فى الارض فسادا) يعنى بحمل السلاح والخروج على الناس وقتل النفس واخذ الاموال وقطع الطريق واختلفوا فى حكم هؤلاء المحاربين الذين يستحقون هذا الحد فقال قوم هم الذين يقطعون الطريق ويحملون السلاح والمكابرون فى البلد وهذا قول الاوزاعى ومالك والليث بن سعد والشافعى وقال ابو حنيفة المكابرون فى الامصار ليس لهم حكم المحاربين فى استحقاق هذا الحد ثم ذكر الله تعالى عقوبة هؤلاء المحاربين وما يستحقونه فقال تعالى (أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الارض) وللعلماء فى لفظة أو

فاذا أخافوا السبيل ولم يأخذوا مالا نفوا من الأرض وهو قول قتادة والأوزاعي والشافعي وأصحاب الرأي رحمهم الله تعالى وإذا قتل قاطع الطريق يقتل حتما حتى لا يسقط بعفو ولي الدم وإذا اخذ من المال نصابا وهو ربع دينار تقطع يده اليمنى ورجله اليسرى وإذا قتل وأخذ المال يقتل ويصلب واختلفوا في كيفيته فظاهر مذهب الشافعي رضي الله عنه أنه يقتل ثم يصلب وقيل يصلب حيا ثم يطعن حتى يموت مصلوبا وهو قول الليث بن سعد وقيل يصلب ثلاثة أيام حيا ثم ينزل فيقتل وإذا أخاف السبيل ينفى واختلفوا في النفي فذهب قوم إلى أن الامام يطلبه في كل بلد يوجد فيه وهو قول سعيد بن جبير وعمر بن عبد العزيز وقيل يطلبون لتقام عليهم الحدود وهو قول ابن عباس والليث بن سعد وبه قال الشافعي وقال أهل الكوفة (٣٨) النفي هو الحبس وهو نفي من الارض وقال محمد بن جرير ينفى من بلده إلى غيره ويحبس في السجن في البلد الذي نفي اليه حتى تظهر توبته وقال مكحول ان عمر بن الخطاب اول من حبس في السجون وقال احبسه حتى اعلم منه التوبة ولا انفيه إلى بلد فيؤذيهم (ذلك) الذي ذكرت من الحد (لهم خزي) عذاب وهوان وفضيحة (في الدنيا ولهم في الاخرة عذاب عظيم إلا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم فاعلموا ان الله غفور رحيم) فمن ذهب إلى ان الاية نزلت في الكفار قال معناه إلا الذين تابوا من شركهم وأسلموا قبل القدرة عليهم فلا سبيل عليهم بشيء من الحدود ولا تبعة عليهم فيما اصابوا في حال الكفر من دم أو مال واما المسلمون المحاربون فمن تاب منهم قبل القدرة عليهم وهو قبل ان يظفر به الامام تسقط عنه كل عقوبة وجبت حقا لله ولا يسقط ما كان من حقوق العباد فان كان قد قتل في قطع الطريق يسقط عنه بالتوبة قبل القدرة عليه تحتم القتل ويبقى عليه القصاص لولي القتيل فان شاء عفا عنه وان شاء تاب واستوفى وان كان قد اخذ المال يسقط عنه القطع وان كان قد جمع بينهما يسقط عنه تحتم القتل والصلب ويجب ضمان المال وهو قول الشافعي رضي الله عنه وقال بعضهم إذا جاء تائبا قبل القدرة عليه لا يكون لاحد عليه تبعة في دم ولا مال الآن يوجد معه مال بعينه فيرده إلى صاحبه وروى عن علي رضي الله عنه في حارثة بن يزيد كان خرج محاربا فسفك الدماء وأخذ المال ثم جاء تائبا قبل أن يقدر عليه فلم يجعل علي رضي الله عنه تبعة اما من تاب بعد القدرة عليه فلا يسقط عنه شيء منها وقيل كل عقوبة تجب حقا لله عز وجل من عقوبات قطع الطريق وقطع السرقة وحد الزنا والشرب تسقط بالتوبة بكل حال والاكثرون على أنها لا تسقط إذا

المذكور في هذه الآية قولان أحدهما انها للتخيير وهو قول ابن عباس في رواية عنه وبه قال الحسن وسعيد ابن المسيب والنخعي ومجاهد وهو أن الامام مخير في أمر المحاربين فان شاء قتل وإن شاء صلب وإن شاء قطع وإن شاء نفى من الأرض كما هو ظاهر الآية والقول الثاني ان لفظة أو للبيان وليست للتخيير وهو الرواية الثانية عن ابن عباس وهو قول اكثر العلماء لأن الأحكام تختلف فترتبت هذه العقوبات على ترتيب الجرائم وهذا كما روي عن ابن عباس في قطاع الطريق قال إذا قتلوا وأخذوا المال قتلوا وصلبوا وإذا قتلوا ولم يأخذوا المال قتلوا وإذا أخذوا المال ولم يقتلوا قطعت أيديهم وأرجلهم من خلاف وإذا أخافوا السبيل ولم يقتلوا ولم يأخذوا مالا نفوا من الأرض وهذا قول قتادة والاوزاعي والشافعي وأصحاب الرأي واختلفوا في كيفية الصلب فقيل يصلب حيا ثم يطعن في بطنه برمح حتى يموت قال الشافعي يقتل أولا ويصلى عليه ثم يصلب وإنما يجمع بين القتل والصلب إذا قتل وأخذ المال وبصلب على الطريق في عمر الناس ليكون ذلك زاجرا لغيره عن الاقدام على مثل هذه المعصية واختلفوا في تفسير النفي من الارض المذكور في الآية فقيل إن الامام يطلبهم في كل بلد وجدوا نفوا عنه وهو قول سعيد بن جبير وعمر بن عبد العزيز وقيل يطلبون حتى تقام عليهم الحدود وهو قول ابن عباس والليث بن سعيد والشافعي وقال ابو حنيفة وأهل الكوفة النفي هو الحبس لأنه نفي من الأرض لأن المحبوس لا يرى أحدا من أحبابه ولا ينتفع بلذات الدنيا وطيباتها فهو منفي من الارض في الحقيقة إلا من تلك البقعة الضيقة التي هو فيها قال مكحول ان عمر بن الخطاب أول من حبس في السجون ينفى من هذه الامة وقال احبسه حتى اعلم منه التوبة ولا أنفيه إلى بلد آخر فيؤذيهم ثم قال تعالى (ذلك) يعني الذي ذكر في هذه الآية من الحدود (لهم) يعني للمحاربين (خزي في الدنيا) أي عذاب وهوان وفضيحة (ولهم في الآخرة عذاب عظيم) هذا الوعيد في حق الكفار الذين نزلت الآية فيهم فأما من أجرى حكم الآية على المحاربين من المسلمين فينفي العذاب العظيم عنهم في الآخرة لأن المسلم إذا عوقب بجناية في الدنيا كانت عقوبته كفارة له وإن لم يعاقب في الدنيا فهو في خطر المشيئة إن شاء عذبه بجنايته ثم يدخله الجنة وإن شاء عفا عنه وأدخله الجنة هذا مذهب أهل السنة ٥ وقوله تعالى (إلا الذين تابوا من قبل ان تقدروا عليهم) يعني لكن الذين تابوا من شركهم وحربهم لله ورسوله ومن السعي في الأرض بالفساد من قبل ان تقدروا عليهم يعني فلا سبيل لكم عليهم بشيء من العقوبات المذكورة في الآية المتقدمة (فاعلموا أن الله غفور) يعني لمن تاب من الشرك (رحيم) يعني به إذا رجع عما يسخط الله عز وجل وهذا قول معظم أهل التفسير ان المراد بهذا الاستثناء المشرك المحارب إذا آمن وأصلح قبل القدرة عليه سقط عنه جميع الحدود التي ذكر الله تعالى في هذه الآية وأنه لا يطالب بشيء مما أصاب من مال أو دم قال أبو إسحق جعل الله التوبة للكفار قدرا عنهم الحدود التي وجبت عليهم في كفرهم ليكون ذلك داعيا لهم إلى الدخول في الإسلام فهذا حكم المشرك المحارب إذا آمن وأصلح وكذلك لو آمن بعد القدرة عليه لم يطالب بشيء بالاجماع أما المسلم المحارب

(يا أيها الذين امنوا اتقوا الله وابتغوا) اطلبوا (اليه الوسيلة) أى القربة فعيلة من توسل إلى فلان بكذا أى تقرب اليه وجمعها وسائل (وجاهدوا فى سبيله لعلكم تفلحون ان الذين كفروا لو أن لهم ما فى الأرض جميعا ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيامة ما تقبل منهم) اخبر ان الكافر لو ملك الدنيا كلها ومثلها معها ثم فدى بذلك نفسه من العذاب لم يقبل منه ذلك الفداء (ولهم عذاب أليم يريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها) فيه وجهان أحدهما أنهم يقصدون ويطلبون المخرج منها كما قال الله تعالى كلما أرادوا أن يخرجوا منها والثانى انهم يتمنون ذلك بقلوبهم كما قال الله تعالى إخبارا عنهم ربنا أخرجنا منهم (ولهم عذاب مقيم والسارق والسارقة فاقطعوا (٣٩) ايديهما) اراد به إيمانهما وكذلك

إذا تاب واستأمن من قبل القدرة عليه فقال السدى هو الكافر إذا امن لم يطالب بشىء إلا إذا صيب عنده مال بعينه فانه رده على أهله وهذا مذهب مالك والاوزاعى غير ان مالك قال يؤخذ بالدم إذا طلب به وليه فاما ما أصاب من الدماء والأموال ولم يطلبها أولياؤها فلا يتبعه الإمام بشىء من ذلك وهذا حكم على بن أبى طالب فى حارثة بن زيد وكان قد خرج محاربا فتاب قبل أن يقدر عليه فامنه على نفسه وكذلك جاء رجل من مراد إلى أبى موسى الأشعرى وهو على الكوفة فى خلافة عثمان بعد ما صلى المكتوبة فقال يا أبا موسى هذا مقام العائذ بك أنا فلان بن فلان المرادى كنت قد حاربت الله ورسوله وسعيت فى الأرض بالفساد وإنى قد تبت من قبل أن يقدر على فقام ابو موسى فقال هذا فلان المرادى وانه كان حارب الله ورسوله وسعى فى الأرض فسادا وانه قد تاب من قبل ان يقدر عليه فلا يتعرض له احد إلا بخير وقال الشافعى يسقط عنه بتوبته قبل القدرة عليه حد الله ولا يسقط عنه بها ما كان من حقوق بنى آدم من قصاص أو مظلمة من مال أو غيره وأما إذا تاب بعد القدرة عليه فظاهر الآية ان التوبة لا تنفعه وتقام عليه الحدود وقال الشافعى ويحتمل ان يسقط كل حد لله عز وجل بالتوبة * قوله تعالى (يا أيها الذين امنوا اتقوا الله) اى خافوا الله بترك المنهيات (وابتغوا إليه الوسيلة) يعنى واطلبوا إليه القرب بطاعته بما يرضى وإنما قلنا ذلك لأن مجامع التكاليف محصورة فى نوعين لا ثالث لهما النوعين ترك المنهيات وإليه الإشارة بقوله اتقوا الله والثانى التقرب إلى الله تعالى بالطاعات وإليه الإشارة بقوله وابتغوا إليه الوسيلة والوسيلة فعيلة من وسل إليه إذا تقرب ومنه قول الشاعر * إن الرجال لهم إليك وسيلة * أى قربة وقيل معنى الوسيلة المحبة تحببوا إلى الله عز وجل (وجاهدوا فى سبيله) أى وجاهدوا العدو فى طاعته وابتغاء مرضاته (لعلكم تفلحون) يعنى لكى تسعدوا بالخلود فى جنته لأن الفلاح اسم جامع الخلاص من كل مكروه والفوز بكل محبوب * قوله عز وجل (إن الذين كفروا لو ان لهم ما فى الأرض جميعا ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيامة ما تقبل منهم) يعنى ان الكافر لو ملك الدنيا ودنيا اخرى مثلها معها ثم فدى نفسه من العذاب يوم القيامة لم يقبل منه ذلك الفداء (ولهم عذاب أليم) المقصود من هذا ان العذاب لازم للكفار وانه لا سبيل لهم إلى الخلاص منه بوجه من الوجوه عن أنس قال قال رسول الله ﷺ يقول الله تبارك وتعالى لاهون أهل النار عذابا لو كانت لك الدنيا كلها لكنت مفتديا بها فيقول نعم فيقول قد اردت منك ايسر من هذا وانت فى صلب ادم ان لا تشرك بى ولا أدخلك النار وادخلك الجنة فأبيت إلا الشرك هذا لفظ مسلم وفى رواية البخارى قال يجاء بالكافر يوم القيامة فيقال له ارايت لو كان لك ملء الأرض ذهبا اكنت تفتدى به فيقول نعم فيقال له لقد كنت سئلت ما هو ايسر من ذلك ان لا تشرك بى (يريدون ان يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها) فيه وجهان احدهما انهم يقصدون الخروج من النار ويطلبونه ولكن لا يستطيعون ذلك قيل إذا حملهم لهب النار إلى فوق طلبوا الخروج منها فلا يقدرون عليه والوجه الثانى انهم يتمنون الخروج من النار بقلوبهم (ولهم عذاب مقيم) يعنى ولهم عذاب دائم ثابت لا يزول عنهم ولا ينقل ابدا * قوله عز وجل (والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما) قال ابن السائب نزلت فى طعمة بن

هو فى مصحف عبد الله بن مسعود وجملة الحكم ان من سرق نصابا من المال من حرز لا شبهة له فيه تقطع يده اليمنى من الكوع ولا يجب القطع بسرقة ما دون النصاب عند أهل العلم حكى عن ابن الزبير أنه كان يقطع فى الشىء القليل وعامة العلماء على خلافه واختلفوا فى القدر الذى يقطع فيه فذهب أقصرهم إلى أنه لا يقطع فى أقل من ربع دينار فان سرق ربع دينار أو متاعا قيمته ربع دينار يقطع وهو قول أبى بكر وعمر وعثمان وعلى رضى الله تعالى عنهم وبه قال عمر بن عبد العزيز والاوزاعى والشافعى لما أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب انا عبد العزيز ابن أحمد الخلال أنا أبو العباس الاصم انا الربيع انا الشافعى انا ابن عيينة عن ابن شهاب عن عروة عن عائشة رضى الله تعالى عنها أن رسول الله ﷺ قال القطع فى ربع دينار فصاعدا أخبرنا أبو الحسن السرخسى أخبرنا زاهر بن احمد انا أبو إسحق الهاشمى انا أبو مصعب

عن مالك عن نافع عن عبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنه ان رسول الله ﷺ قطع سارقا فى مجن قيمته ثلاثة دراهم وروى عن عثمان انه قطع سارقا فى أترجة قومت بثلاثة دراهم من صرف اثنى عشر درهما بدينار وهذا قول مالك رحمه الله تعالى انه يقطع فى ثلاثة دراهم وذهب قوم إلى انه لا تقطع فى اقل من دينار او عشرة دراهم ويروى ذلك عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه واليه ذهب سفيان الثورى واصحاب الراى وقال قوم لا يقطع إلا فى خمسة دراهم ويروى ذلك عن ابى هريرة رضى الله عنه وبه قال ابن ابى ليلى اخبرنا عبد الواحد المليحى انا احمد بن عبد الله النعيمى انا محمد بن يوسف انا محمد بن إسماعيل انا عمر بن حفص بن غياث اخبرنى ابى انا الأعمش قال سمعت

أبا صالح عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال لعن الله السارق يسرق البيضة فتقطع يده ويسرق الحبل فتقطع يده وقال الأعمش كانوا يرون أنه بيض الحديد والحبل يرون ان منها ما يساوى ثلاثة دراهم ويحتج بهذا الحديث من يرى القطع فى الشئ القليل وهو عند الأكثرين محمول على ما قاله الأعمش لحديث عائشة رضى الله عنها وإذا سرق شيئا من غير حرز كثمر فى حائط لا حارس له أو حيوان فى برية لا حافظ له او متاع فى بيت منقطع عن البيوت لا قطع عليه (٤٠) وروى عن رسول الله ﷺ انه قال لا قطع فى ثمر معلق ولا فى حريسة جبل فاذا آواه المراح أو الجرين فالقطع فيما بلغ ثمن المجن وروى عن ابن جريج عن الزبير عن جابر رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال ليس على خائن أو منتهب ولا مختلس قطع وإذا سرق ما لا له فيه شبهة كالعبد يسرق من مال سيده أو الولد يسرق من مال والده أو الوالد يسرق من مال ولده أو أحد الشريكين يسرق من مال المشترك شيئا لا قطع عليه وإذا سرق السارق أول مرة تقطع يده اليمنى من الكوع ثم إذا سرق ثانيا تقطع رجله اليسرى من مفصل القدم واختلفوا فيما إذا سرق ثالثا فذهب أكثرهم إلى أنه تقطع يده اليسرى وإذا سرق رابعا تقطع رجله اليمنى ثم إذا سرق بعده شيئا يعزر ويحبس حتى تظهر توبته وهو المروى عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه وهو قول قتادة وبه قال مالك والشافعى لما روى عن أبى سلمة عن ابى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال فى السارق أنه سرق فاقطعوا يده ثم إن سرق فاقطعوا رجله ثم ان سرق غير فاقطعوا يده ثم إن سرق فاقطعوا رجله وذهب قوم إلى أنه إن سرق ثالثا بعد ما قطعت يده اليمنى ورجله اليسرى لا يقطع بل يحبس وروى ذلك عن على رضى الله عنه وقال إنى لأستحى أن لا أدع له يدا يستنجى بها ولا رجلا يمشى بها وهو قول الشعبى والنخعى وبه قال الاوزاعى وأحمد وأصحاب الرأى قوله تعالى (جزاء بما كسبا) نصب على الحال والقطع ومثله (نكالا) أى عقوبة (من الله والله عزيز حكيم)

ابيرق وقد مناقصته فى سورة النساء وإنما سمى السارق سارق لأنه يأخذ الشئ الذى ليس له أخذه فى خفاء ومنه استرق السمع مستخفيا والسارق هنا مرفوع بالابتداء لأنهم يقصدوا احدا بعينه إنما هو كقولك من سرق فاقطع يده والمراد باليد المذكورة هنا اليمين قاله الحسن والشعبى والسدى وكذلك هو فى قراءة عبد الله بن مسعود فاقطعوا أيمانهما وإنما قال أيديهما ولم يقل يديهما لأنه أراد يمينا من هذا ويمينا من هذه فجمع فانه ليس للانسان إلا يمين واحدة وكل شئ موحد من أعضاء الانسان إذا ذكر مضافا إلى اثنين فصاعدا جمع والمراد باليد هنا الجارحة وحدها عند جمهور أهل اللغة من رؤس الأصابع إلى الكوع فيجب قطعها فى حد السرقة من الكوع ، وقوله تعالى (جزاء بما كسبا) يعنى ذلك القطع جزاء على فعلهم (نكالا من الله) يعنى عقوبة من الله (والله عزيز) فى انتقامه ممن عصاه (حكيم) يعنى فيما أوجبه من قطع يد السارق

﴿فصل فى بيان حكم الآية﴾ وفيه مسائل ﴿المسئلة الأولى﴾ اقتضت هذه وجوب القطع على كل سارق وقطع رسول الله ﷺ فى السرقة (ق) عن عائشة ان قريشا اهمهم شان المخزومية التى سرقت فقالوا من يكلم فيها رسول الله ﷺ قالوا ومن يجترىء عليه إلا أسامة بن زيد حب رسول الله ﷺ فكلمه أسامة فقال رسول الله ﷺ اتشفع فى حد من حدود الله ثم قام فاختطب ثم قال إنما هلك الذين من قبلكم انهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف اقاموا عليه الحد وايم الله لو ان فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها وعن عائشة قالت أتى رسول الله ﷺ بسارق فقطعه فقالوا ما كنا نراك تبلغ به هذا قال لو كانت فاطمة لقطعتها أخرجه النسائى (ق) عن ابى هريرة ان رسول الله ﷺ قال لعن الله السارق يسرق البيضة فتقطع يده ويسرق الحبل فتقطع يده قال الأعمش يرون انه بيض الحديد وان من الحبال ما يساوى دراهم أخرجه البخارى ومسلم أما السارق الذى يجب عليه القطع فهو البالغ العاقل العالم بتحريم السرقة فلو كان حديث عهد بالإسلام ولا يعلم ان السرقة حرام فلا قطع عليه ﴿المسئلة الثانية﴾ اختلف العلماء فى قدر النصاب الذى يقطع به فذهب أكثر العلماء إلى انه ربع دينار فان سرق ربع دينارا او متاعا قيمته ربع دينار يقطع وهذا قول أبى بكر وعمر وعثمان وعلى وبه قال عمر بن العزيز والاوزاعى والشافعى ويدل عليه ما روى عن عائشة ان رسول الله ﷺ قال لا تقطع يد السارق إلا فى ربع دينار فصاعدا أخرجاه فى الصحيحين وذهب مالك واحمد وإسحق إلى أنه ثلاثة دراهم أو قيمتها لما روى عن ابن عمر ان رسول الله ﷺ قطع سارقا فى مجن قيمته ثلاثة دراهم أخرجه الجماعة المجن الترس ويروى عن ابى هريرة أن قدر النصاب الذى تقطع به اليد خمسة دراهم وبه قال ابن ابى ليلى لما روى عن أنس قال قطع ابو بكر فى مجن قيمته خمسة دراهم وفى رواية قطع رسول الله ﷺ اخرجه النسائى وقال الرواية الأولى اصح وذهب قوم إلى انه لا قطع فى أقل من دينار أو عشرة دراهم يروى ذلك عن ابن مسعود وإليه ذهب سفيان الثورى وأبو حنيفة لما روى عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ أول من قطع فى مجن قيمته دينار أو عشرة دراهم أخرجه أبو داود فاذا سرق نصابا من المال من حرز لا شبهة له فيه قطعت يده اليمنى من الكوع ولا يجب القطع بسرقة ما دون النصاب وقال ابن عباس وابن الزبير والحسن القدر

غير معتبر فيجب القطع فى القليل والكثير وكذا الحرز غير معتبر ايضا عندهم واليه ذهب داود الظاهرى واحتجوا بعموم الاية فان قوله تعالى والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما يتناول القليل والكثير وسواء سرقة من حرز أو غير حرز ﴿المسئلة الثالثة﴾ الحرز هو ما جعل للسكنى وحفظ الاموال كالدور والمضارب والخيم التى يسكنها الناس ويحفظون امتعتهم فيها فكل حرز وإن لم يكن فيه حافظ ولا عنده وسواء سرق من ذلك وهو مفتوح الباب أو مغلق فاما كان فى غير بناء ولا خيمة فانه ليس بحرز إلا ان يكون عنده من يحفظه اما نباش القبور فانه يقطع وهو قول مالك والشافعى واحمد وقال ابن ابى ليلى والثورى والاوزاعى وابو حنيفة لا قطع عليه فان سرق شيئا من غير حرز كثمر من بستان لا حارس له او حيوان فى برية ولا راعى له او متاع فى بيت منقطع عن البيوت فلا قطع عليه عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن الثمر المعلق فقال من أصاب بفيه منه من ذى حاجة غير متخذ خبنة فلا شىء عليه أخرجه الترمذى وأبو داود والنسائى وزاد فيه ومن خرج بشىء منه فعليه غرامة مثله والعقوبة ومن سرق منه شيئا بعد ان يؤويه الجرين فبلغ ثمن المجن فعليه القطع ومن سرق دون ذلك فعليه غرامة مثله والعقوبة. قوله غير متخذ خبنة الخبنة بالخاء المعجمة وبعدها باء موحدة من تحت ثم نون وهو ما يحمله الانسان فى حضنه وقيل هو ما ياخذه فى خبنة ثوبه وهو ذيله وأسفله والجرين موضع التمر الذى يجفف فيه مثل البيدر للحنطة وروى مالك فى الموطأ عن ابى حسين المكى ان رسول الله ﷺ قال لا قطع فى ثمر معلق ولا فى حريسة الجبل فاذا آواه المراح او الجرين فالقطع فيما يبلغ ثمن المجن هكذا رواه مالك منقطعا وهو رواية من حديث عبد الله بن عمرو المتقدم فان هذه الرواية عن ابى حسين عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده وجده هو عبد الله بن عمرو بن العاص قوله ولا فى حريسة الجبل من العلماء من يجعل الحريسة السرقة نفسها يقال حرس يحرس حرسا إذا سرق ومنهم من يجعلها المحروسة ومعنى الحديث انه ليس فيما يحرس فى الجبل إذا سرق قطع لانه ليس بحرز وقيل حريسة الجبل هى الشاة التى يدركها الليل قبل أن تصل ماواها والمراح بضم الميم هو الموضع الذى تأوى اليه الماشية بالليل عن جابر ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ليس على خائن ولا منتهب ولا مختلس قطع اخرجه الترمذى والنسائى ﴿المسئلة الرابعة﴾ إذا سرق مالا له فيه شبهة كالولد يسرق من مال والده أو الوالد يسرق من مال ابنه او العبد يسرق من مال سيده او الشريك يسرق من مال شريكه فلا قطع على أحد من هؤلاء فيه ﴿المسئلة الخامسة﴾ إذا سرق أول مرة قطعت يده اليمنى من الكوع وإذا سرق ثانية قطعت رجله اليسرى من مفصل القدم واختلفوا فيما إذا سرق مرة ثالثة فذهب اكثرهم إلى انه تقطع يده اليسرى فان سرق مرة رابعة قطعت رجله اليمنى ثم إذا سرق بعد ذلك يعذر ويحبس حتى تظهر توبته يروى هذا عن أبى بكر وهو قول قتادة وبه قال مالك والشافعى لما روى عن ابن عباس ان رسول الله ﷺ قال فى السارق ان سرق فاقطعوا يده ثم إن سرق فاقطعوا رجله ذكره البغوى بغير سند وذهب قوم إلى انه إن سرق بعد ما قطعت يده ورجله فلا قطع عليه بل يحبس ويروى عن على أنه قال انى أستحى أن لا أدع له يدا يستنجى بها ولا رجلا يمشى بها وهذا قول الشعبى والنخعى والأوزاعى وبه قال أحمد وأصحاب الرأى. قوله تعالى (فمن تاب من بعد ظلمه) يعنى من بعد ما ظلم نفسه بالسرقة (وأصلح) يعنى وأصلح العمل فى المستقبل (فان الله يتوب عليه) يعنى فان الله يغفر له ويتجاوز عنه (ان الله غفور) يعنى لمن تاب (رحيم) به ﴿فصل﴾ وهذه التوبة مقبولة فيما بينه وبين الله فأما القطع فلا يسقط عنه بالتوبة عند اكثر العلماء لان الحد جزاء على الجناية ولا بد من التوبة بعد القطع وتوبته الندم على مامضى والعزم على تركه فى المستقبل عن ابى أمية المخزومى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اتى بلص قد اعترف اعترافا ولم يوجد معه متاع فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اخالك سرقت فقال بلى فاعاد عليه مرتين او ثلاثا كل ذلك يعترف فامر به فقطع ثم جىء به فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم استغفر الله وتب اليه فقال رجل استغفر الله وأتوب اليه فقال النبى صلى الله

(فمن تاب من بعد ظلمه) أى سرقته (وأصلح) العمل (فان الله يتوب عليه إن الله غفور رحيم) هذا فيما بينهم وبين الله تعالى فاما القطع فلا يسقط عنه بالتوبة عند الاكثرين قال مجاهد السارق لا توبة له فاذا قطعت حصلت التوبة والصحيح ان القطع للجزاء على الجناية كما قال الجزاء بما كسبا ولا بد من التوبة وبعده وتوبته الندم على مامضى والعزم على تركه فى المستقبل وإذا قطع السارق يجب عليه غرم ماسرق من المال عند اكثر أهل العلم وقال سفيان الثورى وأصحاب الرأى لا غرم عليه وبالاتفاق إن كان المسروق قائما عنده يسترده وتقطع يده لأن القطع حق الله تعالى والغرم حق العبد فلا يمنع احدهما الآخر كاسترداد العين

(ألم تعلم أن الله له ملك السموات والأرض) الخطاب مع النبي ﷺ والمراد به الجميع وقيل معناه ألم تعلم أيها الإنسان فيكون خطابا لكل واحد من الناس (يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء) قال السدي والكلبي يعذب من يشاء من مات على كفره ويغفر لمن يشاء من تاب من كفره وقال ابن عباس رضي الله عنهما يعذب من يشاء على الصغيرة ويغفر لمن يشاء على الكبيرة (والله على كل شيء قدير) قوله تعالى (يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون (٤٢) في الكفر) أي في موالاة الكفار فانهم لم يعجزوا الله (من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم) وهم المنافقون (ومن الذين هادوا) يعني اليهود (سماعون) اي قوم سماعون (للكذب) اي قابلون للكذب كقول المصلي سمع الله لمن حمده اي اي قبل الله وقيل معناه سماعون لاجل الكذب أي يسمعون منك ليكذبوا عليك وذلك انهم كانوا يسمعون من الرسول ﷺ ثم يخرجون ويقولون سمعنا منه كذا ولم يسمعوا ذلك منه (سماعون لقوم اخرين لم ياتوك) اي هم جواسيس يعني بني قريظة لقوم اخرين هم اهل خيبر وذلك ان رجلا وامرأة من اشراف اهل خيبر زنيا وكانا محصنين وكان حدهما الرجم في التوراة فكرهت اليهود رجمهما لشرفهما فقالوا ان هذا الرجل الذي بيثرب ليس في كتابه الرجم ولكنه الضرب فارسلوا إلى إخوانكم بني قريظة فانهم جيرانه وصاحب له فليسألوه عن ذلك فبعثوا رهطا منهم مستخفين وقالوا لهم سلوا محمدا عن الزانين اذا احصنا ما حدهما فان امركم بالجلد فاقبلوا منه وان أمركم بالرجم فاحذروا ولا تقبلوا منه وارسلوا معهم الزانيين فقدم الرهط حتى نزلوا على بني قريظة والنضير فقال لهم فانهم انكم جيران هذا الرجل ومعه في بلده وقد حدث فينا حدث فلان وفلانة قد فجروا وقد احصنا فنحب ان تسالوا لنا محمدا عن قضائه فقالت لهم قريظة والنضير إذا والله يأمركم بما تكرهون ثم انطلق قوم منهم كعب بن الاشرف وكعب بن اسد وسعيد بن عمرو

عليه وسلم اللهم تب أخرجه أبو داود والنسائي بمعناه وإذا قطع السارق يجب عليه غرم ما سرق من المال عند اكثر أهل العلم وقال الثوري واصحاب الرأي لا غرم عليه فلو كان المسروق باقيا عنده يجب عليه أن يرده إلى صاحبه وتقطع يده لان القطع حق الله والحق والغرم حق الآدمي فلا يمتنع احدهما بالآخر والله اعلم. قوله عز وجل (الم تعلم ان الله له ملك السموات والأرض) الخطاب للنبي ﷺ والمراد به جميع الناس وقيل معناه الم تعلم ايها الانسان فيكون الخطاب لكل فرد من الناس ان الله له ملك السموات والأرض يعني ان الله مدبر امره في السموات والأرض ومصرفه وخالق من فيها وما لكه لا يمتنع عليه شيء مما اراده فيهما لأن ذلك كله في ملكه وإليه امره (يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء) قال ابن عباس يعذب من يشاء على الصغيرة ويغفر لمن يشاء على الكبيرة وقيل يعذب من يشاء على معصيته وكفره بالقتل والقطع وغير ذلك في الدنيا ويغفر لمن يشاء بالتوبة عليه فينقذه من الهلكة والعذاب وإنما قدم التعذيب على المغفرة لأنه في مقابلة قطع السرقة على التوبة وهذه الاية فاضحة للقدرية والمعتزلة في قولهم بوجوب الرحمة للمطيع والعذاب للعاصي لان الاية دالة على ان التعذيب والرحمة مفوضان إلى المشيئة والوجوب ينافي ذلك وجواب آخر وهو انه تعالى اخبر ان له ملك السموات والأرض والمالك له ان يتصرف في ملكه كيف يشاء اراد لا اعتراض ولا احد عليه في ملكه ويؤكد ذلك قوله (والله على كل شيء قدير) يعني انه تعالى قادر على تعذيب من أراد تعذيبه من خلقه وغفران ذنوب من اراد إسعاده وانقاذه من الهلكة من خلقه لان الخلق كلهم عبيده وفي ملكه. قوله تعالى (يا ايها الرسول) هذا خطاب للنبي ﷺ وهو خطاب تشريف وتكريم وتعظيم وقد خاطبه الله عز وجل يا أيها النبي من مواضع من كتابه ويا ايها الرسول في موضعين هذا احدهما والاخر قوله تعالى يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك. وقوله (لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر) يعني لا تهتم بموالاتهم الكفار ولا تبال بهم فاني ناصرك عليهم وكافيك شرهم (من قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم) يعني المنافقين لأنهم اظهروا الإيمان بالقول وكتموا الكفر وهذه صفة المنافقين (ومن الذين هادوا) أي وطائفة من اليهود قال الزجاج وهذا يحتمل وجهين احدهما ان الكلام تم عند قوله ومن الذين هادوا ثم ابتدا الكلام بقوله (سماعون للكذب) ويكون تقدير الكلام لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من المنافقين ومن الذين هادوا ثم وصف الكل بكونهم سماعون للكذب والوجه الثاني ان الكلام تم عند قوله ولم تؤمن قلوبهم ثم ابتدأ فقال تعالى ومن الذين هادوا سماعون للكذب أي ومن الذين هادوا قوم سماعون للكذب والمعنى انهم قائلون الكذب أي يسمعون الكذب من رؤسائهم ويقبلونه منهم والسمع يستعمل والمراد منه القبول كما تقول لا تسمع من فلان اي لا تقبل منه وقيل معناه سماعون لاجل ان يكذبوا عليك وذلك انهم كانوا يسمعون من رسول الله ﷺ ثم يخرجون من عنده ويقولون سمعنا منه كذا وكذا ولم يسمعوا ذلك منه بل كذبوا عليه. وقوله تعالى (سماعون) يعني بني قريظة يعني انهم جواسيس وعيون (لقوم آخرين) وهم أهل خيبر (لم يأتوك) يعني أهل خيبر لم يأتوك ولم يحضروا عندك يا محمد ﴿ذكر القصة في ذلك﴾ قال علماء التفسير أنهم جلاو امرأة من أشراف يهود خيبر زنيا وكانا محصنين وكان حدهما الرجم عندهم في حكم التوراة فكرهت اليهود رجمهما لشرفهما فقالوا أن هذا الرجل بيثرب يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم وليس في كتابه الرجم ولكن الضرب فأرسلوا إلى إخوانكم بني قريظة

ومالك بن الصيف وكنانة بن أبي الحقيق وغيرهم إلى رسول الله ﷺ فقالوا يا محمد أخبرنا عن الزاني والزانية إذا أحصنا ما حدهما في كتابك فقال هل ترضون بقضائي قالوا نعم فنزل جبريل عليه السلام بالرجم فأخبرهم بذلك فأبوا أن يأخذوا به فقال له جبريل عليه السلام اجعل بينك وبينهم ابن صوريا ووصفه له فقال رسول الله ﷺ هل تعرفون شابا أمرد اعور يسكن فدك يقال له ابن صوريا قالوا نعم قال فأي رجل هو فيكم فقالوا هو أعلم يهودي بقي على وجه الأرض بما أنزل الله سبحانه وتعالى على موسى عليه السلام في التوراة

فانهم جيرانه وصلحبه فليسألوه عن ذلك فبعثوا رهطا منهم مستخفين وقالوا لهم اسألوا محمدا عن الزانيين إذا أحصنا ما حدهما فان أمركم بالجلد فاقبلوا منه وإن أمركم بالرجم فاحذروه ولا تقبلوا منه وارسلوا معهم الزانيين فقدم الرهط حتى نزلوا على بني قريظة والنضير وقالوا لهم انكم جيران هذا الرجل ومعه في بلده وقد حدث فينا حدث وذلك ان فلان وفلانة قد زنيا وقد احصنا فنحب أن تسألوه عن قضائه في ذلك فقالت لهم بنو قريظة والنضير إذا والله يأمركم بما تكرهون ثم انطلق قوم منهم فيهم كعب بن الأشرف وكعب ابن أسد وسعيد بن عمرو ومالك بن الصيف وكنانة بن أبي الحقيق وغيرهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا يا محمد اخبرنا عن الزاني والزانية إذا أحصنا ما حدهما في كتابك فقال هل ترضون بقضائي قالوا نعم فنزل جبريل عليه السلام بآية الرجم فاخبرهم بذلك فابوا أن يأخذوا به فقال جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم اجعل بينك وبينهم ابن صوريا ووصفه له فقال لهم النبي ﷺ هل تعرفون شابا امرد ابيض اعور يسكن فدك يقال له ابن صوريا قالوا نعم قال فاي رجل هو فيكم فقالوا هو أعلم يهودي بقي على وجه الأرض بما انزل الله على موسى عليه السلام في التوراة قال فارسلوا اليه ففعلوا فلما جاء قال له النبي ﷺ أنت ابن صوريا قال نعم قال أنت أعلم يهودي قال كذلك يقولون فقال النبي ﷺ لليهود تجعلونه بيني وبينكم قالوا نعم فقال النبي ﷺ لابن صوريا ناشدتك بالله الذي لا إله إلا هو الذي انزل التوراة على موسى وأخرجكم من مصر وفلق لكم البحر وأنجاكم وأغرق ال فرعون والذي ظلل عليكم الغمام وانزل عليكم المن والسلوى وانزل عليكم كتابه فيه حلاله وحرامه هل تجدون في كتابكم الرجم على المحصن فقال ابن صوريا اللهم نعم والذي ذكرتني به لولا خشيت ان ينزل علينا العذاب إن كذبت وغيرت ما اعترفت لك ولكن كيف هي في كتابكم يا محمد قال إذا شهد أربعة رهط عدول أنه أدخله فيها كما يدخل الميل في المكحلة وجب عليهما الرجم فقال ابن صوريا والذي انزل التوراة على موسى هكذا أنزل الله في التوراة على موسى فقال له النبي ﷺ فما كان أول ما ترخصتم به في أمر الله تعالى فقال ابن صوريا كنا إذا أخذنا الشريف تركناه وإذا أخذنا الضعيف أقمنا عليه الحد فكثر الزنا في أشرافنا حتى زنى ابن عم ملك لنا فلم نرجمه ثم زنى رجل آخر في امرأة من قومه فاراد الملك رجمه فقام قومه دونه وقالوا والله لا ترجمه حتى ترجم فلانا لابن عم الملك فقلنا تعالوا نجتمع فلنضع شيئا دون الرجم يكون على الشريف والوضيع فوضعنا الجلد والتحميم وهو ان يجلد أربعين جلدة بحبل مطلي بقار ثم تسود وجوههما ثم يحملان على حمارين ووجوههما من قبل دبر الحمار ويطاف بهما فجعلوا ذلك مكان الرجم فقالت اليهود لابن صوريا ما اسرع ما اخبرته وما كنت لما اتينا عليك باهل ولكنك كنت غائبا فكرهنا ان نغتابك فقال لهم ابن صوريا انه قد ناشدني بالتوراة ولولا خشيت ان ينزل علينا العذاب ما اخبرته فامر النبي ﷺ بهما فرجما عند باب المسجد وقال اللهم إني اول من احيا امرك إذا اماتوه فانزل الله هذه الاية (ق) عن ابن عمر قال إن اليهود جاؤا إلى رسول الله ﷺ فذكروا له ان امراة منهم ورجلا زنيا فقال لهم رسول الله ﷺ ما تجدون في التوراة في شأن الرجم فقالوا نفضحهم ويجلدون فقال عبد الله بن سلام كذبتم ان فيها الرجم فاتوا بالتوراة فنشروها فوضع احدهم يده على اية الرجم فقرا ما قبلها وما بعدها فقال له عبد الله بن سلام ارفع يدك فرفع يده فاذا فيها اية الرجم فقالوا صدق يا محمد فيها اية الرجم فامر

قال صلى الله عليه وسلم أنت ابن صوريا قال نعم قال انت اعلم اليهود قال كذلك يزعمون قال أتجعلونه بيني وبينكم قالوا نعم فقال له النبي ﷺ أنشدك بالله الذي لا إله إلا هو الذي انزل التوراة على موسى عليه السلام واخرجكم من مصر وفلق لكم البحر وأنجاكم وأغرق ال فرعون والذي ظلل عليكم الغمام وانزل عليكم المن والسلوى وانزل عليكم كتابه فيه حلاله وحرامه هل تجدون في كتابكم الرجم على من احصن قال ابن صوريا نعم والذي ذكرتني به لولا خشية ان تحرقني التوراة إن كذبت أو غيرت ما اعترفت لك ولكن كيف هي في كتابك يا محمد قال إذا شهد اربعة رهط عدول انه قد ادخله فيها كما يدخل الميل في المكحلة وجب عليه الرجم فقال ابن صوريا والذي انزل التوراة على موسى هكذا انزل الله عز وجل في التوراة على

موسى عليه السلام فقال له النبي صلى الله عليه وسلم فاذا كان اول ما ترخصتم به امر الله قال كنا إذا اخذنا الشريف تركناه وإذا اخذنا الضعيف اقمنا عليه الحد فكثر الزنا في اشرافنا حتى زنا ابن عم ملك لنا فلم نرجمه ثم زنى رجل آخر في اسوة من الناس فاراد ذلك الملك رجمه فقام دونه قومه فقالوا والله لا يرجم حتى يرجم فلان لابن عم الملك فقلنا تعالى نجتمع فلنضع شيئا دون الرجم يكون على الوضيع والشريف فوضعنا الجلد والتحميم وهو ان يجلد اربعين جلدة بحبل مطلي بالقار ثم يسود

وجوههما ثم يحملان على حمارين ووجوههما من قبل دبر الحمار ويطاف بهما فمروا هذا مكان الرجم فقالت اليهود لابن صوريا ما اسرع ما أخبرته به وما كنت لما أتينا عليك بأهل ولكنك كنت عاتبا فكرهنا أن نغتابك فقال لهم أنه قد انشدني بالتوراة ولولا خشية التوراة ان تهلكني لما أخبرته به فأمر بهما النبي ﷺ فرجما عند باب مسجده وقال اللهم إني أول من أحيا أمرك إذ أماتوه فانزل الله عز وجل يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر أنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن أحمد أنا أبو اسحق الهاشمي انا أبو مصعب عن مالك عن نافع عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهم قال ان اليهود جاءوا إلى رسول الله ﷺ فذكروا له ان رجلا منهم وامرأة زنيا فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تجدون في التوراة في شأن الرجم فقالوا نفضحهم ويجلدون قال عبد الله بن سلام كذبتم ان فيها لآية الرجم فاتوا بالتوراة فنشروها فوضع أحدهم يده على آية الرجم فقرأ ما قبلها وما بعدها فقال له عبد الله ارفع يدك فرفع يده فاذا فيها اية الرجم قالوا صدق يا محمد فيها اية الرجم فامر بهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجما فقال عبد الله بن عمر فرأيت الرجل ينحني على المرأة يقيها الحجارة وقيل سبب نزول هذه الآية القصاص وذلك ان بني النضير كان لهم فضل على بني قريظة فقال بنو قريظة يا محمد اخواننا بنو النضير ابونا واحد ودينا واحد ونبينا واحد وإذا قتلوا منا قتيلا لم يقيدونا واعطونا ديته سبعين وسقا من تمر وإذا قتلنا منهم قتلوا القاتل واخذوا منا الضعف مائة واربعين وسقا من تمر وان كان القتيل امرأة قتلوا بها الرجل منا وبالرجل منهم الرجلين منا وبالعبد حرامنا وجراحتنا على التضعيف من جراحاتهم فاقض بيننا وبينهم فانزل الله تعالى هذه الآية والأول أصح لأن الآية في الرجم قوله ومن الذين هادوا سماعون للكذب قيل اللام بمعنى إلى وقيل هي لام كي أي يسمعون لكي يكذبوا عليك واللام في قوله لقوم أي لأجل قوم آخرين لم يأتوك وهم أهل خيبر (يحرفون الكلم) جمع كلمة (من بعد مواضعه) أي من بعد وضعه مواضعه وإنما ذكر الكناية ردا على لفظ الكلم (يقولون ان أوتيتم هذا فخذوه) أي ان أفتاكم محمد صلى الله عليه وسلم بالجلد والتحميم فاقبلوا

(وإن لم

بهما النبي ﷺ فرجما قال فرأيت الرجل ينحني على المرأة يقيها الحجارة وفي رواية أخرى لهما قال أتى النبي ﷺ برجل وامرأة من اليهود قد زنيا فقال لليهود ما تصنعون بهما قال نفضحهم وجوههما ونخزيهما قال فاتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين فجاءوا بها فقال لرجل ممن يرضون اعور اقرأ فقرأ حتى انتهى إلى موضع منها فوضع يده عليها فقال ارفع يدك فرفع يده فاذا آية الرجم تلوح فقال يا محمد إن فيها الرجم ولكنا نتكاتمه بيننا فامر بهما فرجما فرأيته ينحني زاد في رواية أخرى فرجما قريبا من موضع الجنائز قرب المسجد (م) عن البراء بن عازب قال مر على رسول الله ﷺ بيهودي محمم مجلود فدعاهم فقال هكذا تجدون حد الزاني في كتابكم قالوا نعم فدعا رجلا من علمائهم فقال انشدك بالله الذي انزل التوراة على موسى هكذا تجدون حد الزاني في كتابكم قال لا ولو أنك لم تنشدني بهذا لم أخبرك نجد الرجم ولكنه كثر في اشرافنا فكنا إذا أخذنا الشريف تركناه وإذا أخذنا الضعيف أقمنا عليه الحد فقلنا تعالوا فلنجتمع على شيء نقيمه على الشريف والوضيع فجعلنا التحميم والجلد مكان الرجم فقال رسول الله ﷺ اللهم إني أول من أحيا امرك إذ اماتوه فامر به فرجم فانزل الله يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر إلى قوله إن أوتيتم هذا فخذوه يقول ائتوا محمدا فان أمركم بالتحميم والجلد فخذوه وان أمركم بالرجم فاحذروه فانزل الله تبارك وتعالى ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الظالمون ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الفاسقون في الكفار كلها التحميم هو تسويد الوجه بالحمم وهو الفحم وقوله ما تجدون في التوراة في شأن الرجم قال العلماء هذا السؤال من النبي ﷺ ليس لتقليدهم ولا لمعرفة الحكم منهم وإنما هو لالزامهم بما يعتقدونه في كتابهم ولعله صلى الله عليه وسلم كان قد أوحي اليه ان الرجم في التوراة الموجودة في أيديهم لم يغيروه كما غيروا شيئا منها أو اخبره بذلك من أسلم من أهل الكتاب وهو عبد الله بن سلام كما في حديث ابن عمر المتفق عليه ولذلك لم يخف عليه ﷺ حين كتموه * قوله تعالى (يحرفون الكلم) يعني يغيرون حدود الله التي أوجبها عليهم في التوراة وذلك أنهم بدلوا الرجم بالجلد والتحميم وقال الحسن أنهم يغيرون ما يسمعون من النبي ﷺ بالكذب عليه وقال ابن جرير الطبري يحرفون حكم الكلم فحذف ذكر الحكم لمعرفة السامعين به (من بعد مواضعه) يعني من بعد ان وضعه الله مواضعه وفرض فروضه واحل حلاله وحرم حرامه * فان قلت قد قال الله عز وجل هنا يحرفون الكلم من بعد مواضعه وقال في موضع آخر يحرفون الكلم عن مواضعه فهل من فرق بينهما * قلت نعم بينهما فرق وذلك إنا إذا فسرنا يحرفون الكلم عن مواضعه بالتأويلات الباطلة فيكون معنى قوله يحرفون الكلم عن مواضعه أنهم يذكرون التأويلات الفاسدة لتلك النصوص وليس فيه بيان أنهم يحرفون تلك اللفظة من الكتاب وأما قوله يحرفون الكلم من بعد مواضعه ففيه دلالة على أنهم جمعوا بين الأمرين يعني أنهم كانوا يذكرون التأويلات الفاسدة وكانوا يحرفون اللفظة من الكتاب ففي قوله يحرفون الكلم عن مواضعه إشارة إلى التأويل الباطل وفي قوله من بعد مواضعه إشارة إلى اخراجه من الكتاب بالكلية وقوله تعالى (يقولون) يعني اليهود (ان أوتيتم هذا فخذوه) يعني ان افتاكم محمد بالجلد والتحميم فاقبلوا منه

(وإن لم تؤتوه فاحذروا ومن يرد الله فتنته) كفره وضلالته قال الضحاك هلاكه وقال قتادة عذابه (فلن تملك له من الله شيئا) فلن تقدر على دفع أمر الله فيه (أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم) وفيه رد على من ينكر القدر (لهم في الدنيا خزي) أي للمنافقين واليهود فخزي المنافقين الفضيحة وهتك الستر باظهار نفاقهم وخزي اليهود الجزية أو القتل أو السبي أو النفي ورؤيهم من محمد ﷺ وأصحابه فيهم ما يكرهون (ولهم في الآخرة عذاب عظيم) الخلود في النار (سماعون للكذب أكالون للسحت) قرأ ابن كثير وأبو جعفر وأهل البصرة والكسائي السحت بضم الحاء والآخرون بسكونها وهو الحرام وأصله الهلاك والشدة قال الله تعالى فيسحتكم بعذاب نزلت في حكم حكام اليهود كعب بن الأشرف وأمثاله كانوا يرتشون ويقضون لمن رشاهم قال الحسن كان الحاكم منهم إذا أتاه أحد برشوة جعلها في كمه فيريها إياه ويتكلم بحاجته فيسمع منه ولا ينظر إلى خصمه فيسمع الكذب ويأكل الرشوة وعنه أيضا قال إنما ذلك في الحكم إذا رشوته ليحق لك باطلا أو يبطل

(وإن لم تؤتوه فاحذروا) يعني وإن لم يفتكم بذلك وافتاكم بالرخم فاحذروا أن تقبلوه (ومن يرد الله فتنته) يعني كفره وضلالته (فلن تملك له من الله شيئا) يعني فلن تقدر على دفع أمر الله فيه (أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم) قال ابن عباس معناه أن يخلص نياتهم وقيل معناه لم يرد الله أن يهديهم وفي هذه الآية دلالة على أن الله تعالى لم يرد اسلام الكافر وانه لم يطهر قلبه من الشك والشرك ولو فعل ذلك لا من وهذه الآية من أشد الآيات على القدرية (لهم في الدنيا خزي) يعني للمنافقين واليهود أما خزي المنافقين فبالفضيحة وهتك الأستار باظهار نفاقهم وكفرهم وأما خزي اليهود فباخذ الجزية والقتل والسبي والاجلاء من أرض الحجاز إلى غيرها (ولهم في الآخرة عذاب عظيم) يعني الخلود في النار للمنافقين واليهود وقوله عز وجل (سماعون للكذب اكالون للسحت) نزلت في حكام اليهود مثل كعب بن الأشرف ونظرائه كانوا يرتشون ويقضون لمن رشاهم قال الحسن كان الحاكم منهم إذا أتاه احدهم برشوة جعلها في كمه ثم يريها إياه ويتكلم بحاجته فيسمع منه ولا ينظر إلى خصمه فيسمع الكذب ويأكل الرشوة وهي السحت واصل السحت الاستئصال يقال سحته إذا استأصله وسميت الرشوة في الحكم سحتا لأنها تستأصل دين المرتشي والسحت كله حرام يحمل عليه شدة الشره وهو يرجع إلى الحرام الخسيس الذي لا تكون له بركة ولا لاخذه مروءة ويكون في حصوله عار بحيث يخفيه لا محالة ومعلوم أن حالة الرشوة كذلك فلذلك حرمت الرشوة على الحاكم عن ابي هريرة ان رسول الله ﷺ لعن الراشي والمرتشي في الحكم اخرجه الترمذي واخرجه ابو داود عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال الحسن إنما ذلك في الحاكم إذا رشوته ليحق لك باطلا او يبطل عنك حقا وقال ابن مسعود الرشوة في كل شيء فمن شفع شفاعة ليرد بها حقا او يدفع بها ظلما فاهدى بها اليه فقبل فهو سحت فقيل له يا ابا عبد الرحمن ما كنا نرى ذلك إلا الاخذ على الحكم فقال الاخذ على الحكم كفر قال الله تعالى ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون ه قوله عز وجل (فان جاؤوك) يعني اليهود (فاحكم بينهم او اعرض عنهم وان تعرض عنهم فلن يضروك شيئا) خير الله رسوله ﷺ في الحكم بينهم فان شاء حكم وإن شاء ترك قال الحسن ومجاهد والسدي نزلت في اليهوديين اللذين زنيا وقال قتادة نزلت في رجلين من قريظة والنضير قتل احدهما الاخر قال ابن زيد كان حيي بن اخطب قد جعل للنضير ديتين وللقرظي دية واحدة لأنه كان من بني النضير فقالت قريظة لا نرضى بحكم حيي ونتحاكم إلى محمد فأنزل الله هذه الآية يخير نبيه محمدا ﷺ في الحكم بينهم (فصل) اختلف علماء التفسير في حكم هذه الآية على قولين احدهما انها منسوخة وذلك ان اهل الكتاب

عنك حقك فأما ان يعطي الرجل الوالي يخاف ظلمه ليدرأ به عن نفسه فلا بأس فالسحت هو الرشوة في الحكم على قول الحسن ومقاتل وقتادة والضحاك وقال ابن مسعود وهو الرشوة في كل شيء قال ابن مسعود من يشفع شفاعة ليرد بها حقا او يدفع بها ظلما فأهدى له فقبل فهو سحت فقيل له يا أبا عبد الرحمن ما كنا نرى ذلك إلا الاخذ على الحكم فقال الأخذ على الحكم كفر قال الله تعالى ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون اخبرنا عبد الواحد بن احمد المليحي انا احمد بن عبد الرحمن بن ابي شريح انا ابو القاسم البغوي ثنا علي بن الجعد انا ابن ابي ذئب عن الحرث بن عبد الرحمن عن ابي سلمة بن عبد الرحمن عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله ﷺ قال لعنة الله على الراشي

السحت كل كسب لا يحل قوله عز وجل (فان جاؤوك فاحكم بينهم او اعرض عنهم وإن تعرض عنهم فلن يضروك شيئا) خير الله تعالى رسوله ﷺ في الحكم بينهم إن شاء حكم وان شاء ترك واختلفوا في حكم الاية اليوم هل للحاكم الخيار في الحكم بين اهل الذمة اذا تحاكموا الينا فقال اكثر اهل العلم هو حكم ثابت وليس في سورة المائدة وحكم منسوخ وحكم المسلمين بالخيار في الحكم بين اهل الكتاب ان شاؤا حكموا وان شاؤا لم يحكموا وان حكموا حكموا بحكم الاسلام وهو قول النخعي والشعبي وعطاء وقتادة وقال قوم يجب على حاكم المسلمين ان يحكم بينهم والاية منسوخة نسخها قوله تعالى وان احكم بينهم بما انزل الله هو قول مجاهد وعكرمة وروى ذلك عن ابن عباس وقال لم ينسخ من المائدة إلا آيتان قوله تعالى لا تحلوا شعائر الله نسخها قوله تعالى اقتلوا المشركين وقوله فان جاؤك فاحكم بينهم واعرض عنهم نسخها قوله تعالى وان احكم بينهم بما انزل الله فاما اذا تحاكم الينا مسلم وذمي فيجب علينا الحكم بينهما لا يختلف القول فيه لانه لا يجوز للمسلم الانقياد

لحكم أهل الذمة قوله (ولئن حكمت فاحكم بينهم بالقسط) أى بالعدل (إن الله يحب المقسطين) أى العادلين روى عن النبى ﷺ
انه قال المقسطون عند الله على منابر (٤٦) من نور قوله تعالى (وكيف يحكمونك وعندهم التوراة) هذا تعجيب للنبى ﷺ

وفيه اختصار اى وكيف يجعلونك حكما بينهم فيرضون بحكمك وعندهم التوراة (فيها حكم الله) وهو الرجم (ثم يتولون من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين) اى بمصدقين لك قوله عز وجل (إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين اسلموا) اى أسلموا وانقادوا لأمر الله تعالى كما اخبر عن إبراهيم عليه السلام إذ قال له ربه أسلم قال اسلمت لرب العالمين وكما قال وله اسلم من فى السموات والأرض طوعا وكرها واراد بهم النبيين الذين بعثوا من بين موسى عليه السلام ليحكموا بما فى التوراة وقد اسلموا لحكم التوراة وحكموا بها فان من النبيين من لم يؤمر بحكم التوراة منهم عيسى عليه السلام قال الله سبحانه وتعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا وقال الحسن والسدى اراد به محمدا صلى الله عليه وسلم حكم على اليهود بالرجم ذكر بلفظ الجمع كما قال إن ابراهيم كان أمة قانتا وقوله تعالى (للذين هادوا) قيل فيه تقديم وتأخير تقديره فيها هدى ونور للذين هادوا ثم قال يحكم بها النبيون الذين اسلموا والربانيون وقيل هو على موضعه ومعناه يحكم بها النبيون الذين اسلموا على الذين هادوا كما قال وإن الزهرى

كانوا إذا ترفعوا إلى النبى ﷺ كان مخيرا فان شاء حكم بينهم وإن شاء أعرض عنهم ثم نسخ ذلك بقوله وإن أحكم بينهم بما أنزل الله فلزمه الحكم بينهم وزال التخيير وهذا القول مروى عن ابن عباس وعطاء ومجاهد وعكرمة والسدى والقول الثانى انها محكمة وحكام المسلمين بالخيار وإذا ترفعوا إليهم فان شاؤا حكموا بينهم وإن شاؤا أعرضوا عنهم وهذا القول مروى عن الحسن والشعبى والنخعى والزهرى وبه قال أحمد لأنه لا منافاة بين الآيتين أما قوله فاحكم بينهم أو أعرض عنهم ففيه التخيير بين الحكم والاعراض وأما قوله وإن احكم بينهم بما انزل الله ففيه كيفية الحكم إذا حكم بينهم قال الامام فخر الدين الرازى ومذهب الشافعى انه يجب على حاكم المسلمين أن يحكم بين اهل الكتاب إذا تحاكموا اليه لأن فى امضاء حكم الاسلام صغارا لهم فأما المعاهدون الذين لهم مع المسلمين عهد إلى مدة فليس بواجب على الحاكم ان يحكم بينهم بل يتخير فى ذلك وهذا التخيير المذكور فى هذه الاية مخصوص بالمعاهدين وأما إذا تحاكم مسلم وذمى وجب على الحاكم الحكم بينهم لا يختلف القول فيه لأنه لا يجوز للمسلم الانقياد لحكم أهل الذمة والله أعلم وقوله تعالى (وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط) يعنى بالعدل والاحتياط (إن الله يحب المقسطين) يعنى العادلين فيما ولوا وحكموا فيه (م) عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال رسول الله ﷺ إن المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين الذين يعدلون فى حكمهم وأهليهم وما ولوا هذا من أحاديث الصفات فمن العلماء من قال فيه وفى أمثاله نؤمن بها ولا نتكلم فى تأويلها ولا نعرف معناها لكن نعتقد أن ظاهرها غير مراد وان لها معنى يليق بالله هذا مذهب جماهير السلف وطوائف من المتكلمين ومنهم من قال انها تؤول بتأويل يليق بها وهذا قول اكثر المتكلمين فعلى هذا القاضى عياض المراد بكونهم عن اليمين الحالة الحسنة والمنزلة الرفيعة والعرب تنسب الفعل المحمود والاحسان إلى اليمين وضده إلى اليسار قالوا واليمين مأخوذ من اليمن وقوله وكلتا يديه يمين منى على انه ليس المراد باليمين الجارحة تعالى الله عن ذلك فأنها مستحيلة فى حقه تعالى وقوله وما ولوا بفتح الواو وهم اللام المخففة هكذا ذكره الشيخ محيى الدين فى شرح مسلم قال ومعناه وما كانت لهم عليه ولاية وهذا الفصل لمن عدل فيما تقلده من الأحكام والله أعلم قوله تعالى (وكيف يحكمونك وعندهم التوراة) هذا تعجيب من الله تعالى لنبيه محمد ﷺ فى تحكيم اليهود إياه مع علمهم بما فى التوراة وتركهم قبول ذلك الحكم مع اعتقادهم صحته وعدولهم إلى حكم من يجحدون نبوته طلبا للرخصة لأجرم ان الله تعالى أظهر جهلهم وعنادهم لأنهم حكموا النبى ﷺ فى أمر الزانين ثم أعرضوا عن حكمه فى الاية لتقريع اليهود والمعنى وكيف يجعلونك حكما بينهم ويرضون بحكمك وعندهم التوراة (فيها حكم الله) يعنى الرجم الذى تحاكموا إليك من أجله (ثم يتولون من بعد ذلك) يعنى ثم يعرضون عن حكمك الموافق لما فى كتابهم (وما أولئك) يعنى اليهود (بالمؤمنين) ويعنى بكتابهم كما يزعمون وقيل وما أولئك بالمصدقين * قوله عز وجل (إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور) سبب نزول هذه الآية استفتاء اليهود رسول الله ﷺ فى أمر الزانيين وقد سبق بيانه والهدى هو البيان لأن التوراة مبينة صحة نبوة محمد ﷺ ومبينة ما تحاكموا فيه والنور هو الكاشف للشبهات الموضح للمشكلات والتوراة وكذلك وقيل الفرق بين الهدى والنور أن الهدى محمول على بيان الأحكام والشرائع والنور محمول على بيان أحكام التوحيد والنبوات والمعاد (يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا) أراد بالنبيين الذين بعثوا بعد موسى عليه السلام وذلك أن الله بعث فى بنى اسرائيل ألوفا من الأنبياء وليس معهم كتاب إنما بعثوا باقامة التوراة وأحكامها ومعنى أسلموا اى انقادوا لأمر الله تعالى والعمل بكتابه وهذا على سبيل المدح لهم وفيه تعريض باليهود لأنهم بعدوا عن الإسلام الذى هو دين الأنبياء عليهم السلام وقال الحسن

أسأتم فيها اى فعليها كما قال اولئك لهم اللعنة عليهم وقيل فيه حذف كانه قال للذين هادوا وعلى الذين هادوا فحذف احدهما اختصارا

(والربانيون والاحبار) يعنى العلماء وأحدها حبر وحبر بفتح الحاء وكسرها والكسر افصح وهو العالم المحكم فى الشىء قال الكسائى وأبو عبيدة هو من الحبر الذى يكتب به وقال قطرب هو من الحبر الذى هو بمعنى الجمال بفتح (٤٧) الحاء وكسرها وفى الحديث يخرج من النار رجل قد ذهب حبره وسبره أى حسنه وهيأته ومنه التحبير وهو التحسين فسمى العالم حبرا لما عليه من جمال العلم وبهائه وقيل الربانيون ههنا من النصارى والاحبار من اليهود قوله عز وجل (بما استحفظوا من كتاب الله) أى استودعوا من كتاب الله (وكانوا عليه شهداء) أنه كذلك (فلا تخشوا الناس واخشون ولا تشتروا بآياتى ثمنا قليلا ومن لم يحكم بما أنزل الله فاولئك هم الكافرون) قال قتادة والضحاك نزلت هذه الآية الثلاث فى اليهود دون من أسلم من هذه الأمة روى عن البراء بن عازب رضى الله عنه فى قوله ومن لم يحكم بما أنزل الله فاولئك هم الكافرون والظالمون والفاسقون كلها فى الكافرين وقيل هى على الناس كلهم وقال ابن عباس وطاوس ليس بكفر ينقل عن الملة بل إذا فعله فهو به كافر وليس كمن كفر بالله واليوم الاخر قال عطاء هو كفر دون كفر وظلم دون ظلم وفسق دون فسق وقال عكرمة معناه ومن لم يحكم بما أنزل الله جاحدا به فقد كفر ومن اقر به ولم يحكم به فهو ظالم فاسق وسئل عبد العزيز بن يحيى الكنانى عن هذه الايات

والزهرى وعكرمة وقتادة والسدى يحتمل أن يكون المراد بالنبيين الذين أسلموا هو محمد ﷺ وإنما ذكره بلفظ الجمع تعظيما وتشريفا له ﷺ لان النبى ﷺ حكم على اليهود بالرجم وكان هذا الحكم فى التوراة قال ابن الانبارى هذا رد على اليهود والنصارى لان الانبياء عليهم السلام ما كانوا موصوفين باليهودية والنصرانية بل كانوا مسلمين لله تعالى منقادين لأمره ونهيه للذين هادوا يعنى يحكم بالتوراة لهم وفيما بينهم ويحملهم على أحكامها كما فعل رسول الله ﷺ من حملهم على حكم الرجم كما هو فى التوراة ولم يوافقهم على ما أرادوه من الجلد وقال الزجاج وجائز أن يكون المعنى على التقديم والتأخير على معنى أنزلنا التوراة فيها هدى ونور للذين هادوا يحكم بها النبيون الذين اسلموا (والربانيون والاحبار) أما الربانيون فتقدم تفسيره فى سورة ال عمران وأما الاحبار فقال ابن عباس هم الفقهاء وقيل هم العلماء الاحبار واحده حبر بفتح الحاء وكسرها لغتان وقال الفراء انما هو حبر بكسر الحاء وإنما سمى به لمكان الحبر الذى يكتب به وذلك لأنه صاحب كتاب وقال أبو عبيد إنما هو حبر بفتح الحاء والحبر العالم لما بقى من أثر علومه فى قلوب الناس وأفعاله الحسنة التى يقتدى بها وجمعه احبار ومنه كعب الاحبار وقيل الحبر الأثر المستحسن ومنه الحديث يخرج من النار رجل قد ذهب حبره وسبره اى جماله وبهاؤه وإنما سمى العالم حبرا لما عليه من أثر جمال العلم وهل فرق بين الربانيين والاحبار ام لا فيه خلاف فقيل لا فرق والربانيون والاحبار بمعنى واحد وهم العلماء والفقهاء وقيل الربانيون أعلى درجة من الاحبار لان الله تعالى قدمهم فى الذكر على الاحبار وقيل الربانيون هم الولاة والحكام والاحبار العلماء وقيل الربانيون علماء النصارى والاحبار علماء اليهود ومعنى الاية يحكم باحكام التوراة النبيون وكذلك يحكم بها الربانيون والاحبار * وقوله تعالى (بما استحفظوا من كتاب الله) يعنى بما استودعوا من كتاب الله وقيل هو أن يحفظوا كتاب الله فلا ينسوه وقيل هو أن يحفظوه فلا يضيعوا أحكامه وشرائعه وقد أخذ الله على العلماء حفظ كتابه من هذين الوجهين معا وذلك بأن يحفظوا كتاب الله فى صدورهم ويدرسونه بألسنتهم لئلا ينسوه وان لا يضيعوا أحكامه ولا يهملوا شرائعه فاذا فعلوه ذلك كانوا قائمين بحفظه (وكانوا عليه شهداء) يعنى ان هؤلاء النبيين والربانيين والاحبار كانوا شهداء على كتاب الله تعالى ويعلمون أنه حق وصدق وانه من عند الله (فلا تخشوا الناس واخشون) هذا خطاب لحكام اليهود الذين كانوا فى زمان رسول الله ﷺ يعنى لا تخافوا أحدا من الناس فى اظهار صفة محمد ﷺ والعمل بالرجم واخشون يعنى فى كتمان ذلك (ولا تشتروا بآياتى ثمنا قليلا) يعنى ولا تستبدلوا بآيات الله وأحكامه ثمنا قليلا يعنى الرشوة فى الأحكام والجاه عند الناس ورضاهم والمعنى كما نهيتكم عن تغيير الأحكام لأجل خوف الناس كذلك انهاكم عن التغيير والتبديل لأجل الطمع فى المال والجاه وأخذ الرشوة فان كل متاع الدنيا قليل (ومن لم يحكم بما أنزل الله فاولئك هم الكافرون) يعنى ان اليهود لما أنكروا حكم الله تعالى المنصوص عنه فى التوراة وقالوا انه غير واجب علينا فهم كافرون على الاطلاق بموسى والتوراة وبمحمد ﷺ والقرآن واختلف العلماء فيمن نزلت هذه الايات الثلاث وهى قوله ومن لم يحكم بما أنزل الله فاولئك هم الكافرون ومن لم يحكم بما أنزل الله فاولئك هم الظالمون ومن لم يحكم بما أنزل الله فاولئك هم الفاسقون فقال جماعة من المفسرين الايات الثلاث نزلت فى الكفار ومن غير حكم الله من اليهود لان المسلم وإن ارتكب كبيرة لا يقال أنه كافر وهذا قول ابن عباس وقتادة والضحاك ويدل على صحة هذا القول ما روى عن البراء بن عازب قال أنزل الله تبارك وتعالى ومن لم يحكم بما انزل الله فأولئك هم الكافرون ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون ومن لم يحكم بما أنزل الله فاولئك هم الفاسقون فى الكفار كلها أخرجه مسلم وعن ابن عباس قال ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون إلى قوله الفاسقون هذه الايات الثلاث فى اليهود فقال أنها تقع على جميع ما أنزل الله لا على بعضه وكل من لم يحكم بجميع ما أنزل الله فهو كافر ظالم فاسق فأما من حكم بما أنزل الله من التوحيد وترك الشرك ثم لم يحكم ببعض ما أنزل الله من الشرائع لم يستوجب حكم هذه الايات وقال العلماء هذا إذا رد نص حكم

الله عيانا عمدا فاما من خفي عليه أو أخطأ في تأويل فلا قوله تعالى (وكتبنا عليهم فيها) أي أوجبنا على بني إسرائيل في التوراة (أن النفس بالنفس) يعني من نفس القاتل بنفس المقتول (٤٨) وفاء يقتل به (والعين بالعين) تفقأ بها (والانف بالانف) يجدع به (والاذن بالاذن) تقطع

خاصة قريظة والنضير أخرجه أبو داود وقال مجاهد في هذه الآيات الثلاث من ترك الحكم بما أنزل الله ردا لكتاب الله فهو كافر ظالم فاسق وقال عكرمة ومن لم يحكم بما أنزل الله جاحدا به فقد كفر ومن اقر به ولم يحكم به فهو ظالم فاسق وهذا قول ابن عباس أيضا واختيار الزجاج لانه قال من زعم ان حكما من احكام الله تعالى التي اتت بها الانبياء باطل فهو كافر وقال طاوس قلت لابن عباس أكافر من لم يحكم بما أنزل الله فقال به كفر وليس بكفر ينقل عن الملة كمن كفر بالله وملائكته ورسله واليوم الاخر ونحو هذا روى عن عطاء قال هو كفر دون الكفر وقال ابن مسعود والحسن والنخعي هذه الايات الثلاث عامة في اليهود وفي هذه الامة فكل من ارتشى وبدل الحكم فحكم بغير حكم الله فقد كفر وظلم وفسق وإليه ذهب السدي لانه ظاهر الخطاب وقيل هذا فيمن علم نص حكم الله ثم رده عيانا عمدا وحكم بغيره وأما من خفي عليه النص أو أخطأ في التأويل فلا يدخل في هذا الوعيد والله أعلم بمراده * قوله تعالى (وكتبنا عليهم فيها ان النفس بالنفس) يعني وفرضنا على بني إسرائيل في التوراة ان نفس المقتول وفاقا فيقتل به وذلك ان الله تعالى حكم في التوراة على الزاني المحصن الرجم واخبر ان اليهود بدلوه وغيروه واخبر أيضا في التوراة ان النفس بالنفس وأن هؤلاء اليهود غيروا هذا الحكم وبدلوه ففضلوا بني النضير على بني قريظة فكان بنو النضير إذا قتلوا من قريظة ادوا اليهم نصف الدية وإذا قتل بنو قريظة من بني النضير أدوا إليهم الدية كاملة فغيروا حكم الله الذي أنزل في التوراة قال ابن عباس أخبر الله بحكمه في التوراة وهو أن النفس بالنفس والعين بالعين والانف بالانف والاذن بالاذن والسن بالسن والجروح قصاص قال فالهم يخالفون فيقتلون النفسين بالنفس ويفقأون العينين بالعين ومعنى الاية أن قاتل النفس يقتل بها إذا تكافأ الدمان ومذهب الشافعي أنه لا يقتل مسلم بكافر لما صح من حديث علي بن أبي طالب ان النبي ﷺ قال لا يقتل مسلم بكافر الحديث أخرجاه في الصحيحين وقوله تعالى (والعين بالعين) يعني تفقأ بها (والانف بالانف) يعني يجدع بها (والأذن بالأذن) يعني تقطع بها (والسن بالسن) يعني تقلع بها وأما سائر الأطراف والأعضاء فيجري فيها القصاص كذلك * وقوله تعالى (والجروح قصاص) يعني فيما يمكن أن يقتص منه وهذا تعميم بعد التخصيص لان الله تعالى ذكر النفس والعين والانف والأذن فخص هذه الأربعة بالذكر ثم قال تعالى والجروح قصاص على سبيل العموم فيما يمكن ان يقتص منه كاليد والرجل والذكر والانثيين وغيرها واما ما لا يمكن القصاص فيه كرض في لحم أو كسر في عظم أو جراحة في بطن يخاف منها التلف فلا قصاص في ذلك وفيه الارش والحكومة واعلم أن هذه الاية دالة على أن هذا الحكم كان شرعا في التوراة فمن قال شرع من قبلنا يلزمنا إلا ما نسخ منه بالتفضيل قال هذه الاية حجة في شرعنا ومن انكره قال انها ليست بحجة علينا وأصل هذه المسئلة أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأمته بعد البعثة هل هم متعبدون بشرع من تقدم من الأنبياء عليهم السلام فنقل عن أصحاب أبي حنيفة وبعض أصحاب الشافعي وعن أحمد في إحدى الروايتين عنه انه كان متعبدا بما صح من شرائع من قبله بطريق الوحي اليه لا من جهة كتبهم المبدلة ونقل أربابها واختار ابن الحاجب من المتاخرين هذا المذهب وهو انه ﷺ كان بعد البعثة متعبدا بشرع من قبله فيما لم ينسخ من الأحكام الباقية قبل شريعته لكنه لم يعتبر فيه قيد الوحي وهو الحق الالم يبق للنزاع معنى إذ لا ينكر احد كون النبي ﷺ متعبدا بعد البعثة بما أوحي إليه سواء كان من شريعة من قبله ام لا وذهب الأشاعرة والمعتزلة إلى المنع من ذلك وهو اختيار الامدي من المتاخرين واحتج الأولون لصحة مذهبهم بان الاجماع منعقد على صحة الاستدلال بقوله وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس الاية مع أنه من شريعة من تقدم لانه مذكور في التوراة ومكتوب على بني إسرائيل ولولا انا متعبدون بشريعة من قبلنا لما صح هذا الاستدلال وقوله تعالى (فمن تصدق به) يعني بالقصاص فلم يقتص من الجاني (فهو كفارة له) في هاء له قولان أحدهما ان الهاء

بها قال ابن عباس اخبر الله تعالى بحكمه في التوراة وهو ان النفس بالنفس واحدة بواحدة إلى آخرها فما بالهم يخالفون فيقتلون بالنفس النفسين ويفأون بالعين العينين وخفف نافع الأذن في جميع القران ونقلها الاخرون (والسن بالسن) تقلع بها وسائر الجوارح قياس عليها في القصاص (والجروح قصاص) فهذا تعميم بعد تخصيص لانه ذكر العين والانف والاذن والسن ثم قال والجروح قصاص أي فيما يمكن الاقتصاص منه كاليد والرجل واللسان ونحوها واما ما لا يمكن الاقتصاص منه من كسر عظم أو جرح لحم كالحائفة ونحوها فلا قصاص فيه لانه لا يمكن الوقوف على نهايته وقرأ الكسائي والعين وما بعدها بالرفع وقرأ ابن كثير وابن عامر وابو جعفر وابو عمرو والجروح بالرفع فقط وقرأ الاخرون كلها بالنصب كالنفس قوله تعالى (فمن تصدق به) اي بالقصاص (فهو كفارة له) قيل الهاء في له كناية عن المجروح وولي القتيل اي كفارة للمصدق وهو قول عبد الله بن عمرو بن العاص والحسن والشعبي وقتادة أخبرنا ابو سعيد

وقتادة أخبرنا أبو سعيد أحمد بن ابراهيم الشريحي أنا ابو اسحق احمد بن محمد بن في ابراهيم الثعلبي انا عبد الله الحسين بن محمد الدينوري انا عمر بن الخطاب انا عبد الله بن الفضل اخبرنا أبو خيثمة انا جرير عن مغيرة عن الشعبي عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تصدق من جسده بشيء كفر الله عنه

بقدره من ذنوبه وقال جماعة هي كناية عن الجارح والقاتل يعني إذا عفا المجني عليه عن الجاني فعفوه كفارة لذنب الجاني لا يؤاخذ به في الاخرة كما أن القصاص كفارة له فاما أجر العافي فعلى الله عز وجل قال الله تعالى فمن عفا وأصلح فأجره على الله روى ذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما وهو قول إبراهيم ومجاهد وزين بن أسلم (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون وقفينا على آثارهم) أي على آثار النبيين الذين أسلموا (بعيسى بن مريم مصدقا لما بين يديه من التوراة وآتيناه الإنجيل فيه) اي في (٤٩) الانجيل (هدى ونور ومصدقا) يعني

في له كناية عن المجروح وولي المقتول وذلك أن المجروح أو ولي المقتول إذا تصدق بالقصاص كان ذلك كفارة لذنوبه وهذا قول ابن مسعود وعبد الله بن عمرو بن العاص والحسن ويدل عليه ما روى عن ابي الدرداء قال سمعت رسول الله ﷺ يقول ما من رجل يصاب بشيء من جسده فيتصدق به إلا رفعه الله به درجة وحط عنه به خطيئة اخرجه الترمذي وعن أنس قال ما رأيت رسول الله ﷺ رفع إليه شيء فيه قصاص إلا أمر فيه بالعفو أخرجه ابو داود والنسائي والقول الثاني أن الضمير في قوله يعود إلى الجارح والقاتل يعني ان المجني عليه إذا عفا عن الجاني كان ذلك العفو كفارة لذنب الجاني لا يؤاخذ به في الاخرة وهذا قول ابن عباس ومجاهد وقتادة فاما اجر العافي فعلى الله تعالى ٭ وقوله تعالى (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون) يعني لأنفسهم حيث لم يحكموا بما أنزل الله عز وجل ٭ قوله عز وجل (وقفينا على آثارهم) يعني وعقبنا على آثار النبيين الذين أسلموا (بعيسى بن مريم مصدقا لما بين يديه من التوراة) يعني ان عيسى عليه السلام كان مصدقا بان التوراة منزله من عند الله عز وجل وكان العمل بها واجبا قبل ورود النسخ عليها فان عيسى عليه السلام نسخ بعض احكام التوراة وخالفها (وآتيناه الانجيل فيه هدى ونور) يعني فيه هدى من الجهالة وضياء من عمى البصيرة (ومصدقا لما بين يديه من التوراة) هذا ليس بتكرار للاول لأن في الأول الاخبار بأن عيسى مصدق لما بين يديه من التوراة وفي الثاني الاخبار بأن الانجيل مصدق للتوراة فظهر الفرق بين اللفظين وأنه ليس بتكرار (وهدى وموعظة للمتقين) إنما قال وهدى مرة اخرى لأن الانجيل يتضمن البشارة بمحمد ﷺ فيكون سببا لاهتداء الناس إلى نبوة محمد ﷺ وأما كون الانجيل موعظة فلما فيه من المواعظ البليغة والزواجر والامثال وإنما خص المتقين بالذكر لأنهم هم الذين ينتفعون بالمواعظ ٭ قوله تعالى (وليحكم أهل الإنجيل بما انزل الله فيه) قال اهل المعاني قوله وليحكم يحتمل وجهين أحدهما ان يكون المعنى وقلنا ليحكم أهل الانجيل فيكون هذا إخبارا عما فرض عليهم في وقت إنزاله عليهم من الحكم بما تضمنه الانجيل ثم حذف القول لأن ما قبله من قوله وكتبنا وقفينا يدل عليه وحذف القول كثير والوجه الثاني ان يكون قوله وليحكم ابتداء وفيه أمر للنصارى بالحكم بما في كتابهم وهو الانجيل ٭ فان قلت فعلى هذا الوجه كيف جاز ان يؤمروا بالحكم بما في الانجيل بعد نزول القرآن قلت ان المراد بهذا الحكم الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم لأن ذكره في الانجيل ووجوب التصديق بنبوته موجود فاذا آمنوا بمحمد ﷺ لأن ذكره في الانجيل ووجوب التصدين بنبوته موجودا فاذا آمنوا بمحمد ﷺ فقد حكموا بما في الانجيل ٭ وقوله (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون) يعني فأولئك هم الخارجون عن طاعة الله عز وجل ٭ قوله عز وجل (وأنزلنا إليك الكتاب) الخطاب للنبي ﷺ يعني وأنزلنا إليك يا محمد القرآن (بالحق) يعني بالصدق الذي لا شك فيه انه من عند الله (مصدقا لما بين يديه من الكتاب) يعني انه يصدق جميع الكتب التي أنزلها الله على أنبيائه (ومهيمنا عليه) قال ابن عباس يعني شاهدا على الكتب التي قبله ومنه قول حسان :

إن الكتاب مهيمن لنبينا ٭ والحق يعرفه ذوو الألباب

يريد أنه شاهد ومصدق لنبينا ﷺ وإنما كان القرآن مهيمنا على الكتب التي قبله لأنه الكتاب

الانجيل (لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقين وليحكم أهل الانجيل بما أنزل الله فيه) قرأ الأعمش وحمزة وليحكم بكسر اللام ونصب الميم اي لكي يحكم وقرأ الاخرون بسكون اللام وجزم الميم على الأمر قال مقاتل بن حيان امر الله الربانيين والأحبار ان يحكموا بما أنزل الله في التوراة وأمر القسيسين والرهبان أن يحكموا بما في الانجيل فكفروا وقالوا عزير ابن الله والمسيح ابن الله (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون) الخارجون عن أمر الله عز وجل قوله سبحانه وتعالى (وأنزلنا إليك) يا محمد (الكتاب) القرآن (بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب) اي من الكتب المنزلة من قبل (ومهيمنا عليه) روي الوالبي عن ابن عباس رضي الله عنهما اي شاهدا عليه وهو قول مجاهد وقتادة والسدي والكسائي قال حسان ان الكتاب مهيمن لنبينا والحق يعرفه ذوو الألباب يريد شاهدا ومصدقا وقال عكرمة دالا وقال

سعيد بن جبير وأبو عبيدة مؤتمنا عليه وقال الحسن اميناً وقيل اصله مؤيمن مفيعل من أمين كما قالوا مبيطر من البيطار فقلبت الهمزة هاء كما قالوا ارقت الماء وهرقته وايهات وهيهات ونحوها ومعنى امانة القرآن ما قال ابن جريج القرآن امين على ما قبله من الكتب فما أخبر اهل الكتاب عن كتابهم فان كان في القرآن فصدقوا وإلا فكذبوا وقال سعيد بن المسيب والضحاك قاضيا وقال الخليل رقيبا وحافظا والمعاني متقاربة ومعنى الكل ان الكل كتاب يشهد بصدق القرآن فهو كتب الله تعالى وإلا فلا

الذى لا ينسخ ولا يغير ولا يبدل وإذا كان القرآن كانت شهادته على التوراة والانجيل والزبور وجميع الكتب المنزلة حقا وصدقا وقيل المهيمن الأمين وإنما كان القرآن أمينا على الكتب التى قبله فيما اخبر أهل الكتب عن كتبهم فان قالوا ذلك فى القرآن فقد صدقوا وإلا فلا (فاحكم بينهم بما أنزل الله) يعنى إذا ترافع أهل الكتاب إليك يا محمد فاحكم بينهم بالقرآن الذى أنزله الله إليك (ولا تتبع أهواءهم) يعنى ولا تتبع اهواء هؤلاء اليهود فى الحكم وقال ابن عباس لا تأخذ بأهوائهم فى جلد المحصن (عما جاءك من الحق) يعنى ولا تنحرف عن الحق الذى جاءك من عند الله متبعا أهواءهم وقوله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق وإن كان خطابا للنبى ﷺ لكن المراد به غيره لأنه ﷺ لم يتبع أهواءهم قط. وقوله تعالى (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا) الخطاب فى قوله منكم للامم الثلاثة أمة موسى وأمة عيسى وأمة محمد ﷺ وعليهم اجمعين بدليل ان الله عز وجل قال قبل هذه إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور ثم قال بعد ذلك وقفينا على آثارهم بعيسى ابن مريم ثم قال وأنزلنا إليك الكتاب ثم جمع فقال لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا والشرعة الشريعة يعنى لكل أمة شريعة فللتوراة شريعة وللانجيل شريعة وللقرآن شريعة والدين واحد وهو التوحيد وأصل الشريعة من الشرع وهو البيان والاظهار فمعنى شرع بين ووضح وقيل هو من الشروع فى الشىء والشريعة فى كلام العرب المشرعة التى يشرعها الناس فيشربون ويسقون منها وقيل الشريعة الطريقة ثم استعير ذلك للطريقة الالهية المؤدية إلى الدين والمنهاج الطريق الواضح وقال بعضهم الشريعة والمنهاج عبارتان عن معنى واحد والتكرير للتأكيد والمراد بهما الدين وقال آخرون بينهما فرق لطيف وهو أن الشريعة هى التى أمر الله بها عباده والمنهاج الطريق الواضح المؤدى إلى الشريعة قال ابن عباس فى قوله شرعة ومنهاجا سنة وسبيلا وقال قتادة سبيلا وسنة فالسنن مختلفة للتوراة شريعة وللانجيل شريعة وللقرآن شريعة يحل الله عز وجل فيها ما يشاء ويحرم ما يشاء ليعلم من يطيعه ممن يعصيه والدين الذى لا يقبل غيره هو التوحيد والاخلاص لله الذى جاءت به جميع الرسل عليهم السلام وقال على بن أبى طالب الايمان منذ بعث آدم عليه السلام شهادة أن لا إله إلا الله والاقرار بما جاء من عند الله وكل قوم شريعة ومنهاج قال العلماء وردت آيات دالة على عدم التباين فى طريقة الأنبياء والرسل منها قوله شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا إلى قوله أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ومنها قوله أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده ووردت آيات دالة على حصول التباين بينهم منها هذه الآية وهى قوله لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا وطريق الجمع بين هذه الآيات ان كل آية دلت على عدم التباين فهى دالة على أصول الدين من الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر وكل ذلك جاءت به الرسل من عند الله ولم يختلفوا فيه واما الايات الدالة على حصول التباين بينهم فمحمولة على الفروع وما يتعلق بظواهر العبادات فجائز أن يتعبد الله عباده فى كل وقت بما يشاء فهذه طريق الجمع بين هذه الايات والله أعلم بأسرار كتابه واحتج بهذه من قال إن شرع من قبلنا لا يلزمنا لأن قوله لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا يدل على ان كل رسول جاء بشريعة خاصة فلا يلزم أمة رسول الاقتداء بشريعة رسول آخر ثم قال تعالى (ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة) يعنى جماعة متفقة على شريعة واحدة ودين واحد لاختلاف فيه (ولكن ليبلوكم) يعنى ولكن أراد أن يختبركم (فيما آتاكم) يعنى من الشرائع المختلفة هل تعملون بها أم لا فيتبين بذلك المطيع من العاصى والموافق من المخالف (فاستبقوا الخيرات) هذا خطاب لأمة محمد ﷺ يعنى فبادروا يا أمة محمد بالأعمال الصالحات التى تقربكم إلى الله تعالى (إلى الله مرجعكم جميعا) يعنى المطيع والعاصى والموافق والمخالف (فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون) يعنى فيخبركم فى الاخرة بما كنتم فيه تختلفون من أمر الدين والدنيا والمعنى فيخبركم فى الاخرة بما لا تشكون معه فيفصل بين المحق والمبطل والطائع والعاصى بالثواب والعقاب. قوله تعالى (وأن احكم بينهم بما أنزل الله) قال ابن عباس ان كعب بن أسيد وعبد الله بن صوريا وشاس بن قيس قال بعضهم لبعض اذهبوا بنا إلى محمد لعلنا نفتنه عن دينه فاتوه فقالوا يا محمد قد عرفت انا

فاحكم يا محمد (بينهم) بين أهل الكتاب إذا ترافعوا اليك (بما أنزل الله) تعالى بالقرآن (ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق) أى لا تعرض عما جاءك من الحق ولا تتبع أهواءهم (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا) قال ابن عباس والحسن ومجاهد أى سبيلا وسنة فالشرعة والمنهاج الطريق الواضح وكل ما شرعت فيه فهو شريعة وشرعة ومنه شرائع الاسلام لشروع أهلها فيها وأراد بهذا أن الشرائع مختلفة ولكل أهل ملة شريعة قال قتادة الخطاب للامم الثلاث أمة موسى وأمة عيسى وأمة محمد ﷺ وعليهم أجمعين فالتوراة شريعة والانجيل شريعة والفرقان شريعة والدين واحد وهو التوحيد (ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة) أى على ملة واحد (ولكن ليبلوكم) ليختبركم (فيما آتاكم) من الكتب وبين لكم من الشرائع فيبين المطيع من العاصى والموافق من المخالف (فاستبقوا الخيرات) فبادروا إلى الأعمال الصالحة (إلى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون) قوله عز وجل (وأن احكم بينهم بما أنزل الله) اليك

(ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك) قال ابن عباس رضي الله عنهما قال كعب بن أسيد وعبدالله بن صوريا وشاس بن قيس من رؤساء اليهود بعضهم لبعض اذهبوا بنا إلى محمد لعلنا نفتنه عن دينه فاتوه فقالوا يا محمد قد عرفت انا أحبار اليهود وأشرافهم وإنا إن اتبعناك لم يخالفنا اليهود وان بيننا وبين الناس خصومات فنحاكمهم إليك فاقض لنا عليهم تؤمن بك ويتبعنا غيرنا ولم يكن قصدهم الايمان وإنما كان قصدهم التلبيس ودعوته إلى الميل في الحكم فأنزل الله عز وجل هذه الآية (فان تولوا) أي أعرضوا عن الإيمان والحكم بالقرآن (فاعلم إنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم) أي فاعلم أن اعراضهم من أجل ان الله يريد ان يعجل لهم العقوبة في الدنيا ببعض ذنوبهم (وان كثيرا من الناس) يعني اليهود (لفاسقون أفحكم الجاهلية يبغون) قرأ ابن عامر تبغون بالتاء وقرأ الاخرون بالياء أي يطلبون (ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء) اختلفوا في نزول هذه الاية وان كان حكما عاما لجميع المؤمنين فقال قوم نزلت في عبادة بن الصامت وعبدالله بن ابي بن سلول وذلك انهما اختصما فقال عبادة ان لي اولياء من اليهود كثير عددهم شديدة شوكتهم واني ابرأ إلى الله وإلى رسوله من ولايتهم وولاية اليهود ولا مولى لي إلا الله ورسوله فقال عبد الله لكني لا ابرأ من ولاية اليهود لأني اخاف الدوائر ولابد لي منهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا الحباب ما نفست به من ولاية اليهود على عبادة بن الصامت فهو لك دونه قال إذا أقبل فأنزل الله تعالى هذه الاية قال السدي لما كانت وقعة أحد اشتدت على طائفة من الناس وتخوفوا ان يدال علينا فقال رجل من المسلمين انا الحق بفلان اليهودي وآخذ منه امانا إني أخاف ان يدال علينا اليهود وقال رجل آخر أما انا فالحق بفلان النصراني من أهل الشام وآخذ منه امانا فأنزل الله تعالى هذه الاية ينهاهما وقال عكرمة نزلت في ابي لبابة بن المنذر بعثه النبي صلى الله عليه وسلم إلى بني قريظة حين حاصرهم فاستشاروه في النزول وقالوا ماذا يصنع بنا إذا نزلنا فجعل إصبعه على حلقه انه الذبح أي يقتلكم فنزلت هذه الاية

أحبار اليهود وأشرافهم وساداتهم وانا إن اتبعناك اتبعنا اليهود ولم يخالفونا وأن بيننا وبين قومنا خصومة فنتحاكم إليك فاقض لنا عليهم نؤمن بك ونصدقك فأبى رسول الله ﷺ فأنزل الله هذه الاية وان احكم بينهم بما أنزل الله يعني احكم بينهم يا محمد بالحكم الذي أنزله الله في كتابه (ولا تتبع أهواءهم) يعني فيما أمروك به قال العلماء ليس في هذه الاية تكرار لما تقدم وانما أنزلت في حكمين مختلفين اما الاية الأولى فنزلت في شأن رجم المحصن وان اليهود طلبوا منه ان يجلده وهذه الاية نزلت في شأن الدماء والديات حين تحاكموا اليه في أمر قتيل كان بينهم قال بعض العلماء هذه الاية ناسخة للتخيير في قوله فاحكم بينهم او اعرض عنهم * وقوله تعالى (واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله اليك) يعني واحذر يا محمد هؤلاء الذين جاؤا اليك ان يصرفوك ويصدوك بمكرهم وكيدهم فيحملوك على ترك العمل ببعض ما أنزل الله اليك في كتابه وأنواع أهوائهم (فان تولوا) يعني فان أعرضوا عن الايمان بك والرضا بالحكم بما أنزل الله عليك (فاعلم إنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم) يعني فاعلم يا محمد ان الله يريد ان يعجل لهم العقوبة في الدنيا ببعض ذنوبهم وإنما خص بعض الذنوب لأن الله جازاهم في الدنيا على بعض ذنوبهم بالقتل والسبي والجلاء وأخر مجازاتهم على باقي ذنوبهم إلى الاخرة (وان كثيرا من الناس لفاسقون) يعني اليهود لأنهم ردوا حكم الله تعالى (أفحكم الجاهلية يبغون) يعني أفحكم الجاهلية يطلب هؤلاء اليهود قال ابن عباس يعني بحكم الجاهلية ما كانوا عليه من الضلال والجور في الأحكام وتحريفهم إياها عما أمر الله به وقال مقاتل كانت بين بني النضير وقريظة دماؤهما حيان من اليهود وذلك قبل ان يبعث الله محمدا ﷺ فلما بعث وهاجر إلى المدينة تحاكموا اليه فقالت بنو قريظة بنو النضير إخواننا أبانا واحد ودينا واحد وكتابنا واحد فان قتل بنو النضير منا قتيلا أعطونا سبعين وسقا من تمر وان قتلنا منهم قتيلا أخذوا منا مائة وأربعين وسقا وارش جراحتنا على النصف من جراحتهم فافض بيننا وبينهم فقال رسول الله ﷺ فاني أحكم ان دم القرظي وفاء من دم النضيري ودم النضيري وفاء من دم القرظي ليس لأحدهما فضل على الاخر في دم ولا عقل ولا جراحة فغضبت بنو النضير وقالوا لا نرضى بحكمك فانك لنا عدو وانك ما تألوا في وضعنا وتصغيرنا فأنزل الله أفحكم الجاهلية يبغون وقرىء بالتاء على الخطاب والمعنى قل لهم يا محمد أفحكم الجاهلية تبغون (ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون) يعني اي حكم أحسن من حكم الله إن كنتم موقنين ان لكم ربا وانه عدل في أحكامه * قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء) اختلف المفسرون في سبب نزول هذه الاية وإن كان حكمها عاما لجميع المؤمنين لان خصوص السبب لا يمنع من عموم الحكم فقال قوم نزلت هذه الاية في عبادة بن الصامت رضي الله عنه وعبدالله بن ابي بن سلول رأس المنافقين وذلك أنهما اختصما فقال عبادة ان لي أولياء من اليهود كثير عددهم شديدة شوكتهم وإني ابرأ إلى الله وإلى رسوله من ولايتهم ولا مولى لي إلا الله ورسوله فقال عبد الله بن أبي لكني لا أبرأ من ولاية اليهود فاني أخاف الدوائر ولا بد لي منهم فقال رسول الله ﷺ يا أبا الحباب ما نفست به من ولاية اليهود على عبادة بن الصامت فهو لك

(بعضهم أولياء بعض) فى العون والنصرة ويدهم واحدة على المسلمين (ومن يتولهم منكم) فيوفقهم ويعينهم (فانه منهم إن الله لا يهدى القوم الظالمين فترى الذين فى قلوبهم مرض) أى نفاق يعنى عبد الله بن أبى وأصحابه من المنافقين الذين يوالون اليهود (يسارعون فيهم) فى معونتهم وموالاتهم (يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة) دولة يعنى ان يدول الدهر دولته فنحتاج إلى نصرهم إيانا وقال ابن عباس رضى الله عنهما معناه نخشى أن لا يتم أمر محمد فيدور الأمر علينا وقيل نخشى أن يدور الدهر علينا بمكروه من جدب وقحط ولا يعطونا الميرة والقرض (فعسى الله أن يأتى بالفتح) قال قتادة ومقاتل بالقضاء الفصل من نصر محمد ﷺ على من خالفه وقال الكلبى والسدى فتح مكة وقال الضحاك فتح قرى اليهود مثل خيبر وفدك (أو أمر من عنده) قيل بإتمام أمر محمد ﷺ وقيل عذاب لهم وقيل اجلاء بنى النضير (فيصبحوا) يعنى هؤلاء المنافقين (على ما أسروا فى أنفسهم) من موالاة اليهود ودس الأخبار اليهم (نادمين و) حينئذ (يقول الذين آمنوا) قرأ أهل الكوفة ويقول بالواو والرفع على الاستئناف وقرأ أهل البصرة بالواو ونصب اللام عطفا على ان يأتى أى وعسى أن يقول الذين آمنوا وقرأ الآخرون بحذف الواو ورفع اللام وكذلك هو فى مصاحف أهل العالية استغناء عن حرف العطف للملابسة يتعجبون

دونه فقال إذن أقبل فأنزل الله هذه الآية وقال السدى لما كانت وقعة أحد اشتد الأمر على طائفة من الناس وتخوفوا ان يدال علينا الكفار فقال رجل من المسلمين انا ألحق بفلان اليهودى وآخذ منه أمانا إنى أخاف أن يدال علينا اليهود وقال رجل آخر انا ألحق بفلان النصرانى من اهل الشام وآخذ منه أمانا فأنزل الله هذه الآية ينهاهم عن موالاة اليهود والنصارى وقال عكرمة نزلت فى أبى لبابة بن عبد المنذر لما بعثه النبى ﷺ إلى بنى قريظة حين حاصرهم فاستشاروه فى النزول وقالوا ماذا يصنع بنا إذا نزلنا فجعل أصبعه فى حلقه أشار إلى انه الذبح وانه يقتلكم فأنزل الله يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء فنهى الله المؤمنين جميعا ان يتخذوا اليهود والنصارى أنصارا وأعوانا على اهل الايمان بالله ورسوله واخبر انه من اتخذهم أنصارا واعوانا وخلفاء من دون الله ورسوله والمؤمنين فانه منهم وان الله ورسوله والمؤمنين منه براء (بعضهم اولياء بعض) يعنى ان بعض اليهود أنصار لبعض المؤمنين وان النصارى كذلك يدا واحدة على من خالفهم فى دينهم وملتهم (ومن يتولهم منكم فانه منهم) يعنى ومن يتولى اليهود والنصارى دون المؤمنين فينصرهم على المؤمنين فهو أهل دينهم وملتهم لأنه لا يتولى مولى احد إلا وهو راض به وبدينه وإذا رضيه ورضى دينه صار منهم وهذا تعليم من الله تعالى وتشديد عظيم فى مجانبة اليهود والنصارى وكل من خالف دين الاسلام (إن الله لا يهدى القوم الظالمين) يعنى ان الله لا يوفق من وضع الولاية فى غير موضعها فتول اليهود والنصارى مع علمه بعداوتهم لله ولرسوله وللمؤمنين روى ان ابا موسى الأشعرى قال قلت لعمر بن الخطاب ان لى كاتبا نصرانيا فقال مالك وله قاتلك الله الا اتخذت حنيفا يعنى مسلما ما سمعت قول الله عز وجل يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء بعضهم أولياء بعض قلت له دينه ولى كتابته فقال لا أكرمهم إذا اهانهم الله ولا أعزهم إذا أذلهم الله ولا ادنيهم إذا ابعدهم الله قلت انه لا يتم امر البصرة إلا به فقال مات النصرانى والسلام يعنى هب انه مات فما تصنع بعده فما تعمله بعد موته فاعمله الان واستغن عنه بغيره من المسلمين * قوله تعالى (فترى الذين فى قلوبهم مرض) يعنى فترى يا محمد الذين فى قلوبهم شك ونفاق (يسارعون فيهم) يعنى يسارعون فى مودة اليهود وموالاتهم ومناصحتهم لانهم كانوا اهل ثروة ويسار فكانوا يغشونهم ويخالطونهم لأجل ذلك نزلت فى عبد الله بن ابى المنافق وفى اصحابه من المنافقين (يقولون) يعنى المنافقين (نخشى ان تصيبنا دائرة) الدائرة من دوائر الدهر كالدولة التى تدول والمعنى يقول المنافقون إنما نخالط اليهود لانا نخشى ان يدور علينا الدهر بمكروه ويعنون بذلك المكروه الهزيمة فى الحرب والقحط والجدب والحوادث المخوفة قال ابن عباس معناه نخشى ان لا يتم أمر محمد فيدور علينا الأمر كما كان قبل محمد (فعسى الله ان يأتى بالفتح او امر من عنده) قال المفسرون عسى من الله واجب لأن الكريم إذا اطمع فى خير فعل وهو بمنزلة الوعد لتعلق النفس به ورجائها له والمعنى فعسى الله ان يأتى بالفتح لرسوله محمد ﷺ على اعدائه وإظهار دينه على الأديان كلها وإظهار المسلمين على اعدائهم من الكفار واليهود والنصارى وقد فعل الله ذلك بمنه وكرمه فأظهر دينه ونصر عبده وقيل اراد بالفتح فتح مكة وقيل فتح قرى اليهود مثل خيبر وفدك ونحوها من بلادهم او امر من عنده يعنى انه تعالى يقطع اصل اليهود من ارض الحجاز ويخرجهم من بلادهم بلا كلفة وتعب ولا يكون للناس فيه فعل البتة كما القى فى قلوبهم الرعب فاخلوا ديارهم وخربوها بأيديهم ورحلوا إلى الشام * وقوله تعالى (فيصبحوا على ما اسروا فى انفسهم نادمين) يعنى فيصبح المنافقون الذين كانوا يوالون اليهود نادمين على ما حدثوا به انفسهم إن امر محمد لا يتم وقيل ندموا على دس الأخبار إلى اليهود (ويقول الذين آمنوا) يعنى ويقول الذين آمنوا فى وقت إظهار الله تعالى نفاق المنافقين (اهؤلاء الذين أقسموا بالله جهد إيمانهم انهم لمعكم) وذلك ان المؤمنين كانوا

هذه الآية بما قبلها يعنى يقول الذين آمنوا فى وقت إظهار الله تعالى نفاق المنافقين (هؤلاء الذين اقسموا بالله) حلفوا بالله (جهد ايمانهم) اى حلفوا بأغلظ الأيمان (انهم لمعكم) اى انهم لمؤمنون يريدان المؤمنون حينئذ يتعجبون من كذبهم وحلفهم بالباطل قال الله تعالى

(حبطت أعمالهم) بطل كل خير عملوه (فأصبحوا خاسرين) خسروا الدنيا باقتضاحهم والآخرة بالعذاب وفوات الثواب قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه) قرأ أهل الشام يرتدد بدالين على إظهار التضعيف عن دينه فيرجع إلى الكفر قال الحسن علم الله تبارك وتعالى ان قوما يرجعون عن الاسلام بعد موت نبيهم ﷺ فاخبر أنه سيأتي بقوم يحبهم الله ويحبونه واختلفوا في اولئك القوم من هم قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه والحسن وقتادة هم أبو بكر وأصحابه الذين قاتلوا أهل الردة وما نعي الزكاة وذلك أن النبي ﷺ لما قبض ارتدعامة العرب إلا أهل مكة والمدينة والبحرين من عبد القيس ومنع بعضهم الزكاة وهم أبو بكر رضي الله عنه بقتالهم فكره ذلك أصحاب النبي ﷺ وقال عمر رضي الله عنه كيف نقاتل الناس وقد قال رسول الله ﷺ أمرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فمن قال لا إله إلا الله عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه على الله عز وجل فقال أبو بكر والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة فان الزكاة حق المال والله لو منعوني عناقا كانوا يؤدونها إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعها فقال انس بن مالك رضي الله عنه كرهت الصحابة قتال مانعي الزكاة وقالوا أهل القبلة فتقدأ بو بكر سيفه وخرج وحده فلم يجدوا بدا من الخروج على أثره قال ابن مسعود كرهنا ذلك في الابتداء ثم حمدناه عليه في الانتهاء قال أبو بكر ابن عياش سمعت أبا حصين يقول ما ولد بعد النبيين مولود أفضل من أبي بكر رضي الله عنه لقد قام مقام نبي من الأنبياء في قتال أهل الردة وقد كان قد ارتد في حياة النبي ﷺ ثلاث فرق منهم بنو مدلج ورئيسهم ذو الخمار عبهلة بن كعب العنسي ويلقب بالأسود وكان كاهنا مشعبذا فتنبأ باليمن واستولى على بلاده فكتب رسول الله ﷺ إلى معاذ بن جبل ومن معه من المسلمين وأمرهم أن يحثوا الناس على التمسك بدينهم وعلى النهوض إلى حرب الأسود فقتله فيروز الديلمي على فراشه قال ابن عمر رضي الله عنه فاتى الخبر النبي ﷺ من السماء الليلة التي قتل فيها فقال رسول الله ﷺ قتل الأسود البارحة قتله رجل مبارك قيل ومن هو قال فيروز فبشر النبي ﷺ أصحابه بهلاك الأسود وقبض ﷺ من الغد واتى خبر مقتل العنسي المدينة في اخر شهر ربيع الأول بعد ما خرج اسامة وكان ذلك أول فتح جاء أبو بكر رضي الله عنه والفرقة الثانية بنو حنيفة باليمامة ورئيسهم مسيلمة الكذاب وكان قد تنبأ في حياة رسول الله ﷺ في اخر سنة عشر وزعم انه اشرك مع محمد ﷺ في النبوة وكتب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله أما بعد فان الأرض نصفها لي ونصفها لك وبعث اليه مع رجلين من أصحابه فقال لهما رسول الله ﷺ لولا ان الرسل لا تقتل لضربت اعناقكما ثم أجاب من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذاب أما بعد فان الأرض لله يورثها من

يتعجبون من حال المنافقين عندما أظهروا الميل إلى موالاة اليهود والنصارى ويقولون ان المنافقين حلفوا بالله جهد إيمانهم أنهم لمعنا ومن أنصارنا والان كيف صاروا موالين لاعدائنا من اليهود محبين للاختلاط بهم فبان كذب المنافقين في أيمانهم الباطلة (حبطت أعمالهم) أي بطل كل خير عملوه لاجل ما أظهروا من النفاق وموالاة اليهود (فاصبحوا خاسرين) يعني أنهم خسروا في الدنيا بافتضاحهم وخسروا في الآخرة باحباط ثواب أعمالهم وحصلوا بالعذاب الدائم المقيم * قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه) يعني من يرجع منكم عن دينه الحق الذي هو عليه وهو دين الإسلام فيبدله ويغيره بدخوله في الكفر بعد الإيمان فيختار أما اليهودية أو النصرانية أو غير ذلك من اصناف الكفر فلن يضر الله شيئا وإنما ضر نفسه برجوعه عن الدين الصحيح الذي هو دين الاسلام قال الحسن علم الله تعالى أن قوما سيرجعون عن الإسلام بعد موت نبيهم ﷺ فاخبر أنه سيأتي بقوم يحبهم ويحبونه وذكر صاحب الكشاف أن إحدى عشرة فرقة من العرب ارتدت ثلاث في زمن رسول الله ﷺ وهم بنو مدلج ورئيسهم ذو الخمار وهو الأسود العنسي وكان كاهنا فتنبأ باليمن واستولى على بلاده واخرج منها عمال رسول الله ﷺ فكتب رسول الله ﷺ إلى معاذ بن جبل وإلى سادات اليمن فاهلكه الله تعالى على يد فيروز الديلمي في بيته فقتله فاخبر رسول الله ﷺ المسلمين بقتله ليلة قتل فسر المسلمون بذلك وقبض رسول الله ﷺ من الغد وأتى خبر قتله في اخر ربيع الأول وبنو حنيفة وهم قوم مسيلمة الكذاب تنبأ وكتب إلى رسول الله ﷺ من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله أما بعد فان الأرض نصفها لي ونصفها لك فكتب اليه رسول الله ﷺ من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذاب اما بعد فان الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين وستاتي قصة قتله فيما بعد وبنو أسد وهم قوم طليحة بن خويلد تنبأ فبعث اليه رسول الله ﷺ خالد بن الوليد فقاتله فانهزم بعد القتال إلى الشام ثم أسلم بعد ذلك وحسن اسلامه وارتد سبع فرق في خلافة أبي بكر الصديق وهم فزارة قوم عيينة بن حصن الفزاري وغطفان قوم قرة بن سلمة القشيري وبنو سليم قوم الفجاءة بن عبد يا ليل وبنو يربوع قوم مالك ابن نويرة اليربوعي وبعض تميم قوم سجاح بنت المنذر المتنبئة التي زوجت نفسها من مسيلمة الكذاب وكندة قوم الاشعث بن قيس الكندي وبنو بكر بن وائل قوم الحطم بن زيد فكفى الله امرهم على يد أبي بكر الصديق رضي الله عنه وفرقة واحدة ارتدت في خلافة عمر بن الخطاب وهم غسان قوم جبلة بن الايهم واختلف العلماء في المعنى بقوله تعالى (فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه) فقال علي بن أبي

يشاء من عباده والعاقبة للمتقين ومرض رسول الله ﷺ وتوفي فبعث أبو بكر خالد بن الوليد إلى مسيلمة الكذاب في جيش كثير حتى أهلكه الله على يدي وحشي غلام مطعم بن عدي الذي قتل حمزة بن عبد المطلب بعد حرب شديد وكان وحشي يقول قتلت خير الناس في الجاهلية وشر الناس في الاسلام والفرقة الثانية بنو أسد ورئيسهم طليحة بن خويلد وكان طليحة آخر من ارتد وادعى النبوة في حياة النبي ﷺ وأول ما من قوتل بعد وفاة النبي ﷺ من أهل الردة فبعث أبو بكر خالد بن الوليد فهزمهم خالد بعد قتال شديد وافلت طليحة فر على وجهه هاربا نحو الشام ثم إنه اسلم (٥٤) بعد ذلك وحسن إسلامه وارتد بعد وفاة النبي ﷺ في خلافة أبي بكر رضي الله عنه

طالب والحسن وقتادة هم أبو بكر وأصحابه الذين قاتلوا أهل الردة وما نعي الزكاة وذلك أن النبي ﷺ لما قبض ارتدعامة العرب(١) كما تقدم تفصيله إلا أهل المدينة وأهل مكة وأهل البحرين من بني عبد القيس فانهم ثبتوا على الاسلام ونصر الله بهم الدين ولما ارتد من ارتد من العرب ومنعوا الزكاة هم أبو بكر بقتالهم وكره ذلك أصحاب رسول ﷺ وقال عمر كيف نقاتل الناس وقد قال رسول الله ﷺ أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فمن قالها فقد عصم مني ماله ودمه إلا بحقه وحسابه على الله فقال أبو بكر والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة فان الزكاة حق المال والله لو منعوني عناقا أو قال عقالا كانوا يؤدونها إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعها وقال انس بن مالك كرهت الصحابة قتال مانعي الزكاة وقالوا هم أهل القبلة فتقلد أبو بكر سيفه وخرج وحده فلم يجدوا بدا من الخروج على أثره فقال ابن مسعود كرهنا ذلك في الابتداء ثم حمدناه عليه في الانتهاء وقال أبو بكر بن عياش سمعت أبا حصين يقول ما ولد بعد النبيين أفضل من أبي بكر الصديق لقد قام مقام نبي من الأنبياء في قتال أهل الردة وقالت عائشة توفي رسول الله ﷺ وارتدت العرب وأشراب النفاق ونزل بابي بكر مالو نزل بالجبال الراسيات لهاضها وبعث أبو بكر الصديق خالد بن الوليد في جيش كثير إلى بني حنيفة باليمامة وهم قوم مسيلمة الكذاب فاهلك الله مسيلمة على يدي وحشي غلام مطعم بن عدي الذي قتل حمزة فكان وحشي يقول قتلت خير الناس في الجاهلية وشر الناس في الاسلام أراد بذلك وحشي أنه في حال الجاهلية قتل حمزة وهو خير الناس وفي حال إسلامه قتل مسيلمة الكذاب وهو شر الناس وقال قوم المراد بقوله تعالى فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه الأشعريون قوم أبي موسى الأشعري روى عن عياض بن غنم الأشعري قال لما نزلت هذه الآية فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه قال رسول الله ﷺ قوم هذا يعني أبا موسى الأشعري اخرجه الحاكم في المستدرك وقيل هم أهل اليمن (ق) عن ابي هريرة قال قال رسول الله ﷺ أتاكم أهل اليمن هم ارق افئدة والين قلوبا الايمان يمان والحكمة يمانية وقال السدي نزلت في الأنصار لأنهم هم الذين نصروا رسول الله ﷺ وأعانوه على إظهار الدين وقيل هم احياء من أهل اليمن الفان من النخع وخمسة الاف من كندة وبجيلة وثلاثة الاف من اخلاط الناس جاهدوا في سبيل الله يوم القادسية في خلافة عمر وعلى هذا التقدير تكون هذه الآية إخبارا عن الغيب وقد وقع الخبر على وفقه بحمد الله تعالى فتكون هذه الآية معجزة واما معنى المحبة فيقال احببت فلانا بمعنى جعلت قلبي معرضا بأن يحبه والمحبة إرادة ما تراه وتظنه خيرا ومحبة الله تعالى العبد إنعامه عليه وتوفيقه وهدايته إلى طاعته والعمل بما يرضى به عنه وان يثيبه احسن الثواب على طاعته وان يثني عليه ويرضى عنه ومحبة العبد لله عز وجل ان يسارع إلى طاعته وابتغاء مرضاته وان لا يفعل ما يوجب سخطه وعقوبته وان يتحبب اليه بما يوجب له الزلفى لديه جعلنا الله ممن يحبهم ويحبونهم بمنه وكرمه وقوله تعالى (اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين) هذه من صفات الذين اصطفاهم الله تعالى ووصفهم بقوله يحبهم ويحبونه يعني أنهم ارقاء

(١) قوله ارتد عامة العرب الخ الذي تقدم ارتدادهم في زمن أبي بكر سبع فرق لا غير اه

خلق كثير حتى كفى الله المسلمين امرهم ونصر دينه على يد أبي بكر رضي الله عنه قالت عائشة توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وارتدت العرب واشراب النفاق ونزل بابي بكر مالو نزل بالجبال الراسيات لهاضها وقال قوم المراد بقوله فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه هم الأشعريون روى عن عياض بن غنم الأشعري قال لما نزلت هذه الآية فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هم قوم هذا واشار الى ابي موسى الأشعري وكانوا من اليمن

اخبرنا ابو عبد الله محمد بن الفضل الخرقي أنا ابو الحسن الطيسفوني انا ابو عبد الله عمر الجوهري انا احمد بن حجر انا اسمعيل بن جعفر انا محمد بن عمرو بن علقمة عن ابي موسى عن ابي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أتاكم اهل اليمن هم اضعف قلوبا وأرق أفئدة الايمان يمان والحكمة يمانية وقال الكلبي هم احياء رحماء من اليمن الفان من النخع وخمسة الاف من كندة وبجيلة وثلاثة الاف من افناء الناس جاهدوا في سبيل الله يوم القادسية في ايام عمر رضي الله عنه قوله عز وجل (اذلة على المؤمنين) يعني ارقاء رحماء لقوله عز وجل واخفض لهما جناح الذل من الرحمة ولم يرد به الهوان بل اراد ان جانبهم لين على المؤمنين وقيل هو الذل من قولهم دابة ذلول يعني انهم متواضعون قال الله تعالى وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا (اعزة على الكافرين) اي اشداء غلاظ على الكفار يعادونهم ويغالبونهم من قولهم عزه اي غلبه قال عطاء اذلة على المؤمنين كالولد لوالده والعبد لسيده اعزة على الكافرين كالسبع على فريسته نظيره قوله تعالى اشداء على الكفار رحماء بينهم

(يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم) يعني لا يخافون في الله لومة الناس وذلك أن المنافقين كانوا يراقبون الكفار ويخافون لومهم
وروينا عن عبادة بن الصامت قال بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة وأن نقوم أو نقول بالحق حيث ما كنا لا نخاف في الله لومة
لائم (ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء) أي محبتهم لله ولين جانبهم للمسلمين وشدتهم على الكافرين من فضل الله عليهم والله
واسع عليم إنما وليكم الله
ورسوله والذين آمنوا)
روى عن ابن عباس رضي
الله عنهما انها نزلت في عبادة
ابن الصامت وعبد الله بن
ابي ابن سلول حين تبرا عبادة
من اليهود وقال اتولى الله
ورسوله والذين آمنوا
فنزل فيهم من قوله يا أيها
الذين آمنوا لا تتخذوا
اليهود والنصارى اولياء
إلى قوله إنما وليكم الله
ورسوله والذين آمنوا
يعني عبادة بن الصامت
واصحاب رسول الله ﷺ
وقال جابر بن عبد الله
جاء عبد الله بن سلام
إلى النبي ﷺ فقال
يا رسول الله ان قومنا
قريظة والنضير قد هجرونا
وفارقونا واقسموا ان لا
يجالسونا فنزلت هذه الاية
فقراها عليه رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال
يا رسول الله رضينا بالله
وبرسوله وبالمؤمنين اولياء
وعلى هذا التاويل اراد
بقوله وهم راكعون
صلاة التطوع بالليل
والنهار وقال ابن عباس
رضي الله عنهما وقال
السدي قوله والذين آمنوا
(الذين يقيمون الصلاة
ويؤتون الزكاة وهم

رحماء لأهل دينهم واخوانهم من المؤمنين ولم يرد ذل الهوان بل اراد لين جانبهم لاخوانهم المؤمنين وهم
مع رقتهم ورحمتهم ولين جانبهم اشداء اقوياء غلظاء على اعدائهم الكافرين قال علي بن ابي طالب اذلة على
المؤمنين يعني اهل رقة على دينهم اعزة على الكافرين اهل غلظة على من خالفهم في دينهم وقال ابن عباس
تراهم كالولد لوالده والعبد لسيده وهم في الغلظة على الكافرين كالسبع على فريسته وقال ابن الانباري اثنى
الله على المؤمنين بانهم يتواضعون للمؤمنين إذا لقوهم ويعنفون الكافرين إذا لقوهم وقيل ان الذل بمعنى
الشفقة والرحمة كأنه قال راحمين للمؤمنين مشفقين عليهم على وجه التذلل والتواضع واتى بلفظة على حتى
يدل على علو منصبهم وفضلهم وشرفهم لا لاجل كونهم ذليلين في انفسهم بل ذلك التذلل لاجل انهم ضموا
إلى علو منصبهم فضيلة التواضع ويدل على صحة هذا سياق الاية وهو قوله اعزة على الكافرين يعني انهم
اشداء اقوياء في انفسهم وعلى اعدائهم (يجاهدون في سبيل الله) يعني انهم ينصرون دين الله (ولا يخافون
لومة لائم) يعني لا يخافون عدل عادل في نصرهم الدين وذلك ان المنافقين كانوا يراقبون الكفار ويخافون
لومهم فبين الله تعالى في هذه الاية ان من كان قويا في الدين فانه لا يخاف في نصره لدين الله بيده او بلسانه لومة
لائم وهذه صفة المؤمنين المخلصين ايمانهم لله تعالى (ق) عن عبادة بن الصامت قال بايعت رسول الله ﷺ
على السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره على ان لا ننازع الامر اهله وعلى ان نقول بالحق
اينما كنا لا نخاف في الله لومة لائم ثم قال تعالى (ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء) ذلك إشارة إلى ما تقدم
ذكره من وصفهم بمحبة الله ولين جانبهم للمؤمنين وشدتهم على الكافرين وانهم يجاهدون في سبيل الله ولا
يخافون لومة لائم كل ذلك من فضل الله تعالى تفضل به عليهم ومن احسانه اليهم (والله واسع عليم) يعني
انه تعالى واسع الفضل عليم بمن يستحقه * قوله تعالى (وإنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا) قال ابن
عباس نزلت هذه الاية في عبادة بن الصامت حين تبرا من موالاة اليهود وقال اوالي الله ورسوله والمؤمنين
يعني اصحاب محمد ﷺ وقال جابر بن عبد الله نزلت في عبد الله بن سلام وذلك انه جاء إلى محمد ﷺ
فقال يا رسول الله ان قومنا قريظة والنضير قد هجرونا وفارقونا واقسموا ان لا يجالسونا فنزلت
هذه الاية فقراها عليه رسول الله ﷺ فقال عبد الله بن سلام رضينا بالله ربا وبرسوله نبيا
وبالمؤمنين اولياء وقيل الاية عامة في حق جميع المؤمنين لان المؤمنين بعضهم اولياء بعض فعلى هذا
يكون قوله تعالى (الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون) صفة لكل مؤمن ويكون المراد
بذكر هذه الصفات تمييز المؤمنين عن المنافقين لان المنافقين كانوا يدعون انهم مؤمنون إلا انهم لم يكونوا
يداومون على فعل الصلاة والزكاة فوصف الله تعالى المؤمنين بانهم يقيمون الصلاة يعني بتمام ركوعها
وسجودها في مواقيتها ويؤتون الزكاة يعني ويؤدون زكاة أموالهم إذا وجبت عليهم أما قوله تعالى وهم
راكعون فعلى هذا التفسير فيه وجوه احدها ان المراد من الركوع هنا الخضوع والمعنى ان المؤمنين
يصلون ويزكون وهم منقادون خاضعون لاوامر الله ونواهيه الوجه الثاني ان يكون المراد منه ان من
شانهم إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وإنما خص الركوع بالذكر تشريفا له الوجه الثالث قيل ان هذه الاية
نزلت وهم ركوع وقيل نزلت في شخص معين وهو علي بن ابي طالب قال السدي مر بعلي سائل وهو راكع
في المسجد فاعطاه خاتمه فعلى هذا قال العلماء العمل القليل في الصلاة لا يفسدها والقول بالعموم اولى
وان كان قد وافق وقت نزولها صدقة علي بن ابي طالب وهو راكع ويدل على ذلك ما روى عن عبد
الملك بن سليمان قال سالت ابا جعفر محمد بن علي الباقر عن هذه الاية إنما وليكم الله ورسوله
والذين امنوا من هم فقال المؤمنون فقلت إن ناسا يقولون هو علي فقال علي من الذين امنوا *
راكعون) أراد به علي بن ابي طالب رضي الله عنه مر به سائل وهو راكع في المسجد فأعطاه خاتمه وقال جويبر عن الضحاك
في قوله إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا قال هم المؤمنون بعضهم أولياء بعض وقال ابو جعفر محمد بن علي الباقر إنما
وليكم الله ورسوله والذين آمنوا نزلت في المؤمنين فقيل له ان ناسا يقولون انها نزلت في علي رضي الله عنه فقال هو من المؤمنين

(ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا) يعني يتول القيام بطاعة الله ونصرة رسوله والمؤمنين قال ابن عباس رضي الله عنهما يريد المهاجرين والأنصار (فان حزب الله) يعني أنصار دين الله (هم الغالبون) قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا) الاية قال ابن عباس كان رفاعة بن زيد بن التابوت وسويد بن الحرث قد أظهرا الاسلام ثم نافقا وكان رجال من المسلمين يوادونهما فأنزل الله عز وجل هذه الآية يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا باظهار ذلك بألسنتهم قولا وهم مستبطنون الكفر (من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم) يعني اليهود (والكفار) قرأ أهل البصرة والكسائي الكفار بخفض الراء يعني ومن الكفار وقرأ الآخرون بالنصب أي لا تتخذوا الكفار (أولياء اتقوا الله ان كنتم مؤمنين وإذا ناديتم إلى الصلاة اتخذوها هزوا ولعبا ذلك بانهم قوم لا يعقلون) قال الكلبي كان منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا نادى إلى الصلاة وقام المسلمون اليها قالت اليهود قد قاموا لا قاموا قاموا وصلوا لا صلوا على طريق الاستهزاء وضحكوا فأنزل الله عز وجل هذه الآية وقال السدي نزلت في رجل من النصارى بالمدينة كان إذا سمع المؤذن يقول أشهد أن محمدا رسول الله قال حرق الكاذب فدخل خادمه ذات ليلة بنار وهو وأهله نيام فتطايرت منها شرارة فاحترق البيت واحترق هو وأهله وقال الاخرون إن الكفار لما سمعوا الأذان حسدوا المسلمين فدخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا يا محمد لقد أبدعت شيئا لم نسمع به فيما مضى من الأمم فان كنت تدعي النبوة فقد خالفت فيما أحدثت الأنبياء قبلك ولو كان فيه خير لكان أولى الناس به الأنبياء فمن أين لك صياح كصياح العير فما اقبح من صوت وما اسمج من أمر فأنزل الله تعالى هذه الاية ومن احسن قولا ممن دعا إلى الله يعني الاية قوله عز وجل (قل يا اهل الكتاب هل تنقمون منا) الاية قرأ الكسائي هل تنقمون بادغام اللام في التاء وكذلك يدغم لام هل في التاء والتاء والنون ووافقه حمزة في التاء والثاء وابو عمرو في هل ترى في موضعين قال ابن عباس اتى النبي ﷺ نفر من اليهود ابو ياسر بن اخطب ورافع بن ابي رافع وغيرهما فسألوه عمن يؤمن به من الرسل فقال اؤمن بالله وما انزل الينا وما انزل إلى ابراهيم وإسمعيل إلى قوله ونحن له مسلمون فلما ذكر عيسى عليه السلام جحدوا نبوته وقالوا والله ما نعلم اهل دين اقل حظا في الدنيا والاخرة منكم ولا دينا شرا من دينكم فأنزل الله تعالى هذه الاية قل يا اهل الكتاب هل تنقمون منا اي تكرهون منا (إلا ان آمنا بالله وما انزل الينا وما انزل من قبل

وقوله تعالى (ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا) يعني ومن يتول القيام بطاعة الله ونصر رسوله والمؤمنين قال ابن عباس يريد المهاجرون والأنصار ومن يأتي بعدهم (فان حزب الله) يعني أنصار دين الله (هم الغالبون) لأن الله ناصرهم على عدوهم والحزب في اللغة اصحاب الرجل الذين يكونون معه على رأيه وهم القوم الذين يجتمعون لأمر حزبه يعني أهمه * قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا) قال ابن عباس كان رفاعة بن زيد بن التابوت وسويد بن الحرث قد أظهرا الإسلام ثم نافقا وكان رجال من المسلمين يوادونهما فأنزل الله تعالى هذه الآية ومعنى اتخذوا دينكم هزوا ولعبا هو إظهارهم الاسلام بألسنتهم قولا وهم على ذلك يبطنون الكفر ويسرونه (من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم) يعني اليهود (والكفار) يعني عبدة الأصنام وإنما فصل بين أهل الكتاب والكفار وإن كان أهل الكتاب من الكفار لأن كفر المشركين من عبدة الأصنام أغلظ وأفحش من كفر أهل الكتاب (أولياء) يعني لا تتخذوهم أولياء والمعنى ان أهل الكتاب والكفار اتخذوا دينكم يا معشر المؤمنين هزوا وسخرية فلا تتخذوهم أنتم أولياء وأنصارا (واتقوا الله إن كنتم مؤمنين) يعني مؤمنين حقا لأن المؤمن يأبى موالاة أعداء الله عز وجل * قوله تعالى (وإذا ناديتم إلى الصلاة اتخذوها هزوا ولعبا) قال الكلبي كان منادي رسول الله ﷺ إذا نادى إلى الصلاة وقام المسلمون إليها قالت اليهود قد قاموا لا قاموا وصلوا لا صلوا ويضحكون على طريق الاستهزاء فأنزل الله هذه الاية وقال السدي نزلت هذه الاية في رجل من النصارى كان بالمدينة فكان إذا سمع المؤذن يقول أشهد ان لا إله إلا الله واشهد ان محمدا رسول الله يقول حرق الكاذب فدخل خادمه ذات ليلة بنار وهو وأهله نيام فطارت منها شرارة فاحترق البيت واحترق هو وأهله وقيل الكفار والمنافقين كانوا إذا سمعوا حسدوا المسلمين على ذلك فدخلوا على رسول الله ﷺ وقالوا يا محمد لقد أبدعت شيئا لم يسمع بمثله فيما مضى من الأمم قبلك فان كنت تدعي النبوة فقد خالفت الانبياء قبلك ولو كان فيه خير لكان أولى الناس به الانبياء فمن أين لك صياح كصياح العير فما أقبح هذا الصوت وما اسمج هذا الأمر فانزل الله عز وجل ومن احسن قولا ممن دعا إلى الله الاية وانزل (وإذا ناديتم إلى الصلاة اتخذوها هزوا ولعبا (ذلك بأنهم قوم لا يعقلون) يعني ان هزؤهم ولعبهم من أفعال السفهاء والجهال الذين لا عقل لهم * قوله تعالى (قل يا أهل الكتاب) الخطاب للنبي ﷺ يعني قل يا محمد لهؤلاء اليهود والنصارى الذين اتخذوا دينك هزوا ولعبا (هل تنقمون منا) يعني هل تكرهون منا أو تعيبون علينا (إلا ان آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل من قبل) وهذا على سبيل التعجب من فعل أهل الكتاب والمعنى هل تجدون علينا في الدين إلا الايمان بالله وما أنزل إلينا وبما انزل على جميع الأنبياء من قبل وهذا ليس مما ينكر او ينقم وهذا كما قال بعضهم

ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم * بهن فلول من قراع الكتائب

وأن أكثركم فاسقون) أى هل تكرهون منا إلا إيماننا وفسقكم اى انما كرهتم ايماننا وأنتم تعلمون أنا على حق لانكم فسقتم بان أقمتم على دينكم لحب الرياسة وحب الأموال ثم قال (ل) يا محمد (هل أنبئكم) أخبركم (بشر من ذلك) الذى ذكرتم يعنى قولهم لم تر أهل دين أقل حظا فى الدنيا والاخرة منكم ولا دينا شرا من دينكم فذكر الجواب بلفظ الابتداء وإن لم يكن الابتداء شرا لقوله تعالى افانبئكم بشر من ذلكم النار (مثوبة) ثوابا وجزاء نصب على التفسير (عند الله من لعنة الله اى وهو من لعنة الله (وغضب عليه) يعنى اليهود (وجعل منهم القردة والخنازير) فالقردة اصحاب السبت والخنازير كفار مائدة عيسى عليه السلام وروى عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس رضى الله عنهما ان الممسوخين كلاهما من اصحاب السبت فشبانهم مسخوا قردة ومشايخهم مسخوا خنازير (وعبد الطاغوت) أى منهم من عبد الطاغوت أى اطاع الشيطان فيما سول له وتصديقها قراءة ابن مسعود ومن عبدوا الطاغوت وقراءة حمزة وعبد الله بضم الباء الطاغوت بجر التا أراد العبد وهما لغتان عبد بجزم الباء وعبد بضم الباء مثل سبع وسبع وقيل جمع العباد وقرأ الحسن وعبد الطاغوت على الواحد (أولئك شر مكانا وأضل عن سواء السبيل) عن طريق الحق (وإذا جاؤكم قالوا) يعنى هؤلاء المنافقين وقيل هم الذين قالوا آمنا بالذى أنزل على الذين آمنوا وجه النهار وا كفروا اخره دخلوا على النبى صلى الله عليه وسلم وقالوا (امنا) بك وصدقناك فيما قلت وهم يسرون الكفر (وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به) يعنى دخلوا كافرين وخرجوا كافرين (والله اعلم بما كانوا يكتمون وترى كثيرا منهم) يعنى من اليهود

يعنى انه ليس فيهم عيب إلا ذلك وهذا ليس بعيب بل هو مدح عظيم لهم قال ابن عباس أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم نفر من اليهود فيهم أبو ياسر بن اخطب ورافع بن أبى رافع وعازوراء وزيد وخالد وازار ابن أبى ازار أسيع فسألوه عمن يؤمن به الرسل فقال أؤمن بالله وما أنزل الينا وما أنزل إلى إبراهيم واسمعيل وإسحق ويعقوب والأسباط إلى قوله ونحن له مسلمون الاية فلما ذكر عيسى جحدوا نبوته وقالوا والله لا نؤمن بمن آمن به فانزل الله هذه الاية وقيل انهم قالوا والله ما نعلم أهل دين أقل حظا فى الدنيا والاخرة منكم ولا دينا شرا من دينكم فانزل الله هذه الاية يا اهل الكتاب هل تنقمون منا إلا ان آمنا بالله وما أنزل الينا وما أنزل من قبل وقيل هذا هو ديننا الحق وطريقنا المستقيم فلم تنقمونه علينا (وأن اكثرهم فاسقون) يعنى انما كرهتم ايماننا ونقمتموه علينا مع علمكم بانا على الحق بسبب فسقكم وإقامتكم على الدين الباطل لحب الرياسة وأخذ الأموال بالباطل وإنما قال أكثركم لان الله علم ان من أهل الكتاب من يؤمن بالله وبرسوله * قوله عز وجل (قل هل انبئكم بشر من ذلك) هذا جواب لليهود لما قالوا ما نعرف دينا شرا من دينكم والمعنى قل يا محمد لهؤلاء اليهود الذين قالوا هذه المقالة هل اخبركم بشر من ذلك الذى ذكرتم ونقمتم علينا من إيماننا بالله وبما انزل علينا (مثوبة عند الله) يعنى جزاء * فان قلت المثوبة مختصة بالاحسان لانها فى معنى الثواب فكيف جاءت فى الاساءة * قلت وضعت المثوبة موضع العقوبة على طريقة قوله * تحية بينهم ضرب وجيع * ومنه قوله تعالى فبشرهم بعذاب اليم والمعنى قل هل انبئكم بشر من أهل ذلك الدين مثوبة * فان قلت هذا يقتضى أن الموصوفين بذلك الدين محكوم عليهم بالشر لانه تعالى قال بشر من ذلك ومعلوم ان الامر ليس كذلك فما جوابه * قلت جوابه ان الكلام خرج على حسب قولهم واعتقادهم فان اليهود حكموا بان اعتقاد ذلك الدين شر فقال لهم هب أن الأمر كذلك لكن من لعنه الله وغضب عليه ومسخ صورته شر من ذلك . قوله تعالى (من لعنه الله) معناه هل انبئكم بمن لعنه الله أو هو من لعنه الله ومعنى لعنه الله ابعده وطرده عن رحمته (وغضب عليه) يعنى وانتقم منه لان الغضب إرادة الانتقام من العصاة (وجعل منهم القردة والخنازير) يعنى من اليهود من لعنه الله وغضب عليه ومنهم من جعلهم قردة وخنازير قال ابن عباس إن الممسوخين كلاهما أصحاب السبت فشبانهم مسخوا قردة ومشايخهم مسخوا خنازير وقيل ان مسخ القردة كان فى أصحاب السبت من اليهود ومسخ الخنازير كان فى الذين كفروا بعد نزول المائدة فى زمن عيسى عليه السلام ولما نزلت هذه الاية عير المسلمون اليهود وقالوا لهذه يا اخوان القردة والخنازير واقتضحوا بذلك (وعبد الطاغوت) يعنى وجعل منهم عبد الطاغوت يعنى من أطاع الشيطان فيما سوله والطاغوت هو الشيطان وقيل العجل وقيل هو الكهان والاحبار وجملته ان كل من اطاع أحدا فى معصية الله فقد عبده وهو الطاغوت (أولئك) يعنى الملعونين والمغضوب عليه والممسوخين (شر مكانا) يعنى من غيرهم ونسب الشر إلى المكان والمراد به أهله فهو باب الكناية وقيل أراد ان مكانهم سقر ولا مكان أشد شرا منه (واضل عن سواء السبيل) يعنى واخطأ عن قصد طريق الحق . قوله تعالى (وإذا جاؤكم قالوا آمنا) قال قتادة نزلت فى أناس من اليهود دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره انهم مؤمنون راضون بالذى جاء به وهم متمسكون بضلالتهم وكفرهم فكان هؤلاء يظهرون الايمان وهم فى ذلك منافقون فاخبر الله نبيه صلى الله عليه وسلم بحالهم وشأنهم (وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به) يعنى إنهم دخلوا كافرين وخرجوا كما دخلوا كافرين لم يتعلق بقلوبهم شىء من الايمان فهم كافرون فى حالتى الدخول والخروج (والله اعلم بما كانوا يكتمون) يعنى من الكفر الذى فى قلوبهم قوله عز وجل (وترى كثيرا منهم) الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم يعنى ترى يا محمد كثيرا من

(يسارعون فى الاثم والعدوان) قيل الاثم المعاصى والعدوان الظلم وقيل الاثم ما كتموا من التوراة والعدوان مازادوا فيها (واكلهم السحت) الرشا (لبئس ما كانوا يعملون (٥٨) لولا) هلا (ينهاهم الربانيون والاحبار) يعنى العلماء قيل الربانيون علماء النصارى والاحبار علماء اليهود (عن قولهم الاثم وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يصنعون وقالت اليهود يد الله مغلولة) قال ابن عباس وعكرمة والضحاك وقتادة إن الله تعالى كان قد بسط على اليهود حتى كانوا من اكثر الناس مالا وأخصبهم ناحية فلما عصوا الله فى محمد ﷺ وكذبوا به كف الله عنهم ما بسط عليهم من السعة فعند ذلك قال فنحاص بن عازوراء يد الله مغلولة أى محبوسة مقبوضة من الرزق نسبوه إلى البخل قيل إنما قال هذه المقالة فنحاص فلما لم ينهه الاخرون ورضوا بقوله اشركهم الله فيها وقال الحسن معناه يد الله مكفوفة عن عذابنا فليس يعذبنا إلا بقدر ما يبر به قسمه قدر ما عبد اباؤنا العجل والأول أولى لقوله ينفق كيف يشاء (غلت أيديهم) أى أمسكت أيديهم عن الخيرات وقال الزجاج اجابهم الله تعالى فقال أنا الجواد وهم البخلاء أيديهم هى المغلولة الممسكة وقيل هو من الغل فى النار يوم القيامة لقوله تعالى اذ الاغلال فى اعناقهم والسلاسل (ولعنوا) عذبوا (بما قالوا) فمن لعنهم انهم مسخوا قردة وخنازير وضربت عليهم الذلة والمسكنة فى الدنيا وفى الاخرة بالنار (بل يداه مبسوطتان) ويد الله صفة من صفات ذاته كالسمع والبصر والوجه وقال جل ذكره لما خلقت بيدى وقال صلى الله عليه وسلم كلتا يديه يمين والله أعلم بصفاته فعلى العباد فيها الايمان والتسليم

الهود وكلمة من يحتمل أن تكون للتبعيض ولعل هذه الافعال المذكورة فى هذه الاية ما كان يفعلها كل اليهود فلذا قال تعالى وترى كثيرا منهم (يسارعون) المسارعة فى الشىء المبادرة اليه بسرعة لكن لفظة المسارعة إنما تستعمل فى الخير ومنه قوله تعالى يسارعون فى الخيرات وضدها العجلة وتقال فى الشر فى الأغلب إنما ذكرت لفظة المسارعة فى قوله يسارعون (فى الاثم والعدوان واكلهم السحت) لفائدة وهى انهم كانوا يتهدون على هذه المنكرات كأنهم محترفون فيها والاثم اسم جامع لجميع المعاصى والمنهيات فيدخل تحته العدوان واكل السحت فلهذا ذكر الله العدوان واكل السحت بعد الاثم والمعاصى قيل الاثم ما كتموه من التوراة والعدوان مازادوا فيها والسحت هو الرشا وما يأكلونه من غير وجهه (لبئس ما كانوا يعملون) يعنى لبئس العمل كان هؤلاء اليهود يعملون وهو مسارعتهم إلى الاثم والعدوان واكلهم السحت * قوله تعالى (لولا) يعنى هلا وهى هنا بمعنى التحضيض والتوبيخ (ينهاهم الربانيون والاحبار) قال الحسن الربانيون علماء أهل الانجيل والاحبار علماء أهل التوراة وقال غيره كلهم من اليهود لانه متصل بذكرهم (عن قولهم الاثم) يعنى الكذب (واكلهم السحت) والمعنى هلا نهى الاحبار والرهبان اليهود عن قولهم الاثم واكلهم السحت (لبئس ما كانوا يصنعون) يعنى الاحبار والرهبان إذ لم ينهوا غيرهم عن المعاصى وهذا يدل على ان تارك النهى عن المنكر بمنزلة مرتكبه لان الله تعالى ذم الفريقين فى هذه الاية قال ابن عباس ما فى القرآن اشد توبيخا من هذه الاية وقال الضحاك ما فى القرآن اية اخوف عندى منها * قوله عز وجل (وقالت اليهود يد الله مغلولة) نزلت هذه الاية فى فنحاص اليهودى قال ابن عباس ان الله قد بسط على اليهود حتى كانوا أكثر الناس أموالا وأخصبهم ناحية فلما عصوا الله ومحمدا ﷺ كذبوا به كف عنهم ما بسط عليهم من السعة فعند ذلك قال فنحاص يد الله مغلولة يعنى محبوسة مقبوضة عن الرزق والبذل والعطاء فنسوا الله تعالى إلى البخل والقبض تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا ولما قال هذه المقالة الخبيثة فنحاص ولم ينهه بقية اليهود ورضوا بقوله لاجرم لان الله تعالى اشركهم معه فى هذه المقالة فقال تعالى اخبارا عنهم وقالت اليهود يد الله مغلولة يعنى نعمته مقبوضة عنا وقال معناه يد الله مكفوفة عن عذابنا فليس يعذبنا إلا بقدر ما يبر به قسمه وذلك قدر ما عبد اباؤنا العجل والقول الأول اصح لقوله تعالى ينفق كيف يشاء واعلم ان اليد وبسطها مجاز عن البخل والجود بدليل قوله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط والسبب ان اليد آلة لكل الاعمال لاسيما لدفع المال وانفاقه وإمساكه فاطلقوا اسم السبب على المسبب واسندوا الجود والبخل إلى اليد مجازا فقيل للجواد الكريم فياض اليد مبسوط اليد وقيل للبخيل مقبوض اليد * وقوله تعالى (غلت ايديهم ولعنوا بما قالوا) يعنى امسكت ايديهم عن كل خير وطردوا عن رحمة الله قال الزجاج رد الله عليهم فقال انا الجواد الكريم وهم البخلاء وايديهم هى المغلولة الممسكة وقيل وهذا دعاء على اليهود علمنا الله كيف ندعو اعليهم فقال غلت أيديهم أى فى نار جهنم فعلى هذا هو من الغل حقيقة أى شدت أيديهم إلى أعناقهم وطرحوا فى النار جزاء لهم على هذا القول ومعنى لعنوا بما قالوا عذبوا بسبب ما قالوا فمن لعنتهم انهم مسخوا فى الدنيا قردة وخنازير وضربت عليهم الذلة والمسكنة والجزية وفى الاخرة لهم عذاب النار * وقوله تعالى (بل يداه مبسوطتان) يعنى انه تعالى جواد كريم ينفق كيف يشاء وهذا جواب لليهود ورد عليهم ما افتروه واختلقوه على الله تعالى عن قولهم علوا كبيرا وإنما أجيبوا بهذا الجواب على قدر كلامهم واما الكلام فى اليد فقد اختلف العلماء فى معناها على قولين احدهما وهو مذهب جمهور السلف وعلماء اهل السنة وبعض المتكلمين ان يد الله صفة من صفات ذاته كالسمع والبصر والوجه فيجب علينا الايمان بها والتسليم ونمرها كما جاءت فى الكتاب والسنة بلا كيف ولا تشبيه ولا تعطيل قال الله تعالى لما خلقت بيدى وقال النبى صلى الله عليه وسلم عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين والقول الثانى قول

جمهور المتكلمين وأهل التأويل فانهم قالوا اليد تذكر فى اللغة على وجوه أحدها الجارحة وهى معلومة وثانيها النعمة يقال لفلان عندى يداشكره عليها وثالثها القدرة قال الله تعالى أولى الايدى والأبصار فسروه بذوى القوى والعقول ويقال لا يدلك بهذا الأمر والمعنى سلب كمال القدرة ورابعها الملك يقال هذه الضيعة فى يد فلان اى فى ملكه ومنه قوله تعالى الذى بيده عقدة النكاح أى يملك ذلك أما الجارحة فمنتفية فى صفة الله عز وجل لان العقل دل على أنه يمتنع أن تكون يدالله عبارة عن جسم مخصوص وعضو مركب من الاجزاء والابعاض تعالى الله عن الجسمية والكيفية والتشبيه علوا كبيرا فامتنع بذلك ان تكون يدالله بمعنى الجارحة وأما سائر المعانى التى فسرت اليد بها فحاصلة لأن أكثر العلماء من المتكلمين زعموا أن اليد فى حق الله عبارة عن القدرة وعن الملك وعن النعمة وههنا اشكالان احدهما ان اليد إذا فسرت بمعنى القدرة فقدرة الله واحدة ونص القرآن ناطق باثبات اليدين فى قوله تعالى بل يداه مبسوطتان، وأجيب عن هذا الاشكال بان اليهود لما جعلوا قولهم يدالله مغلولة كناية عن البخل أجيبوا على وفق كلامهم فقال بل يداه مبسوطتان اى ليس الأمر على ماوصفتموه من البخل بل هو جواد كريم على سبيل الكمال فان من اعطى بيده فقد اعطى على اكمل الوجوه الاشكال الثانى أن اليد إذا فسرت بالنعمة فنص القرآن ناطق بتثنية اليد ونعم الله غير محصورة ولا معدودة ومنه قوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لاتحصوها وأجيب عن هذا الاشكال بان التثنية بحسب الجنس ثم يدخل تحت كل واحد من الجنسين أنواع كثيرة لانهاية لها مثل نعمة الدنيا ونعمة الدين ونعمة الظاهر ونعمة الباطن ونعمة النفع ونعمة الدفع فالمراد بالتثنية المبالغة فى وصف النعمة أجاب أصحاب القول الأول عن هذا بان قالوا ان الله تعالى أخبر عن آدم انه خلقه بيديه ولو كان معنى خلقه لآدم بقدرته او بنعمته أو بملكه لم يكن لخصوصية آدم بذلك وجه مفهوم لأن جميع خلقه مخلوقون بقدرته وجميعهم فى ملكه ومتقلبون فى نعمه فلما خص الله آدم عليه السلام بقوله تعالى لما خلقت بيدى دون خلقه علم بذلك اختصاصه وتشريفه على غيره ونقل الامام فخر الدين الرازى عن أبى الحسن الأشعرى قولا أن اليد صفة قائمة بذات الله وهى صفة سوى القدرة من شأنها التكوين على سبيل الاصطفاء قال والذى يدل عليه انه تعالى جعل وقوع خلق آدم بيديه على سبيل الكرامة لادم واصطفائه له فلو كانت اليد عبارة عن القدرة امتنع كون آدم مصطفى بذلك لأن ذلك حاصل فى جميع المخلوقات فلابد من اثبات صفة أخرى وراء القدرة يقع بها الخلق والتكوين على سبيل الاصطفاء هذا آخر كلامه وأجيب عن قولهم ان التثنية بحسب الجنس ثم يدخل تحت كل واحد من الجنسين أنواع كثيرة بان الاسم إذا ثنى لا يؤدى فى كلام العرب إلا عن اثنين بأعيانهما دون الجمع ولا يؤدى عن الجنس ايضا قالوا وخطأ فى كلام العرب ان يقال ما اكنز الدرهمين فى ايدى الناس بمعنى ما اكثر الدراهم فى ايديهم لان الدرهم إذا ثنى لا يؤدى فى كلام العرب إلا عن اثنين باعيانهما ولكن الواحد يؤدى حقه كما تقول العرب ما اكثر الدراهم فى ايدى الناس بمعنى ما اكثر الدراهم فى ايديهم لان الواحد يؤدى عن الجمع فثبت بهذا البيان قول من قال ان اليد صفة لله تعالى تليق بجلاله وانها ليست بجارحة كما تقول المجسمة تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا (ينفق كيف يشاء) يعنى انه تعالى يرزق ما يريد ويختار فيوسع على من يشاء ويقتر على من يشاء لا اعتراض عليه فى ملكه ولا فيما يفعله (ق) عن أبى هريرة ان رسول الله ﷺ قال قال الله تبارك وتعالى لما انفق عليه وقال يد الله ملأى لا تغيضها نفقة سحاء الليل والنهار أرأيتم ما أنفق منذ خلق السموات والأرض فانه لم ينقص ما بيده وكان عرشه على الماء وبيده الميزان يرفع ويخفض وهذا الحديث ايضا أحد أحاديث الصفات فيجب الايمان به وامراره كما جاء من غير تشبيه ولا تكييف ه قوله تعالى (وليزيدن كثيرا منهم ما انزل اليك من ربك طغيانا وكفرا) يعنى كلما نزلت عليك آية من القرآن كفروا بها فازدادوا شدة فى كفرهم وطغيانا مع طغيانهم والمراد بالكثير علماء اليهود وقيل اقامتهم على كفرهم زيادة منهم فيه (والقينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة) يعنى القينا العداوة والبغضاء بين اليهود والنصارى وقيل ألقى ذلك بين طوائف اليهود فجعلهم

وقال ائمة السلف من أهل السنة فى هذه الصفات أمروها كما جاءت بلا كيف (ينفق) يرزق (كيف يشاء وليزيدن كثيرا منهم ما أنزل اليك من ربك طغيانا وكفرا) أى كلما أنزل آية كفروا بها فازدادوا طغيانا وكفرا وكفروا (والقينا بينهم العداوة والبغضاء) يعنى بين اليهود والنصارى قاله الحسن ومجاهد قيل وبين طوائف اليهود جعلهم مختلفين فى دينهم متباغضين (إلى يوم القيامة

كلما أوقدوا نارا للحرب اطفأها الله) يعنى اليهود أفسدوا وخالفوا حكم التوراة فبعث الله عليهم بختنصر ثم أفسدوا فبعث الله عليهم طيطوس الرومى ثم أفسدوا فسلط الله عليهم المحوس ثم أفسدوا فبعث الله عليهم المسلمين وقيل كلما أجمعوا أمرهم ليفسدوا أمر محمد صلى الله عليه وسلم وأوقدوا نار المحاربة (٦٠) أطفأها الله فردهم وقهرهم ونصر نبيه ودينه هذا معنى قول الحسن وقال قتادة هذا عام فى كل حرب طلبته اليهود فلا تلقى اليهود فى بلد إلا وجدتهم من اذل الناس (ويسعون فى الأرض فسادا والله لا يحب المفسدين ولو ان اهل الكتاب آمنوا) بمحمد صلى الله عليه وسلم (واتقوا) الكفر (لكفرنا عنهم سيئاتهم ولأدخلناهم جنات النعيم ولو انهم اقاموا التوراة والانجيل) يعنى اقاموا احكامهما وحدودهما وعملوا بما فيهما (وما انزل إليهم من ربهم) يعنى القرآن وقيل كتب انبياء بنى إسرائيل (لأكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم) قيل من فوقهم هو المطر ومن تحت ارجلهم نبات الأرض قال ابن عباس رضى الله عنهما لأنزلت عليهم القطر واخرجت لهم من نبات الارض قال الفراء اراد به التوسعة فى الرزق كما يقال فلان فى الخير من قرنه إلى قدمه نظيره قوله تعالى ولو ان اهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض (منهم امة مقتصدة) يعنى مؤمنى أهل الكتاب عبد الله بن سلام واصحابه مقتصدة اى عادلة غير غالبة ولا مقصرة جافية ومعنى الاقتصاد فى اللغة الاعتدال فى العمل من غير غلو ولا تقصير (وكثير منهم) كعب بن الأشرف واصحابه (ساء ما يعملون) بئس ما يعملون بئس شيئا عملهم قال ابن عباس رضى الله عنهما عملوا بالقبيح مع التكذيب بالنبى صلى الله عليه وسلم

مختلفين فى دينهم متعادين متباغضين إلى يوم القيامة فان بعض اليهود جبرية وبعضهم قدرية وبعضهم مشبهة وكذلك النصارى فرق كالملكانية والنسطورية واليعقوبية والمارونية * فان قلت فهذا المعنى أيضا حاصل بين فرق المسلمين فكيف يكون ذلك عيبا على اليهود والنصارى حتى يذموا به * قلت هذه البدع التى حصلت فى المسلمين إنما حدثت بعد عصر النبى ﷺ وعصر الصحابة والتابعين اما فى الصدر الأول فلم يكن شىء من ذلك حاصلا بينهم فحسن جعل ذلك عيبا على اليهود والنصارى فى ذلك العصر الذى نزل فيه القرآن على رسول الله ﷺ (كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله) يعنى كلما افسد اليهود وخالفوا حكم الله يبعث الله عليهم من يهلكهم افسدوا فبعث الله عليهم بختنصر البابلى ثم أفسدوا فبعث الله عليهم طيطوس الرومى ثم افسدوا فسلط الله عليهم المحوس وهم الفرس ثم أفسدوا وقالوا يد الله مغلولة فبعث الله المسلمين فلا تزال اليهود فى ذلة ابدا وقال مجاهد معنى الاية كلما مكروا مكرا فى حرب محمد ﷺ أطفأه الله تعالى وقال السدى كلما أجمعوا أمرهم على شىء ليفسدوا به أمر محمد ﷺ فرقه الله تعالى وكلما أوقدوا نارا فى حرب محمد ﷺ اطفأها الله واخمد نارهم وقذف فى قلوبهم الرعب وقهرهم ونصر نبيه ودينه (ويسعون فى الأرض فسادا) يعنى ويجتهدون فى دفع الاسلام ومحو ذكر محمد ﷺ من كتبهم وقيل انهم يسعون بالمكر والكيد والحيل وليس يقدرون على غير ذلك (والله لا يحب المفسدين) يعنى إن الله لا يحب من كانت هذه صفته قال قتادة لا تلقى اليهود ببلدة إلا وجدتهم من اذل الناس فهاوهم أبغض خلق الله إليه * قوله تعالى (ولو أن اهل الكتاب آمنوا) بمحمد ﷺ وصدقوه فيما جاء به (واتقوا) يعنى اليهودية والنصرانية (لكفرنا عنهم سيئاتهم) يعنى لمحونا عنهم ذنوبهم التى عملوها قبل الاسلام لان الاسلام يجب ما قبله (ولادخلناهم جنات النعيم) يعنى مع المسلمين يوم القيامة (ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل) يعنى اقاموا أحكامهما بحدودهما وعملوا بما فيهما من الوفاء بالعهود والتصديق بمحمد ﷺ لان نعته وصفته موجودان فيهما * فان قلت كيف يأمر اهل الكتاب باقامة التوراة والانجيل مع أنهما نسخا وبدلا * قلت إنما امرهم الله تعالى باقامة ما فيهما من الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم واتباع شريعته وهذا غير منسوخ لانه موافق لما فى القرآن * قوله تعالى (وما انزل إليهم من ربهم) فيه قولان أحدهما ان المراد به كتب أنبيائهم القديمة مثل كتاب شعياء وكتاب ارمياء وزبور داود وفى هذه الكتب ايضا ذكر محمد ﷺ فيكون المراد باقامة هذه الكتب الايمان بمحمد ﷺ والقول الثانى المراد بما أنزل إليهم من ربهم هو القرآن لأنهم مأمورون بالايمان فكأنه نزل إليهم من ربهم (لأكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم) يعنى ان اليهود لما اصروا على تكذيب محمد صلى الله عليه وسلم وثبتوا على كفرهم ويهوديتهم اصابهم الله بالقحط والشدة حتى بلغوا إلى حيث قالوا يد الله مغلولة فاخبر الله انهم لو تركوا اليهودية والكفر الذى هم عليه لانقلبت تلك الشدة بالخصب والسعة وهو قوله تعالى لأكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم قال ابن عباس معناه لأنزلت عليهم المطر واخرجت لهم النبات والمراد من ذلك توسعة الرزق عليهم (منهم امة مقتصدة) اى عادلة والاقتصاد الاعتدال فى العمل من غير غلو ولا تقصير اصله من القصد لان من عرف مقصود طلبه من غير اعوجاج عنه والمراد بالأمة المقتصدة من آمن من اهل الكتاب مثل عبد الله بن سلام وأصحابه والنجاشى وأصحابه الذين اسلموا (وكثير منهم) يعنى من اهل الكتاب الذين اقاموا على كفرهم مثل كعب بن الأشرف ورؤساء اليهود (ساء ما يعملون) يعنى بئس ما يعملون من إقامتهم على كفرهم) قال ابن عباس عملوا بالقبيح مع التكذيب بالنبى صلى الله عليه وسلم

قوله عز وجل (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك) روى عن مسروق قال قالت عائشة رضى الله عنها من حدثك ان محمدا ﷺ كتم شيئا مما أنزل الله فقد كذب وهو يقول يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك الاية روى الحسن ان الله تعالى لما بعث رسوله ضاق ذرعا وعرف أن من الناس من يكذبه فنزلت هذه الآية نزلت فى عيب اليهود وذلك ان النبى ﷺ دعاهم إلى الاسلام فقالوا اسلمنا قبلك وجعلوا يستهزؤون به فيقولون له تريد أن نتخذك حنانا كما اتخذت النصارى عيسى حنانا فلما رأى النبى ﷺ ذلك سكت فنزلت هذه الاية وأمره أن يقول لهم يا اهل الكتاب لستم على شىء الاية وقيل بلغ ما أنزل (٦١) اليك من الرجم والقصاص نزلت فى قصة اليهود وقيل نزلت فى أمر زينب بنت جحش ونكاحها وقيل فى الجهاد وذلك ان المنافقين كرهوه كما قال الله تعالى فاذا أنزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال رأيت الذين فى قلوبهم مرض ينظرون اليك نظر المغشى عليه من الموت كرهه بعض المؤمنين قال الله تعالى ألم تر إلى الذين قيل لهم كفوا ايديكم الآية فكان النبى ﷺ يمسك فى بعض الأحايين عن الحث على الجهاد لما يعلم من كراهة بعضهم فأنزل الله هذه الاية قوله تعالى (وإن لم تفعل فما بلغت رسالته) قرا اهل المدينة والشام وابو بكر ويعقوب رسالاته على الجمع والباقون رسالته على التوحيد ومعنى الآية ان لم تبلغ الجمع وتركت بعضه فما بلغت شيئا اى جرمك فى ترك تبليغ البعض كجرمك فى ترك تبليغ الكل كقوله نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا اولئك هم الكافرون حقا اخبر ان كفرهم بالبعض محبط للايعاب بالبعض وقيل بلغ ما انزل إليك اى اظهر تبليغه كقوله فاصدع بما تؤمر وان لم تفعل فان لم تظهر تبليغه فما بلغت رسالته امره تبليغ ما انزل اليه مجاهرا محتسبا صابرا غير خائف فان اخفيت منه شيئا لخوف يلحقك فما بلغت رسالته (والله يعصمك من الناس) يحفظك ويمنعك من الناس فان قيل اليس قد شج راسه وكسرت رباعيته واوذى بضروب من الأذى قيل معناه يعصمك من القتل فلا يصلون إلى قتلك وقيل نزلت هذه الاية بعد ما شج راسه لأن سورة المائدة من آخر ما نزل من القرآن وقيل والله يخصك بالعصمة من بين الناس لأن النبى ﷺ معصوم

* قوله عز وجل (يا أيها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك) الاية روى عن الحسن ان الله تعالى لما بعث رسوله ﷺ ضاق ذرعا وعرف ان من الناس من يكذبه فانزل هذه الاية وقيل نزلت فى عيب اليهود وذلك أن النبى ﷺ دعاهم إلى الاسلام فقالوا اسلمنا قبلك وجعلوا يستهزؤون به ويقولون تريد ان تتخذك حنانا كما اتخذت النصارى عيسى حنانا فلما رأى النبى ﷺ ذلك منهم سكت فانزل الله هذه الاية وامره بان يقول لهم يا اهل الكتاب لستم على شىء الاية وقيل نزلت هذه الاية فى امر الجهاد وذلك أن المنافقين كرهوه فكان النبى ﷺ يمسك فى بعض الأحايين عن الحث على الجهاد لما علم من كراهية بعضهم فأنزل الله هذه الاية وقيل نزلت فى قصة الرجم والقصاص وماسال عنه اليهود ومعنى الآية يا أيها الرسول بلغ جميع ما أنزل اليك من ربك مجاهرا به ولا تراقبن أحدا ولا تترك شيئا مما انزل اليك من ربك وإن اخفيت شيئا من ذلك فى وقت من الأوقات فما بلغت رسالته وهو قوله تعالى (وإن لم تفعل فما بلغت رسالته) وقرىء رسالاته قال ابن عباس يعنى إن كتمت آية مما انزل إليك من ربك لم تبلغ رسالتى يعنى انه ﷺ لو ترك إبلاغ البعض كان كمن لم يبلغ شيئا مما انزل الله اليه وحاشا رسول الله ﷺ ان يكتم شيئا مما اوحى اليه روى مسروق عن عائشة قالت من حدثك ان رسول الله ﷺ كتم شيئا مما انزل اليه فقد كذب ثم قرأت يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك اخرجاه فى الصحيحين بزيادة فيه * وقوله تعالى (والله يعصمك من الناس) يعنى يحفظك يا محمد ويمنعك منهم المراد بالناس هنا الكفار * فان قلت اليس قد شج راسه وكسرت رباعيته يوم احد وقد اوذى بضروب من الأذى فكيف يجمع بين ذلك وبين قوله والله يعصمك من الناس * قلت المراد منه انه يعصمك من القتل فلا يقدر عليه احد اراده بالقتل ويدل على صحة ذلك ماروى عن جابر انه غزى مع رسول الله ﷺ قبل نجد فلما قفل رسول الله ﷺ قفل معه فادركتهم القائلة فى واد كثير العضاه فنزل رسول الله ﷺ وتفرق الناس يستظلون بالشجر فنزل رسول الله ﷺ تحت شجرة فعلق بها سيفه ونمنا معه نومة فاذا رسول الله ﷺ يدعونا وإذا عنده اعرابى فقال ان هذا اخترط على سيفى وانا نائم فاستيقظت وهو فى يده صلتا فقال من يمنعك منى فقلت الله ثلاثا ولم يعاقبه وجلس وفى روايه اخرى قال جابر كنا مع رسول الله ﷺ بذات الرقاع فاذا اتينا على شجرة ظليلة تركناها لرسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء رجل من المشركين وسيف رسول الله ﷺ معلق بالشجرة فاخترطه فقال تخافنى فقال لا فقال من يمنعك منى قال الله فتهدده اصحاب رسول الله ﷺ اخرجاه فى الصحيحين وزاد البخارى فى رواية له ان اسم ذلك الرجل غورث بن الحرث (ق) عن عائشة رضى الله عنها قالت سهر رسول الله ﷺ مقدمة المدينة ليلة فقال ليت رجلا صالحا من اصحابى يحرسنى الليلة قال فبينما نحن كذلك سمعنا خشخشة السلاح فقال من هذا قال سعد بن ابى وقاص فقال له رسول الله ﷺ ماجاء بك فقال وقع فى نفسى خوف على رسول الله ﷺ فجئت احرسه فدعا له رسول الله ﷺ ثم نام وعن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرس ليلا حتى نزلت والله

ان الله لا يهدى القوم الكافرين) أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحى انا أحمد بن عبد الله النعيمى انا محمد بن يوسف انا محمد بن إسمعيل أبو اليمان انا أبو شعيب عن الزهرى انا سنان بن أبى سنان الدولى وابو سلمة بن عبد الرحمن ان جابر بن عبد الله أخبره انه غزا مع رسول الله ﷺ قبل نجد فلما قفل رسول الله ﷺ قفل معه وأدركتهم القائلة فى واد كثير العضاه فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم وتفرق الناس يستظلون بالشجرة فنزل رسول الله ﷺ تحت شجرة وعلق بها سيفه ونمنا نومة فاذا رسول الله ﷺ يدعونا وإذا عنده أعرابى فقال ان هذا اخترط (٦٢) سيفى وانا نائم فاستيقظت وهو فى يده صلتا فقال من يمنعك منى فقلت الله ثلاثا ولم يعاقبه وجلس وروى محمد بن كعب القرظى عن ابى هريرة رضى الله عنه ان الاعرابى سل سيفه وقال من يمنعك منى يا محمد قال الله فرعدت يد الاعرابى وسقط السيف من يده وجعل يضرب برأسه الشجرة حتى انتثر دماغه فانزل الله تعالى هذه الاية

يعصمك من الناس فاخرج رسول الله ﷺ رأسه من القبة فقال لهم أيها الناس انصرفوا فقد عصمنى الله اخرجه الترمذى وقال حديث غريب وقيل فى الجواب عن هذا ان هذه الاية نزلت بعد ماشج راسه فى يوم أحد لأن سورة المائدة من آخر القرآن نزولا وقوله (أن الله لا يهدى القوم الكافرين) قال ابن عباس معناه لا يرشد من كذبك وأعرض عنك وقال ابن جرير الطبرى معناه ان الله لا يوفق للرشد من حاد عن سبيل الحق وجار عن قصد السبيل وجحد ما جئت به من عند الله ولم ينته إلى امر الله وطاعته فيما فرض عليه وأوجبه * قوله تعالى (قل يا أهل الكتاب لستم على شىء) يعنى قل يا محمد لهؤلاء اليهود والنصارى لستم على شىء من الدين الحق المرتضى عند الله ولستم على شىء مما تدعون انكم عليه مما جاءكم به موسى عليه السلام يا معشر اليهود ولا مما جاءكم به عيسى يا معشر النصارى فانكم احدثتم وغيرتم قال ابن عباس جاء رسول الله ﷺ رافع بن حارثة وسلام بن مشكم ومالك بن الصيف وراتع بن حرملة وقالوا يا محمد الست تزعم أنك على ملة ابراهيم ودينه وتؤمن بما عندنا من التوراة وتشهد أنها حق فقال رسول الله ﷺ بلى ولكنكم احدثتم وجحدتم ما فيها مما أخذ عليكم من الميثاق وكتمتم منها ما أمرتم أن تبينوه للناس فانا برىء من احداثكم فقالوا فانا نأخذ بما فى أيدينا فانا على الحق والهدى ولا نؤمن لك ولا نتبعك فانزل الله قل يا أهل الكتاب لستم على شىء (حتى تقيموا التوراة والانجيل وما أنزل إليكم من ربكم) الاية وقد تقدم معنى إقامة التوراة والانجيل وانه يلزمه العمل بما فيها وهو الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وقد تقدم تفسير ما أنزل اليكم من ربكم (ولزيدن كثيرا منهم ما أنزل اليك من ربك طغيانا وكفرا) * وقوله تعالى (فلا تأس على القوم الكافرين) يعنى فلا تحزن يا محمد على هؤلاء اليهود الذين جحدوا نبوتك ولم يؤمنوا بك فانما يعود ضرر ذلك الكفر عليهم * قوله عز وجل (ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى) لما بين الله عز وجل أن أهل الكتاب ليسوا على شىء مالم يؤمنوا بين فى هذه الاية ان هذا الحكم عام فى كل أهل الملل وأنه لا يحصل لأحد منهم فضيلة ولا منقبة إلا إذا آمن بالله واليوم الاخر وعمل صالحا يرضاه الله ومن العمل الصالح الايمان بمحمد ﷺ لأنه لا يتم الايمان إلا به وقد تقدم تفسير هذه الاية فى سورة البقرة وقوله تعالى والصابئون ظاهر الإعراب يقتضى أن يقال والصابئين وكذا قراءة ابى بن كعب وابن مسعود وابن كثير من السبعة وقرأ الجمهور بالرفع ومذهب الخليل وسيبويه انه ارتفع الصابئون بالابتداء على نية التأخير كانه قيل أن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى من آمن بالله واليوم الاخر وعمل صالحا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والصابئون كذلك فحذف خبره والحكمة فى عطف الصابئين على من قبلهم هى أن الصابئين اشد الفرق المذكورة فى هذه الاية ضلالا فكانه قال كل هؤلاء الفرق اذا آمنوا وأتوا بالعمل الصالح قبل الله توبتهم حتى الصابئون فانهم إذا امنوا كانوا ايضا كذلك وإنما سموا صابئين لأنهم صبؤا عن الأديان كلها بمعنى خرجوا لأنهم صبؤا إلى اتباع الهوى والشهوات فى دينهم لم يتبعوا اما جاءت به الرسل من عند الله * فان قلت قد قال الله تعالى

يعصمك من الناس فاخرج رسول الله ﷺ رأسه من القبة فقال لهم أيها الناس انصرفوا فقد عصمنى الله اخرجه الترمذى وقال حديث غريب وقيل فى الجواب عن هذا ان هذه الاية نزلت بعد ماشج راسه فى يوم أحد لأن سورة المائدة من آخر القرآن نزولا وقوله (أن الله لا يهدى القوم الكافرين) قال ابن عباس معناه لا يرشد من كذبك وأعرض عنك وقال ابن جرير الطبرى معناه ان الله لا يوفق للرشد من حاد عن سبيل الحق وجار عن قصد السبيل وجحد ما جئت به من عند الله ولم ينته إلى امر الله وطاعته فيما فرض عليه وأوجبه * قوله تعالى (قل يا أهل الكتاب لستم على شىء) يعنى قل يا محمد لهؤلاء اليهود والنصارى لستم على شىء من الدين الحق المرتضى عند الله ولستم على شىء مما تدعون انكم عليه مما جاءكم به موسى عليه السلام يا معشر اليهود ولا مما جاءكم به عيسى يا معشر النصارى فانكم احدثتم وغيرتم قال ابن عباس جاء رسول الله ﷺ رافع بن حارثة وسلام بن مشكم ومالك بن الصيف وراتع بن حرملة وقالوا يا محمد الست تزعم أنك على ملة ابراهيم ودينه وتؤمن بما عندنا من التوراة وتشهد أنها حق فقال رسول الله ﷺ بلى ولكنكم احدثتم وجحدتم ما فيها مما أخذ عليكم من الميثاق وكتمتم منها ما أمرتم أن تبينوه للناس فانا برىء من احداثكم فقالوا فانا نأخذ بما فى أيدينا فانا على الحق والهدى ولا نؤمن لك ولا نتبعك فانزل الله قل يا أهل الكتاب لستم على شىء (حتى تقيموا التوراة والانجيل وما أنزل إليكم من ربكم) الاية وقد تقدم معنى إقامة التوراة والانجيل وانه يلزمه العمل بما فيها وهو الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وقد تقدم تفسير ما أنزل اليكم من ربكم (ولزيدن كثيرا منهم ما أنزل اليك من ربك طغيانا وكفرا) * وقوله تعالى (فلا تأس على القوم الكافرين) يعنى فلا تحزن يا محمد على هؤلاء اليهود الذين جحدوا نبوتك ولم يؤمنوا بك فانما يعود ضرر ذلك الكفر عليهم * قوله عز وجل (ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى) لما بين الله عز وجل أن أهل الكتاب ليسوا على شىء مالم يؤمنوا بين فى هذه الاية ان هذا الحكم عام فى كل أهل الملل وأنه لا يحصل لأحد منهم فضيلة ولا منقبة إلا إذا آمن بالله واليوم الاخر وعمل صالحا يرضاه الله ومن العمل الصالح الايمان بمحمد ﷺ لأنه لا يتم الايمان إلا به وقد تقدم تفسير هذه الاية فى سورة البقرة وقوله تعالى والصابئون ظاهر الإعراب يقتضى أن يقال والصابئين وكذا قراءة ابى بن كعب وابن مسعود وابن كثير من السبعة وقرأ الجمهور بالرفع ومذهب الخليل وسيبويه انه ارتفع الصابئون بالابتداء على نية التأخير كانه قيل أن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى من آمن بالله واليوم الاخر وعمل صالحا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والصابئون كذلك فحذف خبره والحكمة فى عطف الصابئين على من قبلهم هى أن الصابئين اشد الفرق المذكورة فى هذه الاية ضلالا فكانه قال كل هؤلاء الفرق اذا آمنوا وأتوا بالعمل الصالح قبل الله توبتهم حتى الصابئون فانهم إذا امنوا كانوا ايضا كذلك وإنما سموا صابئين لأنهم صبؤا عن الأديان كلها بمعنى خرجوا لأنهم صبؤا إلى اتباع الهوى والشهوات فى دينهم لم يتبعوا اما جاءت به الرسل من عند الله * فان قلت قد قال الله تعالى

كان النبى ﷺ يحرس حتى نزلت هذه الاية والله يعصمك من الناس فاخرج رسول الله ﷺ رأسه من القبة فقال لهم أيها الناس انصرفوا فقد عصمنى الله سبحانه وتعالى قوله عز وجل (قل يا أهل الكتاب لستم على شىء حتى تقيموا التوراة والانجيل وما انزل اليكم من ربكم) أى تقيموا أحكامها وما يجب عليكم فيهما (ولزيدن كثيرا منهم ما أنزل اليك من ربك طغيانا وكفرا فلا تأس) فلا تحزن (على القوم الكافرين ان الذين امنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى) وكان حقه والصابئين وقد ذكرنا فى سورة البقرة وجه ارتفاعه وقال سيبويه فيه تقديم وتاخير وتقديره ان الذين امنوا والذين هادوا والنصارى من آمن بالله الى اخر الاية والصابئون كذلك قوله ان الذين امنوا اى باللسان وقوله من امن بالله اى بالقلب وقيل الذين امنوا على حقيقة الايمان

(من آمن بالله) أى ثبت على الايمان (واليوم الآخر وعمل صالحا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون) قوله تعالى (لقد أخذنا ميثاق بنى إسرائيل) فى التوحيد والنبوة (وأرسلنا إليهم رسلا كلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم فريقا كذبوا) عيسى ومحمدا صلوات الله وسلامه عليهما (وفريقا يقتلون) يحيى وزكريا (وحسبوا) ظنوا (ان لا تكون فتنة) اى عذاب وقتل وقيل ابتلاء واختبار اى ظنوا ان لا يبتلوا ولا يعذبهم الله قرأ اهل البصرة وحمزة والكسائى تكون برفع النون على معنى انها لا تكون ونصبها الاخرون كما لو لم يكن قبله لا (فعموا) عن الحق فلم يبصروه (وصموا) عنه فلم يسمعوه يعنى عموا وصموا بعد موسى صلوات الله وسلامه عليه (ثم تاب الله عليهم) ببعث عيسى عليه السلام (ثم عموا وصموا كثير منهم) بالكفر بمحمد ﷺ (والله بصير بما يعملون لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم) وهم الملكانية واليعقوبية منهم (وقال المسيح يا بنى إسرائيل اعبدوا الله ربى وربكم انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة) يعنى المرقوسية وفيه اضمار معناه ثالث ثلاثة الالهة لأنهم يقولون الالهية مشتركة بين الله تعالى ومريم وعيسى وكل واحد من هؤلاء إله فهم ثلاثة الهة يبين هذا قوله عز وجل للمسيح أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى إلهين من دون الله ومن قال ان الله ثالث ثلاثة ولم يرد به الالهية لا يكفر فان الله يقول ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم وقال

فى أول الاية ان الذين آمنوا ثم قال فى آخر الاية فمن آمن فما فائدة هذا التكرار * قلت فائدته ان المنافقين كانوا يظهرون الإسلام ويزعمون انهم مؤمنون ففى هذا التكرار اخراجهم من قبيل المؤمنين فيكون معنى ان الذين آمنوا اى بألسنتهم لا بقلوبهم ثم قال من آمن يعنى من ثبت على إيمانه ورجع عن نفاقه منهم وقيل فيه فائدة أخرى وهى ان الايمان يدخل تحته أقسام كثيرة وأشرفها الايمان بالله واليوم الاخر ففائدة التكرار التنبيه على اشرف أقسام الايمان هذان القسمان وفى قوله (من آمن بالله) حذف تقديره من آمن بالله (واليوم الاخر) منهم وإنما حسن هذا الحذف لكونه معلوما عند السامعين (وعمل صالحا) يعنى وضم إلى إيمانه العمل الصالح وهو الذى يراد به وجه الله تعالى (فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون) يعنى فى الاخرة * قوله عز وجل (لقد أخذنا ميثاق بنى إسرائيل) يعنى اخذنا العهود عليهم فى التوراة بأن يعملوا بما فيها من التوحيد والعمل بما امرناهم به والانتهاء عما نهيناهم عنه (وأرسلنا إليهم رسلا) يعنى لبيان الشرائع والأحكام (كلما جاءهم رسول بما لا تهوى انفسهم) يعنى بما يخالف أهواءهم ويضاد شهواتهم من ميثاق التكليف والعمل بالشرائع (فريقا كذبوا) يعنى من الرسل الذى جاءتهم (وفريقا يقتلون) يعنى من الرسل فكان فيمن كذبوا عيسى ومحمد ﷺ وكان فيمن قتلوا زكريا ويحيى عليهما السلام وإنما فعلوا ذلك نقضا للميثاق وجراءة على الله عز وجل ومخالفة لأمره * قوله تعالى (وحسبوا) يعنى وظن هؤلاء الذين كذبوا الرسل وقتلوا الأنبياء (ان لا تكون فتنة) يعنى ان لا يعذبهم الله ولا يبتليهم بذلك الفعل الذى فعلوه وإنما حملهم على هذا الظن الفاسد انهم كانوا يعتقدون ان كل رسول جاءهم بشرع آخر غير شرعهم يجب عليهم تكذيبه وقتله فلهذا السبب حسبوا ان لا يكون فعلهم ذلك فتنة يبتلون بها وقيل إنما قدموا على ذلك لاعتقادهم ان آباءهم وأسلافهم يدفعون عنهم العذاب فى الاخرة (فعموا وصموا) يعنى انهم عموا عن الحق فلم يبصروه وصموا عنه فلم يسمعوه وهذا المعنى هو كناية عن عمى البصيرة لا البصر وكذلك الصمم هو كناية عن منع نفوذ الحق إلى قلوبهم وسبب ذلك شدة جهلهم وقوة كفرهم واعراضهم عن قبول الحق قال بعض المفسرين سبب هذا العمى والصمم عبادتهم العجل فى زمن موسى عليه السلام (ثم تاب الله عليهم) يعنى انهم لما تابوا من عبادتهم العجل تاب الله عليهم (ثم عموا وصموا) يعنى فى زمان زكريا ويحيى وعيسى عليهم السلام لأنهم كذبوا عيسى وقتلوا زكريا ويحيى وقيل إن العمى والصمم الأول كان بعد موسى ثم تاب الله عليهم يعنى ببعثه عيسى عليه السلام ثم عموا وصموا يعنى بسبب الكفر بمحمد ﷺ (كثير منهم) من اليهود لأن بعضهم آمن بمحمد ﷺ مثل عبد الله بن سلام وأصحابه (والله بصير بما يعملون) يعنى من قتل الأنبياء وتكذيب الرسل * قوله عز وجل (لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم) لما حكى الله عن اليهود ما حكاه من نقضهم الميثاق وقتلهم الأنبياء وتكذيبهم الرسل وغير ذلك شرع فى الاخبار عن كفر النصارى وما هم عليه من فساد الاعتقاد فقال تعالى لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح بن مريم وهذا قول اليعقوبية والملكانية من النصارى لانهم لا يقولون ان مريم ولدت إلها ولانهم يقولون ان الاله جل وعلا حل فى ذات عيسى واتحد به فصار إلها تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا (وقال المسيح يا بنى إسرائيل اعبدوا الله ربى وربكم) يعنى وقد كان المسيح قال هذا لبنى إسرائيل عند مبعثه إليهم وهذا تنبيه على ما هو الحجة القاطعة على فساد قول النصارى ذلك لأنه عليه السلام لم يفرق بينه وبين غيره فى العبودية والاقرار لله بالربوبية وان دلائل الحدوث ظاهرة عليه (إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة) يعنى انه من يجعل له شريكا من خلقه فقد حرم الله عليه الجنة يعنى إذا مات على شركه (ومأواه النار) يعنى انه يصير إلى النار فى الاخرة (وما للظالمين) يعنى وما للمشركين الذين ظلموا أنفسهم بالشرك (من انصار) يعنى ما لهم من أنصار ينصرونهم ويمنعونهم من العذاب يوم القيامة * قوله تعالى (لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة) وهذا قول المرقوسية والنسطورية من النصارى ولتفسير قول

النصارى طريقان أحدهما وهو قول أكثر المفسرين أنهم أرادوا بهذه المقالة ان الله ومريم وعيسى آلهة ثلاثة وان الالهية مشتركة بينهم وان كل واحد منهم إله ويبين ذلك قوله تعالى للمسيح أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى إلهين من دون الله فقوله ثالث ثلاثة فيه اضمار تقديره ان الله أحد ثلاثة آلهة أو واحد من ثلاثة آلهة قال الواحدى ولا يكفر من يقول ان الله ثالث ثلاثة ولم يرد به انه ثالث ثلاثة آلهة لانه ما من اثنين إلا والله ثالثهما بالعلم ويدل عليه قوله تعالى فى سورة المجادلة ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم وقد قال النبى ﷺ يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما والطريق الثانى أن المتكلمين حكوا عن النصارى أنهم يقولون أنه جواهر واحد ثلاثة أقانيم أب وابن وروح القدس وهذه الثلاثة إله واحد كما ان الشمس اسم يتناول القرص والشعاع والحرارة وعنوا بالأب الذات وبالابن الكلمة وبالروح الحياة وأثبتوا الذات والكلمة والحياة قالوا ان الكلمة التى هى كلام الله اختلطت بجسد عيسى اختلاط الماء باللبن وزعموا ان الأب إله والابن إله والروح إله والكل إله واحد واعلم ان هذا الكلام معلوم البطلان لبديهة العقل فان الثلاثة لا تكون واحدا والواحد لا يكون ثلاثة ولا ترى فى الدنيا مقالة أشد فساداً ولا أظهر بطلانا من مقالة النصارى وعلى هذا أخبر الله عنهم فى قوله لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة فهذا معنى مذهبهم وان لم يصرحوا بانه واحد من ثلاثة آلهة فذلك لازم لهم وإنما يمتنعون من هذه العبارة لأنهم إذا قالوا ان كل واحد من الأقانيم إله فقد جعلوه ثالث ثلاثة وقولهم بعد هذا هو إله واحد فيه مناقضة لما قالوا اولا فهذا بيان فساد قول النصارى ثم رد الله عليهم فقال تعالى (وما من إله إلا إله واحد) يعنى انه ليس فى الوجود إله واحد موصوف بالوحدانية لا ثانى له ولا شريك له ولا والد له ولا ولد له ولا صاحبة له إلا الله تعالى (وإن لم ينتهوا عما يقولون) يعنى وإن لم ينته النصارى عن هذه المقالة الخبيثة (ليمس الذين كفروا منهم عذاب أليم) يعنى ليصيبن الذين أقاموا على هذا القول الخبيث وهذا الدين الذى ليس بمرضى عذاب وجيع فى الآخرة وإنما قال تعالى منهم لعلمه السابق ان من النصارى من سيؤمن ويخلص ويترك هذا القول ويعلم انه فاسد ثم ندب سائر النصارى إلى التوبة من هذه المقالة الخبيثة فقال تعالى (أفلا يتوبون إلى الله) يعنى من قولهم بالتثليث (ويستغفرونه) وهذا استفهام بمعنى الأمر اى توبوا إلى الله واستغفروه من هذا الذنب العظيم فانه تعالى يغفر الذنوب (والله غفور) يعنى لمن استغفره وتاب اليه (رحيم) به وبسائر خلقه ، قوله عز وجل (ما المسيح بن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل) يعنى ان المسيح رسول من الله عز وجل ليس بالله كما ان الرسل الذين كانوا من قبله لم يكونوا آلهة وقد أتى عيسى عليه السلام بالمعجزات الدالة على صدقه كما ان الذين من قبله أتوا بالمعجزات الدالة على صدقهم (وأمه صديقة) يعنى انها كثيرة الصدق وقيل سميت مريم صديقة لأنها صدقت بآيات ربها وكتبه ، وقوله تعالى (كانا يأكلان الطعام) فيه احتجاج على فساد قول النصارى بالهية المسيح يعنى أن المسيح وأمه مريم كانا بشرين يأكلان الطعام ويعيشان به كسائر بنى آدم فكيف يكون الها من يحتاج إلى الطعام ولا يعيش إلا به وقيل معناه انه لو كان الها كما يزعمون لدفع عن نفسه ألم الجوع وألم العطش ولم يوجد ذلك فكيف يكون الها وقيل هذا كناية عن الحدث وذلك ان كل من أكل وشرب لابد له من الغائط والبول ومن كانت هذه صفته فكيف يكون الها وبالجملة فان فساد قول النصارى اظهر من أن يحتاج الى اقامة دليل عليه ثم قال تعالى (انظر) الخطاب للنبى ﷺ أى انظر يا محمد (كيف نبين لهم الايات) يعنى الدلالة على بطلان قولهم (ثم انظر أنى يؤفكون) أى كيف يصرفون عن استماع الحق وقبوله ، قوله تعالى (قل أتعبدون من دون الله) الخطاب للنبى ﷺ أى قل يا محمد لهؤلاء النصارى أتعبدون من دون الله (ما لا يملك لكم ضراً ولا نفعا) يعنى لا يستطيع ان يضركم بمثل ما يضركم الله به من البلايا والمصائب فى الأنفس والأموال ولا يقدر أن ينفعكم بمثل ما ينفعكم الله به من صحة الأبدان وسعة الأرزاق فان الضار والنافع هو الله تعالى لا من تعبدون من دونه ومن لم يقدر على النفع والضر لا يكون الها (والله هو السميع العليم) يعنى انه تعالى سميع لأقوالكم وكفركم عليم بما فى ضمائركم ، قوله

النبى ﷺ لأبى بكر رضى الله عنه ما ظنك باثنين الله ثالثهما ثم قال ردا عليهم (وما من اله الا اله واحد وان لم ينتهوا عما يقولون ليمسن) ليصيبن (الذين كفروا منهم عذاب اليم) خص الذين كفروا لعلمه أن بعضهم يؤمنون (أفلا يتوبون الى الله ويستغفرونه) قال الفراء هذا أمر بلفظ الاستفهام لقوله تعالى فهل أنتم منتهون أى انتهوا والمعنى أن الله يأمركم بالتوبة والاستغفار من هذا الذنب العظيم (والله غفور رحيم ما المسيح بن مريم الا رسول قد خلت) مضت (من قبله الرسل) اى ليس هو باله كالرسل الذين مضوا لم يكونوا آلهة (وامه صديقة) أى كثيرة الصدق وقيل سميت صديقة لأنها صدقت بآيات الله كما قال عز وجل فى وصفها وصدقت بكلمات ربها (كانا يأكلان الطعام) أى كانا يعيشان بالطعام والغذاء كسائر الادميين فكيف يكون الها من لا يقيمه الا أكل الطعام وقيل هذا كناية عن الحدث وذلك ان من أكل وشرب لابد له من البول والغائط ومن هذه صفته كيف يكون الها ثم قال (أنظر كيف نبين لهم الايات ثم انظر أنى يؤفكون) أى يصرفون عن الحق (قل أتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا والله هو السميع العليم)

قل يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق) أي لا تتجاوزوا الحد الغلو والتقصير كل واحد منهما مذموم في الدين وقوله غير الحق أي في دينكم المخالف للحق وذلك أنهم خالفوا الحق في دينهم ثم غلوا فيه بالإصرار عليه (ولا تتبعوا اهواء قوم) والاهواء جمع الهوى وهو ما تدعو اليه شهوة النفس (قد ضلوا من قبل) يعني رؤساء الضلالة من فريق اليهود والنصارى والخطاب للذين كانوا في عصر النبي ﷺ نهوا عن اتباع اسلافهم فيما ابتدعوه باهوائهم (واضلوا كثيراً) يعني من اتبعهم على اهوائهم (٦٥) (وضلوا عن سواء السبيل) عن قصد الطريق أي بالاضلال فالضلال الأول من الضلالة والثاني باضلال من اتبعهم (لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود) يعني أهل ايلة لما اعتدوا في السبت وقال داود عليه السلام اللهم العنهم واجعلهم آية فمسخوا قردة وخنازير (وعيسى ابن مريم) أي على لسان عيسى عليه السلام يعني كفار أصحاب المائدة لما لم يؤمنوا قال عيسى اللهم العنهم واجعلهم آية فمسخوا خنازير (ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه) أي لا ينهى بعضهم بعضا (لبئس ما كانوا يفعلون)

أنا أبو سعيد الشريحي انا ابو اسحق الثعلبي انا ابو الحسن محمد بن الحسين أنا أحمد بن محمد بن اسحق انا ابو يعلى الموصلي أنا وهب ابن بقية أنا خالد يعني ابن عبد الله الواسطي عن العلاء بن المسيب عن عمرو بن مرة عن ابي عبيدة عن عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كان فيمن كان قبلكم من بني اسرائيل إذا عمل العامل منهم الخطيئة نهاه الناهي تعذيرا فاذا كان من الغد جالسه وآكله وشاربه كأنه لم يره على الخطيئة بالأمس فلما رأى الله تبارك وتعالى ذلك منهم ضرب قلوب بعضهم على بعض وجعل منهم القردة والخنازير ولعنهم على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتاخذن على يد السفيه ولتأطرنه على الحق أطرا أو ليضربن الله قلوب بعضكم على بعض ويلعنكم كما لعنهم

عز وجل (قل يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم) الغلو مجاوزة الحد وذلك ان الحق بين طرفي الافراط والتفريط فمجاوزة الحد والتقصير مذموم في الدين (غير الحق) يعني لا تغلوا في دينكم غلوا باطلا غير الحق وذلك أنهم خالفوا الحق في دينهم ثم غلوا في الاصرار عليه وكلا الفريقين من اليهود والنصارى غلوا في عيسى عليه السلام أما غلو اليهود فالتقصير في حقه حتى نسبوه إلى غير رشدة وأما غلو النصارى فمجاوزة الحد في حقه حتى جعلوه الها وكلا الغلوين مذموم (ولا تتبعوا اهواء قوم قد ضلوا من قبل) الاهواء جمع هوى وهو ما تدعو شهوة النفس اليه قال الشعبي ما ذكر الله تعالى الهوى في القرآن إلا وذمه وقال أبو عبيدة لم تجد الهوى يوضع إلا موضع الشر لأنه لا يقال فلان يهوى الخير إنما يقال فلان يحب الخير ويريده والخطاب في قوله ولا تتبعوا اهواء قوم لليهود والنصارى الذين كانوا في زمان رسول الله ﷺ نهوا عن اتباع اسلافهم فيما ابتدعوه من الضلالة باهوائهم وهو المراد بقوله اهواء قوم قد ضلوا من قبل فبين الله تعالى انهم كانوا على ضلالة (وأضلوا كثيرا) يعني من اتبعهم على ضلالتهم واهوائهم (وضلوا عن سواء السبيل) يعني واخطؤا عن قصد طريق الحق * قوله تعالى (لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود) قال اكثر المفسرين هم أصحاب السبت لما اعتدوا في السبت واصطادوا الحيتان فيه قال داود عليه السلام اللهم العنهم واجعلهم قردة فمسخوا قردة وستأتي قصتهم في سورة الاعراف (وعيسى ابن مريم) يعني وعلى لسان عيسى ابن مريم وهم كفار أصحاب المائدة لما اكلوا منها وادخروا ولم يؤمنوا قال عيسى عليه السلام اللهم العنهم واجعلهم خنازير فمسخوا خنازير وستأتي قصتهم وقال بعض العلماء أن اليهود كانوا يفتخرون بآبائهم ويقولون نحن من أولاد الأنبياء عليهم السلام فاخبر الله تعالى بانهم ملعونون على ألسنة الأنبياء عليهم السلام وقيل ان داود وعيسى بشرا بمحمد ﷺ ولعنا من يكفر به (ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون) يعني ذلك اللعن بسبب عصيانهم واعتدائهم ثم فسر الاعتداء والمعصية فقال تعالى (كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه) أي لا ينهى بعضهم بعضا عن منكر وقيل معناه لا يتناهون عن معاودة منكر فعلوه ولا عن الاصرار عليه (لبئس ما كانوا يفعلون) اللام في لبئس لام القسم أي اقسم لبئس ما كانوا يفعلون يعني من ارتكاب المعاصي والعدوان عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ ان أول ما دخل النقص على بني اسرائيل أنه كان الرجل يلقى الرجل فيقول يا هذا اتق الله ودع ما تصنع فانه لا يحل لك ثم يلقاه من الغد وهو على حاله فلا يمنعه ذلك ان يكون اكيله وشريبه وقعيده فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض ثم قال لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم أنفسهم إلى قوله فاسقون ثم قال كلا والله لتامرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ثم لتاخذن على يد الظالم ولتأطرنه على الحق اطرا ولتقصرنه على الحق قصرا زاد في رواية أو ليضربن الله قلوب بعضكم ببعض ثم يلعنكم كما لعنهم اخرجه ابو داود واخرجه الترمذي عنه فقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما وقعت بنو اسرائيل في المعاصي نهتهم علماؤهم فلم ينتهوا في مجالسهم وآكلوهم وشاربوهم فضرب الله قلوب بعضهم ببعض ولعنهم على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا

قوله تعالى (ترى كثيرا منهم) قيل من اليهود كعب بن الأشرف وأصحابه (يتولون الذين كفروا) مشركى مكة حين خرجوا اليهم يحيشون على النبى ﷺ قال ابن عباس ومجاهد والحسن منهم يعنى من المنافقين يتولون اليهود (لبئس ما قدمت لهم أنفسهم) بئس ما قدموا من العمل لمعادهم فى الآخرة (ان سخط الله عليهم) غضب الله عليهم (وفى العذاب هم خالدون ولو كانوا يؤمنون بالله والنبى) محمد ﷺ (وما أنزل اليه) يعنى القرآن (ما اتخذوهم) يعنى الكفار (أولياء ولكن كثيرا منهم فاسقون) خارجون عن أمر الله سبحانه وتعالى قوله عز وجل (لتجدن اشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين اشركوا) يعنى مشركى العرب (ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى) لم يرد به جميع النصارى لأنهم فى عداوتهم المسلمين كاليهود فى قتلهم المسلمين وأسرهم وتخريب بلادهم وهدم مساجدهم واحراق مصاحفهم لا ولا كرامة لهم بل الآية فيمن أسلم منهم مثل النجاشى وأصحابه وقيل نزلت فى جميع اليهود وجميع النصارى لأن اليهود أقسى قلبا والنصارى الين قلبا منهم وكانوا أقل مظاهر للمشركين من اليهود قال أهل التفسير ائتمرت قريش أن يفتنوا المؤمنين عن دينهم فوثبت كل قبيلة على من فيها من المسلمين يؤذنهم ويعذبونهم فافتتن من افتتن وعصم الله منهم من شاء ومنع الله تعالى رسوله بعمه أبى طالب فلما رأى رسول الله ﷺ ما بأصحابه ولم يقدر على منعهم ولم يؤمر بعد بالجهاد أمرهم بالخروج إلى أرض الحبشة وقال ان بها ملكا صالحا لا يظلم ولا يظلم عنده أحد فاخرجوا اليه حتى يجعل الله للمسلمين فرجا وأرادوا النجاشى واسمه اصحمة وهو بالحبشة عطية وإنما النجاشى اسم الملك كقولهم قيصر وكسرى فخرج اليها سرا احد عشر رجلا واربع نسوة وهم عثمان بن عفان وامراته رقيقة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم والزبير ابن العوام وعبد الله بن مسعود وعبد الرحمن بن عوف وابو حذيفة بن عتبة وامراته سهلة بنت سهيل ابن عمرو ومصعب بن عمير وابو سلمة بن عبد الاسد وامراته ام سلمة بنت ابى امية وعثمان بن مظعون وعامر بن ربيعة وامراته ليلى بنت ابى خيثمة وحاطب ابن عمرو وسهيل بن بيضاء رضى الله عنهم فخرجوا إلى البحر وأخذوا سفينة إلى أرض الحبشة بنصف دينار وذلك فى رجب فى السنة الخامسة من مبعث رسول الله ﷺ بعضهم وهذه الهجرة الأولى ثم خرج جعفر بن أبى طالب وتتابع المسلمون اليها وكان جميع من هاجر إلى الحبشة من المسلمين اثنين وثمانين رجلا سوى النساء والصبيان فلما علمت قريش بذلك وجهوا عمرو بن العاص وصاحبه بالهدايا إلى النجاشى وبطارقته ليردوهم اليهم فعصمه الله وذكرت القصة فى آل عمران فى قوله تعالى ان أولى الناس بابراهيم الى آخر الاية فلما انصرفا خائبين أقام المسلمون هناك بخير دار واحسن جوار أن إلى هاجر رسول الله ﷺ وعلا أمره وذلك فى سنة ست من الهجرة كتب رسول الله ﷺ إلى النجاشى على يد عمرو بن أمية الضمرى ليزوجه أم حبيبة بنت أبى سفيان وكانت قد هاجرت اليه مع زوجها فمات زوجها ويبعث اليه من عنده من المسلمين فأرسل النجاشى إلى أم حبيبة جارية يقال لها ابرهة تخبرها بخطبة رسول الله ﷺ إياها فأعطتها أوضاحا لها سرورا بذلك فاذنت خالد بن سعيد بن العاص حتى انكحها على صداق أربعمائة دينار وكان الخاطب لرسول الله ﷺ النجاشى رحمه الله فانفذ اليها النجاشى أربعمائة دينار على يد ابرهة فلما جاءتها أعطتها خمسين دينارا فردته وقالت امر فى الملك ان لا أخذ منك شيئا وقالت أنا صاحبة دهن الملك وثيابه وقد صدقت محمدا ﷺ وآمنت به وحاجتى منك ان تقرئيه منى السلام قالت نعم قالت ابرهة وقد امر الملك نساءه ان يبعثن اليك بما عندهن من عود وعنبر فكان رسول الله ﷺ يراه عندها فلا ينكر قالت ام

يعتدون وجلس رسول الله ﷺ وكان متكئا فقال لا والذى نفسى بيده حتى تأطروهم على الحق اطرا قال الترمذى هذا الحديث حسن غريب قوله اكيله وشريبه وقعيده هو المؤاكل والمشارب والمقاعد فعيل بمعنى فاعل وقوله لتاطرنه الأطر العطف يعنى لتعطفنه ولتردنه إلى الحق الذى خالفه والقصر القهر على الشىء * قوله عز وجل (ترى كثيرا منهم) يعنى من اليهود مثل كعب بن الأشرف وأصحابه (يتولون الذين كفروا) يعنى يوالون المشركين من اهل مكة وذلك حين خرجوا اليهم ليجيشوا على رسول الله ﷺ وقال ابن عباس معناه ترى كثيرا من المنافقين يتولون اليهود (لبئس ما قدمت لهم أنفسهم) يعنى بئس ما قدموا من العمل لمعادهم فى الاخرة (ان سخط الله عليهم) يعنى بما فعلوا من موالاة الكفار (وفى العذاب هم خالدون) يعنى فى الاخرة (ولو كانوا يؤمنون بالله والنبى) يعنى ولو كان هؤلاء الذين يتولون الكفار يؤمنون بالله ويصدقون بمحمد ﷺ وأنه نبى مبعوث إلى كافة الخلق (وما أنزل اليه) يعنى ويؤمنون بالقرآن الذى أنزل اليه من ربه (ما اتخذوهم أولياء) يعنى ما اتخذوا الكفار أنصارا وأعوانا من دون المؤمنين (ولكن كثيرا منهم فاسقون) يعنى ولكن اكثرهم خارجون عن طاعة الله وأمره وإنما قال كثيرا لأنه علم ان منهم من سيومن مثل عبد الله بن سلام وأصحابه * قوله تعالى (لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين اشركوا) اللام فى قوله لتجدن لام القسم تقديره والله يا محمد أنك لتجدن اشد الناس عداوة للذين آمنوا بك وصدقوك اليهود والذين اشركوا وصف الله شدة عداوة اليهود وصعوبة اجابتهم إلى الحق وجعلهم قرناء المشركين عبدة الأصنام فى العداوة للمؤمنين وذلك حسدا منهم للمؤمنين (ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى) ووصف ابن عريكة النصارى وسهولة قبولهم الحق قال

حبيبة فخرجنا إلى المدينة ورسول الله ﷺ بخيبر فخرج من خرج إليه وأقمت بالمدينة حتى قدم النبي ﷺ فدخلت عليه وكان يسألني عن النجاشي فقرأت عليه من أبرهة السلام فرد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنزل الله عز وجل عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة يعني أبا سفيان مودة يعني بتزويج أم حبيبة ولما جاء أبا سفيان تزويج أم حبيبة قال ذلك الفحل لا يجدع أنفه وبعث النجاشي بعد قدوم جعفر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنه أزهى بن اصحمة بن ابجر في ستين رجلا من الحبشة وكتب إليه يا رسول الله

بعضهم مذهب اليهود انه يجب عليهم إيصال الشر والأذى إلى من خالفهم في الدين بأي طريق كان من القتل ونهب المال بأنواع المكر والكيد والحيل ومذهب النصارى خلاف اليهود فان الايذاء في مذهبهم حرام فحصل الفرق بين اليهود والنصارى وقيل إن اليهود مخصوصون بالحرص الشديد على الدنيا وطلب الرياسة ومن كان كذلك كان شديد العداوة لغيره واما النصارى فان فيهم من هو معرض عن الدنيا ولذاتها وترك طلب الرياسة ومن كان كذلك فانه لا يحسد احدا ولا يعاديه بل يكون لين العريكة في طلب الحق فلهذا قال تعالى (ذلك بأن منهم) يعني من النصارى (قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون) ولم يرد به كل النصارى فان معظمهم في عداوة المسلمين كاليهود بل الاية نزلت فيمن امن من النصارى مثل النجاشي واصحابه والقس والقسيس اسم رئيس النصارى والجمع قسيسون وقال قطرب القس والقسيس العالم بلغة الروم وهذا ما وقع الوفاق بين اللغتين يعني العربية والرومية واما الرهبان فهو جمع راهب وقيل الرهبان واحد وجمعه رهابين وهم سكان الصوامع * فان قلت كيف مدحهم الله بذلك مع قوله ورهبانية ابتدعوها قلت إنما مدحهم الله في مقابلة ذم اليهود وصفهم بشدة العداوة للمؤمنين ولا يلزم من هذا القدر ان يكون مدحا على الاطلاق وقيل إنما مدح من آمن منهم بمحمد ﷺ فوصفهم بالتمسك بدين عيسى إلى ان بعث رسول الله ﷺ فامنوا به واتبعوه فان قلت كفر النصارى اشد واغلظ من كفر اليهود واقبح فان النصارى ينازعون في الالهيات فيدعون ان لله ولدا واليهود ينازعون في النبوات فيقرون ببعض النبيين وينكرون بعضهم والأول اقبح فلم ذم اليهود ومدح النصارى قلت إنما هو مدح في مقابلة ذم وليس بمدح على الاطلاق وقد تقدم الفرق بين شدة عداوة اليهود ولين النصارى فلذلك ذم اليهود ومدح النصارى الذين امنوا منهم واختلف العلماء في من نزلت هذه الاية فقيل نزلت في النجاشي ملك الحبشة واسمه اصحمة واصحابه الذين اسلموا معه (ذكر قصة الهجرة الأولى وسبب نزول هذه الاية) قال ابن عباس وغيره من المفسرين في قوله ولتجدن اقربهم مودة للذين امنوا الذين قالوا إنا نصارى ان قريشا ائتمرت ان يفتنوا المؤمنين عن دينهم فوثبت كل قبيلة على من امن منهم فاذوهم وعذبوهم فافتتن من افتتن منهم وعصم الله من شاء منهم ومنع الله رسوله محمدا ﷺ بعمه أبي طالب فلما رأى رسول الله ﷺ ما نزل بأصحابه ولم يقدر أن يمنعهم من المشركين ولم يؤمر بعد بالجهاد امر أصحابه بالخروج إلى ارض الحبشة وقال إن بها ملكا صالحا لا يظلم ولا يظلم عنده أحد فاخرجوا إليه حتى يجعل الله للمسلمين فرجا فخرج إليها أحد عشر رجلا وأربع نسوة سرا وهم عثمان ابن عفان وزوجته رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم والزبير بن العوام وعبد الله بن مسعود وعبد الرحمن بن عوف وأبو حذيفة بن عقبة وامرأته سهلة بنت سهيل بن عمرو ومصعب بن عمير وأبو سلمة بن عبد الأسد وزوجته ام سلمة بنت امية وعثمان بن مظعون وعامر بن ربيعة وامرأته ليلى بنت أبي خيثمة وحاطب بن عمرو وسهيل بن بيضاء فخرجوا إلى البحر وأخذوا سفينة بنصف دينار إلى أرض الحبشة وذلك في رجب في السنة الخامسة من مبعث النبي ﷺ وهذه الهجرة الاولى ثم خرج بعدهم جعفر بن أبي طالب وتتابع المسلمون فكان جميع من هاجر إلى أرض الحبشة من المسلمين اثنين وثمانين رجلا سوى النساء والصبيان فلما

اشهد أنك رسول الله صادقا مصدقا وقد بايعتك وبايعت ابن عمك واسلمت لله رب العالمين وقد بعثت إليك ابني أزهى وإن شئت أن آتيك بنفسي فعلت والسلام عليك يا رسول الله فركبوا سفينة في أثر جعفر وأصحابه حتى إذا كانوا في وسط البحر غرقوا ووافى جعفر وأصحابه رسول الله ﷺ في سبعين رجلا عليهم ثياب الصوف منهم اثنان وستون من الحبشة وثمانين من اهل الشام فقرأ عليهم رسول الله ﷺ سورة يس إلى اخرها فبكوا حين سمعوا القرآن وقالوا آمنا وقالوا ما اشبه هذا بما كان ينزل على عيسى عليه السلام فانزل الله سبحانه وتعالى هذه الآية ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى يعني وفد النجاشي الذين قدموا مع جعفر وهم السبعون وكانوا أصحاب الصوامع وقال مقاتل والكلبي كانوا اربعين رجلا ان اثنا وثلاثون من الحبشة وثمانية من اهل الشام وقال عطاء كانوا ثمانين رجلا اربعون من اهل نجران من بني الحرث بن كعب واثنان وثلاثون من الحبشة وثمانية روميون من اهل الشام وقال قتادة نزلت في ناس من اهل الكتاب كانوا على شريعة من الحق مما جاء به عيسى عليه السلام فلما بعث الله محمدا ﷺ صدقوه وامنوا به فاثنى الله عز وجل بذلك عليهم (ذلك بأن منهم قسيسين) اي علماء قال قطرب القس والقسيس العالم بلغة الروم (ورهبانا) الرهبان العباد اصحاب الصوامع واحدهم راهب مثل فارس وفرسان وراكب وركبان وقد يكون واحدا وجمعه رهابين مثل قربان وقرابين (وانهم لا يستكبرون) لا يتعظمون عن الايمان والاذعان للحق

علمت قريش بذلك وجهزوا عمرو بن العاص وجماعة بهدايا إلى النجاشي وبطارقته ليردهم اليهم فدخل اليه عمرو وقال له ايها الملك انه قد خرج فينا رجل سفه عقول قريش واحلامها وزعم انه نبي وانه قد بعث اليك برهط من أصحابه ليفسدوا عليك قومك فاحببنا ان نأتيك ونخبرك خبرهم وان قومهم يسألونك ان تردهم اليهم فقال حتى نسألهم فامر بهم فاحضروا فلما أتوا باب النجاشي قالوا يستأذن أولياء الله فقال ائذنوا لهم فرحبا باولياء الله فلما دخلوا عليه سلموا فقال الرهط من المشركين ايها الملك ألا ترى انا قد قصدناك انهم لم يحيوك بتحيتك التي تحيا بها فقال لهم الملك ما منعكم أن تحيوني بتحيتي فقالوا له انا حييناك بتحية اهل الجنة وتحية الملائكة فقال لهم النجاشي ما يقول صاحبكم في عيسى وامه فقال جعفر بن ابي طالب يقول عبد الله ورسوله وكلمة الله وروح منه القاها إلى مريم العذراء ويقول في مريم انها العذراء البتول قال فاخذ النجاشي عودا من الأرض وقال والله ما زاد صاحبكم على ما قال عيسى قدر هذا العود فكره المشركون قوله وتغيرت وجوههم فقال هل تعرفون شيئا مما أنزل على صاحبكم قالوا نعم قال اقرؤا فقرأ جعفر سورة مريم وهنالك قسيسون ورهبان وسائر النصارى فعرفوا ما قرأ فانحدرت دموعهم مما عرفوا من الحق فانزل الله فيهم ذلك بان منهم قسيسين ورهبانا وانهم لا يستكبرون إلى اخر الايتين فقال النجاشي لجعفر وأصحابه اذهبوا فانتم سيوم بارضي يعني انكم آمنون فرجع عمرو وأصحابه خائبين وأقام المسلمون عند النجاشي بخير دار وخير جوار إلى ان هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة وعلا امره وقهر اعداءه وذلك في سنة ست من الهجرة وكتب رسول الله ﷺ إلى النجاشي على يد عمرو بن أمية الضمري ان يزوجه ام حبيبة بنت ابي سفيان وكانت قد هاجرت مع زوجها ومات عنها فارسل النجاشي جارية يقال لها أبرهة إلى ام حبيبة تخبرها أن رسول الله ﷺ قد خطبها فسرت بذلك وأعطت الجارية أوضاحا كانت لها وأذنت لخالد بن سعيد في نكاحها فانكحها رسول الله ﷺ على صداق مبلغه اربعمائة دينار وكان الخاطب لرسول الله ﷺ النجاشي فارسل اليها بجميع الصداق على يد جاريته ابرهة فلما جاءتها بالدنانير وهبتها منها خمسين دينارا فلم تأخذها وقالت ان الملك أمرني ان لا آخذ منك شيئا وقالت أنا صاحبة دهن الملك وثيابه وقد صدقت بمحمد ﷺ وامنت به وحاجتي اليك ان تقرئيه مني السلام قالت فدعا الملك نساءه ان يبعثن إليك بما عندهن من دهن وعود وكان رسول الله ﷺ يراه عندها فلا ينكره قالت ام حبيبة فخرجنا إلى المدينة ورسول الله ﷺ محاصر خيبر فخرج من خرج اليه ممن قدم من الحبشة وأقمت بالمدينة حتى قدم رسول الله ﷺ فدخلت عليه فكان يسألني عن النجاشي وقرأت عليه السلام من أبرهة جارية الملك فرد رسول الله ﷺ عليهما السلام وانزل الله عز وجل عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة يعني ابا سفيان وذلك بتزوج رسول الله ﷺ أم حبيبة ولما بلغ ابا سفيان أن رسول الله ﷺ تزوج أم حبيبة قال ذلك الفحل لا يجدع أنفه وبعث النجاشي بعد خروج جعفر وأصحابه إلى النبي ﷺ ابنه ازهى في ستين رجلا من اصحابه وكتب اليه يا رسول الله اني اشهد انك رسول الله صادقا مصدقا وقد بايعتك وبايعت ابن عمك جعفرا وأسلمت لله رب العالمين وقد بعثت ابني ازهى وإن شئت ان آتيك بنفسي فعلت والسلام عليك يا رسول الله فركبوا في سفينة في أثر جعفر حتى إذا كانوا في وسط البحر غرقوا ووافى جعفر وأصحابه رسول الله ﷺ وهو بخيبر ووافى مع جعفر سبعون رجلا عليهم ثياب الصوف منهم اثنان وستون رجلا من الحبشة وثمانية من الشام فقرأ عليهم رسول الله ﷺ سورة يس إلى آخرها فبكى القوم حين سمعوا القرآن وآمنوا وقالوا ما أشبه هذا بما كان ينزل على عيسى عليه السلام فانزل الله هذه الاية فيهم وهي قوله ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى يعني وفد النجاشي الذين قدموا مع جعفر وهم السبعون وكانوا من أصحاب الصوامع وقيل نزلت في ثمانين رجلا اربعين من نصارى نجران من بني الحرث بن كعب واثنين وثلاثين من الحبشة وثمانين رومين من أهل الشام وقال قتادة

(وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول) محمد ﷺ (ترى أعينهم تفيض) تسيل (من الدمع مما عرفوا من الحق) قال ابن عباس رضى الله عنهما فى رواية عطاء يريد النجاشى وأصحابه قرأ عليهم جعفر بالحبشة كهيعص فمازالوا يبكون حتى فرغ جعفر من القراءة (يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين) يعنى أمة محمد ﷺ دليله قوله تعالى لتكونوا شهداء على الناس (ومالنا لا نؤمن بالله وماجاءنا من الحق) وذلك أن اليهود عيروهم وقالوا لهم لم آمنتم فأجابوهم بهذا (ونطمع ان يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين) اى فى أمة محمد ﷺ بيانه أن الأرض يرثها عبادى الصالحون (فاثابهم الله) أعطاهم الله (بما قالوا جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها) وإنما انجح قولهم وعلق الثواب بالقول لاقترانه بالاخلاص بدليل قوله (وذلك جزاء المحسنين) يعنى الموحدين المؤمنين وقوله من قبل ترى اعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يدل على أن الاخلاص والمعرفة بالقلب مع القول يكون إيمانا (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم) قوله تعالى (يا أيها الذين امنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم) الاية قال أهل (٦٩) التفسير ذكر النبى ﷺ الناس يوما ووصف القيامة فرق له الناس وبكوا فاجتمع عشرة من اصحابه فى بيت عثمان بن مظعون الجمحى وهم ابو بكر الصديق رضى الله عنه وعلى بن ابى طالب رضى الله عنه وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عمر وابو ذر الغفارى وسالم مولى ابى حذيفة والمقداد ابن الأسود وسلمان الفارسى ومعقل بن مقرن رضى الله عنهم وتشاوروا واتفقوا على أن يترهبوا ويلبسوا المسوح ويجبوا مذاكيرهم ويصوموا الدهر ويقوموا الليل ولا يناموا على الفرش ولا ياكلوا اللحم والودك ولا يقربوا النساء والطيب ويسيحوا فى الأرض فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فاتى دار عثمان بن مظعون فلم يصادفه فقال لامرأته ام حكيم بنت ابى أمية واسمها الخولاء وكانت عطارة أحق ما بلغنى عن زوجك وأصحابه فكرهت أن تكذب رسول الله ﷺ وكرهت ان تبدى على زوجها فقالت يارسول الله إن كان اخبرك عثمان فقد صدقك فانصرف رسول الله ﷺ فلما دخل عثمان اخبرته بذلك فاتى رسول الله ﷺ هو واصحابه فقال لهم رسول الله ﷺ الم انبأ انكم اتفقتم على كذا وكذا قالوا بلى يارسول الله وما اردنا إلا الخير فقال ﷺ إنى لم اومر بذلك ثم قال ان لانفسكم عليكم حقا فصوموا وافطروا وقوموا فانى اقوم وانام وأصوم وافطر واكل اللحم والدسم واتى النساء فمن رغب عن سنتى فليس منى ثم جمع الناس وخطبهم فقال مابال اقوام حرموا النساء والطعام والطيب والنوم وشهوات النساء اما انى فلست آمركم ان تكفنوا قسيسين ورهبانا فانه ليس فى دينى ترك اللحم والنساء ولا اتخاذ الصوامع وإن سياحة امتى الصوم ورهبانيتهم الجهاد اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وحجوا واعتمروا واقيموا الصلاة واتوا الزكاة وصوموا رمضان واستقيموا يستقم لكم فانما هلك من كان قبلكم بالتشديد شددوا على انفسهم فشدد الله عليهم فاولئك بقاياهم فى الديار والصوامع فانزل الله عز وجل هذه

نزلت فى ناس من أهل الكتاب كانوا على شريعة من الحق بما جاء به عيسى عليه السلام فلما بعث محمد ﷺ امنوا به وصدقوه فاثنى الله عليهم بقوله ولتجدن أقربهم مودة للذين امنوا الذين قالوا إنا نصارى ذلك بان منهم قسيسين ورهبانا وانهم لا يستكبرون يعنى لا يتعظمون عن الايمان والاذعان للحق * قوله عز وجل (وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول) يعنى وإذا سمعوا القران الذى انزل الى الرسول محمد ﷺ (ترى اعينهم تفيض من الدمع) يقال فاض الاناء إذا امتلا حتى يخرج منه مافيه وصفهم الله تعالى بسيل الدمع عند البكاء ورقة القلب عند سماع القران قال ابن عباس يريد النجاشى واصحابه لما قرا عليهم جعفر بن ابى طالب سورة مريم قال فما زالوا يبكون حتى فرغ جعفر من القراءة (مما عرفوا من الحق) يعنى الذى نزل على محمد ﷺ وهو الحق (يقولون) يعنى القسيسين والرهبان الذين سمعوا القران من جعفر عند النجاشى (ربنا آمنا) يعنى بالقران وشهدنا انه حق وصدق (فاكتبنا مع الشاهدين) يعنى مع أمة محمد ﷺ الذين يشهدون بالحق (ومالنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق) قال ابن عباس لما رجع الوفد من عند رسول الله ﷺ لامهم قومهم على ترك دينهم وقيل ان اليهود عيروهم وقالوا تركتم دينكم فاجابوهم بهذا الجواب ومعنى الاية ومالنا لا نؤمن بوحدانية الله وماجاءنا من الحق من عنده على لسان رسوله ﷺ (ونطمع) يعنى ونرجو بذلك الايمان (ان يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين) يعنى مع أمة محمد ﷺ قوله تعالى (فاثابهم الله بما قالوا) يعنى بالتوحيد الذى قالوا وانما علق الثواب وهو قوله تعالى (جنات تجرى من تحتها الأنهار) بمجرد القول لانه قد سبق وصفهم بما يدل على إخلاصهم فيما قالوا وهو المعرفة والبكاء المؤذنان بحقيقة الاخلاص واستكانة القلب لان القول إذا اقترن بالمعرفة فهو الايمان الحقيقى الموعود عليه بالثواب وقال ابن عباس بما قالوا يريد بما سألوا يعنى قولهم فاكتبنا مع الشاهدين (خالدين فيها) يعنى فى الجنات (وذلك جزاء المحسنين) يعنى المؤمنين الموحدين المخلصين فى إيمانهم (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا) لما ذكر الله عز وجل الوعد لمؤمنى أهل الكتاب وما أعد لهم من الجنات ذكر الوعيد لمن أقام منهم على كفره وتكذيبه وأطلق القول بذلك ليكون هذا الوعيد لهم ولمن جرى مجراهم فى الكفر والتكذيب فقال والذين كفروا وكذبوا بآياتنا (أولئك أصحاب الجحيم) * قوله عز وجل (يا ايها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم) قال علماء

الاية أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن أبو طاهر محمد بن احمد بن الحارث انا ابو الحسن محمد بن يعقوب الكسائى انا عبد الله بن محمود انا ابراهيم بن عبد الله الخلال أنا عبد الله بن المبارك عن رشد بن سعد حدثنى أبو نعيم عن سعد بن مسعود أن عثمان بن مظعون رضى الله عنه أتى النبى ﷺ فقال ائذن لنا فى الاختصاء (٧٠) فقال رسول الله ﷺ ليس منا من خصى ولا من اختصى خصاء أمتى الصيام فقال يارسول الله ائذن لنا فى السياحة فقال ان سياحة امتى الجهاد فى سبيل الله فقال يارسول الله ائذن لنا فى الترهب فقال ان ترهب أمتى الجلوس فى المساجد وانتظار الصلاة وروى عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهم ان رجلا قال يارسول الله انى أصبت من اللحم فانتشرت واخذتنى شهوة فحرمت النحم فانزل الله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم يعنى اللذات التى تشتهيها النفوس مما احل الله لكم من المطاعم الطيبة والمشارب اللذيذة (ولا تعتدوا) ولا تجاوزوا الحلال إلى الحرام وقيل جب المذاكير (إن الله لا يحب المعتدين وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا) قال عبد الله بن المبارك الحلال ما اخذته من وجهه والطيب ما غذى وانمى فاما الجوامد كالطين والتراب وما يغذى فمكروه إلا على وجه التداوى (واتقوا الله الذى انتم به مؤمنون

التفسير أن النبى ﷺ ذكر الناس يوما ووصف القيامة فرق الناس وبكوا فاجتمع عشرة من الصحابة فى بيت عثمان بن مظعون الجمحى وهم ابو بكر وعلى بن ابى طالب وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عمر وابو ذر الغفارى وسالم مولى ابى حذيفة والمقداد بن الأسود وسلمان الفارسى ومعقل بن مقرن وتشاوروا واتفقوا على انهم يترهبون ويلبسون المسوح ويجبون مذاكيرهم ويصومون الدهر ويقومون الليل ولا ينامون على الفرش ولا يأكلون اللحم والودك ولا يقربون النساء ولا الطيب ويسيحون فى الأرض فبلغ ذلك النبى ﷺ فاتى دار عثمان بن مظعون فلم يصادفه فقال لامرأته احق ما بلغنى عن زوجك وأصحابه فكرهت ان تكذب وكرهت أن تبدى سر زوجها فقالت يارسول الله إن كان قد اخبرك عثمان فقد صدق فانصرف رسول الله ﷺ فلما جاء عثمان أخبرته بذلك فأتى هو وأصحابه العشرة إلى رسول الله ﷺ فقال لهم رسول الله ﷺ الم انبأ انكم اتفقتم على كذا وكذا فقالوا بلى يارسول الله وما أردنا إلا الخير فقال رسول الله ﷺ انى لم أومر بذلك ثم قال رسول الله ﷺ أن لأنفسكم عليكم حقا فصوموا وافطروا وقوموا وناموا فانى اقوم وأنام واصوم وأفطر واكل اللحم والدسم واتى النساء فمن رغب عن سنتى فليس منى ثم جمع الناس وخطبهم فقال مابال أقوام حرموا النساء والطعام والطيب وشهوات الدنيا فانى لست امركم أن تكونوا قسيسين ورهبانا فانه ليس فى ديني ترك اللحم والنساء ولا اتخاذ الصوامع وأن سياحة امتى الصوم ورهبانيتهم الجهاد اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وحجوا واعتمروا واقيموا الصلاة واتوا الزكاة وصوموا رمضان واستقيموا يستقم لكم فانما هلك من كان قبلكم بالتشديد شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم فتلك بقاياهم فى الديار والصوامع فانزل الله عز وجل هذه الاية يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل لكم يعنى الطيبات اللذيذات التى تشتهيها الأنفس وتميل اليها القلوب من المطاعم الطيبة والمشارب اللذيذة فاعلم الله عز وجل بهذه الاية ان شريعة نبيه ﷺ غير ما عزموا عليه من ترك الطيبات انه لا ينبغى ان تجتنب الطيبات المباحات ومعنى لا تحرموا لا تعتقدوا تحريم الطيبات المباحات فان من اعتقد تحريم شىء احله الله فقد كفر اما ترك لذات الدنيا وشهواتها والانقطاع إلى الله والتفرغ لعبادته من غير إضرار بالنفس ولا تفويت حق الغير ففضيلة لا مانع منها بل مأمور بها * قوله تعالى (ولا تعتدوا) يعنى ولا تجاوزوا الحلال إلى الحرام وقيل معناه ولا تجبوا أنفسكم فسمى جب المذاكير اعتداء وقيل معناه لا تعتدوا بالاسراف فى الطيبات (إن الله لا يحب المعتدين) يعنى المجاوزين الحلال إلى الحرام * وقوله تعالى (وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا) يعنى وكلوا ايها المؤمنون من رزق الله الذى رزقكم واحله لكم من المطاعم والمشارب قال عبد الله بن المبارك الحلال ما أخذته من وجهه والطيب ما غذى وانمى فأما الجامد كالطين والتراب ومالا يغذى فمكروه إلا على وجه التداوى وعن ابن عباس ان رجلا اتى النبى ﷺ فقال يارسول الله إنى إذا أصبت اللحم انتشرت للنساء واخذتنى شهوتى فحرمت على اللحم فانزل الله يا أيها الذين امنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا اخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب وله عن عائشة قال كان رسول الله ﷺ يحب الحلواء والعسل وله عن ابى هريرة قال اتى رسول الله ﷺ بلحم فرفع اليه الذراع وكانت تعجبه فنهش منها قالت عائشة ما كان الذراع أحب الى رسول الله ﷺ ولكن كان لا يجد اللحم إلا غبا وكان يعجل اليه الذراع لانه اعجلها نضجا اخرجه الترمذى * وقوله تعالى (واتقوا الله الذى انتم به مؤمنون) هذا تاكيد للوصية بما أمر الله تعالى به وزاد التاكيد بقوله الذى انتم به مؤمنون

أخبرنا ابو محمد عبد الله بن عبد الصمد الجورجانى أنا ابو القاسم على بن احمد الخزاعى انا ابو سعيد الهيثم بن كليب انا ابو عيسى الترمذى اخبرنا احمد بن ابراهيم الدورقى وسلة بن شبيب ومحمود بن غيلان قالوا اخبرنا ابو اسامه عن هشام بن عروة عن ابيه عن عائشة رضى الله عنها قالت كان النبى صلى الله عليه وسلم يحب الحلواء والعسل

قوله عز وجل (لا يؤاخذكم الله باللغو فى إيمانكم) قال ابن عباس رضى الله عنهما لما نزلت لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم قالوا يا رسول الله كيف نصنع بايماننا التى حلفنا عليها وكانوا حلفوا على ما اتفقوا عليه فأنزل الله لا يؤاخذكم الله باللغو فى إيمانكم (ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان) قرأ حمزة والكسائى وأبو بكر عقدتم بالتخفيف وقرأ ابن عامر عاقدتم بالالف وقرأ الآخرون عقدتم بالتشديد أى وكدتم والمراد من الاية قصدتم وتعمدتم (فكفارته) أى كفارة ما عقدتم الايمان إذا حنثتم (طعام عشرة مساكين) واختلفوا فى قدره فذهب قوم إلى انه يطعم كل مسكين مدا من الطعام بمد النبى ﷺ وهو رطل وثلث من غالب قوت البلد وكذلك فى جميع الكفارات وهو قول زيد بن ثابت وابن عباس وابن عمر وبه قال سعيد بن المسيب والقاسم وسليمان بن يسار وعطاء والحسن وقال أهل العراق لكل مسكين مدان وهو نصف صاع يروى ذلك عن عمر وعلى رضى الله عنهما وقال أبو حنيفة رضى الله عنه ان اطعم من الحنطة فنصف صاع وإن أطعم من غيرها فصاع وهو قول الشعبى والنخعى وسعيد بن جبير ومجاهد والحكم ولوغداهم وعشاهم لا يجوز وجوزه ابو حنيفة رضى الله عنه ويروى ذلك عن على رضى الله عنه ولا تجوز الدراهم والدنانير ولا الخبز ولا الدقيق بل يجب إخراج الحب إليهم وجوز أبو حنيفة رضى الله عنه كل ذلك ولو صرف الكل إلى مسكين واحد لا يجوز وجوز أبو حنيفة ان يصرف طعام عشرة الى مسكين واحد فى عشرة أيام ولا يجوز ان يصرف إلا الى مسلم حر محتاج فان صرف إلى ذمى أو عبد او غنى لا يجوز وجوز ابو حنيفة رضى الله عنه صرفها إلى اهل الذمة واتفقوا على ان صرف الزكاة إلى اهل الذمة لا يجوز قوله تعالى (من اوسط ما تطعمون اهليكم) اى من خير قوت عيالكم وقال عبيدة السلمانى الأوسط الخبز والخل والا على الخبز واللحم والادنى الخبز البحت والكل مجز قوله تعالى (او كسوتهم كل من لزمته كفارة اليمين فهو فيها مخير ان شاء اطعم عشرة من المساكين وإن شاء كساهم وإن شاء أعتق رقبة فان اختار الكسوة فاختلفوا فى قدرها فذهب قوم إلى أنه يكسو كل مسكين ثوبا واحدا مما يقع عليه اسم الكسوة ازار أو رداء أو قميص او عمامة أو كساء أو نحوها وهو قول ابن عباس والحسن ومجاهد وعطاء وطاوس واليه ذهب الشافعى رحمه الله تعالى وقال مالك يجب لكل إنسان ما تجوز فيه صلاته فيكسو الرجال ثوبا واحدا والنساء ثوبين درعا وخمارا وقال سعيد بن المسيب لكل مسكين ثوبان قوله عز وجل (او تحرير رقبة) وإذا اختار العتق يجب اعتاق رقبة مؤمنة وكذلك جميع الكفارات مثل كفارة القتل والظهار والجماع فى نهار رمضان يجب فيها اعتاق رقبة مؤمنة واجازا بو حنيفة رضى الله عنه والثورى رضى الله عنه اعتاق الرقبة الكافرة فى جميعها الا فى كفارة القتل لان الله تعالى قيد الرقبة فيها بالايمان قلنا المطلق يحمل على المقيد كما ان الله تعالى قيد الشهادة بالعدالة فى موضع فقال واشهدوا ذوى عدل منكم واطلق فى موضع فقال واستشهدوا شهيدين من رجالكم ثم العدالة شرط فى جميعها حملا للمطلق على المقيد كذلك هذا ولا يجوز اعتاق المرتد بالاتفاق عن الكفارة ويشترط ان يكون سليم الرق حتى لو اعتق عن كفارته مكاتبا او ام ولد او عبدا اشترى بشرط العتق او اشترى قريبه الذى يعتق عليه بنية الكفارة يعتق ولكن لا يجوز عن الكفارة وجوز اصحاب الرأى عتق المكاتب اذا لم يكن ادى شيئا من النجوم وعتق الغريب عن الكفارة ويشترط ان تكون الرقبة سليمة من كل عيب يضر بالعمل ضررا بينا

مؤمنون لأن الايمان به يوجب التقوى فى الانتهاء إلى ما أمر الله به عما نهى عنه وفى الاية دليل على أن الله عز وجل قد تكفل برزق كل أحد من عباده فانه تعالى لم يتكفل بذلك لما قال وكلوا مما رزقكم الله وإذا تكفل برزق العبد وجب ان لا يبالغ فى الطلب والحرص على الدنيا وان يعول على ما وعده الله وتكفل به فأنه تعالى اكرم من ان يخلف الوعد * قوله تعالى (لا يؤاخذكم الله باللغو فى ايمانكم) قال ابن عباس لما نزلت يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل لكم قالوا يا رسول الله كيف نصنع بايماننا التى حلفنا عليها وكانوا قد حلفوا على ما اتفقوا عليه فأنزل الله عز وجل هذه الاية لا يؤاخذكم الله باللغو فى ايمانكم وقد تقدم تفسير اللغو فى الايمان فى سورة البقرة وقوله تعالى (ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان) يعنى ولكن يؤاخذكم بما تعمدتم وقصدتم به اليمين ومنه قول الفرزدق

ولست بمأخوذ بلغو تقوله * إذا لم تعمد عاقدات العزائم

وفى الاية حذف تقديره ولكن يؤاخذكم بما عقدتم إذا حنثتم فحذفه لأنه معلوم عند السامعين (فكفارته) يعنى فكفارة إيمانكم التى عقدتموها إذا حنثتم (إطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم) يعنى اقصد ذلك لأن من الناس من يسرف فى اطعام اهله ومنهم من يقتر عليهم فأمر الله بالعدل فى أداة الكفارة وقيل اراد بالأوسط فى القيمة فلا يكون غاليا من أعلى الموجود ولا خسيس الثمن من اردأ الموجود بل الوسط فى القيمة وقيل اراد بالأوسط الأفضل قال ابن عباس كل شىء فى كتاب الله أوسط فعلى هذا يكون المعنى من خير ما تطعمون أهليكم وأفضله (أو كسوتهم) هو معطوف على محل اوسط اى كما تطعمون المساكين من أوسط ما تطعمون اهليكم فكذلك فاكسوهم من اوسط الكسوة (أو تحرير رقبة) يعنى عتق رقبة والمراد جملة الشخص

(فصل فى حكم الاية) وفيه مسائل (المسئلة الأولى) فى بيان الكفارة وهى اربعة انواع الأول من الكفارة الاطعام فيجب اطعام عشرة مساكين واختلفوا فى ما يطعم لكل مسكين فذهب قوم إلى أنه يطعم لكل مسكين مد من الطعام بمد النبى ﷺ وهو رطل وثلث بالبغدادى من غالب قوت البلد وكذلك سائر الكفارات وهو قول ابن عباس وابن عمر وزيد بن ثابت وبه قال سعيد بن المسيب

والقاسم بن محمد وسليمان بن يسار وعطاء والحسن واليه ذهب مالك والشافعي ويروى عن عمر وعلي وعائشة انه يطعم لكل مسكين مدان من بر وهو نصف صاع وبه قال أهل العراق وقال أبو حنيفة ان اطعم من الحنطة فنصف صاع وإن أطعم من غيرها فصاع وهو قول الشعبي والنخعي وسعيد بن جبير ومجاهد وقال أحمد بن حنبل يطعم لكل مسكين مد من البر أو نصف صاع من غيرها مثل التمر والشعير ومن شرط الإطعام تمليك الطعام للمساكين فلو عشاهم وغداهم لم يجزه وقال أبو حنيفة يجزيه ذلك ولا يجوز اخراج القيمة في الكفارة كالدراهم والدنانير وقال ابو حنيفة يجوز ذلك ولا اخراج الدقيق والخبز في الكفارة بل يجب إخراج الحب وجوزه أبو حنيفة ولا يجوز صرف الكل إلى مسكين واحد في عشرة أيام النوع الثاني من الكفارات الكسوة واختلف العلماء في قدرها فذهب قوم إلى انه يكسو كل مسكين ثوبا واحدا مما يقع عليه إسم الكسوة ازار أو رداء أو قميص أو عمامة أو سراويل او كساء نحو ذلك وهذا قول ابن عباس والحسن ومجاهد وعطاء وطاوس واليه ذهب الشافعي وقال مالك يجب أن يكسو كل مسكين ما تجوز به الصلاة فيكسو الرجل ثوبا والمرأة ثوبين درعا وخمارا وقال أحمد للرجال ثوبا وللمرأة ثوبين درعا وخمارا وهو أدنى ويجزي في الصلاة وقال ابن عمر يجب قميص وإزار ورداء وقال أبو موسى الأشعري يجب ثوبان وهو قول سعيد بن المسيب وابن سيرين وقال إبراهيم النخعي يجب ثوب جامع كالملحفة النوع الثالث من الكفارات العتق فيجب إعتاق رقبة مؤمنة وكذلك يجب في جميع الكفارات وأجاز ابو حنيفة والثوري إعتاق الرقبة الكافرين في جميع الكفارة إلا كفارة القتل فان الله قيد الرقبة بالايمان في كفارة القتل ومذهب الشافعي ان المطلق يحمل على المقيد ولا يجوز اعتاق المرتد في الكفارات بالاجماع ويشترط ان تكون الرقبة سليمة الرق حتى لو أعتق في الكفارة مكاتبا أو أم ولد أو عبد اشتراه بشرط العتق أو اشترى قريبه الذي يعتق عليه فكل هؤلاء لا يجزي في أعتاق الكفارة وجوز اصحاب الرأي عتق المكاتب في الكفارة إذا لم يؤد من نجوم الكتابة وجوازوا عتق القريب في الكفارة ويشترط أن تكون الرقبة سليمة من كل عيب يضر بالعمل فلا يجزي مقطوع اليد أو الرجل ولا الأعمى ولا الزمن ولا المجنون المطبق ويجوز عتق الأعور والاصم ومقطوع الاذنين والانف لان هذه العيوب كلها لا تضر بالعمل وعند ابي حنيفة كل عيب يفوت حسنا من المنفعة يمنع الجواز فيجوز عتق مقطوع إحدى اليدين ولا يجوز عتق مقطوع الاذنين في الكفارة النوع الرابع من الكفارات الصوم وهو قوله تعالى (فمن لم يجد) يعني الكفارة (فصيام ثلاثة أيام) يعني فاذا عجز من لزمته كفارة اليمين عن الطعام أو الكسوة أو العتق وجب عليه صيام ثلاثة أيام وهو قوله تعالى فصيام ثلاثة أيام يعني فعليه صيام ثلاثة ايام قال الشافعي إذا كان عنده قوته أو قوت عياله يومه وليلته وفضل ما يطعم عشرة مساكين لزمته الكفارة بالاطعام وإن لم يكن عنده هذا القدر جاز له الصيام وقال أبو حنيفة يجوز له الصيام إذا لم يكن عنده من مال ما تجب فيه الزكاة فجعل من لا زكاة عليه عادما وقال الحسن إذا لم يجد درهمين صام وقال سعيد بن جبير ثلاثة دراهم واختلفوا في وجوب التتابع في الصيام عن كفارة اليمين على قولين أحدهما أنه يجب التتابع فيه قياسا على كفارة الظهار والقتل وهو قول ابن عباس ومجاهد وطاوس وعطاء وقتادة وهو مذهب أبي حنيفة وأحمد واحد قولي الشافعي والقول الثاني لا يجب التتابع في كفارة اليمين فان شاء تابع وإن شاء فرق والتتابع أفضل وبه قال الحسن ومالك وهذا القول الثاني لشافعي ﴿المسئلة الثانية﴾ كلمة أو للتخيير بين الاطعام والكسوة والعتق فان شاء أطعم وإن شاء كسا وإن شاء اعتق فبايها أخذ المكفر فقد أصاب وخرج عن العهدة ﴿المسئلة الثالثة﴾ لا يجوز صرف شيء من الكفارات الا إلى مسلم حر محتاج فلو صرف إلى ذمي أو عبد أو غني لا يجزيه وجوز أبو حنيفة صرفها إلى أهل الذمة واتفقوا على أن صرف الزكاة إلى اهل الذمة لا يجوز ﴿المسئلة الرابعة﴾ اختلفوا في تقويم الكفارة على الحنث فذهب قوم إلى جوازه لما روى عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من حلف على يمينه فرأى خيرا منها فليكفر عن يمينه وليفعل الذي هو خير أخرجه الترمذي (ق) عن عبد الرحمن بن سمرة قال قال رسول الله صلى الله عليه

والاصم ومقطوع الاذنين والانف لان هذه العيوب لا تضر بالعمل ضررا بينا وعند ابي حنيفة رضي الله عنه كل عيب يفوت جنسا من المنفعة يمتنع الجواز حتى جوز مقطوع إحدى اليدين ولم يجوز مقطوع الاذنين قوله عز وجل (فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام) إذا عجز الذي لزمته كفارة اليمين عن الطعام والكسوة وتحرير الرقبة يجب عليه صوم ثلاثة أيام والعجز أن لا يفضل من ماله عن قوته وقوت عياله وحاجته ما يطعم أو يكسو أو يعتق فانه يصوم ثلاثة أيام قال بعضهم إذا ملك ما يمكنه الاطعام وان لم يفضل عن كفايته فليس له الصيام هو قول الحسن وسعيد ابن جبير واختلفوا في وجوب التتابع في هذا الصوم فذهب جماعة إلى أنه لا يجب فيه التتابع بل ان شاء تابع وإن شاء فرق والتتابع أفضل وهو أحد قولي الشافعي وذهب قوم إلى انه يجب فيه التتابع قياسا على كفارة القتل والظهار وهو قول الثوري وأبي حنيفة ويدل عليه قراءة ابن مسعود رضي الله عنه صيام ثلاثة أيام متتابعات

(ذلك) أى ذلك الذى ذكرت (كفارة أيمانكم إذا حلفتم) وحنثتم فان الكفارة لاتجب إلا بعد الحنث واختلفوا فى تقديم الكفارة على الحنث فذهب قوم إلى جوازه لما روينا ان النبى ﷺ قال من حلف على يمين فرأى غيرها خيرا منها فليكفر عن يمينه وليفعل الذى هو خير وهو قول عمر وابن عباس وعائشة رضى الله عنهم وبه قال الحسن وابن سيرين واليه ذهب مالك والأوزاعى والشافعى إلا ان الشافعى يقول إن كفر بالصوم قبل الحنث لانه يجوز لانه بدنى إنما يجوز بالاطعام او الكسوة والعتق كما يجوز تقديم الزكاة على الحول ولا يجوز تعجيل صوم رمضان قبل وقته وذهب قوم إلى انه لايجوز تقديم الكفارة على الحنث وبه قال أبو حنيفه رضى الله عنه قوله عز وجل

وسلم يا عبد الرحمن لاتسأل الأمارة فانها إن أتتك عن مسألة وكلت اليها وإن أتتك من غير مسالة أعنت عليها وإذا حلفت على يمين فرأيت غيرها خيرا منها فات الذى هو خير وكفر عن يمينك وهذا قول عمر وابن عباس وعائشة وعامة الفقهاء وبه قال الحسن وابن سيرين واليه ذهب مالك والأوزاعى والشافعى إلا أن الشافعى قال إن كفر بالصوم قبل الحنث لايجوز لانه بدنى إنما يجوز الطعام أو الكسوة أو العتق وقال أبو حنيفة لايجوز تقديم الكفارة على الحنث وقوله (ذلك) إشارة إلى ما تقدم ذكره من الإطعام او الكسوة أو العتق أو الصوم عند العجز (كفارة إيمانكم إذا حلفتم) يعنى وحنثتم لان الكفارة لاتجب بمجرد اليمين إنما تجب الحنث اليمين وفيه إشارة إلى تقديم الكفارة على اليمين لايجوز بل بعد اليمين وقيل الحنث كما تقدم (واحفظوا إيمانكم) يعنى قللوا إيمانكم ففيه النهى عن كثرة الحلف ومنه قول الشاعر قليل الالايا حافظ ليمينه وصفه بانه لايحلف وقيل فى معنى الاية واحفظوا إيمانكم عن الحنث إذا حلفتم لئلا تحتاجوا إلى التكفير وهذا إذا لم يحلف على ترك مندوب أو فعل مكروه فان حلف على ذلك فالافضل بل الأولى أن يحنث نفسه ويكفر لما روى عن ابى موسى الأشعرى أن رسول الله ﷺ قال إنى وان شاء الله لا احلف على يمين فارى غيرها خير منها إلا كفرت عن يمينى واتيت الذى هو خير أخرجاه فى الصحيحين قوله تعالى (كذلك يبين الله لكم اياته) يعنى كما بين لكم كفارة ايمانكم إذا حنثتم كذلك يبين لكم جميع ما تحتاجون اليه فى أمر دينكم (لعلكم تشكرون) يعنى نعمه التى أنعم بها عليكم أن بين لكم اياته ومعالم شريعته قوله عز وجل (يا ايها الذين امنوا إنما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس) لما انزل الله تعالى يا ايها الذين امنوا لاتحرموا طيبات ما احل الله لكم وقوله وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا وكانت الخمر والميسر مما يستطاب عندهم بين الله تعالى فى هذه الاية ان الخمر والميسر غير داخلين فى جملة الطيبات والمحللات بل هما من جملة المحرمات والخمر كل ما خامر العقل وغطاه والميسر القمار وقد تقدم تفسيرهما فى سورة البقرة والانصاب هى الحجارة التى كانوا ينصبونها للعبادة ويذبحون عندها والازلام هى القداح التى كانوا يستقسمون بها وتقدم تفسير ذلك والرجس فى اللغة الشىء الخبيث المستقذر (من عمل الشيطان) يعنى من تزيينه واغوائه ودعائه اياكم اليها وليس المراد انها عمل يديه (فاجتنبوه) يعنى كونوا جانبا منه والضمير فى قوله فاجتنبوه عائد إلى الرجس لانه اسم جامع للكل كانه قال أو هذه الأشياء الاربعة كلها رجس فاجتنبوه (لعلكم تفلحون) يعنى لكم لكى تدركوا الفلاح إذا اجتنبتم هذه المحرمات التى هى رجس قوله تعالى (إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر) اختلفوا فى سبب نزول هذه الاية فروى ابو ميسرة ان عمر بن الخطاب قال اللهم بين لنا فى الخمر والميسر بيانا شافيا فنزلت الاية التى فى سورة البقرة يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير الاية التى فى سورة النساء يا ايها الذين امنوا لاتقربوا الصلاة وانتم سكارى فدعا عمر فقرئت عليه ثم قال اللهم بين لنا فى الخمر والميسر بيانا شافيا فنزلت الاية التى فى المائدة إنما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر إلى قوله فهل انتم منتهون فدعى عمر فقرئت عليه فقال انتهينا انتهينا اخرجه الترمذى من طريقين وقال

(واحفظوا أيمانكم) قيل أراد به ترك الحلف اى لا تحلفوا وقيل هو الاصح اراد به إذا حلفتم فلا تحنثوا فالمراد منه حفظ اليمين عن الحنث هذا إذا لم يكن يمينه على ترك مندوب أو فعل مكروه فان حلف على فعل مكروه أو ترك مندوب فالافضل ان يحنث نفسه ويكفر لما اخبرنا عبد الواحد ابن احمد المليحى انا أحمد بن عبد الله النعيمى انا محمد بن يوسف انا محمد بن إسمعيل انا حجاج بن منهال أنا جرير بن حازم عن الحسن عن عبد الرحمن بن سمرة قال قال النبى ﷺ يا عبد الرحمن بن سمرة لاتسأل الامارة فانك إن اوتيتها عن مسألة وكلت اليها وإن اوتيتها من غير مسألة اعنت عليها وإذا حلفت على يمين فرأيت غيرها خيرا منها فكفر عن يمينك وات الذى هو خير (كذلك يبين الله لكم اياته لعلكم تشكرون) قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر) أى القمار

 (والانصاب) يعنى الأوثان سميت بذلك لأنهم كانوا ينصبونها وأحدها نصب بفتح النون وسكون الصاد ونصب بضم النون مخففا ومثقلا (والأزلام) يعنى القداح التى يستقسمون بها واحدها زلم وزلم (رجس) خبيث مستقذر (من عمل الشيطان) من تزيينه (فاجتنبوه) رد الكناية الى الرجس (لعلكم تفلحون انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر) اما العداوة فى الخمر ان الشاربين اذا سكروا عربدوا وتشاجروا كما فعل الانصارى الذى شج سعد ابن أبى وقاص بلحى الجمل وأما العداوة فى الميسر قال قتادة كان الرجل يقامر على الاهل والمال ثم يبقى

حزينا مسلوب الأهل والمال مغتاظا على حرقائه (ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة) وذلك أن من اشتغل بشرب الخمر والقمار ألهاه ذلك عن ذكر الله وشوش عليه صلاته كما فعل (٧٤) باضياف عبد الرحمن بن عوف وتقدم رجل ليصلي بهم صلاة المغرب بعد ما شربوا فقرأ قل

يا أيها الكافرون أعبد بحذف لا (فهل انتم منتهون) أي انتهوا لفظة استفهام ومعناه أمر كقوله تعالى فهل انتم شاكرون (واطيعوا الله واطيعوا الرسول واحذروا) المحارم والمناهي (فان توليتم فاعلموا أنما على رسولنا البلاغ المبين) وفي وعيد شارب الخمر أنا أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد الفوراني أنا أبو الحسن علي بن عبد الله الطيسفوني ثنا أبو الحسن محمد بن محمود المحمودي أنا ابو العباس الماسرجسي بنيسابور اخبرنا اسحق ابن ابرهيم الحنظلي اخبرنا صالح بن قدامة حدثناه أخي عبد الملك بن قدامة عن عبيد الله بن دينار عن ابن عمر عن رسول الله ﷺ كل مسكر حرام وإن حتما على الله ان لا يشربه عبد في الدنيا إلا سقاه الله تعالى يوم القيامة من طينة الخبال هل تدرون ما طينة الخبال قال عرق أهل النار وأخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن أحمد انا ابو اسحق الهاشمي انا أبو مصعب عن مالك عن نافع عن عبد الله بن عمر ان النبي ﷺ قال من شرب الخمر في الدنيا ثم لم يتب منها حرمها في الاخرة وأخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو إسحق الثعلبي أنا أحمد بن أبي أخبرنا أبو العباس الأصم أنا محمد بن إسحق الصنعاني حدثنا أبو نعيم حدثنا عبد العزيز بن عمرو بن عن عبد الرحمن بن عبد الله الغافقي من أهل مصر عن عبد الله بن عمر انه قال اشهد اني سمعت رسول الله

رواية أبي ميسرة هذه أصح وأخرجه أبو داود والنسائي وروى مصعب بن سعيد عن أبيه قال صنع رجل من الانصار طعاما فدعا فشربنا وذلك قبل أن تحرم زاد حتى انتشينا فتفاخرت الأنصار وقريش فقالت الانصار نحن أفضل منكم فقال سعد بن أبي وقاص المهاجرون خير منكم فاخذ رجل من الانصار لحى جمل فضرب به أنف سعد ففزوه فاتى سعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره فنزلت هذه الاية يا ايها الذين امنوا إنما الخمر والميسر إلى قول فهل انتم منتهون وقال ابن عباس نزل تحريم الخمر في قبيلتين من قبائل الأنصار شربوا حتى ثملوا وعبث بعضهم ببعض فلما صحوا جعل الرجل يرى الأثر بوجهه ولحيته فيقول فعل بي هذا فلان اخي وكانوا أخوة ليس في قلوبهم ضغائن فانزل الله تعالى تحريم الخمر في هذه الاية يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر إلى قوله تعالى فهل انتم منتهون واما تفسير الاية فقوله تعالى إنما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر يعني إنما يزين لكم الشيطان شرب الخمر والقمار بالقداح وهو الميسر ويحسن ذلك لكم إرادة أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء بسبب شرب الخمر لانها تزيل عقل شاربها فيتكلم بالفحش وربما افضى ذلك إلى المقاتلة وذلك سبب إيقاع العداوة والبغضاء بين شاربها واما الميسر فقال قتادة كان الرجل في الجاهلية يقامر على أهله وماله فيقمر حزينا سليبا ينظر إلى ماله في يد غيره فيورثه ذلك العداوة والبغضاء فنهى الله عن ذلك وتقدم ما فيه والله اعلم بما يصلح خلقه فظهر بذلك الخمر والميسر سببان عظيمان في إيقاع العداوة والبغضاء بين الناس وهذا فيما يتعلق بامر الدنيا وفيهما مفاسد تتعلق بامر الدين وهي قوله تعالى (ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة) لان شرب الخمر يشغل عن ذكر الله وعن فعل الصلاة وكذلك القمار يشغل صاحبه عن ذكر الله وعن الصلاة * فان قلت لم جمع الخمر والميسر مع الانصاب والازلام في الاية الأولى ثم فرد الخمر والميسر في هذه الاية * قلت لان الخطاب مع المؤمنين بدليل قوله تعالى يا ايها الذين امنوا والمقصود نهيهم عن شرب الخمر واللعب بالقمار وإنما ضم الانصاب والأزلام إلى الخمر والميسر لتأكيد تحريم الخمر والميسر فلما كان المقصود من الاية النهي عن شرب الخمر لا جرم افرادهما بالذكر في آخر الاية والله اعلم * قوله تعالى (فهل انتم منتهون) لفظة استفهام ومعناه الامر اي انتهوا وهذا من ابلغ ما ينهى به لانه تعالى ذم الخمر والميسر وأظهر قبحهما للمخاطب كانه قيل قد تدلى عليكم ما فيهما من انواع الصوارف والموانع فهل انتم منتهون مع هذه الأمور أم انتم على ما كنتم عليه كانكم لم توعظوا ولم تنزجروا وفي هذه الاية دليل على تحريم شرب الخمر لان الله تعالى قرن الخمر الميسر بعبادة الأصنام وعدد انواع المفاسد الحاصلة بهما ووعد بالفلاح عند اجتنابهما وقال فهل انتم منتهون ومعناه الامر وقد صح من حديث عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال كل من شراب اسكر فهو حرام اخرجاه في الصحيحين وزاد الترمذي وابو داود وما اسكر الفرق منه فملء الكف منه حرام الفرق بالتحريك اناء يسع ستة عشر رطلا عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من شرب الخمر لم تقبل له صلاة أربعين صباحا فان تاب تاب الله عليه فان عاد لم يقبل الله له صلاة أربعين صباحا فان تاب الله عليه فان عاد لم يقبل الله صلاة أربعين صباحا فان تاب الله عليه فان عاد للرابعة لم يقبل الله له أربعين صباحا فان تاب لم يتب الله عليه وسقاه الله من نهر الخبال قالوا يا ابا عبد الرحمن وما نهر الخبال قال صديد اهل النار أخرجه الترمذي وقال حديث حسن وأخرجه النسائي وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن الله الخمر وشاربها وساقيها وبائعها ومبتاعها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة اليه أخرجه ابو داود * قوله عز وجل (وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول) يعني فيما امركم ونهاكم عنه (واحذروا) أي واحذروا مخالفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما أمركم به ونهاكم عنه (فان توليتم) يعني فان أعرضتم عما أمركم به ونهاكم عنه (فاعلموا انما على رسولنا البلاغ المبين) وهذا وعيد وتهديد لمن أعرض عن أمر الله ونهيه كانه قال فاعلموا أنكم بسبب توليكم وإعراضكم

ﷺ وهو يقول لعن الله الخمر وشاربها وساقيها وبائعها ومبتاعها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة إليه وآكل ثمنها قوله عز وجل (ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا) الآية سبب نزول هذه الآية ان

قد استحقتم العذاب والسخط * قوله تعالى (ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا) الاية عن البراء بن عازب قال مات ناس من أصحاب النبي ﷺ وهم يشربون الخمر فلما نزل تحريم الخمر قال ناس من أصحاب النبي ﷺ كيف بأصحابنا الذين ماتوا وهم يشربونها قال فنزلت ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا الاية أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح عن ابن عباس قال قالوا يا رسول الله أرأيت الذين ماتوا وهم يشربون الخمر لما نزل تحريم الخمر فنزلت ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا الاية أخرجه الترمذي وقال حديث حسن ومعنى الاية ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا أي لا حرج ولا إثم عليهم فيما شربوا من الخمر وأكلوا من مال القمار في وقت الاباحة قبل التحريم قال ابن قتيبة يقال لم أطعم خبزا ولا ماء ولا نوما قال الشاعر :

فان شئت حرمت النساء سواكم * وإن شئت لم أطعم نقاخا ولا بردا

النقاخ الماء والبرد النوم (إذا ما اتقوا) يعني إذا ما اتقوا الشرك وقيل اتقوا ما حرم الله عليهم (وآمنوا) يعني بالله ورسوله (وعملوا الصالحات) أي وازدادوا من عمل الصالحات (ثم اتقوا وآمنوا) يعني اتقوا الخمر والميسر بعد التحريم فعلى هذا تكون الأولى إخبارا عن حال من مات وهو يشربها قبل التحريم أنه لا جناح عليه والثانية خطاب لمن بقي بعد التحريم أمروا باتقائها والايمان بتحريمها (ثم اتقوا) يعني ما حرم عليهم في المستقبل (وأحسنوا) يعني العمل وقيل المراد بالاتقاء الأول فعل التقوى وبالثاني المداومة عليها وبالثالث اتقاء الظلم مع ضم الاحسان إليه وقيل إن المقصود من التأكيد والمبالغة في الحث على الإيمان والتقوى وضم الاحسان إليهما ثم قال تعالى (والله يحب المحسنين) يعني أنه تعالى يحب المتقربين إليه بالايمان والأعمال الصالحة والتقوى والاحسان وهذا ثناء ومدح لهم على الايمان والتقوى والاحسان لأن هذه المقامات من أشرف الدرجات وأعلاها (م) عن عبد الله بن مسعود قال لما نزلت هذه الاية ليس على الذين امنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا إلى اخر الاية قال رسول الله ﷺ قيل لي أنت منهم ومعناه أن رسول الله ﷺ قيل له أن ابن مسعود منهم يعني من الذين امنوا وعملوا الصالحات والتقوى والاحسان * قوله تعالى (يا أيها الذين امنوا ليبلونكم الله بشيء من الصيد) نزلت هذه الاية عام الحديبية وكانوا محرمين فابتلاهم الله بالصيد فكانت الوحوش تغشى رحالهم من كثرتها فهموا بأخذها وصيدها فأنزل الله هذه الاية يا أيها الذين امنوا ليبلونكم الله الاية اللام في ليبلونكم لام القسم أي ليختبرن طاعتكم من معصيتكم والمعنى يعاملكم معاملة المختبر بشيء من الصيد يعني بصيد البر دون البحر وقيل أراد الصيد في حالة الاحرام دون الاحلال وإنما قال بشيء من الصيد ليعلم أنه ليس بفتنة من الفتن العظام التي نزل عندها إقداء الثابتين ويكون التكليف فيها صعبا شاقا كالابتلاء ببذل الأموال والأرواح وإنما هو ابتلاء سهل كما ابتلى أصحاب السبت بصيد السمك فيه لكن الله عز وجل بفضله وكرمه عصم أمة محمد ﷺ فلم يصطادوا شيئا في حالة الابتلاء ولم يعصم أصحاب السبت فمسخوا قردة وخنازير * وقوله تعالى (تناله أيديكم) يعني الفرخ والبيض ومالا يقدر أن يفر من صغار الصيد (ورماحكم) يعني كبار الصيد مثل حمر الوحش ونحوها وقال ابن عباس في قوله تناله أيديكم ورماحكم هو الضعيف من الصيد وصغيره يبتلي الله به عباده في إحرامهم حتى لو شاؤا نالوه بأيديهم فنهاهم الله أن يقربوه (ليعلم الله) أي ليرى الله فانه علمه فهو مجاز لأنه تعالى عالم لم يزل والمعنى يعاملكم معاملة المختبر وقيل معناه ليظهر المعلوم وهو خوف الخائف وقيل هو من باب حذف المضاف والتقدير ليعلم أولياء الله (من يخافه بالغيب) يعني

تحريم الخمر يا رسول الله كيف باخواننا الذين ماتوا وهم يشربون الخمر ويأكلون من مال الميسر فأنزل الله تعالى ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا وشربوا من الخمر وأكلوا من مال الميسر (إذا ما اتقوا) الشرك (وآمنوا) وصدقوا (وعملوا الصالحات ثم اتقوا) الخمر والميسر بعد تحريمهما (وآمنوا ثم اتقوا) ما حرم الله عليهم كله (وأحسنوا والله يحب المحسنين) وقيل معنى الأول إذا ما اتقوا الشرك وآمنوا وصدقوا ثم اتقوا أي داوموا على ذلك التقوى وآمنوا وازدادوا إيمانا ثم اتقوا المعاصي كلها وأحسنوا وقيل اي اتقوا بالاحسان وكل محسن متق والله يحب المحسنين قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا ليبلونكم الله بشيء من الصيد) الاية نزلت عام الحديبية وكانوا محرمين ابتلاهم الله بالصيد وكانت الوحوش تغشى رحالهم من كثرتها فهموا بأخذها فنزلت يا أيها الذين آمنوا ليبلونكم الله ليختبرنكم

الله فائدة البلوى إظهار المطيع من العاصي وإلا فلا حاجة له الى البلوى بشيء من الصيد وانما بعض فقال بشيء لانه ابتلاهم بصيد البر خاصة (تناله أيديكم) يعني الفرخ والبيض ومالا يقدر ان يفر من صغار الصيد (ورماحكم) يعني الكبار من الصيد (ليعلم الله) ليرى الله لأنه قد علمه (من يخافه بالغيب) أي يخاف الله ولم يره كقوله تعالى الذين يخشون ربهم بالغيب أي يخافه فلا يصطاد في حال الاحرام

من يخاف الله ولم يره فلا يصطاد فى حالة الاحرام شيئا بعد النهى (فمن اعتدى بعد ذلك) يعنى فصاد فى حالة الاحرام بعد النهى (فله عذاب اليم) يعنى فى الدنيا قال ابن عباس هو أن يوجع ظهره و بطنه جلدا و تسلب ثيابه وهذا قول أكثر المفسرين فى معنى هذه الاية لأنه قد سمى الجلد عذابا وهو قوله وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين ه وقوله عز وجل (يا أيها الذين امنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم) جمع حرام أى لا تقتلوا الصيد وأنتم محرمون بالحج والعمرة وقيل المراد منه دخول الحرم يقال أحرم إذا عقد الاحرام وأحرم إذا دخل الحرم وقيل هما مرادان بالاية فلا يجوز قتل الصيد للمحرم ولا فى الحرم نزلت هذه الاية فى أبى اليسر شد على حمار وحش فقتله وهو محرم ثم صار هذا الحكم عاما فلا يجوز قتل الصيد ولا التعرض له مادام محرما ولا فى الحرم والمراد بالصيد كل حيوان متوحش مأكول اللحم وهذا قول الشافعى وقال أبو حنيفة هو كل حيوان متوحش سواء كان مأكولا أو لم يكن فيجب عنده الضمان على من قتل سبعا أو نمرا أو نحو ذلك واستثنى الشارع خمس فواسق فأجاز قتلهن (ق) عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال خمس من الدواب ليس على المحرم فى قتلهن جناح الغراب والحدأة والعقرب والفأرة والكلب العقور وفى رواية خمس لا جناح على من قتلهن فى الحرم والاحرام (ق) عن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله ﷺ قال خمس من الدواب كلهن فواسق يقتلن فى الحرم الغراب والحدأة والعقرب والفأرة والكلب العقور ولمسلم خمس فواسق يقتلن فى الحل والحرم وذكر نحوه وفى رواية النسائى قال خمس يقتلهن المحرم الحية والعقرب والفأرة والغراب الابقع والكلب العقور قال ابن عيينة الكلب العقور كل سبع ضار يعقر وقاس الشافعى عليها جميع ما لا يؤكل لحمه قال لأن الحديث يشتمل على أشياء بعضها سباع ضارية و بعضها هو أم فاتلة و بعضها طير لا يدخل فى معنى السباع ولا فى معنى الهوام وإنما هو حيوان مسخبث اللحم و تحريم الأكل يجمل الكل فاعتبره ورتب عليه الحكم وذهب أصحاب الرأى إلى وجوب الجزاء فى كل ما لا يؤكل لحمه إلا الأعيان المذكورة فى الحديث وقاسوا عليها الذئب فلم يوجبوا فيه كفارة ه قوله تعالى (ومن قتله منكم متعمدا) قال مجاهد والحسن وابن زيد هو الذى يتعمد قتل الصيد مع نسيان الاحرام فعليه الجزاء أما إذا تعمد قتل الصيد ذاكرا لإحرامه فلا جزاء عليه لأنه أعظم من أن يكون له كفارة وقال ابن عباس والجمهور يحكم عليه بالجزاء وإن تعمد القتل مع ذكر الإحرام وهذا مذهب عامة الفقهاء أما إذا قتل الصيد خطأ بأن قصد غيره بالرمى فأصابه فهو كالعمد فى وجوب الجزاء وهو مذهب جمهور المفسرين والفقهاء قال الزهرى نزل القرآن بالعمد وجرت السنة فى الخطا يعنى الحقت المخطىء بالمتعمد فى وجوب الجزاء وقال سعيد بن جبير لا أرى فى الخطأ شيئا وهذا قول شاذ لا يؤخذ به (فجزاء مثل ما قتل من النعم) يعنى فعليه جزاء من النعم مثل ما قتل والمثل والشبه واحد واختلفوا فى هذه المماثلة أهى بالخلقة أم بالقيمة والذى عليه جمهور العلماء من الصحابة فمن بعدهم ان المماثلة فى الخلقة معتبرة لأن ظاهر الاية يدل على ذلك وما لا مثل له فالقيمة وقال أبو حنيفة المثل الواجب فى قتل الصيد هو القيمة لأن الصيد المقتول إذا لم يكن له مثل فانه يضمن بالقيمة وهذا لا نزاع فيه فكان المراد بالمثل هو القيمة فى هذه الصورة فوجب أن يكون فى سائر الصور كذلك لأن اللفظ الواحد لا يجوز حمله إلا على معنى واحد وأجيب عنه بأن حقيقة المماثلة أمر معلوم فيجب رعايتها بأقصى الإمكان وإن لم تمكن رعايتها إلا بالقيمة وجب الاكتفاء بها للضرورة وحجة الشافعى ومن وافقه فى اعتبار المماثلة بالخلقة ان الصحابة حكموا فى بلدان شتى وأزمان مختلفة بالمثل من النعم فحكموا فى النعامة ببدنة وهى لا تساوى بدنة وحكموا فى حمار الوحش ببقرة وهو لا يساوى بقرة وكذا فى الضبع بكبش فدل ذلك على أنهم إنما نظروا إلى ما يقرب من الصيد شبها من حيث الخلقة فحكموا به ولم يعتبروا القيمة فيجب فى الظبى عناة وفى الأرنب سخل وفى الضب سخلة وفى اليربوع جفرة ويجب فى الحمامة وكل ماعب وهدر كالفواخت والقمرى وذوات الأطواق شاة وما جلدا ويسلب ثيابه قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم) اى محرمون بالحج والعمرة وهو جمع حرام يقال رجل حرام وامرأة حرام وقد يكون من دخول الحرم يقال احرم الرجل إذا عقد الإحرام واحرم إذا دخل الحرم نزلت فى رجل يقال له ابو اليسر على حمار وحش وهو محرم فقتله قوله تعالى (ومن قتله منكم متعمداً) اختلفوا فى هذا العمد فقال قوم هو العمد لقتل الصيد مع نسيان الاحرام أما اذا قتله عمداً وهو ذاكر لاحرامه فلا حكم عليه وأمره الى الله لأنه أعظم من أن يكون له كفارة هذا قول مجاهد والحسن وقال الاخرون هو أن يعمد المحرم قتل الصيد ذاكراً لإحرامه فعليه الكفارة واختلفوا فيما لو قتله خطأ فذهب أكثر الفقهاء الى ان العمد والخطا سواء فى لزوم الكفارة وقال الزهرى على المتعمد بالكتاب وعلى المخطىء بالسنة وقال سعيد بن جبير لا تجب كفارة الصيد بقتل الخطأ بل يختص بالعمد قوله عز وجل (فجزاء مثل) قرأ اهل الكوفة ويعقوب فجزاء منون مثل رفع على البدل من الجزاء وقرأ الاخرون بالاضافة فجزاء مثل (ما قتل من النعم) معناه أنه يجب عليه مثل ذلك الصيد من النعم وأراد به ما يقرب من الصيد المقتول شبها من حيث الخلقة لا من حيث القيمة سواء

(يحكم به ذوا عدل منكم) أي يحكم بالجزاء رجلان عدلان وينبغي أن يكونا فقيهين ينظران الى اشبه الأشياء به من النعم فيحكمان به وممن ذهب الى ايجاب المثل من النعم عمر وعثمان وعلي وعبد الرحمن بن عوف وابن عمر وابن عباس وغيرهم من الصحابة رضي الله عنهم حكموا في بلدان مختلفة وازمان شتى بالمثل من النعم فحكم حاكمهم في النعامة ببدنة وهي لا تساوي بدنة وفي حمار الوحش ببقرة وهي لا تساوي بقرة وفي الضبع بكبش وهي لا تساوي كبشا فدل انهم نظروا الى ما يقرب من الصيد شبها من حيث الخلقة وتجب في الحمام شاة وهو كل ماعب،

سواء من الطير ففيه القيمة في المكان الذي أصيب فيه وروى عن عثمان وابن عباس أنهما حكما في حمام الحرم بشاة وروى عن عمر انه قضى في الضبع بكبش وفي الغزال بعنز وفي الارنب بعناق وفي اليربوع بجفرة * وقوله تعالى (يحكم به ذوا عدل منكم) يعني يحكم بالجزاء في قتل الصيد رجلان صالحان عدلان من أهل ملتكم ودينكم وينبغي ان يكونا فقيهين فينظران الى اشبه الاشياء به من النعم فيحكمان به قال ميمون بن مهران جاء أعرابي الى ابي بكر الصديق فقال اني أصبت من الصيد كذا وكذا فسأل ابو بكر ابي بن كعب فقال الاعرابي إني اتيتك اسالك وانت تسال غيرك فقال ابو بكر وما انكرت من ذلك قال الله تعالى يحكم به ذوا عدل منكم فشاورت صاحبي فاذا اتفقنا على شيء امرناك به وقوله تعالى (هديا بالغ الكعبة) يعني ان الكفارة هدي يساق إلى الكعبة وسميت الكعبة كعبة لارتفاعها والعرب تسمي كل بيت مرتفع كعبة وإنما اريد الكعبة كل الحرم لان الذبح لا يقع في الكعبة وعندها ملاقيا لها إنما يقع في الحرم وهو المراد بالبلوغ فيذبح الهدي بمكة ويتصدق به على مساكين الحرم هذا مذهب الشافعي وقال ابو حنيفة له ان يتصدق به حيث شاء إذا وصل الهدي إلى الكعبة (أو كفارة طعام مساكين او عدل ذلك صياما) ذهب الشافعي ومالك وابو حنيفة إلى ان كلمة او في هذه الاية للتخيير وقال احمد وزفر من اصحاب ابي حنيفة انها للترتيب وهما روايتان عن ابن عباس قال الشافعي إذا قتل صيده المثل فهو مخير بين ثلاثة اشياء ان شاء ذبح المثل من النعم وتصدق به على مساكين الحرم وان شاء قوم المثل دراهم والدراهم طعاما ثم يتصدق به على مساكين الحرم وان شاء صام عن كل مد من الطعام يوما وقال ابو حنيفة يصوم عن كل نصف صاع يوما وعن احمد روايتان كالقولين واصل هذه المسئلة ان الصوم مقدر بطعام اليوم فعند الشافعي مقدر بالمد وعند ابي حنيفة مقدر بنصف صاع وله ان يصوم حيث شاء لانه لا نفع فيه للمساكين وذهب جمهور الفقهاء الى ان الخيار في تعيين احد هذه الثلاثة الاشياء الى قاتل الصيد الذي وجب عليه الكفارة لان الله اوجب عليه احد هذه الثلاثة على التخيير فوجب ان يكون هو المخير بين ايها شاء وقال محمد بن الحسن من اصحاب ابي حنيفة التخيير الى الحكمين لان الله تعالى قال يحكم به ذوا عدل منكم ومن قال ان كلمة او للترتيب قال ان لم يجد الهدي اشترى طعاما وتصدق به فان كان معسرا صام وقال مالك ان لم يخرج المثل من النعم يقوم الصيد ثم يجعل القيمة طعاما فيتصدق به او يصوم وقال ابو حنيفة لا يجب المثل من النعم بل يقوم الصيد فان شاء صرف تلك القيمة إلى شيء من النعم وان شاء الى الطعام فيتصدق به وان شاء صام عن كل نصف صاع من بر او صاع من غيره يوما واختلفوا في موضع التقويم فقال جمهور الفقهاء يقوم في المكان الذي قتل فيه الصيد وقال الشعبي يقوم بمكة بثمن مكة لانه يصرف بها * وقوله تعالى (ليذوق وبال امره) يعني جزاء ذنبه والوبال في اللغة الشيء الثقيل الذي يخاف ضرره يقال مرعى وبيل إذا كان فيه وخامة وإنما سمى الله ذلك وبالا لان اخراج الجزاء ثقيل على النفس لان فيه تنقيصا للمال وهو ثقيل على النفس وكذا الصوم ايضا ثقيل على النفس لان فيه انهاك البدن (عفا الله عما سلف) يعني قبل التحريم (ومن عاد) يعني إلى قتل الصيد مرة ثانية (فينتقم الله منه) يعني في الآخرة والانتقام المبالغة في العقوبة وهذا الوعيد لا يمنع إيجاب الجزاء في المرة الثانية والثالثة فاذا تكرر من المحرم قتل الصيد تكرر عليه الجزاء وهذا قول جمهور

وهدر من الطير كالفاختة والقمري والدبسي وروى عن عمر وعثمان وابن عباس رضي الله عنهم انهم قضوا في حمام مكة بشاة أخبرنا أبو الحسن السرخسي اخبرنا زاهر بن احمد انا ابو اسحاق الهاشمي انا ابو مصعب عن مالك عن ابي الزبير المكي عن جابر بن عبد الله ان عمر ابن الخطاب رضي الله عنه قضى في الضبع بكبش وفي الغزال بعنز وفي الارنب بعناق وفي اليربوع بجفرة قوله تعالى (هديا بالغ الكعبة) اي يهدى تلك الكفارة إلى الكعبة فيذبحها بمكة ويتصدق بلحمها على مساكين الحرم (أو كفارة طعام مساكين أو عدل ذلك صياما) قال الفراء رحمه الله العدل بالكسر المثل من جنسه والعدل بالفتح المثل من غير جنسه واراد به انه في جزاء الصيد مخير بين ان يذبح المثل من النعم فيتصدق بلحمه على مساكين الحرم وبين أن يقوم المثل دراهم والدراهم طعاما فيتصدق بالطعام على مساكين الحرم أو يصوم عن كل مد من الطعام يوما وله ان يصوم حيث شاء لانه لا نفع فيه

للمساكين وقال مالك ان لم يخرج المثل يقوم الصيد ثم يجعل القيمة طعاما فيتصدق به او يصوم وقال ابو حنيفة رضي الله عنه لا يجب المثل من النعم بل يقوم الصيد فان شاء صرف تلك القيمة الى شيء من النعم وإن شاء الى الطعام فيتصدق به وان شاء صام عن كل نصف صاع من بر أو صاع من شعير يوما وقال الشعبي والنخعي جزاء الصيد على الترتيب والاية حجة لمن ذهب إلى التخيير قوله تعالى (ليذوق وبال امره) أي جزاء معصيته (عفا الله عما سلف) يعني قبل التحريم ونزول الاية قال السدي عفا الله عما سلف في الجاهلية (ومن عاد فينتقم الله منه) في الاخرة

(والله عزيز ذو انتقام) وإذا تكرر من المحرم قتل الصيد فيتعدد عليه الجزاء عند عامة أهل العلم قال ابن عباس رضى الله عنهما إذا قتل المحرم صيدا متعمدا يسأل هل قتلت قبله شيئا من الصيد فان قال نعم لم يحكم عليه وقيل له اذهب ينتقم الله منك وإن قال لم اقتل قبله شيئا حكم عليه فان عاد بعد ذلك لم يحكم عليه ولكن يملأ ظهره وصدره ضربا وجيعا وكذلك حكم رسول الله ﷺ فى وج وهو واد بالطائف واختلفوا فى المحرم هل يجوز له اكل لحم الصيد فذهب قوم إلى انه لا يحل له بحال ويروى ذلك عن ابن عباس وهو قول طاوس وبه قال سفيان الثورى واحتجوا بما اخبرنا ابو الحسن السرخسى انا زاهر بن احمد انا ابو اسحق الهاشمى انا ابو مصعب عن مالك عن ابن شهاب عن عبد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن عبد الله بن عباس عن الصعب بن جثامة الليثى انه اهدى لرسول الله ﷺ حمارا وحشيا وهو بالابواء او بودان فرده عليه رسول الله ﷺ قال فلما رأى رسول الله ﷺ ما فى وجهى قال انا لم نرده عليك إلا انا حرم وذهب الاكثرون إلى انه يجوز للمحرم اكله إذا لم يصطد بنفسه ولا اصطيد لاجله او باشارته وهو قول عمر وعثمان وابى هريرة وبه قال عطاء ومجاهد وسعيد بن جبير وهو مذهب مالك والشافعى واحمد واسحق واصحاب الرأى (٧٨) وإنما رد النبى ﷺ على الصعب بن جثامة لانه ظن انه صيد من اجله والدليل على جوازه

العلماء وقد روى عن ابن عباس والنخعى وداود الظاهرى انه إذا قتل الصيد مرة ثانية فلا جزاء عليه لانه وعده بالانتقام منه قال ابن عباس إذا قتل المحرم صيدا متعمدا سئل هل قتل شيئا من الصيد فان قال نعم لم يحكم عليه ويقال له اذهب فينتقم الله منك وإن قال لم اقتل قبله شيئا حكم عليه فان عاد بعد ذلك لم يحكم عليه ولكن يملأ ظهره وصدره ضربا وكذلك حكم رسول ﷺ فى صيد وج وهو واد بالطائف (والله عزيز ذو انتقام) يعنى ممن عصاه وإذا أتلف المحرم شيئا من الصيد الذى لا مثل له من النعم مثل البيض وطائر صغير دون الحمام ففيه القيمة فيقوم ثم يشترى بقيمته طعاما ويتصدق به على محاويج الحرم أو يصوم عن كل مد يوما * قوله تعالى (أحل لكم صيد البحر وطعامه) المراد بالصيد ما صيد من البحر والمراد بالبحر جميع المياه العذبة والمالحة فاما طعامه فاختلفوا فيه فقيل هو ما قذفه البحر ورمى به الساحل يروى ذلك عن ابى بكر وعمر وابن عمر وابى ايوب وقتادة وقيل صيد البحر طريه وطعامه مالحه يروى ذلك عن سعيد بن جبير وسعيد بن المسيب والسدى ويروى عن ابن عباس ومجاهد كالقولين وجملة حيوان الماء على قسمين سمك وغير سمك فاما السمك فجميعه حلال على اختلاف اجناسه وأنواعه قال رسول الله ﷺ فى البحر هو الطهور ماؤه الحل ميتته اخرجه ابو داود والترمذى والنسائى ولا فرق بين ان يموت بسبب او بغير سبب فيحل اكله وقال ابو حنيفه لا يحل إلا ان يموت بسبب وما عدا السمك فقسمان قسم يعيش فى البر والبحر كالضفدع والسرطان فلا يحل أكلهما وقال سفيان أرجو أن لا يكون بالسرطان بأس واختلفوا فى الجراد فقيل هو من صيد البحر فيحل اكله للمحرم وذهب جمهور العلماء الى انه من صيد البر وانه لا يحل للمحرم اكله فى حال الاحرام فان اصاب جرادة فعليه صدقة قال عمر فى الجرادة تمرة وعنه وعن ابن عباس قبضة من طعام وكذلك طير الماء فهو من صيد البر ايضا وقال احمد يؤكل كل ما فى البحر إلا الضفدع والتمساح قال لان التمساح يفترس ويأكل الناس وقال ابن ابى ليلى ومالك يباح كل ما فى البحر وذهب جماعة إلى ان ما له نظير من البر يؤكل فيؤكل نظيره من حيوان البحر مثل بقر الماء ونحوه ولا يؤكل ما لا يؤكل نظيره فى البر مثل كلب الماء وخنزير الماء فلا يحل أكله * قوله تعالى (متاعا لكم وللسيارة)

ما اخبرنا ابو الحسن بن السرخسى انا زاهر بن احمد انا ابو اسحاق الهاشمى انا ابو مصعب عن مالك عن ابى النضر مولى عمر بن عبيد الله التيمى عن نافع مولى ابى قتادة عن ابى قتادة بن ربعى الانصارى رضى الله عنه أنه كان مع رسول الله ﷺ حتى كان ببعض طريق مكة تخلف مع أصحابه محرمين وهو غير محرم فرأى حمارا وحشيا فاستوى على فرسه وسأل أصحابه أن يناولوه سوطه فابوا فسألهم رمحه فابوا فأخذه ثم شد على الحمار فقتله فاكل منه بعض اصحاب رسول الله ﷺ وابى بعضهم فلما ادركوا رسول الله صلى الله عليه وسلم سألوه عن ذلك فقال إنما هى طعمة اطعمكموها الله تعالى اخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب انا عبد العزيز بن يعنى احمد الخلال انا ابو العباس الاصم اخبرنا الربيع انا الشافعى انا ابراهيم بن محمد عن عمرو بن ابى عمرو عن المطلب بن حنطب عن جابر بن عبد الله ان رسول الله ﷺ قال لحم الصيد لكم فى الاحرام حلال مالم تصيدوه او يصاد لكم قال ابو عيسى المطلب لا نعرف له سماعا من جابر بن عبد الله رضى الله عنه وإذا اتلف المحرم شيئا من الصيد لا مثل له من النعم مثل بيض او طائر دون الحمام ففيه قيمة يصرفها إلى الطعام فيتصدق به او يصوم عن كل مد يوما واختلفوا فى الجراد فرخص فيه قوم للمحرم وقالوا هو من صيد البحر روى ذلك عن كعب الاحبار والاكثرون على انها لا تحل فان اصابها فعليه صدقة قال عمر فى الجراد تمرة وروى عنه وعن ابن عباس قبضة من طعام قوله عز وجل (احل لكم صيد البحر وطعامه متاعا لكم وللسيارة) والمراد بالبحر جميع المياه قال عمر رضى الله عنه صيده ما اصطيد وطعامه ما رمى به وعن ابن عباس وابن عمر وابى هريرة طعامه ما قذفه الماء إلى الساحل ميتا وقال قوم هو المالح منه وهو قول سعيد بن جبير وعكرمة وسعيد ابن المسيب وقتادة والنخعى وقال مجاهد صيده طريه وطعامه مالحه متاعا لكم اى منفعة لكم وللسيارة يعنى المارة وجملة

حيوانات الماء على قسمين سمك وغيره أما السمك فميتته حلال مع اختلاف أنواعها قال النبي صلى الله عليه وسلم أحلت لنا ميتتان السمك والجراد فلا فرق بين أن يموت بتسبب أو بغير سبب وعند أبي حنيفة لا يحل إلا أن يموت بسبب من وقوع على حجر أو انحسار الماء منه ونحو ذلك أما غير السمك فقسمان قسم يعيش في البر كالضفدع والسرطان فلا يحل أكله وقسم يعيش في الماء ولا يعيش في البر إلا عيش المذبوح فاختلف القول فيه فذهب قوم إلى أنه لا يحل شيء منها إلا السمك وهو قول أبي حنيفة رضي الله عنه وذهب قوم إلى أن ميت الماء كلها حلال لأن كلها سمك وإن اختلف صورتها كالجريث يقال له حية الماء وهو على شكل الحية وأكله مباح بالاتفاق وهو قول عمر وأبي بكر وابن عباس وزيد بن ثابت وأبي هريرة وبه قال شريح والحسن وعطاء وهو قول مالك وظاهر مذهب الشافعي وذهب قوم إلى أن ماله نظير بالبر يؤكل فميتته من حيوانات البحر حلال مثلا بقر الماء ونحوه وما لا يؤكل نظيره في البر لا يحل ميتته من حيوانات البحر مثل كلب الماء والخنزير والحمار ونحوها وقال الأوزاعي كل شيء عيشه في الماء فهو حلال قيل فالتمساح قال نعم وقال (٧٩) الشعبي لو أن أهل اكلوا الضفادع لاطعمتهم وقال سفيان الثوري ارجو أن لا يكون بالسرطان باسا وظاهر الآية حجة لمن اباح جميع حيوانات البحر وكذلك الحديث أنا أبو الحسن السرخسي انا زاهر ابن احمد انا ابو اسحق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن صفوان بن سليم عن سعيد بن سلمة من آل بني الأزرق ان المغيرة بن أبي بردة وهو من بني عبد الدار أخبره أنه سمع أبا هريرة رضي الله عنه يقول سأل رجل رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله انا نركب في البحر ونحمل معنا القليل من الماء فان توضأنا به عطشنا افنتوضأ بماء البحر فقال رسول الله ﷺ هو الطهور ماؤه الحل ميتته اخبرنا عبد الواحد المليحي أنا احمد بن عبد الله النعيمي انا محمد بن يوسف انا محمد بن اسمعيل انا مسدد انا يحيى عن ابن جريج اخبرني عمرو انه سمع جابر رضي الله عنه يقول غزوت جيش الخبط وامر ابو عبيدة فجعنا جوعا شديدا فالقى البحر حوتا ميتا لم نر مثله يقال له العنبر فاكلنا منه نصف شهر فاخذ ابو عبيدة عظما من عظامه فمر الراكب تحته واخبرني ابو الزبير انه سمع جابر يقول قال ابو عبيدة كلوا فلما قدمنا المدينة ذكرنا ذلك للنبي ﷺ فقال كلوا رزقا اخرجه الله اليكم اطعمونا ان كان معكم فاتاه بعضهم بشيء منه فاكله وقوله تعالى (وحرم عليكم صيد البر مادمتم حرما واتقوا الله الذي اليه تحشرون) صيد البحر حلال للمحرم كما هو حلال لغير المحرم اما صيد البر فحرام على المحرم في الحرم والصيد هو الحيوان الوحشي الذي يحل اكله اما ما يحل اكله فلا يحرم بسبب الاحرام ويحرم أخذه وقتله ولا جزاء على من قتله إلا المتولد بين ما لا يؤكل لحمه وما يؤكل كالمتولد بين الذئب والظبي لا يحل اكله ويجب بقتله الجزاء على المحرم لأن فيه جزاء من الصيد انا ابو الحسن السرخسي انا زاهر بن احمد انا ابو اسحق الهاشمي انا ابو مصعب عن مالك عن نافع عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه ان النبي ﷺ قال خمس من الدواب ليس على المحرم في قتلهن جناح الغراب والحداة والعقرب والفأرة والكلب العقور وروى عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ انه قال يقتل المحرم السبع العادي وعن ابي هريرة ان رسول الله صلى

يعني ينتفع به المقيمون والمسافرون فيتزودون منه * قوله تعالى (وحرم عليكم صيد البر مادمتم حرما) ذكر الله عز وجل تحريم الصيد على المحرم في ثلاثة مواضع من هذه السورة أحدها في أول السورة وهو قوله غير محلي الصيد وأنتم حرم والثاني قوله يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم والثالث هذه الآية وحرم عليكم صيد البر مادمتم حرما كل ذلك تأكيد تحريم قتل الصيد على المحرم واختلف العلماء هل يجوز للمحرم ان يأكل من لحم صيد صاده غيره فذهب قوم إلى أنه لا يحل ذلك بحال يروى ذلك عن ابن عباس وهو قول طاوس واليه ذهب الثوري واحتجوا على ذلك بما روى عن الصعب بن جثامة الليثي أنه اهدى للنبي ﷺ حمارا وحشيا وهو بالابواء وبودان فرده عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رأى ما في وجهه من الكراهة قال إنا لم نرده عليك إلا أنا حرم أخرجاه في الصحيحين وذهب جمهور العلماء إلى أنه يجوز للمحرم ان يأكل لحم الصيد إذا لم يصده بنفسه ولا صيد له ولا باشارته ولا اعان عليه وهذا قول عمر وعثمان وأبي هريرة وبه قال عطاء ومجاهد وسعيد بن جبير وهو مذهب مالك والشافعي واحمد وأصحاب الرأي ويدل عليه ما روى عن ابي قتادة الانصاري قال كنت جالسا مع رجال من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم في منزل في طريق مكة ورسول الله صلى الله عليه وسلم امامنا والقوم محرمون وأنا غير محرم عام الحديبية فابصروا حمارا وحشيا وأنا مشغول أخصف نعلا فلم يؤذنوني وأحبوا لو أني ابصرته فالتفت فابصرته فقمت إلى الفرس فاسرجته ثم ركبت ونسيت السوط والرمح فقلت لهم ناولوني السوط والرمح قالوا لا والله لا نعينك عليه فغضبت ونزلت فاخذتهما ثم ركبت فشددت على الحمار فعقرته ثم جئت به وقد مات فوقعوا فيه يأكلون ثم أنهم شكوا في أكلهم اياه وهم حرم فرحنا وخبأت العضد فادركنا رسول الله ﷺ فسألته عن ذلك فقال هل معكم منه شيء فقلت نعم فناولته العضد فاكل منها وهو محرم وزاد في رواية ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لهم إنما هي طعمة أطعمكموها الله وفي رواية هو حلال فكلوه وفي رواية قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم هل منكم أحد أمره أن يحمل عليها أو أشار اليها قالوا لا قال كلوا ما بقي من لحمها أخرجاه في الصحيحين وأجاب أصحاب هذا المذهب عن حديث الصعب بن جثامة بأنه إنما رده النبي ﷺ لأنه ظن أنه إنما صيد لأجله والمحرم لا يأكل مصيد لأجله (واتقوا الله) يعني فلا تستحلوا الصيد في حال الاحرام ولا في الحرم ثم حذرهم بقوله (الذي اليه تحشرون) يعني

الله عليه وسلم قال خمس قتلهن حلال في الحرم الحية والعقرب والحدأة والفأرة والكلب العقور وقال سفيان بن عيينة الكلب العقور كل سبع ومثله عن مالك رحمه الله وذهب أصحاب الرأي إلى وجوب الجزاء في قتل ما لا يؤكل لحمه كالفهد والنمر والخنزير ونحوها إلا الاعيان المذكورة في الخبر وقاسوا عليها الذئب فلم يوجبوا فيه الكفارة وقاس الشافعي رحمه الله عليها جميع ما لا يؤكل لحمه لأن الحديث يشتمل على أعيان بعضها سباع ضارية وبعضها هوام قاتلة وبعضها طير لا يدخل في معنى السباع ولا هي من جملة الهوام وإنما هي حيوان مستخبث اللحم وتحريم الأكل يجمع الكل فاعتبره ورتب الحكم عليه (٨٠) قوله عز وجل (وجعل الله الكعبة البيت الحرام) قال مجاهد سميت كعبة لتربيعها والعرب تسمي كل بيت مربع كعبة قال مقاتل سميت كعبة لانفرادها من البناء وقيل سميت كعبة لارتفاعها من الأرض وأصلها من الخروج والارتفاع وسمي الكعب كعبا لنتوئه وخروجه من جانبي القدم ومنه قيل للجارية إذا قاربت البلوغ وخرج ثديها تكعبت وسمي البيت الحرام لأن الله تعالى حرمه وعظم حرمته قال النبي ﷺ ان الله تعالى حرم مكة يوم خلق السموات والأرض (قياما للناس) قرأ ابن عامر قيما بلا الف والاخرون قياما بالالف أي قواما لهم في أمر دينهم ودنياهم اما الدين لان به يقوم الحج والمناسك واما الدنيا فيما يجبى إليه من الثمرات وكانوا يأمنون فيه من النهار والغارة فلا يتعرض لهم احد في الحرم قال الله تعالى أولم يروا أنا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم (والشهر الحرام) أراد به الأشهر الحرم وهي ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب أراد أنه جعل الاشهر الحرم قياما للناس يأمنون فيها القتال (والهدى والقلائد) أرادا نهم كانوا يأمنون (ولو

في الاخرة فيجازيكم بأعمالكم * قوله عز وجل (جعل الله الكعبة البيت الحرام) جعل بمعنى صير وقيل معناه بين وحكم وقال مجاهد سمي البيت كعبة لتربيعه وقيل لارتفاعه عن الأرض وسمي البيت الحرام لأن الله حرمه وعظمه وشرفه وعظم حرمته وحرم أن يصطاد عنده وان يختلى خلاه وان يعضد شجره واراد بالبيت الحرام جميع الحرم لما صح من حديث ابن عباس أن النبي ﷺ خطب يوم فتح مكة فقال ان هذا البلد حرمه الله تعالى يوم خلق السموات والأرض فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة لا يعضد شوكه ولا ينفر صيده ولا يلتقط لقطته إلا من عرفها ويختلى خلاه * وقوله تعالى (قياما للناس) اصله قواما لأنه سبب لقوام مصالح الناس في أمر دينهم ودنياهم واخرتهم اما في امر الدين فانه به يقوم الحج وتتم المناسك وأما في امر الدنيا فانه تجبى اليه ثمرات كل شيء ويامنون فيه من النهب والغارة فلو لقي الرجل قاتل أبيه أو ابنه في الحرم لم يهجه وأما في أمر الآخرة فان البيت جعل لقيام المناسك عنده وجعلت تلك المناسك التي تقام عنده اسبابا لعلو الدرجات وتكفير الخطيئات وزيادة الكرامات والمثوبات فلما كانت الكعبة الشريفة سببا لحصول هذه الأشياء كانت سببا لقيام الناس (والشهر الحرام) يعني وجعل الشهر الحرام قياما للناس واراد بالشهر الحرام الأشهر الحرم الأربعة وهي ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب الفرد يعني وكذلك جعل الأشهر الحرم يأمنون فيها من القتال وذلك ان العرب كان يقتل بعضهم بعضا ويغير بعضهم على بعض وكانوا إذا دخلت الأشهر الحرم امسكوا عن القتال والغارة فيها فكانوا يأمنون في الاشهر الحرم فكانت سببا لقيام مصالح الناس (والهدى والقلائد) يعني وكذلك جعل الهدى والقلائد سببا لقيام مصالح الناس وذلك أنهم كانوا يأمنون يسوق الهدى إلى البيت الحرام على أنفسهم وكذلك كانوا يأمنون إذا قلدوا أنفسهم من لحاء شجر الحرام فلا يتعرض لهم (ذلك لتعلموا أن الله يعلم ما في السموات وما في الأرض) يعني أنه تعالى علم في الأول بمصالح العباد وما يحتاجون اليه فجعل الكعبة البيت الحرام والشهر الحرام والهدى والقلائد يأمنون بها لأنه يعلم مصالح العباد كما يعلم ما في السموات وما في الأرض لأنه تعالى علم جميع المعلومات الكليات والجزئيات وهو قوله تعالى (وان الله بكل شيء عليم) يعني أنه تعالى لا تخفى عليه خافية (اعلموا ان الله شديد العقاب) يعني لما انتهك محارمه واستحلها (وان الله غفور رحيم) يعني لمن تاب وآمن ولما ذكر الله أنواع رحمته بعباده ذكر بعدها أنه شديد العقاب لأن الايمان لا يتم إلا بحصول الرجاء والخوف ثم ذكر بعده ما يدل سعة رحمته وانه غفور رحيم * قوله تعالى (ما على الرسول إلا البلاغ) يعني ليس على رسولنا الذي ارسلناه اليكم إلا تبليغ ما أرسل به من الانذار بما فيه قطع الحجج في الاية تشديد عظيم في إيجاب القيام بما أمر الله وان الرسول ﷺ قد فرغ مما وجب عليه من التبليغ وقامت الحجة عليكم بذلك ولزمتكم الطاعة فلا عذر في التفريط (والله يعلم ما تبدون وما تكتمون) يعني أنه تعالى لا يخفى عليه شيء من احوالكم ظاهرا وباطنا (قل لا يستوي الخبيث والطيب) يعني الحلال والحرام في الدرجة والرتبة ولا يعتد الردىء والجيد ولا المسلم والكافر ولا الصالح والطالح

بتقليد الهدى فذلك القوام فيه (ذلك لتعلموا ان الله يعلم ما في السموات وما في الأرض والله بكل شيء عليم) فان قيل أي اتصال لهذا الكلام بما قبله قيل أراد ان الله عز وجل جعل الكعبة قياما للناس لأن الله تعالى يعلم صلاح العباد كما يعلم ما في السموات وما في الأرض وقال الزجاج قد سبق في هذه السورة الأخبار عن الغيوب والكشف عن الاسرار مثل قوله سماعون للكذب سماعون لقوم آخرين ومثل اخباره بتحريفهم الكتب ونحو ذلك فقوله ذلك لتعلموا أن الله يعلم ما في السموات وما في الأرض راجع اليه وقوله عز وجل (اعلموا أن الله شديد العقاب وأن الله غفور رحيم ما على الرسول إلا البلاغ) التبليغ (والله يعلم ما تبدون وما تكتمون قل لا يستوي الخبيث والطيب) أي الحلال

والحرام (ولو أعجبك) سرك (كثرة الخبيث) نزلت فى شريح بن ضبيعة البكرى وحجاج بن بكر بن وائل (فاتقوا الله) ولا تتعرضوا للحجاج وإن كانوا مشركين وقد مضت القصة فى أول السورة (يا أولى الألباب لعلكم تفلحون يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم) الاية أخبرنا عبد الواحد المليحى انا محمد بن عبد الله النعيمى انا محمد بن يوسف انا محمد بن اسمعيل انا حفص بن عمر انا هشام عن قتادة عن أنس رضى الله عنه سألوا رسول الله ﷺ حتى أحفوه بالمسألة فغضب فصعد المنبر فقال لا تسألونى اليوم عن شىء إلا بينته لكم فجعلت انظر يمينا وشمالا فاذا كان رجل لاف رأسه فى ثوبه يبكى فاذا رجل كان إذا لاحى الرجال يدعى لغير أبيه فقال يا رسول الله من أبى قال حذافة ثم أنشأ عمر فقال رضينا بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد ﷺ رسولا نعوذ بالله من الفتن فقال رسول الله ﷺ ما رأيت فى الخير والشر كاليوم قط ان صورت لى الجنة والنار حتى رأيتهما وراء الحائط وكان قتادة (٨١) يذكر عند هذا الحديث هذه الاية يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم قال يونس عن ابن شهاب اخبرنى عبيد الله بن عبد الله قال قالت أم عبد الله بن حذافة لعبد الله ابن حذافة ما سمعت بابن قط اعق منك امنت ان تكون امك قد فارقت بعض ما تفارقت نساء أهل الجاهلية ففضحها على اعين الناس قال عبد الله بن حذافة والله لو الحقنى بعبد اسود للحقته وروى عن عمر قال يا رسول الله انا حديث عهد بجاهلية فاعف عنا يعف الله سبحانه وتعالى عنك فسكن غضبه اخبرنا عبد الواحد المليحى انا احمد بن عبد الله النعيمى اخبرنا محمد بن يوسف انا محمد بن اسمعيل انا الفضل ابن سهل اخبرنا ابو النضر انا ابو خيثمة انا أبو جويرية عن ابن عباس قال كان

(ولو أعجبك كثرة الخبيث) يعنى ولو سرك كثرة الخبيث لأن عاقبته سوء والمعنى أن اهل الدنيا يعجبهم كثرة المال وزينة الدنيا وما عند الله خير وأبقى لان زينة الدنيا ونعيمها يزول وما عند الله يدوم وقال ابن الجوزى روى جابر بن عبد الله ان رجلا قال يا رسول الله ان الخمر كانت تجارتى فهل ينفعنى ذلك المال ان عملت فيه بطاعة الله فقال النبى ﷺ ان الله طيب لا يقبل إلا الطيب وقال مقاتل نزلت فى شريح بن ضبيعة البكرى وحجاج بن بكر وقد تقدمت القصة فى أول السورة (فاتقوا الله) يعنى فيما أمركم به أو نهاكم عنه ولا تعتدوه (يا أولى الألباب) يعنى يا ذوى العقول السليمة (لعلكم تفلحون) قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء ان تبد لكم تسؤكم) اختلفوا فى سبب نزول هذه الاية فروى عن أنس بن مالك قال خطب رسول الله ﷺ خطبة ما سمعنا مثلها قط فقال لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا قال فغطى اصحاب رسول الله ﷺ وجوههم لهم حنين فقال رجل من أبى فقال فلان فنزلت هذه الاية لا تسألوا عن أشياء ان تبد لكم تسؤكم وفى رواية أخرى ان رسول الله ﷺ خرج حين زاغت الشمس فصلى الظهر فقام على المنبر فذكر الساعة فذكر فيها أمورا عظاما ثم قال من احب ان يسألنى عن شىء فليسأل فلا تسألونى عن شىء إلا أخبرتكم به ما دمت فى مقامى فاكثر الناس البكاء واكثر ان يقول سلونى فبرك عمر على ركبتيه فقال رضينا بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد نبيا فسكت ثم قال عرضت على الجنة والنار انفا فى عرض هذا الحائط فلم أر كاليوم فى الخير والشر قال ابن شهاب فاخبرنى عبيد الله بن عبد الله ابن عتبة قال قالت ام عبد الله بن حذافة لعبد الله بن حذافة ما سمعت بابن قط اعق منك امنت ان تكون امك قارفت بعض ما تقارف اهل الجاهلية فتفضحها على اعين الناس فقال عبد الله بن حذافة لو الحقنى بعبد اسود للحقته زاد فى رواية اخرى قال قتادة يذكر هذا الحديث عند هذه الاية لا تسألوا عن أشياء ان تبد لكم تسؤكم اخرجاه فى الصحيحين (ح) عن ابن عباس قال كان قوم يسألون رسول الله ﷺ استهزاء فيقول الرجل من أبى ويقول الرجل ضلت ناقته اين ناقتى فانزل الله فيهم هذه الاية يا أيها الذين امنوا لا تسألوا عن اشياء ان تبد لكم تسؤكم الاية كلها وقيل نزلت هذه الاية فى شأن الحج عن على بن أبى طالب قال لما نزلت ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا قالوا يا رسول الله فى كل عام فسكت فقالوا يا رسول الله فى كل عام قال لا ولو قلت نعم لوجبت فانزل الله عز وجل يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن اشياء ان تبد لكم تسؤكم اخرجه الترمذى وقال حديث غريب (م) عن ابى هريرة قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ايها الناس قد فرض عليكم الحج فحجوا فقال رجل افى كل عام

(١١ - خازن - ى) قوم يسألون رسول الله ﷺ استهزاء فيقول الرجل من أبى ويقول الرجل ضلت ناقته أين ناقتى فأنزل الله فيهم هذه الآية يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم حتى فرغ من الآية كلها وروى عن على رضى الله عنه قال لما نزلت ولله على الناس حج البيت قال رجل يا رسول الله أفى كل عام فأعرض عنه فعاد مرتين أو ثلاثا فقال النبى ﷺ ما يؤمنك أن أقول نعم والله لو قلت نعم لوجبت ولو وجبت ما استطعتم فاتركونى ما تركتكم فانما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم فاذا أمرتكم بشىء فأتوا منه ما استطعتم وإذا نهيتكم عن شىء فاجتنبوه فأنزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء ان تبد لكم تسؤكم أى إن تظهر لكم تسؤكم أى ان امرتم بالعمل بها فان من سأل عن الحج لم يأمن أن يؤمر به فى كل عام فيسوءه ومن سأل عن نسبه لم يأمن من أن يلحقه بغيره فيفتضح وقال مجاهد نزلت حين سألوا رسول الله ﷺ عن البحيرة والسائبة والوصيلة والحام ألا تراه ذكره بعد ذلك

(وإن تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم) معناه إن صبرتم حتى ينزل القرآن بحكم من فرض أو نهى أو حكم وليس في ظاهره شرح ما بكم إليه حاجة ومست حاجتكم إليه فاذا سألتم عنها حينئذ تبد لكم (عفا الله عنها والله غفور حليم قد سألها قوم من قبلكم) كما سالت ثمود صالحا الناقة وسأل قوم عيسى المائدة (ثم أصبحوا بها كافرين) فاهلكوا قال ابو ثعلبة الخشني ان الله فرض فرائض فلا تضيعوها ونهى عن أشياء فلا تنتهكوها وحد حدودا فلا تعتدوها وعفا عن اشياء (٨٢) من غير نسيان فلا تبحثوا عنها قوله عز وجل (ما جعل الله من بحيرة) أي ما انزل الله ولا أمر به (ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام) قال ابن عباس في بيان هذه الأوضاع البحيرة هي الناقة التي كانت إذا ولدت خمسة ابطن بحروا أذنها اي شقوها وتركوا الحمل عليها ولم يركبوها ولم يجزوا وبرها ولم يمنعوها الماء والكلا ثم نظروا إلى خامس ولدها فان كان ذكرا نحروه واكله الرجال والنساء وان كان انثى تحروا اذنها أي شقوها وتركوها وحرم على النساء لبنها ومنافعها وكانت منافعها خاصة للرجال فاذا ماتت حلت للرجال والنساء وقيل كانت الناقة إذا تابعت اثنتي عشرة سنة انا ناسيبت فلم يركب ظهرها ولم يجز وبرها ولم يشرب لبنها إلا ضيف فما نتجت بعد ذلك من انثى شق أذنها ثم خلى سبيلها مع امها في الابل فلم يركب ظهرها ولم يجز وبرها ولم يشرب لبنها إلا ضيف كما فعل بأمها فهي البحيرة بنت السائبة البعير الذي يسيب السائبة وقال ابو عبيدة السائبة البعير الذي يسيب وذلك ان الرجل من أهل الجاهلية كان إذا مرض او غاب له قريب نذر فقال إن شفاني الله تعالى أو شفى مريضي فناقتي هذه سائبة ثم يسيبها فلا تحبس عن رعي ولا ماء ولا يركبها أحد فكانت بمنزلة البحيرة وقال علقمة يحمى هي العبد يسيب على ان لا ولاء عليه ولا عقل ولا ميراث وقال ﷺ إنما الولاء لمن اعتق والسائبة فاعلة بمعنى المفعولة وهي المسيبة كقوله تعالى ماء دافق أي مدفوق وعيشة راضية وأما الوصيلة فمن الغنم كانت الشاة إذا ولدت سبعة أبطن نظروا فان كان السابع ذكرا ذبحوه فاكل منه الرجال والنساء وإن كانت انثى تركوها في الغنم وإن كان ذكرا وأنثى استحيوا الذكر من اجل

فسكت حتى قالها ثلاثا ثم قال ذروني ما تركتكم ولو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم وإنما أهلك من كان قبلكم كثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم إذا امرتكم بشيء فاتوا منه ما استطعتم وإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه وروى مجاهد عن ابن عباس لا تسألوا عن أشياء قال هي البحيرة والوصيلة والسائبة والحام الا ترى انه يقول بعد ذلك ما جعل الله من بحيرة ولا كذا ولا كذا وقال عكرمة أنهم كانوا يسالونه عن الآيات فنهوا عن ذلك ثم قال قد سألها قوم من قبلكم ثم أصبحوا بها كافرين ومعنى الاية يا أيها الذين آمنوا لا تسالوا عن أشياء جمع شيء إن تبد لكم اى تظهر لكم وتبين لكم تسؤكم يعني إن امرتم بالعمل بها فان من سأل عن الحج لم يامن ان يؤمر به فلا يقدر عليه فيسوءه ذلك ومن سال عن نسبه لم يأمن ان يلحقه النبي ﷺ بغير أبيه فيفتضح ويسوءه ذلك (وإن تسألوا عنها حين ينزل القران تبد لكم) معناه إن صبرتم حتى ينزل القرآن بحكم من فرض أو نهى او حكم وليس في ظاهره شرح ما تحتاجون إليه ومست حاجتكم إليه فاذا سالتم عنه فحينئذ يبدى لكم ومثال هذا ان الله عز وجل لما بين عدة المطلقة والمتوفى عنها زوجها والحامل لم يكن في عدد هؤلاء دليل على عدة التي ليست ذات قرء ولا حامل فسالوا عنها فانزل الله عز وجل جوابهم في قوله واللائي يئسن من المحيض من نسائكم الاية (عفا الله عنها) يعني عن مسئلتكم عن الأشياء التي سالتم عنها رسول الله ﷺ التي كره الله لكم السؤال عنها فلم يؤاخذكم بها ولم يعاقبكم عليها (والله غفور) يعني لمن تاب منكم (حليم) فلا يعجل بعقوبتكم وقال عطاء غفور يعني لما كان في الجاهلية حليم يعني عن عقابكم منذ امنتم وصدقتكم وقال بعض العلماء الأشياء التي يجوز السؤال عنها هي ما يترتب عليها أمر الدين والدنيا من مصالح العباد وما عدا ذلك فلا يجوز السؤال عنه (ق) عن سعد بن أبي وقاص ان رسول الله ﷺ قال إن أعظم المسلمين في المسلمين جرما من سال عن شيء لم يحرم على الناس فحرم من أجل مسئلته (ق) عن المغيرة بن شعبة انه كتب على معاوية أن النبي ﷺ كان ينهى عن قيل وقال وإضاعة المال وكثرة السؤال عن معاوية أن النبي ﷺ نهى عن الأغلوطات أخرجه ابو داود الأغلوطات صعاب المسائل التي تزل فيها أقدام العلماء ويؤيد ذلك قول ابي هريرة شرار الناس الذين يسألون عن شرار المسائل كي يغلطوا بها العلماء عن سلمان قال سئل رسول الله ﷺ عن أشياء فقال الحلال ما أحل الله في كتابه والحرام ما حرمه الله في كتابه وما سكت عنه فهو مما قد عفا فلا تتكلفوا وعن ابي ثعلبة الخشني ان رسول الله ﷺ قال إن الله تعالى فرض فرائض فلا تضيعوها وحد حدودا فلا تعتدوها وحرم أشياء فلا تقربوها وترك أشياء من غير نسيان فلا تبحثوا عنها هذان الحديثان اخرجهما في جامع الأصول ولم يعزهما إلى الكتب الستة ثم قال تعالى (قد سألها قوم من قبلكم ثم أصبحوا بها كافرين) قال المفسرون يعني قوم صالح سالوا الناقة ثم عقروها فاصبحوا بها كافرين وقوم موسى قالوا ارنا الله جهرة فكان هذا السؤال وبالا عليهم وقوم عيسى سالوا انزول المائدة عليهم ثم كذبوها كانه تعالى يقول إن أولئك سالوا فاما اعطوا سؤلهم كفروا به فلا تسألوا انتم شيئا فلعلكم إن اعطيتم سؤلكم سائكم ذلك ، قوله تعالى (ما جعل الله) أي ما انزل الله ولا حكم به ولا شرعه ولا أمر به (من بحيرة) البحيرة من البحر وهو الشق يقال بحر ناقته إذا شق أذنها فهي فعيلة بمعنى مفعولة (ولا سائبة) يعني المسيبة المخلاة (ولا وصيلة) الوصيلة الشاة وكانت العرب في الجاهلية إذا ولدت لهم ذكرا وأنثى قالوا وصلت أخاها (ولا حام) الحام هو الفحل من الابل

الأنثى وقالوا واصلت أخاها فلم يذبحوه وكان لبن الأنثى حراما على النساء فان مات منهما شيء أكله الرجال والنساء جميعا وأما الحام فهو الفحل إذا ركب ولد ولده ويقال إذا نتج من صلبه عشرة أبطن قالوا حمى ظهره فلا يركب ولا يحمل عليه ولا يمنع من كلأ ولا ماء فاذا مات أكله الرجال والنساء أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي بن عبد الله النعيمي انا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا إبراهيم بن سعد عن صالح بن كيسان عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب قال البحيرة التي يمنع درها للطواغيت فلا يحلبها أحد من الناس والسائبة كانوا يسيبونها لآلهتهم لا يحمل عليها شيء قال ابو هريرة قال رسول الله ﷺ رأيت عمرو بن عامر الخزاعي يجر

يحمى ظهره فلا يركب وينتفع به قال ابن عباس في بيان هذه الأوصاف البحيرة هي الناقة إذا ولدت خمسة ابطن لم يركبوها ولم يجزوا وبرها ولم يمنعوها الماء والكلأ ثم نظروا إلى خامس ولدها فان كان ذكرا نحروه واكله الرجال والنساء وإن كانت انثى شقوا أذنها وتركوها وحرموا على النساء منافعها وكانت منافعها للرجال خاصة فاذا ماتت حلت للرجال والنساء وقيل كانت الناقة إذا تابعت اثنتي عشرة سنة اناثا سيبت فلم يركب ظهرها ولم يجز وبرها ولم يشرب لبنها إلا ضيف فما نتجت بعد ذلك من أنثى شق اذنها ثم سيبت مع أمها ويفعل بها كما يفعل بامها وقيل السائبة البعير الذي يسيب لآلهتهم وذلك ان العجل من أهل الجاهلية كان إذا مرض أو غاب له قريب نذر فقال إن شفاني الله وشفى الله مريضي أو قدم غائبي فناقتي هذه سائبة يسيبها فلا تحبس عن ماء ولا مرعى ولا يركبها أحد فهي بمنزلة البحيرة والوصيلة من الغنم كانت الشاة إذا ولدت سبعة أبطن نظروا فان كان السابع ذكر ذبحوه واكل منه الرجال والنساء وان كانت انثى تركوها في الغنم وإن كانت ولدت ذكرا وأنثى قالوا وصلت اخاها واستحيوا الذكر فلم يذبحوه من أجل الأنثى والحامي هو الفحل إذا ركب ولده وقيل هو الفحل إذا نتج من صلبه عشرة ابطن قالوا حمى ظهره فلا يركب ولا يحمل عليه ولا يمنع من ماء ولا مرعى فاذا مات اكله الرجال والنساء (ق) عن سعيد بن المسيب قال البحيرة التي يمنع درها للطواغيت فلا يحلبها أحد من الناس والسائبة كانوا يسيبونها لآلهتهم لا يحمل عليها شيء قال ابو هريرة قال رسول الله ﷺ رايت عمرو بن عامر الخزاعي يجر قصبه في النار ولمسلم عن ابي هريرة قال قال رسول الله ﷺ رأيت عمرو بن لحي بن قمعة بن خندف أخا بني كعب وهو يجر قصبه في النار (خ) عن عائشة قالت قال رسول الله ﷺ رأيت جهنم تحطم بعضها بعضا ورأيت عمرا يجر قصبة وهو أول من سيب السوائب القصب بضم القاف وسكون الصاد المهملة الأمعاء كانت الجاهلية تفعل هذا في جاهليتهم فلما بعث الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم ابطل ذلك بقوله ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام يعني ما بحر الله من بحيرة ولا سيب من سائبة ولا وصل من وصيلة ولا حمى من حام ولا اذن فيه ولا أمر به ولكنكم انتم فعلتم ذلك من عند أنفسكم (خ) عن ابن مسعود ان أهل الإسلام لا يسيبون وأن اهل الجاهلية كانوا يسيبونه وقوله تعالى (ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب) يعني بقولهم إن الله أمرنا بها (وأكثرهم لا يعقلون) أراد بالاكثر الإتباع يعني أن الإتباع لا تعقل أن هذا كذب وافتراء من الرؤساء على الله عز وجل (وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله إلى الرسول) يعني وإذا قيل لهؤلاء الذين بحروا البحائر وفعلوا هذه الأشياء أضافوها إلى الله كذبا تعالوا إلى ما أنزل الله يعني في كتابه وإلى الرسول يعني محمدا صلى الله عليه وسلم الذي أنزل عليه كتابه ليبين لكم كذب ما تضيفونه إلى الله ويبين لكم الشرائع والأحكام وان الذي تفعلونه ليس بشيء (قالوا حسبنا ما وجدنا عليه اباءنا) يعني قد اكتفينا بما أخذنا عنهم من الدين ونحن لهم تبع قال الله رد عليهم (أولو كان اباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون) يعني إنما يصح الإقتداء بالعالم المهتدي الذي يبني قوله على الحجة والبرهان والدليل ان آباءهم ما كانوا كذلك فيصح اقتداؤهم بهم قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم) قال بعض

سيب السوائب روى محمد ابن اسحق عن محمد بن ابراهيم التيمي عن ابي صالح السمان عن ابي هريرة قال قال رسول الله ﷺ لاكثم بن جون الخزاعي يا اكثم رايت عمرو بن لحي ابن قمعة بن خندق يجر قصبه في النار فما رايت من رجل اشبه برجل منك به ولا به منك ذلك انه أول من غير دين اسماعيل ونصب الاوثان وبحر البحيرة وسيب السائبة ووصل الوصيلة وحمى الحامي فلقد رأيته في النار يؤذي أهل النار بريح قصب فقال اكثم ايضر في شبه يا رسول الله فقال لا انك مؤمن وهو كافر (ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب) في قولهم الله امرنا بها (واكثرهم لا يعقلون وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما انزل الله وإلى الرسول) في تحليل الحرث والأنعام وبيان الشرائع والأحكام (قالوا حسبنا ما وجدنا عليه اباءنا) من الدين قال الله تعالى (أولو كان اباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون) قوله عز وجل (يا ايها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم) روينا عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال الناس انكم تقرؤن هذه الآية يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم وتضعونها في غير موضعها ولا تدرون ما هي وإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الناس إذا رأوا منكرا فلم يغيروه يوشك ان يعمهم الله تعالى بعقابه وفي رواية لتامرون بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليسلطن الله سبحانه وتعالى عليكم شراركم فليسومونكم سوء العذاب ثم ليدعون الله عز وجل خياركم فلا يستجاب لكم قال ابو عبيدة خلف الصديق أن يتاول الناس الاية غير متاولها فيدعوهم الى ترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فاعلمهم انها ليست كذلك وان

الذى أذن الامساك عن تغييره من المنكر هو الشرك الذى ينطق به المعاهدون من أجل انهم يتدينون به وقد صولحوا عليه فاما الفسوق والعصيان والذنب من أهل الاسلام فلا يدخل فيه وقال مجاهد وسعيد بن جبير الآية فى اليهود والنصارى يعنى عليكم انفسكم لا يضركم من ضل من أهل الكتاب فخذوا منهم الجزية واتركوهم وعن ابن عباس قال فى هذه الآية مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر ما قبل منكم فان ردعليكم فعليكم انفسكم ثم قال ان القرآن نزل منه اى قد مضى تأويلهن قبل أن ينزل ومنه اى وقع تأويلهن على عهد رسول الله ﷺ ومنه أى وقع تأويلهن بعد رسول الله ومنه اى يقع تأويلهن فى آخر الزمان ومنه اى يقع تأويلهن يوم القيامة ماذكر من الحساب والجنة والنار فما دامت قلوبكم واهواؤكم واحدة ولم تلبسوا شيعا ولم يذق بعضكم بأس بعض فامروا وانهوا وإذا اختلفت القلوب والاهواء والبستم شيعا وذاق بعضكم بأس بعض فامرؤ ونفسه فعند ذلك جاء تأويل هذه الاية

العلماء هذا أمر من الله تعالى ومعناه احفظوا أنفسكم من ملابسة الذنوب والاصرار على المعاصى لانك اذا قلت عليك زيدا معناه الزم زيدا وقيل معناه عليكم أنفسكم فاصلحوها واعملوا فى خلاصها من عذاب الله عز وجل وانظروا لها ما يقربها من الله عز وجل لا يضركم من ضل إذا اهتديتم يعنى لا يضركم كفر من كفر إذا كنتم مهديين وأطعتم الله عز وجل فيما امركم به ونهاكم عنه قال سعيد بن جبير ومجاهد نزلت هذه الاية فى اهل الكتاب اليهود والنصارى يعنى عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل من اهل الكتاب فخذوا منهم الجزية واتركوهم وقيل لما قبلت الجزية من اهل الكتاب قال بعض الكفار كيف تقبل الجزية من بعض دون بعض فنزلت هذه الاية وقيل ان المؤمنين كان يشتد عليهم بقاء الكفار على كفرهم فقيل لهم عليكم أنفسكم واجتهدوا فى صلاحها لا يضركم ضلال الضالين ولا جهل الجاهلين إذا كنتم مهتدين ۞ فان قلت هل يدل ظاهر هذه الآية على جواز ترك الامر بالمعروف والنهى عن المنكر ۞ قلت لا يدل على ذلك والذى عليه أكثر الناس ان المطيع لربه عز وجل لا يكون مؤاخذ بذنوب اصحاب المعاصى فأما وجوب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فثابت بدليل الكتاب والسنة عن قيس بن ابى حازم عن ابى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه انه قال أيها الناس انكم تقرؤن هذه الآية يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم ولا تضعونها موضعها ولا تدرون ما هى وانى سمعت رسول الله ﷺ يقول ان الناس اذا رأوا ظالما فلم ياخذوا على يديه اوشك ان يعمهم الله بعقاب منه اخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح واخرجه ابو داود زاد فيه ما من قوم يعمل فيهم بالمعاصى ثم يقدرون على ان يغيروا ولا يغيروا الا يوشك ان يعمهم الله بعقاب وقال قوم فى معنى الاية عليكم انفسكم اذا أمرتم بالمعروف ونهيتم عن المنكر فلم يقبل منكم قال ابن مسعود مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر ما قبل منكم فان رد عليكم فعليكم انفسكم ثم قال ان القرآن نزل منه اى قد مضى تأويلهن قبل ان ينزلن ومنه اى وقع تأويلهن على عهد رسول الله ﷺ ومنه اى وقع تأويلهن بعد رسول الله ﷺ بيسير ومنه اى يقع تأويلهن فى آخر الزمان ومنه اى يقع تأويلهن يوم القيامة وهو ماذكر من الحساب والجنة والنار فما دامت قلوبكم واهواؤكم واحدة لم تلبسوا شيعا ولم يذق بعضكم بأس بعض فأمروا بالمعروف وانهوا عن المنكر فاذا اختلفت قلوبكم واهواؤكم وألبستم شيعا واذيق بعضكم بأس بعض فامرؤ ونفسه فعند ذلك جاء تأويل هذه الاية وقيل لابن عمر لو جلست فى هذه الأيام فلا تأمر ولم تنه فان الله يقول عليكم انفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم فقال ابن عمر انها ليست لى ولا لأصحابى لأن رسول الله ﷺ قال الا ليبلغ الشاهد الغائب فكنا نحن الشهود وانت الغائب ولكن هذه الاية لاقوام يجيؤن من بعدنا ان قالوا لم يقبل منهم وعن ابى امية الشعبانى قال اتيت ابا ثعلبة الخشنى فقلت له كيف تصنع بهذه الاية قال اية آية قلت يا ايها الذين آمنوا عليكم انفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم قال اما والله لقد سألت عنها خبيرا سألت عنها رسول الله ﷺ فقال ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر حتى إذا رايت شحا مطاعا وهوى متبعا ودنيا مؤثرة وإعجاب كل ذى رأى برايه فعليك بخاصة نفسك ودع امر العوام فان وراءكم ايام الصبر فمن صبر فيهن قبض على الجمر للعامل فيهن مثل اجر خمسين رجلا يعملون مثله قال ابن المبارك وزادنى غيره قالوا يا رسول الله اجر خمسين منهم قال اجر خمسين منكم وقيل نزلت فى اهل الأهواء قال ابو جعفر الرازى دخل على صفوان بن محرز شاب من اهل الاهواء فذكر شيأ من امره فقال صفوان الا ادلك على خاصة الله التى خص بها أولياءه يا ايها الذين آمنوا عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم

والجنة والنار فما دامت قلوبكم واهواؤكم واحدة ولم تلبسوا شيعا ولم يذق بعضكم بأس بعض فامروا وانهوا وإذا اختلفت القلوب والاهواء والبستم شيعا وذاق بعضكم بأس بعض فامرؤ ونفسه فعند ذلك جاء تأويل هذه الاية

اخبرنا عبد الواحد المليحى أنا احمد بن عبد الله النعيمى أنا أبو جعفر احمد بن محمد العنبرى اخبرنا أبو عيسى ابن نضر انا عبد الله بن المبارك انا عتبة بن أبى حكيم حدثنى عمرو بن جارية اللخمى انا أبو أمية الشعبانى قال أتيت أبا ثعلبة الخشنى فقلت يا أبا ثعلبة كيف تصنع فى هذه الاية قال أية آية قلت قول الله عز وجل عليكم انفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم فقال اما والله لقد سألت عنها خبيرا سألت عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بل ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر حتى إذا رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا ودنيا مؤثرة وإعجاب كل ذى رأى برايه وراءيت امرا لا بد لك فعليك نفسك ودع امر العوام فان وراءكم ايام الصبر فمن صبر فيهن ودع

ودع العلوم فان من ورائكم أيام الصبر فمن صبر فيهن قبض على الجر للعامل فيهن مثل أجر خمسين رجلا يعملون مثل عملكم وفى رواية قيل يارسول الله أجر خمسين رجلا منا أو منهم قال لا بل أجر خمسين منكم أخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب وقيل فى معنى الاية ان العبد إذا عمل بطاعة الله واجتنب نواهيه لا يضره من ضل وقال ابن عباس قوله عليكم انفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم بقول إذا ما العبد أطاعنى فيما أمرته من الحلال والحرام فلا يضره من ضل بعده إذا عمل بما أمرته به وعن صفوان بن محرز قال دخل على شاب من أصحاب الأهواء فذكر شيئا من أمره فقلت له ألا أدلك على خاصة الله التى خص بها أولياءه يا أيها الذين آمنوا عليكم انفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم وقال الحسن لم يكن مؤمن فيما مضى ولا مؤمن فيما بقى إلا والى جانبه منافق يكره عمله وقيل فى معنى الاية لا يضركم من كفر بالله وحاد عن قصد السبيل من أهل الكتاب إذا اهتديتم أنتم قال سعيد بن جبير نزلت هذه الاية فى أهل الكتاب وقال ابن زيد كان الرجل إذا اسلم قالوا له سفهت اباءك وضللتم وفعلت وفعلت وكان ينبغى لك أن تنصرهم وتفعل وتفعل فقال الله عز وجل يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم قال الطبرى وأولى هذه الاقوال وأصح التأويلات عندنا فى هذه الاية ما روى عن أبى بكر الصديق وهو العمل بطاعة الله وأداء ما لزم من الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والأخذ على يد الظالم لأن الله تعالى يقول وتعاونوا على البر والتقوى ومن التعاون على البر والتقوى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والاخذ على يد الظالم حتى يرجع عن ظلمه وقال عبد الله بن المبارك هذه الاية أو كداية فى وجوب الامر بالمعروف والنهى عن المنكر لان الله تعالى قال عليكم أنفسكم يعنى أهل دينكم بان يعظ بعضكم بعضا ويرغبه فى الخيرات وينفره عن القبائح والمكروهات والذى يؤكد ذلك أن معنى قوله عليكم أنفسكم يعنى احفظوا أنفسكم وهذا أمر بان نحفظ أنفسنا ولا يتم ذلك إلا بالامر بالمعروف والنهى عن المنكر والله اعلم وقوله تعالى (إلى الله مرجعكم جميعا) يعنى فى الاخرة الطائع والعاصى والضال والمهتدى (فينبئكم بما كنتم تعملون) يعنى فيخبركم باعمالكم ويجزيكم عليها وقوله تعالى (يا أيها الذين امنوا شهادة بينكم) سبب نزول هذه الاية ما روى ان تميم بن أوس الدارى وعدى بن بداء اخرجا من المدينة فى تجارة إلى الشام وهما نصرانيان ومعهما بديل مولى عمرو بن العاص وكان مسلما فلما قدموا الشام مرض بديل فكتب كتابا فيه جميع ما معه من المتاع وألقاه فى جوالقه ولم يخبر صاحبيه بذلك فلما اشتد وجعه أوصى إلى تميم وعدى وأمرهم ان يدفعا متاعه إذا رجعا إلى أهله ومات بديل ففتشا متاعه واخذا منه اناء من فضة منقوشا بالذهب فيه ثلاثمائة مثقال فضة فغيباه ثم قضيا حاجتهما وانصرفا إلى المدينة فدفعا المتاع إلى أهل البيت ففتشوه وأصابوا الصحيفة فيها تسمية ما كان معه فجاءوا تميما وعديا فقالوا أهل باع صاحبنا شيئا من متاعه قالا لا قالوا فهل اتجر تجارة قالا لا قالوا فهل طال مرضه فانفق على نفسه قالا لا فقالوا انا وجدنا فى متاعه صحيفة فيها تسمية ما كان معه وقد فقدنا منها إناء من فضة منقوشا بالذهب فيه ثلاثمائة مثقال فضة قالا لا ندرى إنما أوصى الينا بشىء وأمرنا أن ندفعه اليكم فدفعناه وما لنا علم بالاناء فاختصموا إلى النبى ﷺ فاصرا على الانكار وحلفا فانزل الله هذه الاية هذا قول المفسرين وروى الترمذى عن ابن عباس عن تميم الدارى فى هذه الاية يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم إذا حضر أحدكم الموت قال تميم برىء الناس منها غيرى وغير عدى بن بداء وكانا نصرانيين يختلفان إلى الشام بتجارتهما قبل الاسلام فاتيا إلى الشام بتجارتها وقدم عليهما مولى لبنى سهم يقال له بديل بن ابى مريم بتجارة ومعه جام فضة يريد الملك وهو أعظم تجارته فمرض فأوصى اليهما وأمرهما أن يبلغا ما ترك أهله قال تميم ولما مات أخذنا ذلك الجام فبعناه بالف درهم ثم اقتسمناه انا وعدى فلما اتينا أهله دفعنا اليهم ما كان معنا وفقد الجام فسالونا عنه فقلنا ما ترك غير هذا ولا دفع الينا غيره قال تميم فلما اسلمت بعد قدوم النبى صلى الله عليه وسلم المدينة تأثمت من ذلك فأتيت أهله فاخبرتهم الخبر وأديت منهم خمسمائة درهم وأخبرتهم عند صاحبى مثلها فاتوا به رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألهم البينة

قوله عز وجل (إلى الله مرجعكم جميعا) الضال والمهتدى (فينبئكم بما كنتم تعملون) قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم) سبب نزول هذه الاية ما روى ان تميم بن أوس الدارى وعدى بن زيد قد خرجا من المدينة للتجارة إلى أرض الشام وهما نصرانيان ومعهما بديل مولى عمرو بن العاص وكان مسلما فلما قدموا الشام مرض بديل فكتب كتابا فيه جميع ما معه من المتاع وألقاه فى جوالقه ولم يخبر صاحبيه بذلك فلما اشتد وجعه اوصى إلى تميم وعدى وأمرهم ان يدفعا متاعه اذا رجعا إلى اهله ومات بديل ففتشا امتاعه واخذا منه اناء من فضة منقوشا بالذهب فيه ثلاثمائة مثقال فضة فغيباه ثم قضيا حاجتهما وانصرفا إلى المدينة فدفعا المتاع إلى أهل البيت ففتشوه وأصابوا الصحيفة فيها تسمية ما كان معه فجاءوا تميما وعديا فقالوا أهل باع صاحبنا شيئا من متاعه قالا لا قالوا فهل اتجر تجارة قالا لا قالوا فهل طال مرضه فانفق على نفسه قالا لا فقالوا انا وجدنا فى متاعه صحيفة فيها تسمية ما معه وإنا قد فقدنا منها إناء من فضة مموها بالذهب فيه ثلاثمائة مثقال فضة قالا ما ندرى انما أوصى لنا بشىء فأمرنا أن ندفعه اليكم فدفعناه وما لنا علم بالاناء فاختصموه الى النبى ﷺ

فأصرا على الانكار وحلفا فأنزل الله عز وجل هذه الاية يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم

(إذا حضر أحدكم الموت حين الوصية اثنان) أى ليشهد اثنان لفظه خبر ومعناه أمر وقيل إن معناه أن الشهادة فيما بينكم على الوصية عند الموت اثنان واختلفوا فى هذين الإثنين فقال قوم هما الشاهدان اللذان يشهدان على وصية الموصى وقال الآخرون هما الوصيان لأن الآية نزلت فيهما ولأنه قال تحبسونهما من (٨٦) بعد الصلاة فيقسمان ولا يلزم الشاهد يمين وجعل الوصى اثنين تأكيدا فعلى هذا تكون الشهادة بمعنى الحضور كقولك شهدت وصية فلان بمعنى حضرت قال الله تعالى وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين يريد الحضور (ذوعدل) اى امانة وعقل (منكم) اى من اهل دينكم يامعشر المؤمنين (او اخران من غيركم) اى من غير دينكم وملتكم فى قول اكثر المفسرين قاله ابن عباس وابو موسى الاشعرى وهو قول سعيد بن المسيب وإبراهيم النخعى وسعيد ابن جبير ومجاهد وعبيدة ثم اختلف هؤلاء فى حكم الاية فقال النخعى وجماعة هى منسوخة وكانت شهادة اهل الذمة مقبولة فى الابتداء ثم نسخت وذهب قوم إلى انها ثابتة وقالوا إذا لم نجد مسلمين فنشهد كافرين قال شريح من كان بارض غربة ولم يجد مسلما يشهده على وصيته فليشهد كافرين على اى دين كانا من دين اهل الكتاب او عبدة الاوثان فشهادتهم جائزة ولا تجوز شهادة كافر على مسلم إلا على وصية فى سفر وعن الشعبى ان رجلا من المسلمين حضرته الوفاة بدقوقا ولم يجد مسلما يشهده على وصيته فأشهد رجلين من اهل الكتاب فقدما الكوفة بتركته واتيا الأشعرى فاخبراه بتركته ووصيته فقال الأشعرى هذا امر لم يكن بعد الذى كان فى عهد النبى ﷺ فاحلفهما وامضى شهادتهما وقال اخرون قوله ذوا عدل منكم اى من حى الموصى او اخران من غير حيكم وعشيرتكم هو قول الحسن والزهرى وعكرمة وقالوا لا تجوز شهادة كافر فى شىء

فلم يجدوا فأمرهم أن يستحلفوه بما يعظم على أهل دينه فحلف فأنزل الله يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم إذا حضر أحدكم الموت إلى قوله أو يخافوا أن ترد ايمان بعد ايمانهم فقام عمرو بن العاص ورجل آخر فحلفا فنزعت الخمسمائة درهم من عدى قال الترمذى وهذا حديث غريب وليس إسناده بصحيح وقد روى عن ابن عباس شىء من هذا على الاختصار من غير هذا الوجه قال ابن عباس خرج رجل من بنى سهم مع تميم الدارى وعدى بن بداء فمات السهمى بارض ليس فيها مسلم فلما قدما بتركته فقدوا جاما من فضة مخوصا بالذهب فاحلفهما رسول الله ﷺ ثم وجدوا الجام بمكة فقيل اشتريناه من تميم وعدى فقام رجلان من أولياء السهمى فحلفا بالله لشهادتنا أحق من شهادتهما وأن الجام لصاحبهم قال وفيهم نزلت هذه الاية يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم إذا حضر أحدكم الموت أخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب وأخرج هذه الرواية الأخيرة البخارى فى صحيحه فأما التفسير فقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم يعنى ليشهد ما بينكم لأن الشهادة إنما يحتاج إليها عند وقوع التنازع والتشاجر (إذا حضر أحدكم الموت) يعنى إذا قارب وقت حضور الموت (حين الوصية اثنان) لفظه خبر ومعناه الأمر يعنى ليشهد اثنان منكم عند حضور الموت وأردتم الوصية (ذوا عدل منكم) يعنى من أهل دينكم وملتكم يامعشر المؤمنين واختلفوا فى هذين الاثنين فقيل هما الشاهدان اللذان يشهدان على وصية الموصى وقيل هما الوصيان لأن الاية نزلت فيهما ولأنه قال تعالى فيقسم بالله والشاهد لا يلزمه يمين وجعل الوصى اثنين تأكيدا فعلى هذا تكون الشهادة بمعنى الحضور كقولك شهدت وصية فلان بمعنى حضرت (أو اخران من غيركم) يعنى من غير أهل دينكم وملتكم وهذا قول ابن عباس وأبى موسى الأشعرى وسعيد بن المسيب وابن جبير والنخعى والشعبى وابن سيرين وشريح وأكثر المفسرين رقيل معناه من غير عشيرتكم وقبيلتكم وهم مسلمون واختلف العلماء فى حكم هذه الاية فقال إبراهيم النخعى وجماعة هى منسوخة كانت شهادة أهل الذمة مقبولة فى الابتداء ثم نسخت بقوله تعالى واستشهدوا شهيدين من رجالكم لأن إجماع الأمة على أن شهادة الفاسق لا تجوز فشهادة الكفار وأهل الذمة لا تجوز بطريق الأولى وذهب قوم إلى انها ثابتة لم تنسخ وهو قول ابن عباس وأبى موسى الأشعرى وسعيد بن المسيب وابن جبير وابن سيرين وبه قال أحمد بن حنبل قالوا إذا لم يجد مسلمين يشهدان على وصيته وهو فى أرض غربة فليشهد كافرين أو ذميين أو من اى دين كانا لأن هذا موضع ضرورة قال شريح من كان بأرض غربة لم يجد مسلما يشهد وصيته فليشهد كافرين على اى دين كانا من اهل الكتاب أو من عبدة الأصنام فشهادتهم جائزة فى هذا الموضع ولا تجوز شهادة كافر على مسلم بحال إلا على وصيته فى سفر لا يجد فيه مسلما عن الشعبى أن رجلا من المسلمين حضرته الوفاة بدقوقا هذه ولم يجد أحدا من المسلمين يشهده على وصيته فاشهد رجلين من أهل الكتاب فقدما الكوفة فاتيا أبا موسى فأخبراه وقدما بتركته ووصيته فقال ابو موسى هذا أمر لم يكن بعد الذى كان فى عهد رسول الله ﷺ فاحلفهما بعد العصر بالله ما خانا ولا كذبا ولا بدلا ولا كتما ولا غيرا وانها لوصية الرجل وتركته فامضى شهادتهما أخرجه ابو داود وقال قوم فى قوله ذوا عدل منكم يعنى من عشيرتكم وحيكم او اخران من غيركم من غير عشيرتكم وحيكم وان الاية كلها فى المسلمين وهذا قول الحسن والزهرى وعكرمة قالوا لا تجوز شهادة كافر فى شىء من الأحكام وهذا مذهب الشافعى ومالك وابى حنيفة غير أن أبا حنيفة أجاز شهادة اهل الذمة فيما بينهم بعضهم على بعض واحتج من قال بأن هذه الاية محكمة بأن سورة المائدة من آخر القرآن نزولا وليس فيها منسوخ واحتج من اجاز شهادة غير المسلم فى هذا الموضع بان الله تعالى قال فى أول الاية يا ايها

من الأحكام (إن انتم ضربتم) سرتم وسافرتم (فى الأرض فأصابتكم مصيبة الموت) فأوصيتم اليهما ودفعتم اليهما فاتهمتهما بعض الورثة وادعوا عليهما خيانة فالحكم فيه ان (تحبسونهما) أى تستوقفونها (من بعد الصلاة) اى بعد صلاة ومن صلة يريد بعد صلاة العصر هذا قول الشعبى والنخعى وسعيد بن جبير وقتادة وعامة المفسرين لأن جميع أهل الأديان يعظمون ذلك الوقت ويجتنبون فيه الحنف الكاذب وقال الحسن أراد من بعد صلاة الظهر وقال السدى من بعد صلاة أهل دينهما وملتهما لأنهما لا يباليان بصلاة العصر (فيقسمان) يحلفان (بالله إن ارتبتم) أى شككتم ووقعت لكم الريبة فى قول الشاهدين وصدقهما أى فى قول اللذين (٨٧) ليسا من اهل ملتكم فان كانا مسلمين فلا يمين عليهما (لا نشترى به ثمنا) أى لا نحلف بالله كاذبين على عوض نأخذه أو مال نذهب به أو حق نجحده (ولو كان ذا قربى) ولو كان المشهود له ذا قرابة منا (ولا نكتم شهادة الله) أضاف الشهادة إلى الله لأنه أمر باقامتها ونهى عن كتمانها وقرأ يعقوب شهادة بتنوين آلله ممدودو جعل الإستفهام عوضا عن حرف القسم ويروى عن أبى يعقوب شهادة منونة الله بقطع الألف وكسر الهاء من غير استفهام على ابتداء اليمين أى والله (إنا إذا لمن الآثمين) أى ان كتمنا كنا من الآثمين فلما نزلت هذه الاية صلى رسول الله ﷺ صلاة العصر ودعا تميما وعديا فاستحلفهما عند المنبر بالله الذى لا إله إلا هو انهما لم يخونا شيئا مما دفع اليهما فحلفا على ذلك وخلى رسول الله ﷺ سبيلهما ثم ظهر الاناء واختلفوا فى كيفية ظهوره فروى سعيد ابن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهم أنه وجد بمكة فقالوا إنا اشتريناه من تميم وعدى وقال الآخرون لما طالت المدة أظهره فبلغ ذلك بنى سهم فأتوهما فى ذلك فقالا إنا كنا قد اشتريناه منه فقالوا ألم تزعما ان صاحبنا لم يبع شيئا من متاعه قالا لم يكن عندنا بينة فكرهنا ان نقر لكم به فكتمناه لذلك فرفعهما إلى رسول الله ﷺ فانزل الله عز وجل (فان عثر) أى اطلع على خيانتهما وأصل العثور الوقوع (على انهما) يعنى الوصيين (استحقا) استوجبا (إثما) بخيانتهما وبأيمانهم الكاذبة (فآخران) من أولياء الميت (يقومان مقامهما) يعنى مقام الوصيين (من الذين استحق) بضم التاء على المجهول هذا قراءة العامة يعنى الذين استحق (عليهم) أى فيهم لاجلهم الاثم وهم ورثة الميت استحق الحالفان بسببهم الإثم وعلى بمعنى فى كما قال الله على ملك سليمان وقرأ حفص استحق بفتح التاء والحاء وهى قراءة على والحسن أى

الذين آمنوا فعم بهذا الخطاب جميع المؤمنين ثم قال بعده ذوا عدل منكم أو آخران من غيركم فعلم بذلك انهما من غير المؤمنين ولان الاية دالة على وجوب الحلف على هذين الشاهدين واجمع المسلمون على أن الشاهد المسلم لا يجب عليه يمين ولأن الميت إذا كان فى ارض غربة ولم يجد مسلما يشهده على وصيته ضاع ماله وربما كان عليه ديون أو عنده وديعة فيضع ذلك كله واذا كان ذلك كذلك احتاج الى شهادة من حضر من اهل الذمة وغيرهم من الكفار حتى لا يضيع ماله وتنفذ وصيته فهذا كالمضطر الذى أبيح له اكل الميتة فى حال الإضطرار والضرورات قد تبيح شيئا من المحظورات واحتج من منع ذلك بان الله تعالى قال ممن ترضون من الشهداء والكفار ليسوا مرضين ولا عدولا فشهادتهم غير مقبولة فى حال من الأحوال * وقوله تعالى (ان انتم ضربتم فى الأرض) يعنى ان انتم سافرتم فى الارض (فاصابتكم مصيبة الموت) يعنى نزل بكم أسباب الموت فاوصيتم اليهما ودفعتم مالكم اليهما (تحبسونهما) يعنى ان اتهمهما بعض الورثة وادعوا عليهما خيانة فالحكم فيه ان يوقفوهما (من بعد الصلاة) يعنى من بعد صلاة العصر لان جميع اهل الاديان يعظمون ذلك الوقت ويجتنبون فيه الحلف الكاذب وقيل من بعد صلاة أهل دينهما لانهما اذا كانا كافرين لا يحترمان صلاة العصر (فيقسمان بالله) يعنى فيحلفان بالله قال الشافعى الايمان تغلظ فى الدماء والطلاق والعتاق والمال اذا بلغ مائتى درهم بالزمان والمكان فيحلف بعد صلاة العصر ان كان بمكة بين الركن والمقام وان كان بالمدينة فعند المنبر وان كان فى بيت المقدس فعند الصخرة وفى سائر البلاد فى اشرف المساجد واعظمها بها (ان ارتبتم) يعنى ان شككتم أيها الورثة فى قول الشاهدين وصدقهما فحلفوهما وهذا اذا كانا كافرين اما اذا كانا مسلمين فلا يمين عليهما لان تحليف الشاهد المسلم غير مشروع (لا نشترى به ثمنا) يعنى لا نبيع عهد الله بشىء من الدنيا لا نحلف بالله كاذبين لأجل عوض نأخذه أو حق نجحده (ولو كان ذا قربى) يعنى ولو كان المشهود له ذا قرابة منا وانما خص القربى بالذكر لأن الميل اليهم اكثر من غيرهم (ولا نكتم شهادة الله) انما أضاف الشهادة اليها لانه أمر باقامتها ونهى عن كتمانها (انا اذا لمن الاثمين) يعنى ان كتمنا الشهادة او خنا فيها ولما نزلت هذه الاية صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة العصر ودعا تميما وعديا وحلفهما عند المنبر بالله الذى لا اله الا هو انهما لم يخونا شيئا مما دفع اليها فحلف على ذلك فخلى رسول الله ﷺ سبيلهما ثم ظهر الاناء من بعد ذلك قال ابن عباس وجد الإناء بمكة فقالوا اشتريناه من تميم وعدى وقيل لما طالت المدة أظهروه فبلغ ذلك بنى سهم فاتوهما فى ذلك فقالا انا كنا اشتريناه منه فقالوا الهما الم تزعما ان صاحبنا لم يبع شيئا من متاعه قالا لم يكن عندنا بينة فكرهنا أن نقر لكم به فكتمناه لذلك فرفعوهما إلى النبى ﷺ (فان عثر) يعنى فان طلع وظهر والعثور الهجوم على أمر لم يهجم عليه غيره وكل من اطلع على أمر كان قد خفى عليه قيل له قد عثر عثر عليه (على أنهما استحقا إثما) يعنى الوصيين ومعنى الاية فان حصل العثور والوقوف على أن الوصيين كانا استوجبا الاثم بسبب خيانتهما وأيمانهما الكاذبة (فآخران) يعنى من اولياء الميت واقربائه (يقومان مقامهما) يعنى مقام الوصيين فى اليمين (من الذين استحق عليهم

حق ووجب عليهم الاثم يقال حق واستحق بمعنى واحد (الأوليان) نعت للآخران أى فآخران الاوليان وإنما جاز ذلك والأوليان معرفة والآخران نكرة لأنه لما وصف الاخران فقال من الذين صار كالمعرفة فى المعنى والأوليان تثنية الأولى والأولى هو أقرب وقرأ حمزة وأبو بكر عن عاصم ويعقوب الاولين بالجمع فيكون بدلا من الذين والمراد منهم أيضا أولياء الميت ومعنى الاية إذا ظهرت خيانة الحالفين يقوم اثنان آخران من أقارب الميت (فيقسمان بالله لشهادتنا أحق من شهادتهما) يعنى يميننا أحق من يمينهما نظيره قوله تعالى فى اللعان فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله والمراد بها الايمان فهو كقول القائل اشهد بالله اى اقسم بالله (وما اعتدينا) فى ايماننا وقولنا ان شهادتنا احق من شهادتهما (إنا إذا لمن الظالمين) فلما (٨٨) نزلت هذه الاية قام عمرو بن العاص والمطلب بن ابى وداعة السهميان فحلفا بالله بعد العصر فدفع الاناء اليهما وإلى اولياء الميت وكان تميم الدارى بعد ما اسلم يقول صدق الله ورسوله انا أخذت الاناء فاتوب إلى الله واستغفره وانما انتقل اليمين إلى الاولياء لأن الوصيين ادعيا انهما ابتاعاه والوصى إذا أخذ شيئا من مال الميت وقال انه اوصى لى به حلف الوارث إذا انكر ذلك وكذلك لو ادعى رجل سلعة فى يد رجل فاعترف ثم ادعى انه اشتراها من المدعى حلف المدعى انه لم يبعها منه ويروى عن ابن عباس رضى الله عنهما عن تميم الدارى قال كنا بعنا الاناء بالف درهم فقسمتها انا وعدى فلما أسلمت تأثمت فاتيت موالى الميت فاخبرتهم ان عندصاحبى مثلها فاتوا به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وحلف عمرو والمطلب فنزعت الخمسمائة من عدى ورددت انا الخمسمائة فذلك قوله تعالى

يعنى من الذين استحق عليهم الاثم وهم الورثة والمعنى إذا ظهرت خيانة الحالفين وبان كذبهما يقوم اثنان اخران من الذين جنى عليهم وهم أهل الميت وعشيرته (الاوليان) يعنى بأمر الميت وهم أهله وعشيرته (فيقسمان بالله) يعنى فيحلفان بالله (لشهادتنا أحق من شهادتهما) يعنى إيماننا أحق واصدق من ايمانهما (وما اعتدينا) يعنى فى ايماننا وقولنا أن شهادتنا أحق من شهادتهما (إنا إذا لمن الظالمين) ولما نزلت هذه الاية قام عمرو بن العاص والمطلب بن ابى وداعة السهميان لوهما من أهل الميت وحلفا بالله بعد العصر ودفع الاناء اليهما وإنما ردت اليمين على أولياء الميت لأن الوصيين ادعيا ان الميت باعهما الاناء وانكر ورثة الميت ذلك ومثل هذا أن الوصى إذا أخذ شيء من مال الميت وقال انه اوصى له به وأنكر ذلك الورثة ردت اليمين عليه ولما أسلم تميم الدارى بعد هذه القصة كان يقول صدق الله وصدق رسوله انا أخذت الاناء فانا أتوب إلى الله واستغفره وقوله تعالى (ذلك أدنى ان ياتوا بالشهادة على وجهها) يعنى ذلك الذى حكمنا به من رد اليمين على أولياء الميت بعد ايمانهم أدنى اى اجدر واحرى ان ياتوا بالشهادة على وجهها يعنى ان يأتى الوصيان وسائر الناس بالشهادة على وجهها فلا يخونوا فيها (او يخافوا ان ترد ايمان بعد أيمانهم) أى وأقرب ان يخاف الوصيان ان ترد الإيمان على اولياء الميت فيحلفوا على خيانتهم وكذبهم فيفتضحوا ويغرموا فربما لا يحلفون كاذبين إذا خافوا هذا الحكم (واتقوا الله) يعنى وخافوا الله ان يحلفوا ايمانا كاذبة او تخونوا امانة (واسمعوا) يعنى المواعظ والزواجر وقيل معناه واسمعوا سمع اجابة (والله لا يهدى القوم الفاسقين) يعنى والله لا يرشد من كان على معصية وهذا تهديد وتخويف ووعيد لمن خالف حكم الله تعالى او خان امانته او حلف ايمانا كاذبة وهذه الاية الكريمة من أصعب ما فى القرآن من الايات نظما وإعرابا وحكما والله اعلم باسرار كتابه * قوله عز وجل (يوم يجمع الله الرسل) قال الزجاج هى متصلة بما قبلها تقديرها واتقوا الله يوم يجمع الله الرسل وقيل تقديره والله لا يهدى القوم الفاسقين يوم يجمع الله الرسل اى لا يهديهم إلى الجنة فى ذلك اليوم وهو يوم القيامة وقيل انها منقطعة عما قبلها وتقديره اذكر يا محمد يوم يجمع الله الرسل ذلك يوم القيامة (فيقولون ماذا اجبتم) يعنى فيقول الله تبارك وتعالى للرسل ماذا اجابكم امتكم وما الذى رد عليكم قومكم حين دعوتموهم فى دار الدنيا إلى توحيدى وطاعتى وفائدة هذا السؤال توبيخ أمم الانبياء الذين كذبوهم (قالوا) يعنى الرسل (لا علم لنا) قال ابن عباس معناه لا علم لنا كعلمك فيهم لانك تعلم ما اضمروا وما اظهروا ونحن لا نعلم إلا ما أظهروا فعلمك فيهم انفذ من علمنا وابلغ فعلى هذا القول إنما نفوا العلم عن انفسهم وإن كانوا علماء لأن علمهم صار كلا علم عند علم الله وقال فى رواية أخرى معناه لا علم لنا الا علم انت اعلم به منا وهذا القول قريب من الأول وقيل معناه لا علم لنا بوجه الحكمة عن سؤالك إيانا عن امر انت اعلم منا وقيل معناه لا حقيقة لعلمنا بعاقبة امرهم لانا كنا نعلم ما كان

(ذلك أدنى أن ياتوا بالشهادة على وجهها) ذلك الذى حكمنا به من رد اليمين أجدر وأحرى من ان يأتى الوصيان بالشهادة على وجهها وسائر الناس أمثالهم اى اقرب إلى الاتيان بالشهادة على ما كانت (أو يخافوا أن ترد أيمان بعد ايمانهم) أى أقرب إلى ان يخافوا رد اليمين بعد يمينهم على المدعين فيحلفوا على خيانتهم وكذبهم فيفتضحوا ويغرموا فلا يحلفون كاذبين إذا خافوا هذا الحكم (واتقوا الله) أن تحلفوا ايمانا كاذبة وتخونوا الامانة (واسمعوا) الموعظة (والله لا يهدى القوم الفاسقين) قوله عز وجل (يوم يجمع الله الرسل) وهو يوم القيامة (فيقول) لهم (ماذا اجبتم) اى ما الذى اجابتكم امتكم وما الذى رد عليكم قومكم حين دعوتموهم إلى توحيدى وطاعتى (قالوا) أى فيقولون (لا علم لنا) قال ابن عباس معناه لا علم لنا إلا العلم الذى انت اعلم به منا وقيل لا علم لنا بوجه الحكمة عن سؤالك إيانا عن امر أنت اعلم به منا وقال ابن جريج لا علم لنا بعاقبة أمرهم وبما أحدثوا من بعدنا ليله انه قال

(إنك أنت علام الغيوب) أى أنت الذى تعلم ماغاب ونحن لا نعلم إلا ما نشاهد أخبرنا عبد الواحد المليحى أنا احمد بن عبد الله النعيمى انا محمد بن يوسف انا محمد بن اسمعيل انا مسلم بن ابراهيم انا وهيب انا عبد العزيز عن أنس رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال ليردن على ناس من اصحابى الحوض حتى إذا عرفتهم اختلجوا دونى فاقول اصحابى فيقال لا تدرى ما احدثوا بعدك وقال ابن عباس والحسن ومجاهد والسدى ان للقيامة اهوالا وزلازل تزول فيها القلوب عن مواضعها فيفزعون من هول ذلك اليوم ويذهلون عن الجواب ثم بعد ما ثابت الهم عقولهم ويشهدون على أممهم قوله تعالى (إذ قال الله ياعيسى ابن مريم اذكر نعمتى عليك) قال الحسن ذكر النعمة شكرها وأرادبه وله نعمتى اى نعمى لفظه واحد ومعناه جمع كقوله تعالى وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها (وعلى والدتك) مريم ثم ذكر النعم فقال (إذ ايدتك) قويتك (بروح القدس) يعنى جبريل عليه السلام (تكلم الناس) يعنى وتكلم الناس (فى المهد) صبيا (وكهلا) نبيا قال ابن عباس ارسله الله وهو ابن ثلاثين سنة فمكث فى رسالته ثلاثين شهرا ثم رفعه الله اليه (وإذ علمتك الكتاب والحكمة) يعنى الخط والحكمة الفهم والاطلاع على اسرار العلوم (والتوراة والإنجيل) اى وعلمتك التوراة التى نزلتها على موسى والانجيل الذى انزلته عليك (وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير باذنى) يعنى وإذ تجعل وتصور من الطين كصورة الطير باذنى (فتنفخ فيها) ذكر هنا فيها سورة ال عمران فيه يعنى بالضمير فى قوله فيها يعود إلى الهيئة يجعلها مصدرا كما يقع اسم الخلق على المخلوق وذلك لان النفخ لا يكون فى الهيئة إنما يكون فى المهيأ ذى الهيئة ويجوز ان يعود الضمير إلى الطير لانها مؤنثة قال الله تعالى اولم يروا الى الطير

من أفعالهم وأقوالهم وقت حياتنا ولا نعلم ما كان منهم بعد وفاتنا ولا نعلم ما أحدثوا من بعدنا ومنه ما أخبر الله عن عيسى عليه السلام بقوله وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتنى كنت انت الرقيب عليهم ومنه ما روى عن أنس ان رسول الله ﷺ قال ليردن على الحوض رجال ممن صاحبنى حتى إذا رفعوا إلى اختلجوا دونى فلاقولن اى رب أصحابى فيقال انك لا تدرى ما أحدثوا بعدك زادنى رواية فاقول سحقا لمن بدل بعدى اخرجاه فى الصحيحين وقال جمع من المفسرين ان للقيامة أهوالا وزلازل تزول فيها القلوب عن مواضعها فيفزعون من هول ذلك ويذهلون عن الجواب ثم إذا ثابت إليهم عقولهم يشهدون على أممهم بالتبليغ وهذا فيه ضعف ونظر لأن الله تعالى قال فى حق الأنبياء لا يحزنهم الفزع الاكبر وذكر الامام فخر الدين الرازى وجها آخر وهو أن الرسل عليهم السلام لما علموا أن الله تعالى عالم لا يجهل وحليم لا يسفه وعادل لا يظلم علموا أن قولهم لا يفيد خيرا ولا يدفع شرا فرأوا أن الأدب فى السكوت وفى تفويض الأمر إلى الله تعالى وعدله فقالوا لا علم لنا (إنك أنت علام الغيوب) يعنى انك تعلم ماغاب عنا من بواطن الأمور ونحن نعلم ما نشاهد ولا نعلم ما فى البواطن وقيل معناه انك لا يخفى عليك ما عندنا من العلوم وان الذى سألتنا عنه ليس بخاف عليك لأنك أنت علام الغيوب ومعناه العالم باصناف المعلومات على تفاوتها ليس تخفى عليه خافية وبناء فعال بناء التكثير ودلت الآية على جواز اطلاق العلام على الله تعالى كما يجوز اطلاق الخلاق عليه، قوله عز وجل (إذ قال الله ياعيسى ابن مريم اذكر نعمتى عليك) قال بعضهم إن إذ قال الله تعالى ياعيسى صلة لما اذا اجبتم ولما كان المراد به وله للرسل ما أجبتم توبيخ الأمم ومن تمرد منهم على الله وكان أشد الأمم احتياجا وافتقارا إلى التوبيخ والملامة والنصارى الذين يزعمون أنهم اتباع عيسى عليه السلام ووجه ذلك ان جميع الامم إنما كان طعنهم فى أنبيائهم بالتكذيب لهم وطعن هؤلاء النصارى تعدى إلى جلال الله تعالى حيث وصفوه بما لا يليق بجلاله من اتخاذ الزوجة والولد ذكر الله فى هذه الآية أنواع نعمه على عيسى عليه السلام التى تدل انه عبد وليس باله والفائدة فى ذكر هذه الحكاية تنبيه النصارى على قبح مقالتهم وفساد اعتقادهم وتوكيد الحجة عليهم وقيل فائدة ذلك اسماع الأمم يوم القيامة ما خص الله عيسى عليه السلام به من الكرامة وقيل موضع إذ رفع بالابتداء على القطع ومعناه اذكر إذ قال الله ياعيسى وإنما خرج قوله إذ قال الله على لفظ الماضى دون المستقبل لأنه ورد على سبيل حكاية الحال وقيل تقديره إذ يقول الله ياعيسى ابن مريم اذكر نعمتى عليك لفظه واحد والمراد به الجمع لأن الله تعالى عد نعمه عليه فى هذه الآية والمراد من ذكرها شكرها (وعلى والدتك) يعنى بنعمته على مريم عليها السلام انه تعالى أنبتها نباتا حسنا وطهرها واصطفاها على نساء العالمين ثم ذكر نعمه على عيسى عليه السلام فقال تعالى (إذ ايدتك بروح القدس) يعنى بجبريل عليه السلام لأن القدس هو الله تعالى وأضافه اليه على سبيل التشريف والتعظيم كاضافة بيت الله وناقة الله وقيل أراد بروح القدس الروح المطهرة لان الارواح تختلف باختلاف الماهية فمنها روح طاهرة مقدسة نورانية ومنها روح خبيثة كدرة ظلمانية فخص الله عيسى بالروح المقدسة الطاهرة النورانية المشرفة (تكلم الناس فى المهد) يعنى تكلمهم طفلا فى حال الصغر (وكهلا) يعنى وفى حالة الكهولة من غير ان يتفاوت كلامك فى هذين الوقتين وهذه معجزة عظيمة وخاصة شريفة ليست لاحد قبله قال ابن عباس ارسل الله عيسى عليه السلام وهو ابن ثلاثين سنة فمكث فى رسالته ثلاثين شهرا ثم رفعه الله إليه (وإذ علمتك الكتاب والحكمة) يعنى الكتابة وهى الخط والحكمة الفهم والاطلاع على اسرار العلوم (والتوراة والإنجيل) اى وعلمتك التوراة التى نزلتها على موسى والانجيل الذى انزلته عليك (وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير باذنى) يعنى وإذ تجعل وتصور من الطين كصورة الطير باذنى (فتنفخ فيها) ذكر هنا فيها سورة ال عمران فيه يعنى بالضمير فى قوله فيها يعود إلى الهيئة يجعلها مصدرا كما يقع اسم الخلق على المخلوق وذلك لان النفخ لا يكون فى الهيئة إنما يكون فى المهيأ ذى الهيئة ويجوز ان يعود الضمير إلى الطير لانها مؤنثة قال الله تعالى اولم يروا الى الطير

والفهم (والتوراة والانجيل وإذ تخلق) تجعل وتصور (ومن الطين كهيئة الطير) كصورة الطير (باذنى فتنفخ فيها

فتكون طيرا) حيا يطير (باذنى وتبرىء) وتصح (الأكمه والأبرص باذنى وإذ تخرج الموتى) من قبورهم احياء (باذنى وإذ كففت) منعت وصرفت (بنى إسرائيل) يعنى اليهود (عنك) حين هموا بقتلك (إذ جئتهم بالبينات) يعنى بالدلالات الواضحات والمعجزات وهى التى ذكرنا وسميت بالبينات لانها مما يعجز عنها سائر الخلق الذين ليسوا بمرسلين (فقال الذين كفروا منهم إن هذا) ماهذا (إلا سحر مبين) يعنى ماجاءهم به من البينات قرأ حمزة والكسائى ساحر مبين هاهنا وفى سورة هود والصف فيكون راجعا إلى عيسى عليه السلام وفى هود يكون راجعا إلى محمد ﷺ (وإذ اوحيت إلى الحواريين) (٩٠) الهمتهم وقذفت فى قلوبهم وقال ابو عبيدة يعنى امرت والى صلة والحواريون خواص اصحاب عيسى عليه السلام (ان امنوا بى وبرسولى) عيسى (قالوا) حين وفقتهم (امنا واشهد بانا مسلمون اذ قال الحواريون ياعيسى بن مريم هل يستطيع ربك) قرا الكسائى هل تستطيع بالتاء ربك بنصب الباء وهو قراءة على وعائشة وابن عباس ومجاهد اى هل تستطيع ان تدعو وتسال ربك وقرا الاخرون يستطيع بالياء وربك برفع الباء ولم يقولوا شاكين بقدرة الله عز وجل ولكن معناه هل ينزل ربك ام لا كما يقول الرجل لصاحبه هل تستطيع ان تنهض معى وهو يعلم انه يستطيع وانما يريد هل يفعل ذلك ام لا وقيل يستطيع بمعنى يطيع يقال اطاع واستطاع بمعنى واحد كقوله اجاب واستجاب معناه هل يعطيك ربك باجابة سؤالك وفى الاثار من أطاع الله اطاعة الله واجرى بعضهم

فوقهم صافات واما الضمير المذكور فى آل عمران فى قوله فيه فيعود إلى الكاف يعنى فى ذلك الشىء المماثل لهيئة الطير (فتكون طيرا باذنى) وإنما كرر قوله باذنى تاكيدا لكون ذلك الخلق واقعا بقدرة الله تعالى وتخليقه لا بقدرة عيسى عليه السلام وتخليقه لان المخلوق لا يخلق شيئا إنما خالق الاشياء كلها هو الله تعالى لا خالق لها سواه وإنما كان الخلق لهذا الطير معجزة لعيسى عليه السلام اكرمه الله تعالى بها وكذا قوله تعالى (وتبرىء الاكمه والابرص باذنى) يعنى وتشفى الاكمه وهو الاعمى المطموس البصر والابرص معروف ظاهر (وإذ تخرج الموتى) يعنى من قبورهم احياء (باذنى) تفعل ذلك كله بدعائك والفاعل لهذه الاشياء كلها فى الحقيقة هو الله تعالى لانه هو المبرىء للاكمه والابرص وهو محيى الموتى وهو على كل شىء قدير وإنما كانت هذه الاشياء كلها معجزات لعيسى عليه السلام ووقعت باذن الله تعالى وقدرته * وقوله تعالى (وإذ كففت بنى إسرائيل عنك) يعنى واذكر نعمتى عليك إذ كففت وصرفت عنك اليهود ومنعتك منهم حين ارادوا قتلك (إذ جئتهم بالبينات) يعنى بالدلالات الواضحات والمعجزات الباهرات التى ذكرت فى هذه الاية وذلك ان عيسى عليه السلام لما اتى بهذه المعجزات العجيبة الباهرة قصد اليهود قتله فخلصه الله منهم ورفعه إلى السماء (فقال الذين كفروا منهم) يعنى فقال الذين استمروا على كفرهم من اليهود ولم يؤمنوا بهذه المعجزات (إن هذا إلا سحر مبين) يعنى ماجاءهم به عيسى عليه السلام من المعجزات * قوله عز وجل (وإذ اوحيت إلى الحواريين) يعنى الهمتهم وقذفت فى قلوبهم فهو وحى إلهام كما اوحى إلى ام موسى وإلى النحل الحواريون هم اصحاب عيسى وخواصه (أن آمنوا بى وبرسولى) يعنى عيسى عليه السلام (قالوا آمنا واشهد بانا مسلمون) لما وفقهم الله للايمان قالوا امنا وإنما قدم ذكر الايمان على الاسلام لان الايمان من أعمال القلوب والاسلام هو الانقياد والخضوع فى الظاهر والمعنى انهم آمنوا بقلوبهم وانقادوا بظواهرهم قوله تعالى (إذ قال الحواريون ياعيسى ابن مريم هل يستطيع ربك قال المفسرون هذا على المجاز ولا يجوز لأحد ان يتوهم على الحواريون انهم شكوا فى قدرة الله تعالى لكنه كما يقول الرجل لصاحبه هل تستطيع ان تقوم معى مع علمه بانه يقدر على القيام وانما قصد بقوله هل تستطيع هل يسهل عليك وهل يخف ان تقوم معى فكذلك معنى الآية لان الحواريين كانوا مؤمنين عارفين بالله عز وجل ومعترفين بكمال قدرته وانما قالوا ذلك ليحصل لهم مزيد الطمانينة كما قال ابراهيم عليه السلام ولكن ليطمئن قلبى ولا شك ان مشاهدة هذه الاية العظيمة تورث مزيد الطمانينة فى القلب ولهذا السبب قالوا وتطمئن قلوبنا وقال بعضهم هو على ظاهره وقال غلط القوم وقالوا ذلك قبل استحكام الإيمان والمعرفة فى قلوبهم وكانوا بشرا فقالوا هذه المقالة فرد الله عليهم عند غلطهم بقوله اتقوا الله ان كنتم مؤمنين يعنى اتقوا الله ان تشكوا فى قدرة الله عز وجل والقول الاول اصح وقيل فى معنى الاية هل يقبل ربك دعاءك ويعطيك باجابة دعائك وسؤالك انزال المائدة فقد ورد فى الاثار من اطاع الله اطاعه كل شىء (ان ينزل علينا مائدة من السماء) المائدة الخوان الذى عليه الطعام ولا يسمى مائدة ان لم يكن عليه طعام انما يقال خوان او طبق واصلها من ماد يميد اذا تحرك كانها تميد بما عليها من الطعام (قال) يعنى عيسى مجيبا للحواريين (اتقوا الله ان كنتم مؤمنين) يعنى اتقوا الله

على الظاهر فقالوا غلط القوم وقالوه قبل استحكام المعرفة وكانوا بشرا

فى

فقال لهم عيسى عليه السلام عند الغلط استعظاما لقولهم اتقوا الله ان كنتم مؤمنين اى لا تشكوا فى قدرته (ان ينزل علينا مائدة من السماء) المائدة الخوان الذى عليه الطعام وهى فاعلة من ماده يميده إذا اعطاه واطعمه كقوله ماره يميره وامتار افتعل منه والمائدة هى الطعمة للاكلين وسمى الطعام ايضا مائدة على الجواز لانه يؤكل على المائدة وقال اهل الكوفة سميت مائدة لانها تميد بالاكلين اى تميل وقال اهل البصرة فاعلة بمعنى المفعولة يعنى ميد بالاكلين اليها كقوله تعالى عيشة راضية اى مرضية (قال) عيسى عليه السلام مجيبا لهم اتقوا الله ان كنتم مؤمنين) فلا تشكوا فى قدرته وقيل اتقوا الله أن تسألوه شيئا لم تسأله الامم قبلكم فنهاهم عن اقتراح الايات

بعد الايمان (قالوا نريد) أى إنما سألنا لانا نريد (ان نأكل منها) اكل تبرك لا اكل حاجة فنستيقن قدرتك (وتطمئن) وتسكن (قلوبنا ونعلم ان قد صدقتنا) بأنك رسول الله أى نزداد إيمانا ويقينا وقيل ان عيسى عليه السلام أمرهم ان يصوموا ثلاثين يوما فاذا فطروا لا يسألون الله شيئا إلا أعطاهم ففعلوا وسألوا المائدة وقالوا نعلم ان قد صدقتنا فى قولك إنا إذا صمنا ثلاثين يوما لا نسأل الله شيئا إلا اعطانا (ونكون عليها من الشاهدين) لله الوحدانية والقدرة ولك بالنبوة والرسالة وقيل ونكون من الشاهدين لك عند بنى إسرائيل إذا رجعنا إليهم (قال عيسى بن مريم) عند ذلك (اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء) وقيل انه اغتسل ولبس المسح وصلى ركعتين وطأطأ رأسه وغض بصره وبكى ثم قال اللهم ربنا انزل علينا مائدة من السماء (تكون لنا عيدا لأولنا وآخرنا) أى عائدة من الله علينا حجة وبرهانا والعيد يوم السرور سمى به للعود من الترح إلى الفرح وهو اسم لما اعتدته ويعود إليك وسمى يوم الفطر والاضحى عيدا لانهما يعودان فى كل سنة قال السدى معناه نتخذ اليوم الذى أنزلت فيه عيدا لأولنا ولآخرنا أى نعظمه نحن ومن بعدنا وقال سفيان نصلى فيه قوله لأولنا أى لأهل زماننا وآخرنا أى لمن يجىء بعدنا وقال ابن عباس يأكل منها آخر الناس كما أكل منها أولهم (وآية منك) دلالة وحجة (وارزقنا وأنت خير الرازقين قال الله) تعالى مجيبا لعيسى عليه السلام (إنى منزلها عليكم) يعنى المائدة وقرأ أهل المدينة وابن عامر وعاصم (٩١) منزلها بالتشديد لأنها نزلت مرات والتفعيل يدل على التكرير مرة بعد أخرى وقرأ الآخرون بالتخفيف لقوله انزل علينا (فمن يكفر بعد منكم) أى بعد نزول المائدة فانى اعذبه عذابا) أى جنس عذاب (لا اعذبه احدا من العالمين) يعنى عالمى زمانه فجحدوا وكفروا بعد نزول المائدة فمسخوا قردة وخنازير قال عبد الله بن عمر ان اشد الناس عذابا يوم القيامة المنافقون ومن كفر من أصحاب المائدة وآل فرعون واختلف العلماء فى المائدة هل نزلت أم لا فقال مجاهد والحسن لم تنزل فان الله عز وجل لما أوعدهم على كفرهم بعد نزول المائدة خافوا أن يكفر بعضهم فاستعفوا وقالوا لا نريدها فلم تنزل وقوله إنى منزلها عليكم يعنى إن سألتم والصحيح الذى عليه الأكثرون انها نزلت لقوله تعالى إنى منزلها عليكم ولا خلف فى خبره لتواتر الأخبار فيه عن رسول الله ﷺ والصحابة والتابعين واختلفوا فى صفتها فروى خلاس بن عمرو عن عمارة ابن ياسر عن رسول الله ﷺ انها نزلت خبزا ولحما وقيل لهم انها مقيمة لكم ما لم تخونوا وتخبؤا فما مضى يومهم حتى خانوا وخبؤا فمسخوا قردة وخنازير وقال ابن عباس رضى الله عنهما أن عيسى عليه السلام قال لهم صوموا ثلاثين يوما ثم سلوا الله ما شئتم يعطيكموه فصاموا فلما فرغوا قالوا يا عيسى إنا لو عملنا لأحد فقضينا عمله لأطعمنا وسألوا الله المائدة فاقبلت الملائكة بمائدة يحملونها عليها سبعة أرغفة وسبعة أحوات حتى وضعتها بين أيديهم فأكل منها آخر الناس كما أكل أولهم قال كعب الأحبار نزلت مائدة منكوسة تطير بها الملائكة بين السماء والأرض عليها كل الطعام إلا اللحم وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس أنزل على المائدة كل شىء إلا الخبز واللحم قال قتادة كان عليها ثمر من الجنة وقال عطية العوفى نزلت من السماء سمكة فيها طعم كل شىء وقال الكلبى كان عليها خبز ورز وبقل وقال وهب بن منبه أنزل الله أقرصة من شعير وحيتانا وكان قوم يأكلون ثم يخرجون ويجىء آخرون فيأكلون حتى أكلوا جميعهم وفضل وعن الكلبى ومقاتل انزل الله خبزا وسمكا وخمسة أرغفة فاكلوا ما شاء الله تعالى والناس الف ونيف فلما رجعوا إلى قراهم ونشروا الحديث ضحك منهم من لم يشهد قالوا ويحكم إنما سحر اعينكم فمن

فى هذا السؤال ان كنتم مؤمنين لأنه سؤال تعنت فى امرهم بالتقوى ليحصل لهم هذا السؤال ومعنى ان كنتم مؤمنين مصدقين فلا تشكوا فى قدرة الله تعالى وقيل معناه اتقوا الله ان تسألون شيئا لم يسأله احد من الأمم قبلكم فنهاهم عن اقتراح الاية بعد الايمان (قالوا نريد ان نأكل منها) يعنى قال الحواريون مجيبين لعيسى عليه السلام إنما نطلب نزول المائدة علينا لأن نأكل منها فان الجوع قد غلب علينا وقيل معناه نريد ان نأكل منها للتبرك بها لا اكل حاجة (وتطمئن قلوبنا) يعنى وتسكن قلوبنا ونستيقن قدرة الله تعالى لأنا وإن علمنا قدرة الله بالدليل فاذا شاهدنا نزول المائدة ازداد اليقين وقويت الطمأنينة (ونعلم ان قد صدقتنا) يعنى ونزداد إيمانا ويقينا بأنك رسول الله (ونكون عليها من الشاهدين) يعنى لله بالوحدانية ولك بالرسالة والنبوة وقيل معناه ونكون لك عليها من الشاهدين عند بنى إسرائيل إذا رجعنا إليهم فلما قالوا ذلك امرهم عيسى ان يصوموا ثلاثين يوما وقال لهم إنكم إذا صمتم ذلك وافطرتم فلا تسألون الله شيئا إلا أعطاكم ففعلوا ذلك وسألوا انزول المائدة فعند ذلك (قال عيسى بن مريم اللهم) قيل انه اغتسل ولبس المسح وصلى ركعتين وطأطأ رأسه وبكى ثم دعا فقال اللهم (ربنا انزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا لأولنا وآخرنا) يعنى عائدة من الله علينا وحجة وبرهانا والعيد يوم السرور وأصله من عاد يعود إذا رجع ولمعنى نتخذ ذلك اليوم الذى تنزل فيه المائدة عيد العظمة ونصلى فيه نحن ومن يجىء من بعدنا فنزلت فى يوم الأحد فاتخذه النصارى عيدا وقال ابن عباس معناه ياكل منها اولنا وآخرنا كما يأكل اخرنا (وآية منك) اى وتكون المائدة دلالة على قدرتك ووحدانيتنا وحجة بصدق رسولك (وارزقنا) اى ارزقنا ذلك من عندك وقيل ارزقنا الشكر على هذه النعمة (وأنت خير الرازقين) يعنى وانت خير من تفضل ورزق (قال الله) عز وجل مجيبا لعيسى (إنى منزلها عليكم) يعنى المائدة (فمن يكفر بعد منكم) يعنى بعد نزول المائدة (فانى أعذبه عذابا) يعنى جنسا من العذاب (لا أعذبه أحدا من العالمين) يعنى من عالمى زمانهم فجحدوا وكفروا بعد نزول المائدة فمسخوا خنازير قال الزجاج

أراد الله به الخير ثبته على بصيرته ومن أراد فتنته رجع إلى كفره ومسخوا خنازير ليس فيهم صبي ولا امرأة فمكثوا بذلك ثلاثة أيام ثم هلكوا ولم يتوالدوا ولم يأكلوا ولم يشربوا وكذلك كل ممسوخ وقال قتادة كانت تنزل عليهم بكرة وعشيا حيث كانوا كالمن والسلوى لبني إسرائيل وقال عطاء بن أبي رباح عن سلمان الفارسي لما سأل الحواريون المائدة لبس عيسى عليه السلام صوفا وبكى وقال اللهم انزل علينا مائدة من السماء الآية فنزلت سفرة حمراء بين غمامتين غمامة من فوقها وغمامة من تحتها وهم ينظرون اليها وهي تهوي خافضة حتى سقطت بين أيديهم فبكى عيسى وقال اللهم اجعلني من الشاكرين اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها عقوبة واليهود ينظرون إلى شيء لم يروا مثله قط ولم يجدوا ريحا أطيب من ريحه فقال عيسى عليه السلام ليقم أحسنكم عملا فيكشف عنها ويذكر اسم الله تعالى فقال شمعون الصفار رأس الحواريين انت أولى بذلك منا فقام عيسى عليه السلام فتوضأ وصلى صلاة طويلة وبكى كثيرا ثم كشف المنديل عنها وقال بسم الله خير الرازقين فاذا هو بسمكة مشوية ليس عليها فلوس ولا شوك عليها تسيل (٩٢) من الدسم وعند رأسها ملح وعند ذنبها خل وحولها من ألوان البقول ماخلا الكراث وإذا خمسة أرغفة على واحد زيتون وعلى الثاني عسل وعلى الثالث سمن وعلى الرابع جبن وعلى الخامس قديد فقال شمعون ياروح الله أمن طعام الدنيا هذا أم من طعام الآخرة فقال ليس شيء مما ترون من طعام الدنيا ولا من طعام الآخرة ولكنه شيء انشأه الله تعالى بالقدرة الغالبة كلوا مما سألتم يمددكم ويزدكم من فضله فقالوا ياروح الله كن أول من يأكل منها فقال عيسى عليه السلام معاذ الله ان آكل منها ولكن يأكل منها من سألها فخافوا ان يأكلوا منها فدعا لها عيسى اهل الفاقة والمرضى وأهل البرص والجذام والمقعدين والمبتلين فقال كلوا من رزق الله ولكم المهنأ ولغيركم البلاء فأكلوا وصدروا عنها ألفا وثلاثمائة رجل وامرأة من فقير ومريض وزمن ومبتلى كلهم شبعان وإذا السمكة كهيئتها حين نزلت ثم طارت المائدة صعدا وهم ينظرون اليها حتى توارت بالحجاب فلم يأكل منها زمن ولا مريض ولا مبتلى إلا عوفي ولا فقير إلا استغنى وندم من لم يأكل منها فلبثت اربعين صباحا تنزل ضحى فاذا نزلت اجتمعت الأغنياء والفقراء والصغار والكبار والرجال والنساء ولا تزال منصوبة يؤكل منها حتى إذا فاء الفيء طارت صعدا وهم ينظرون اليها في ظلها حتى توارت عنهم وكانت تنزل غبا تنزل يوما ولا تنزل يوما كناقة ثمود فاوحى الله تعالى إلى عيسى عليه السلام اجعل مائدتي ورزقي للفقراء دون الأغنياء فعظم ذلك على الأغنياء حتى شكوا وشككوا الناس فيها وقالوا ما ترون المائدة حقا تنزل من السماء فاوحى الله تعالى إلى عيسى عليه السلام إني شرطت ان من كفر بعد نزولها عذبته عذابا لا أعذبه احدا من العالمين فقال عيسى عليه السلام ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم فمسخ منهم ثلاثمائة وثلاثة وثلاثون رجلا ياتوا من ليلتهم على فرشهم مع نسائهم فاصبحوا خنازير يسعون في الطرقات والكناسات ويأكلون القذر في الحشوش فلما راى الناس ذلك فزعوا إلى عيسى عليه السلام وبكوا فلما ابصرت الخنازير عيسى عليه السلام

ويجوز أن يكون هذا العذاب معجلا في الدنيا ويجوز أن يكون مؤخرا إلى الآخرة قال عبد الله بن عمر أن أشد الناس عذابا يوم القيامة المنافقون ومن كفر أصحاب المائدة وآل فرعون واختلف العلماء في نزول المائدة فقال الحسن ومجاهد لم تنزل المائدة لأن الله لما أوعدهم على كفرهم بالعذاب بعد نزول المائدة خافوا أن يكفر بعضهم فاستعفوا وقالوا لا نريدها فلم تنزل عليهم فعلى هذا القول يكون معنى قوله تعالى اني منزلها عليكم إن سألهم نزولها والصحيح الذي عليه جمهور العلماء والمفسرين انها نزلت لأن الله تعالى قال اني منزلها عليكم وهذا وعد من الله بانزالها ولا خلف في خبره ووعده ولما روى عن عمار بن ياسر قال قال رسول الله ﷺ أنزلت المائدة من السماء خبزا ولحما وأمروا أن لا يخونوا ولا يدخروا لغد فخانوا وادخروا ورفعوا للغد فمسخوا قردة وخنازير أخرجه الترمذي وقال قد روي عن عمار من غير طريق موقوفا وهو أصح وقال ابن عباس ان عيسى عليه السلام قال لهم صوموا ثلاثين يوما ثم اسألوا الله ما شئتم يعطيكموه فصاموا فلما فرغوا قالوا يا عيسى أنا لو عملنا عملا لأحد تضبنا عمله لأطعمنا وسألوا المائدة فأقبلت الملائكة بمائدة يحملونها عليها سبعة أرغفة وسبعة أحوات حتى وضعوها بين ايديهم فاكل منها اخر الناس كما اكل اولهم وقال سلمان الفارسي لما سأل الحواريون المائدة لبس عيسى صوفا وبكى وقال اللهم ربنا انزل علينا مائدة من السماء فنزلت سفرة حمراء بين غمامتين غمامة من فوقها وغمامة من تحتها وهم ينظرون اليها وهي تهوي اليهم منقضة حتى سقطت بين أيديهم فبكى عيسى عليه السلام وقال اللهم اجعلني من الشاكرين اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها عقوبة واليهود ينظرون إلى شيء لم ينظروا مثله ولم يجدوا ريحا أطيب من ريحه فقال عيسى عليه السلام ليقم أحسنكم عملا فيكشف عنها وبسم الله فقال شمعون الصفار رأس الحواريين انت اولى بذلك منا فقام عيسى عليه السلام فتوضأ وصلى صلاة طويلة وبكى بكاء كثيرا ثم كشف المنديل عنها وقال بسم الله خير الرازقين فاذا هو بسمكة مشوية ليس فيها شوك ولا عليها فلوس تسيل من الدسم وعند راسها ملح وعند ذنبها خل وحولها من ألوان البقول ماخلا الكراث وإذا خمسة ارغفة على واحد منها زيتون وعلى الثاني عسل وعلى الثالث سمن وعلى الرابع جبن وعلى الخامس قديد فقال شمعون ياروح الله امن طعام الدنيا هذا ام من طعام الجنة فقال عيسى ليس شيء مما تريدون من طعام الدنيا ولا من طعام الجنة ولكنه شيء اخترعه الله بقدرته العالية كلوا مما سألتم واشكروا يمددكم ويزدكم من فضله فقالوا ياروح الله كن اول من يأكل منها

فقال عيسى معاذ الله أن آكل منها يأكل منهما من سألها فخافوا أن يأكلوا منها فدعا لها أهل الفاقة والمرض والبرص والجذام والمتعدين فقال كلوا من رزق الله لكم الشفاء ولغيركم البلاء فاكلوا منها وهم الف وثلثمائة رجل وامرأة من فقير ومريض وزمن ومبتلى وصدروا عنها وهم شباع وإذا السمكة بحالها حين انزلت ثم طارت المائدة صعوداً وهم ينظرون اليها حتى توارت ولم يأكل منها مريض او زمن أو مبتلى إلا عوفى ولا فقير إلا استغنى وندم من لم يأكل منها وقيل مكثت أربعين صباحا تنزل ضحى فاذا نزلت اجتمع اليها الأغنياء والفقراء والصغار والكبار والرجال والنساء يأكلون منها ولا تزال منصوبة يؤكل منها حتى يفيء الفيء فاذا فاء الفيء طارت وهم ينظرون اليها حتى توارى عنهم وكانت تنزل يوما ويوما لا تنزل فأوحى الله عز وجل إلى عيسى عليه السلام اجعل مائدتى ورزقى للفقراء دون الأغنياء فعظم ذلك على الأغنياء حتى شكوا وشككوا الناس فيها وقالوا ترون المائدة حقا تنزل من السماء فأوحى الله عز وجل إلى عيسى عليه السلام انى شرطت ان من كفر بعد نزولها عذبته عذابا لا أعذبه أحداً من العالمين فقال عيسى عليه السلام عند ذلك إن تعذبهم فانهم عبادك وإن تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم فمسخ الله منهم ثلثمائة وثلاثين رجلا باتوا ليلتهم مع نسائهم على فرشهم ثم اصبحوا خنازير يسعون فى الطرق يأكلون القذرة من الكناسات والحشوش فلما راى الناس ذلك فزعوا إلى عيسى عليه السلام وبكوا ولما ابصرت الخنازير عيسى عليه السلام بكت وجعلت تطيف به وجعل عيسى عليه السلام يدعوهم باسمائهم فيشيرون برؤسهم ولا يقدرون على الكلام فعاشوا ثلاثة أيام ثم هلكوا وقال كعب انزلت المائدة منكوسة تطير بها الملائكة بين السماء والارض عليها كل شيء إلا اللحم وقال ابن عباس انزل على المائدة كل شيء إلا الخبز واللحم وقال الكلبى كان عليها خبز وبقل وقال وهب بن منبه انزل الله اقرصة من شعير وحيتانا فكان القوم يأكلون ويخرجون ثم يجيء آخرون فيأكلون حتى اكلوا باجمعهم وفضل وقال قتادة كانت تنزل عليهم بكرة وعشيا حيث كانوا كالمن والسلوى لبنى إسرائيل وقال الكلبى ومقاتل انزل الله سمكا وخمسة ارغفة فاكلوا منها ما شاء الله والناس الف وبيف فلما رجعوا إلى قراهم ونشروا الحديث ضحك من لم يشهد منهم وقالوا ويحكم إنما سحر اعيننا فمن اراد الله به خيرا اثبته ومن اراد فتنته رجع إلى كفره فمسخوا خنازير وليس فيهم صبى ولا امراة فمكثوا ثلاثة ايام ثم هلكوا ولم يتوالدوا ولم يأكلوا ولم يشربوا وكذلك كل ممسوخ، قوله عز وجل (وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم ءانت قلت للناس اتخذونى وامى إلهين من دون الله) الآية اختلفت المفسرون فى وقت هذا القول فقال السدى قال الله لعيسى هذا القول حين رفعه إلى السماء بدليل ان حرف إذ يكون للماضى وقال سائر المفسرين إنما يقول الله له هذا القول يوم القيامة بدليل قوله يوم يجمع الله الرسل وذلك يوم القيامة وبدليل قوله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم وذلك يوم القيامة واجيب عن حرف إذ بانها قد تجيء بمعنى إذا كقوله ولو ترى إذ فزعوا يعنى إذا فزعوا وقال الراجز ثم جزاك الله عنى إذ جزى، جنات عدن فى السموات العلى ولفظ الاية فى قوله ءانت قلت للناس لفظ استفهام ومعناه الانكار والتوبيخ لمن ادعى على عيسى عليه السلام من النصارى لأن عيسى عليه السلام لم يقل هذه المقالة فان قلت إذا كان عيسى عليه السلام لم يقلها فاوجه هذا السؤال له مع علم الله بأنه لم يقله قلت وجه هذا السؤال تثبيت الحجة على قومه وإكذاب لهم فى ادعائهم ذلك عليه وانه أمرهم به فهو كما يقول القائل لاخر أفعلت كذا وهو يعلم انه لم يفعله إنما أراد تعظيم ذلك الفعل فنفى عن نفسه هذه المقالة وقال ما قلت لهم إلا ما أمرتنى به أن اعبدوا الله ربى وربكم فاعترف بالعبودية وأنه ليس بالله كما زعمت وادعت فيه النصارى فان قلت أن النصارى لم يقولوا بالهية مريم فكيف قال اتخذونى وأمى الهين من دون الله قلت أن النصارى لما ادعت فى عيسى انه اله ورأوا أن مريم ولدته لزمهم بهذه المقالة على سبيل التبعية وقوله تعالى اخبارا عن عيسى عليه السلام (قال سبحانك) يعنى تنزيها لك عن النقائص وبراءة لك من العيوب قال أبو روق اذا سمع عيسى عليه السلام هذا الخطاب وهو قوله أأنت قلت

فعاشوا ثلاثة أيام ثم هلكوا قوله عز وجل (وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم ءانت قلت للناس اتخذونى وامى إلهين من دون الله) واختلفوا فى ان هذا القول متى يكون فقال السدى قال الله تعالى هذا القول لعيسى عليه السلام حين رفعه إلى السماء لأن حرف إذ يكون للماضى وقال سائر المفسرين إنما يقول الله له هذا القول يوم القيامة بدليل قوله من قبل يوم يجمع الله الرسل وقال من بعد هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم وازاد بهما يوم القيامة وقد تجيء إذ بمعنى إذا كقوله عز وجل ولو ترى إذ فزعوا أى إذا فزعوا يوم القيامة والقيامة وإن لم تكن بعد ولكنها كالكائنة لانها اتية لا محالة قوله ءانت قلت للناس اتخذونى وامى إلهين من دون الله فان قيل فما وجه هذا السؤال عنه مع علم الله عز وجل ان عيسى لم يقله قيل هذا السؤال عنه لتوبيخ قومه وتعظيم امر هذه المقالة كما يقول القائل لاخر فعلت كذا وكذا فيما يعلم انه لم يفعل إعلاما واستعظاما لا استخبارا واستفهاما وايضا اراد الله عز وجل ان يقر عيسى عليه السلام عن نفسه بالعبودية فيسمع قومه منه ويظهر كذبهم عليه انه امرهم بذلك قال ابو روق وإذا سمع عيسى عليه السلام هذا الخطاب أرعدت مفاصله وانفجرت من أصل كل شعرة على جسده عين من دم ثم يقول مجيبا لله عز وجل (قال سبحانك) تنزيها وتعظيما لك

(ما يكون لى أن أقول ماليس لى بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم مافى نفسى ولا أعلم مافى نفسك) قال ابن عباس تعلم مافى غيبى ولا أعلم مافى غيبك وقيل تعلم سرى ولا اعلم سرك وقال ابو روق تعلم ما كان منى فى دار الدنيا ولا اعلم ما يكون منك فى الآخرة وقال الزجاج النفس عبارة عن جملة الشىء وحقيقته يقول تعلم جميع ما أعلم من حقيقة أمرى ولا أعلم حقيقة أمرك (إنك أنت علام الغيوب) ما كان وما يكون (ماقلت لهم إلا ما أمرتنى به ان اعبدوا الله ربى وربكم) وحده ولا تشركوا به شيئا (وكنت عليهم شهيدا مادمت) اقمت (فيهم فلما توفيتنى) قبضتنى ورفعتنى إليك (كنت أنت الرقيب عليهم) الحفيظ عليهم تحفظ أعمالهم (وأنت على كل شىء شهيد إن تعذبهم فانهم عبادك وإن تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم) فان قيل كيف طلب المغفرة لهم وهم كفار وكيف قال وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم وهذا لا يليق بسؤال المغفرة قيل اما الاول فمعناه إن تعذبهم باقامتهم على كفرهم وإن تغفر لهم بعد الايمان وهذا يستقيم على قول السدى ان هذا السؤال قبل يوم القيامة لان الايمان لا ينفع فى القيامة وقيل هذا فى الفريقين منهم معناه ان تعذب من كفر منهم وان تغفر لمن آمن منهم وقيل ليس هذا على وجه طلب المغفرة ولو كان كذلك لقال انت الغفور الرحيم ولكنه على تسليم الامر وتفويضه إلى مراده واما السؤال الثانى فكان ابن مسعود رضى الله عنه يقرا وان تغفر لهم فانك انت الغفور الرحيم وكذلك هو فى مصحفه واما على القراءة المعروفة قيل فيه تقديم وتاخير تقديره ان تغفر لهم فانهم عبادك وان تعذبهم فانك انت العزيز الحكيم وقيل معناه ان تعذبهم فانهم عبادك وإن تغفر لهم فانك انت العزيز فى الملك الحكيم فى القضاء لا ينقص من عزك شىء ولا يخرج من حكمك ويدخل فى حكمته العزيز ومغفرته وسعة رحمته ومغفرته الكفار ولكنه اخبر انه لا يغفر وهو لا يخلف خبره اخبرنا اسمعيل بن عبد القاهر انا عبد الغافر بن محمد الفارسى ثنا محمد بن عيسى الجلودى حدثنا ابراهيم بن محمد بن سفيان حدثنا مسلم بن الحجاج حدثنى يونس بن عبد الأعلى الصيرفى حدثنا ابن وهب اخبرنى عمر بن الحارث ان بكر بن سوادة حدثه عن عبد الرحمن بن جبير عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن النبى ﷺ تلا قول الله تعالى فى ابراهيم رب إنهن اضللن كثيرا من الناس فمن تبعنى فانه منى الآية وقول عيسى عليه السلام إن تعذبهم فانهم عبادك وإن تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم فرفع يديه وقال اللهم امتى وبكى فقال الله عز وجل يا جبريل اذهب إلى محمد وربك اعلم فسله ما يبكيه فاتاه جبريل فسأله فاخبر رسول الله ﷺ بما قال فقال الله تعالى يا جبريل اذهب إلى محمد فقل انا سنرضيك فى امتك ولا نسوءك

للناس اتخذونى وأمى إلهين من دون الله ارتعدت مفاصله وانفجرت من أصل كل شعرة من جسده عين من دم وقال مجيبا الله تعالى سبحانك (ما يكون لى ان اقول ماليس لى بحق) اى كيف اقول هذا الكلام ولست باهل ولست استحق العبادة حتى ادعو الناس اليها ولما بين انه ليس له ان يقول هذه المقالة وهذا المقام مقام التواضع والخشوع لعظمة الله تعالى شرع فى بيان هل وقع ذلك منه ام لا فقال (إن كنت قلته فقد علمته) أسند العلم إلى الله تعالى وهذا هو غاية الأدب وإظهار المسكنة لعظمة الله تعالى وتفويض الأمر إليه ثم قال (تعلم مافى نفسى ولا اعلم مافى نفسك) يعنى تعلم ما اعلم ولا اعلم ما تعلم وقال ابن عباس تعلم مافى غيبى ولا اعلم مافى غيبك وقيل معناه تعلم ما اخفى ولا اعلم ما تخفى وقيل معناه تعلم ما كان منى فى دار الدنيا ولا اعلم ما يكون منك فى دار الاخرة وقيل معناه تعلم ما اقول وافعل ولا اعلم ما تقول وتفعل والنفس عبارة عن ذات الشىء يقال نفس الشىء وذاته بمعنى واحد وقال الزجاج النفس عبارة عن جملة الشىء وحقيقته يقال تعلم جميع حقيقة امرى ولا اعلم حقيقة امرك وقيل معناه تعلم معلومى ولا اعلم معلومك وإنما ذكر هذا الكلام على طريقة المشاكلة والمطابقة وهو من فصيح الكلام ثم قال (إنك أنت علام الغيوب) يعنى انك تعلم ما كان وما سيكون وهذا تاكيد لما تقدم من قوله تعالى تعلم مافى نفسى ولا اعلم مافى نفسك * قوله تعالى إخبارا عن عيسى (ماقلت لهم إلا ما أمرتنى به) يعنى ما قلت لهم إلا قولا امرتنى به (ان اعبدوا الله) يعنى قلت لهم اعبدوا الله (ربى وربكم) يعنى وحده ولا تشركوا به شيئا (وكنت عليهم شهيدا مادمت فيهم) يعنى وكنت اشهد ما يفعلون واحضره مادمت مقيما فيهم (فلما توفيتنى) يعنى فلما رفعتنى إلى السماء فالمراد به وفاة الرفع لا الموت (كنت انت الرقيب عليهم) يعنى الحفيظ عليهم المراقب لاعمالهم وأحوالهم والرقيب الحافظ الذى لا يغيب عنه شىء (وأنت على كل شىء شهيد) يعنى انت شهدت مقالتى التى قلتها لهم وانت الشهيد عليهم بعد مارفعتنى اليك لا تخفى عليك خافية فعلى هذا الشهيد هنا بمعنى الشاهد لما كان وما يكون أو يجوز أن يكون الشهيد هنا بمعنى العليم يعنى انت العالم بكل شىء فلا يعزب عن علمك شىء * قوله عز وجل اخبارا عن عيسى عليه السلام (إن تعذبهم) يعنى ان تعذب هؤلاء الذين قالوا هذه المقالة بان تميتهم على كفرهم (فانهم عبادك) لا يقدرون على دفع ضر نزل بهم ولا اجلب نفع لانفسهم وانت العادل فيهم لانك اوضحت لهم طريق الحق فرجعوا عنه وكفروا (وإن تغفر لهم) يعنى لمن تاب من كفره منهم بان تهديه إلى الايمان فان ذلك بفضلك ورحمتك (فانك انت العزيز) يعنى فى الانتقام ممن تريد الانتقام منه لا يمتنع عليك ما تريده (الحكيم) فى افعالك كلها وهذا التفسير إنما يصح على قول السدى لانه قال كان سؤال الله عز وجل لعيسى عليه السلام حين رفعه إلى السماء قبل يوم القيامة اما على قول جمهور المفسرين ان هذا السؤال إنما يقع يوم القيامة ففى قوله وان تغفر لهم فانك انت

العزيز الحكيم اشكال وهو أنه لا يليق بعيسى عليه السلام طلب المغفرة مع علمه بأن الله تعالى لا يغفر لمن يموت على الشرك والجواب عن هذا الاشكال من وجوه أحدها أنه ليس هذا على طريق طلب المغفرة ولو كان كذلك لقال فانك أنت الغفور الرحيم ولكنه على تسليم الأمر إلى الله وتفويضه إلى مراده فيهم لأنه العزيز فى ملكه الحكيم فى فعله ويجوز فى حكمته وسعة مغفرته ورحمته أن يغفر للكفار لكنه تعالى أخبر أنه لا يفعل ذلك بقوله إن الله لا يغفر أن يشرك به الوجه الثانى قيل معناه أن تعذبهم يعنى باقامتهم على كفرهم إلى الموت وإن تغفر لهم يعنى لمن آمن منهم وتاب ورجع عن كفره الوجه الثالث قال ابن الانبارى لما قال الله لعيسى أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى إلهين من دون الله لم يقع لعيسى إلا أن النصارى حكمت عنه الكذب لأنه لم يقل ذلك وقول الكذب ذنب فيجوز أن يسأل له المغفرة والله أعلم بمراده وأسرار كتابه (م) عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان النبى ﷺ تلا قول الله عز وجل فى إبراهيم رب إنهن أضللن كثيرا من الناس فمن تبعنى فانه منى الاية وقول عيسى إن تعذبهم فانهم عبادك وإن تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم فرفع يديه وقال اللهم أمتى أمتى وبكى فقال الله تعالى ياجبريل إذهب إلى محمد وربك أعلم فاسأله ما يبكيك فأتاه جبريل عليه السلام فسأله فاخبره رسول الله ﷺ بما قال وهو أعلم فقال ياجبريل إذهب إلى محمد فقل له إنا سنرضيك فى أمتك ولا نسوءك عن عن أبى ذر أن رسول الله ﷺ قام حتى أصبح بآية والآية إن تعذبهم فانهم عبادك وإن تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم أخرجه النسائى * قوله عز وجل (قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم) اتفق جمهور العلماء على أن المراد بهذا اليوم يوم القيامة والمعنى أن صدقهم فى الدنيا ينفعهم فى الآخرة لأنه يوم الاثابة والجزاء وما تقدم من صدقهم فى الدنيا يتبين نفعه يوم القيامة والمراد بالصادقين النبيون والمؤمنون لأن الكفار لا ينفعهم صدقهم يوم القيامة قال قتادة متكلمان لا يخطئان يوم القيامة عيسى عليه السلام لأنه يوم فيقول ما قص الله عنه ما قلت لهم إلا ما أمرتنى به الآية فكان صادقا فى الدنيا والآخرة فينفعه وأما المتكلم الاخر فابليس فانه يوم فيقول وقال الشيطان لما قضى الأمر الاية فصدق عدو الله فيما قال ولم ينفعه صدقه وقال عطاء هو يوم من أيام الدنيا لأن الاخرة دار جزاء لا دار عمل وذهب فى هذا القول إلى ظاهر الاية من أن الصدق النافع إنما يكون فى الدنيا وهذا القول موافق لمذهب السدى حيث يقول ان هذه المخاطبة جرت مع عيسى عليه السلام حين رفع إلى السماء والوجه ما ذهب إليه الجمهور ثم ذكر الله تعالى ما لهم من الثواب على صدقهم فقال تعالى (لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا) فهذا إشارة إلى ما يحصل لهم من الثواب الدائم الذى لا انقطاع له ولا انتهاء (رضى الله عنهم) يعنى بطاعتهم له (ورضوا عنه) يعنى بما أعطاهم من ثوابه وجزيل كرامته (ذلك) إشارة إلى ما ذكره من ثوابهم (الفوز العظيم) يعنى أنهم فازوا بالجنة وبرضوانه عنهم ونجوا من النار (لله ملك السموات والأرض وما فيهن) عظم الله عز وجل نفسه قال فيه النصارى يعنى أن الذى له ملك السموات والأرض هو الذى يستحق الالهية لا ما قالت النصارى من ألوهية المسيح وأمه لأنهما من جملة من فى السموات والأرض فهما عبيده وفى ملكه وقيل هو جواب لسؤال مضمر فى الكلالة كأنه لما وعد الصادقين بالثواب العظيم قيل من يعطيهم ذلك قال الذى له ملك السموات والأرض ومن فيهن (وهو على كل شىء قدير) والله سبحانه وتعالى أعلم بمراده وأسرار كتابه

﴿فصل فى ذكر نزولها﴾ روى مجاهد عن ابن عباس أن سورة الانعام مما نزل بمكة وهذا قول الحسن وقتادة وجابر بن زيد وروى يوسف بن مهران عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال نزلت سورة الانعام جملة ليلا بمكة وحولها سبعون ملك وروى أبو صالح عن ابن عباس قال هى مكية نزلت جملة واحدة نزلت ليلا وكتبوها من ليلتهم غير ست آيات منها فانها مدنيات وهى قوله تعالى قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم إلى آخر الثلاث آيات وقوله تعالى

وقرأ الاخرون بالرفع على أنه خبر هذا أى ينفع الصادقين فى الدنيا صدقهم فى الاخرة ولو كذبوا ختم الله على أفواههم ونطقت به جوارحهم فافتضحوا وقيل أرادوا بالصادقين النبيين وقال الكلبى ينفع المؤمنين إيمانهم قال قتادة متكلمان لا يخطئان يوم القيامة عيسى عليه السلام وهو ما قص الله وعدو الله إبليس وهو قوله وقال الشيطان لما قضى الامر الاية فصدق عدو الله يومئذ وكان قبل ذلك كاذبا فلم ينفعه صدقه وأما عيسى عليه السلام فكان صادقا فى الدنيا والاخرة فنفعه صدقه وقال بعضهم هذا يوم من أيام الدنيا لان الدار الاخرة دار جزاء لا دار عمل ثم بين ثوابهم فقال (لهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها أبدا رضى الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم) ثم عظم نفسه فقال (لله ملك السموات والارض وما فيهن وهو على كل شىء قدير)

﴿سورة الانعام﴾

مكية وهى مائة وخمس وستون آية نزلت بمكة جملة ليلا معها سبعون ألف ملك قد سدوا ما بين الخافقين لهم زجل بالتسبيح والتحميد والتمجيد فقال النبى صلى الله عليه وسلم سبحان ربى العظيم سبحان ربى العظيم وخر ساجدا وروى مرفوعا من قرأ

سورة الانعام يصلى عليه أولئك السبعون ألف ملك ليله ونهاره وقال الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما نزلت سورة الأنعام بمكة إلا قوله وما قدروا الله حق قدره إلى آخر ثلاث آيات وقوله تعالى قل تعالوا إلى قوله لعلكم تتقون فهذه الست آيات مدنيات ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (الحمد لله الذي خلق السموات والأرض) قال كعب الأحبار هذه الآية اول آية فى التوراة وآخر آية فى التوراة قوله وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا الاية وقال ابن عباس رضى الله عنهما افتتح الله الخلق بالحمد فقال الحمد لله الذي خلق السموات والارض وختمه بالحمد فقال وقضى بينهم بالحق (٩٦) أى بين الخلائق وقيل الحمد لله رب العالمين قوله الحمد لله حمد الله نفسه تعليما لعباده اى احمدوا

الله الذي خلق السموات والارض خصهما بالذكر لأنهما أعظم المخلوقات فيما يرى العباد وفيهما العبر والمنافع للعباد (وجعل الظلمات والنور) والجعل بمعنى الخلق وقال الواقدى كل ما فى القرآن من الظلمات والنور فهو الكفر والايمان إلا فى هذه الاية فانه يريد بهما الليل والنهار وقال الحسن وجعل الظلمات والنور يعنى الكفر والايمان وقيل أراد بالظلمات الجهل والنور العلم وقال قتادة يعنى الجنة والنار وقيل معناه خلق الله السموات والارض وقد جعل الظلمات والنور لأنه خلق السموات والنور قبل السموات والارض قال قتادة خلق الله السموات قبل الأرض وخلق الظلمة قبل النور والجنة قبل النار وروى عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي ﷺ قال ان الله تعالى خلق الخلق فى ظلمة ثم ألقى عليهم من نوره فمن أصابه من ذلك النور اهتدى ومن أخطأه ضل (ثم الذين كفروا بربهم يعدلون) أي ثم الذين كفروا بعد هذا البيان بربهم يعدلون أى ويشركون وأصله خلق مساواة الشيء بالشيء ومنه العدل اى يعدلون بالله غير الله تعالى يقال عدلت هذا بهذا إذا ساويته وبه قال النضر بن شميل الباء بمعنى عن اى عن ربهم يعدلون اى يميلون وينحرفون من العدل قال الله تعالى عينا يشرب بها عباد الله اى منها وقيل تحت قوله ثم الذين كفروا بربهم يعدلون معنى لطيف وهو مثل قول القائل انعمت عليكم بكذا وتفضلت عليكم بكذا ثم تكفرون بنعمتى قوله عز وجل (هو الذى خلقكم من طين) يعني ادم عليه السلام خاطبهم به إذا كانوا من ولده قال السدى بعث الله تعالى جبريل عليه السلام الى الارض ليأتيه بطائفة

وما قدروا الله حق قدره الاية وقوله تعالى ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو قال أوحى إلى ولم يوح اليه شيء إلى آخر الايتين وذكر مقاتل نحو هذا وزاد ايتين وهما قوله تعالى والذين آتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل من ربك بالحق الاية وقوله تعالى الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم الاية وروى عن ابن عباس أيضا وقتادة أنهما قالا هى مكية إلا ايتين نزلتا بالمدينة قوله وما قدروا الله حق قدره وقوله وهو الذى أنشأ جنات معروشات وغير معروشات الاية ولما نزلت سورة الأنعام ومعها سبعون الف ملك قد سدوا ما بين الخافقين لهم زجل بالتسبيح والتحميد قال النبي ﷺ سبحان ربي العظيم سبحان ربي العظيم وخروا سجدا قال البغوى وروى عنه مرفوعا من قرأ سورة الأنعام صلى عليه أولئك السبعون الف ملك ليله ونهاره وذكره بغير سند والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

قوله عز وجل (الحمد لله الذي خلق السموات والأرض) قال كعب الأحبار هذه الاية أول اية فى التوراة واخر اية فى التوراة قوله تعالى وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا الآية وفى رواية عنه ان اخر اية فى التوراة اخر سورة هود قال ابن عباس افتتح الله الخلق بالحمد فقال الحمد لله الذي خلق السموات والارض وختمه بالحمد فقال تعالى وقضى بينهم الحق وقيل الحمد لله رب العالمين وفى قوله الحمد لله تعليم لعباده كيف يحمدونه أى قولوا الحمد لله وقال أهل المعانى لفظه خبر ومعناه الأمر أى احمدوا الله وإنما جاء على صيغة الخبر وفيه معنى الأمر لأنه ابلغ فى البيان من حيث انه جمع الامرين ولو قيل احمدوا الله لم يجمع الامرين فكان قوله الحمد لله ابلغ وقد تقدم معنى الحمد فى تفسير سورة فاتحة الكتاب بما فيه مقنع الذي خلق السموات والارض أى احمدوا الله خلق السموات والارض وإنما خصهما بالذكر لأنهما أعظم المخلوقات فيما يرى العباد لأن السماء بغير عمد ترونها وفيها العبر والمنافع والارض مسكن الخلق وفيها أيضا العبر والمنافع (وجعل الظلمات والنور) الجعل هنا بمعنى الخلق أى وخلق الظلمات والنور قال السدى يريد بالظلمات ظلمات الليل والنهار وبالنور نور النهار وقال الحسن يعنى بالظلمات الكفر وبالنور الإيمان وقيل يعنى بالظلمات الجهل وبالنور العلم وقيل الجنة والنور وقال قتادة خلق الله السموات قبل الارض وخلق الظلمة قبل النور وخلق الجنة قبل النار روى عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي ﷺ انه قال إن الله خلق خلقه فى ظلمة ثم ألقى عليهم من نوره فمن أصابه ذلك النور فقد اهتدى ومن أخطأه ضل ذكره البغوى بغير سند (ثم الذين كفروا بربهم يعدلون) يعنى والذين كفروا بعد هذا البيان بربهم يشركون وأصل العدل مساواة الشيء بالشيء والمعنى أنهم يستدلون بالله غير الله ويجعلون له عديلا من خلقه فيعبدون الحجارة مع إقرارهم بأن الله خلق السموات والارض وقال النضر بن شميل الباء فى قوله بربهم بمعنى عن أى عن ربهم يعدلون وينحرفون من العدول عن الشيء وقيل دخول ثم فى قوله ثم الذين كفروا بربهم يعدلون دليل على معنى لطيف وهو إنه تعالى دل به على إنكاره على الكفار العدل به وعلى تعجيب المؤمنين من ذلك ومثال ذلك أن تقول لرجل أكرمتك وأحسنت إليك وأنت تنكر بى وتجحد إحسانى إليك فتقول ذلك منكرا عليه ومتعجبا من فعله، قوله تعالى (هو الذى خلقكم من طين) يعنى أنه تعالى

منها فقالت الارض انى أعوذ بالله منك أن تنقص منى فرجع جبريل ولم يأخذ وقال يارب انها عاذت بك فبعث ميكائيل فاستعاذت فرجع فبعث ملك الموت فعاذت منه بالله فقال وانا أعوذ بالله ان اخالف أمره فاخذ من وجه الأرض فخلط الحمراء والسوداء والبيضاء فلذلك اختلفت ألوان بنى آدم ثم عجنها بالماء العذب والملح والمر كذا اختلفت أخلاقهم فقال الله تعالى لملك الموت رحم جبريل وميكائيل الأرض ولم ترحمها لاجرم اخرج أرواح من اخلق من هذا الطين بيدك وروى عن أبى هريرة رضى الله (٩٧) عنه خلق الله آدم عليه السلام من

خلق آدم من طين وإنما خاطب ذريته بذلك لأنه أصلهم وهم من نسله وذلك لما أنكر المشركون البعث وقالوا من يحيي العظام وهى رميم اعلمهم بهذه الآية انه خلقهم من طين وهو القادر على إعادة خلقهم وبعثهم بعد الموت قال السدى لما أراد الله عز وجل ان يخلق آدم بعث جبريل إلى الأرض ليأتيه بقبضة منها فقالت الأرض إنى أعوذ بالله منك ان تقبض منى فراجع ولم يأخذ منها شيئا فقال يارب عاذت بك فبعث الله ميكائيل فاستعاذت فرجع فبعث الله ملك الموت فعاذت منه فقال وأنا أعوذ بالله أن أخالف امره وأخذ من وجه الأرض فخلط الحمراء والسوداء والبيضاء فلذا اختلفت ألوان بنى آدم ثم عجنها بالماء العذب والملح والمر فلذلك اختلفت أخلاقهم ثم قال الله لملك الموت رحم جبريل وميكائيل الارض ولم ترحمها لاجرم اجعل أرواح من اخلق من هذا الطين بيدك عن أبى موسى الأشعرى قال سمعت رسول الله ﷺ يقول إن الله تعالى خلق ادم من قبضة قبضها من جميع الأرض فجاء بنو آدم على قدر الأرض منهم الاحمر والابيض والاسود وبين ذلك والسهل والحزن والخبيث والطيب أخرجه أبو داود والترمذى واما قوله تعالى (ثم قضى أجلا وأجل مسمى عنده) فاختلف العلماء فى معنى ذلك فقال الحسن وقتادة والضحاك الاجل الاول من وقت الولادة إلى وقت الموت والاجل الثانى من وقت الموت إلى البعث وهو البرزخ ويروى نحو ذلك عن ابن عباس قال لكل أحد أجلان أجل إلى الموت وأجل من الموت إلى البعث فان كان الرجل برا تقيا وصولا للرحم زيد له من اجل البعث إلى اجل العمر وإن كان فاجرا قاطعا للرحم نقص من اجل العمر وزيد فى اجل البعث وذلك قوله وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره إلا كتاب وقال مجاهد وسعيد بن جبير الأجل الاول اجل الدنيا والاجل الثانى اجل الاخرة وقيل الاجل هو الوقت المقدر فاجل كل انسان مقدر معلوم عند الله لا يزيد ولا ينقص والاجل الثانى هو اجل القيامة وهو ايضا معلوم مقدر عند الله لا يعلمه إلا الله تعالى وقال ابن عباس فى رواية عطاء عنه ثم قضى أجلا يعنى النوم تقبض فيه الارواح ثم ترجع عند الانتباه وأجل مسمى عنده هو اجل الموت وقيل هما واحد ومعناه ثم قضى اجلا يعنى قدر مدة لأعماركم تنتهون إليها وهو أجل مسمى عنده يعنى أن ذلك العمل عنده لا يعلمه إلا هو والمراد بقوله عنده يعنى فى اللوح المحفوظ الذى لا يطلع عليه غيره (ثم انتم تمترون) يعنى ثم انتم تشكون فى البعث قوله عز وجل (وهو الله فى السموات وفى الارض) يعنى وهو إله السموات وإله الارض وقيل معناه وهو المعبود فى السموات وفى الارض وقال محمد بن جرير الطبرى معناه وهو الله فى السموات (يعلم سركم وجهركم) فى الارض وقال الزجاج فيه تقديم وتأخير تقديره وهو الله يعلم سركم وجهركم فى السموات وفى الارض وقيل معناه وهو المنفرد بالتدبير فى السموات وفى الارض لا شريك له فيهما والمراد بالسر ما يخفيه الانسان فى ضميره فهو من أعمال القلوب بالجهر ما يظهره الانسان فهو من أعمال الجوارح والمعنى ان الله لا يخفى عليه خافية فى السموات ولا فى الارض (ويعلم ما تكسبون) يعنى من خير او شر يتى فى الاية سؤال وهو ان الكسب اما أن يكون من أعمال القلوب وهو المسمى بالسر او من اعمال الجوارح وهو المسمى بالجهر فالافعال لا تخرج عن هذين النوعين يعنى السر والجهر فما قوله ويعلم ما تكسبون يقتضى عطف الشىء على نفسه وذلك غير جائز فما معنى ذلك وأجيب عنه بانه يجب حمل قوله ويعلم ما تكسبون على ما يستحقه الانسان على فعله وكسبه من الثواب والعقاب والحاصل فيه انه محمول على المكتسب فهو كما يقال هذا

تراب وجعله طينا ثم تركه حتى كان حما مسنونا ثم خلقه وصوره وتركه حتى كان صلصالا كالفخار ثم نفخ فيه روحه قوله عز وجل (ثم قضى اجلا وأجل مسمى عنده) قال الحسن وقتادة الضحاك الأجل الأول من الولادة إلى الموت والاجل الثانى من الموت إلى البعث وهو البرزخ وروى ذلك عن ابن عباس وقال لكل احد اجلان اجل من الولادة إلى الموت واجل من الموت إلى البعث فان كان برا تقيا وصولا للرحم زيد له من أجل البعث فى أجل العمر وان كان فاجرا قاطعا للرحم نقص من أجل العمر وزيد فى أجل البعث وقال مجاهد وسعيد ابن جبير الأجل الأول اجل الدنيا والاجل الثانى أجل الاخرة وقال عطاء عن ابن عباس رضى الله عنهما ثم قضى أجلا يعنى النوم تقبض فيه الروح ثم ترجع عند اليقظة واجل مسمى عنده هو أجل الموت وقيل هما واحد معناه ثم قضى اجلا يعنى جعل

(١٣ — خازن — نى) لأعماركم مدة تنتهون اليها وأجل مسمى عنده يعنى وهو اجل مسمى عنده لا يعلمه غيره (ثم انتم تمترون) تشكون فى البعث قوله عز وجل (وهو الله فى السموات وفى الارض) يعنى وهو إله السموات والارض كقوله وهو الذى فى السماء إله وفى الارض إله وقيل هو المعبود فى السموات وقال محمد بن جرير معناه وهو الله فى السموات يعلم سركم وجهركم فى الارض وقال الزجاج فيه تقديم وتأخير تقديره وهو الله (يعلم سركم وجهركم) فى السموات والارض (ويعلم ما تكسبون) تعملون من الخير والشر

(وما تأتيهم) يعنى اهل مكة (من آية من آيات ربهم) مثل انشقاق القمر وغيره وقال عطاء يريد من آيات القرآن (إلا كانوا عنها معرضين) لها تاركين وبها مكذبين (فقد كذبوا بالحق) بالقران وقيل بمحمد ﷺ (لما جاءهم فسوف يأتيهم انباء ما كانوا به يستهزئون) اى اخبار استهزائهم وجزاؤه اى سيعلمون عاقبة استهزائهم إذا عذبوا وقوله عز وجل (ألم يروا كم اهلكنا قبلهم من قرن) يعنى الأمم الماضية والقرن الجماعة من الناس وجمعه قرون (٩٨) وقيل القرن مدة من الزمان يقال ثمانون سنة وقيل ستون سنة وقيل اربعون سنة وقيل ثلاثون سنة ويقال مائة سنة لما روى ان النبي ﷺ قال لعبد الله بن بشر المازنى إنك تعيش قرنا فعاش مائة سنة فيكون معناه على هذه الأقاويل من أهل قرن (مكناهم فى الأرض مالم نمكن لكم) أى أعطيناهم مالم نعطكم وقال ابن عباس امهلناهم فى العمر مثل قوم نوح وعاد وثمود يقال مكنته ومكنت له (وأرسلنا السماء عليهم مدرارا) يعنى المطر مفعال من الدر قال ابن عباس مدرارا اى متتابعا فى أوقات الحاجات وقوله مالم نمكن لكم من خطاب التلوين رجع من الخبر عن قوله ألم يروا إلى خطاب كقوله حتى إذا كنتم فى الفلك وجرين بهم وقال أهل البصرة أخبر عنهم بقوله ألم يروا وفيهم محمد ﷺ واصحابه ثم خاطبهم معهم والعرب تقول قلت لعبد الله ما أكرمه وقلت لعبد الله ما اكرمك (وجعلنا الأنهار تجرى من تحتهم فاهلكناهم بذنوبهم وانشانا) خلقنا وابتدانا (من بعدهم قرنا اخرين) قوله عز وجل (ولو نزلنا عليك كتابا فى قرطاس) الآية قال الكلبى ومقاتل نزلت فى النضر بن الحارث وعبد الله بن ابى امية ونوفل بن خويلد وهذه قالوا يا محمد لن نؤمن لك حتى تأتينا بكتاب من عند الله ومعه اربعة من الملائكة يشهدون عليه انه من عند الله وانك ورسوله فانزل الله عز وجل ولو نزلنا عليك كتابا فى قرطاس مكتوبا من عنده (فلمسوه بأيديهم) اى عاينوه ومسوه بأيديهم وذكر اللمس ولم يذكر المعاينة لان اللمس ابلغ فى ايقاع العلم من المعاينة فان السحر يجرى على المرئى ولا يجرى على الملموس (لقال الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين) معناه انه لا ينفع معهم شىء لما سبق فيهم من علمى (وقالوا لولا انزل عليه) على محمد ﷺ (ملك لو انزلنا ملكا لقضى الامر) اى لوجب العذاب

المال كسب فلان اى مكتسبه ولا يجوز حمله على نفس الكسب وإلا لزم عطف الشىء على نفسه ذكره الامام فخر الدين (وما تأتيهم) يعنى أهل مكة (من آية من آيات ربهم) يعنى من المعجزات الباهرات التى جاء رسول الله ﷺ مثل انشقاق القمر وغير ذلك وقيل المراد بالآيات آيات القرآن (إلا كانوا عنها معرضين) يعنى إلا كانوا لها تاركين وبها مكذبين (فقد كذبوا بالحق) يعنى بآيات القران وقيل بمحمد ﷺ وبما أتى به من المعجزات (لما جاءهم) يعنى لما جاءهم الحق من عندربهم كذبوا به (فسوف يأتيهم انباء ما كانوا به يستهزئون) يعنى فسوف يأتيهم اخبار استهزائهم إذا عذبوا فى الاخرة، قوله تعالى (ألم يروا) الخطاب لكفار مكة يعنى ألم ير هؤلاء المكذبون بآياتى (كم اهلكنا من قبلهم من قرن) يعنى مثل نوح وعاد وثمود وغيرهم من الأمم الماضية والقرون الخالية والقرن الأمة من الناس وأهل كل زمان قرن سموا بذلك لاقترانهم فى الوجود فى ذلك الزمان وقيل سمى قرنا لأنه زمان بزمان وامة بامة واختلفوا فى مقدار القرن فقيل ثمانون سنة وقيل ستون سنة وقيل اربعون سنة وقيل مائة وعشرون وقيل مائة سنة وهو الأصح لما روى ان النبى ﷺ قال لعبد الله ابن بشر المازنى انك تعيش قرنا فعاش مائة سنة فعلى هذا القول المراد بالقرن اهله الذين وجدوا فيه ومنه قول النبى ﷺ خير القرون قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم يعنى أصحابى وتابعهم وتابعى التابعين (مكناهم فى الارض مالم نمكن لكم) يعنى أعطيناهم مالم نعطكم يا أهل مكة وقيل امددناهم فى العمر والبسطة فى الاجسام والسعة فى الأرزاق مثل عطاء قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم (وأرسلنا السماء عليهم مدرارا) مفعال من الدر يعنى وأرسلنا المطر متتابعا فى أوقات الحاجة إليه والمراد بالسماء المطر سمى بذلك لنزوله منها (وجعلنا الأنهار تجرى من تحتهم) يعنى وفجرنا لهم العيون تجرى من تحتهم والمراد منه كثرة البساتين (فاهلكناهم بذنوبهم) يعنى بسبب ذنوبهم وكفرهم (وأنشأنا من بعدهم قرنا آخرين) يعنى وخلقنا من بعد هلاك أولئك اهل قرن آخرين وفى هذه الاية ما يوجب الاعتبار والموعظة بحال من مضى من الأمم السالفة والقرون الخالية فانهم مع ما كانوا فيه من القوة وسعة الرزق وكثرة الاتباع اهلكناهم لما كفروا وطغوا وظلموا فكيف حال من هو أضعف منهم وأقل عددا وعددا وهذا يوجب الاعتبار والانتباه من نوم الغفلة ورقدة الجهالة، قوله عز وجل (ولو نزلنا عليك كتابا فى قرطاس) الاية قال الكلبى ومقاتل نزلت فى النضر بن الحرث وعبد الله بن أمية ونوفل بن خويلد قالوا يا محمد لن نؤمن لك حتى تأتينا بكتاب من عند الله ومعه أربعة من الملائكة يشهدون عليه أنه من عند وإنك رسوله فانزل الله تعالى هذه الاية ولو نزلنا عليك كتابا فى قرطاس يعنى من عندى يعنى مكتوبا فى قرطاس وهو الكاغد والصحيفة التى يكتب فيها (فلمسوه بأيديهم) يعنى فعاينوه ومسوه بأيديهم وإنما ذكر اللمس ولم يذكر المعاينة لأنه أبلغ فى إيقاع العلم بالشىء من الرؤية لأن المرئيات قد يدخلها التخيلات كالبحر ونحوه بخلاف الممسوس (لقال الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين) يعنى لو انزلنا عليهم كتابا كما سألوه لما امنوا به ولقالوا هذا سحر مبين كما قالوا فى انشقاق القمر وانه لا ينفع معهم شىء لما سبق فيهم من علمى بهم (وقالوا) يعنى مشركى مكة (لولا) يعنى هلا (انزل عليه) يعنى على محمد (ملك) يعنى نراه عيانا (ولو أنزلنا ملكا لقضى الأمر) يعنى لفرغ الأمر ولوجب العذاب

وفرغ من الأمر وهذا سنة الله في الكفار انهم متى اقترحوا آية فأنزلت ثم لم يؤمنوا استوصلوا بالعذاب (ثم لا ينظرون) أي لا يؤجلون ولا يمهلون وقال قتادة لو أنزلنا ملكا ثم لم يؤمنوا لعجل لهم العذاب ولم يؤخروا طرفة عين وقال مجاهد لقضى الامر أي لقامت القيامة وقال الضحاك لو أتاهم ملك في صورته لماتوا (ولو جعلناه ملكا) يعني لو أرسلنا اليهم ملكا (لجعلناه رجلا) يعني في صورة آدمي لأنهم لا يستطيعون النظر إلى الملائكة وكان جبريل عليه السلام يأتي النبي ﷺ في صورة دحية الكلبي وجاء الملكان إلى داود في صورة رجلين قوله عز وجل (وللبسنا عليهم ما يلبسون) أي خلطنا عليهم ما يخلطون وشبهنا عليهم فلا يدرون املك (٩٩) هو أو آدمي وقيل معناه شبهوا على ضعفائهم فشبه عليهم وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال هم أهل الكتاب فرقوا دينهم وحرفوا الكلام عن مواضعه فلبس الله عليهم ما لبسوا على أنفسهم وقرأ الزهري للبسنا بالتشديد على التكرير والتأكيد (ولقد استهزىء برسل من قبلك) كما استهزىء بك يا محمد فعزى نبيه ﷺ (فحاق) قال الربيع بن أنس فنزل بك وقال عطاء حل وقال الضحاك أحاط (بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزئون) اي جزاء استهزائهم من العذاب والنقمة (قل) يا محمد لهؤلاء المكذبين المستهزئين (سيروا في الأرض) معتبرين يحتمل هذا السير بالعقول والفكر ويحتمل السير بالاقدام (ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين) اي جزاء أمرهم وكيف أورثهم الكفر والتكذيب الهلاك يحذر كفار مكة عذاب الأمم الخالية قوله عز وجل (قل لمن ما في السموات والأرض) فان أجابوك وإلا (فقل) أنت (الله) أمره بالجواب عقيب السؤال ليكون أبلغ في التأكيد وآكد في الحجة (كتب) أي قضى (على نفسه الرحمة) هو استعطاف منه تعالى للمتولين عنه إلى الاقبال عليه وإخبار بأنه رحيم بالعباد لا يعجل بالعقوبة ويقبل الانابة والتوبة أخبرنا أبو علي حسان بن سعد المنيعي أخبرنا أبو طاهر الزيادي أنا أبو بكر محمد بن الحسين القطان أنا أحمد بن يوسف السلمي أنا عبد الرازق أنا معمر عن همام بن منبه قال ثنا أبو هريرة رضي الله عنه قال قال النبي ﷺ لما قضى الله الخلق كتب كتابا فهو عند الله فوق العرش إن رحمتي غلبت غضبي أخبرنا أبو الزناد عن الاعرج عن أبي هريرة عن النبي ﷺ إن رحمتي سبقت غضبي أخبرنا الشيخ أبو القاسم عبد الله بن علي الكركاني أنا أبو طاهر الزيادي أنا حاجب بن

وهذه سنة الله في الكفار انهم متى اقترحوا الاية ثم لم يؤمنوا استوجبوا العذاب واستوصلوا به (ثم لا ينظرون) يعني انهم لا يمهلون ولا يؤخرون طرفة عين بل يعجل لهم العذاب (ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا) يعني ولو أرسلنا اليهم ملكا لجعلناه في صورة رجل وذلك ان البشر لا يستطيعون ان ينظروا إلى الملائكة في صورهم التي خلقوا عليها ولو نظر إلى الملك ناظر لصعق عند رؤيته ولذلك كانت الملائكة تاتي الانبياء في صورة الانس كما جاء جبريل إلى النبي ﷺ في صورة دحية الكلبي وكما جاء الملكان إلى داود عليه السلام في صورة رجلين وكذلك اتى الملائكة إبراهيم عليه السلام ولما رأى النبي ﷺ جبريل في صورته التي خلق عليها صعق لذلك وغشي عليه * وقوله تعالى (وللبسنا عليهم ما يلبسون) يقال لبست الامر على القوم إذا أشبهته عليهم وجعله مشكلا ولبست عليه الامر إذا خلطته عليه حتى لا يعرف جهته ومعنى الاية وخلطنا عليهم ما يخلطون على أنفسهم حتى يشكوا فلا يدروا املك هو آدمي وقيل في معنى الآية انا لو جعلنا الملك في صورة البشر لظنوه بشرا فتعود المسألة بحالها إنا لا نرضى برسالة البشر ولو فعل الله عز وجل ذلك صار فعل الله مثل فعلهم في التلبيس وإنما كان تلبيساً لانهم يظنون أنه ملك وليس بملك أو يظنون أنه بشر وليس هو بشر وإنما كان فعلهم تلبيسا لأنهم لبسوا على ضعفتهم في امر النبي ﷺ فقالوا إنما هو بشر مثلكم ولو راوا الملك رجلا للحقهم من اللبس مثل ما لحق بضعفائهم فيكون اللبس نقمة من الله وعقوبة هم على ما كان منهم من التخليط في السؤال واللبس على الضعفاء * قوله عز وجل (ولقد استهزىء برسل من قبلك) يعني كما استهزىء بك يا محمد وفي هذه الاية تعزية للنبي ﷺ وتسلية له عما كان من تكذيب المشركين اياه واستهزائهم به إذ جعل له إسوة في ذلك بالانبياء الذين كانوا قبله (فحاق) أي فنزل وقيل أحاط وقيل حل (بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزئون) والمعنى فنزل العذاب بهم ووجب عليهم من النقمة والعذاب جزاء استهزائهم وفي هذه الاية تحذير للمشركين أن يفعلوا بنبيهم كما فعل من كان قبلهم بأنبيائهم فينزل بهم ما نزل بهم (قل سيروا في الأرض) أي قل يا محمد لهؤلاء المستهزئين سيروا في الأرض معتبرين ومتفكرين وقيل هو سير الأقدام (ثم انظروا) فعلى القول الأول يكون النظر نظرة فكرة وعبرة وهو بالبصيرة لا بالبصر وعلى القول الثاني يكون المراد بالنظر نظر العين والمعنى ثم انظروا بأعينكم إلى أثار الأمم الخالية والقرون الماضية السالفة وهو قوله تعالى (كيف كان عاقبة المكذبين) يعني كيف كان عاقبة المكذبين وكيف أورثهم الكفر والتكذيب الهلاك فحذر كفار مكة عذاب الأمم الخالية * قوله عز وجل (قل لمن ما في السموات والأرض قل لله) هذا سؤال وجواب والمعنى قل يا محمد لهؤلاء المكذبين العادلين بربهم لمن ملك السموات والأرض فان أجابوك وإلا فأخبرهم أن ذلك لله الذي قهر وملك كل شيء واستعبد كل شيء للأصنام التي تعبدونها أنتم فانها أموات لا تملك شيء ولا تملك لنفسها ضراً ولا نفعا وإنما أمره بالجواب عقب السؤال ليكون أبلغ في التأكيد وأكد في الحجة ولما بين الله تعالى كمال قدرته وتصرفه في سائر مخلوقاته أردفه بكمال رحمته وإحسانه إليهم (كتب على نفسه الرحمة) يعني أنه تعالى أوجب

أحمد الطوسي أنا عبد الرحمن المروزي أخبرنا عبد الله بن المبارك أنا عبد الملك بن أبي سليمان عن عطاء بن أبي رباح عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ إن لله مائة أنزل منها رحمة واحدة بين الجن والانس والبهائم والهوام فبها يتعاطفون وبها يتراحمون وبها تعطف الوحوش على أولادها وأخر الله تسعا وتسعين رحمة يرحم بها عباده يوم القيامة (١٠٠) أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا أبو غسان حدثني زيد بن اسلم عن أبيه عن عمر بن الخطاب رضي الله عنهم قال قدم على النبي ﷺ سبي فاذا امرأة من السبي قد تحلب ثديها تسعى إذا وجدت صبيا في السبي أخذته فألصقته ببطنها وأرضعته فقال لنا النبي ﷺ أترون هذه طارحة ولدها في النار فقلنا لا وهي تقدر على ان تطرحه فقال الله أرحم بعباده من هذه بولدها

وقضى على نفسه الرحمة وهذا استعطاف للمتولين عنه إلى الإقبال عليه وإخبار بأنه رحيم بعباده وأنه لا يعجل بالعقوبة بل يقبل التوبة والانابة ممن تاب وأناب (ق) عن ابي هريرة قال قال رسول الله ﷺ لما خلق الله الخلق كتب في كتابه فهو عنده فوق العرش ان رحمتي تغلب غضبي وفي البخاري إن الله كتب كتابا قبل أن يخلق الخلق ان رحمتي سبقت غضبي فهو مكتوب عنده فوق العرش وفي رواية لهما إن الله لما خلق الخلق وعنده مسلم لما قضى الله الخلق كتب في كتاب كتبه على نفسه فهو موضوع عنده زاد البخاري على العرش ثم اتفقا ان رحمتي تغلب غضبي (ق) عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله ﷺ يقول جعل الله الرحمة مائة جزء فامسك عنده تسعا وتسعين وأنزل في الأرض جزءا واحدا فمن ذلك الجزء تتراحم الخلائق حتى ترفع الدابة حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه زاد البخاري في رواية له ولو يعلم الكافر بكل الذي عند الله من الرحمة لم ييأس من الجنة ولو يعلم بكل الذي عند الله من العذاب لم يأمن من العذاب ولمسلم ان لله مائة رحمة أنزل منها رحمة واحدة بين الجن والانس والبهائم والهوام فبها يتعاطفون وبها يتراحمون وبها تعطف الوحوش على ولدها وأخر الله تسعا وتسعين رحمة يرحم بها عباده يوم القيامة (م) عن سلمان الفارسي قال قال رسول الله ﷺ ان الله خلق يوم خلق السموات والأرض مائة رحمة كل رحمة طباق ما بين السماء والأرض فجعل منها في الأرض رحمة فبها تعطف الوالدة على ولدها والوحش والطير بعضها على بعض فاذا كان يوم القيامة أكملها بهذه الرحمة (ق) عن عمر قال قدم على رسول الله ﷺ سبي فاذا امرأة من السبي تبتغي إذا وجدت صبيا في السبي أخذته فألصقته ببطنها وأرضعته فقال رسول الله ﷺ أترون هذه المرأة طارحة ولدها في النار قلنا لا والله وهي تقدر ان تطرحه فقال ﷺ الله أرحم بعباده من هذه المرأة بولدها * وقوله تعالى (ليجمعنكم) اللام في قوله ليجمعنكم لام القسم تقديره والله ليجمعنكم (إلى يوم القيامة) يعني في يوم القيامة وقيل معناه في قبوركم إلى يوم القيامة (لا ريب فيه) أي لا شك فيه أنه ات (الذين خسروا أنفسهم) يعني بالشرك بالله أو غبنوا أنفسهم باتخاذهم الأصنام فعرضوا أنفسهم لسخط الله وأليم عقابه فكانوا كمن خسر شيئا وأصل الخسار الغبن يقال خسر الرجل إذا غبن في بيعه (فهم لا يؤمنون) يعني لما سبق عليهم القضاء بالخسران فهو الذي حملهم عن الامتناع عن الايمان * قوله تعالى (وله ما سكن في الليل والنهار) يعني وله ما استقر وقيل ما سكن وما تحرك فاكتفى بذكر أحدهما عن الآخر وقيل إنما خص السكون بالذكر لأن النعمة فيه أكثر وقال ابن جرير كل ما طلعت عليه الشمس وغربت فهو ساكن الليل والنهار فيكون المراد منه جميع ما حصل في الأرض من الدواب والحيوانات والطير وغير ذلك مما في البر والبحر وهذا يفيد الحصر والمعنى أن جميع الموجودات ملك لله تعالى لا لغيره (وهو السميع) لأقوالهم وأصواتهم (العليم) بسرائرهم وأحوالهم * قوله عز وجل (قل أغير الله أتخذ وليا) قال مقاتل لما دعا رسول الله ﷺ إلى دين آبائه أنزل الله هذه الاية فقال كلهم يا محمد أغير الله اتخذ وليا يعني ربا ومعبودا وناصرا ومعينا وهو استفهام ومعناه الانكار أي لا أتخذ غير الله وليا (فاطر السموات والأرض) أي خالق السموات والأرض ومبدعهما ومبدئهما (وهو يطعم ولا يطعم) يعني وهو يرزق ولا يرزق ووصف الله عز وجل نفسه بالغنى عن الخلق وباحتياج الخلق إليه لأن من كان من صفته أن

قيل أراد ما سكن وما تحرك كقوله سرابيل تقيكم الحر أي الحر والبرد وقيل إنما خص السكون بالذكر لأن النعمة فيه أكثر وقال محمد بن جرير كل ما طلعت عليه الشمس وغربت فهو من ساكن الليل والنهار والمراد منه جمع ما في الأرض وقيل يطعم معناه وله ما يمر عليه والنهار (وهو السميع) لأصواتهم (العليم) بأسرارهم قوله (قل أغير الله أتخذ وليا) وهذا حين دعي إلى دين آبائه فقال تعالى قل يا محمد أغير الله أتخذ وليا ربا ومعبودا وناصرا ومعينا (فاطر السموات والارض) أي خالقهما ومبدعهما ومبتديهما (وهو يطعم ولا يطعم) أي وهو يرزق ولا يرزق كما قال ما اريد منهم من رزق وما اريد ان يطعمون

(قل إني أمرت أن أكون أول من أسلم) يعني من هذه الأمة والاسلام بمعنى الاستسلام لأمر الله وقيل أسلم أخلص (ولا تكونن) يعني وقيل لي ولا تكونن (من المشركين قل إني أخاف إن عصيت ربي) فعبدت غيره (عذاب يوم عظيم) يعني عذاب يوم القيامة (من يصرف عنه) يعني من يصرف العذاب عنه قرأ حمزة والكسائي وأبو بكر عن عاصم ويعقوب يصرف (١٠١) بفتح الياء وكسر الراء أي ن يصرف

يطعم الخلق لاحتياجهم إليه وهو لا يطعم لاستغنائه سبحانه وتعالى عن الاطعام فهو غني عن الخلق ومن كان كذلك وجب أن يتخذ ربا وناصرا وولي ومعبودا (قل إني أمرت أن أكون أول من أسلم) يعني من هذه الأمة والاسلام بمعنى الاستسلام يعني أمرت أن أستسلم لامر الله وأنقاد إلى طاعته (ولا تكونن من المشركين) يعني وقيل يا محمد لا تكونن من المشركين (قل إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم) يعني قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين دعوك إلى عبادة غيري إن ربي أمرني أن أكون أول من أسلم ونهاني عن عبادة شيء سواه وإني أخاف إن عصيت ربي فعبدت شيئا سواه عذاب يوم عظيم وهو عذاب يوم القيامة (من يصرف عنه) يعني العذاب (يومئذ) يعني يوم القيامة (فقد رحمه) يعني بان انجاه من العذاب ومن انجاه من العذاب فقد رحمه وأناله الثواب لا محالة وإنما ذكر الرحمة من صرف العذاب لئلا يتوهم أنه صرف العذاب فقط بل تحصل الرحمة مع صرف العذاب عنه (وذلك الفوز المبين) يعني أن صرف العذاب وحصول الرحمة هو النجاة والفلاح المبين * قوله تعالى (وإن يمسسك الله بضر) يعني بشدة وبلية والضر إسم جامع لما ينال الانسان من ألم ومكروه غير ذلك مما هو في معناه (فلا كاشف له إلا هو) يعني فلا يدفع ذلك الضر إلا الله عز وجل (وإن يمسسك بخير) يعني بعافية ونعمة والخير اسم جامع لكل ما ينال الانسان من لذة وفرح وسرور ونحو ذلك (فهو على كل شيء قدير) يعني من دفع الضر وجلب الخير وهذه الآية خطاب للنبي ﷺ والمعنى لا تتخذ وليا سوى الله لأنه هو القادر على أن يمسسك بضر وهو القادر على دفعه عنك وهو القادر على إيصال الخير إليك وأنه لا يقدر على ذلك إلا هو فاتخذه وليا ناصرا او معينا وهذا الخطاب للنبي ﷺ فهو عام لكل أحد والمعنى وإن يمسسك الله بضر أيها الانسان فلا كاشف لذلك الضر إلا هو وإن يمسسك بخير أيها الانسان فهو على كل شيء قدير من دفع الضر وإيصال الخير عن ابن عباس قال كنت خلف رسول الله ﷺ يوما فقال لي يا غلام إني أعلمك كلمات إحفظ الله يحفظك إحفظ الله تجده تجاهك وإذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك وإن اجتمعت على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك رفعت الأقلام وجفت الصحف أخرجه الترمذي زاد فيه رزين تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة وفيه ان استطعت أن تعمل لله بالرضا في اليقين فافعل فان لم تستطع فاصبر على ما تكره خيرا كثيرا واعلم أن النصر مع الصبر والفرج مع الكرب وأن مع العسر يسرا ولن يغلب عسر يسرين قال ابن الاثير وقد جاء نحو هذا أو مثله بطوله في مسند أحمد بن حنبل * قوله عز وجل (وهو القاهر فوق عباده) يعني وهو الغالب لعباده القاهر لهم وهم مقهورون تحت قدرته والقاهر والقهار معناه الذي يدبر خلقه بما يريد فيتمم في ذلك ما يشق عليهم ويثقل ويغم ويحزن ويفقر ويميت ويذل خلقه فلا يستطيع أحد من خلقه تدبيره والخروج من تحت قهره وتقديره وهذا معنى القاهر في صفة الله تعالى لانه القادر والقاهر الذي لا يعجز شيء أراده ومعنى فوق عباده هنا أن قهره قد استعلى على خلقه فهو تحت التسخير والتذليل وبما علاهم به من اقتدار والقهر الذي لا يقدر أحد على الخروج منه ولا ينفك عنه فكل من قهر شيئا فهو مستعل عليه بالقهر والغلبة وقال ابن جرير الطبري معنى القاهر المتعبد خلقه العالي عليهم وإنما قال فوق عباده لانه تعالى وصف نفسه بقهره اياهم ومن صفة كل قاهر شيئا أن يكون مستعليا عليه فمعنى الكلام إذا الله والغالب

الله عنه العذاب فقد رحمه وقرأ الآخرون بضم الياء وفتح الراء (يومئذ) يعني يوم القيامة (فقد رحمه وذلك الفوز المبين) أي النجاة البينة قوله عز وجل (وان يمسسك الله بضر فلا كاشف) لا رافع (له إلا هو وإن يمسسك بخير) عافية ونعمة فهو على كل شيء قدير) من الخير والضر أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أبو عبد الله السلمي انا أبو العباس الأصم انا أحمد بن شيبان الرملي انا عبد الله بن ميمون القداح انا شهاب بن خراش عن عبد الملك بن عمير عن ابن عباس قال أهدى للنبي صلى الله عليه وسلم بغلة أهداها له كسرى مركبها بحمل من شعر ثم أردفني خلفه ثم سارني مليا ثم التفت إلي فقال يا غلام فقلت لبيك يا رسول الله قال احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة وإذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله وقد مضى القلم بما هو كائن فلو جهد الخلائق أن ينفعوك بما لم يقضه الله تعالى لك لم يقدروا عليه ولو جهدوا ان يضروك بما لم يكتب الله

تعالى عليك ما قدروا عليه فان استطعت أن تعمل بالصبر مع اليقين فافعل فان لم تستطع فاصبر فان في الصبر على ما تكره خيرا كثيرا وإن الفرج مع الكرب وإن مع العسر يسرا (وهو القاهر فوق عباده) القاهر الغالب وفي القهر زيادة معنى على القدرة وهو منع غيره عن بلوغ المراد وقيل هو المنفرد بالتدبير يجبر الخلق على مراده فوق عباده هو صفة الاستعلاء الذي تفرد به الله عز وجل

(وهو الحكيم) فى أمره (الخبير) بأعمال عباده قوله عز وجل (قل أى شىء أكبر شهادة) الاية قال الكلبى أتى أهل مكة رسول الله ﷺ فقالوا أرنا من يشهد انك رسول الله فانا لا نرى أحدا يصدقك ولقد سألنا عنك اليهود والنصارى فزعموا أنه ليس عندهم ذكر فانزل الله تعالى قل أى شىء أكبر شهادة فان (١٠٢) أجابوك وإلا (قل الله شهيد أبينى وبينكم) على ما أقول ويشهد لى بالحق وعليكم بالباطل (وأوحى إلى هذا القران لأنذركم به) لأخوفكم به يا أهل مكة (ومن بلغ) ومن بلغه القران من العجم وغيرهم من الأمم إلى يوم القيامة حدثنا أبو الفضل زياد بن محمد بن الحنفى انا محمد بن بشر بن محمد المزنى أنا أبو بكر محمد بن الحسين بن بشر النقاش أنا أبو شعيب الحرانى أنا يحيى بن عبد الله ابن الضحاك البلابلى أنا الأوزاعى حدثنى حسان ابن عطية عن ابى كبشة السلولى عن عبد الله بن عمر قال قال رسول الله ﷺ بلغوا عنى ولو اية وحدثوا عن بنى إسرائيل ولا حرج ومن كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار أخبرنا عبد العزيز بن احمد الخلال أنا أبو العباس الاصم أنا الربيع أنا الشافعى أنا سفيان بن عيينة عن عبد الله الملك بن عمير عن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود عن ابيه أن رسول الله ﷺ قال نضر الله عبدا سمع مقالتى فحفظها ووعاها وأداها فرب حامل فقه غير فقيه ورب حامل فقه الى من هو أفقه منه ثلاث لا يغل عليهن قلب مسلم أبدا إخلاص العمل لله والنصيحة للمسلمين ولزوم جماعتهم فان دعوتهم تحيط من ورائهم ومعبود قال مقاتل ومن بلغه القران من الجن والإنس فهو نذير له وقال محمد بن كعب القرظى من بلغه القران فكانما رأى محمدا ﷺ وسمع منه (أئنكم لتشهدون أن مع الله ألهة أخرى) ولم يقل اخر لأن الجمع يلحقه التأنيث كقوله عز وجل ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وقال فما بال القرون الأولى (قل) يا محمد إن شهدتم أنتم (لا أشهد) أنا أن معه إلها (قل إنما هو إله واحد

عباده المذلل لهم العالى عنهم بتذليله إياهم فهو فوقهم بقهره إياهم وهم دونه وقيل فوق عباده هو صفة الاستعلاء الذى تفرد به الله عز وجل (وهو الحكيم) يعنى فى أمره وتدبير عباده (الخبير) يعنى بأعمالهم وما يصلحهم * قوله عز وجل (قل أى شىء أكبر شهادة) قال الكلبى اتى اهل مكة رسول الله ﷺ فقالوا يا محمد أرنا من يشهد أنك رسول الله فانا لا نرى أحدا يصدقك ولقد سألنا عنك اليهود النصارى فزعموا ان ليس لك عندهم ذكر فانزل الله عز وجل قل يعنى يا محمد لهؤلاء المشركين الذين يكذبوك ويجحدون نبوتك من قومك أى شىء أكبر شهادة يعنى أعظم شهادة فانهم أجابوك وإلا (قل) انت يا محمد (الله شهيد بينى وبينكم) قال مجاهد أمر محمد ﷺ أن يسأل قريشا أى شىء أكبر شهادة ثم امره أن يخبرهم فيقول الله شهيد بينى وبينكم يعنى يشهد لى بالحق وعليكم بالباطل الذى تقولونه والحاصل أنهم طلبوا شاهدا مقبول القول يشهد له بالنبوة فبين الله تعالى بهذه الاية ان اكبر الأشياء شهادة هو الله تعالى ثم بين انه يشهد له بالنبوة وهو المراد بقوله (وأوحى إلى هذا القرآن لأنذركم به) يعنى ان الله عز وجل يشهد لى بالنبوة لأنه أوحى إلى هذا القرآن وهو معجزة لأنكم أنتم الفصحاء البلغاء وأصحاب اللسان وقد عجزتم عن معارضته فكان معجزا وإذا كان معجزا كان نزوله على شهادة من الله بأنى رسوله وهو المراد بقوله لأنذركم به يعنى أوحى إلى هذا القرآن لأخوفكم به وأحذركم مخالفة أمر الله عز وجل (ومن بلغ) يعنى أنذر من بلغه القرآن ممن يأتى بعدى إلى يوم القيامة من العرب والعجم وغيرهم من سائر الأمم فكل من بلغ اليه القران وسمعه فالنبى ﷺ نذير له قال محمد بن كعب القرظى من بلغه القرآن فكانما رأى النبى ﷺ وكلمه وقال انس بن مالك لما نزلت هذه الاية كتب رسول الله ﷺ إلى كسرى وقيصر وكل جبار يدعوهم إلى الله عز وجل (خ) عن عبد الله ابن عمرو بن العاص ان النبى ﷺ قال بلغوا عنى ولو اية وحدثوا عن بنى إسرائيل ولا حرج ومن كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار ﴿شرح ما يتعلق بهذا الحديث﴾ فيه الأمر بابلاغ ما جاء به النبى ﷺ إلى من بعده من قران وسنة وقوله وحدثوا عن بنى إسرائيل ولا حرج الحرج الضيق والاثم ومعنى الحديث أنه مهما قلتم عن بنى إسرائيل فانهم كانوا فى حال أكثر مما قلتم وأوسع وليس فيه إباحة الكذب والأخبار عن بنى إسرائيل لكن معناه الرخصة فى الحديث عنهم على بعض البلاغ وإن لم يتحقق ذلك بنقل لأنه أمر قد تعذر لبعد المسافة وطول المدة عن ابن مسعود قال سمعت رسول الله ﷺ يقول نضر أمرأ سمع منا شيئا فبلغه كما سمعه فرب مبلغ أوعى له من سامع أخرجه الترمذى وله عن زيد بن ثابت قال سمعت رسول الله ﷺ يقول نضر الله أمرأ سمع منا حديثا فحفظه حتى يبلغه غيره فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه ورب حامل فقه ليس بفقيه عن ابن عباس قال تسمعون ويسمع ممن يسمع منكم أخرجه أبو داود موقوفا * وقوله تعالى (أئنكم لتشهدون أن مع الله الهة أخرى) يعنى قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين جحدوا نبوتك واتخذوا الهة غيرى إنكم أيها المشركون لتشهدون أن مع الله الهة اخرى يعنى الأصنام التى كانوا يعبدونها وإنما قال أخرى لأن الجمع يلحقه التأنيث كما قال تعالى ولله الأسماء الحسنى فما بال القرون الأولى ولم يقل الأول ولا الأولين (قل لا أشهد) يعنى قل يا محمد لهؤلاء المشركين لا أشهد بما تشهدون به أن مع الله الهة أخرى بل أجحد ذلك وأنكره (قل إنما هو إله واحد) يعنى قل لهم إنما هو إله واحد

وانني برىء مما تشركون) قوله تعالى (الذين آتيناهم الكتاب) يعني التوراة والإنجيل (يعرفونه) يعني محمدا صلى الله عليه وسلم بنعته وصفته (كما يعرفون ابناءهم) من بين الصبيان (الذين خسروا) غبنوا (أنفسهم فهم لا يؤمنون) وذلك ان الله جعل لكل ادمي منزلا في الجنة ومنزلا في النار فاذا كان يوم القيامة جعل الله للمؤمنين منازل أهل النار في الجنة ولأهل النار منازل أهل الجنة في النار وذلك الخسران قوله

ومعبود واحد لا شريك له وبذلك أشهد. وإنني برىء مما تشركون) يعني وأنا برىء من كل شيء تعبدونه سوى الله وفي هذه الاية دليل على إثبات التوحيد لله عز وجل وابطال كل معبود سواه لأن كلمة إنما تفيد الحصر ولفظة الواحد صريح في التوحيد ونفي الشريك فثبت بذلك إيجاب التوحيد وسلب كل شريك والتبرؤ من كل معبود سوى الله تعالى قال العلماء يستحب لكل من اسلم أن يأتي بالشهادتين ويبرأ من كل دين خالف الإسلام لقوله تعالى وانني برىء مما تشركون * قوله عز وجل (الذين اتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم) المراد بالذين اتوا الكتاب علماء اليهود والنصارى الذين كانوا في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك ان كفار مكة قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم انا سائلوا عنك اليهود والنصارى فزعموا انه ليس لك عندهم ذكر وانكروا معرفته بين الله عز وجل أن شهادته له كافية على صحة نبوته وبين في هذه الاية أنهم يعرفونه وأنهم كذبوا في قولهم إنهم لا يعرفونه وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة وأسلم عبد الله بن سلام قال له عمر بن الخطاب ان الله عز وجل انزل على نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بمكة الذين اتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم فكيف هذه المعرفة فقال عبد الله بن سلام يا عمر لقد عرفته حين رأيته كما اعرف ابني ولانا أشد معرفة بمحمد صلى الله عليه وسلم مني بابني فقال عمر وكيف ذاك قال اشهد أنه رسول الله حقا ولا أدري ما يصنع النساء * وقوله تعالى (الذين خسروا أنفسهم) يعني أهكوا أنفسهم وغبنوها او بقوها في نار جهنم بانكارهم نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وفي الذين خسروا انفسهم قولان احدهما انه صفة للذين الأولى ويكون المقصود من ذلك وعيد المعاندين الذين يعرفون محمدا صلى الله عليه وسلم ويجحدون نبوته وهم كفار أهل الكتابين (فهم لا يؤمنون) يعني به والقول الثاني انه كلام مبتدا ولا تعلق بالأول وهم أهل مكة الذين لم يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم وذكروا في معنى الخسار وجهين احدهما انه الهلاك الدائم الذي حصل لهم بسبب كفرهم وانكارهم نبوة محمد صلى الله عليه وسلم والوجه الثاني انه جعل لكل واحد من بني ادم منزلا في الجنة ومنزلا في النار فاذا كان يوم القيامة جعل الله للمؤمنين منازل الكفار التي في الجنة وجعل للكفار منازل المؤمنين التي في النار فذلك هو الخسران * قوله تعالى (ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا) يعني ومن أشد عنادا وأخطا فعلا وأعظم كفرا ممن اختلق على الله كذبا فزعم ان له شريكا من خلقه وإلها يعبد من دونه كما قال المشركون من عبدة الأصنام او ادعى ان له صاحبة وولدا كما قالت النصارى (او كذب بآياته) يعني بحجته واعلام ادلته التي اعطاها رسله كما كذبت اليهود بمعجزات الانبياء وقيل معناه أو كذب بآيات القران الذي انزله على محمد صلى الله عليه وسلم (انه لا يفلح الظالمون) يعني أنه لا ينجح القائلون على الله الكذب والمفترون على الله الباطل (ويوم نحشرهم جميعا) اي اذكر يوم نحشر العابدين والمعبودين وهو يوم القيامة (ثم نقول للذين اشركوا اين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون) يعني انها تشفع لكم عند ربكم * قوله عز وجل (ثم لم تكن فتنتهم) يعني قولهم وجوابهم وقال ابن عباس معذرتهم والفتنة التجربة فلما كان سؤالهم تجربة لإظهار ما في قلوبهم قيل له فتنة قال الزجاج في قوله ثم لم تكن فتنتهم معنى لطيف وذلك ان الرجل يفتتن بمحبوب ثم تصيبه فيه محنة فيتبرا من محبوبه فيقال لم تكن فتنته إلا بذلك المحبوب فكذلك الكفار فتنوا بمحبة الأصنام ثم لما رأوا العذاب تبرأوا منها يقول الله تبارك وتعالى ثم تكن فتنتهم ومحبتهم للاصنام إلا ان تبرأوا منها وهو قوله تعالى (إلا ان قالوا والله ربنا ما كنا مشركين) وذلك إذا شاهدوا يوم القيامة

تعالى (ومن اظلم) أكفر (ممن افترى) اختلق (على الله كذبا) فاشرك به غيره (أو كذب بآياته) يعني القرآن (انه لا يفلح الظالمون) الكافرون (ويوم نحشرهم جميعا) أي العابدين والمعبودين يعني يوم القيامة قرأ يعقوب يحشرهم هنا وفي سبأ بالياء ووافق حفص في سبأ وقرأ الاخرون بالنون (ثم نقول للذين أشركوا اين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون أنها تشفع لكم عند ربكم) ثم لم تكن فتنتهم) قرأ حمزة والكسائي ويعقوب يكن بالياء لأن الفتنة بمعنى الافتتان فجاز تذكيره وقرأ الاخرون بالتاء لتأنيث الفتنة وقرأ ابن كثير وابن عامر وحفص عن عاصم فتنتهم بالرفع جعلوه اسم كان وقرأ الاخرون بالنصب فجعلوا الإسم قوله ان قالوا وفتنتهم الخبر ومعنى فتنتهم أي قولهم وجوابهم وقال ابن عباس وقتادة معذرتهم والفتنة التجربة فلما كان سؤالهم تجربة لإظهار ما في قلوبهم قبل له فتنة وقال الزجاج في قوله ثم لم تكن فتنتهم معنى لطيف وذلك مثل الرجل يفتتن بمحبوب ثم يصيبه فيه محنة فيتبرأ من محبوبه فيقال لم تكن فتنتهم الا هذا كذلك الكفار فتنوا بمحبة الاصنام ولما رأوا العذاب تبرأوا منها يقول الله عز وجل ثم لم تكن فتنتهم ومحبتهم للاصنام (الا ان قالوا والله ربنا ما كنا مشركين) قرأ حمزة والكسائي ربنا بالنصب على نداء المضاف وقرأ الآخرون بالخفض على نعت والله وقيل إنهم اذا رأوا يوم القيامة مغفرة الله تعالى وتجاوزه عن أهل التوحيد قالوا بعضهم لبعض تعالوا نكتم الشرك لعلنا ننجوا مع اهل التوحيد فيقولون والله ربنا ما كنا مشركين فيختم على أفواههم

وتشهد عليهم جوارحهم بالكفر فقال عز وجل (انظر كيف كذبوا على أنفسهم) باعتذارهم بالباطل وتبريهم عن الشرك (وضل عنهم ما كانوا يفترون) أى زال وذهب عنهم ما كانوا يفترون من الأصنام وذلك انهم كانوا يرجون شفاعتها ونصرتها فبطل كله فى ذلك اليوم قوله عز وجل (ومنهم من يستمع اليك) الاية قال الكلبى اجتمع أبو سفيان بن حرب وأبو جهل بن هشام والوليد بن المغيرة والنضر بن الحارث وعتبة وشيبة ابنا ربيعة وأمية وأبى ابنا خلف والحرث بن عامر يستمعون القرآن فقالوا للنضر يا أبا قتيبة ما يقول محمد قال ما أدرى ما يقول إلا أنى أراه يحرك لسانه ويقول أساطير الأولين (١٠٤) مثل ما كنت أحدثكم عن القرون الماضية وكان النضر كثير الحديث عن القرون وأخبارها فقال أبو سفيان إنى أرى بعض ما يقول حقا فقال ابو جهل كلا لا تقر بشىء من هذا وفى رواية الموت أهون علينا من هذا فانزل الله عز وجل ومنهم من يستمع اليك وإلى كلامك (وجعلنا على قلوبهم أكنة) أغطية جمع كنان كالاعنة جمع عنان (ان يفقهوه) اى يعلموه قيل معناه ان لا يفقهوه وقيل كراهة ان يفقهوه (وفى اذانهم وقرا) صمما وثقلا وهذا دليل على ان الله تعالى يقلب القلوب فيشرح بعضها للهدى ويجعل بعضها فى أكنة فلا تفقه كلام الله ولا تؤمن به (وان يروا كل اية) من المعجزات والدلالات (لا يؤمنوا بها حتى إذا جاؤك يجادلونك يقول الذين كفروا إن هذا إلا أساطير الأولين) يعنى أحاديثهم وأقاصيصهم والأساطير جمع اسطورة واستطاره وقيل الاساطير هى الترهات والاباطيل واصلها من سطرت اى كتبت (وهم ينهون عنه) أى ينهون الناس عن اتباع محمد ﷺ (وينأون عنه) أى يتباعدون عنه بأنفسهم نزلت فى كفار مكة قاله محمد بن الحنفية نزلت والسدى والضحاك وقال قتادة ينهون عن القران وعن النبى صلى الله عليه وسلم ويتباعدون عنه وقال ابن عباس ومقاتل نزلت فى ابى طالب كان ينهى الناس عن أذى النبى صلى الله عليه وسلم ويمنعهم وينأى عن الايمان به أى يبعد حتى روى أنه اجتمع اليه رؤس المشركين وقالوا أخذ شابا من أصبحنا وجها وأدفع الينا محمدا فقال أبو طالب ما انصفتمونى أدفع اليكم ولدى لتقتلوه وأربى ولدكم وروى أن النبى صلى الله عليه وسلم دعاه إلى الايمان فقال لولا أن تعيرنى قريش لاقررت بها عينك ولكن أذب عنك ما حييت وقال فيه أبيات شعر

مغفرة الله تعالى لأهل التوحيد فيقول بعضهم لبعض تعالوا نكتم الشرك لعلنا ننجوا مع أهل التوحيد فيقولون والله ربنا ما كنا مشركين فيختم على أفواههم وتشهد عليهم جوارحهم بالشرك والكفر قال الله تعالى (انظر كيف كذبوا على أنفسهم) يعنى انظر يا محمد بعين البصيرة والتامل إلى حال هؤلاء المشركون كيف كذبوا على أنفسهم يعنى اعتذارهم بالباطل وتبرؤهم من الأصنام والشرك الذى كانوا عليه استعمالهم الكذب مثل ما كانوا عليه فى دار الدنيا وذلك لا ينفعهم وهو قوله (وضل عنهم) يعنى زال عنهم وذهب (ما كانوا يفترون) يعنى ما كانوا يكذبون وهو قولهم ان الأصنام تشفع لهم وتنصرهم فبطل ذلك كله فى ذلك اليوم * قوله تعالى (ومنهم من يستمع اليك) الاية قال الكلبى اجتمع أبو سفيان صخر بن حرب وأبو جهل بن هشام والوليد بن المغيرة والنضر بن الحرث وعتبة وشيبة ابنا ربيعة وأمية وأبى ابنا خلف والحرث ابن عامر يستمعون القران فقالوا للنضر يا أبا قتيبة ما يقول محمد قال ما ادرى ما يقول الا انى أراه يحرك لسانه ويقول اساطير الأولين مثل ما كنت احدثكم عن القرون الماضية وكان النضر كثير الحديث عن القرون الماضية واخبارها فقال أبو سفيان انى لأرى بعض ما يقول حقا فقال أبو جهل كلا لا تقر بشىء من هذا وفى رواية للموت أهون علينا من هذا فانزل الله تعالى ومنهم من يستمع اليك يعنى إلى كلامك وقراءتك يا محمد (وجعلنا على قلوبهم أكنة) يعنى أغطية جمع كنان (أن يفقهوه) يعنى لئلا يفقهوه أو كراهية أن يفقهوه (وفى آذانهم وقرا) يعنى وجعلنا فى آذانهم صمما وثقلا وفى هذا دليل على ان الله تعالى يقلب القلوب فيشرح بعضها للهدى والإيمان فتقبله ويجعل بعضها فى اكنة فلا تفقه كلام الله ولا تؤمن به (وان يروا كل اية لا يؤمنوا بها) يعنى كل معجزة من المعجزات الدالة على صدقك لا يؤمنوا بها يعنى لا يصدقوا بها ولا يقروا انها دالة على صدقك (حتى إذا جاؤك يجادلونك) يعنى انهم إذ رأوا الايات واستمعوا القرآن إنما جاؤوا ليجادلوك ويخاصموك لا ليؤمنوا بها (يقول الذين كفروا ان هذا) أى ما هذا القرآن (إلا أساطير الأولين) يعنى أحاديث الأولين من الأمم الماضية وأخبارهم واقاصيصهم وما سطروا يعنى وما كتموا والأساطير جمع أسطورة واسطاره وقيل واحدها سطر واسطار جمع وأساطير جمع الجمع فعلى هذا لو قال قائل لم عابوا القرآن وجعلوه أساطير الأولين وقد سطر الأولون فى كتبهم الحكم والعلوم النافعة وما لا يعاب قائله أجيب عنه بأنهم إنما نسبوا القران إلى أساطير الأولين بمعنى انه ليس بوحى من الله تعالى وانما هو اخبار مجردة كما تروى اخبار الأولين وقيل فى معنى اساطير الأولين انها الترهات وهى عند العرب طرق غامضة ومسالك وعرة مشكلة يقول قائلهم اخذنا فى الترهات بمعنى عدلنا عن الطريق الواضح إلى الطريق المشكل الذى لا يعرف فجعلت الترهات مثلا لما لا يعرف ولا يتضح من الأمور المشكلة الغامضة التى لا أصل لها * قوله عز وجل (وهم ينهون عنه) يعنى ينهون الناس عن اتباع محمد صلى الله عليه وسلم (وينأون عنه) يعنى ويتباعدون عنه بأنفسهم

والله لن يصلوا إليك بجمعهم * حتى اوسد فى التراب دفينا فأصدع بأمرك ماعليك غضاضة * وابشر بذاك وقرمنك عيونا ودعوتنى وعرفت أنك ناصحى * ولقد صدقت وكنت ثم أمينا وعرفت أنك ناصحى * ولقد صدقت وكنت ثم أمينا لوجدتنى سمحا بذاك مبينا (وان يهلكون) أى ما يهلكون (إلا أنفسهم) أى لا يرجع وبال فعلهم إلا اليهم وأوزار الذين يصدونهم عليهم (وما يشعرون) قوله عز وجل (ولو ترى إذ وقفوا على النار) يعنى فى النار كقوله تعالى على ملك سليمان أى فى ملك سليمان وقيل عرضوا على النار وجواب لو محذوف معناه لو تراهم فى تلك الحالة لرأيت عجبا (فقالوا يا ليتنا نرد) (١٠٥) يعنى إلى الدنيا (ولا نكذب بآيات

نزلت فى كفار مكة كانوا يمنعون الناس عن الإيمان بمحمد ﷺ وعن الاجتماع به وينهونهم عن استماع القرآن وكانوا هم كذلك وقال ابن عباس نزلت فى ابى طالب عم النبى ﷺ كان ينهى المشركين عن أذى النبى ﷺ وينعه منهم وينأى هو بنفسه عن الإيمان بمعنى يبعد حتى روى انه اجتمع اليه رؤس المشركين وقالوا له خذ شابا من أصبحنا وجها وادفع إلينا محمد فقال ما أنصفتمونى ادفع اليكم ابنى محمداً لتقتلوه وأربى لكم إبنكم وروى أن النبى ﷺ دعا أبا طالب إلى الايمان فقال لولا ان تعيرنى قريش لاقررت بها عينك ولكن أذب عنك ما حييت وقال فى ذلك أبياتا

والله لن يصلوا اليك بجمعهم * حتى أوسد فى التراب دفينا
فاصدع بأمرك ما عليك غضاضة * وابشر بذاك وقرمنه عيونا
ودعوتنى وعرفت أنك ناصحى * ولقد صدقت وكنت ثم أمينا
وعرضت دينا قد علمت بأنه * من خير أديان البرية دينا
لولا الملامة أو حذار مسبة * لوجدتنى سمحا بذاك مبينا

*وقوله تعالى (وأن يهلكون إلا أنفسهم) يعنى لا يرجع وبال كفرهم وفعلهم إلا عليهم (وما يشعرون) يعنى بذلك *قوله تعالى (ولو ترى إذ وقفوا على النار) يعنى فى النار فوضع على موضع فى كقوله على ملك سليمان أى فى ملك سليمان وقيل معناه إذ عرضوا على النار وجواب لو محذوف والمعنى ولو ترى الكفار الذين ينهون عنك وينأون عنك يا محمد فى تلك الحالة لرأيت أمراً عجيباً وموقفا فظيعا (فقالوا) يعنى الكفار (يا ليتنا نرد) يعنى إلى الدنيا (ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين) تمنوا أن يردوا إلى الدنيا مرة أخرى حتى يؤمنوا ولا يكذبوا بآيات ربهم فرد الله عليهم ذلك فقال تعالى (بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل) يعنى ليس الأمر كما قالوا لو ردوا إلى الدنيا لامنوا بل ظهر لهم ما كانوا يسرون فى الدنيا من الكفر والمعاصى وقيل ظهر لهم ما كانوا يخفون من قولهم والله ربنا ما كنا مشركين أخفوا شركهم وكتموه فأظهره الله عليهم حين شهدت عليهم جوارحهم بما كتموا وستروا من شركهم وقيل ظهر لهم ما أخفوا من الكفر فعلى هذا تكون الاية فى المنافقين (ولو ردوا لما نهوا عنه وأنهم لكاذبون) يعنى فى قولهم لو رددنا إلى الدنيا لم نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين (قالوا ان هى إلا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين) وهذا خبر عن حال مفكرى البعث وذلك ان النبى ﷺ لما أخبر الكفار عن أحوال القيامة وأهوالها وما أعد الله فى الاخرة من الثواب للمؤمنين المطيعين وما أعد الله من العقاب للكفار والعاصين قالوا يعنى الكفار إن هى أى ما هى إلا حياتنا الدنيا اى ليس لنا غير هذه الدنيا التى نحن فيها وما نحن بمبعوثين يعنى بعد الموت وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم هذا خبر من الله عن هؤلاء الكفار الذين وقفوا على النار إنهم لو ردوا إلى الدنيا لقالوا إن هى إلا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين * قوله عز وجل (ولو ترى إذ وقفوا على ربهم) يعنى على حكم ربهم وقضائه ومسئلته وقال مقاتل عرضوا على ربهم (قال أليس هذا بالحق) أى يقول الله يوم القيامة أليس هذا البعث

ربنا ونكون من المؤمنين) قراءة العامة كلها بالرفع على معنى يا ليتنا نرد ونحن ولا نكذب ونكون من المؤمنين وقرأ حمزة وحفص ويعقوب ولا بنصب الباء والنون على جواب التمنى أى ليت ردنا ووقع وأن لا نكذب ونكون والعرب تنصب جواب التمنى بالواو كما تنصب بالفاء وقرأ ابن عامر نكذب بالرفع وتكون بالنصب لانهم تمنوا أن يكونوا من المؤمنين وأخبروا عن أنفسهم أنهم لا يكونون بآيات ربهم ان ردوا إلى الدنيا (بل بدا لهم) قوله بل تحته رد لقولهم أى ليس الأمر على ما قالوا إنهم لو ردوا لآمنوا بل بدا لهم ظهر لهم (ما كانوا يخفون) يسرون (من قبل) فى الدنيا من كفرهم ومعاصيهم وقيل ما كانوا يخفون وهو قولهم والله ربنا ما كنا مشركين فاخفوا شركهم وكتموا حتى شهدت عليهم جوارحهم بما كتموا وستروا لانهم كانوا

(١٤ - خازن - ثانى) لا يخفون كفرهم فى الدنيا إلا أن تجعل الاية فى المنافقين وقال المبرد بل بدا لهم جزاء ما كانوا يخفون وقال النضر ابن شميل بل بدا لهم بداء نهم ثم قال (ولو ردوا) إلى الدنيا (لعادوا لما) يعنى إلى ما (نهوا عنه) من الكفر (وانهم لكاذبون) فى قولهم لو ردوا إلى الدنيا لم نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين (وقالوا إن هى إلا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين) هذا إخبار عن إنكارهم البعث وقال عبد الرحمن بن زيد بن اسلم هذا من قولهم لو ردوا لقالوا قوله تعالى (ولو ترى إذا وقفوا على ربهم) اى على حكمه وقضائه ومسئلته وقيل عرضوا على ربهم (قال) لهم وقيل تقول لهم الخزنة بأمر الله (أليس هذا بالحق) يعنى أليس هذا البعث والعذاب بالحق

(قالوا بلى وربنا) أنه حق قال ابن عباس هذا فى موقف وقولهم والله ربنا ما كنا مشركين فى موقف آخر وفى القيامة مواقف فى موقف يقرون وفى موقف ينكرون (قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله) أى خسروا أنفسهم بتكذيبهم المصير إلى الله والبعث بعد الموت (حتى إذا جاءتهم الساعة) أى القيامة (بغتة) أى فجأة (قالوا ياحسرتنا) ندامتنا ذكر على وجه النداء المبالغة قال سيبويه كأنه يقول أيتها الحسرة هذا أوانك (على مافرطنا) أى قصرنا (فيها) أى فى الطاعة وقيل تركنا فى الدنيا من عمل الاخرة وقال محمد بن جرير الهاء راجعة إلى الصفقة وذلك انه لما تبين لهم خسران صفقتهم بيديهم الاخرة بالدنيا قالوا ياحسرتنا على مافرطنا فيها أى فى الصفقة فترك ذكر الصفقة اكتفاء بذكره بقوله قد خسر لأن الخسران إنما يكون صفقة بيع والحسرة شدة الندم حتى يحسر الندم النادم كما يحسر الذى تقوم به دابته فى السفر البعيد (وهم يحملون أوزارهم) أثقالهم وآثامهم (على ظهورهم) قال السدى وغيره ان المؤمن إذا خرج من قبره استقبله أحسن شىء صورة وأطيبه ريحا فيقول هل تعرفنى فيقول لا فيقول انا عملك الصالح فاركبنى فقد طالما ركبتك فى الدنيا فذلك قوله عز وجل يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا أى ركبانا وأما الكافر فيستقبله أقبح شىء صورة وانتنه ريحا فيقول هل تعرفنى فيقول لا فيقول أنا عملك الخبيث طالما ركبتنى فى الدنيا فأنا اليوم أركبك فهذا معنى قوله وهم يحملون أوزارهم وهذا على ظهورهم (ألا ساء ما يزرون) يحملون قال ابن عباس أى بئس الحمل حملوا (وما الحياة الدنيا إلا لعب ولهو) باطل وغرور لا بقاء لها

والنشر بعد الموت الذى كنتم تنكرونه فى الدنيا وتكذبونه وتقولون لا بعث ولا نشور حقا (قالوا بلى وربنا) يعنى انهم اعترفوا بما كانوا ينكرونه فأجابوا وقالوا بلى والله انه لحق وقيل تقول لهم خزنة النار بأمر الله أليس هذا بالحق يعنى البعث حقا فأجابوا بقولهم بلى وربنا قال ابن عباس للقيامة مواقف ففى موقف ينكرون ويقولون والله ربنا ما كنا مشركين وفى موقف يعترفون بما كانوا ينكرونه فى الدنيا (قال فذوقوا العذاب) أى يقول الله لهم ذلك أو الخزنة تقول لهم ذلك بأمر الله تعالى وإنما خص لفظ الذوق لأنهم فى كل حال يجدون ألم العذاب وجدان الذائق فى شدة الإحساس (بما كنتم تكفرون) يعنى هذا العذاب بسبب كفركم وجحودكم البعث بعد الموت * قوله تعالى (قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله) يعنى خسروا أنفسهم بسبب تكذيبهم بالمسير إلى الله تعالى وبالبعث بعد الموت وهذا الخسران هو فوت الثواب العظيم فى دار النعيم المقيم وحصول العذاب الأليم فى درجات الجحيم (حتى إذا جاءتهم الساعة بغتة) يعنى جاءتهم القيامة فجأة وسميت القيامة ساعة لأنها تفجأ الناس بغتة فى ساعة لا يعلمها أحد إلا الله تبارك وتعالى قيل سميت ساعة لسرعة الحساب فيها لأن حساب الخلائق يوم القيامة يكون فى ساعة أو أقل من ذلك (قالوا) يعنى منكرى البعث وهم كفار قريش ومن سلك سبيلهم فى الكفر والاعتناد (ياحسرتنا) يعنى يا ندامتنا والحسرة التلهف على الشىء الفائت وذكرت على وجه النداء للمبالغة والمراد تنبيه المخاطبين على ما وقع بهم من الحسرة (على مافرطنا) يعنى قصرنا (فيها) يعنى فى الدنيا لأنها موضع التفريط فى الأعمال الصالحة والمعنى ياحسرتنا على الأعمال الصالحة التى فرطنا فيها فى دار الدنيا وقال محمد بن جرير الطبرى الهاء والألف فى قوله فيها تعود إلى الصفقة ولكن اكتفى بدلالة قوله قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله عليها من ذكرها إذ كان معلوما أن الخسران لا يكون إلا فى صفقة بيع قد جرى ومعنى الاية وكس الذين كذبوا بلقاء الله ببيعهم الإيمان الذى يستوجبون به رضوان الله وجنته بالكفر الذى يستوجبون به سخط الله وعقوبته وهم لا يشعرون بذلك حتى تقوم الساعة فاذا جاءتهم الساعة بغتة ورأوا ما لحقهم من الخسران فى بيعهم قالوا حينئذ ياحسرتنا على ما فرطنا فيها وروى الطبرى بسنده عن أبى سعيد الخدرى عن النبى ﷺ فى قوله ياحسرتنا قال يرى أهل النار منازلهم فى الجنة فيقولون ياحسرتنا * وقوله تعالى (وهم يحملون أوزارهم) يعنى أثقالهم (على ظهورهم) والأوزار الخطايا والذنوب وأصل الوزر الثقل والحمل يقال وزرته إذا حملته وإنما قيل للذنوب أوزار لأنها تثقل ظهر من يحملها قال قتادة والسدى إن المؤمن إذا خرج من قبره استقبله أحسن شىء صورة وأطيبه ريحا فيقول هل تعرفنى فيقول لا فيقول أنا عملك الصالح فاركبنى طالما ركبتك فى الدنيا فذلك قوله يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا يعنى ركبانا وأما الكافر فيستقبله أقبح شىء صورة وأنتنه ريحا فيقول هل تعرفنى فيقول لا فيقول أنا عملك الخبيث طالما ركبتنى فى الدنيا فأنا اليوم أركبك فذلك معنى قوله وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم وقال عمر بن هانىء يحشر مع كل كافر عمله فى صورة رجل قبيح كلما رأى هو صورته وقبحه زاده الله خوفا فيقول له بئس الخليس أنت فيقول أنا عملك طالما ركبتنى فلأركبنك اليوم حتى أخزيك على رؤس الخلائق فيركبه ويتخطى به الناس حتى يقف بين يدى ربه تعالى فذلك قوله تعالى وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم وقال الزجاج الثقل كما يذكر فى الوزن فقد يذكر فى الحمال والصفة يقال ثقل على كلام فلان بمعنى كرهته فالمعنى انهم يقاسون من ألم عقاب ذنوبهم مقاساة تثقل ذلك عليهم فعلى هذا القول يكون قوله وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم مجازا عما يقاسونه من شدة العذاب وقيل فى معنى الاية أوزارهم لا تزايلهم كما يقول شخصه نصب عينى أى ذكره ملازم لى (ألا ساء ما يزرون) يعنى بئس الشىء شيئا يحملونه وقال ابن عباس بئس الحمل حملوا * قوله عز وجل (وما الحياة الدنيا إلا لعب ولهو) أى باطل وغرور لا بقاء لها

(وللدار الآخرة) قرأ ابن عامر ولدار الآخرة مضافا اضاف الدار إلى الآخرة ويضاف الشيء إلى نفسه عند اختلاف اللفظين كقوله وحب الحصيد وقولهم ربيع الاول ومسجد الجامع سميت الدنيا الدنو هاوقيل لدناءتها وسميت الاخرة لانها بعد الدنيا (خير للذين يتقون) الشرك (أفلا تعقلون) أي أن الآخرة أفضل من الدنيا قرأ أهل المدينة وابن عامر ويعقوب (١٠٧) أفلا تعقلون بالتاء هاهنا وفي الأعراف

وهذا فيه رد على منكري البعث في قولهم إن هي إلا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين فقال الله ردا عليهم ومكذبا لهم وما الحياة الدنيا إلا لعب ولهو وهل المراد بهذه الحياة حياة المؤمن او الكافر قولان احدهما ان المراد بها حياة الكافر لان المؤمن لا يزداد بحياته في الدنيا إلا خيرا لانه يحصل في ايام حياته من الاعمال الصالحة والطاعة ما يكون سببا لحصول السعادة في الاخرة واما الكافر فان كل حياته في الدنيا وبال عليه قال ابن عباس يريد حياة اهل الشرك والنفاق والقول الثاني ان هذا عام في حياة المؤمن والكافر لان الإنسان يلتذ باللعب واللهو ثم عند انقضائه تحصل له الحسرة والندامة لان الذي كان فيه من اللعب واللهو سريع الزوال لا بقاء له فبان بهذا التقرير ان المراد بهذه الحياة حياة المؤمن والكافر وانه عام فيهما وإنما شبه الحياة الدنيا باللعب واللهو لسرعة زوالها وقصر عمرها كالشيء الذي يلعب به وقيل معناه ان امر الدنيا والعمل لها لعب ولهو فاما فعل الخير والعمل الصالح فهو من فعل الآخرة وإن كان وقوعه في الدنيا وإن قيل معناه وما اهل الحياة الدنيا إلا أهل لعب ولهو لانه لا يجدي شيئا ولاشتغالهم عما امروا به ونسبوا إلى اللعب وقوله تعالى (وللدار الآخرة) يعني الجنة واللام فيه لام القسم تقديره والله لدار الآخرة (خير) يعني من الدنيا وافضل لان الدنيا سريعة الزوال والانقطاع (للذين يتقون) يعني الشرك وقيل يتقون اللعب واللهو (أفلا تعقلون) ان الآخرة خير من الدنيا فيعملون لها * قوله تعالى (قد نعلم انه ليحزنك الذي يقولون) يعني قد نعلم يا محمد انه ليحزنك الذي تقوله المشركون لك قال السدي التقي الاخنس بن شريق وابو جهل بن هشام فقال الاخنس لأبي جهل يا أبا الحكم اخبرني عن محمد اصادق هو أم كاذب فانه ليس هنا احد يسمع كلامك غيري فقال ابو جهل والله إن محمدا لصادق وما كذب محمد قط ولكن إذا ذهب بنو قصي باللواء والسقاية والحجابة والندوة والنبوة فماذا يكون لسائر قريش فانزل الله هذه الآية وقال ناجية بن كعب قال ابو جهل للنبي ﷺ ما نتهمك ولا نكذبك ولكنا نكذب الذي جئت به فانزل الله هذه الاية عن علي بن ابي طالب أن أبا جهل قال للنبي ﷺ إنا لا نكذبك ولكن نكذب بما جئت به فانزل الله فيهم فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون اخرجه الترمذي من طريقين وقال في احدهما وهذا اصح ففي هذه الاية تسلية للنبي ﷺ وتعزية عما يواجهه به قومه لأنهم كانوا يعتقدون صدقه وانه ليس بكذاب وإنما حملهم على تكذيبه في الظاهر الحسد والظلم (فانهم لا يكذبونك) يعني انهم لا يكذبونك في السر لانهم قد عرفوا انك صادق (ولكن الظالمين) يعني الكافرين (بآيات الله يجحدون) يعني في العلانية وذلك انهم جحدوا القران بعد معرفة الصدق الذي انزل عليه لعنادهم وكفرهم كما قال الله تعالى في حق غيرهم وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا وقيل ظاهر الآية يدل على انهم لم يكذبوا محمدا ﷺ وإنما جحدوا آيات الله وهي القران الدال على صدقه فعلى هذا يكون المعنى فانهم لا يكذبونك لأنهم قد عرفوا صدقك وإنما جحدوا صحة نبوتك ورسالتك قوله عز وجل (ولقد كذبت رسل من قبلك يعني ولقد كذبت الأمم الخالية رسلهم كما كذبك قومك (فصبروا على ما كذبوا وأوذوا) يعني ان الرسل عليهم السلام صبروا على تكذيب قومهم إياهم وصبروا على اذاهم فاصبر أنت يا محمد على تكذيب قومك واذاهم لك كما صبر من كان قبلك من الرسل وهذا فيه تسلية للنبي ﷺ وإزالة حزنه على تكذيب قومه له واذاهم إياه (حتى اتاهم نصرنا) يعني باهلاك من كذبهم (ولا مبدل لكلمات الله) يعني ولا ناقض لما حكم الله به اهلاك المكذبين ونصر المسلمين كما قال ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا

وسورة يوسف ويس ووافق ابو بكر في سورة يوسف ووافق حفص إلا في سورة يس وقرأ الآخرون بالياء فيهن قوله عز وجل (قد نعلم أنه ليحزنك الذي يقولون) قال السدي التقى الاخنس ابن شريق وابو جهل بن هشام فقال الاخنس لابي جهل يا ابا الحكم اخبرني عن محمد بن عبد الله اصادق هو ام كاذب فانه ليس هاهنا احد يسمع كلامك غيري قال أبو جهل والله إن محمدا لصادق وما كذب محمد قط ولكن إذا ذهب بنو قصي باللواء والسقاية والحجابة والندوة والنبوة فماذا يكون لسائر قريش فانزل الله عز وجل هذه الاية وقال ناجية ابن كعب قال ابو جهل للنبي ﷺ لا نتهمك ولا نكذبك ولكنا نكذب الذي جئت به فانزل الله تعالى قد نعلم انه ليحزنك الذي يقولون بانك كاذب (فانهم لا يكذبونك) قرا نافع والكسائي بالتخفيف وقرا الاخرون بالتشديد من التكذيب والتكذيب هو ان تنسبه إلى الكذب وتقول له كذبت والاكذاب هو ان تجده كاذبا تقول العرب اجدبت الأرض واخصبتها إذا وجدتها جدبة ومخصبة (ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون) يقول إنهم لا يكذبونك في السر لأنهم عرفوا صدقك فيما مضى وإنما يكذبون وحي ويجحدون آياتي كما قال وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم (ولقد كذبت رسل من قبلك) كذبهم قومهم كما كذبتك قريش (فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا) بتعذيب من كذبهم (ولا مبدل لكلمات الله) لا ناقض لما حكم به وقد حكم في كتابه بنصر أنبيائه عليهم السلام فقال ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين أنهم لهم المنصورون وان

جندنا لهم الغالبون وقال انا لننصر رسلنا وقال كتب الله لأغلبن أنا ورسلي وقال الحسن بن الفضل لا خلف لعدته (ولقد جاءك من نبأ المرسلين) ومن صلة كما تقول اصابنا من مطر (وإن كان كبر عليك إعراضهم) اى عظم عليك وشق ان اعرضوا عن الإيمان بك وكان رسول الله ﷺ يحرص على إيمان قومه أشد الحرص وكانوا إذا سألوا آية أحب أن يريهم الله تعالى ذلك طمعا فى إيمانهم فقال الله عز وجل (فان استطعت ان تبتغى نفقا) تطلب وتتخذ نفقا (١٠٨) سربا (فى الارض) ومنه نافقاء اليربوع وهو احد جحريه فتذهب فيه (او سلما) اى درجا ومصعدا (فى السماء) فتصعد فيه (فتاتيهم باية) فافعل (ولو شاء الله لجمعهم على الهدى) فامنوا كلهم (فلا تكونن من الجاهلين) اى بهذا الحرف وهو قوله ولو شاء الله لجمعهم على الهدى وان من يكفر لسابق علم الله فيه (إنما يستجيب الذين يسمعون) يعنى المؤمنين الذين يسمعون الذكر فيتبعونه وينتفعون به دون من ختم الله على سمعه (والموتى) يعنى الكفار (يبعثهم الله ثم اليه يرجعون) فيجزيهم باعمالهم قوله عز وجل (وقالوا) يعنى رؤساء قريش (لولا) هلا (نزل عليه اية من ربه قل ان الله قادر على ان ينزل اية ولكن أكثرهم لا يعلمون) ما عليهم فى انزالها قوله عز وجل (وما من دابة فى الارض ولا طائر يطير بجناحيه) قيد الطيران بالجناح تاكيدا كما يقال نظرت بعينى واخذت بيدى (إلا امم امثالكم) قال مجاهد اصناف

المرسلين انهم لهم المنصورون وأن جندنا لهم الغالبون وقال الله تعالى كتب الله لأغلبن أنا ورسلي ولا خلف فيما وعد الله به * وقوله تعالى (ولقد جاءك من نبأ المرسلين) يعنى ولقد انزلت عليك فى القرآن من أخبار المرسلين ما فيه تسلية لك وتسكين لقلبك وقال الأخفش من هنا صلة كما تقول أصابنا من مطر وقال غيره بل هى للتبعيض لان الواصل إلى رسول الله ﷺ قصص بعض الانبياء واخبارهم كما قال تعالى منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك * قوله تعالى (وان كان كبر عليك إعراضهم) ذكر ابن الجوزى فى سبب نزول هذه الاية ان الحرث بن عامر اتى رسول الله ﷺ فى نفر من قريش فقال ائتنا بآية كما كانت الأنبياء تأتى قومها بالآيات فان فعلت آمنا بك فنزلت هذه الآية رواه ابو صالح عن ابن عباس ومعنى الاية وان كان عظم عليك يا محمد إعراض هؤلاء المشركين عنك وعن تصديقك والإيمان بك وكان رسول الله ﷺ يحرص على إيمان قومه أشد الحرص وكان إذا سألوه أية أحب أن يريهم الله ذلك طمعا فى إيمانهم فقال الله عز وجل (فان استطعت ان تبتغى) يعنى تطلب وتتخذ (نفقا فى الأرض) يعنى سربا فى الأرض والنفق سرب فى الأرض تخلص منه إلى مكان آخر (أو سلما فى السماء) يعنى أو تتخذ مصعدا إلى السماء والسلم المصعد وهو مشتق من السلامة (فتاتيهم باية) يعنى بالاية التى سالوا عنها ومعنى الاية وإن كان كبر وعظم عليك إعراض قومك عن الإيمان بك فان قدرت أن تذهب فى الأرض أو تصعد إلى السماء فتاتيهم باية تدلهم على صدقك فافعل وإنما حسن حذف جواب الشرط لانه معلوم عند السامع والمقصود من هذا أن يقطع رسول الله ﷺ طمعه عن إيمانهم ولا يتأذى بسبب إعراضهم عنه وعن الإيمان به ويدل عليه قوله تعالى (ولو شاء الله لجمعهم على الهدى) اخبر الله عز وجل نبيه ﷺ أنهم إنما تركوا الإيمان وأعرضوا عنه وأقبلوا على الكفر بمشيئة الله تعالى ونافذ قضائه فيهم وانه لو شاء لجمعهم على الهدى (فلا تكونن من الجاهلين) يعنى بان لو شاء الله لجمعهم على الهدى وأنه يؤمن بك بعضهم دون بعض وقيل معناه لا يشتد تحسرك على تكذيبهم إياك ولا تجزع من إعراضهم عنك فتقارب حال الجاهلين الذين لا صبر لهم وإنما نهاه عن هذه الحالة وغلظ له الخطاب تبعيدا له عن هذه الحالة * قوله عز وجل (إنما يستجيب الذين يسمعون) يعنى المؤمنين الذين فتح الله اسماع قلوبهم فهم يسمعون الحق ويستجيبون له ويتبعونه وينتفعون به دون من ختم الله على سمع قلبه وهو قوله (والموتى) يعنى الكفار الذين لا يسمعون ولا يستجيبون (يبعثهم الله) يعنى يوم القيامة (ثم اليه يرجعون) فيجزيهم باعمالهم (وقالوا) يعنى رؤساء كفار قريش (لولا) يعنى هلا (نزل عليه اية من ربه) يعنى الملك ليشهد لمحمد بالنبوة وقيل الاية المعجزة الباهرة كمثل معجزات الأنبياء (قل) يعنى قل لهم يا محمد (إن الله قادر على أن ينزل اية) يعنى انه تعالى قادر على إيجاد ما طلبوه وإنزال ما اقترحوه من الايات والمعجزات الباهرات (ولكن أكثرهم لا يعلمون) يعنى ماذا عليهم فى إنزالها من العذاب إن لم يؤمنوا بها وقيل معناه انهم لا يعلمون ان الله قادر على إنزال الايات وقيل انهم لا يعلمون وجه المصلحة فى إنزالها * قوله تعالى (وما من دابة فى الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم) قال العلماء جميع ما خلق الله عز وجل لا يخرج عن هاتين الحالتين إما ان يدب على الارض

مصنفة تعرف بأسمائها يريد أن كل جنس من الحيوان أمة فالطير أمة والهوام أمة والذباب أمة والسباع أمة أو تعرف بأسمائها مثل بنى آدم يعرفون باسمائهم يقال الانس والناس اخبرنا عبد الواحد المليحى انا ابو عبد الرحمن بن أبى شريح انا ابو القاسم البغوى انا على بن الجعد انا المبارك هو ابن فضالة عن الحسن عن عبد الله بن مغفل عن النبى ﷺ قال لولا أن الكلاب امة من الأمم لأمرت بقتلها فاقتلوا منها كل أسود بهيم وقيل أمم أمثالكم يفقه بعضهم عن بعض وقيل أمم أمثالكم فى الخلق والموت والبعث وقال عطاء امم امثالكم فى التوحيد والمعرفة قال ابن قتيبة امم امثالكم فى الغذاء وابتغاء الرزق وتوقى المهالك

(ما فرطنا فى الكتاب) أى فى اللوح المحفوظ (من شىء ثم إلى ربهم يحشرون) قال ابن عباس والضحاك حشرها موتها وقال أبو هريرة يحشر الله الخلق كلهم يوم القيامة البهم والدواب والطير وكل شىء فيقتص للجماء من القرناء ثم يقول كونى ترابا فحينئذ يتمنى الكافر

أو يطير فى الهواء حتى ألحقوا حيوان الماء بالطير لأن الحيتان تسبح فى الماء كما أن الطير يسبح فى الهواء وإنما خص ما فى الأرض بذكر دون ما فى السماء وإن كان ما فى السماء مخلوقا لأن الاحتجاج بالشاهد أظهر وأولى مما لا يشاهد وإنما ذكر الجناح فى قوله بجناحيه للتوكيد كقولك كتبت بيدى ونظرت بعينى إلا أمم أمثالكم قال مجاهد أى أصناف مصنفة تعرف بأسمائها يريدون ان كل جنس من الحيوان أمة فالطير أمة والدواب أمة والسباع أمة تعرف بأسمائها مثل بنى آدم يعرفون بأسمائهم كما يقال الإنس والناس ويدل على ان كل جنس من الدواب أمة ماروى عبد الله بن مغفل عن النبى ﷺ قال لولا ان الكلاب أمة من الأمم لامرت بقتلها فاقتلوا منها كل اسود بهيم اخرجه أبو داود والترمذى والنسائى * فان قلت ثبت بالآية والحديث ان الدواب والطير أمم أمثالنا وهذه المماثلة لم تحصل من كل الوجوه فما يظهر لنا فما وجه هذه المماثلة * قلت اختلف العلماء فى وجه هذه المماثلة فقيل ان هذه الحيوانات تعرف الله وتوحده وتسبحه وتصلى له كما انكم تعرفون الله وتوحدونه وتسبحونه وتصلون له وقيل انها مخلوقة لله كما انكم مخلوقون لله عز وجل وقيل إنها يفهم بعضها عن بعض ويألف بعضها بعضا كما ان جنس الإنسان يألف بعضهم بعضا ويفهم بعضا عن بعض وقيل أمثالكم فى طلب الرزق وتوقى المهالك ومعرفة الذكر والأنثى وقيل أمثالكم فى الخلق والموت والبعث بعد الموت للحساب حتى يقتص للجماء من القرناء وهو قوله تعالى (ما فرطنا فى الكتاب من شىء) يعنى فى اللوح المحفوظ لأنه يشمل جميع أحوال المخلوقات وقيل ان المراد بالكتاب القرآن يعنى ان القرآن مشتمل على جميع الأحوال (ثم إلى ربهم يحشرون) يعنى الدواب والطير قال ابن عباس حشرها موتها وقال أبو هريرة يحشر الله الخلق كلهم يوم القيامة البهائم والدواب والطير وكل شىء فيأخذ للجماء من القرناء ثم يقول كونى ترابا (م) عن ابى هريرة ان رسول الله ﷺ قال لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء * قوله عز وجل (والذين كذبوا بآياتنا) يعنى بالقرآن وبمحمد ﷺ وقيل كذبوا بحجج الله وأدلته على توحيده (صم) يعنى عن سماع الحق (وبكم) يعنى عن النطق به والمعنى أنهم فى حال كفرهم وتكذيبهم كمن لا يسمع ولا يتكلم ولهذا شبه الكفار بالموتى لأن الميت لا يسمع ولا يتكلم (فى الظلمات) يعنى فى ظلمات الكفر حائرين مترددين فيها لا يهتدون سبيلا (من يشا الله يضلله) يعنى عن الايمان (ومن يشا يجعله على صراط مستقيم) يعنى ومن يشا يجعله الله على دين الاسلام وفى هذا دليل على ان الهادى والمضل هو الله تعالى فمن أحب هدايته وفقه بفضله واحسانه للايمان ومن احب ضلالته تركه على كفره وهذا عدل منه لأنه تعالى هو الفاعل المختار لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون * قوله تعالى (قل أرأيتكم) يعنى قل يا محمد لهؤلاء الكفار الذين تركوا عبادة الله عز وجل وعبدوا غيره من الأصنام اخبرونى تقول العرب ارايتك بمعنى اخبرنا بحالك واصله أرأيتم والكاف فيه للتاكيد (ان اتاكم عذاب الله) يعنى قبل الموت مثل ما نزل بالأمم الماضية الكافرة من الغرق والخسف والمسخ والصواعق ونحو ذلك من العذاب (أو اتتكم الساعة) يعنى القيامة (أغير الله تدعون) يعنى فى كشف العذاب عنكم (إن كنتم صادقين) يعنى فى دعواكم ومعنى الاية أن الكفار كانوا إذا نزل بهم شدة وبلاء رجعوا إلى الله بالتضرع والدعاء وتركوا الأصنام فقيل لهم اترجعون إلى الله فى حال الشدة والبلاء ولا تعبدونه ولا تطيعونه فى حال اليسر والرخاء (بل إياه تدعون) يعنى بل تدعون الله ولا تدعون غيره فى كشف ما نزل بكم (فيكشف ما تدعون اليه إن شاء) يعنى فيكشف الضر الذى من أجله دعوتموه وإنما قيد الإجابة بالمشيئة رعاية للمصلحة وإن كانت الأمور كلها بمشيئة الله تعالى (وتنسون ما تشركون) يعنى وتتركون دعاء الأصنام التى تعبدونها فلا تدعونها لعلمكم أنها لا تضر ولا تنفع وقيل معناه انكم فى تركك

ويقول يا ليتنى كنت ترابا أخبرنا أبو عبد الله محمد بن الفضل الخرقى أنا أبو الحسن الطيسفونى أخبرنا عبد الله ابن عمر الجوهرى أنا أحمد ابن على الكشميهنى انا على ابن حجر أنا اسماعيل بن جعفر عن العلاء عن أبيه عن ابى هريرة ان رسول الله ﷺ قال لتردن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجماء من القرناء قوله عز وجل (والذين كذبوا بآياتنا صم وبكم) لا يسمعون الخير ولا يتكلمون به (فى الظلمات) فى ضلالات الكفر (من يشأ الله يضلله) فيموت على الكفر (ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم) هو الإسلام قوله تعالى (قل أرأيتكم) هل رأيتم والكاف فيه للتاكيد وقال الفراء رحمه الله العرب تقول أرأيتك وهم يريدون أنا كما يقول أرأيتك ان فعلت كذا ماذا تفعل أى أخبرنى وقرأ أهل المدينة أرأيتكم وأرأيتم وأرأيت بتليين الهمزة الثانية والكسائى يحذفها قال ابن عباس قل يا محمد لهؤلاء المشركين أرأيتكم (ان آتاكم عذاب الله) قبل الموت (أو أتتكم الساعة) يعنى يوم القيامة (أغير الله تدعون) فى صرف العذاب عنكم (إن كنتم صادقين) وأراد الكفار يدعون الله فى أحوال الاضطرار كما أخبر الله عنهم وإذا غشيهم موج كالظل دعوا الله مخلصين له الدين ثم قال (بل إياه تدعون) أى تدعون الله ولا تدعون غيره (فيكشف ما تدعون اليه إن شاء) قيد الإجابة بالمشيئة والأمور كلها بمشيئته (وتنسون) وتتركون (ما تشركون

ولقد أرسلنا إلى أمم من قبلك فأخذناهم بالبأساء) بالشدة والجوع (والضراء) المرض والزمانة (لعلهم يتضرعون) أى يتوبون ويخضعون والتضرع السؤال بالتذلل (فلولا) فهلا (إذ جاءهم بأسنا) عذابنا (تضرعوا) آمنوا فيكشف عنهم اخبر الله عز وجل أنه قد أرسل إلى قوم بلغوا من القسوة إلى أنهم أخذوا بالشدة فى أنفسهم وأموالهم فلم يخضعوا ولم يتضرعوا فذلك قوله (ولكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون) من الكفر والمعاصى (فلما نسوا ماذكروا به) تركوا ماوعظوا وامروا به (فتحنا عليهم ابواب كل شىء) قرأ ابو جعفر فتحنا بالتشديد فى كل القران وقرا ابن عامر كذلك إذا كان عقيبه جمعا والباقون بالتخفيف وهذا فتح استدراج ومكر اى بدلنا مكان البلاء والشدة الرخاء والصحة (حتى إذا فرحوا بما اوتوا) وهذا فرح بطر مثل فرح قارون بما اصاب من الدنيا (اخذناهم بغته) فجأة امن ما كانوا واعجب ما كانت الدنيا اليهم (فاذا هم مبلسون) ايسون من كل خير وقال ابو عبيدة المبلس النادم الحزين واصل الابلاس الاطراق من الحزن والندم روى عقبة ابن عامر ان رسول الله ﷺ قال إذا رأيت الله يعطى العبد مايحب وهو مقيم على معصيته فانما ذلك استدراج ثم تلا فلما نسوا ماذكروا به الاية (فقطع دابر القوم الذين ظلموا) اى اخرهم الذين يدبرهم يقال دبر فلان القوم يدبرهم دبرا ودبورا إذا كان اخرهم ومعناه انهم استؤصلوا بالعذاب فلم يبق منهم باقية (والحمد لله رب العالمين) فاصمكم حمد الله نفسه على ان قطع دابرهم لانه نعمة على رسله فذكر الحمد لله تعليما لهم ولمن امن بهم ان يحمدوا الله على كفايته شر الظالمين وليحمد محمد ﷺ واصحابه ربهم إذا اهلك المكذبين قوله تعالى (قل ارايتم) ايها المشركون (ان اخذ الله سمعكم) حتى لاتسمعوا شيئا اصلا

دعاء الأصنام بمنزلة من قد نسيها وهذا معنى قول الحسن لأنه قال وتعرضون عنها اعراض الناسى لها * قوله تعالى ولقد أرسلنا إلى أمم من قبلك) فى الآية محذوف والتقدير ولقد أرسلنا إلى أمم من قبلك يا محمد رسلا فخالفوهم وكفروا وحسن هذا الحذف لكونه معلوما عند السامع (فاخذناهم بالبأساء) يعنى بالفقر الشديد وأصله من البؤس وهو الشدة والمكروه وقيل البأساء شدة الجوع (والضراء) يعنى الأمراض والأوجاع والزمانة (لعلهم يتضرعون) يعنى يخضعون ويتوبون والتضرع التخشع والتذلل والانقياد وترك التمرد وأصله من الضراعة وهى الذلة ومقصود الاية ان الله تعالى أعلم نبيه ﷺ أنه قد أرسل من قبله رسلا إلى أقوام بلغوا فى القسوة إلى أن أخذوا بالبأساء والضراء وهى الشدة فى النفس والمال فلم يخضعوا ولم يتضرعوا ففيه تسلية للنبى ﷺ (فلولا) يعنى فهلا (إذ جاءهم باسنا تضرعوا) معناه نفى التضرع فلم يتضرعوا (ولكن قست قلوبهم) يعنى ولكن غلظت قلوبهم فلم تضرع ولم تخشع بل أقاموا على كفرهم وتكذيبهم رسلهم (وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون) يعنى من الكفر والتكذيب وتزيين الشيطان اغواؤه بما فى المعصية من اللذة قال ابن عباس يريد زين الشيطان الضلالة التى كانوا عليها فأصروا على معاصى الله عز وجل * قوله عز وجل (فلما نسوا ماذكروا به) أى تركوا ماوعظوا به وقيل تركوا العمل بما أمرتهم به الرسل وإنما كان النسيان بمعنى الترك لأن التارك للشىء معرض عنه كانه قد صيره بمنزلة ما قد نسى (فتحنا عليهم أبواب كل شىء) يعنى بدلنا مكان البأساء الرخاء والسعة فى الرزق والعيش ومكان الضراء الصحة والسلامة فى الأبدان والأجسام وذلك استدراج منه لهم وقيل فتحنا عليهم أبواب كل شىء من الخير كان مغلقا عنهم (حتى إذا فرحوا بما أوتوا) يعنى فرحوا بما أوتوا من السعة والرخاء والصحة فى الابدان والمعيشة وظنوا أن ما كان نزل بهم من الشدة لم يكن انتقاما من الله تعالى فانهم لما فتح الله عليهم ما فتح من الخير والسعة فرحوا به وظنوا ان ذلك باستحقاقهم وهذا فرح بطر كما فرح قارون بما أوتى من الدنيا (أخذناهم بغتة) يعنى جاءهم عذابنا فجأة من حيث لا يشعرون قال الحسن مكر بالقوم ورب الكعبة وقال أهل المعانى إنما أخذوا فى حال الرخاء والسلامة ليكون أشد لتحسرهم على ما فاتهم من حال السلامة والعافية والتصرف فى ضروب اللذة فاخذناهم فى امن ما كانوا وأعجب ما كانت الدنيا اليهم (فاذا هم مبلسون) أى ايسون من كل خير وقال الفراء المبلس اليائس المنقطع رجاؤه ولذلك يقال لمن يسكت عند انقطاع حجته ولا يكون له جواب قد ابلس وقال الزجاج المبلس الشديد الحزن والحسرة وقال ابو عبيدة المبلس النادم الحزين والابلاس هو الاطراق من الحزن والندم روى عقبة بن عامر أن النبى ﷺ قال إذا رأيت الله تعالى يعطى العبد ما يحب وهو مقيم على معصيته فانما ذلك استدراج ثم تلا فلما نسوا ماذكروا به الايه ذكره البغوى بغير سند وأسنده الطبرى * وقوله تعالى (فقطع دابر القوم الذين ظلموا) أى آخرهم الذى يدبرهم يقال دبر فلان القوم إذا كان اخرهم والمعنى انهم استؤصلوا بالعذاب فلم تبق منهم باقية (والحمد لله رب العالمين) قال الزجاج حمد الله نفسه على ان قطع دابرهم واستأصل شأفتهم ومعنى هذا ان قطع دابرهم نعمة انعم الله بها على الرسل الذين ارسلوا اليهم فكذبوهم فذكر الحمد تعليما للرسل ولمن امن بهم ليحمدوا الله على كفايته اياهم شر الذين ظلموا وليحمد محمد ﷺ وأصحابه وبهذا اهلك المشركين المكذبين وقيل معناه الثناء الكامل والشكر الدائم لله رب العالمين على انعامه على رسله واهل طاعته باظهار حجتهم على من خالفهم واهلاك اعدائهم واستئصالهم بالعذاب * قوله تعالى (قل ارايتم) اى قل يا محمد لهؤلاء المشركين (ان اخذ الله سمعكم) يعنى الذى تسمعون به

(وأبصاركم) حتى لا تبصروا شيئا أصلا (وختم على قلوبكم) حتى لا تفقهوا شيئا ولا تعرفوا بما تعرفون من أمور الدنيا شيئا (من إله غير الله يأتيكم به) ولم يقل بهما مع انه ذكر أشياء قيل معناه يأتيكم بما أخذ منكم وقيل الكناية ترجع إلى السمع الذى ذكر أولا ولا يتدرج غيره تحته كقوله تعالى والله ورسوله احق ان يرضوه فالهاء راجعة إلى الله ورضى رسوله يندرج فى رضا (١١١) الله تعالى (أنظر كيف نصرف

فأصمكم حتى لا تسمعوا شيئا (وأبصاركم) يعنى وأخذ أبصاركم التى تبصرون بها فأعماكم حتى لا تبصروا شيئا أصلا (وختم على قلوبكم) يعنى لا تفقهوا شيئا اصلا ولا تعرفوا شيئا مما تعرفون من امور الدنيا وإنما ذكر هذه الأعضاء الثلاثة لأنها اشرف أعضاء الإنسان فاذا تعطلت هذه الأعضاء اختل نظام الإنسان وفسد امره وبطلت مصالحه فى الدين والدنيا ومقصود هذا الكلام ذكر ما يدل على وجود الصانع الحكيم المختار وتقريره ان القادر على إيجاد هذه الأعضاء وأخذها هو الله تعالى المستحق للعبادة لا الأصنام التى تعبدونها وهو قوله تعالى (من إله غير الله يأتيكم به) يعنى يأتيكم بما أخذ الله منكم لأن الضمير فى به يعود على معنى الفعل ويجوز أن يعود على السمع الذى ذكر اولا يندرج تحته غيره (انظر) الخطاب للنبى ﷺ ويدخل معه غيره اى انظر يا محمد (كيف نصرف الآيات) يعنى كيف نبين لهم العلامات الدالة على التوحيد والنبوة (ثم هم يصدفون) يعنى يعرضون عنها مكذبين لها (قل ارايتكم ان اتاكم عذاب الله بغتة) يعنى فجأة (أو جهرة) يعنى معاينة ترونه عند نزوله وقال ابن عباس ليلا أو نهارا (هل يهلك إلا القوم الظالمون) يعنى المشركين لأنهم ظلموا أنفسهم بالشرك. قوله عز وجل (وما نرسل المرسلين إلا مبشرين) يعنى لمن امن بالثواب (ومنذرين) يعنى لمن اقام على كفره بالعقاب والمعنى ليس فى ارسالهم ان يأتوا الناس بما يقترحون عليهم من الآيات إنما أرسلوا بالبشارة والنذارة (فمن آمن وأصلح) يعنى آمن بهم وأصلح العمل لله (فلا خوف عليهم) يعنى حين يخاف اهل النار (ولا هم يحزنون) اى إذا حزن غيرهم (والذين كذبوا بآياتنا يمسهم العذاب) يعنى يصيبهم العذاب (بما كانوا يفسقون) يعنى بسبب ما كانوا يكفرون ويخرجون عن الطاعة. قوله تعالى (قل لا اقول لكم) الخطاب للنبى ﷺ يعنى قل يا محمد لهؤلاء المشركين لا أقول لكم (عندى خزائن الله) نزلت حين اقترحوا عليه الآيات فامره الله تعالى ان يقول لهم إنما بعثت بشيرا ونذيرا ولا اقول لكم عندى خزائن الله جمع خزانة وهى اسم للمكان الذى يخزن فيه الشىء وخزن الشىء احرازه بحيث لا تناله الأيدى والمعنى ليس عندى خزائن رزق الله فاعطيكم منها ما تريدون لأنهم كانوا يقولون للنبى صلى الله عليه وسلم إن كنت رسولا من الله فاطلب منه ان يوسع علينا عيشنا ويغنى فقيرنا فاخبر ان ذلك بيد الله لا بيدى (ولا اعلم الغيب) يعنى فاخبركم بما مضى وما سيقع فى المستقبل وذلك انهم قالوا له اخبرنا بمصالحنا ومضارنا فى المستقبل حتى نستعد لتحصيل المصالح ودفع المضار فأجابهم بقوله ولا اعلم الغيب فاخبركم بما تريدون (ولا اقول لكم انى ملك) وذلك انهم قالوا مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشى فى الأسواق ويتزوج النساء فاجابهم بقوله ولا اقول لكم فى ملك لأن الملك يقدر على مالا يقدر عليه البشر ويشاهد مالا يشاهدون فلست اقول شيئا من ذلك ولا ادعيه فتنكرون قولى وتجحدون امرى وإنما نفى عن نفسه الشريفة هذه الأشياء تواضعا لله تعالى واعترافا بالعبودية وان لا يقترحوا عليه الايات العظام (ان اتبع إلا ما يوحى إلى) يعنى ما اخبركم إلا بوحى من الله انزله على ومعنى الآية ان النبى ﷺ اعلمهم انه لا يملك خزائن الله التى منها يرزق ويعطى وانه لا يعلم الغيب فيخبر بما كان وما سيكون وانه ليس بملك حتى يطلع على مالا يطلع عليه البشر إنما يتبع ما يوحى إليه من الله عز وجل فما اخبر عنه من بوحى الله اليه وظاهر الاية يدل على ان الرسول ﷺ ما كان يجتهد فى شىء من الأحكام بل جميع اوامره ونواهيه إنما كانت بوحى من الله اليه (قل هل يستوى الأعمى والبصير) يعنى المؤمن والكافر والضال والمهتدى والعالم والجاهل (افلا تتفكرون) يعنى انهما لا يستويان * قوله عز وجل (وانذر به) يعنى وخوف بالقرآن والانذار اعلام

الآيات) أى نبين لهم العلامات الدالة على التوحيد والنبوة (ثم هم يصدفون) يعرضون عنها مكذبين (قل ارايتكم ان اتاكم عذاب الله بغتة) فجأة (أو جهرة) معاينة ترونه عند نزوله قال ابن عباس والحسن ليلا ونهارا (هل يهلك إلا القوم الظالمون) المشركون قوله عز وجل (وما نرسل المرسلين إلا مبشرين ومنذرين فمن امن وأصلح) العمل (فلا خوف عليهم) حين يخاف اهل النار (ولا هم يحزنون) إذا حزنوا (والذين كذبوا بآياتنا يمسهم) يصيبهم (العذاب بما كانوا يفسقون) يكفرون (قل لا اقول لكم عندى خزائن رزقه فاعطيكم ما تريدون (ولا اعلم الغيب) فاخبركم بما غاب مما مضى وبما سيكون (ولا أقول لكم انى ملك) قال ذلك لأن الملك يقدر على مالا يقدر عليه الأدمى ويشاهد مالا يشاهده الأدمى يريد لا أقول لكم شيئا من ذلك

فتنكرون قولى وتجحدون امرى (ان اتبع إلا ما يوحى إلى) اى ما آتيكم به فمن وحى الله تعالى وذلك غير مستحيل فى العقل مع قيام الدليل والحجج البالغة (قل هل يستوى الأعمى والبصير) قال قتادة الكافر والمؤمن وقال مجاهد الضال والمهتدى وقيل الجاهل والعالم (افلا تتفكرون) اى انهما لا يستويان قوله عز وجل (وانذر به) خوف به اى بالقران

(الذين يخافون أن يحشروا) يجمعوا ويبعثوا (إلى ربهم) وقيل يخافون أن يعلموا لأن خوفهم إنما كان من علمهم (ليس لهم من دونه) من دون الله (ولى) قريب ينفعهم (ولا شفيع) يشفع لهم (لعلهم يتقون) فيتهون عما نهوا عنه وإنما نفى الشفاعة لغيره مع أن الأنبياء والأولياء يشفعون لأنهم لا يشفعون إلا باذنه (ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى) قرأ ابن عامر بالغداة بضم الغين وسكون الدال وواو بعدها هاهنا وفى سورة الكهف وقرأ الآخرون بفتح الغين والدال وألف بعدها قال سلمان وخباب بن الأرت فينا نزلت هذه الآية جاء الأقرع بن حابس التميمى وعيينة بن حصن الفزارى وذووهم من المؤلفة قلوبهم فوجدوا النبى ﷺ قاعدا مع بلال وصهيب وخباب فى ناس من ضعفاء المؤمنين فلما رأوهم حوله حقروهم فأتوه فقالوا يا رسول الله لو جلست فى صدر المجلس ونفيت عنا هؤلاء وأرواح جبابهم وكان علهم جباب صوف لها رائحة لم يكن علهم غيرها جالسناك وأخذنا عنك فقال النبى ﷺ لهم ما انا بطارد المؤمنين قالوا فانا نحب أن تجعل لنا منك مجلسا تعرف به العرب فضلنا فان وفود العرب تأتيك فنستحى ان ترانا العرب مع هؤلاء الاعبد فاذا نحن جئناك فاقمهم عنا فاذا نحن فرغنا فاقعد معهم إن شئت قال نعم قالوا اكتب لنا عليك بذلك كتابا قال فدعا بالصحيفة ودعا عليا ليكتب قالوا ونحن قعود فى ناحية إذ نزل جبريل بقوله ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه إلى قوله بالشاكرين فألقى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصحيفة من يده ثم دعانا فأتينا وهو يقول سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة فكنا نقعد معه فاذا أراد ان يقوم قام وتركنا فانزل الله عز وجل واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه فكان رسول الله ﷺ يقعد معنا بعد وندنوا منه حتى كانت ركبنا تمس ركبته فاذا بلغ الساعة التى يقوم فيها وتركناه حتى يقوم وقال الحمد لله الذى لم يمتنى حتى امرنى ان اصبر نفسى مع قوم من امتى معكم المحيا ومعكم الممات وقال الكلبى قالوا له اجعل لنا يوما ولهم يوما فقال لا افعل فقالوا فاجعل المجلس واحدا فاقبل علينا وول ظهرك عليهم فأنزل الله تعالى هذه الآية ولا تطرد الذين قال مجاهد قالت قريش لولا بلال وابن ام عبد لبايعنا محمدا فأنزل الله هذه الآية ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يعنى صلاة الصبح وصلاة العصر ويروى عنه ان المراد منه الصلوات الخمس وذلك ان اناسا من الفقراء كانوا مع النبى عليه السلام فقال ناس من الاشراف إذا صلينا فاخرهؤلاء فليصلوا خلفنا فنزلت هذه الآية وقال مجاهد صليت الصبح مع سعيد بن المسيب فلما سلم الامام ابتدر الناس القاص فقال سعيد ما أسرع الناس إلى هذا المجلس قال مجاهد فقلت يتاولون قوله يدعون ربهم بالغداة والعشى قال أفى هذا هو إنما ذلك فى الصلاة التى انصرفنا عنها الان وقال ابراهيم النخعى يعنى يذكرون ربهم وقيل المراد منه حقيقة الدعاء (يريدون وجهه) اى يريدون الله بطاعتهم قال ابن عباس رضى الله عنهما يطلبون ثواب الله فقال

مع تخويف (الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم) قال ابن عباس يريد المؤمنين لأنهم يخافون يوم القيامة وما فيه من شدة الأهوال وقيل معنى يخافون يعلمون والمراد هم كل معترف بالبعث من مسلم وكتابى وإنما خص الذين يخافون الحشر بالذكر دون غيرهم وإن كان إنذاره ﷺ لجميع الخلائق لأن الحجة أوكد من غيرهم لاعترافهم بصحة المعاد والحشر وقيل المراد بهم الكفار لأنهم لا يعتقدون صحة ولذلك قال يخافون أن يحشروا إلى ربهم وقيل المراد بالإنذار جميع الخلائق فيدخل فيه كل مؤمن معترف بالحشر وكل كافر منكر له لأنه ليس أحد إلا وهو يخاف الحشر سواء اعتقد وقوعه أو كان يشك فيه ولأن دعوة النبى ﷺ وإنذاره لجميع الخلق (ليس لهم من دونه) يعنى من دون الله (ولى) أى قريب ينفعهم (ولا شفيع) يعنى يشفع لهم ثم ان فسرنا الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم ان المراد بهم الكفار فلا إشكال فيه لقوله تعالى ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع وان فسرنا الذين يخافون ان يحشروا إلى ربهم المراد بهم المؤمنون ففيه إشكال لأنه قد ثبت بصحيح النقل شفاعة نبينا محمد ﷺ للمذنبين من أمته وكذلك تشفع الملائكة والانبياء والمؤمنون بعضهم لبعض والجواب عن هذا الإشكال ان الشفاعة لا تكون إلا باذن الله لقوله عز وجل من ذا الذى يشفع عنده إلا باذنه واذا كانت الشفاعة باذن الله صح قوله ليس لهم من دونه ولى ولا شفيع يعنى حتى يأذن الله لهم فى الشفاعة فاذا اذن فيها كان للمؤمنين ولى شفيع (لعلهم يتقون) يعنى ما نهيتم عنه * قوله تعالى (ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه) قال سلمان وخباب بن الارت فينا نزلت هذه الاية جاء الأقرع بن حابس التميمى وعيينة بن حصن الفزارى وهما من المؤلفة قلوبهم فوجدوا النبى ﷺ قاعدا مع صهيب وبلال وعمار وخباب فى نفر من ضعفاء المؤمنين فلما راوهم حوله حقروهم فاتوه فقالوا يارسول الله لو جلست فى صدر المجلس ونفيت عنا هؤلاء وارواح جبابهم وكانت عليهم جباب صوف رائحة ليس علهم غيرها لجالسناك واخذنا عنك فقال النبى ﷺ ما انا بطارد المؤمنين قالوا فانا نحب ان تجعل لنا منك مجلسا تعرف به العرب فضلنا فان وفود العرب تاتيك فنستحى ان ترانا العرب مع هؤلاء الاعبد فاذا نحن جئناك فاقمهم عنا فاذا نحن فرغنا فاقعد هم ان شئت قال نعم قالوا فاكتب لنا عليك بذلك كتابا قال فاتى بالصحيفة ودعا عليا ليكتب قال ونحن قعود فى ناحية إذ نزل جبريل عليه السلام بقوله ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى إلى قوله اليس الله باعلم بالشاكرين فألقى رسول الله ﷺ الصحيفة من يده ثم دعانا فاتيناه وهو

يقول سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة فكنا نقعد معه فاذا أراد أن يقوم قام وتركنا فأنزل الله تبارك وتعالى واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى الاية فكان رسول الله ﷺ يقعد معنا بعد ذلك وندنو منه حتى ركبنا تمس ركبته فاذا بلغ الساعة التى يريد ان يقوم فيها قمنا وتركناه حتى يقوم وقال لنا الحمد لله الذى لم يمتنى حتى أمرنى ان اصبر نفسى مع قوم من أمتى معكم المحيا ومعكم الممات وروى عن سعد بن أبى وقاص قال كنا مع رسول الله ﷺ ستة نفر فقال المشركون للنبى ﷺ أطرد هؤلاء لا يجترؤن علينا قال وكنت أنا وابن مسعود ورجل من هزيل وبلال ورجلان لست اسميهما فوقع فى نفس رسول الله ﷺ ما شاء الله أن يقع فحدث نفسه فأنزل الله عز وجل ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه أخرجه مسلم وقال الكلبى قالوا له يعنى اشراف قريش اجعل لنا يوما ولهم يوما فقال لا أفعل قالوا فاجعل المجلس واحدا واقبل علينا وول ظهرك إليهم فانزل الله هذه الاية وقال مجاهد قالت قريش لولا بلال وابن ام عبد يعنى ابن مسعود لبايعناك فانزل الله تعالى هذه الاية وقال ابن مسعود مر ملأ من قريش بالنبى ﷺ وعنده صهيب وعمار وبلال وخباب ونحوهم من ضعفاء المسلمين فقالوا يا محمد رضيت بهؤلاء بدلا من قومك هؤلاء الذين من الله عليهم من بيننا أنحن نكون تبعا لهؤلاء اطردهم فلعلك ان طردتهم ان نتبعك فنزلت هذه الاية وقال عكرمة جاء عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة ومطعم بن عدى والحرث بن نوفل فى اشراف بنى عبد مناف من أهل الكفر إلى أبى طالب عم النبى ﷺ فقالوا يا أبا طالب لو أن ابن أخيك محمدا يطرد عنه موالينا وحلفاءنا فانهم عبيدنا وعسفاؤنا كان اعظم فى صدورنا واطوع له عندنا وادنى لاتباعنا اياه وتصديقنا له فاتى أبو طالب النبى ﷺ فحدثه بالذى كلموه به فقال عمر بن الخطاب لو فعلت ذلك حتى ننظر ما الذى يريدون والى ماذا يصيرون فانزل الله عز وجل هذه الاية وانذر به الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم إلى قوله اليس الله باعلم بالشاكرين فجاء عمر فاعتذر من مقالته قلت بين هذه الروايات والرواية الأولى التى عن سلمان وخباب بن الارت فرق كثير وبعد عظيم وهو ان اسلام سلمان كان بالمدينة وكان اسلام المؤلفة قلوبهم بعد الفتح وسورة الانعام مكية والصحيح ماروى عن ابن مسعود والكلبى وعكرمة فى ذلك ويعضده حديث سعد بن أبى وقاص المخرج فى صحيح مسلم من أن المشركين قالوا للنبى ﷺ اطرد هؤلاء يعنى ضعفاء المسلمين والله اعلم وأما معنى الاية فقوله ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى الخطاب فيه للنبى ﷺ يعنى ولا تطرد هؤلاء الضعفاء عنك ولا تبعدهم عن مجلسك لاجل ضعفهم وفقرهم ثم وصفهم فقال تعالى الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى قال ابن عباس يعنى يعبدون ربهم بالغداة والعشى يعنى صلاة الصبح وصلاة العصر ويروى عنه أن المراد منه الصلوات الخمس وانما ذكر هذين الوقتين تنبيها على شرفهما ولانهم مواظبون عليهما مع بقية الصلوات ولان الصلوات تشتمل على القراءة والدعاء والذكر فعبر بالدعاء عن الصلاة لهذا المعنى قال مجاهد صليت الصبح مع سعيد بن المسيب فلما سلم الامام ابتدر الناس القاص فقال سعيد بن المسيب ما اسرع الناس إلى هذا المجلس فقال مجاهد يتاولون قوله تعالى يدعون ربهم بالغداة والعشى قال اوفى هذا انما هو فى الصلاة التى انصرفنا عنها الان وقال ابن عباس ان ناسا من الفقراء كانوا مع النبى ﷺ فقال ناس من أشراف الناس نؤمن لك واذا صلينا فاخر هؤلاء الذين معك فليصلوا خلفنا وقيل المراد منه حقيقة الدعاء والذكر والمعنى أنهم كانوا يذكرون ربهم ويدعونه طرفى النهار يريدون وجهه يعنى يطلبون بعبادتهم وطاعتهم وجه الله مخلصين فى عبادتهم له وقال ابن عباس ويطلبون ثواب الله تعالى (ما عليك من حسابهم من شىء وما من حسابك عليهم من شىء) يعنى لا تكلف امرهم ولا يكلفون امرك وقيل ما عليك حساب رزقهم فتملهم وتطردهم عنك ولا رزقك عليهم انما الرازق لجميع الخلق هو الله تعالى فلا تطردهم عنك (فتطردهم فتكون من الظالمين) يعنى بطردهم عنك وعن مجلسك فقوله فتطردهم جواب النفى وهو قوله ما عليك من حسابهم من شىء وقوله فتكون من الظالمين

(ما عليك من حسابهم من شىء وما من حسابك عليهم من شىء) أى لا تكلف أمرهم ولا يتكلفون أمرك وقيل ليس رزقهم عليك فتملهم (فتطردهم) رزقك عليهم قوله فتطردهم جواب لقوله ما عليك من حسابهم من شىء وقوله (فتكون من الظالمين) جواب لقوله ولا تطرد أحدهما جواب النفى والاخر جواب النهى

(وكذلك فتنا) أى ابتلينا (بعضهم ببعض) أراد ابتلى الغنى بالفقير والشريف بالوضيع وذلك أن الشريف إذا نظر إلى الوضيع قد سبقه بالايمان امتنع من الاسلام بسببه فكان فتنة له فذلك قوله (ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا) فقال الله تعالى (أليس الله باعلم بالشاكرين) فهو جواب لقولهم أهؤلاء من الله عليهم من بيننا فهو استفهام بمعنى التقرير أى الله أعلم بمن شكر الاسلام إذ هداه الله عز وجل أخبرنا الامام أبو على الحسين بن محمد القاضى أنا أبو العباس عبد الله بن محمد هرون الطيسفونى أنا أبو الحسن محمد بن أحمد الترانى ثنا أبو بكر أحمد بن محمد بن عمرو بن بسطام ثنا أبو الحسن بن أحمد بن سيار القرشى أنا مسدد انا جعفر بن سليمان عن المعلى بن زياد عن العلاء بن بشير المزنى عن أبى الصديق الناجى عن أبى سعيد الخدرى قال جلست فى نفر من ضعفاء المهاجرين وان بعضهم ليستتر ببعض من العرى وقارىء يقرأ علينا إذ جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام علينا فلما قام رسول الله ﷺ سكت القارىء فسلم رسول الله ﷺ وقال ما كنتم تصنعون قلنا يارسول الله كان قارىء يقرأ علينا فكنا نستمع إلى كتاب الله تعالى فقال رسول الله ﷺ الحمد لله الذى جعل من أمتى من امرنى أن أصبر نفسى معهم قال ثم جلس وسطنا ليدل نفسه فينا ثم قال بيده هكذا فتخلفوا وبرزت وجوههم له قال فما رأيت رسول الله ﷺ عرف منهم أحدا غيرى فقال رسول الله ﷺ ابشروا بالنور التام يوم القيامة تدخلون الجنة قبل أغنياء الناس بنصف يوم وذلك مقدار خمسمائة سنة

جواب النهى وهو قوله ولا تطرد الذين يدعون ربهم واحتج الطاعنون فى عصمة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بهذه الاية فقالوا أن النبى ﷺ لما هم بطرد الفقراء عن مجلسه لأجل الاشراف عاتبه الله على ذلك ونهاه عن طردهم وذلك يقدح فى العصمة وقوله فتطردهم فتكون من الظالمين والجواب عن هذا الاحتجاج أن النبى ﷺ ما طردهم ولا هم بطردهم لأجل استخفافهم والاستنكاف من فقرهم وإنما كان هذا ألهم لمصلحة وهى التلطف بهؤلاء الأشراف فى ادخالهم فى الاسلام فكان ترجيح هذا الجانب أولى وهو اجتهاد منه فاعله الله تعالى ان أدناه هؤلاء الفقراء أولى من الهم بطردهم فقربهم منه وأدناهم وأما قوله فتطردهم فتكون من الظالمين فان الظالمين فى اللغة وضع الشىء فى غير موضعه فيكون المعنى أن أولئك الفقراء الضعفاء يستحقون التعظيم والتقريب فلا تهم بطردهم عنك فتضع الشىء فى غير موضعه فهو من باب ترك الأفضل والأولى من باب ترك الواجبات والله أعلم * قوله عز وجل (وكذلك فتنا بعضهم ببعض يعنى وكذلك ابتلينا الغنى والفقير بالغنى والشريف بالوضيع والوضيع بالشريف فكل أحد مبتلى بضده فكان ابتلاء الأغنياء فالشرفاء حسدهم للفقراء الصحابة على كونهم سبقوهم إلى الاسلام وتقدموهم عليهم فامتنعوا من الدخول فى الاسلام لذلك فكان فتنة وابتلاء لهم وأما فتنة الفقراء بالأغنياء فلما يرون من سعة رزقهم وخصب عيشهم فكان ذلك فتنة لهم (ليقولوا) يعنى الأغنياء والشرفاء والرؤساء (أهؤلاء من الله عليهم من بيننا) يعنى من على الفقراء والضعفاء بالاسلام ومتابعة الرسول ﷺ وهذا اعتراض من الكفار على الله تعالى فأجابهم بقوله (أليس الله باعلم بالشاكرين) يعنى أنه تعالى اعلم بخلقه وبأحوالهم واعلم بالشاكرين من الكافرين * قوله تعالى (وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم) قال عكرمة نزلت فى الذين نهى الله عن طردهم فكان النبى ﷺ إذا رآهم بداهم بالسلام وقال عطاء نزلت فى أبى بكر وعمر وعثمان وعلى وبلال وسالم بن أبى عبيدة ومصعب بن عمر وحمزة وجعفر وعثمان بن مظعون وعمار بن ياسر والارقم بن أبى الارقم وأبى سلمة بن عبد الاسد وقيل ان الاية على إطلاقها فى كل مؤمن وقيل لما جاء عمر بن الخطاب واعتذر من مقالته التى تقدمت رواية عكرمة وقال ما أردت إلا الخير نزلت وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم (كتب ربكم) يعنى فرض ربكم وقضى ربكم (على نفسه الرحمة) وهذا يفيد الوجوب وسبب هذا انه تعالى يتصرف فى عباده كيف يشاء وأراد فأوجب على نفسه الرحمة على سبيل الفضل والكرم لانه أكرم الاكرمين وأرحم الراحمين (أنه من عمل منكم سوأ بجهالة) قال مجاهد كل من عمل ذنبا أو خطيئة فهو بها جاهل واختلفوا فى سبب هذا الجهل فقيل لانه جاهل بمقدار ما استحقه من العقاب وما فاته من الثواب وقيل إنه وإن علم أن عاقبة ذلك السوء والفعل القبيح مذمومة إلا أنه آثر اللذة العاجلة على الخير الكثير الاجل ومن آثر القليل على الكثير فهو جاهل وقيل أنه لما فعل فعل الجهال نسب إلى الجهل وإن لم يكن جاهلا (ثم تاب من بعده) يعنى ارتكابه ذلك السوء ورجع عنه (وأصلح) يعنى أصلح العمل فى المستقبل وقيل أخلص توبته وندم على فعله (فانه غفور) يعنى لمن تاب من

(وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم) قال عكرمة نزلت فى الذين نهى الله عز وجل نبيه عن طردهم وكان النبى ﷺ إذا راهم بداهم بالسلام وقال عطاء نزلت فى ابى بكر وعمر وعثمان وعلى وبلال وسالم وأبى عبيدة ومصعب بن عمير وحمزة وجعفر وعثمان بن مظعون وعمار بن ياسر والارقم بن أبى الارقم وأبى سلمة بن عبد الاسد رضى الله عنهم أجمعين (كتب ربكم على نفسه الرحمة) أى قضى على نفسه الرحمة (انه من عمل منكم سوءا بجهالة) قال مجاهد لا يعلم حلالا من حرام فمن جهالته ركب الذنب وقيل بما يورثه ذلك الذنب وقيل جهالته من حيث أنه آثر المعصية على الطاعة والعاجل القليل على الاجل الكثير (ثم تاب من بعده) رجع عن ذنبه (وأصلح) عمله وقيل أخلص توبته (فانه غفور

رحيم) قرأ ابن عامر وعاصم ويعقوب انه من عمل فانه غفور رحيم بفتح الألف فيهما بدلا من الرحمة أى كتب على نفسه انه من عمل منكم ثم جعل الثانية بدلا عن الأولى كقوله تعالى ايعدكم انكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاما انكم مخرجون فتح اهل المدينة الأولى منهما وكسر الثانية على الاستئناف وكسرهما الاخرون على الاستئناف (وكذلك نفصل الايات) أى وهكذا وقيل معناه وكما فصلنا لك فى هذه السورة دلائلنا وأعلامنا على المشركين كذلك نفصل الايات أى نميز ونبين لك حجتنا فى كل حق ينكره أهل الباطل (ولتستبين سبيل المجرمين أى طريق المجرمين وقرأ أهل المدينة ولتستبين بالتاء سبيل المجرمين نصب على خطاب النبى ﷺ اى ولتعرف يا محمد سبيل المجرمين يقال استبنت الشىء وتبينته إذا عرفته وقرحمزة والكسائى وابو بكر وليستبين بالياء سبيل بالرفع وقرأ الاخرون ولتستبين بالتاء سبيل رفع أى ليظهر وليتضح السبيل يذكر ويؤنث فدليل التذكير قوله تعالى وإن يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا ودليل التأنيث قوله تعالى لم تصدون عن سبيل الله من آمن به وتبغونها عوجا قوله عزوجل (قل إنى نهيت ان اعبد الذين تدعون من دون الله قل لا اتبع اهواءكم) فى عبادة الاوثان وطرد الفقراء (قد ضللت إذا وما انا من المهتدين) يعنى ان فعلت ذلك فقد تركت سبيل الحق وسلكت غير طريق الهدى (قل انى على بينة) اى على بيان وبصيرة وبرهان (من ربى وكذبتم به) اى ما جئت به (ما عندى ما تستعجلون به) قيل اراد به استعجالهم بالعذاب كانوا يقولون ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة الاية وقيل أراد به القيامة قال الله يستعجل الذين لا يؤمنون بها (ان الحكم الا لله يقص الحق) قرأ أهل الحجاز وعاصم يقص بضم القاف والصاد مشددا اى يقول الحق لانه فى جميع المصاحف بغير ياء ولانه قال الحق ولم يقل بالحق وقرأ الاخرون يقضى بسكون القاف والضاد مكسورة من قضيت أى يحكم بالحق بدليل انه قال (وهو خير الفاصلين) والفصل يكون فى القضاء وانما حذفوا الياء لاستثقال الالف واللام كقوله تعالى صال الجحيم ونحوها ولم يقل بالحق لان الحق صفة المصدر كانه قال يقضى القضاء الحق

ذنوبه (رحيم) بعباده قال خالد بن دينار كنا إذا دخلنا على أبى العالية قال وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة الاية عن ابى سعيد الخدرى قال جلست فى عصابة من ضعفاء المهاجرين وإن بعضهم ليستتر ببعض من العرى وقارىء يقرأ علينا إذ جاء رسول الله ﷺ فقام علينا فلما قام علينا رسول الله ﷺ سكت القارىء فسلم ثم قال ما كنتم تصنعون قلنا يا رسول الله كان قارىء لنا يقرأ علينا وكنا نستمع إلى كتاب الله تعالى فقال رسول الله ﷺ الحمد لله الذى جعل من امتى من امرت ان اصبر نفسى معهم وجالس رسول الله ﷺ وسطنا ليعدل بنفسه فينا ثم قال بيده هكذا فتحلقوا وبرزت وجوههم قال فما رأيت رسول الله ﷺ عرف منهم أحدا غيرى ثم قال رسول الله ﷺ ابشروا يا معشر صعاليك المهاجرين بالنور التام يوم القيامة تدخلون الجنة قبل اغنياء الناس بنصف يوم وذلك خمسمائة عام اخرجه ابو داود * وقوله عزوجل (وكذلك نفصل الايات) يعنى وكما فصلنا لك يا محمد فى هذه السورة دلائلنا على صحة التوحيد وإبطال ما هم عليه من الشرك كذلك نميز ونبين لك ادلة حججنا وبراهيننا على تقرير كل حق ينكره اهل الباطل (ولتستبين) قرىء بالتاء على الخطاب للنبى ﷺ يعنى وليظهر لك الحق يا محمد ويتبين لك (سبيل المجرمين) يعنى طريق هؤلاء المجرمين وقرىء بالياء على الغيبة ومعناه وليظهر ويتضح سبيل المجرمين يوم القيامة إذا صاروا إلى النار * قوله تعالى (قل) اى قل يا محمد لهؤلاء المشركين إنى نهيت ان اعبد الذين تدعون من دون الله) يعنى نهيت ان اعبد الاصنام التى تعبدونها انتم من دون الله وقيل تدعونها عند شدائدكم من دون الله لان الجمادات اخس من ان تعبد أو تدعى وإنما كانوا يعبدونها على سبيل الهوى وهو قوله تعالى (قل لا اتبع اهواءكم) يعنى فى عبادة الاصنام وطرد الفقراء (قد ضللت) يعنى إذا عبدتها (وما انا من المهتدين) يعنى لو عبدتها (قل) يعنى قل يا محمد لهؤلاء المشركين (إنى على بينة من ربى) قال ابن عباس يعنى على يقين من ربى وقيل البينة الدالة تفصل بين الحق والباطل والمعنى إنى على بيان وبصيرة فى عبادة ربى (وكذبتم به) يعنى وكذبتم بالبيان الذى جئت به من عند ربى وهو القرآن والمعجزات الباهرات والبراهين الواضحات التى تدل على صحة التوحيد وفساد الشرك (ما عندى ما تستعجلون به) يعنى العذاب وذلك أن النبى ﷺ كان يخوفهم بنزول العذاب عليهم وكانوا يستعجلون به استهزاء وكانوا يقولون يا محمد ائتنا بما تعدنا يعنى من نزول العذاب فامر الله تعالى نبيه ﷺ ان يقول لهم ما عندى ما تستعجلون به لان إنزال العذاب لا يقدر عليه إلا الله تعالى ولا يقدر أحد على تقديمه ولا تأخيره وقيل كانوا يستعجلون بالايات التى طلبوها واقترحوها فاعلم الله ان ذلك عنده ليس عند أحد من خلقه وقيل كانوا يستعجلون بقيام الساعة ومنه قوله تعالى يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها (ان الحكم إلا لله) يفنى الحكم الذى يفصل به بين الحق والباطل والثواب للطائع والعقاب للعاصى أى ما الحكم المطلق الا الله ليس معه حكم فهو يفصل بين المختلفين ويقضى بانزال العذاب اذا شاء (يقص الحق) قرىء بالصاد المهملة ومعناه يقول الحق لان كل ما أخبر به فهو حق وقرىء يقض بالضاد المعجمة من القضاء يعنى انه تعالى يقضى القضاء الحق (وهو خير الفاصلين) يعنى وهو خير من بين وفصل وميز بين

(قل لو أن عندى) وبيدى (ما تستعجلون به) من العذاب (لقضى الأمر بينى وبينكم) أى فرغ من العذاب وأهلكتم أى لعجلته حتى أتخلص منكم (والله أعلم بالظالمين) قوله تعالى (وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو) مفاتح الغيب خزائنه جمع مفتح واختلفوا فى مفاتح الغيب اخبرنا أبو عبد الله محمد بن الفضل الخرقى (١١٦) أنا أبو الحسن الطيسفونى أنا عبد الله بن عمر الجوهرى أنا أحمد بن على الكشميهنى أنا على ابن حجر انا اسماعيل بن جعفر أنا عبد الله بن دينار انه سمع ابن عمر يقول قال رسول الله ﷺ مفاتح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله لا يعلم ما تغيض الارحام احد إلا الله تعالى ولا يعلم ما فى الغد إلا الله عز وجل ولا يعلم متى يأتى المطر احد إلا الله ولا تدرى نفس بأى أرض تموت ولا يعلم متى تقوم الساعة احد إلا الله وقال الضحاك ومقاتل مفاتح الغيب خزائن الأرض وعلم نزول العذاب وقال عطاء ما غاب عنكم من الثواب والعقاب وقيل انقضاء الآجال وقيل احوال العباد من السعادة والشقاوة وخواتيم اعمالهم وقيل هى مالم يكن بعد انه يكون ام لا يكون وما يكون كيف يكون وما لا يكون ان لو كان كيف يكون وقال ابن مسعود اوتى نبيكم علم كل شىء إلا علم مفاتيح الغيب (ويعلم ما فى البر والبحر) قال مجاهد البر المفاوز والقفار والبحر القرى والأمصار لا يحدث فيهما شىء إلا وهو يعلمه وقال جمهور المفسرين هو البر البحر المعروف لأن جميع الأرض إما بر وإما بحر وفى كل واحد منهما من عجائب مصنوعاته وغرائب مبتدعاته ما يدل على عظيم قدرته وسعة علمه (وما تسقط من ورقة إلا يعلمها) يريد ساقطة وثابتة والمعنى أنه يعلم عدد ما يسقط من الورق وما بقى على الشجرة من ذلك يعلم كم انقلبت ظهر البطن إلى أن تسقط على الأرض (ولا حبة فى ظلمات الليل) قيل هو الحب المعروف يكون فى بطن الأرض قبل أن ينبت وقيل هى الحبة التى فى الصخرة التى فى أسفل الأرضين (ولا رطب ولا يابس) قال ابن عباس الرطب الماء واليابس البادية وقال عطاء يريد ما ينبت وما لا ينبت وقيل المراد بالرطب الحى واليابس الميت وقيل هو عبارة عن كل شىء لأن جميع الأشياء إما رطبة وإما يابسة * فان قلت إن جميع هذه الأشياء داخلة تحت قوله وعنده مفاتح الغيب فلم أفرد هذه الأشياء بالذكر وما فائدة ذلك * قلت لما قال الله تعالى

المحق والمبطل لأنه لا يقع فى حكمه وقضائه جور ولا حيف على أحد من خلقه (قل لو أن عندى ما تستعجلون به) يعنى من إنزال العذاب والاستعجال المطالبة بالشىء قبل وقته فلذلك كانت العجلة مذمومة والإسراع تقديم الشىء فى وقته فلذلك كانت السرعة محمودة والمعنى قل يا محمد لهؤلاء المشركين المستعجلين لنزول العذاب لو أن عندى ما تستعجلون به لم امهلكم ساعة ولكن الله حليم ذو اناة لا يعجل بالعقوبة * قوله تعالى (لقضى الأمر بينى وبينكم) يعنى لانفصل ما بينى وبينكم ولاتاكم ما تستعجلون به من العذاب (والله اعلم بالظالمين) يعنى انه اعلم بما تستحقون من العذاب والوقت الذى يستحقونه فيه وقيل علم انه سيؤمن بعض من كان يستعجل بالعذاب فلذلك اخره عنهم قال والله اعلم بالظالمين وباحوالهم * قوله عز وجل (وعنده مفاتح الغيب) المفتاح الذى يفتح به المغلاق جمعه مفاتيح ويقال فيه مفتح بكسر الميم وجمعه مفاتح والمفتح بفتح الميم الخزانه وكل خزانة كانت لصنف من الاشياء فهى مفتح وجمعه مفاتح فقوله وعنده مفاتح الغيب يحتمل أن يكون المراد منه المفاتيح التى يفتح بها ويحتمل ان يكون المراد منه الخزائن فعلى التفسير الأول فقد جعل للغيب مفاتيح على طريق الاستعارة لان المفاتيح هى التى يتوصل بها إلى ما فى الخزائن المستوثق منها بالاغلاق فمن علم كيف يفتح بها ويتوصل إلى ما فيها فهو عالم وكذلك ههنا لان الله تعالى لما كان عالما بجميع المعلومات ما غاب منها وما لم يغب عن هذا المعنى بهذه العبارة وعلى التفسير الثانى يكون المعنى وعنده خزائن الغيب والمراد منه القدرة الكاملة على كل الممكنات ثم اختلفت اقوال المفسرين فى قوله وعنده مفاتح الغيب (لا يعلمها إلا هو) فقيل مفاتيح الغيب خمس وهى ما روى عن عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال مفاتيح الغيب خمسة لا يعلمها إلا الله تعالى لا يعلم احد ما يكون فى غد إلا الله ولا يعلم احد ما يكون فى الارحام إلا الله ولا تعلم نفس ماذا تكسب غدا ولا تدرى نفس باى ارض تموت ولا يدرى أحد متى يجىء المطر وفى رواية أخرى لا يعلم أحد ما تغيض الأرحام ولا يعلم ما فى غد إلا الله ولا يعلم متى يأتى المطر احد إلا الله ولا تدرى نفس باى ارض تموت إلا الله ولا يعلم متى الساعة إلا الله اخرجه البخارى وقال الضحاك ومقاتل مفاتح الغيب خزائن الأرض وعلم نزول العذاب وقال عطاء هو ما غاب عنكم من الثواب والعقاب وقيل هو انقضاء الاجال وعلم احواله العباد من السعادة والشقاوة وخواتيم اعمالهم وقيل هو علم مالم يكن بعد ان يكون إذ يكون كيف يكون ومالا يكون ان لو كان كيف يكون وقال ابن مسعود اوتى نبيكم ﷺ كل شىء إلا مفاتح الغيب وقال ابن عباس انها خزائن غيب السماوات والأرض من الأقدار والأرزاق (ويعلم ما فى البر والبحر) قال مجاهد البر المفاوز والقفار والبحر القرى والامصار لا يحدث فيها شىء إلا وهو يعلمه وقال جمهور المفسرين هو البر البحر المعروف لأن جميع الأرض إما بر وإما بحر وفى كل واحد منهما من عجائب مصنوعاته وغرائب مبتدعاته ما يدل على عظيم قدرته وسعة علمه (وما تسقط من ورقة إلا يعلمها) يريد ساقطة وثابتة والمعنى أنه يعلم عدد ما يسقط من الورق وما بقى على الشجرة من ذلك يعلم كم انقلبت ظهر البطن إلى أن تسقط على الأرض (ولا حبة فى ظلمات الليل) قيل هو الحب المعروف يكون فى بطن الأرض قبل أن ينبت وقيل هى الحبة التى فى الصخرة التى فى أسفل الأرضين (ولا رطب ولا يابس) قال ابن عباس الرطب الماء واليابس البادية وقال عطاء يريد ما ينبت وما لا ينبت وقيل المراد بالرطب الحى واليابس الميت وقيل هو عبارة عن كل شىء لأن جميع الأشياء إما رطبة وإما يابسة * فان قلت إن جميع هذه الأشياء داخلة تحت قوله وعنده مفاتح الغيب فلم أفرد هذه الأشياء بالذكر وما فائدة ذلك * قلت لما قال الله تعالى

بشىء الا يعلمه وقيل هو البر والبحر المعروف (وما يسقط من ورقة الا يعلمها) يريد ساقطة وثابتة يعنى وعنده يعلم عدد ما يسقط من ورق الشجر وما يبقى عليه وقيل يعلم كم انقلبت ظهر البطن الى أن سقطت على الأرض (ولا حبة فى ظلمات الأرض) قيل هو الحب المعروف فى بطون الأرض وقيل هو تحت الصخرة التى فى أسفل الأرضين (ولا رطب ولا يابس) قال ابن عباس رضى الله عنهما الرطب الماء واليابس البادية وقال عطاء يريد ما ينبت وما لا ينبت وقيل ولا حى ولا موات وقيل هو عبارة عن كل شىء

وعنده مفاتح الغيب على سبيل الاجمال ذكر من بعد ذلك الاجمال ما يدل على التفصيل فذكر هذه الأشياء المحسوسة ليدل بها على غيرها فقدم ذكر البر والبحر لما فيهما من العجائب والغرائب من المدن والقرى والمفاوز والجبال وكثرة ما فيها من المعادن والحيوان وأصناف المخلوقات مما يعجز الوصف عن ادراكها ثم ذكر بعد ذلك ما هو أقل من ذلك وهو مشاهد لكل احد لأن الورقة الساقطة والثابتة يراها كل احد لكن لا يعلم عددها وكيفية خلقها إلا الله تعالى ثم ذكر بعد ذلك ما هو أصغر من الورقة وهي الحبة ثم ذكر بعد ذلك مثالا يجمع الكل وهو الرطب واليابس فذكر هذه الأشياء وانه لا يخرج شيء منها عن علمه سبحانه وتعالى فصارت هذه الأمثال منبهة على عظمة عظيمة وقدرة عالية وعلم واسع فسبحان العليم الخبير * قوله تعالى إلا في كتاب مبين) فيه قولان احدهما ان الكتاب المبين هو علم الله الذي لا يغير ولا يبدل الثاني ان المراد بالكتاب المبين هو اللوح المحفوظ لأن الله كتب فيه علم ما يكون وما كان قبل ان يخلق السموات والارض وفائدة إحصاء الأشياء كلها في هذا الكتاب لتقف الملائكة على إنفاذ علمه ونبه بذلك على تعظيم الحساب واعلم عباده انه لا يفوته شيء مما يصنعونه لأن من اثبت ما لا ثواب فيه ولا عقاب في كتاب فهو إلى إثبات ما فيه ثواب وعقاب اسرع * قوله تعالى (وهو الذي يتوفاكم بالليل) يعني يقبض أرواحكم إذا نمتم بالليل (ويعلم ما جرحتم) ما كسبتم (بالنهار ثم يبعثكم فيه) أي يوقظكم فيه أي في النهار (ليقضى أجل مسمى) يعني أجل الحياة إلى الممات يريد استيفاء العمر على التمام (ثم اليه مرجعكم في الآخرة ثم ينبئكم) اي يخبركم بما كنتم تعملون) * قوله تعالى وهو القاهر فوق عباده) يعني وهو العالي عليهم بقدرته لأن كل من قهر شيئاً وغلبه فهو مستعل عليه بالقهر والقدرة فهو كما يقال أمير فلان فوق امير فلان يعني أنه أقدر منه وأغلب هذا مذهب اهل التاويل في معنى لفظة فوق في قوله وهو القاهر فوق عباده واما مذهب السلف فيها فامرارها كما جاءت من غير تكييف ولا تاويل ولا اطلاق على جهة القاهر وهو الغالب لغيره المذل له والله تعالى هو القاهر لخلقه وقهر كل شيء بضده فقهر الحياة بالموت والايجاد بالاعدام والغنى بالفقر والنور بالظلمة * وقوله تعالى (ويرسل عليكم حفظة يعني ان من جملة قهره لعباده إرسال الحفظة عليهم والمراد بالحفظة الملائكة الذين يحفظون أعمال بني ادم من الخير والشر والطاعة والمعصية وغير ذلك من الأقوال والأفعال قيل ان مع كل إنسان ملكين ملكا عن يمينه وملكا عن شماله فاذا عمل حسنة كتبها صاحب اليمين وإذا عمل سيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال اصبر عليه لعله يتوب منها فان لم يتب منها كتبها عليه صاحب الشمال وفائدة جعل الملائكة موكلين بالانسان انه اذا علم ان له حافظا من الملائكة موكلا به يحفظ عليه أقواله وأفعاله في صحائف تنشر له وتقرأ عليه يوم القيامة على رؤوس الأشهاد كان ذلك زاجرا له عن فعل القبيح وترك المعاصي وقيل المراد بقوله ويرسل عليكم حفظة هم الملائكة الذين يحفظون بني ادم ويحفظون اجسادهم قال قتادة حفظة يحفظون على ابن ادم رزقه واجله وعمله (حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا) يعني اعوان ملك الموت الموكلين بقبض أرواح البشر * فان قلت قال الله تعالى في اية الله يتوفى الانفس حين موتها وقال في اية اخرى قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم وقال هنا توفته رسلنا فكيف الجمع بين هذه الايات * قلت وجه الجمع بين هذه الايات ان المتوفي في الحقيقة هو الله تعالى فاذا حضر أجل العبد أمر الله ملك الموت بقبض روحه ولملك الموت اعوان من الملائكة يامرهم بنزع روح ذلك العبد من جسده فاذا وصلت إلى الحلقوم تولى قبضها ملك الموت نفسه فحصل الجمع بين الايات وقيل المراد من قوله توفته رسلنا ملك الموت وحده وإنما ذكر بلفظ الجمع تعظيما له وقال مجاهد جعلت الأرض لملك الموت مثل الطشت يتناول من حيث شاء وجعلت له أعوان ينزعون الانفس ثم يقبضها منهم وقال ايضا ما من اهل بيت شعر ولا مدر إلا وملك الموت يطيف بهم كل يوم مرتين وقيل ان الأرواح اذا كثرت عليه يدعوها فتستجيب له وقوله (وهم لا يفرطون) يعني الرسل لا يتصرفون فيما امروا به ولا يضيعونه * قوله عز وجل (ثم ردوا إلى الله مولاهم الحق) يعني ثم رد العباد

نمتم بالليل وبعلم ما جرحتم) كسبتم (بالنهار ثم يبعثكم فيه) أي يوقظكم في النهار (ليقضى اجل مسمى) يعني أجل الحياة إلى الممات يريد استيفاء العمر على التمام (ثم اليه مرجعكم في الآخرة (ثم ينبئكم) يخبركم (بما كنتم تعملون وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة يعني الملائكة الذين يحفظون أعمال بني ادم وهو جمع حافظ نظيره وإن عليكم لحافظين كراما كاتبين (حتى إذا جاء احدكم الموت توفته) قرأ حمزة توفيه واستهواه بالياء وأمالهما (رسلنا يعني اعوان ملك الموت يقبضونه فيدفعونه إلى ملك الموت فيقبض روحه كما قال قل يتوفاكم ملك الموت وقيل الاعوان يتوفونه بامر ملك الموت فكان ملك الموت توفيه لانهم يصدرون عن أمره وقيل أراد بالرسل ملك الموت وحده فذكر الواحد بلفظ الجمع وجاء في الاخبار ان الله تعالى جعل الدنيا بين ملك الموت كالمائدة الصغيرة فيقبض من ههنا ومن ههنا فاذا كثرت الأرواح يدعو الارواح فتجيب له (وهم لا يفرطون) لا يقصرون (ثم ردوا إلى الله مولاهم الحق) يعني الملائكة وقيل يعني العباد يردون بالموت إلى الله

مولاهم الحق فان قيل الاية في المؤمنين والكفار جميعا وقد قال في آية أخرى وأن الكافرين لا مولى لهم فكيف وجه الجمع فقيل المولى في تلك الآية بمعنى الناصر ولا ناصر للكفار والمولى ههنا بمعنى المالك الذي يتولى امورهم والله عز وجل مالك الكل ومتولي

الأمور وقيل أراد المؤمنين خاصة يردون إلى مولاهم والكفار فيه تبع (ألا له الحكم) أى لقضاء دون خلقه (وهو أسرع الحاسبين) أى إذا حاسب فحسابه سريع لأنه لا يحتاج إلى فكرة وروية وعقد يد قوله تعالى (قل من ينجيكم) قرأ يعقوب بالتخفيف وقرأ العامة بالتشديد (من ظلمات البر والبحر) أو من شدائدهما وأهوالهما كانوا إذا سافروا فى البر والبحر فضلوا الطريق وخافوا الهلاك دعوا الله مخلصين له الدين فينجيهم فذلك قوله تعالى (تدعونه تضرعا وخفية) أى علانية وسرا قرأ ابو بكر عن عاصم وخفية بكسر الخاء هنا وفى الأعراف وقرأ الآخرون بضمها وهما لغتان (لئن أنجيتنا) أى يقولون لئن أنجيتنا وقرأ أهل الكوفة لئن أنجانا الله (من هذه) يعنى من هذه الظلمات (لنكونن من الشاكرين) والشكر هو معرفة (١١٨) النعمة مع القيام بحقها (قل الله ينجيكم منها) قرأ أهل الكوفة وأبو جعفر ينجيكم بالتشديد

بالموت إلى الله فى الاخوة وإنما قال مولاهم الحق لأنهم كانوا فى الدنيا تحت أيدى موال بالباطل والله مولاهم وسيدهم ومالكهم بالحق (الا له الحكم) يعنى لا حكم إلا له (وهو أسرع الحاسبين) يعنى انه تعالى أسرع من حسب لانه لا يحتاج إلى فكر وروية وعقد يد فيحاسب خلقه بنفسه لا يشغله حساب بعضهم عن بعض * قوله تعالى (قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر) يعنى يا محمد قل لهؤلاء الكفار الذين يعبدون الاصنام من دون الله من ذا الذى ينجيكم من ظلمات البر إذا ضللتم فيه وتحيرتم وأظلمت عليكم الطرق ومن ذا الذى ينجيكم من ظلمات البحر إذا ركبتم فيه فاخطأتم الطريق وأظلمت عليكم السبل فلم تهتدوا وقيل ظلمات البر والبحر مجاز عما فيهما من الشدائد والاهوال وقيل الحل على الحقيقة أولى فظلمات البر هى ما اجتمع فيه من ظلمة الليل وظلمة السحاب وظلمة الرياح فيحصل من ذلك الخوف الشديد لعدم الاهتداء إلى الطريق الصواب وظلمات البحر ما اجتمع فيه من ظلمة الليل وظلمة السحاب وظلمة الرياح العاصفة والأمواج الهائلة فيحصل من ذلك ايضا الخوف الشديد من الوقوع فى الهلاك فالمقصود ان عند اجتماع هذه الأسباب الموجبة للخوف الشديد لا يرجع الإنسان فيها إلا الله سبحانه وتعالى لأنه هو القادر على كشف الكروب وإزالة الشدائد وهو المراد من قوله (تدعونه تضرعا وخفية) يعنى فاذا اشتد بكم الأمر تخلصون له الدعاء تضرعا منكم اليه واستكانة جهر وخفية يعنى سرا وحالا (لئن انجيتنا من هذه) يعنى قائلين فى حال الدعاء والتضرع لئن انجيتنا من هذه الظلمات وخلصتنا من الهلاك (لنكونن من الشاكرين) يعنى لك على هذه النعمة والشكر هو معرفة النعمة مع القيام بحقها لمن انعم بها (قل الله ينجيكم منها) يعنى من الظلمات والشدائد التى انتم فيها (ومن كل كرب) يعنى وهو الذى ينجيكم من كل كرب ايضا والكرب هو الغم الشديد الذى ياخذ بالنفس (ثم انتم تشركون) يريد انهم يقرون بان الذى انجاهم من هذه الشدائد هو الله تعالى ثم انهم بعد ذلك الاقرار يشركون معه الاصنام التى لا تضر ولا تنفع * قوله عز وجل (قل هو القادر على ان يبعث عليكم عذابا من فوقكم) أى قل يا محمد لقومك إن الله هو القادر على ان يبعث عليكم عذابا من فوقكم يعنى الصيحة والحجارة والريح والطوفان كما فعل بقوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط (او من تحت أرجلكم) يعنى الرجفة والخسف كما فعل بقوم شعيب وقارون وقال ابن عباس ومجاهد عذابا من فوقكم يعنى ائمة السوء والسلاطين الظلمة أو من تحت أرجلكم عنى عبيد السوء وقال الضحاك من فوقكم يعنى من قبل كباركم أو من تحت أرجلكم يعنى السفلة (أو يلبسكم شيعا) الشيع جمع شيعة وكل قوم اجتمعوا على أمر فهم شيعة واشياع واصله من التشييع ومعنى الشيعة الذين يتبع بعضهم بعضا وقيل الشيعة هم الذين يقوى بهم الإنسان قال الزجاج فى قوله ويلبسكم شيعا يعنى يخلط أمركم خلط اضطراب لا خلط ائتلاف فيجعلكم فرقا مختلفين يقاتل بعضكم بعضا وهو معنى قوله (ويذيق بعضكم باس بعض) قال ابن عباس

مثل قوله تعالى قل من ينجيكم وقرأ الاخرون هذا بالتخفيف (ومن كل كرب) والكرب غاية الغم الذى ياخذ النفس (ثم انتم تشركون) يريد انهم يقرون أن الذى يدعونه عند الشدة هو الذى ينجيهم ثم يشركون معه الاصنام التى قد علموا انها لا تضر ولا تنفع قوله عز وجل (قل هو القادر على ان يبعث عليكم عذابا من فوقكم) قال الحسن وقتادة نزلت الاية فى أهل الإيمان وقال قوم نزلت فى المشركين قوله عذابا من فوقكم يعنى الصيحة والحجارة والريح والطوفان كما فعل بعاد وثمود وقوم لوط وقوم نوح (أو من تحت أرجلكم) يعنى الرجفة والخسف كما فعل بقوم شعيب وقارون عن ابن عباس ومجاهد عذابا من فوقكم السلاطين الظلمة ومن تحت ارجلكم العبيد السوء وقال الضحاك من فوقكم من قبل كباركم أو من تحت ارجلكم أى من أسفل منكم (أو يلبسكم شيعا) أى يخلطكم فرقا ويبعث فيكم الاهواء المختلفة (ويذيق بعضكم بأس بعض) قوله يعنى السيوف المختلفة يقتل بعضكم بعضا أخبرنا عبد الواحد انا أحمد بن عبد الله النعيمى انا محمد بن يوسف انا محمد بن اسمعيل أنا ابو اليمان انا حماد بن زيد عن عمرو بن دينار عن جابر قال لما نزلت هذه الاية قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أعوذ بوجهك الكريم قال او من تحت ارجلكم قال اعوذ بوجهك قال أو يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم باس بعض قال رسول الله ﷺ هذا اهون وهذا ايسر اخبرنا احمد بن عبد الله الصالحى انا أبو بكر احمد بن الحسن الحيرى انا ابو جعفر محمد بن دحيم الشيبانى اخبرنا احمد بن حازم بن ابى عرقة انا يعلى بن عبيد الطنافسى انا عثمان بن حكيم عن عامر بن سعيد بن

قوله أو يلبسكم شيعا يعني الأهواء المختلفة ويذيق بعضكم بأس بعض يعني أنه يقتل بعضكم بيد بعض وقال مجاهد يعني أهواء متفرقة وهو ما كان فيهم من الفتن والاختلاف وقال ابن زيد هو الذي فيه الناس اليوم من الاختلاف والأهواء وسفك بعضهم دماء بعض ثم اختلف المفسرون فيمن عني بهذه الاية فقال قوم عني بها المسلمون من أمة محمد ﷺ وفيهم نزلت هذه الاية قال أبو العالية في قوله قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم الاية قال هن أربع وكلهن عذاب فجاءت اثنتان بعد رسول الله ﷺ بخمس وعشرين سنة فألبسوا شيعا وأذيق بعضهم بأس بعض وبقيت اثنتان وهما لا بد واقعتان يعني الخسف والمسخ وعن أبي كعب نحوه وهن أربع خلال وكلهن واقع قبل يوم القيامة اثنتان واقعتان لا محالة الخسف والرجم وقال مجاهد في قوله من فوقكم أو من تحت أرجلكم لأمة محمد فأعفاهم منه أو يلبسكم شيعا ما كان بينهم من الفتن والاختلاف زاد غيره ويذيق بعضكم بأس بعض يعني ما كان فيهم من القتل بعد وفاة رسول الله ﷺ (خ) عن جابر قال لما نزلت هذه الاية قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم قال رسول الله ﷺ أعوذ بوجهك أو من تحت أرجلكم قال أعوذ بوجهك أو يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض قال هذا أهون أو هذا أيسر (م) عن سعد بن أبي وقاص أنه أقبل مع النبي ﷺ ذات يوم من العالية حتى إذا مر بمسجد بني معاوية دخل فركع فيه ركعتين وصلينا معه ودعا ربه طويلا ثم انصرف إلينا فقال سألت ربي ثلاثا فأعطاني اثنتين ومنعني واحدة سألت ربي أن لا يهلك أمتي بالسنة فأعطانيها وسألت ربي أن لا يهلك أمتي بالغرق فأعطانيها وسألت ربي أن لا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها عن خباب بن الأرت قال صلى رسول الله ﷺ صلاة فأطالها فقالوا يا رسول الله صليت صلاة لم تكن تصليها قال أجل إنها صلاة رغبة ورهبة إني سألت الله فيها ثلاثا فأعطاني اثنتين ومنعني واحدة سألته أن لا تهلك أمتي بسنة فأعطانيها وسألته ألا يسلط عليهم عدوا من غيرهم فأعطانيها وسألته أن لا يذيق بعضهم بأس بعض فمنعنيها أخرجه الترمذي * وقوله تعالى (انظر كيف نصرف الايات) اى انظر يا محمد كيف نبين دلائلنا وحججنا لهؤلاء المكذبين (لعلهم يفقهون) يعني يفهمون ويعتبرون فينزجروا ويرجعوا عما هم عليه من الكفر والتكذيب * قوله تعالى (وكذب به قومك) يعني بالقرآن (وهو الحق) يعني في كونه كتابا منزلا من عند الله وقيل الضمير في به يرجع إلى العذاب وهو الحق يعني أنه نازل بهم ان اقاموا على كفرهم وتكذيبهم وقيل الضمير يرجع إلى تصريف الايات وهو الحق لأنهم كذبوا كونها من عند الله (قل لست عليكم بوكيل) اى قل يا محمد لهؤلاء المكذبين لست عليكم بحافظ حتى اجازيكم على تكذيبهم واعراضكم عن قبول الحق بل إنما انا منذر والله هو المجازي لكم على اعمالكم وقيل معناه إني إنما ادعوكم إلى الله وإلى الايمان به ولم أومر بحربكم فعلى هذا القول تكون الاية منسوخة بآية السيف وقيل في معنى الاية قل لست عليكم بوكيل يعني حفيظا إنما اطالبكم بالظاهر من الإقرار والعمل لا بما تحويه الضمائر والأسرار فعلى هذا تكون الاية محكمة (لكل نبأ مستقر) اى لكل خبر من اخبار القرآن حقيقة ومنتهى ينتهي إليه إما في الدنيا وإما في الاخرة وقيل لكل خبر يخبر الله به وقت ومكان يقع فيه من غير خلف ولا تأخير فكان ما وعدهم به من العذاب في الدنيا وقع يوم بدر (وسوف تعلمون) يعني صحة الخبر إما في الدنيا وإما في الاخرة * قوله تعالى (وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا) الخطاب في وإذا رأيت للنبي صلى الله عليه وسلم والمعنى وإذا رأيت يا محمد هؤلاء المشركين الذين يخوضون في آياتنا يعني القرآن الذي انزلناه

وقاص عن أبيه قال أقبلنا مع رسول الله ﷺ حتى مررنا على مسجد بني معاوية فدخل فصلى ركعتين وصلينا معه فناجى ربه طويلا ثم قال سألت ربي ثلاثا سألته أن لا يهلك أمتي بالغرق فأعطانيها وسألته أن لا يهلك أمتي بالسنة فأعطانيها (١١٩) وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها

أخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد القاضي أنا السيد أبو الحسين محمد الحسين بن داود العلوي أنا أبو بكر محمد بن أحمد بن دلوية الدقاق ثنا محمد بن اسمعيل البخاري ثنا اسمعيل بن أبي اويس حدثني أخي عن سليمان بن بلال عن عبيد الله بن عبد الرحمن الأنصاري أن عبد الله بن عمر جاءهم ثم قال إن النبي ﷺ دعا في مسجد فسأل الله ثلاثا فأعطاه اثنتين ومنعه واحدة سأله أن لا يسلط على أمته عدوا من غيرهم يظهر عليهم فأعطاه ذلك وسأله أن لا يهلكهم بالسنين فأعطاه ذلك وسأله أن لا يجعل بأس بعضهم على بعض فمنعه ذلك قوله تعالى فانظر كيف نصرف الايات لعلهم يفقهون وكذب به قومك) أي بالقرآن وقيل بالعذاب (وهو الحق قل لست عليكم بوكيل) برقيب وقيل بمسلط الزمكم الإسلام شئتم أو أبيتم إنما أنا رسول (لكل نبأ) خبر من أخبار القرون (مستقر) حقيقة ومنتهى ينتهي اليه فيتبين صدقه من كذبه وحقه من باطله إما في الدنيا وإما في الاخرة (وسوف تعلمون) وقال مقاتل لكل خبر يخبره الله وقت ووقته ومكان يقع فيه من غير خلف ولا تأخير وقال الكلبي لكل قول وفعل حقيقة إما في الدنيا وإما في الاخرة وسوف تعلمون ما كان في الدنيا فستعرفونه وما كان في الاخرة فسوف يبدو لكم قوله عز وجل (وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا) يعني في القرآن بالاستهزاء

(فاعرض عنهم) فاتركهم ولا تجالسهم (حتى يخوضوا فى حديث غيره وأما ينسينك) قرأ ابن عامر بفتح النون وتشديد السين وقرأ الاخرون بسكون النون وتخفيف السين (الشيطان) نهينا (فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين) يعنى إذا جلست معهم ناسيا فقم من عندهم بعدما تذكرت (وما على الذين يتقون من حسابهم من شىء) روى عن ابن عباس أنه قال لما نزلت هذه الاية إذا رأيت الذين يخوضون فى آياتنا فاعرض عنهم قال المسلمون كيف نقعد فى المسجد الحرام ونطوف بالبيت وهم يخوضون أبداً وفى رواية قال المسلمون فانا نخاف الإثم حين نتركهم ولا ننهاهم فانزل الله عز وجل وما على الذين يتقون الخوض من حسابهم أى من إثم الخائضين من شىء (ولكن ذكرى) أى ذكروهم وعظوهم بالقرآن والذكر والذكرى واحد يريد ذكروهم ذكرى فيكون فى محل النصب (لعلهم يتقون) الخوض إذا وعظتموهم فرخص فى مجالستهم على الوعظ لعلهم يمنعهم من ذلك الخوض قيل لعلهم يستجيبون قوله عز وجل (وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا) يعنى الكفار الذين إذا سمعوا بآيات الله استهزؤا بها وتلاعبوا عند ذكرها وقيل إن الله تعالى جعل لكل قوم عيدا فاتخذ كل قوم دينهم أى عيدهم لعبا ولهوا وعيد المسلمين الصلاة وتكبيراتها وفعل الخير مثل الجمعة والفطر والنحر (وغرتهم الحياة الدنيا وذكر به) أى وعظ بالقرآن (أن تبسل) أى لأن لا تبسل أى لا تسلم (نفس) للهلاك (بما كسبت) قال مجاهد وعكرمة والسدى قال ابن عباس تهلك بالجنايات وقال قتادة أن تحبس وقال الضحاك تحرق وقال ابن زيد تؤخذ ومعناه ذكرهم لئلا يؤمنوا كيلا تهلك نفس بما كسبت وقال الأخفش تبسل تجازى وقيل تفضح وقال الفراء ترتهن وأصل الابسال التحريم والبسل الحرام ثم جعل نعتا لكل شدة تتقى وتترك

إليك والخوض فى اللغة هو الشروع فى الماء والعبور فيه ويستعار للاخذ فى الحديث والشروع فيه يقال تخاضوا فى الحديث وتفاوضوا فيه لكن اكثر ما يستعمل الخوض فى الحديث على اللعب والعبث وما يذم عليه ومنه قوله وكنا نخوض مع الخائضين وقيل الخطاب وإذا رأيت لكل فرد من الناس والمعنى وإذا رأيت أيها الإنسان الذين يخوضون فى آياتنا وذلك أن المشركين كانوا إذا جالسوا المؤمنين وقعوا فى الاستهزاء بالقرآن وبمن انزله وبمن انزل عليه فنهاهم الله أن يقعدوا معهم فى وقت الاستهزاء بقوله (فاعرض عنهم) يعنى فاتركهم ولا تجالسهم (حتى يخوضوا فى حديث غيره) يعنى حتى يكون خوضهم فى غير القرآن والاستهزاء به (وإما ينسينك الشيطان) يعنى فقعدت معهم (فلا تقعد بعد الذكرى) يعنى إذا ذكرت فقم عنهم ولا تقعد (مع القوم الظالمين) يعنى المشركين قوله تعالى (وما على الذين يتقون من حساب من شىء) قال ابن عباس لما نزلت هذه الاية وإذا رأيت الذين يخوضون فى آياتنا فاعرض عنهم قال المسلمون كيف نقعد فى المسجد الحرام ونطوف بالبيت وهم يخوضون أبدا وفى رواية قال المسلمون إنا نخاف الاثم حين نتركهم ولا ننهاهم فانزل الله هذه الاية وما على الذين يتقون يعنى يتقون الشرك والاستهزاء من حسابهم من حساب المشركين من شىء يعنى ليس عليهم شىء من حسابهم ولا أثامهم (ولكن ذكرى) يعنى ولكن ذكروهم ذكرى وقيل معناه ولكن عليكم أن تذكروهم (لعلهم يتقون) يعنى لعل تلك الذكرى تمنعهم من الخوض والاستهزاء (فصل) قال سعيد بن المسيب وابن جريج ومقاتل هذه الاية منسوخة بالاية التى فى سورة النساء وهى قوله تعالى وقد نزل عليكم فى الكتاب إن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها وذهب الجمهور إلى أنها محكمة لا نسخ فيها لأنها خبر والخبر لا يدخله النسخ لأنها إنما دلت على ان كل إنسان إنما يختص بحساب نفسه لا بحساب غيره وقيل إنما أباح لهم القعود معهم بشرط التذكير والموعظة فلا تكون منسوخة قوله عز وجل (وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا) الخطاب للنبى ﷺ يعنى وذر يا محمد هؤلاء المشركين الذين اتخذوا دينهم الذى أمروا به ودعوا اليه وهو دين الإسلام لعبا ولهوا وذلك حيث سخروا به واستهزؤوا به وقيل أنهم اتخذوا عبادة الأصنام لعبا ولهوا وقيل إن الكفار كانوا إذا سمعوا القرآن لعبوا ولهوا عند سماعه وقيل إن الله جعل لكل قوم عيدا فاتخذ كل قوم دينهم يعنى عيدهم لعبا ولهوا يلعبون ويلهون فيه إلا المسلمين فانهم اتخذوا عيدهم صلاة وتكبيرا وفعل الخير فيه مثل عيد الفطر وعيد النحر ويوم الجمعة (وغرتهم الحياة الدنيا) يعنى أنهم اتخذوا دينهم لعبا ولهوا لأجل أنهم غرتهم الحياة الدنيا وغلب حبها على قلوبهم فاعرضوا عن دين الحق واتخذوا دينهم لعبا ولهوا ومعنى الاية وذر يا محمد الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا واتركهم ولا تأل بتكذيبهم واستهزائهم وهذا يقتضى الأعراض عنهم ثم نسخ ذلك الإعراض باية السيف وهو قول قتادة والسدى وقيل انه خرج مخرج التهديد فهو كقوله ذرنى ومن خلقت وحيدا وهذا قول مجاهد فعلى هذا تكون الاية محكمة وقيل المراد بالإعراض عنهم ترك معاشرتهم ومخالطتهم وترك الإنذار والتخويف ويدل عليه قوله (وذكر به) يعنى وذكر بالقرآن وعظ به هؤلاء المشركين (أن تبسل نفس بما كسبت) أى لئلا تبسل نفس بما كسبت البسل فى اللغة التحريم وضم الشىء ومنعه وهذا عليك بسل أى حرام ممنوع فمعنى تبسل نفس بما كسبت ترتهن وتحبس فى جهنم وتحرم من الثواب بسبب ما كسبت من الاثام وقال ابن عباس تبسل تهلك وقال قتادة تحبس فى جهنم وقال الضحاك تحرق بالنار وقال ابن زيد تؤخذ يعنى بما كسبت وقيل تفضح والمعنى وذكرهم بالقران ومواعظه وعرفهم الشرائع لكى لا تهلك نفس وترتهن فى جهنم بسبب

(ليس لها) لتلك النفس (من دون الله ولى) قريب (ولا شفيع) يشفع لها فى الاخرة (وإن تعدل كل عدل) اى تفد كل فداء (لا يؤخذ منها) هنا (أولئك الذين ابسلوا) اسلموا للهلاك (بما كسبوا لهم شراب من حميم وعذاب أليم بما كانوا يكفرون قل اندعوا من دون الله مالا ينفعنا) ان عبدناه (ولا يضرنا) ان تركناه يعنى الأصنام ليس إليها نفع ولا ضر (ونرد على أعقابنا) إلى الشرك مرتدين (بعد إذ هدانا الله كالذى استهوته الشياطين) اى يكون مثلنا كمثل الذى استهوته الشياطين أى أضلته (فى الارض حيران) قال ابن عباس كالذى استغوته الغيلان فى المهامه فاضلوه فهو حائر بائر والحيران المتردد فى الأمر لا يهتدى إلى مخرج منه (له أصحاب يدعونه إلى الهدى ائتنا) هذا مثل ضربه الله تعالى لمن يدعو إلى الآلهة ولمن يدعو إلى الله تعالى كمثل رجل فى رفقة ضل به الغول عن الطريق يدعوه أصحابه من أهل الرفقة هلم إلى الطريق ويدعوه الغول فيبقى حيران لا يدرى أين يذهب فان اجاب الغول انطلق به حتى يلقيه إلى الهلكة وان أجاب من يدعوه إلى الطريق اهتدى (قل ان هدى الله هو الهدى) يزجر عن عبادة الأصنام كأنه يقول لا تفعل ذلك يقول لا تفعل ذلك فان الهدى هدى الله لا يهدى غيره (وأمرنا لنسلم) أى أن نسلم (لرب العالمين) والعرب تقول امرتك لتفعل وان تفعل وبان تفعل (وان اقيموا الصلاة واتقوه) أى وأمرنا باقامة الصلاة والتقوى (وهو الذى إليه تحشرون) أى تجمعون فى الموقف للحساب (وهو الذى خلق السموات والأرض بالحق قيل الباء بمعنى اللام اى إظهاراً للحق لأنه جعل صنعه دليلا على وحدانيته (ويوم يقول كن فيكون) قيل هو راجع إلى خلق السموات والأرض والخلق

الجنايات التى اكتسبت فى الدنيا وتحرم الثواب فى الاخرة (ليس لها) يعنى لتلك النفس التى هلكت (من دون الله ولى) اى قريب يلى امرها (ولا شفيع) يعنى يشفع لها فى الآخرة (وان تعدل كل عدل) يعنى وان تفتد بكل فداء والعدل الفداء (لا يؤخذ منها) يعنى ذلك العدل وتلك الفدية (أولئك الذين) إشارة إلى الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا وغرتهم الحياة الدنيا (ابسلوا بما كسبوا) يعنى أسلموا إلى الهلاك بسبب ما اكتسبوا (لهم شراب من حميم وعذاب أليم بما كانوا يكفرون) ذلك لهم بسبب كفرهم * قوله تعالى (قل اندعوا من دون الله مالا ينفعنا ولا يضرنا) يعنى قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين دعوك إلى دين ابائك اندعوا يعنى انعبد من دون الله يعنى الأصنام التى لا تنفع من عبدها ولا تضر من ترك عبادتها (ونرد على أعقابنا) يعنى ونرد إلى الشرك (بعد إذ هدانا الله) يعنى إلى دين الإسلام والتوحيد (كالذى استهوته الشياطين فى الأرض) يعنى كالذى ذهبت به الشياطين فالقته فى هوية من الأرض وأصله من الهوى وهو النزول من أعلى إلى أسفل (حيران) يقال حار فلان فى الامر إذا تردد فيه فلم يهتد إلى الصواب ولا المخرج منه (له أصحاب يدعونه إلى الهدى) يعنى لهذا المتحير الذى استهوته الشياطين أصحاب على الطريق المستقيم (ائتنا) يعنى يقولون له ائتنا وهذا مثل ضربه الله لمن يدعو إلى عبادة الاصنام التى لا تضر ولا تنفع ولمن يدعو إلى عبادة الله عز وجل الذى يضر وينفع يقول مثلهما كمثل رجل فى رفقة ضل به الغول والشيطان عن الطريق المستقيم فجعل أصحابه ورفقته يدعونه إليهم يقولون هلم إلى الطريق المستقيم وجعل الغيلان يدعونه إليهم فبقى حيران لا يدرى أين يذهب فان أجاب الغيلان ضل وهلك وان أجاب أصحابه اهتدى وسلم (قل ان هدى الله هو الهدى)) يعنى ان طريق الله الذى أوضحه لعباده ودينه الذى شرعه لهم هو الهدى والنور والاستقامة لا عبادة الاصنام ففيه زجر عن عبادتها كأنه يقول لا تفعل ذلك فان هدى الله هو الهدى لا هدى غيره (وأمرنا لنسلم) أى وأمرنا أن نسلم ونخلص العبادة (لرب العالمين) لانه هو الذى يستحق العبادة لا غيره (وان اقيموا الصلاة واتقوه) يعنى وأمرنا باقامة الصلاة والتقوى لان فيهما ما يقرب إليه (وهو الذى إليه تحشرون) يعنى فى يوم القيامة فيجزيكم بأعمالكم * قوله عز وجل (وهو الذى خلق السموات والارض بالحق) يعنى اظهاراً للحق فعلى هذا تكون الباء بمعنى اللام لانه جعل صنعه دليلا على وحدانيته وقيل خلقها بكمال قدرته وشمول علمه واتقان صنعه وكل ذلك حق وقيل خلقها بكلامه الحق وهو قول كن وفيه دليل على ان كلام الله تعالى ليس بمخلوق لانه لا يخلق مخلوق بمخلوق (ويوم يقول كن فيكون) وقيل انه راجع إلى خلق السموات والمعنى اذكر يوم قال للسموات والارض كن فيكون وقيل يرجع الى القيامة ويدل عليه سرعة البعث والحساب كأنه قال ويوم يقول للخلق موتوا فيموتون وقوموا للحساب فيقومون أحياء (قوله الحق) يعنى ان قول الله تبارك وتعالى للشىء إذا أراده كن فيكون حق وصدق وهو كائن لا محالة (وله الملك يوم ينفخ فى الصور) إنما أخبر عن ملكه

بمعنى القضاء والتقدير اى كل شىء قضاه وقدره قال له كن فيكون وقيل يرجع إلى القيامة يدل على سرعة أمر البعث والساعة كأنه قال ويوم يقول للخلق موتوا فيموتوا فيقومون (قوله الحق) أى الصدق الواقع لا محالة يريد ان ما وعده حق كائن (وله الملك يوم ينفخ فى الصور) يعنى ملك الملوك يومئذ زائل كقوله مالك يوم الدين وكما قال والامر يومئذ لله والامر لله فى كل وقت ولكن لا أمر فى ذلك اليوم لاحد مع أمر الله والصور قرن ينفخ فيه قال مجاهد كهيئة البوق وقيل هو بلغة اهل اليمن وقال ابو عبيدة الصور هو الصور وهو جمع الصورة وهو قول الحسن والاول أصح والدليل عليه ما أخبرنا محمد بن عبد الله بن أبى توبة انا أبو طاهر المحاملى انا محمد بن يعقوب الكسائى انا ابو عبد الله بن محمود انا ابراهيم بن عبد الله الخلال انا عبد الله بن المبارك عن سليمان التيمى عن أسلم عن بشر بن شغاف عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال جاء إعرابى

إلى النبي ﷺ فقال ما الصور قال قرن ينفخ فيه أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي أنا أبو سعيد محمد بن موسى الصيرفي انا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الصفار أنا أحمد بن محمد (١٢٢) بن عيسى البرقي أنا أبو حذيفة انا سفيان عن الأعمش عن عطية بن سعد العوفي عن أبي سعيد الخدري أن النبي ﷺ قال كيف أنعم وصاحب الصورة التقمه وأصغى سمعه وحنى جبهته ينتظر متى يؤمر فقالوا يارسول الله وما تأمرنا قال قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل وقال أبو العلاء عن عطية متى يؤمر بالنفخ فينفخ قوله تعالى (عالم الغيب والشهادة) يعني يعلم ما غاب عن العباد وما يشاهدونه لا يغيب عن علمه شيء (وهو الحكيم الخبير) قوله عز وجل (وإذ قال إبراهيم لابيه آزر) قرأ يعقوب آزر بالرفع يعني ازر والقراءة المعروفة بالنصب وهو اسم اعجمي لا ينصرف فينصب في موضع الخفض قال محمد بن إسحق والضحاك والكلبي ازر اسم لابي ابراهيم وهو تارخ ايضا مثل اسرائيل ويعقوب وكان من كوثى قرية من سواد الكوفة وقال مقاتل بن حيان وغيره ازر لقب لابي إبراهيم واسمه تارخ وقال سليمان التيمي هو سب وعيب ومعناه في كلامهم المعوج وقيل معناه الشيخ الهرم بالفارسية وقال سعيد بن المسيب ومجاهد ازر اسم صنم فعلى هذا يكون في محل النصب تقديره أتتخذ ازر إلها قوله (اصناما آلهة) دون الله (إني اراك وقومك في ضلال مبين) اي في خطأ بين (وكذلك نرى إبراهيم) اي كما اريناه البصيرة في دينه والحق في خلاف قومه كذلك نريه (ملكوت السموات

يومئذ وإن كان الملك له سبحانه وتعالى خالصا في كل وقت في الدنيا والآخرة لأنه لا منازع يومئذ يدعى الملك وأنه المنفرد بالملك يومئذ وإن كان من يدعي الملك بالباطل من الجبابرة والفراعنة وسائر الملوك الذين كانوا في الدنيا قد زال ملكهم واعترفوا بان الملك لله الواحد القهار وانه لا منازع له فيه واعلموا ان الذي كانوا يدعونه من الملك باطل في الدنيا وغرور واختلف العلماء في الصور المذكور في الآية فقال قوم هو قرن ينفخ فيه وهو لغة أهل اليمن قال مجاهد الصور قرن كهيئة البوق ويدل على صحة هذا القول ما روى عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال جاء إعرابي إلى النبي ﷺ فقال ما الصور قال قرن ينفخ فيه أخرجه ابو داود والترمذي عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله ﷺ كيف أنعم وقد التقم صاحب القرن القرن وحنى جبهته وأصغى سمعه ينتظر أن يؤمر فينفخ فكان ذلك ثقل على أصحابه فقالوا كيف نفعل يارسول الله وكيف نقول قال قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل على الله توكلنا وربما قال توكلنا على الله أخرجه الترمذي وقال ابو عبيدة الصور جمع صورة والنفخ فيه إحياؤها بنفخ الروح فيها وهذا قول الحسن ومقاتل والقول الأول أصح لما تقدم في الحديث ولقوله تعالى في آية أخرى ثم نفخ فيه أخرى ولإجماع أهل السنة أن المراد بالصور هو القرن الذي ينفخ فيه إسرافيل نفختين نفخة الصعق ونفخة البعث للحساب * قوله تعالى (عالم الغيب والشهادة) يعني انه تعالى يعلم ما غاب عن عباده وما يشاهدونه فلا يغيب عن علمه شيء (وهو الحكيم) يعني في جميع أفعاله وتدبير خلقه (الخبير) يعني بكل ما يفعلونه من خير أو شر * قوله تعالى (وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر) اختلف العلماء في لفظ آزر فقال محمد بن إسحق والكلبي والضحاك آزر اسم أبي إبراهيم وهو تارخ ضبطه بعضهم بالحاء المهملة وبعضهم بالخاء المعجمة فعلى هذا يكون لأبي إبراهيم اسمان آزر وتارخ مثل يعقوب وإسرائيل اسمان لرجل واحد فيحتمل أن يكون اسمه الأصلي ازر وتارخ لقب له وبالعكس والله سماه ازر وإن كان عند النسابين والمؤرخين اسمه تارخ ليعرف بذلك وكان ازر أبو إبراهيم من كوثى وهي قرية من سواد الكوفة وقال سليمان التيمي ازر سب وعيب ومعناه في كلامهم المعوج وقيل الشيخ الهرم وهو بالفارسية وهذا على مذهب من يجوز أن في القرآن ألفاظا قليلة فارسية وقيل هو المخطىء فكان إبراهيم عابه وذمه بسبب كفره وزيغه عن الحق وقال سعيد بن المسيب ومجاهد ازر اسم صنم كان والد إبراهيم يعبده وإنما سماه بالاسم لان من عبد شيئا او أحبه جعل اسم ذلك المعبود أو المحبوب اسما له فهو كقوله يوم ندعوا كل اناس بامامهم وقيل معناه وإذ قال إبراهيم لأبيه ياعابد ازر فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه والصحيح هو الأول أن ازر اسم لأبي إبراهيم لأن الله تعالى سماه به وما نقل عن النسابين والمؤرخين ان اسمه تارخ ففيه نظر لأنهم إنما نقلوه عن أصحاب الاخبار وأهل السير من اهل الكتاب ولا عبرة بنقلهم وقد أخرج البخاري في افراده من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال يلقى إبراهيم عليه السلام أباه ازر يوم القيامة وعلى وجه ازر قترة وغبرة الحديث فسماه النبي ﷺ ازر أيضا ولم يقل أباه تارخ فثبت بهذا أن اسمه الاصلي ازر لا تارخ والله أعلم وقوله تعالى (أتتخذ أصناما آلهة) معناه اذكر لقومك يا محمد قول إبراهيم لابيه آزر أتتخذ أصناما آلهة تعبدها من دون الله الذي خلقك ورزقك والاصنام جمع صنم وهو التمثال الذي يتخذ من خشب أو حجارة أو حديد أو ذهب أو فضة على صورة الإنسان وهو الوثن أيضا (إني أراك وقومك في ضلال مبين) يعني يقول إبراهيم لابيه آزر إني أراك وقومك الذين يعبدون الاصنام معك ويتخذونها آلهة في ضلال يعني عن طريق الحق مبين يعني بين لمن أبصر ذلك فانه لا يشك أن هذه الاصنام لا تضر ولا تنفع وهذه الآية احتجاج على مشركي العرب بأحوال إبراهيم ومحاجته لابيه وقومه لانهم كانوا يعظمون إبراهيم صلى الله عليه وسلم ويعترفون بفضله فلا جرم ذكر الله قصة إبراهيم عليه السلام مع ابيه وقومه في معرض الاحتجاج على المشركين * قوله عز وجل (وكذلك نرى إبراهيم ملكوت

السموات والأرض) والملكوت الملك زيدت فيه التاء للمبالغة كالجبروت والرحموت والرهبوت قال ابن عباس يعني خلق السموات والأرض وقال مجاهد وسعيد بن جبير يعني آيات السموات والأرض وذلك أنه قيم على صخرة وكشف له عن ملكوت السموات والارض حتى العرش وأسفل الارضين ونظر الى مكانه في الجنة فذلك قوله تعالى وآتيناه اجره في الدنيا يعني اريناه مكانه في الجنة وروى عن سلمان رضي الله عنه ورفعه بعضهم عن علي رضي الله عنه لما روى ابراهيم ملكوت السموات والارض ابصر رجلا على فاحشة فدعا عليه فهلك ثم ابصر آخر فدعا عليه فهلك ثم ابصر آخر فاراد أن يدعو عليه فقال له الرب عز وجل يا إبراهيم أنك مستجاب الدعوة فلا تدعون على عبادي فانما أنا من عبدي على ثلاث خصال اما أن يتوب إلي فأتوب عليه واما ان اخرج منه (١٢٣) نسمة تعبدني وأما أن يبعث إلي فان شئت عفوت عنه وإن شئت عاقبته وفي رواية وأما أن يتولى فان جهنم من ورائه وقال قتادة ملكوت السموات والشمس والقمر والنجوم وملكوت الارض الجبال والشجر والبحار (وليكون من الموقنين) عطف على المعنى ومعناه نريه ملكوت السموات والارض ليستدل به وليكون من الموقنين (فلما جن عليه الليل رأى كوكبا الاية قال أهل التفسير ولد إبراهيم عليه السلام في زمن نمرود بن كنعان وكان نمرود أول من وضع التاج على رأسه ودعا الناس إلى عبادته وكان له كهان ومنجمون فقالوا له انه يولد في بلدك هذه السنة غلام يغير دين أهل الارض ويكون هلاكك وزوال ملكك على يديه ويقال انهم وجدوا ذلك في كتب الانبياء عليهم السلام فقال السدي رأى نمرود في منامه كان كوكبا طلع فذهب بضوء الشمس والقمر حتى لم يبق لهما ضوء ففزع من ذلك فزعا شديدا فدعا السحرة والكهنة فسألهم عن ذلك فقالوا هو مولود يولد في ناحيتك في هذه السنة فيكون هلاكك وهلاك ملكك وأهل بيتك على يديه قالوا فامر بذبح كل غلام يولد في ناحيته في تلك السنة وامر بعزل الرجال عن النساء وجعل كل عشرة رجلا فاذا حاضت المرأة خلى بينها وبين زوجها لانهم كانوا لا يجامعون في الحيض فاذا طهرت حال بينهما فرجع آزر فوجد امرأته قد طهرت من الحيض فواقعها فحملت بابراهيم عليه السلام وقال محمد بن اسحق بعث نمرود الى كل امرأة حبلى بقرية فحبسها عنده إلا ما كان من أم ابراهيم عليه السلام فانه لم يعلم بحبلها الا أنها كانت جارية حديثة السن لم يعرف الحبل في بطنها وقال السدي خرج نمرود بالرجال الى المعسكر ونحاهم عن النساء تخوفا من ذلك المولود ان يكون فمكث بذلك ماشاء الله ثم بدت له حاجة الى المدينة فلم يأتمن عليها احد من قومه إلا آزر فبعث إليه ودعاه وقال له ان لي حاجة اريدان أوصيك بها ولا ابعثك إلا لثقتي بك فاقسمت عليك ان لا تدنو من اهلك فقال عاز رانا اشح على ديني من

السموات والارض) معناه وكما أرينا البصيرة في دينه والحق في خلاف قومه وما كانوا عليه من الضلال في عبادة الاصنام نريه ملكوت السموات والارض فلهذا السبب عبر عن هذه الرؤية بلفظ المستقبل في قوله وكذلك نري ابراهيم لانه تعالى كان اراه بعين البصيرة ان اباه وقومه على غير الحق مخالفهم فجزاه الله بان اراه بعد ذلك ملكوت السموات والارض فحسنت هذه العبارة لهذا المعنى والملكوت الملك زيدت فيه التاء للمبالغة كالرهبوت والرغبوت والرحموت من الرهبة والرغبة والرحمة قال ابن عباس يعني خلق السموات والارض وقال مجاهد وسعيد بن جبير يعني آيات السموات والارض وذلك انه اقيم على صخرة وكشف له عن السموات حتى راى العرش والكرسي وما في السموات من العجائب وحتى راى مكانه في الجنة فذلك قوله وآتيناه اجره في الدنيا يعني اريناه مكانه في الجنة وكشف له عن الارض حتى نظر إلى أسفل الارضين وراى ما فيها من العجائب قال البغوي وروى عن سلمان ورفعه بعضهم عن علي قال لما رأى ابراهيم ملكوت السموات والارض ابصر رجلا على فاحشة فدعا عليه فهلك ثم ابصر آخر فدعا عليه فهلك ثم ابصر اخر فاراد ان يدعو عليه فقال له تبارك وتعالى يا ابراهيم انت رجل مجاب الدعوة فلا تدعون على عبادي فانما انا من عبدي على ثلاث خلال أما أن يتوب الى فاتوب عليه واما ان اخرج منه نسمة تعبدني واما ان يبعث إلي فان شئت عفوت وإن شئت عاقبت وفي رواية وإن تولى فان جهنم من ورائه قال قتادة ملكوت السموات الشمس والقمر والنجوم وملكوت الارض الجبال والشجر والبحار واختلف في هذه الرواية هل كانت بعين البصر او بعين البصيرة على قولين أحدهما انها كانت بعين البصر الظاهر فشق لابراهيم السموات حتى راى العرش وشق له الارض حتى راى ما في بطنها والقول الثاني ان هذه الرواية كانت بعين البصيرة لان ملكوت السموات والارض عبارة عن الملك وذلك لا يعرف إلا بالعقل فبان بهذا ان هذه الرؤية كانت بعين البصيرة إلا ان يقال المراد بملكوت السموات والارض نفس السموات والارض، وقوله تعالى (وليكون من الموقنين) عطف على المعنى ومعناه وكذلك نري إبراهيم ملكوت السموات والارض ليستدل به وليكون من الموقنين واليقين عبارة عن علم يحصل بسبب متامل بعد زوال الشبهة لان الانسان في أول الحال لا ينفك عن شبهة وشك فاذا كثرت الدلائل وتوافقت صارت سببا لحصول اليقين والطمأنينة في القلب وزالت الشبهة عند ذلك قال ابن عباس في وليكون من الموقنين جلا له الامر سره وعلانيته فلم يخف عليه شيء من أعمال الخلائق فلما جعل يلعن أصحاب الذنوب قال الله تعالى انك لا تستطيع هذا فرد الله كما كان قبل ذلك فمعنى الاية على هذا القول وكذلك اريناه ملكوت السموات والارض ليكون ممن يوقن كل شيء حسا وخبرا، وقوله تعالى (فلما جن عليه الليل) يقال جن الليل واجن إذا اظلم وغطى كل شيء واجنه الليل وجن عليه إذا ستره بسواده (رأى كوكبا

ذلك فأوصاه بحاجته فدخل المدينة وقضى حاجته ثم قال لو دخلت على اهلى فنظرت إليهم فلما نظر إلى ام ابراهيم عليه السلام لم يتمالك حتى واقعها فحملت بابراهيم عليه السلام وقال ابن عباس رضى الله عنهما لما حملت أم ابراهيم قال الكهان لنمرود ان الغلام الذى أخبرناك به قد حملت امه الليلة فامر نمرود بقتل الغلمان فلما دنت ولادة أم ابراهيم عليه السلام وأخذها المخاض خرجت هاربة مخافة أن يطلع عليها فيقتل ولدها فوضعته فى نهر يابس ثم لفته فى خرقة ووضعته فى حلفاء فرجعت فاخبرت زوجها بأنها ولدت وان الولد فى موضع كذا وكذا فانطلق أبوه فاخذه من ذلك المكان وحفر له سربا عند نهر فوراه فيه وسد عليه بابه بصخرة مخافة السباع وكانت أمه تختلف إليه فترضعه وقال محمد بن اسحق لما وجدت أم ابراهيم الطلق خرجت ليلا إلى مغارة كانت قريبة منها فولدت فيها إبراهيم عليه السلام وأصلحت من شأنه ما يصنع بالمولود ثم سدت عليه المغارة ورجعت إلى بيتها ثم كانت تطالعه لتنظر ما فعل فتجده حيا يمص ابهامه وقال ابو روق قالت أم ابراهيم ذات يوم لأنظرن إلى اصابعه فوجدته يمص من اصبع ماء ومن اصبع لبنا ومن اصبع عسلا ومن اصبع تمرا ومن اصبع سمنا وقال محمد بن اسحق كان آزر قد سأل أم ابراهيم عن حملها ما فعل (١٢٤) فقالت قد ولدت غلاما فمات فصدقها فسكت عنها وكان اليوم على إبراهيم فى النشوء كالشهر والشهر كالسنة فلم يمكث ابراهيم فى المغارة الا خمسة عشر شهرا حتى قال لامه اخرجينى فاخرجته عشاء فنظر وتفكر فى خلق السموات والارض وقال ان الذى خلقنى ورزقنى وأطعمنى وسقانى لربى الذى مالى إله غيره ثم نظر إلى السماء فرأى كوكبا فقال هذا ربى ثم اتبعه بصره ينظر إليه حتى غاب فلما افل قال لا أحب الآفلين ثم راى القمر بازغا قال هذا ربى ثم اتبعه ببصره حتى غاب ثم طلعت الشمس هكذا إلى آخره ثم رجع إلى ابيه آزر وقد استقامت وجهته وعرف ربه وبرىء من دين قومه الا انه لم ينادهم بذلك فاخبره انه ابنه واخبرته ام ابراهيم انه ابنه واخبرته بما كانت صنعت فى شأنه

قال هذا ربى ﴿ ذكر القصة فى ذلك ﴾

قال اهل التفسير وأصحاب الاخبار والسير ولد ابراهيم عليه السلام فى زمن نمرود بن كنعان الملك وكان نمرود أول من وضع التاج على رأسه ودعا الناس إلى عبادته وكان له كهان منجمون فقالوا له انه يولد فى بلدك هذه السنة غلام يغير دين اهل الأرض ويكون هلاكك وزوال ملكك على يديه ويقال أنهم وجدوا ذلك فى كتب الأنبياء وقال السدى رأى نمرود فى منامه كان كوكبا قد طلع فذهب بضوء الشمس والقمر حتى لم يبق لهما ضوء ففزع من ذلك فزعا شديدا فدعا السحرة والكهان وسالهم عن ذلك فقالوا هو مولود يولد فى ناحيتك فى هذه السنة يكون هلاكك وزوال ملكك وهلاك أهل دينك على يديه فأمر بذبح كل غلام يولد فى تلك السنة فى ناحيته وامر بعزل النساء عن الرجال وجعل كل عشرة رجلا يحفظهم فاذا حاضت المرأة خلى بينها وبين زوجها لأنهم كانوا لا يجامعون فى المحيض فاذا طهرت من الحيض حالوا بينهما قالوا فرجع آزر فوجد امرأته قد طهرت من الحيض فواقعها فحملت بابراهيم وقال محمد بن اسحق بعث نمرود إلى كل رجل امرأة حبلى بقرية فحبسها عنده إلا ما كان من ام ابراهيم فانه لم يعلم بحبلها لأنها كانت جارية صغيرة لم يعرف الحبل فى بطنها وقال السدى فخرج نمرود بالرجال إلى العسكر وعزلهم عن النساء تخوفا من ذلك المولود فمكثت بذلك ماشاء الله ثم بدت له حاجة إلى المدينة فلم يأمن عليها أحدا من قومه إلا آزر فبعث اليه فاحضره عنده وقال له إن لى اليك حاجة أحب أن اوصيك بها ولم ابعثك فيها إلا لثقتى بك فاقسمت عليك ألا تدنو من أهلك فقال آزر انا أشح على دينى من ذلك فأوصاه بحاجته فدخل المدينة وقضى حاجة الملك ثم قال لو دخلت على أهلى فنظرت إليهم فلما دخل على أم ابراهيم ونظر إليها لم يتمالك حتى واقعها فحملت من ساعتها بابراهيم قال ابن عباس لما حملت أم ابراهيم قال الكهان لنمرود أن الغلام الذى أخبرناك به قد حملت به امه الليلة فامر نمرود بذبح الغلمان فلما دنت ولادة ام ابراهيم واخذها المخاض خرجت هاربة مخافة ان يطلع عليها فيقتل ولدها قالوا فوضعته فى نهر يابس ثم لفته فى خرقة ووضعته فى حلفاء ثم رجعت فاخبرت زوجها بأنها ولدت وأن الولد فى موضع كذا فانطلق إليه ابوه فاخذه من ذلك المكان وحفر له سربا فى النهر فوراه فيه وسد بابه بصخرة مخافة

فسر آزر بذلك وفرح فرحا شديدا وقيل انه كان فى السرب سبع سنين وقيل ثلاث عشرة سنة وقيل سبعة عشرة السباع سنة قالوا فلما شب ابراهيم عليه السلام وهو فى السرب قال لامه من ربى قالت انا قال فمن ربك قالت أبوك قال فمن رب أبى قالت نمرود قال فمن ربه قالت له اسكت فسكت ثم رجعت إلى زوجها فقالت أرايت الغلام الذى كنا نحدث انه يغير دين اهل الارض فانه ابنك ثم اخبرته بما قال فأتاه ابوه آزر فقال له ابراهيم عليه السلام يا أبتاه من ربى قال امك قال فمن رب امى قال انا قال فمن ربك قال نمرود قال فمن رب نمرود فلطمه لطمة وقال له اسكت فلما جن الليل دنا من باب السرب فنظر من خلال الصخرة فابصر كوكبا قال هذا ربى ويقال انه قال لأبويه أخرجانى فأخرجاه من السرب وانطلقا به حين غابت الشمس فنظر ابراهيم الى الابل والخيل والغنم فسأل اباه ما هذه فقال ابل وخيل وغنم ما لهذه بد من أن يكون لها رب وخالق ثم نظر فاذا المشترى قد طلع ويقال الزهرة فكان تلك الليلة فى آخر الشهر فتاخر طلوع القمر فيها فراى الكوكب قبل القمر فذلك قوله عز وجل فلما جن عليه الليل أى دخل الليل يقال جن الليل واجن الليل وجنة الليل واجن عليه الليل يجن جنونا وجنانا إذا اظلم وغطى كل شىء وجنون الليل سواده راى كوكبا قرا ابو عمرو راى بفتح الراء وكسر الألف ويكسرها ابن عامر وحمزة والكسائى وابو بكر فان اتصل بكاف أو هاء فتحهما ابن عامر وإن لقيهما ساكن كسر الراء وفتح الهمزة وحمزة وابو بكر وفتحهما الاخرون (قال هذا ربى) واختلفوا فى قوله ذلك فاجراه بعضهم على

السباع وكانت أمه تختلف إليه فترضعه وقال محمد بن اسحق لما وجدت أم ابراهيم الطلق خرجت ليلا إلى مغارة كانت قريبة منها فولدت فيها إبراهيم وأصلحت من شأنه ما يصلح بالمولود ثم سدت عليها باب المغارة ثم رجعت إلى بيتها وكانت تختلف اليه لتنظر ما فعل فتجده حيا وهو يمص إبهامه قال أبو روق قالت ام ابراهيم لا نظرن إلى أصابعه فوجدته يمص من أصبع ماء واصبع لبنا ومن اصبع سمنا ومن اصبع عسلا ومن اصبع تمرا وقال محمد بن اسحق كان آزر قد سأل ام ابراهيم عن حملها ما فعل فقالت ولدت غلاما فما صدقها وسكت عنها وكان ابراهيم يشب في اليوم كالشهر وفي الشهر كالسنة فلم يمكث في المغارة إلا خمسة عشر شهرا حتى قال اخرجيني فاخرجته عشاء فنظر وتفكر في خلق السموات والأرض وقال ان الذي خلقني ورهقني وأطعمني وسقاني لربي الذي مالي إله غيره ونظر في السماء فرأى كوكبا قال هذا ربي ثم اتبعه بصره ينظر اليه حتى غاب فلما أفل قال لا أحب الآفلين فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربي واتبعه بصره ينظر اليه حتى غاب ثم طلعت الشمس قال هكذا إلى آخره ثم رجعت به إلى أبيه ازر وقد استقامت وجهته وعرف ربه وبرىء من دين قومه إلا أنه لم ينادهم بذلك فلما رجعت به أمه اخبرته انها ابنه واخبرته بما صنعت به فسر بذلك وفرح فرحا شديدا وقيل انه مكث في السرب سبع سنين وقيل ثلاثة عشرة سنة وقيل سبع عشرة سنة قالوا فلما شب ابراهيم وهو في السرب قال لأمه من ربي قالت أنا قال فمن ربك قالت أبوك قال فمن رب أبي قالت اسكت ثم رجعت إلى زوجها فقالت أرأيت الغلام الذي كنا نحدث انه يغير دين اهل الأرض فانه ابنك ثم اخبرته بما قال فأتاه ابوه ازر فقال ابراهيم بل ابتاه من ربي قال املك قال فمن رب امي قال انا قال فمن ربك قال نمرود قال فمن رب نمرود فلطمه لطمة وقال اسكت فلما جن عليه الليل دنا من باب السرب فنظر من خلال الصخرة فأبصر كوكبا قال هذا ربي ويقال انه قال لأبويه أخرجاني فأخرجاه من باب السرب حين غابت الشمس فنظر إبراهيم إلى الابل والخيل والغنم فسأل أباه ما هذه قال ابل وخيل وغنم فقال ابراهيم لا هذه بد من ان يكون لها إله وهو ربها وخالقها ثم نظر فاذا المشتري قد طلع ويقال انها الزهرة وكانت تلك الليلة من آخر الشهر فتأخر طلوع القمر فرأى الكوكب قبل القمر فذلك قوله عز وجل فلما جن عليه الليل يعني ستره بظلامه رأى كوكبا قال هذا ربي ثم اختلف العلماء في وقت هذه الرؤية وفي وقت هذا القول هل كان قبل البلوغ أو بعده على قولين أحدهما انه كان قبل البلوغ كان في حال طفوليته وذلك قبل قيام الحجة عليه فلم يكن لهذا القول الذي صدر من ابراهيم في هذا الوقت اعتبار ولا يترتب عليه حكم لأن الاحكام إنما تثبت بعد البلوغ وقيل ان ابراهيم لما خرج من السرب في حال صغره ونظر إلى السماء وما فيها من العجائب ونظر إلى الارض وما فيها من العجائب وكان قد خصه الله بالعقل الكامل والفطرة السليمة تفكر في نفسه وقال لا بد لهذا الخلق من خالق مدبر وهو إله الخلق ثم نظر في حال تفكره فرأى الكوكب وقد أزهر فقال هذا ربي على ما سبق الى وهمه وذلك في حال طفوليته وقبل استحكام النظر في معرفة الرب سبحانه وتعالى واستدل اصحاب هذا القول على صحته بقوله لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين قالوا وهذا يدل على نوع تحير وذلك لا يكون الا في حال الصغر وقبل البلوغ وقيام الحجة وهذا القول ليس بسديد ولا مرضي لان الانبياء معصومون في كل حال من الاحوال وانه لا يجوز ان يكون لله عز وجل رسول يأتي عليه وقت من الاوقات الا وهو بالله عارف وله موحد وله من كل منقصة منزه ومن كل معبود سواه برىء وكيف يتوهم هذا على ابراهيم وقد عصمه الله وطهره وأتاه رشده من قبل وأراه ملكوت السموات والارض فبرؤية الكوكب يقول معتقدا هذا ربي حاشا ابراهيم ﷺ من ذلك لان منصبه على واشرف من ذلك ﷺ والقول الثاني الذي عليه جمهور المحققين ان هذه الرؤية وهذا القول كان بعد بلوغ ابراهيم وحين شرفه الله بالنبوة واكرمه بالرسالة ثم اختلف اصحاب هذا القول في تأويل الآية ومعناها فذكروا فيها وجوها الوجه الاول ان ابراهيم عليه السلام اراد ان يستدرج قومه بهذا القول ويعرفهم جهلهم وخطأهم في تعظيم النجوم وعبادتها لانهم كانوا يرون ان كل الامور

ذلك في حال طفوليته قبل قيام الحجة عليه فلم يكن وكفروا وانكر الاخرون هذا القول وقالوا لا يجوز ان يكون لله رسول يأتي عليه وقت من الاوقات الا وهو لله موحد به عارف ومن كل معبود سواه برىء وكيف يتوهم هذا على من عصمه الله وطهره واتاه رشده من قبل واخبره عنه وقال اذ جاء ربه بقلب سليم وقال وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض افتراه اراه الملكوت ليوقن فلما ايقن راى كوكبا قال هذا ربي معتقدا فهذا ما لا يكون ابدا ثم قال فيه اربعة اوجه من التأويل أحدها ان ابراهيم اراد ان يستدرج القوم بهذا القول ويعرفهم خطأهم وجهلهم في تعظيم ما عظموه وكانوا يعظمون النجوم ويعبدونها ويرون ان الامور كلها اليها فأراهم انه معظم ما عظموه وملتمس الهدى من حيث ما التمسوه فلما افل أراهم النقص الداخل على النجوم ليثبت خطأ ما يدعون ومثل هذا مثل الحواري الذي ورد على قوم يعبدون الصنم فاظهر تظعيمه فاكرموه حتى صدوا في كثير من الامور عن رايه الى ان دهمهم عدو فشاوروه في امره فقال الراي ان ندعو هذا الصنم حتى يكشف عنا ما قد اظلنا فاجتمعوا حوله يتضرعون فلما تبين له انه لا ينفع ولا يدفع دعاهم الى ان يدعوا الله فدعوه فصرف عنهم ما كانوا

يحذرون فأسلموا الوجه الثانى من التأويل انه قاله على وجه الإستفهام تقديره أهذا ربى كقوله تعالى أفان مت فهم الخالدون

الها فأراهم ابراهيم انه معظم ماعظموه فلما أفل الكوكب والقمر والشمس أراهم النقص الداخل على النجوم بسبب الغيبوبة والأفول ليثبت خطأ ما كانوا يعتقدون فيها من الألوهية ومثل هذا كمثل الحوارى الذى ورد على قوم كانوا يعبدون صنما فاظهر تعظيمه فأكرموه لذلك حتى صاروا يصدرون عن رأيه فى كثير من أمورهم إلى أن دهمهم عدو لا قبل لهم به فشاوروه فى أمر هذا العدو فقال الرأى عندى أن ندعو هذا الصنم حتى يكشف عنا ما نزل بنا فاجتمعوا حول الصنم يتضرعون اليه فلم يغن شيئا فلما تبين لهم انه لا ينفع ولا يضر ولا يدفع دعاهم الحوارى وأمرهم أن يدعوا الله عز وجل ويسألوه أن يكشف ما نزل بهم فدعوا الله مخلصين فصرف عنهم ما كانوا يحذرون فاسلموا جميعا الوجه الثانى ان ابراهيم عليه السلام قال هذا القول على سبيل الاستفهام وهو استفهام إنكار وتوبيخ لقومه وتقديره أهذا ربى الذى تزعمون وإسقاط حرف الإستفهام كثير فى كلام العرب ومنه قوله تعالى أفان مت فهم الخالدون يعنى افهم الخالدون والمعنى ايكون هذا ربا ودلائل النقص فيه ظاهرة الوجه الثالث ان ابراهيم عليه السلام قال ذلك على وجه الاحتجاج على قومه يقول هذا ربى بزعمكم فلما غاب قال لو كان إلها كما تزعمون لما غاب فهو كقوله ذق إنك انت العزيز الكريم يعنى عند نفسك وبزعمك وكما اخبر عن موسى عليه السلام بقوله تعالى انظروا الى الهك الذى ظلت عليه عاكفا أى يداله بزعمك الوجه الرابع ان هذه الاية اضمار تقديره يقولون هذا ربى واضمار القول كثير فى كلام العرب ومنه قوله تعالى واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسمعيل ربنا تقبل منا أى يقولون ربنا تقبل منا الوجه الخامس ان الله تعالى قال فى حقه وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين ثم قال بعده فلما جن الليل والفاء تقتضى التعقيب فدل هذا الاهذه الواقعة كانت بعد أن أراه الله ملكوت السموات والأرض وبعض الإيقان ومن كان معه بهذه المنزلة العالية الشريفة لا يليق بحاله ان يعبد الكواكب ويتخذها ربا فاما الجواب عن قوله لئن لم يهدنى ربى لاكونن من القوم الضالين فان الانبياء عليهم السلام لم يزالوا يسألون الله التثبيت ومنه قوله واجنبنى وبنى ان نعبد الاصنام ٭ قوله تعالى (فلما أفل) يعنى غاب والافول غيبة النيرات (قال) يعنى ابراهيم (لا أحب الآفلين) يعنى لا احب ربا يغيب ويطلع لان امارات الحدوث فيه ظاهرة ٭ قوله تعالى (فلما رأى القمر بازغا) يعنى طالعا منتشر الضوء (قال هذا ربى) معناه ما تقدم من الكلام فى الكوكب (فلما أفل) يعنى غاب (قال لئن لم يهدنى ربى لاكونن من القوم الضالين) يعنى ان لم يثبتنى ربى على الهدى وليس المراد انه لم يكن مهتديا لان الانبياء لم يزالوا على الهداية من اول الفطرة وفى الاية دليل على ان الهداية من الله تعالى لان ابراهيم أضاف الهداية لله تعالى (فلما رأى الشمس بازغة) يعنى طالعة (قال هذا ربى) يعنى هذا الطالع او انه أشار الى الضياء والنور لانه رأى الشمس اضواء الكوكب والقمر وقيل انما قال هذا ولم يقل هذه لأن تأنيث الشمس غير حقيقى فلهذا أتى بلفظ التذكير (هذا اكبر) يعنى من الكوكب والقمر (فلما افلت) يعنى فلما غابت الشمس (قال ياقوم انى برىء مما تشركون) يعنى انه لما اثبت ابراهيم عليه السلام بالدليل القطعى ان هذه النجوم ليست بآلهة اولا تصلح للربوبيه تبرأ منها واظهر لقومه انه برىء مما يشركون ولما اظهر خلاف قومه وتبرا من شركهم اظهر ما هو عليه من الدين الحق فقال (انى وجهت وجهى) يعنى انى صرفت وجه عبادتى وقصرت توحيدى (للذى فطر السموات والارض) يعنى للذى خلقهما وابتدعهما (حنيفا) يعنى مائلا على عبادة كل شىء سوى الله تعالى واصل الحنف الميل وهو ميل عن طريق الضلال الى طريق الاستقامة وقيل الحنيف هو الذى يستقبل الكعبة فى صلاته (وما انا من المشركين) تبرأ من الشرك الذى كان عليه قومه ٭ قوله عز وجل (وحاجه قومه) يعنى وخاصمه قومه وذلك اظهر ابراهيم عليه السلام عيب آلهتهم التى كانوا يعبدونها واظهر التوحيد لله عز وجل خاصمه قومه وجادلوه فى ذلك فقال اتحاجونى فى الله يعنى اتجادلوننى فى توحيدى لله وقد هدانى وقد تبين لى طريق الهداية الى توحيده ومعرفته وقال البغوى لما رجع ابراهيم الى ابيه وصار من الشباب

أى أفهم الخالدون وذكره على وجه التوبيخ منكرا لفعلهم يعنى أمثل هذا يكون ربا أى ليس هذا ربى والوجه الثالث انه ذكره على وجه الاحتجاج عليهم يقول هذا ربى بزعمكم فلما غاب قال لو كان إلها لما غاب كما قال ذق انك انت العزيز الكريم أى عند نفسك وبزعمك وكما أخبر عن موسى انه قال وانظر إلى إلهك الذى ظلت عليه عاكفا لنحرقنه يريد الهك بزعمك والوجه الرابع فيه اضمار وتقديره يقولون هذا ربى كقوله تعالى واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسمعيل ربنا تقبل منا أى يقولون ربنا تقبل منا (فلما افل قال لا احب الافلين) ومالا يدوم (قال هذا ربى فلما أفل قال لئن لم يهدنى ربى) قيل لئن لم يثبتنى ربى على الهدى ليس انه لم يكن مهتديا والأنبياء لم يزالوا يسألون الله تعالى الثبات على الإيمان وكان إبراهيم يقول واجنبنى وبنى أن نعبد الأصنام (لأكونن من القوم الضالين) أى عن الهدى (فلما رأى الشمس بازغة) طالعة (قال هذا ربى هذا أكبر) أى أكبر من الكوكب والقمر ولم يقل هذه مع أن الشمس مؤنثة لأنه أراد هذا الطالع اورده الى المعنى وهو الضيا والنور لانه رآه اضوا من النجوم والقمر (فلما افلت) غربت بحالة

(قال ياقوم انى برىء مما تشركون انى وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض حنيفا وما انا من المشركين وحاجه قومه

قال تحاجوني في الله وقد هدان) ولما رجع ابراهيم عليه السلام إلى أبيه وصار من الشباب بحالة تسقط عنه طمع الذابحين وضمه آزر إلى نفسه جعل آزر يصنع الأصنام ويعطيها ابراهيم ليبيعها فيذهب ابراهيم عليه السلام وينادي من يشتري ما يضره ولا ينفعه فلا يشتريها أحد فاذا بارت عليه ذهب بها إلى نهر فصوب فيه رؤسها وقال اشربي استهزاء بقومه وبما هم فيه من الضلالة حتى فشا استهزاؤه بها في قومه وأهل قريته لحاجه أي خاصمه وجادله قومه في دينه قال اتحاجوني في الله قرأ أهل المدينة وابن عامر (١٢٧) بتخفيف النون وقرأ الآخرون

بحالة تسقط عنه طمع الذابحين وضمه آزر إلى نفسه جعل آزر يصنع الأصنام ويعطيها ابراهيم ليبيعها فيذهب ابراهيم وينادي من يشتري ما يضره ولا ينفعه فلا يشتريها أحد فاذا بارت عليه ذهب بها إلى نهر فصوب فيه رؤسها وقال اشربي استهزاء بقومه وبما هم فيه من الضلالة حتى فشا استهزاؤه بها في قومه وأهل قريته حاجه قومه يعني خاصمه وجادله قومه في دينه (قال) يعني ابراهيم (اتحاجوني في الله وقد هدان) يعني إلى توحيده ومعرفته (ولا أخاف ما تشركون به) وذلك أنهم قالوا له احذر الأصنام فانا نخاف أن تمسك بخبل أو جنون لعيبك إياها فاجابهم بقوله ولا أخاف ما تشركون به فانها جمادات لا تضر ولا تنفع وإنما يكون الخوف ممن يقدر على النفع والضر وهو قوله (إلا أن يشاء ربي شيئا) يعني لكن أن يشأ ربي شيئا كان ما يشا لانه قادر على النفع والضر وإنما قال ابراهيم ذلك لاحتمال ان الإنسان قد يصيبه في بعض حالاته وأيام عمره ما يكرهه فلواصابه مكروه نسبوه إلى الاصنام فنفى هذه الشبهة بقوله إلا أن يشاء ربي شيئا وهذا استثناء منقطع وليس هو من الاول في شيء والمعنى ولكن ان شاء ربي شيئا كان (وسع ربي كل شيء علما) يعني احاط علمه بكل شيء فلا يخرج شيء عن علمه (أفلا تتذكرون) يعني أفلا تعتبرون أن هذه الاصنام جمادات لا تضر ولا تنفع وان النافع الضار هو الذي خلق السموات والاوض ومن فيهما (وكيف اخاف ما أشركتم) يعني وكيف اخاف الاصنام التي أشركتم بها لانها جمادات لا تبصر ولا تسمع ولا تضر ولا تنفع (ولا تخافون انكم اشركتم بالله) يعني وأنتم لا تخافون وقد أشركتم بالله وهو من أعظم الذنوب (ما لم ينزل به عليكم سلطانا) يعني ما ليس لكم فيه حجة وبرهان (فاي الفريقين احق بالامن ان كنتم تعلمون) يعني يقول من أولى بالامن من العذاب في يوم القيامة الموحد ام المشرك (الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم) وهذا فصل قضاه الله بين ابراهيم وبين قومه يعني ان الذين يستحقون الامن يوم القيامة هم الذين امنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم وقيل هو تمام كلام ابراهيم في المحاجة لقومه والمعنى ان الذين يحصل لهم الامن يوم القيامة هم الذين امنوا يعني امنوا بالله وحده ولم يشركوا به شيئا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم يعني ولم يخلطوا إيمانهم بشرك (ق) عن ابن مسعود قال لما نزلت الذين امنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم شق ذلك على المسلمين وقالوا اينا لا يظلم نفسه فقال رسول الله ﷺ ليس ذلك إنما هو الشرك ألم تسمعوا قول لقمان لابنه يا بني لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم وفي رواية ليس هو كما تظنون إنما هو كما قال لقمان لابنه وذكره وقيل في معنى قوله ولم يلبسوا إيمانهم بظلم يعني ولم يخلطوا إيمانهم بشيء من معاني الظلم وذلك بأن يفعل بعض ما نهى الله عنه أو يترك ما أمر الله به فعلى هذا القول تكون الاية على العموم لان الله لم يخص به معنى من معاني الظلم دون غيره والصحيح أن الظلم المذكور في هذه الاية هو الشرك لما تقدم من حديث ابن مسعود ان النبي ﷺ فسر الظلم هنا بالشرك وفي الاية دليل على أن من مات لا يشرك بالله شيئا كانت عاقبته الأمن من النار لقوله (أولئك) يعني الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم (لهم الأمن) يوم القيامة من عذاب النار (وهم مهتدون) يعني إلى سبيل الرشاد وقوله تعالى (وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه) يعني ما جرى بين ابراهيم وبين قومه واستدل على حدوث الكوكب والقمر والشمس بالأفول وقيل لما قالوا لابراهيم انا نخاف عليك من الهتنا لسبك اياها قال أفلا تخافون أنتم منها إذ سويتم بين الصغير والكبير في العبادة ان يغضب الكبير عليكم وقيل أنه خاصم قومه المشركين فقالوا أي الفريقين احق بالامن من يعبد إلها واحدا مخلصا له الدين والعبادة أم من يعبد

بتشديدها ادغاما لاحدى النونين في الأخرى ومن خفف حذف احدى النونين تخفيفا يقال اتحادلوني في توحيد الله وقد هداني للتوحيد والحق (ولا اخاف ما تشركون به) وذلك أنهم قالوا له احذر الأصنام فانا نخاف أن تمسك بسوء من خبل أو جنون لعيبك إياها فقال لهم ولا أخاف ما تشركون به (إلا أن يشاء ربي شيئا) وليس هذا باستثناء من الأول بل هو استثناء منقطع معناه لكن إن يشأ ربي شيئا أي سوء فيكون ما شاء (وسع ربي كل شيء علما) أي احاط علمه بكل شيء (أفلا تتذكرون وكيف أخاف ما اشركتم) يعني الأصنام وهي لا تبصر ولا تسمع ولا تضر ولا تنفع (ولا تخافون انكم اشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانا) حجة وبرهانا وهو القاهر القادر على كل شيء (فاي الفريقين احق) اولى (بالامن) أنا وأهل ديني أم أنتم (ان كنتم تعلمون) فقال الله تعالى قاضيا بينهما (الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم) لم يخلطوا ايمانهم بشرك (أولئك لهم

الامن وهم مهتدون) أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا اسحق بن يونس أنا الأعمش أنا ابراهيم عن علقمة عن عبد الله قال لما نزلت الذين امنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم شق ذلك على المسلمين فقالوا يا رسول الله فاينا لا يظلم نفسه فقال ليس ذلك إنما هو الشرك ألم تسمعوا إلى ما قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم قوله عز وجل (وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه) حتى خصمهم وغلبهم بالحجة قال مجاهد هي قوله الذين امنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الامن

به نمرود على ما سبق فى سورة البقرة (نرفع درجات من نشاء) بالعلم قرأ أهل الكوفة ويعقوب درجات بالتنوين ههنا وفى سورة يوسف أى نرفع درجات من نشاء بالعلم والفهم والفضيلة والعقل كما رفعنا درجات إبراهيم حتى اهتدى وحاج قومه فى التوحيد (إن ربك حكيم عليم ووهبنا له اسحق ويعقوب كلا هدينا) ووفقنا وارشدنا (ونوحا هدينا من قبل) اى من قبل ابراهيم (ومن ذريته) اى من ذرية نوح عليه السلام ولم يرد من ذرية ابراهيم لانه ذكر فى جملتهم يونس ولوطا ولم يكونا من ذرية ابراهيم (داود) هو داود بن ايشا (وسليمان) يعنى ابنه (وايوب) وهو ايوب بن اموص بن رازح بن روم بن عيص بن اسحق بن ابراهيم (ويوسف) هو يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم عليه السلام (وموسى) وهو موسى بن عمران بن يصهر بن فاهث ابن لاوى بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم (وهرون) هو أخو موسى اكبر منه بسنة (وكذلك) أى كما جزينا ابراهيم على توحيده بان رفعنا درجته ووهبنا له أولادا أنبياء اتقياء كذلك (نجزى المحسنين) على احسانهم وليس ذكرهم على ترتيب ازمانهم (وزكريا) هو زكريا بن اذن (ويحيى) وهو ابنه (وعيسى وهو ابن مريم بنت عمران (والياس) واختلفوا فيه قال ابن مسعود هو ادريس وله اسمان مثل يعقوب واسرائيل والصحيح انه غيره لان الله تعالى ذكره فى ولد نوح وادريس جد ابى نوح وهو الياس بن بشير بن فنحاص بن عيزار بن هارون بن عمران (كل من الصالحين واسمعيل) وهو ولد ابراهيم (واليسع) وهو بن اخطوب بن العجوز وقرأ حمزة والكسائى واليسع بتشديد اللام وسكون الياء هنا وفى ص (ويونس) وهو يونس بن متى (ولوطا) وهو لوط بن هاران بن أخى ابراهيم (وكلا فضلنا على العالمين) اى عالمى

أربابا كثيرة فقالوا من يعبد إلها واحدا فقضوا على أنفسهم فكانت هذه حجة ابراهيم عليه (نرفع درجات من نشاء) يعنى بالعلم والفهم والعقل والفضيلة كما رفعنا درجات ابراهيم حتى اهتدى إلى محاجة قومه وقيل ترفع درجات من نشاء فى الدنيا بالنبوة والعلم والحكمة وفى الاخرة بالثواب على الأعمال الصالحة (ان ربك حكيم عليم) يعنى أنه تعالى حكيم فى جميع أفعاله عليم بجميع أحوال خلقه لا يفعل شيء إلا بحكمة وعلم * قوله عز وجل (ووهبنا له اسحق ويعقوب) لما أظهر ابراهيم عليه السلام دينه وغلب خصمه بالحجج القاطعة والبراهين القوية والدلائل الصحيحة التى فهمه الله تعالى إياه وهداه اليها عدد الله نعمه عليه وإحسانه اليه بأن رفع درجته فى عليين وأبقى النبوة فى ذريته إلى يوم الدين فقال تعالى ووهبنا له يعنى لابراهيم اسحق يعنى ابنا لصلبه ويعقوب يعنى ابن اسحق وهو ولد الولد (كلا هدينا) يعنى هدينا جميعهم إلى سبيل الرشاد ووفقناهم إلى طريق الحق والصواب (ونوحا هدينا من قبل) يعنى من قبل ابراهيم ارشدنا نوحا ووفقناه للحق والصواب ومننا عليه بالهدية (ومن ذريته) اختلفوا فى هذا الضمير إلى من يرجع فقيل يرجع إلى ابراهيم يعنى ومن ذرية إبراهيم (داود وسليمان) وقيل يرجع إلى نوح وهو اختيار جمهور المفسرين لأن الضمير يرجع إلى أقرب مذكور ولأن الله ذكر فى جملة هذه الذرية لوطا وهو ابن أخى ابراهيم ولم يكن من ذريته فثبت بهذا أن هذه الكناية ترجع إلى نوح وقال الزجاج كلا القولين جائز لأن ذكرهما جميعا قد جرى وداود هو ابن ايشا وكان ممن آتاه الله الملك والنبوة وكذلك سليمان بن داود (وأيوب) هو أيوب بن أموص بن رازح بن روم بن عيص بن اسحق بن ابراهيم (ويوسف) هو ابن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم (وموسى) هو ابن عمران بن يصهر بن قاهير بن لاوى بن يعقوب (وهرون) هو أخو موسى وكان أكبر منه بسنة (وكذلك نجزى المحسنين) يعنى وكما جزينا ابراهيم على توحيده وصبره على أذى قومه كذلك نجزى المحسنين على احسانهم (وزكريا) هو ابن اذن بن بركيا (ويحيى) هو ابن زكريا (وعيسى) هو ابن مريم بنت عمران (والياس) قال ابن مسعود هو ادريس وله اسمان مثل يعقوب واسرائيل وقال محمد بن اسحق هو الياس بن سناس بن فنحاص بن العيزار بن عمران وهذا هو الصحيح لأن أصحاب الانساب يقولون أن ادريس جد نوح لأن نوحا بن لامك بن متوشلخ بن اخنوخ وهو ادريس ولأن الله تعالى نسب الياس فى هذه الآية إلى نوح وجعله من ذريته (كل من الصالحين) يعنى ان كل من ذكرنا وسمينا من الصالحين (واسمعيل) هو ابن ابراهيم وإنما أخره إلى هنا لأنه ذكر اسحق وذكر أولاد من بعده على نسق واحد فلهذا السبب آخر ذكر اسمعيل إلى هنا (واليسع) هو ابن اخطوب ابن العجوز (ويونس) هو ابن متى (ولوطا) هو ابن أخى إبراهيم (وكلا فضلنا على العالمين) يعنى على عالمى زمانهم ويستدل بهذه الآية من يقول ان الأنبياء أفضل من الملائكة لأن العالم اسم لكل موجود سوى الله تعالى فيدخل فيه الملك فيقتضى ان الأنبياء أفضل من الملائكة * واعلم ان الله تعالى ذكر هنا ثمانية عشر نبيا من الانبياء عليهم السلام من غير ترتيب لا بحسب الزمان ولا بحسب الفضل لان الواو لا تقتضى الترتيب ولكن هنا لطيفة اوجبت هذا الترتيب وهى ان الله تعالى خص كل طائفة من طوائف الانبياء عليهم السلام بنوع من الكرامة والفضل فذكر أولا نوحا وابراهيم واسحق ويعقوب لانهم أصول الانبياء واليهم ترجع انسابهم جميعا ثم من المراتب المعتبرة بعد النبوة الملك والقدرة والسلطان وقد أعطى الله داود وسليمان من ذلك حظا وافرا ومن المراتب الصبر عند نزول البلاء والمحن والشدائد وقد خص الله هذه ايوب عليه السلام ثم عطف على هاتين المرتبتين من جمع بينهما وهو يوسف عليه السلام فانه صبر على البلاء والشدة إلى أن أعطاه الله ملك مصر مع النبوة ثم مراتب المعتبرة فى تفضيل الأنبياء

المعجزات وقوة البراهين وقد خص الله تعالى موسى وهرون من ذلك بالحظ الوافر ثم من المراتب المعتبرة الزهد فى الدنيا والإعراض عنها وقد خص الله بذلك زكريا ويحيى وعيسى والياس عليهم السلام ولهذا السبب وصفهم بأنهم من الصالحين ثم ذكر الله من بعد هؤلاء الأنبياء من لم يبق له اتباع ولا شريعة وهم إسمعيل واليسع ويونس ولوط فاذا اعتبرنا هذه اللطيفة على هذا الوجه كان هذا الترتيب من أحسن شىء يذكر والله أعلم بمراده وأسراركتابه * قوله تعالى (ومن آبائهم) يعنى ومن آباء الذين سميناهم ومن هنا للتبعيض لان من اباء بعضهم من لم يكن مسلما (وذرياتهم) يعنى ومن ذرياتهم أى بعضهم لان عيسى ويحيى لم يكن لهما ولد وكان فى ذرية بعضهم من هو كافر كابن نوح (وإخوانهم) يعنى ومن إخوانهم والمعنى ان الله تعالى وفق من آباء المذكورين ومن إخوانهم وذرياتهم للهداية وخالص الدين وهو قوله تعالى (واجتبيناهم) يعنى اخترناهم واصطفيناهم (وهديناهم) يعنى ارشدناهم (إلى صراط مستقيم) أى إلى دين الحق (ذلك هدى الله) قال ابن عباس ذلك دين الله الذى كان عليه هؤلاء الانبياء وقيل المراد بهذى الله معرفة الله وتنزيهه عن الشركاء والاضداد والانداد (يهدى به من يشاء من عباده) يعنى يوفق من يشاء من عباده ويرشد إلى دينه وطاعته وخلع الاضداد والشركاء (ولو أشركوا) يعنى هؤلاء الذين سميناهم (لحبط) يعنى لبطل وذهب (عنهم ما كانوا يعملون) من الطاعات قبل ذلك لان الله تعالى لا يقبل مع الشرك من الاعمال شيئا * قوله عز وجل (أولئك الذين اتيناهم الكتاب والحكم والنبوة) يعنى أولئك الذين سميناهم من الانبياء أعطيناهم الكتب التى أنزلناها عليهم وآتيناهم العلم والفهم وشرفناهم بالنبوة وإنما قدم ذكر الكتاب والحكمة على النبوة وإن كانت النبوة هى الاصل لان منصب النبوة أشرف المراتب والمناصب فذكر أولا الكتاب والحكم لانهما يدلان على النبوة (فان يكفر بها هؤلاء) يعنى فان يجحد بدلائل التوحيد والنبوة كفار قريش (فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين) قال ابن عباس هم الانصار وأهل المدينة وقيل هم المهاجرون والانصار وقال الحسن وقتادة هم الانبياء الثمانية عشر الذين تقدم ذكرهم واختاره الزجاج قال والدليل عليه قوله أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده وقال رجاء العطاردى هم الملائكة وفيه بعد لان اسم القوم لا ينطلق إلا على بنى آدم وقيل هم الفرس قال ابن زيد كل من لم يكفر فهو منهم سواء كان ملكا أو نبيا أو من الصحابة أو التابعين وفى الاية دليل على أن الله تعالى ينصر نبيه ﷺ ويقوى دينه ويجعله عاليا على الأديان كلها وقد جعل ذلك فهو اخبار عن الغيب * قوله تعالى (أولئك الذين هدى الله) يعنى النبيين الذين تقدم ذكرهم لانهم هم المخصوصون بالهداية (فبهداهم اقتده) إشارة إلى النبى ﷺ يعنى فبشرائعهم وسننهم اعمل واصل الاقتداء فى اللغة طلب موافقة الثانى للأول فى فعله وقيل أمره ان يقتدى بهم فى امر الدين الذى امرهم ان يجمعوا عليه وهو توحيد الله تعالى وتنزيهه عن جميع النقائص التى لا تليق بجلاله فى الأسماء والصفات والأفعال وقيل أمره الله أن يقتدى بهم فى جميع الأخلاق الحميدة والأفعال المرضية والصفات الرفيعة الكاملة مثل الصبر على اذى السفهاء والعفو عنهم وقيل امره ان يقتدى بشرائعهم إلا ما خصه دليل آخر فعلى هذا القول يكون فى الاية دليل على أن شرع من قبلنا شرع لنا ﴿ فصل ﴾ احتج العلماء بهذه الاية على ان رسول الله ﷺ افضل من جميع الانبياء عليهم الصلاة والسلام بيانه أن جميع خصال الكمال وصفات الشرف كانت متفرقة فيهم فكان نوح صاحب احتمال على اذى قومه وكان ابراهيم صاحب كرم وبذل مجاهدة فى الله عز وجل وكان اسحق ويعقوب من اصحاب الصبر على البلاء والمحن وكان داود عليه السلام وسليمان من أصحاب الشكر على النعمة قال الله فيهم اعملوا ال داود شكرا وكان أيوب صاحب صبر على البلاء قال الله فيه إنا وجدناه صابرا نعم العبد إنه اواب وكان يوسف قد جمع بين الحالتين يعنى الصبر والشكر وكان موسى صاحب الشريعة الظاهرة والمعجزات الباهرة وكان زكريا ويحيى وعيسى والياس من أصحاب الزهد فى الدنيا وكان اسمعيل صاحب صدق وكان يونس

زمانهم (ومن آبائهم) من فيه للتبعيض لأن آباء بعضهم كانوا مشركين (وذرياتهم) أى ومن ذرياتهم وأراد ذرية بعضهم لأن عيسى ويحيى لم يكن لهما ولد وكان فى ذرية بعضهم من كان كافرا (وإخوانهم واجتبيناهم) اخترناهم واصطفيناهم (وهديناهم) أرشدناهم إلى صراط مستقيم ذلك هدى الله) دين الله (يهدى به) يرشد به (من يشاء من عباده ولو أشركوا) أى هؤلاء الذين سميناهم (لحبط) لبطل وذهب (عنهم ما كانوا يعملون أولئك الذين آتيناهم الكتاب) أى الكتب المنزلة عليهم (والحكم) يعنى العلم والفقه والنبوة فان يكفر بها هؤلاء) يعنى اهل مكة (فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين) يعنى الأنصار وأهل المدينة قاله ابن عباس ومجاهد وقال قتادة فان يكفر بها هؤلاء الكفار فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين يعنى الأنبياء الثمانية عشر الذين ذكرهم الله ههنا وقال ابو رجاء العطاردى معناه فان يكفر بها اهل الارض فقد وكلنا بها أهل السماء وهم الملائكة قوما ليسوا بها بكافرين (أولئك الذين هدى الله) اى هداهم الله (فبهداهم) فبسنتهم وسيرتهم (اقتده) الهاء فيها هاء الوقف وحذف حمزة والكسائى ويعقوب الهاء

فى الوصل والباقون باثباتها وصلا ووقفا وقرا ابن عامر اقتده باشباع الهاء كسرا

صاحب تضرع واخبات ثم أن الله تعالى أمر نبيه ﷺ أن يقتدى بهم وجمع له جميع الخصال المحمودة المتفرقة فيهم فثبت بهذا البيان انه ﷺ كان افضل الانبياء لما اجتمع فيه من هذه الخصال التى كانت متفرقة فى جميعهم والله اعلم * قوله تعالى (قل لا أسألكم عليه أجرا) يعنى قل يا محمد لا اطلب على تبليغ الرسالة جعلا قيل لما امره الله تعالى بالاقتداء بالنبيين وكان من جملة هداهم عدم طلب الأجر على إيصال الدين وإبلاغ الشريعة لا جرم اقتدى بهم فقال لا اسألكم عليه اجرا (إن هو) يعنى ماهو يعنى القران (إلا ذكرى للعالمين) يعنى ان القران موعظة وذكرى لجميع العالم من الجن والانس وفيه دليل على انه ﷺ كان مبعوثا إلى جميع الخلق من الجن والانس وان دعوته عمت جميع الخلائق * قوله عز وجل (وما قدروا الله حق قدره) قال ابن عباس لما عظموا الله حق عظمته وعنه ان معناه ما آمنوا ان الله على كل شىء قدير وقال ابو العالية ماوصفوا الله حق وصفه وقال الاخفش ماعرفوا الله حق معرفته يقال قدر الشىء إذا حزره وسيره واراد ان يعلم مقداره يقال قدره يقدره بالضم قدرا ثم يقال لمن عرف شيئا هو يقدره قدره وإذا لم يعرفه بصفاته يقال فيه انه لا يقدر قدره فقوله وما قدروا الله حق قدره يصح فيه جميع الوجوه المذكورة فى معناه (إذ قالوا ما انزل الله على بشر من شىء) يعنى الذين قالوا ما انزل الله على بشر من شىء ماقدروا الله حق قدره ولا عرفوه حق معرفته إذ لو عرفوه حق معرفته لما قالوا هذه المقالة ثم اختلف العلماء فيمن نزلت هذه الاية على قولين احدهما انها نزلت فى كفار قريش وهذا على قول من يقول ان جميع هذه السورة مكية وهو قول السدى ويروى ذلك عن مجاهد وصححه الطبرى قال لان من اول السورة إلى هذا الموضع هو خبر عن المشركين من عبدة الاصنام وكان قوله وما قدروا الله حق قدره موصولا بذلك غير مفصول عنه فلا يكون قوله إذ قالوا ما انزل الله على بشر من شىء خبرا عن غيرهم واورد فخر الدين الرازى على هذا القول اشكالا وهو ان كفار قريش ينكرون نبوة جميع الانبياء فكيف يمكن إلزامهم بنبوة موسى وأيضا فما بعد هذه الاية لا يليق بكفار قريش إنما يليق بحال اليهود واجاب عنه بان كفار قريش كانوا مختلطين باليهود وقد سمعوا منهم ان موسى جاءهم بالتوراة وبالمعجزات الباهرات وإنما انكر كفار قريش نبوة محمد ﷺ فيمكن الزامهم بقوله قل من انزل الكتاب الذى جاء به موسى واجاب عن كون سياق الاية لا يليق إلا بحال اليهود بان كفار قريش واليهود لما كانوا مشتركين فى إنكار نبوة محمد ﷺ فلا يبعد ان بعض الاية يكون خطابا لكفار قريش وبعضها خطابا لليهود والقول الثانى فى سبب نزول هذه الاية وهو قول جمهور المفسرين انها نزلت فى اليهود وهذا على قول من يقول ان هذه الاية نزلت بالمدينة وانها من الايات المدنيات التى فى السور المكية قال ابن عباس نزلت سورة الانعام بمكة إلا ستة ايات منها قوله وما قدروا الله حق قدره فانها نزلت بالمدينة ثم اختلف القائلون بهذا القول فى اسم من نزلت هذه الاية فيه فقال سعيد بن جبير جاء رجل من اليهود يقال له مالك بن الصيف يخاصم النبى ﷺ فقال له النبى ﷺ أنشدك الله الذى أنزل التوراة على موسى اما تجدون فى التوراة أن الله يبغض الحبر السمين وكان حبرا سمينا فغضب وقال والله ما انزل الله على بشر من شىء فقال اصحابه الذين معه ويحك ولا على موسى فقال والله ما انزل الله على بشر من شىء فانزل الله وما قدروا الله حق قدره إذ قالوا ما انزل الله على بشر من شىء قل من انزل الكتاب الذى جاء به موسى نورا وهدى للناس الاية قال البغوى وفى القصة ان مالك بن الصيف لما سمعت اليهود منه تلك المقالة عتبوا عليه وقالوا اليس الله انزل التوراة على موسى فلم قلت ما انزل الله على بشر من شىء فقال مالك بن الصيف اغضبنى محمد فقلت ذلك فقالوا له وانت إذا غضبت تقول على الله غير الحق فنزعوه عن الحبرية وجعلوا مكانه كعب بن الاشرف وقال ابن عباس رضى الله عنهما قالت اليهود يا محمد انزل الله عليك كتابا قال نعم فقالوا والله ما انزل الله من السماء كتابا فانزل الله وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا ما انزل الله على بشر من شىء وقال السدى لما نزلت هذه الاية فى فنحاص بن عازوراء اليهودى وهو القائل هذه المقالة وقال ابن عباس قالت اليهود يا محمد أنزل الله عليك كتابا قال نعم فقالوا والله ما أنزل الله من السماء كتابا فانزل الله وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا ما انزل الله على بشر من شىء

(قل لا أسألك عليه اجرا) (وما قدروا الله حق قدره) أى ما عظموه حق عظمته وقيل ما وصفوه حق وصفه (إذ قالوا ما انزل الله على بشر من شىء) قال سعيد بن جبير جاء رجل من اليهود يقال له مالك بن الصيف يخاصم النبى ﷺ بمكة فقال له النبى ﷺ انشدك بالله الذى انزل التوراة على موسى اما تجد فى التوراة ان الله يبغض الحبر السمين وكان حبرا سمينا فغضب فقال والله ما انزل الله على بشر من شىء وقال السدى نزلت فى فنحاص بن عازوراء وهو قائل هذه المقالة وفى القصة ان مالك بن الصيف لما سمعت اليهود منه تلك المقالة عتبوا عليه وقالوا اليس ان الله انزل التوراة على موسى فلم قلت ما انزل الله على بشر من شىء قال فقال مالك بن الصيف اغضبنى محمد فقلت ذلك فقالوا له وأنت إذا غضبت تقول على الله غير الحق فنزعوه من الحبرية وجعلوا مكانه كعب بن الاشرف وقال ابن عباس رضى الله عنهما قالت اليهود يا محمد انزل الله عليك كتابا قال نعم قالوا والله ما انزل الله من السماء كتابا فانزل الله وما قدروا الله حق قدره إذ قالوا ما انزل الله على بشر من شىء قال الله

قل من أنزل الكتاب الذى جاء به موسى الاية وقال محمد بن كعب القرظى جاء ناس من اليهود إلى النبى ﷺ وهو محتب فقالوا يا أبا القاسم ألا تأتينا بكتاب من السماء كما جاء به موسى يحملونها ألواحا من عند الله فأنزل الله يسألك اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السماء الآية التى فى سورة النساء فلما حدثهم بأعمالهم الخبيثة جثا رجل منهم وقال ما انزل الله عليك ولا على موسى ولا على عيسى ولا على احد شيئا فأنزل الله وما قدروا الله حق قدره إذ قالوا ما انزل الله على بشر من شىء واورد الرازى على هذا القول إشكالا ايضا وهو انه قال ان اليهود مقرون بانزال التوراة على موسى فكيف يقولون ما انزل الله على بشر من شىء مع اعترافهم بانزال التوراة ولم يجب عن هذا الاشكال بشىء واجيب عنه بان مراد اليهود انكار إنزال القرآن على محمد ﷺ فقط ولهذا الزموا بما لا بد لهم من الإقرار به من إنزال التوراة على موسى فقال تعالى (قل من انزل الكتاب الذى جاء به موسى) اى قل يا محمد لهؤلاء اليهود الذين انكروا انزال القران عليك بقولهم ما انزل الله على بشر من شىء من انزل التوراة على موسى وفى هذا الالزام توبيخ اليهود بسوء جهلهم واقدامهم على انكار الحق الذى لا ينكر (نورا وهدى للناس) يعنى التوراة ضياء من ظلمة الضلالة وبيانا يفرق بين الحق والباطل من دينهم وذلك قبل ان تبدل وتغير (تجعلونه قراطيس) يكتبونه فى قراطيس متقطعة (تبدونها) يعنى القراطيس المكتوبة (وتخفون كثيرا) يعنى ويخفون كثيرا مما كتبوه فى القراطيس وهو ما عندهم من صفة محمد ﷺ ونعته فى التوراة ومما اخفوه ايضا آية الرجم وكانت مكتوبة عندهم فى التوراة (وعلمتم مالم تعلموا انتم ولا آباؤكم) اكثر المفسرين على ان هذا خطاب لليهود ومعناه انكم علمتم على لسان محمد ﷺ مالم تعلموا انتم ولا آباؤكم من قبل قال الحسن جعل لهم علم ما جاء به محمد ﷺ فضيعوه ولم ينتفعوا به وقال مجاهد هذا خطاب للمسلمين يذكرهم النعمة فيما علمهم على لسان نبيه محمد ﷺ (قل الله) هذا راجع الى قوله قل من انزل الكتاب الذى جاء به موسى فان اجابوك يا محمد وإلا فقل انت الله الذى أنزله (ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون) يعنى دعهم يا محمد فيما هم فيه يخوضون من باطلهم وكفرهم بالله ومعنى يلعبون يستهزؤن ويسخرون وقيل معناه يا محمد إنك إذا اقمت الحجة عليهم وبلغت فى الاعذار والانذار هذا المبلغ العظيم فحينئذ لم يبق عليك من أمرهم شىء فذرهم فيما هم فيه من الخوض واللعب وفيه وعيد وتهديد للمشركين وقال بعضهم هذا منسوخ بآية السيف وفيه بعد لانه مذكور لأجل التهديد والوعيد قوله تعالى (وهذا كتاب أنزلناه مبارك) يعنى وهذا القرآن كتاب أنزلناه من عندنا عليك يا محمد كثير الخير والبركة دائم النفع يبشر المؤمنين بالثواب والمغفرة ويزجر عن القبيح والمعصية واصل البركة النماء والزيادة وثبوت الخير (مصدق الذى بين يديه) يعنى من الكتب الالهية المنزلة من السماء على الأنبياء يعنى أنه موافق لما فى التوراة والانجيل وسائر الكتب لأنها اشتملت جميعها على التوحيد والتنزيه لله من كل عيب ونقيصة وتدل على البشارة والنذارة فثبت بذلك كون القران مصدقا لجميع الكتب المنزلة (ولتنذر) قرىء بالتاء يعنى ولتنذر يا محمد وبالياء ومعناه ولينذر الكتاب (أم القرى) يعنى مكة وفيه حذف تقديره ولتنذر اهل القرى وسميت مكة أم القرى لان الارض دحيت من تحتها قاله ابن عباس وقيل لانها اقدم القرى واعظمها بركة وقيل لأنها قبلة أهل الارض (ومن حولها) يعنى جميع البلاد والقرى التى حولها شرقا وغربا (والذين يؤمنون بالاخرة يؤمنون به) يعنى والذين يصدقون بقيام الساعة وبالمعاد والبعث بعد الموت يصدقون بهذا الكتاب وانه منزل من عند الله عز وجل وقيل ببعثة الرسول ﷺ وذلك ان الذى يؤمن بالاخرة يؤمن بالوعد والوعيد والثواب والعقاب ومن كان كذلك فانه يرغب فى تحصيل الثواب ورد العقاب عنه وذلك لا يحصل إلا بالنظر التام فاذا نظر وتفكر علم بالضرورة أن دين محمد أشرف الأديان وشريعته اعظم الشرائع (وهم على صلواتهم يحافظون) يعنى يداومون عليها فى

اى تكتبون عنه دفاتر وكتبا مقطعة تبدونها اى تبدون ما تحبون وتخفون كثيرا من نعت محمد ﷺ وآية الرجم وقرا ابن كثير وابو عمرو بجعلونه ويبدونها ويخفونها بالياء جميعا لقوله تعالى وما قدروا الله وقرا الاخرون بالتاء لقوله تعالى قل من انزل الكتاب الذى جاء به موسى وقوله (وعلمتم مالم تعلموا) الاكثرون على انها خطاب لليهود يقول علمتم على لسان محمد ﷺ مالم تعلموا (انتم ولا آباؤكم) قال الحسن جعل لهم علم ما جاء به محمد صلى عليه وسلم فضيعوه ولم ينتفعوا به وقال مجاهد هذا خطاب للمسلمين يذكرهم النعمة فيما علمهم على لسان محمد ﷺ (قل الله) هذا راجع إلى قوله قل من انزل الكتاب الذى جاء به موسى فان أجابوك وإلا فقل انت الله اى قل نزل الله (ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون وهذا كتاب انزلناه مبارك) أى القران كتاب مبارك انزلناه (مصدق الذى بين يديه ولتنذر) يا محمد قرأ أبو بكر عن عاصم ولينذر بالياء اى ولينذر الكتاب (ام القرى يعنى مكة سميت ام القرى لان الارض دحيت من تحتها فهى أصل الارض

كلها كالام اصل النسل وأراد أهل ام القرى (ومن حولها) اى اهل الارض كلها شرقا وغربا (والذين يؤمنون بالاخرة يؤمنون به) بالكتاب (وهم على صلواتهم) يعنى الصلوات الخمس (يحافظون) يداومون يعنى المؤمنين

قوله عز وجل (ومن أظلم ممن افترى) اختلق (على الله كذبا) فزعم أن الله تعالى بعثه نبيا (أو قال أوحي إلي ولم يوح اليه شيء) قال قتادة نزلت في مسيلمة الكذاب وكان يسجع ويتكهن فادعى النبوة وزعم أن الله أوحى اليه وكان قد أرسل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم رسولين فقال النبي صلى الله عليه وسلم لهما (١٣٢) أتشهدان أن مسيلمة نبي قالا نعم فقال صلى الله عليه وسلم لولا ان الرسل لا تقتل لضربت

أعناقكما أخبرنا حسان بن سعيد المنيعي انا ابو طاهر الزيادي انا ابو بكر محمد بن الحسين القطان انا احمد بن يوسف السلمي انا عبد الرازق انا معمر عن همام بن منبه انا أبو هريرة قال قال رسول الله ﷺ بينا أنا نائم إذا أوتيت خزائن الأرض فوضع في يدي سواران من ذهب فكبرا علي واوهماني فأوحي إلي ان انفخهما فنفختهما فذهب فأولتهما الكذابين اللذين أنا بينهما صاحب صنعاء وصاحب اليمامة أراد بصاحب صنعاء الاسود العنسي وبصاحب اليمامة مسيلمة الكذاب (ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله) قيل نزلت في عبد الله ابن سعد بن أبي سرح وكان قد أسلم وكان يكتب للنبي ﷺ وكان إذا أملى عليه سميعا بصيرا كتب عليما حكيما وإذا قال عليما حكيما كتب غفورا رحيما فلما نزلت ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين أملاها عليه رسول الله ﷺ فعجب عبد الله من تفصيل خلق الانسان فقال تبارك الله أحسن الخالقين فقال النبي ﷺ اكتبها فهكذا نزلت فشك عبد الله وقال لئن كان محمد صادقا فقد أوحي الى كما أوحي اليه ولئن كان كاذبا فقد قلت كما يقول فارتد عن الاسلام ولحق بالمشركين ثم رجع عبد الله الى الاسلام قبل فتح مكة اذا نزل رسول الله ﷺ بمر الظهران وقال ابن عباس نزل قوله ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله يريد المستهزئين وهو جواب لقولهم لو نشاء لقلنا مثل هذا قوله عز وجل (ولو ترى) يا محمد (اذ الظالمون في غمرات الموت)

أوفاتها والمعنى أن الايمان بالاخرة يحمل على الايمان بمحمد ﷺ وذلك يحمل على المحافظة على الصلاة وفائدة تخصيص الصلاة بالذكر دون سائر العبادات التنبيه على انها أشرف العبادات بعد الايمان بالله تعالى فاذا حافظ العبد عليها يكون محافظا على جميع العبادات والطاعة * قوله عز وجل (ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا) يعني ومن أعظم خطأ وأجهل فعلا ممن اختلق على الله كذبا فزعم أن الله بعثه نبيا وهو في زعمه كذاب مبطل (أو قال أوحي إلي ولم يوح إليه شيء) قال قتادة نزلت هذه الاية في مسيلمة الكذاب ابن ثمامة وقيل مسيلمة بن حبيب من بني حنيفة وكان صاحب نيرجات وكهانة وسجع ادعى النبوة باليمن وزعم ان الله اوحى إليه وكان قد أرسل إلى رسول الله ﷺ رسولين فقال لهما رسول الله ﷺ أتشهدان ان مسيلمة نبي قالا نعم فقال لهما النبي ﷺ لولا ان الرسل لا تقتل لضربت أعناقكما (ق) عن أبي هريرة ان رسول الله ﷺ قال بينا أنا نائم إذا أوتيت خزائن الأرض فوضع في يدي سواران من ذهب فكبرا علي واوهماني فأوحي إلي ان انفخهما فنفختهما فطارا فأولتهما الكذابين الذين أنا بينهما صاحب صنعاء وصاحب اليمامة وفي لفظ الترمذي قال رسول الله ﷺ رايت في المنام كان في يدي سوارين فأولتهما كذابين يخرجان من بعدي يقال لأحدهما مسيلمة صاحب اليمامة والعنسي صاحب صنعاء قوله فأوحي إلي ان انفخهما يروى بالحاء المهملة ومعناه الرمي والدفع من نفحت الدابة برجلها اذا دفعت ورمحت ويروى بالخاء المعجمة من النفخ يريد انه نفخهما فطارا عنه وهو قريب من الاول فاما مسيلمة الكذاب فانه ادعى النبوة باليمامة من اليمن وتبعه قوم من بني حنيفة وكان صاحب نيرجات فاغتر قومه بذلك وقتل مسيلمة الكذاب في زمن خلافة ابي بكر الصديق قتله وحشي قاتل حمزة بن عبد المطلب وكان وحشي يقول قتلت خير الناس يعني حمزة وقتلت شر الناس يعني مسيلمة واما الأسود العنسي بالنون فهو عيهلة بن كعب وكان يقال له ذو الخمار ادعى النبوة باليمن في آخر عهد رسول الله ﷺ وقتل والنبي ﷺ حي لم يمت وذلك قبل موته بيومين وأخبر اصحابه بقتله وقتله فيروز الديلمي فقال النبي ﷺ فاز فيروز يعني بقتله الأسود العنسي فمن قال ان هذه الآية يعني قوله تعالى ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا أو قال اوحي الي ولم يوح اليه شيء انزلت في مسيلمة الكذاب والأسود العنسي يقول أن هذه الاية مدنية نزلت بالمدينة وهو قول لبعض علماء التفسير تقدم ذكره في أول السورة ومن قال ان هذه الاية مكية وقال انها نزلت في شأنهما يقول انها خبر عن غيب قد ظهر ذلك فيما بعد والله اعلم * وقوله تعالى (ومن قال سأنزل مثل ما انزل الله) قال السدي نزلت في عبد الله بن ابي سرح القرشي وكان قد اسلم وكان يكتب للنبي ﷺ فكان اذا أملى عليه سميعا بصيرا كتب عليما حكيما واذا املى عليه عليما حكيما كتب غفورا رحيما فلما نزلت ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين أملاها عليه رسول الله ﷺ فعجب عبد الله من تفصيل خلق الانسان فقال تبارك الله أحسن الخالقين فقال رسول الله ﷺ اكتبها فهكذا نزلت فشك عبد الله بن أبي سرح وقال لئن كان محمد صادقا فقد أوحي إلي مثل ما أوحي اليه فارتد عن الاسلام ولحق بالمشركين ثم رجع عبد الله بعد ذلك الى الاسلام فأسلم قبل فتح مكة والنبي ﷺ نازل بمر الظهران وقال ابن عباس نزل قوله ومن قاله سأنزل مثل ما أنزل الله في المستهزئين وهو جواب لقولهم لو نشاء لقلنا مثل هذا قال العلماء وقد دخل في حكم هذه الاية كل من افترى على الله كذبا في ذلك الزمان وبعده لأنه لا يمنع خصوص السبب من عموم الحكم (ولو ترى اذ الظالمون في غمرات الموت) يعني

سكراته وهى جمع غمرة كل شىء معظمه وأصلها الشىء الذى يغمر الأشياء فيغطيها ثم وضعت فى موضع الشدائد والمكاره (والملائكة باسطوا أيديهم) بالعذاب والضرب يضربون وجوههم وأدبارهم وقيل يقبضون الأرواح (اخرجوا) اى يقولون اخرجوا (أنفسكم) أى أرواحكم كرها لأن نفس المؤمن تنشط للقاء ربه والجواب محذوف يعنى ولو تراهم فى هذه الحال لرأيت عجبا (اليوم تجزون عذاب الهون اى الهوان بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون) تتعظمون عن (١٣٣) الايمان بالقران ولا تصدقونه (ولقد جئتمونا فرادى) هذا خبر من الله انه يقول للكفار يوم القيامة ولقد جئتمونا فرادى وحدانا لا مال معكم ولا زوج ولا ولد ولا خدم وفرادى جمع فردان مثل سكران وسكارى وكسلان وكسالى وقرأ الأعرج فردى بغير ألف مثل سكرى (كما خلقناكم أول مرة) عراة حفاة غرلا (وتركتم) وخلفتم (ماخولناكم) أعطيناكم من الأموال والأولاد والخدم (وراء ظهوركم) فى الدنيا (وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء) وذلك أن المشركين زعموا أنهم يعبدون الأصنام لانهم شركاء الله وشفعاؤهم عنده (لقد تقطع بينكم) قرأ أهل المدينة والكسائى وحفص عن عاصم بنصب النون على معنى لقد تقطع ما بينكم من الوصل أو تقطع الامر بينكم برفع النون اى لقد تقطع وصلكم وذلك مثل قوله وتقطعت بهم الاسباب اى الوصلات والبين من الاضداد يكون وصلا ويكون هجرا (وضل عنكم ما كنتم تزعمون) قوله عز وجل (إن الله فالق الحب والنوى) الفلق الشق قال الحسن وقتادة والسدى معناه يشق الحبة عن السنبلة والنواة عن النخلة فيخرج منها والحب جمع الحبة وهى اسم لجميع البذور والحبوب من البر والشعير والذرة وكل ما لم يكن له نوى وقال الزجاج يشق الحبة اليابسة والنواة اليابسة فيخرج منهما ورقا اخضر وقال مجاهد يعنى الشقين اللذين فيهما اى يشق عن النبات ويخرجه منه ويشق النوى عن النخل ويخرجها منه والنوى جمع النواة وهى كل ما لم يكن له حب كالتمر والمشمش والخوخ ونحوها وقال الضحاك فالق الحب والنوى يعنى

ولو ترى يا محمد هؤلاء الظالمين إذ انزل بهم الموت لرأيت امرا عظيما وغمراته شدائده وسكراته وغمرة كل شىء معظمه وأصلها الشىء الذى يغمر الاشياء فيغطيها ثم وضعت فى موضع الشدائد والمكاره (والملائكة باسطوا أيديهم) يعنى بالعذاب يضربون وجوههم وأدبارهم وقيل باسطوا أيديهم لقبض أرواحهم (اخرجوا أنفسكم) يعنى يقولون لهم أخرجوا أنفسكم * فان قلت أنه لا قدرة لاحد على اخراج روحه من بدنه فما فائدة هذا الكلام * قلت معناه يقولون لهم أخرجوا انفسكم كرها لان المؤمن يحب لقاء الله بخلاف الكافر وقيل معناه يقولون لهم خلصوا أنفسكم من هذا العذاب ان قدرتم على ذلك فيكون هذا القول توبيخا لهم لانهم لا يقدرون على خلاص انفسهم من العذاب فى ذلك الوقت (اليوم تجزون عذاب الهون) يعنى الهوان (بما كنتم تقولون على الله غير الحق) يعنى ذلك العذاب الذى تجزونه بسبب ما كنتم تقولون على الله غير الحق (وكنتم عن اياته تستكبرون) يعنى وبسبب ما كنتم تتعظمون عن الايمان بالقران ولا تصدقونه * قوله تعالى (ولقد جئتمونا فرادى) يعنى وحدانا لا مال معكم ولا زوج ولا ولد ولا خدم وهذا خبر من الله عز وجل عن حال الكافرين يوم القيامة وكيف يحشرون إليه وماذا يقول لهم فى ذلك اليوم وفى قوله للكافرين ولقد جئتمونا فرادى تقريع وتوبيخ لهم لأنهم صرفوا همهم فى الدنيا إلى تحصيل المال والولد والجاه وأفنوا أعمارهم فى عبادة الاصنام فلم يغن عنهم كل ذلك شيئا يوم القيامة فبقوا فرادى عن كل ما حصلوه فى الدنيا (كما خلقناكم أول مرة) يعنى جئتمونا حفاة عراة غرلا يعنى قلفا كما ولدتهم امهاتهم فى اول مرة فى الدنيا لا شىء عليهم ولا معهم (ق) عن ابن عباس قال قام فينا رسول الله ﷺ بموعظة فقال أيها الناس انكم تحشرون إلى الله حفاة عراة غرلا كما بدأنا اول خلق نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين (ق) عن عائشة قالت سمعت رسول الله ﷺ يقول تحشر الناس حفاة عراة غرلا قالت عائشة فقلت الرجال والنساء جميعا ينظر بعضهم إلى بعض قال الامر اشد من ان يهمهم ذلك روى الطبرى بسنده عن عائشة انها قرأت قول الله عز وجل ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة فقالت يا رسول الله واسوأتاه الرجال والنساء يحشرون جميعا ينظر بعضهم إلى سوأة بعض فقال رسول الله ﷺ لكل امرىء منهم يومئذ شىء يغنيه لا ينظر الرجال إلى النساء ولا النساء إلى الرجال شغل بعضهم عن بعض * وقوله تعالى (وتركتم ماخولناكم وراء ظهوركم) يعنى وتركتم الذى اعطيناكم ومنكناكم من الاموال والاولاد والخدم والخول وكل ما اعطى الله لعبد خوله فيه من المال والعبيد وراء ظهوركم يعنى فى الدنيا (وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم انهم فيكم شركاء) يعنى ان المشركين زعموا انهم إنما عبدوا هذه الاصنام لانها تشفع لهم عند الله يوم القيامة لانها شركاء الله تعالى الله عن ذلك فاذا كان يوم القيامة وبخ الله المشركين وقرعهم بهذه الآية ثم قال تعالى (لقد تقطع بينكم) قرىء بنصب النون من بينكم ومعناه لقد تقطع ما بينكم من الوصل أو يكون معناه لقد تقطع الامر بينكم وقرىء بينكم برفع النون ومعناه لقد تقطع وصلكم والبين من الاضداد يكون وصلا ويكون هجرا (وضل عنكم ما كنتم تزعمون) يعنى وذهب وبطل ما كنتم تكذبون فى الدنيا * قوله عز وجل (إن الله فالق الحب والنوى) لما تقدم الكلام على تقرير التوحيد وتقرير النبوة أردفه بذكر الدلائل على كمال قدرته وعلمه وحكمته تنبيها بذلك على ان المقصود الاعظم هو معرفة الله سبحانه وتعالى بجميع صفاته وافعاله وانه مبدع الاشياء وخالقها ومن كان كذلك كان هو المستحق للعبادة لا هذه الاصنام التى كانوا

يعبدونها وتعريفا منه خطأ ما كانوا عليه من الاشراك الذى كانوا عليه والمعنى أن الذى يستحق العبادة دون غيره هو الله الذى فلق الحب عن النبات والنواة عن النخلة فى معنى فلق قولان احدهما انه بمعنى خلق ومعنى الاية على هذا القول أن الله خالق الحب والنوى وهو قول ابن عباس فى رواية العوفى عنه وبه قال الضحاك ومقاتل قال الواحدى ذهبوا بفالق مذهب فاطر وأنكر الطبرى هذا القول وقال لا يعرف فى كلام العرب فلق الله الشىء بمعنى خلق ونقل الأزهرى عن الزجاج جوازه فقال وقيل الفلق الخلق وإذا تأملت الخلق تبين لك ان اكثره على انفلاق ومعنى هذا الكلام ان جميع الأشياء كانت قبل الوجود فى العدم فلما أوجدها الله تعالى وأخرجها من العدم إلى الوجود فكانه فلقها وأظهرها والقول الثانى وهو قول الاكثرين ان الفلق هو الشق ثم اختلفوا فى معناه على قولين أحدهما وهو مروى عن ابن عباس قال فلق الحب عن السنبلة والنواة عن النخلة وهو قول الحسن والسدى وابن زيد قال الزجاج يشق الحبة اليابسة والنواة اليابسة فيخرج منها ورقا أخضر والقول الثانى وهو قول مجاهد انه الشقان اللذان فى الحب والنوى والحب الذى ليس له نوى كالحنطة والشعير والأرز وما اشبه ذلك والنوى جمع نواة وهى ما كان على ضد الحب كالرطب والخوخ والمشمش وما أشبه ذلك ومعنى قوله فالق الحب والنوى أنه إذا وقعت الحبة والنواة فى الأرض الرطبة ثم مر على ذلك قدر من الزمان أظهر الله تبارك وتعالى من تلك الحبة ورقا أخضر ثم يخرج من ذلك الورق سنبلة يكون فيها الحب ويظهر من النواة شجرة صاعدة فى الهواء وعروقا ضاربة فى الأرض فسبحان من أوجد جميع الأشياء بقدرته وابداعه وخلقه * وقوله تعالى (يخرج الحى من الميت ومخرج الميت من الحى) قال ابن عباس فى رواية عنه يخرج من النطفة بشرا حيا ويخرج النطفة الميتة من الحى وهذا قول الكلبى ومقاتل قال الكلبى يخرج النسمة الحية من النطفة الميتة ويخرج الفرخة من البيضة ويخرج النطفة الميتة والبيضة الميتة من الحى وقال ابن عباس فى رواية أخرى يخرج المؤمن من الكافر ويخرج الكافر من المؤمن فجعل الايمان بمنزلة الحياة والكفر بمنزلة الموت هذا قول الحسن وقيل معناه يخرج الطائع من العاصى والعاصى من الطائع وقال السدى يخرج النبات من الحب والحب من النبات وهذا اختيار الطبرى لانه قال عقب قوله إن الله فالق الحب والنوى * فان قلت كيف قال ومخرج الميت من الحى بلفظ اسم الفاعل بعد قوله يخرج الحى من الميت وما السبب فى عطف الاسم على الفعل * قلت قوله ومخرج الميت من الحى عطف على قوله فالق الحب والنوى وقوله يخرج الحى من الميت كالبيان والتفسير لقوله فالق الحب والنوى لان فلق الحب والنوى واليابس وإخراج النبات والشجر منه من اخراج الحى من الميت لان النامى من النبات فى حكم الحيوان وقوله (ذلكم الله) يعنى ذلكم الله المدبر الخالق الصانع لهذه الاشياء المحى المميت لها (فانى تؤفكون) يعنى فانى تصرفون عن الحق فتعبدون غير الله الذى هو خالق الاشياء كلها وفيه دليل أيضا على صحة البعث بعد الموت لان القادر على اخراج البدن من النطفة قادر على اخراجه من التراب للحساب قوله تعالى (فالق الاصباح) أى شاق عمود الصبح عن ظلمة الليل وسواده والاصباح مصدر سمى به الصبح وقال الزجاج الاصباح والصبح واحد وهما أول النهار * فان قلت ظاهر الاية يدل على أنه تعالى فلق الصبح والظلمة هى التى تنفلق بالصبح فما معنى ذلك * قلت ذكر العلماء فيه وجوها الاول ان يكون المراد فالق ظلمة الصبح وذلك لان الصبح صبحان فالصبح الأول هو البياض المستطيل الصاعد فى الافق كذنب السرحان وهو الذئب ثم تعقبه ظلمة بعد ذلك ويسمى هذا الصبح الفجر الكاذب لانه يبدو فى الافق الشرقى ثم يضمحل ويذهب ثم يطلع بعده الصبح الثانى وهو الضوء المستطير فى جميع الافق الشرقى ويسمى الفجر الصادق لانه ليس بعده ظلمة والحاصل من هذا أن يكون المعنى فالق ظلمة الصبح الاول بنور الصبح الثانى الوجه الثانى انه تعالى كما شق ظلمة الليل بنور الصباح فكذلك يشق نور الصبح بضياء النهار فيكون معنى قوله فالق الاصباح

خالق الحب والنوى (يخرج الحى من الميت ومخرج الميت من الحى ذلكم الله فانى تؤفكون) تصرفون عن الحق فالق الاصباح شاق عمود الصبح عن ظلمة الليل وكاشفه وقال الضحاك خالق النهار والاصباح مصدر كالاقبال والادبار وهو الاضاءة وأراد به الصبح وهو أول ما يبدو من النهار يريد ومبدى الصبح وموضحه

(وجعل الليل سكنا) يسكن فيه خلقه وقرأ أهل الكوفة وجعل على الماضي الليل نصب اتباعا للمصحف وقرأ إبراهيم النخعي فالق الاصباح وجعل الليل سكنا (والشمس والقمر حسبانا) أي جعل الشمس والقمر بحساب معلوم لا يجاوزانه حتى يبلغا إلى اقصى منازلهما والحسبان مصدر كالحساب وقيل جمع حساب (ذلك تقدير العزيز العليم) قوله عز وجل (وهو الذي جعل لكم النجوم) أي خلقها لكم (لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر) والله تعالى خلق النجوم لفوائد احدها هذا وهو ان راكب السفينة والسائر في القفار يهتدي بها في الليالي إلى مقاصدهم والثاني انها زينة للسماء كما قال ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح ومنها رمي الشيطان كما قال وجعلناها رجوما للشياطين (قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون وهو الذي انشاكم) خلقكم وابتدأكم (من نفس واحدة) يعني آدم عليه السلام (فمستقر ومستودع) وقرأ ابن كثير واهل البصرة فمستقر بكسر القاف يعني فمنكم مستقر ومنكم مستودع وقرأ الاخرون بفتح القاف اي فلكم مستقر ومستودع واختلفوا في المستقر والمستودع قال عبد الله بن مسعود فمستقر في الرحم إلى أن يولد ومستودع في القبر إلى ان يبعث وقال سعيد بن جبير وعطاء فمستقر في ارحام الامهات ومستودع في أصلاب الاباء وهو رواية عكرمة عن ابن عباس قال سعيد ابن جبير قال لي ابن عباس هل تزوجت قلت لا قال اما انه ما كان مستودعا في ظهرك فسيخرجه الله عز وجل وروى عن ابي انه قال مستقر في أصلاب الآباء ومستودع في أرحام الأمهات وقيل مستقر في الرحم ومستودع فوق الارض قال الله تعالى ولكم في الارحام ما نشاء وقال مجاهد مستقر على ظهر الأرض في الدنيا ومستودع عند الله في الاخرة ويدل عليه قوله تعالى ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين وقال الحسن المستقر في القبر والمستودع في الدنيا وكان يقول يا ابن آدم انت وديعة في أهلك ويوشك ان تلحق بصاحبك وقيل المستودع القبر والمستقر الجنة والنار لقوله عز وجل في صفة أهل الجنة النار حسنت مستقرا ومقاما وفي صفة أهل النار ساءت مستقرا

أي فالق الاصباح بنور النهار الوجه الثالث ان يراد فالق ظلمة الاصباح وهي الغبش في آخر الليل الذي يلي الصبح الوجه الرابع ان يكون المعنى فالق الاصباح الذي هو عمود الفجر إذا تصدع الفجر وانفلق وسمي الفجر فلقا بمعنى مفلوق الوجه الخامس الفلق بمعنى الخلق يعني خالق الاصباح وعلى هذا القول يزول الاشكال والصبح هو الضوء الذي يبدو اول النهار والمعنى انه تعالى مبدئ ضوء الصبح وخالقه ومنوره قوله تعالى (وجعل الليل سكنا) السكن ما سكنت اليه واستراحت به يريد ان الناس يسكنون في الليل سكون راحة لأن الله جعل الليل لهم كذلك قال ابن عباس ان كل ذي روح يسكن فيه لان الإنسان قد اتعب نفسه في النهار فاحتاج إلى زمان يستريح فيه ويسكن عن الحركة وذلك هو الليل (والشمس والقمر حسبانا) يعني انه تعالى قدر حركة الشمس والقمر في الفلك بحسبان معين قال ابن عباس بجريان إلى اجل جعل لهما يعني عدد الايام والشهور والسنين وقال الكلبي منازلهما بحسبان لا يجاوزانه حتى ينتهيا إلى أقصى منازلهما (ذلك) اشارة إلى ما تقدم ذكره في هذه الاية من الأشياء التي خلقها بقدرته وكمال علمه وهو المراد بقوله تقدير العزيز العليم) فالعزيز اشارة إلى كمال قدرته والعليم إشارة إلى كمال علمه * قوله عز وجل (وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر) جعل هنا بمعنى خلق يعني والله الذي خلق لكم هذه النجوم ادلة لتهتدوا بها إذا ضللتم الطريق وتحيرتم فيه فامتن الله على عباده بان جعل لهم النجوم لهتدوا بها في المسالك والطرق في البر والبحر الى حيث يريدون ويستدلون بالنجوم ايضا على القبلة فيستدلون على ما يريدون في النهار بحركة الشمس وفي الليل بحركة الكواكب ومن منافعها ايضا انه تعالى خلقها زينة للسماء ورجوما للشياطين كما قال ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين (قد فصلنا الايات) يعني قد بينا الايات الدالة على توحيدنا وكمال قدرتنا (لقوم يعلمون) ان ذلك مما يستدل به على وجود الصانع المختار وكمال علمه وقدرته * قوله تعالى (وهو الذي انشاكم من نفس واحدة) يعني والله الذي ابتدأ خلقكم ايها الناس من ادم عليه السلام فهو ابو البشر كلهم وحواء مخلوقة منه وعيسى ايضا لأن ابتداء خلقه من مريم وهي من بنات ادم فثبت ان جميع الخلق من ادم عليه السلام (فمستقر ومستودع) قرىء فمستقر بكسر القاف وفتحها يقال فرق مكانه واستقر فمن كسر القاف قال المستقر بمعنى القار والمعنى منكم مستقر يعني في الارحام ومن فتح القاف جعله مكانا فالمستقر نفس المقر فيكون المعنى لكم مقر واما المستودع فهو مثل اودع فيجوز ان يكون اسما للانسان الذي استودع ذلك المكان ويجوز ان يكون المكان نفسه فمن قرا فمستقر بفتح القاف جعل المستودع مكانا والمعنى فلكم مكان استقرار ومكان استيداع ومن كسر القاف جعل المعنى منكم مستقر ومنكم مستودع يعني منكم من استقر ومنكم من استودع والفرق بين المستقر والمستودع ان المستقر اقرب إلى الثبات من المستودع لان المستقر من القرار والمستودع معرض لان يرد ولهذا اختلفت عبارات المفسرين في معنى هذين اللفظين فروى عن ابن عباس انه قال المستقر في ارحام الامهات والمستودع في اصلاب الاباء ثم قرأ ونقر في الارحام ما نشاء ويؤيد هذا القول ان النطفة لا تبقى في صلب الاب زمانا طويلا والجنين يبقى في بطن الام زمانا طويلا ولما كان المكث في بطن الام اكثر من صلب الاب حمل المستقر على الرحم والمستودع على الصلب وروى عنه انه قال بالعكس يعني ان المستقر صلب الاب والمستودع رحم الام ووجه هذا القول ان النطفة حصلت في صلب الاب قبل رحم الام فوجب حمل المستقر على الصلب

ومقاما (قد فصلنا الايات لقوم يفقهون) وهو الذى أنزل من السماء ماء فاخرجنا به) أى بالماء (نبات كل شىء فأخرجنا منه) من الماء. وقيل من النبات (خضرا) يعنى اخضر مثل العور والاعور يعنى ما كان رطبا اخضر مما ينبت من القمح والشعير ونحوهما (نخرج منه حبا متراكبا) اى متراكبا بعضه على بعض مثل سنابل البر والشعير والأرز وسائر الحبوب (ومن النخل من طلعها) والطلع اول ما يخرج من ثمر النخل (قنوان) جمع قنو وهو العذق مثل صنو وصنوان ولا نظير لهما فى الكلام (دانية) اى قريبة المتناول ينالها القائم والقاعد وقال مجاهد متدلية وقال الضحاك قصار ملتزقة بالارض وفيه اختصار معناه ومن النخل ما قنوانها دانية ومنها ماهى بعيدة فاكتفى بذكر القريبة عن البعيدة لسبقه إلى الافهام كقوله تعالى سرابيل تقيكم الحر يعنى الحر والبرد فاكتفى بذكر احدهما (وجنات من اعناب) اى واخرجنا منه جنات وقرا الاعمش عن عاصم وجنات بالرفع نسقا على قوله قنوان وعامة القراء على خلافه (والزيتون والرمان) يعنى وشجر الزيتون وشجر الرمان (مشتبها وغير متشابه) قال قتادة معناه مشتبها ورقها مختلفا ثمرها لان ورق الزيتون يشبه ورق الرمان وقيل مشتبه فى المنظر مختلف فى الطعم (انظروا إلى ثمره) قرأ حمزة والكسائى بضم الثاء والميم هذا وما بعده وفى يس على جمع الثمار وقرا الاخرون بفتحهما على جمع الثمرة مثل بقرة وبقر (إذا أثمر وينعه) ونضجه وإدراكه (ان فى ذلكم لايات لقوم يؤمنون) قوله عز وجل (وجعلوا لله شركاء الجن) يعنى الكافرين

والمستودع على الرحم وقال ابن مسعود المستقر فى الرحم إلى ان يولد والمستودع فى القبر إلى ان يبعث وقال مجاهد المستقر على ظهر الارض فى الدنيا لقوله ولكم فى الارض مستقر ومتاع إلى حين والمستودع عند الله فى الآخرة وقال الحسن المستقر فى القبر والمستودع فى الدنيا وكان يقول يا ابن آدم انت مستودع فى أهلك إلى ان تلحق بصاحبك يعنى القبر وقيل المستودع فى القبر واما المستقر إما فى الجنة والنار لان المقام فيهما يقتضى الخلود والتابيد (قد فصلنا الايات) قد بينا الدلائل الدالة على التوحيد بالبراهين الواضحة والحجج القاطعة (لقوم يفقهون) يعنى لقوم يفهمون عن الله آياته ودلائله الدالة على توحيده لان الفقه هو الفهم قوله عز وجل (وهو الذى انزل من السماء ماء) يعنى المطر وقيل ان الله ينزل المطر من السماء إلى السحاب ومن السحاب إلى الارض (فاخرجنا به) يعنى بالماء الذى انزلناه من السماء (نبات كل شىء) يعنى كل شىء ينبت وينمو من جميع اصناف النبات وقيل معناه اخرجنا بالماء الذى انزلناه من السما غذاء كل شىء من الانعام والبهائم والطير والوحش وارزاق بنى آدم وافواتهم مما يتخذون به فينبتون عليه وينمون (فاخرجنا منه خضرا) يريد اخضر مثل عور واعور والاخضر هو جميع الزروع والبقول الرطبة (نخرج منه حبا متراكبا) يعنى يخرج من ذلك الاخضر سنابل فيها الحب يركب بعضها فوق بعض مثل سنبل القمح والشعير والارز والذرة وسائر الحبوب وفى تقديم الزرع على النخل دليل على الافضلية ولان حاجة الناس إليه اكثر لانه القوت المالوف (ومن النخل من طلعها قنوان دانية) يعنى من ثمرها يقال اطلعت النخلة إذا اخرجت طلعها وطلعها كفراها قبل ان ينشق عن الاغريض والاغريض يسمى طلعا ايضا وهو ما يكون فى قلب الطلع والطلع اول ما يبدو ويخرج من ثمر النخل كالكيزان يكون فيه العذق فاذا شق عنه كيزانه سمى عذقا وهو القنو وجمعه قنوان مثل صنو وصنوان دانية اى قريبة التناول ينالها القائم والقاعد وقال مجاهد متدلية وقال الضحاك قصار ملتصقة بالارض وفيه اختصار وحذف تقديره ومن النخل ما قنوانها دانية قريبة ومنها ماهى بعيدة عالية فاكتفى بذكر القريبة عن البعيدة لشدة الاهتمام بها ولأنها أسهل تناولا من البعيدة لان البعيدة تحتاج إلى كلفة (وجنات من اعناب) يعنى واخرجنا من ذلك بساتين من اعناب (والزيتون والرمان) يعنى واخرجنا شجر الزيتون وشجر الرمان (مشتبها) قال قتادة مشتبها ورقها مختلفا ثمرها لان ورق الزيتون يشبه ورق الرمان (وغير متشابه) يعنى ومنها غير متشابه فى الورق والطعم واعلم ان الله تعالى ذكر فى هذه الاية اربعة انواع من الشجر بعد ذكر الزرع وإنما قدم الزرع على سائر الاشجار لان الزرع غذاء وثمار اشجار فواكه والغذاء مقدم على الفواكه وإنما قدم النخلة على غيرها لان ثمرتها تجرى مجرى الغذاء وفيها من المنافع والخواص ما ليس فى غيرها من الاشجار وإنما ذكر العنب عقب النخلة لانها من اشرف انواع الفواكه ثم ذكر عقيبه الزيتون لما فيه من البركة والمنافع الكثيرة فى الاكل وسائر وجوه الاستعمال ثم ذكر عقيبه الرمان لما فيه من المنافع ايضا لانه فاكهة ودواء ثم قال تعالى (انظروا إلى ثمره إذا اثمر وينعه) يعنى ونضجه وإدراكه والمعنى انظروا نظر استدلال واعتبروا كيف اخرج الله تعالى هذه الثمرة الرطبة اللطيفة من هذه الشجرة الكثيفة اليابسة وهو قوله (ان فى ذلكم لايات لقوم يؤمنون) يعنى يصدقون ان الذى اخرج هذا النبات وهذه الثمار قادر على ان يحيى الموتى ويبعثهم وإنما احتج الله عليهم بتصريف ما خلق ونقله من حال إلى حال وهو ما يعلمونه قطعا ويشاهدونه من احياء الارض بعد موتها وإخراج سائر انواع النبات والثمار منها وانه لا يقدر على ذلك أحد إلا الله تعالى ليبين أنه تعالى كذلك قادر على أن يحييهم بعد موتهم ويبعثهم يوم القيامة فاحتج عليهم بهذه الاشياء لانهم ينكرون البعث * قوله تعالى (وجعلوا لله شركاء الجن) قال الحسن معناه اطاعوا الجن فى عبادة الاوثان وهو اختيار الزجاج قال معناه أنهم أطاعوا الجن فيما سولت لهم من شركهم فجعلوهم شركاء لله وقال الكلبى نزلت فى الزنادقة أثبتوا الشرك لاثنين

جعلوا الله شركاء الجن (وخلقهم) يعنى وهو خلق الجن قال الكلبى نزلت فى الزنادقة أثبتوا الشركة

لاثنتين فى الخلق فقالوا الله خالق النور والناس والدواب والأنعام وإبليس خالق الظلمة والسباع والحيات والعقارب ونقل هذا القول ابن الجوزى عن ابن السائب ونقله الرازى عن ابن عباس قال الامام فخر الدين وهذا مذهب المجوس وإنما قال ابن عباس هذا قول الزنادقة لان المجوس يلتبسون بالزندقة لان الكتاب الذى زعم زردشت انه نزل من السماء سماه بالزند والمنسوب اليه زندى ثم عرب فقيل زنديق فاذا جمع قيل زنادقة ثم أن المجوس قالوا كل ما يكون فى هذا العالم من الخير فهو من يزدان يعنى النور وجميع ما فى العالم من الشر فهو من الظلمة يعنى إبليس ثم اختلف المجوس فالأكثرون منهم على أن إبليس محدث ولهم فى كيفية حدوثه أقوال عجيبة والأقلون منهم قالوا انه قديم وعلى كلا القولين فقد اتفقوا على أنه شريك الله فى تدبير هذا العالم فما كان من خير فمن الله وما كان من شر فهو من إبليس تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا * فان قلت فعلى هذا القول إنما أثبتوا لله شريكا واحدا وهو إبليس فكيف حكى الله أنهم جعلوا له شركاء * قلت أن إبليس له أعوان من جنسه وحزبه وهم شياطين الجن يعملون أعمالا فصح ما حكاه الله عنهم من أنهم جعلوا له شركاء الجن ومعنى الآية وجعلوا الجن شركاء الله واختلفوا فى معنى هذه الشركة فمن قال ان الاية فى كفار العرب قال انهم لما أطاعوا الجن فيما أمروهم به من الأصنام فقد جعلوهم شركاء لله ومن قال انهم فى المجوس قال انهم أثبتوا إلهين اثنين النور والظلمة وقيل إن كفار العرب قالوا إن الملائكة بنات الله وهم شركاؤه فعلى هذا القول فقد جعلوا الملائكة من الجن وذلك لأنهم مستورون عن الأعين * وقوله (وخلقهم) فى معنى الكناية قولان أحدهما انها تعود إلى الجن فيكون المعنى والله خلق الخلق فكيف يكون شريك الله من هو محدث مخلوق والقول الثانى أن الكناية تعود إلى الجاعلين لله شركاء فيكون المعنى وجعلوا لله الذى خلقهم شركاء لا يخلقون شيئا وهذا كالدليل القاطع بأن المخلوق لا يكون شريكا لله وكل ما فى الكون محدث مخلوق والله تعالى هو الخالق لجميع ما فى الكون فامتنع أن يكون لله شريك فى ملكه (وخرقوا له بنين وبنات بغير علم) أى اختلفوا وكذبوا يقال اختلق واخترق على فلان إذا كذب عليه وذلك أن النصارى وطائفة من اليهود ادعوا أن لله ابنا وكفار العرب ادعوا أن الملائكة بنات الله وكذبوا على الله جميعا فيما ادعوه وقوله بغير علم كالتنبيه على ما هو الدليل القاطع على فساد هذا القول لأن الولد جزء من الأب والله سبحانه وتعالى لا يتجزأ فثبت بهذا فساد قول من يدعى أن لله ولدا ثم نزه الله تعالى نفسه عن اتخاذ الولد وهذه هى الأقاويل الفاسدة فقال تعالى (سبحانه وتعالى عما يصفون) فقوله سبحانه فيه تنزيه الله عن كل ما يليق بجلاله وقوله تعالى يعنى هو المتعالى عن كل اعتقاد باطل وقول فاسد أى ويكون المعنى المتعالى عن اتخاذ الولد والشريك وقوله عما يصفونه به من الكذب * قوله عز وجل (بديع السموات والأرض) الابداع عبارة عن تكوين الشىء على غير مثال سبق والله تعالى خلق السموات والأرض على غير مثال سبق (أنى يكون له ولد) يعنى من أين يكون له ولد (ولم تكن له صاحبة) لأن الولد لا يكون إلا من صاحبة أنثى ولا ينبغى أن تكون لله صاحبة لانه ليس كمثله شىء (وخلق كل شىء) يعنى أن الصاحبة والولد فى جملة من خلق لانه خالق كل شىء ليس كمثله شىء فكيف يكون الولد لمن لا مثل له وإذا نسب الولد والصاحبة اليه فقد جعل له مثل والله تعالى منزه عن المثلية وهذه الاية حجة قاطعة على فساد قول النصارى (وهو بكل شىء عليم) يعنى انه تعالى عالم بجميع خلقه لا يعزب عن علمه شىء وعلمه محيط بكل شىء * قوله تعالى (ذلكم الله ربكم) يعنى ذلكم الله الذى من صفته انه خلق السموات والارض وابدعهما على غير مثال سبق وأنه بكل شىء عليم هو ربكم الذى يستحق العبادة لا من تدعون من دونه من الاصنام لانها جمادات لا تخلق ولا تضر ولا تنفع ولا تعلم والله تعالى هو الخالق الضار النافع (لا إله إلا هو خالق كل شىء فاعبدوه) يعنى انه هو الذى يستحق العبادة فاعبدوه وأطيعوه (وهو على كل شىء وكيل) يعنى انه هو تعالى على كل شىء خالق رهيب حفيظ يقوم بارزاق جميع خلقه * قوله عز وجل (لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار) قال جمهور المفسرين معنى الادراك الاحاطة بكنه الشىء وحقيقته فالابصار

النور والناس والدواب والأنعام وإبليس خالق الظلمة والسباع والحيات والعقارب وهذا كقوله وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا وإبليس من الجن (وخرقوا) قرأ أهل المدينة وخرقوا بتشديد الراء على التكثير وقرأ الاخرون بالتخفيف أى اختلقوا (له بنين وبنات بغير علم) وذلك مثل قول اليهود عزير ابن الله وقول النصارى المسيح ابن الله وقول كفار مكة الملائكة بنات الله ثم نزه نفسه فقال (سبحانه وتعالى عما يصفون بديع السموات والأرض) أى مبدعها لا على مثال سبق (أنى يكون له ولد) أى كيف يكون له ولد (ولم تكن له صاحبة) زوجة (وخلق كل شىء وهو بكل شىء عليم ذلكم الله ربكم لا إله إلا هو خالق كل شىء فاعبدوه) فأطيعوه (وهو على كل شىء وكيل) بالحفظ له والتدبير (لا تدركه الأبصار وهو يدرك الابصار) يتمسك أهل الاعتزال بظاهر هذه الآية فى نفى رؤية الله عز وجل عيانا ومذهب أهل السنة إثبات رؤية الله عز وجل عيانا قال الله تعالى وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة قال كلا إنهم عن

ربهم يومئذ لمحجوبون قال مالك رضى الله عنه لو لم ير المؤمنون ربهم يوم القيامة لم يعير الله الكفار

ترى الباري، جل جلاله ولا يحيط به كما ان القلوب تعرفه ولا تحيط به وقال سعيد بن المسيب في تفسيره قوله لا تدركه الأبصار ولا تحيط به الأبصار وقال ابن عباس كلت أبصار المخلوقين عن الإحاطة به

﴿فصل﴾ تمسك بظاهر الآية قوم من أهل البدع وهم الخوارج والمعتزلة وبعض المرجئة وقالوا إن الله تبارك وتعالى لا يراه أحد من خلقه وأن رؤيته مستحيلة عقلا لأن الله أخبر ان الأبصار لا تدركه وإدراك البصر عبارة عن الرؤية إذ لا فرق بين قوله أدركته ببصري ورأيته ببصري فثبت بذلك أن قوله لا تدركه الابصار بمعنى لا تراه الابصار وهذا يفيد العموم ومذهب أهل السنة أن المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة وفي الجنة وان رؤيته غير مستحيلة عقلا واحتجوا لصحة مذهبهم بظاهر أدلة الكتاب والسنة واجماع الصحابة ومن بعدهم من سلف الامة على اثبات رؤية الله تبارك وتعالى للمؤمنين في الاخرة قال الله تبارك وتعالى وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة فني هذه الاية دليل على أن المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة وقال تعالى كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون قال الشافعي رحمه الله حجب قوما بالمعصية وهي الكفر فثبت أن قوما يرونه بالطاعة وهي الايمان وقال مالك ولم ير المؤمنون ربهم يوم القيامة لم يعير الكفار بالحجاب وقال تعالى للذين أحسنوا الحسنى وزيادة وفسروا هذه الزيادة بالنظر إلى وجه الله تبارك وتعالى يوم القيامة وأما دلائل السنة فما روى عن جرير بن عبد الله البجلي قال كنا عند رسول الله ﷺ فنظر إلى القمر ليلة البدر وقال انكم سترون ربكم عيانا كما ترون هذا القمر تمامضون في رؤيته فان استطعتم أن لا تغلبوا عن صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا ثم قرأ وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب أخرجه البخاري ومسلم عن أبي هريرة أن ناسا قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة قال رسول الله ﷺ هل تمامضون في القمر ليلة البدر قالوا لا يا رسول الله قال تمامضون في الشمس ليس دونها سحاب قالوا لا يا رسول الله قال رسول الله ﷺ فانكم ترونه كذلك أخرجه أبو داود وأخرجه الترمذي وليس عنده في أوله أن اناسا سالوا ولا في آخره ليس دونها سحاب عن أبي رزين العقيلي قال قلت يا رسول الله اكلنا يرى ربه مخليا به يوم القيامة قال نعم قلت وما اية ذلك من خلقه قال يا أبا رزين أليس كلكم يرى القمر ليلة البدر مخليا به قلت بلى قال فالله أعظم انما هو خلق من خلق الله يعني القمر فالله أجل وأعظم أخرجه ابو داود وأما الدلائل العقلية فقد احتج أهل السنة أيضا بهذه الاية على جواز رؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة وتقريره انه تعالى تمدح بقوله لا تدركه الابصار فلو لم يكن جائز الرؤية لما حصل هذا التمدح لان المعدوم لا يصح التمدح به فثبت أن قوله لا تدركه الابصار يفيد المدح وهذا يدل على انه تعالى جائز الرؤية وتحقيق هذا أن الشيء إذا كان نفسه بحيث تمتنع رؤيته فحينئذ لا يلزم من عدم رؤيته مدح وتعظيم أما إذا كان في نفسه جائز الرؤية ثم انه قدر على حجب الابصار عنه كانت القدرة دالة على المدح والعظمة فثبت أن هذه الاية دالة على أنه تعالى جائز الرؤية وإذا ثبت هذا واجب القطع بأن المؤمنين يرونه يوم القيامة لان موسى ﷺ سال الرؤية بقوله أرني انظر اليك وذلك يدل على جواز الرؤية إذ لا يسأل نبي مثل موسى ما لا يجوز ويمتنع وقد علق الله الرؤية على استقرار الجبل بقوله فان استقر مكانه فسوف ترآني استقرار الجبل جائز والمعلق على الجائز جائز وأما الجواب عن تمسك المعتزلة بظاهر هذه الاية في نفي الرؤية فاعلم ان الادراك غير الرؤية لان الادراك هو الاحاطة بكنه الشيء وحقيقته والرؤية المعاينة للشيء من غير إحاطة وقد تكون الرؤية بغير ادراك كما قال تعالى في قصة موسى قال أصحاب موسى إنا لمدركون قال كلا وكان قوم فرعون قد راوا قوم موسى ولم يدركوهم لكن قاربوا ادراكهم اياهم فنفى موسى الإدراك مع اثبات الرؤية بقوله كلا والله تعالى يجوز أن يرى في الاخرة من غير إدراك ولا إحاطة لان الادراك هو الاحاطة بالمرئي وهو ما كان محدودا وله جهات والله تعالى منزه عن الحد والجهة لانه القديم الذي لا نهاية لاجوده فعلى هذا أنه تعالى يرى ولا يدرك وقال قوم ان الاية مخصوصة بالدنيا قال ابن عباس في معنى الآية لا تدركه الابصار في الدنيا وهو يرى في الآخرة وعلى هذا القول فلا فرق بين الادراك والرؤية قالوا ويدل على هذا التخصيص قوله وجوه يومئذ

بالحجاب وقرأ النبي ﷺ للذين أحسنوا الحسنى وزيادة وفسره بالنظر إلى وجه الله عز وجل أخبرنا عبد الواحد المليحي انا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا يوسف بن موسى ثنا عاصم بن يوسف اليربوعي أنا أبو شهاب عن اسمعيل ابن أبي خالد عن قيس بن حازم عن جرير بن عبد الله قال قال النبي ﷺ انكم سترون ربكم عيانا وأما قوله لا تدركه الابصار علم أن الادراك غير الرؤية لان الادراك هو الوقوف على كنه الشيء والاحاطة به الرؤية المعاينة وقد تكون الرؤية بلا إدراك قال الله تعالى في قصة موسى عليه السلام فلما تراءى الجمعان قال أصحاب موسى إنا لمدركون قال كلا وقال لا تخاف دركا ولا تخشى فنفى الادراك مع إثبات الرؤية فالله عز وجل يجوز أن يرى من غير إدراك وإحاطة كما يعرف في الدنيا ولا يحاط به قال الله تعالى ولا يحيطون به علما فنفى الاحاطة مع ثبوت العلم قال سعيد بن المسيب لا تحيط به الابصار وقال عطاء كلت ابصار المخلوقين عن الاحاطة به وقال ابن عباس ومقاتل لا تدركه الابصار في الدنيا وهو يرى في الاخرة قوله وهو يدرك الابصار أي لا يخفى على الله شيء ولا يفوته

(وهو اللطيف الخبير) قال ابن عباس رضى الله عنهما اللطيف وأوليائه الخبير بهم وقال الزهرى معنى اللطيف الرفيق بعباده وقيل اللطيف الموصل الشيء باللين والرفق وقيل اللطيف الذى ينسى العباد ذنوبهم لئلا يخجلوا وأصل اللطف دقة النظر فى الأشياء قوله عز وجل (قد جاءكم بصائر من ربكم) يعنى الحجج البينة التى تبصرون بها الهدى من الضلالة والحق من الباطل (١٣٩) (فمن أبصر) أى فمن عرفها وآمن بها (فلنفسه) عمله ونفعه له (ومن عمى فعليها) أى من عماعنها فلم يعرفها ولم يصدقها فعليها أى بنفسه ضرر وبال العمى عليه (وما أنا عليكم بحفيظ) برقيب احصى عليكم أعمالكم إنما أنا رسول أبلغكم رسالات ربى وهو الحفيظ عليكم الذى لا يخفى عليه شيء من أفعالكم (وكذلك نصرف الآيات) نفصلها ونبينها فى كل وجه (وليقولوا) قيل معناه لئلا يقولوا (درست) وقيل اللام لام العاقبة أى عاقبة أمرهم أن يقولوا درست أى قرأت على غيرك وقيل قرأت كتب اهل الكتاب كقوله تعالى فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا ومعلوم أنهم لم يلتقطوه لذلك ولكن أراد ان عاقبة أمرهم ان كان عدوا لهم قال ابن عباس وليقولوا يعنى أهل مكة حين تقرأ عليهم القران درست اى تعلمت من يسار وجبر كانا عبدين من سبى الروم ثم قرأت علينا تزعم أنه من عند الله من قولهم درست الكتاب ادرس درسا ودراسة وقال الفراء رحمه الله يقولون تعلمت من اليهود وقرأ ابن كثير وأبو عمرو دارست بالالف اى قارات اهل الكتاب من المدارسة بين الإثنين يقول قرات عليهم وقرؤا عليك وقرا ابن عامر ويعقوب درست بفتح السين وسكون التاء اى هذه الاخبار التى تتلوها علينا قديمة قد درست وانمحت من قولهم درس الأثر يدرس دروسا (ولنبينه لقوم يعلمون) أى القران وقيل نصرف الآيات لقوم يعلمون قال ابن عباس يريد اولياءه الذين هداهم إلى سبيل الرشاد وقيل يعنى ان

ناضرة إلى ربها ناظرة فقوله يومئذ ناضرة مقيد بيوم القيامة وعلى هذا يمكن الجمع بين الآيتين وقال السدى البصر بصران بصر معاينة وبصر علم فمعنى قوله لا تدركه الأبصار لا يدركه علم العلماء ونظيره ولا يحيطون به علما وهذا وجه حسن أيضا والله أعلم وقوله تعالى وهو يدرك الأبصار يعنى أنه تعالى يرى جميع المرئيات ويبصر جميع المبصرات لا يخفى عليه شيء منها ويعلم حقيقتها ومطلع على ماهيتها فهو تعالى لا تدركه ابصار المبصرين وهو يدركها (وهو اللطيف الخبير) قال ابن عباس اللطيف بأوليائه الخبير بهم وقال الزهرى معنى اللطيف الرفيق بعباده وقيل هو الموصل الشيء اليك برفق ولين وقيل هو الذى ينسى عباده ذنوبهم لئلا يخجلوا وأصل اللطف دقة النظر فى الأشياء وقال أبو سليمان الخطابى اللطيف هو اللين بعباده يلطف بهم من حيث لا يعلمون ويوصل اليهم مصالحهم من حيث لا يحتسبون وقال الأزهرى اللطيف فى أسماء الله تعالى معناه الرفيق بعباده وقيل هو اللطيف حيث لم يأمر عباده بفوق طاقتهم وينعم عليهم فوق استحقاقهم وقيل هو اللطيف بعباده حيث يثنى عليهم عند الطاعة ولم يقطع عليهم بره وإحسانه عند المعصية وقيل هو الذى لطف عن أن تدركه الأبصار وهو يدركها * قوله تعالى (قد جاءكم بصائر من ربكم) البصائر جمع البصيرة وهى الدلالة التى توجب البصر بالشيء والعلم به والمعنى قد جاءكم القران الذى فيه البيان والحجج التى تبصرون بها الهدى من الضلالة والحق من الباطل وقيل ان الآيات والبراهين ليست فى نفسها بصائر إلا أنها لما توجب البصائر لمن عرفها ووقف على حقائقها فلما كانت هذه الآيات والحجج والبراهين أسبابا لحصول البصائر سميت بصائر (فمن ابصر) يعنى فمن عرف الآيات واهتدى بها إلى الحق (فلنفسه) يعنى فلنفسه ابصر ولها عمل لأنه يعود نفع ذلك عليه (ومن عمى) يعنى ومن جهل ولم يعرف الآيات ولم يستدل بها إلى الطريق (فعليها) يعنى فعلى نفسه عمى ولها ضر وكان وبال ذلك العمى عليه لأن الله تعالى غنى عن خلقه (وما أنا عليكم بحفيظ) يعنى وما انا عليكم برقيب احصى عليكم اعمالكم وافعالكم إنما رسول من ربكم اليكم أبلغكم ما ارسلت به اليكم والله هو الحفيظ عليكم لا يخفى عليه شيء من اعمالكم واحوالكم وقيل معناه لا اقدر ان ادفع عنكم ما يريده الله بكم وقيل معناه لست اخذكم بالايمان اخذ الحفيظ الوكيل وهذا كان قبل الأمر بقتال المشركين فعلى هذا القول تكون الاية منسوخة بآيات السيف وعلى القول الاول ليست منسوخة والله اعلم * قوله عز وجل (وكذلك نصرف الآيات) يعنى وكذلك نبين الآيات ونفصلها فى كل وجه كما صرفناها وبيناها من قبل (وليقولوا درست) يعنى وكذلك نصرف الآيات لتلزمهم الحجة وليقولوا درست وقيل معناه لئلا يقولوا درست وقيل اللام فيه لام العاقبة ومعناه عاقبة امرهم ان يقولوا درست يعنى قرأت على غيرك يقال درس الكتاب يدرسه دراسة إذا كثر قراءته وذلك للحفظ قال ابن عباس وليقولوا يعنى اهل مكة حين تقرأ عليهم القران درست يعنى تعلمت من يسار وجبر وكانا عبدين من سبى الروم ثم قرأت علينا تزعم انه من عند الله وقال الفراء معناه تعلمت من اليهود قرىء دارست بالألف بمعنى قارأت اهل الكتاب من المدارسة التى هى بين اثنين يعنى يقولون قرأت على اهل الكتاب وقرؤا عليك وقرىء درست بفتح الدال والراء والسين وسكون التاء ومعناه إن هذه الأخبار التى تتلوها علينا قديمة فدرست وانمحت من قولهم درس الاثر إذا محى وذهبت اثره (ولنبينه لقوم يعلمون) يعنى وقيل معناه نصرف الآيات لقوم يعلمون قال ابن عباس يريد اولياءه الذين هداهم إلى سبيل الرشاد وقيل معنى الاية وكذلك نصرف الآيات ليسعد بها ويشقى بها اخرون فمن اعرض عنها وقال النبى صلى الله عليه درست او درست فهو شقى ومن تبين له الحق وفهم

تصريف الآيات ليشقى بها قوم ويسعد بها قوم آخرون فمن قال درست فهو شقي ومن تبين له الحق فهو سعيد (اتبع ما أوحي إليك من ربك) يعني القرآن اعمل به (لا إله إلا هو وأعرض عن المشركين) فلا تجادلهم (ولو شاء الله ما أشركوا) أي ولو شاء لجعلهم مؤمنين (وما جعلناك عليهم حفيظا) رقيبا قال عطاء وما جعلناك عليهم حفيظا تمنعهم مني أي لم تبعث لتحفظ المشركين من العذاب إنما بعثت مبلغا (وما أنت عليهم بوكيل ولا تسبوا الذين يدعون من (١٤٠) دون الله) الآية قال ابن عباس لما نزلت إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم قال المشركون يا محمد لتنتهين عن سب الهتنا او لنهجون ربك فنهاهم الله ان يسبوا اوثانهم وقال قتادة كان المسلمون يسبون اصنام الكفار فنهاهم الله عز وجل عن ذلك لئلا يسبوا الله فانهم قوم جهلة وقال السدي لما حضرت ابا طالب الوفاة قالت قريش انطلقوا فلندخل على هذا الرجل فلنأمره ان ينهى عنا ابن اخيه فانا نستحي ان نقتله بعد موته فتقول العرب كان يمنعه عمه فلما مات قتلوه فانطلق ابو سفيان وأبو جهل والنضر ابن الحارث وامية وابي معيط وعمرو بن العاص والأسود بن ابي البختري الى ابي طالب فقالوا يا ابا طالب انت كبيرنا وسيدنا وان محمدا قد اذانا والهتنا فنحب ان تدعوه وتنهاه عن ذلك وعن ذكر آلهتنا ولندعه والهه فدعاه فقال يا محمد هؤلاء قومك يقولون نريد ان تدعنا والهتنا وندعك والهك وقد انصفك قومك فاقبل منهم فقال النبي ﷺ أرأيتم ان اعطيتكم هل انتم معطي كلمة ان تكلمتم بها ملكتم العرب ودانت لكم العجم فقال ابو جهل آلهتنا نعم وابيك لنعطينكها وعشرة امثالها فما هي قال قولوا لا اله الا الله فأبوا وتفرقوا فقال ابو طالب قل غيرها يا ابن اخي فقال ياعم ما انا بالذي اقول غيرها ولو اتوني بالشمس فوضعوها في يدي فقالوا له لتكفن عن سبك آلهتنا او لنشتمنك ونشتمن من يأمرك فأنزل الله عز وجل ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله يعني الأوثان (فيسبوا الله عدوا) اي اعتداء وظلما (بغير علم) قرا يعقوب عدوا بضم العين والدال وتشديد الواو فلما نزلت هذه الآية قال رسول الله ﷺ لأصحابه لا تسبوا ربكم فامسك المسلمون عن سب الهتهم

معناها وعمل بها فهو سعيد وقال أبو إسحق ان السبب الذي أداهم إلى أن قالوا أدرست هو تلاوة الآيات عليهم وهذه اللام تسميها أهل اللغة لام الصيرورة يعني صار عاقبة أمرهم أن قالوا أدارست فصار ذلك سببا لشقاوتهم وفي هذا دليل على أن الله تعالى جعل تصريف الآيات سببا لضلالة قوم وشقاوتهم وسعادة قوم وهدايتهم قوله تعالى (اتبع ما أوحي إليك من ربك) الخطاب للنبي ﷺ يعني اتبع يا محمد ما أمرك به ربك في وحيه الذي أوحاه إليك وهو القرآن فاعمل به وبلغه الى عبادي ولا تلتفت إلى قول من يقول دارست أو درست وفي قوله اتبع ما أوحي اليك من ربك تعزية لقلب النبي ﷺ وإزالة الحزن الذي حصل له بسبب قولهم درست ونبه بقوله تعالى (لا إله إلا هو) انه سبحانه وتعالى واحد فرد صمد لا شريك له واذا كان كذلك فانه يجب طاعته ولا يجوز تركها بسبب جهل الجاهلين وزيغ الزائغين وقوله تعالى (وأعرض عن المشركين) قيل المراد منه في الحال لا الدوام واذا كان كذلك لم يكن النسخ وقيل المراد ترك مقالتهم فعلى هذا يكون الأمر بالإعراض منسوخة بآية القتال قوله عز وجل (ولو شاء الله ما أشركوا) قال الزجاج معناه لو شاء الله لجعلهم مؤمنين وهذا نص صريح في أن شركهم كان بمشيئة الله تعالى خلافا للمعتزلة في قولهم لم يرد من أحد الكفر والشرك فالآية ترد عليهم (وما جعلناك عليهم حفيظا) يعني وما جعلناك يا محمد على هؤلاء المشركين رقيبا ولا حافظا تحفظ عليهم أعمالهم وقال ابن عباس في رواية عطاء وما جعلناك عليهم حفيظا تمنعهم منا ومعناه أنك لم تبعث لتحفظ المشركين من العذاب وانما بعثت مبلغا فلا تهتم بشركهم فان ذلك بمشيئة الله تعالى (وما أنت عليهم بوكيل) يعني وما أنت عليهم بقيم تقوم بأرزاقهم وما أنت عليهم بمسيطر فعلى التفسير الأول تكون الآية منسوخة بآية السيف وعلى قول ابن عباس لا تكون منسوخة قوله عز وجل (ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم) الآية قال ابن عباس لما نزلت انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم قال المشركون يا محمد لتنتهين عن سب آلهتنا أو لنهجون ربك فنهاهم الله أن يسبوا أوثانهم فيسبوا الله عدوا بغير علم قال قتادة كان المؤمنون يسبون أوثان الكفار فيردون ذلك عليهم فنهاهم الله عن ذلك لئلا يسبوا الله لأنهم قوم جهلة لا علم لهم بالله عز وجل وقال السدي لما حضرت أبا طالب الوفاة قالت قريش انطلقوا بنا لندخل على هذا الرجل فلنأمره أن ينهى عنا ابن أخيه فانا نستحي أن نقتله بعد موته فتقول العرب كان عمه يمنعه فلما مات قتلوه فانطلق أبو سفيان وأبو جهل والنضر بن الحرث وأمية وأبي ابنا خلف وعقبة بن أبي معيط وعمرو بن العاص والأسود بن أبي البختري الى أبي طالب فقالوا يا أبا طالب أنت كبيرنا وسيدنا وأن محمدا قد آذانا وآذى آلهتنا فنحب أن تدعوه فتنهاه عن ذكر الهتنا ولندعه والهه فدعاه فجاء النبي ﷺ فقال له أبو طالب ان هؤلاء قومك وبنو عمك فقال رسول الله ﷺ وما يريدون قالوا نريد أن تدعنا والهتنا وندعك والهك فقال أبو طالب قد انصفك قومك فاقبل منهم فقال النبي ﷺ أرأيتم أن أعطيتكم هذا فهل أنتم معطي كلمة أن تكلمتم بها ملكتم العرب ودانت لكم العجم وأدت لكم الخراج فقال أبو جهل نعم وأبيك لنعطينكها وعشرة أمثالها فما هي فقال قولوا لا إله إلا الله فأبوا ونفروا فقال أبو طالب قل غيرها يا ابن أخي فقال يا عم ما انا بالذي أقول غيرها ولو أتوني بالشمس فوضعوها في يدي ما قلت غيرها ارادة أن يؤيسهم فقالوا لتكفن عن شتمك

وظاهر الآية وان كان نهيا عن سب الأصنام فحقيقته النهى عن سب الله تعالى لأنه سبب لذلك (كذلك زينا لكل أمة عملهم) أى كما زينا لهؤلاء المشركين لعبادة الأصنام وطاعة الشيطان بالحرمان والخذلان كذلك زينا لكل أمة عملهم من الخير والشر والطاعة والمعصية (ثم إلى ربهم مرجعهم فينبئهم) ويجازيهم (بما كانوا يعملون) قوله عز وجل (واقسموا بالله جهد أيمانهم) الآية قال محمد بن كعب القرظى والكلبى قالت قريش يا محمد إنك تخبرنا أن موسى عليه السلام كان معه عصا يضرب بها الحجر فينفجر منه الماء اثنتا عشرة عينا وتخبرنا أن عيسى عليه السلام كان يحيى الموتى فأتنا من الآيات حتى نصدقك فقال رسول الله ﷺ أى شىء تحبون قالوا تجعل لنا الصفا ذهبا وابعث لنا بعض موتانا حتى نسأله عنك احق ما تقول أم باطل وأرنا الملائكة يشهدون لك فقال رسول الله ﷺ فان فعلت بعض ما تقولون اتصدقونى قالوا نعم والله لئن فعلت لنتبعك أجمعون وسأل المسلمون رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينزلها عليهم حتى يؤمنوا فقام رسول الله ﷺ يدعو الله أن يجعل الصفا ذهبا فجاءه جبريل عليه السلام فقال له ماشئت ان شئت اصبح ذهبا ولكن ان لم يصدقوا عذبتهم وإن شئت تركتهم حتى يتوب تائبهم فقال رسول الله ﷺ بل يتوب تائبهم فأنزل الله عز وجل وأقسموا بالله جهد أيمانهم أى حلفوا بالله جهد ايمانهم اى بجهد ايمانهم يعنى أوكد ما قدروا عليه من الإيمان واشدها قال الكلبى ومجاهد إذا حلف الرجل بالله فهو جهد يمينه (لئن جاءتهم آية) كما جاءت من قبلهم من الأمم (ليؤمنن بها قل) يا محمد (إنما الايات عند الله) والله قادر على انزالها (وما يشعركم) وما يدريكم واختلفوا فى المخاطبين بقوله وما يشعركم فقال بعضهم الخطاب للمشركين الذين اقسموا وقال بعضهم الخطاب للمؤمنين وقوله تعالى (أنها إذا جاءت لا يؤمنون) قرأ ابن كثير وأهل البصرة وأبو بكر عن عاصم أنها بكسر الالف على الابتداء وقالوا تم الكلام عند قوله وما يشعركم ثم من جعل الخطاب للمشركين قال معناه وما يشعركم أيها المشركون أنها لو جاءت امنتم ومن جعل الخطاب للمؤمنين قال معناه وما يشعركم أيها المؤمنون أنها لو جاءت امنوا الان المسلمين كانوا يسألون رسول الله ﷺ ان يدعو الله حتى يريهم ما اقترحوا حتى يؤمنوا فخاطبهم بقوله وما يشعركم ثم ابتدا فقال جل ذكره انها إذا جاءت لا يؤمنون وهذا فى قوم مخصوصين حكم الله عليهم بانهم لا يؤمنون وقرأ الآخرون انها بفتح الالف وجعلوا الخطاب للمؤمنين واختلفوا قوله لا يؤمنون فقال الكسائى لا صلة ومعنى الاية وما يشعركم أيها المؤمنون إذا جاءت الايات ان المشركين يؤمنون كقوله وحرام

آلهتنا أو لنشتمنك ونشتمن من يأمرك فأنزلت ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله يعنى ولا تسبوا أيها المؤمنون الأصنام التى يعبدها المشركون فيسبوا الله عدوا بغير علم يعنى فيسبوا الله ظلما بغير علم لأنهم جهلة بالله عز وجل قال الزجاج نهوا فى ذلك الوقت قبل القتال أن يسبوا الاصنام التى كانت تعبدها المشركون وقال ابن الانبارى هذه الاية منسوخة انزلها الله عز وجل والنبى ﷺ بمكة فلما قواه بأصحابه نسخ هذه الاية ونظائرها بقوله اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وقيل انما نهوا عن سب الاصنام وان كان فى سبها طاعة وهو مباح لما يترتب على ذلك من المفاسد التى هى أعظم من ذلك وهو سب الله عز وجل وسب رسوله وذلك من أعظم المفاسد فلذلك نهوا عن سب الاصنام وقيل لما نزلت هذه الاية قال النبى ﷺ لا تسبوا آلهتهم فيسبوا ربكم فأمسك المسلمون عن سب آلهتهم فظاهر الاية وإن كان نهيا عن سب الاصنام فحقيقته النهى عن سب الله تعالى لانه سبب لذلك * وقوله تعالى (كذلك زينا لكل أمة عملهم) يعنى كما زينا لهؤلاء المشركين عبادة الاصنام وطاعة الشيطان بالحرمان والخذلان كذلك زينا لكل أمة عملهم من الخير والشر والطاعة والمعصية وفى هذه الاية دليل على تكذيب القدرية والمعتزلة حيث قالوا لا يحسن من الله خلق الكفر وتزيينه * وقوله تعالى (ثم إلى ربهم مرجعهم) يعنى المؤمن والكافر والطائع والعاصى (فينبئهم بما كانوا يعملون) يعنى فى الدنيا ويجازيهم على ذلك * قوله عز وجل (واقسموا بالله جهد ايمانهم) قال محمد بن كعب القرظى والكلبى قالت قريش يا محمد أنك تخبرنا أن موسى كانت له عصا يضرب بها الحجر فتنفجر منه اثنتا عشرة عينا وتخبرنا ان عيسى كان يحيى الموتى فأتنا بآية حتى نصدقك ونؤمن بك فقال رسول الله ﷺ أى شىء تحبونه قالوا تجعل لنا الصفا ذهبا وابعث لنا بعض موتانا نسأله عنك أحق ما تقول ام باطل وأرنا الملائكة يشهدون لك قال رسول الله ﷺ ان فعلت بعض ما تقولون اتصدقونى قالوا نعم والله لئن فعلت لنتبعك اجمعون وسال المسلمون رسول الله ﷺ أن ينزلها عليهم حتى يؤمنوا فقام رسول الله ﷺ وجعل يدعو الله عز وجل أن يجعل الصفا ذهبا فجاءه جبريل فقال ماشئت ان شئت اصبح ذهبا ولكن إن لم يصدقوك لنعذبنهم وإن شئت تركتهم حتى يتوب تائبهم فقال رسول الله ﷺ بل يتوب تائبهم فانزل الله عز وجل وأقسموا بالله جهد إيمانهم يعنى وحلفوا بالله جهد إيمانهم يعنى أوكد ما قدروا عليه من الايمان وأشدها قال الكلبى ومقاتل إذا حلف الرجل بالله فهو جهد يمينه (لئن جاءتهم آية) يعنى كما جاءت من قبلهم من الامم (ليؤمنن بها) يعنى ليصدقن بها (قل) يعنى قل يا محمد (إنما الايات عند الله) يعنى ان الله تعالى قادر على انزالها (وما يشعركم) يعنى وما يدريكم ثم اختلفوا فى المخاطبين بقوله وما يشعركم فقيل هو خطاب للمشركين الذين أقسموا بالله وقيل هو خطاب للمؤمنين واختلفوا فى قوله (أنها إذا جاءت لا يؤمنون) فقرأ ابن كثير وأهل البصرة وأبو بكر عن عاصم إنها بكسر الالف

على قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون أي يرجعون وقيل أنها بمعنى لعل وكذلك هو في قراءة أبي تقول العرب اذهب إلى السوق أنك تشتري شيئا أي لعلك وقال عدي بن زيد أعاذل ما يدريك ان منيتي * إلى ساعة في اليوم أو في ضحى الغد أي لعل منيتي وقيل فيه حذف وتقديره وما يشعركم أنها إذا جاءت يؤمنون (١٤٢) أو لا يؤمنون وقرأ ابن عامر وحمزة لا تؤمنون بالتاء على الخطاب للكفار واعتبروا بقراءة أبي إذا جاءتكم لا تؤمنون وقرأ الاخرون بالياء على الخبر دليلها قراءة الأعمش أنها جاءتهم لا يؤمنون (ونقلب افئدتهم وابصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة) قال ابن عباس يعني ونحول بينهم وبين الايمان فلو جئناهم بالايات التي سألوا ما امنوا بها كما لم يؤمنوا به أول مرة أي كما لم يؤمنوا بما قبلها من الايات من انشقاق القمر وغيره وقيل كما لم يؤمنوا به أول مرة يعني معجزات موسى وغيره من الأنبياء عليهم السلام كقوله تعالى أولم يكفروا بما أوتي موسى من قبل وفي الاية محذوف تقديره فلا يؤمنون كما لم يؤمنوا به أول مرة وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس المرة الأولى دار الدنيا يعني لو ردوا من الاخرة إلى الدنيا نقلب افئدتهم وابصارهم عن الايمان كما لم يؤمنوا في الدنيا قبل مماتهم كما قال لو ردوا لعادوا لما نهوا عنه (ونذرهم في طغيانهم يعمهون) قال عطاء نخذلهم ونذعهم في ضلالتهم يتمادون (ولو أننا نزلنا اليهم الملائكة) فرأوهم عيانا (وكلمهم الموتى) بأحيائنا عليهم إياهم فشهدوا لك بالنبوة كما سألوا (وحشرنا) وجمعنا (عليهم كل شيء قبلا) قرأ اهل المدينة وابن عامر قبلا بكسر القاف وفتح الباء أي معاينة وقرأ الاخرون بضم القاف والباء قيل هو جمع قبيل وهو الكفيل مثل رغيف ورغف وقضيب وقضب أي ضمناء وكفلاء وقيل هو جمع قبيل وهو القبيلة أي فوجا فوجا وقيل هو بمعنى المقابلة والمواجهة من قولهم اتيتك قبلا لا دبرا إذا أتاه من قبل وجهه

على الابتداء وقالوا تم الكلام عند قوله ما يشعركم على معنى وما يدريكم ما يكون منهم ثم ابتدأ فقال إنها إذا جاءت لا يؤمنون فمن جعل الخطاب للمشركين قال معناه وما يشعركم أيها المشركون أنها يعني الايات أنها إذا جاءت امنتم ومن جعل الخطاب للمؤمنين قال معناه وما يشعركم أيها المؤمنون إذا جاءت آمنوا الآن المؤمنين كانوا يسألون رسول الله ﷺ أن يدعو الله أن يريهم ما اقترحوا حتى يؤمنوا فخاطبهم الله بقوله وما يشعركم ثم ابتدأ فقال تعالى أنها إذا جاءت لا يؤمنون وهذا في قوم مخصوصين حكم الله عز وجل عليهم بأنهم لا يؤمنون وذلك لسابق علمه فيهم وقرأ الباقون أنها بفتح الالف وجعلوا الخطاب في ذلك المؤمنين لأن المؤمنين هم الذين سألوا رسول الله ﷺ إنزال الايات حتى يؤمن المشركون بها إذا رأوها لأن المشركين كانوا حلفوا أنهم إذا جاءتهم اية امنوا وصدقوا واتبعوا رسول الله ﷺ فاحب اصحاب رسول الله ﷺ انزال الايات لذلك فقال الله تعالى وما يشعركم أيها المؤمنون ان الايات إذا جاءت هؤلاء المشركين لا يؤمنون فعلى هذا اختفوا في لفظة لا من قوله لا يؤمنون فقيل هي صلة والمعنى وما يشعركم انها إذا جاءت يؤمنون وقيل هي على بابها وفيه حذف والمعنى وما يشعركم أنها إذا جاءتهم يؤمنون أو لا يؤمنون وقيل أن بمعنى لعل في قوله أنها إذا جاءت وكذلك هو في قراءة أبي بن كعب لعلها إذا جاءت وهذا شائع في كلام العرب تقول العرب ائت السوق أنك تشتري لنا شيئا بمعنى لعلك ومنه قول عدي ابن زيد اعاذل ما يدريك ان منيتي * إلى ساعة في اليوم أو في ضحى الغد يعني لعل منيتي * قوله تعالى (ونقلب افئدتهم وأبصارهم) قال ابن عباس يعني ونحول بينهم وبين الايمان فلو جئناهم بالايات التي سألوها لما آمنوا بها والتقليب هو تحويل الشيء وتحريكه عن وجهه إلى وجه آخر لأن الله تعالى إذا صرف القلوب والأبصار عن الايمان بقيت على الكفر (كما لم يؤمنوا به أول مرة) يعني كما لم يؤمنوا بما قبل ذلك من الايات التي جاء بها رسول الله ﷺ مثل انشقاق القمر وغير ذلك من المعجزات الباهرات وقيل أول مرة يعني الايات التي جاء بها موسى وغيره من الأنبياء وقال ابن عباس المرة الأولى دار الدنيا يعني لو ردوا من الاخرة إلى الدنيا نقلب افئدتهم وأبصارهم عن الايمان فلا يؤمنون كما لم يؤمنوا به أول مرة قبل مماتهم وفي الاية دليل على ان الله تعالى يهدي من يشاء ويضل من يشاء وان القلوب والأبصار بيده وفي تصريفه فيقيم ماشاء منها ويزيغ ما أراد منها ومنه قوله ﷺ يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك فمعنى قوله نقلب افئدتهم نزيغها عن الايمان ونقلب ابصارهم عن رؤية الحق ومعرفة الصواب وإن جاءتهم الاية التي سألوها فلا يؤمنون بها كما لم يؤمنوا بالله ورسوله وبما جاء من عند الله فعلى هذا تكون الكناية في به عائدة على الايمان بالقرآن وبما جاء به رسول الله ﷺ قبل سؤالهم الايات التي اقترحوها * وقوله تعالى (ونذرهم في طغيانهم يعمهون) يعني ونترك هؤلاء المشركين الذين سبق في علم الله أنهم لا يؤمنون في تمردهم على الله واعتدائهم عليه يترددون لا يهتدون إلى الحق * قوله عز وجل (ولو أننا نزلنا اليهم الملائكة) قال ابن جريج نزلت في المستهزئين وذلك أنهم اتوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في نفر من قريش فقالوا يا محمد ابعث لنا بعض موتانا حتى نسألهم عنك أحق ما تقول أم باطل وارنا الملائكة يشهدون لك أنك رسول الله أو ائتنا بالله والملائكة قبيلا فنزلت هذه الاية جوابا لهم والمعنى ولو أنا نزلنا اليهم الملائكة حتى يشهدوا لك بالرسالة (وكلمهم الموتى) يعني كما سألوا (وحشرنا عليهم كل شيء قبلا) يعني وجمعنا

(ما كانوا ليؤمنوا إلا أن شاء الله) ذلك (ولكن أكثرهم يجهلون) قوله عز وجل (وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا) أي أعداء فيه تعزية للنبي ﷺ يعني كما ابتليناك بهؤلاء القوم فكذلك جعلنا لكل نبي قبلك أعداء ثم فسرهم فقال (شياطين الإنس والجن) قال عكرمة والضحاك والسدي والكلبي معناه شياطين الانس التي مع الانس وشياطين الجن التي مع الجن وليس للانس شياطين وذلك ان ابليس جعل جنده فريقين فبعث فريقا منهم الى الانس وفريقا منهم يقول الجن وكلا الفريقين اعداء لرسول الله ﷺ ولاوليائه وهم يلتقون في كل حين فيقول شيطان الانس لشيطان الجن اضللت صاحبي بكذا فاضل صاحبك بمثله ويقول شياطين الجن لشياطين الانس كذلك فذلك وحي بعضهم الى بعض قال قتادة ومجاهد والحسن ان من الانس شياطين كما ان من الجن شياطين والشيطان العاتي المتمرد من كل شيء قالوا إن الشيطان اذا أعياه المؤمن وعجز من اغوائه ذهب الى متمرد من الانس وهو شيطان الانس فأغراه بالمؤمن ليفتنه يدل عليه ماروى عن ابي ذر قال قال رسول الله ﷺ هل تعوذت بالله من شر شياطين الجن والانس فقلت يارسول الله وهل للانس من شياطين قال نعم هم شر من شياطين الجن وقال مالك بن دينار ان شياطين الانس اشد علي من شياطين الجن وذلك اني اذا تعوذت بالله ذهب عني شياطين الجن وشياطين الانس يجيئني فيحيرني الى المعاصي عيانا قوله تعالى (يوحي بعضهم الى بعض) اي يلقي (زخرف القول) وهو قول مموه مزين مزخرف بالباطل لامعنى تحته

علمهم كل شيء قبلا قبيلا القبيل الكفيل بصحة ماتقول ما آمنوا وهو قوله (ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله) يعني إلا أن يشاء الله الايمان منهم وفيه دليل على ان جميع الأشياء بمشيئة الله تعالى حتى الايمان والكفر وموضع المعجزة ان الأشياء المحشوة منها ناطق ومنها صامت فاذا انطق الله الكل حتى يشهدوا له بصحة مايقول كان ذلك في غاية الاعجاز وقيل قبلا من المقابلة والمواجهة والمعنى وحشرنا عليهم كل شيء مواجهة ومعاينة ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله أخبر الله ان الايمان بمشيئة الله لا كما ظنوا انهم متى شاؤا آمنوا ومتى شاؤا لم يؤمنوا وقال ابن عباس ما كانوا ليؤمنوا أهل الشقاء إلا ان يشاء الله هم أهل السعادة الذين سبق لهم في علمه انهم يدخلون في الايمان وصحح الطبري قول ابن عباس قال لأن الله عم بقوله ما كانوا ليؤمنوا القوم الذين تقدم ذكرهم في قوله واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها ثم استثنى منهم اهل السعادة وهم الذين شاء لهم الايمان * قوله تعالى (ولكن أكثرهم يجهلون) يعني يجهلون ان ذلك كذلك ويحسبون ان الايمان اليهم متى شاؤا آمنوا ومتى شاؤا كفروا وليس الأمر كذلك بل الايمان والكفر بمشيئة الله تعالى فمن شاء له الايمان آمن ومن شاء له الكفر كفر وفي هذا دليل لمذهب أهل السنة ان الاشياء كلها بمشيئة الله تعالى ورد على القدرية والمعتزلة في قولهم ان الله أراد الايمان من جميع الكفار * قوله تعالى (وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا) قيل هو منسوق على قوله تعالى كذلك زينا لكل امة عملهم اي كما فعلنا ذلك كذلك جعلنا لكل نبي عدوا وقيل معناه كما جعلنا لمن قبلك من الانبياء اعداء كذلك جعلنا لك اعداء وفيه تعزية للنبي ﷺ وتسلية له يقول الله تبارك وتعالى كما ابتليناك بهؤلاء القوم فكذلك جعلنا لكل نبي قبلك عدوا ليعظم ثوابه على مايكابده من أذى أعدائه وعدو واحد يراد به الجمع يعني جعلنا لكل نبي اعداء (شياطين الانس والجن) اختلف العلماء في معنى شياطين الانس والجن على قولين أحدهما ان المراد شياطين من الانس وشياطين من الجن والشيطان كل عات متمرد من الجن والانس وهذا قول ابن عباس في رواية عطاء وهو قول مجاهد وقتادة قالوا وشياطين الانس أشد تمردا من شياطين الجن لان شيطان الجن إذا عجز عن اغواء المؤمن الصالح واعياه ذلك استعان على إغوائه بشيطان الانس ليفتنه ويدل على صحة هذا القول ماروى عن ابي ذر قال قال رسول الله ﷺ هل تعوذت بالله من شيطان الجن والانس قلت يارسول الله وهل للانس من شيطان قال نعم هم شر من شياطين الجن ذكره البغوي بغير سند واسند الطبري وقال مالك بن دينار ان شيطان الانس اشد علي من شيطان الجن وذلك اني إذا تعوذت بالله ذهب شيطان الجن وشيطان الانس يجيئني فيجرني إلى المعاصي القول الثاني ان الجميع من ولد إبليس وأضيف الشياطين إلى الانس على معنى انهم يغوونهم وهذا قول عكرمة والضحاك والكلبي والسدي ورواية عن ابن عباس قالوا والمراد بشياطين الانس التي مع الانس وبشياطين الجن التي مع الجن وذلك ان إبليس قسم جنده قسمين فبعث فريقا منهم إلى الجن وفريقا منهم الى الانس فالفريقان شياطين الجن والانس بمعنى انهم يغوونهم ويضلونهم وكلا الفريقين اعداء لرسول الله ﷺ ولاوليائه من المؤمنين والصالحين ومن ذهب إلى هذا القول قال يدل على صحته ان لفظ الاية يقتضي إضافة الشياطين الى الانس والجن والاضافة تقتضي المغايرة فعلى هذا يكون في الشياطين نوع مغاير للإنس والجن وهم اولاد إبليس * وقوله تعالى (يوحي بعضهم إلى بعض) يعني يلقي ويسر بعضهم إلى بعض ويناجي بعضهم بعضا وهو الوسوسة التي يلقيها إلى من يريد اغواءه فعلى القول الاول ان شياطين الانس والجن يسر بعضهم الى بعض مايفتنون به المؤمنين والصالحين وعلى القول الثاني ان أولاد إبليس يلقي بعضهم بعضا في كل حين فيقول شيطان الانس لشيطان الجن اضللت صاحبي بكذا وكذا فاضل انت صاحبك بمثله ويقول شيطان الجن لشيطان الانس كذلك فذلك وحي بعضهم الى بعض * وقوله (زخرف القول) يعني باطل

(غرورا) يعنى لهؤلاء الشياطين يزينون الاعمال القبيحة لبنى آدم ويغرونهم غرورا أو الغرور القول الباطل (ولو شاء ربك ما فعلوه) أى ما القوه من الوسوسة فى القلوب (فذرهم وما يفترون ولتصغى اليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالاخرة) أى تميل اليه والصغو الميل يقال صغو فلان معك أى ميله والفعل منه صغى يصغى صغا وصغى يصغى ويصغو صغوا والهاء راجعة إلى زخرف القول

(وليرضوه وليقترفوا) ليكتسبوا (ما هم مقترفون) يقال أقترف فلان مالا إذا اكتسبه وقال تعالى ومن يقترف حسنة وقال الزجاج أى ليعلموا من الذنوب ما هم عاملون قوله عز وجل (أفغير الله) فيه اضمار اى قل لهم يا محمد أفغير الله (أبتغى) أطلب (حكما) قاضيا بينى وبينكم وذلك انهم كانوا يقولون للنبى صلى الله عليه وسلم اجعل بيننا وبينك حكما فاجابهم به (وهو الذى انزل اليكم الكتاب مفصلا) مبينا فيه أمره ونهيه يعنى القرآن وقيل مفصلا أى خمسا خمسا وعشر عشرا كما قال لنثبت به فؤادك (والذين آتيناهم الكتاب) يعنى علماء اليهود والنصارى الذين آتيناهم التوراة والانجيل وقيل هم مؤمنوا أهل الكتاب وقال عطاء هم رؤس أصحاب النبى ﷺ والمراد من الكتاب هو القرآن (يعلمون أنه منزل) يعنى القرآن قرأ ابن عامر وحفص منزل بالتشديد من التنزيل لأنه أنزل نجوما متفرقة وقرأ الآخرون بالتخفيف من الإنزال وعدلا

القول والزخرف هو الباطل من الكلام الذى قد زين ووشى بالكذب وكل شىء حسن مموه فهو زخرف (غرورا) يعنى أن الشياطين يغرون بذلك القول الكذب المزخرف غرورا وذلك أن الشياطين يزينون الاعمال القبيحة لبنى آدم ويغرونهم بها غرورا (ولو شاء ربك ما فعلوه) يعنى ما فعلوا الوسوسة التى يلقيها الشياطين فى قلوب بنى آدم والمعنى أن الله تعالى لو شاء لمنع الشياطين من القاء الوسوسة الى الانس والجن ولكن لله يمتحن من يشاء من عباده مما يعلم أنه الاجزل له فى الثواب إذا صبر على المحنة (فذرهم وما يفترون) يعنى فخلهم يا محمد وما زين لهم إبليس وغرهم به من الكفر والمعاصى فانى مجازيهم على ورائهم * قوله تعالى (ولتصغى إليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالاخرة) قال ابن عباس ولتميل اليه وأصل الصغوة فى اللغة الميل يقال أصغى إلى كذا مال اليه ويقال صغوت اصغو وصغيت اصغى لغتان قال ابن الانبارى اللام فى ولتصغى متعلقة بفعل مضمر معناه وفعلنا بهم ذلك لكى تصغى إلى الباطل أفئدة الذين لا يؤمنون بالاخرة وقال غيره اللام متعلقة بيوحى تقديره يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول ليغروا بذلك ولتصغى اليه افئدة الذين لا يؤمنون بالاخرة والضمير فى اليه يرجع الى زخرف القول والمعنى أن قلوب الكفار تميل إلى زخرف القول وباطله وتحبه وترضى به وهو قوله (وليرضوه) يعنى يرضون ذلك القول المزخرف الباطل وليقترفوا ما هم مقترفون) يعنى وليكتسبوا من الأعمال الخبيثة ما هم مكتسبون * قوله عز وجل (أفغير الله ابتغى حكما) أى قل يا محمد لهؤلاء المشركين أفغير الله أطلب حكما قاضيا يقضى بينى وبينكم وذلك أنهم كانوا يقولون للنبى ﷺ اجعل بيننا وبينك حكما فامر الله تعالى أن يجيبهم بهذا الجواب والحكم والحاكم واحد عند أهل اللغة غير ان بعض أهل المعانى قال الحكم أكمل من الحاكم لأن الحاكم من شأنه أن يحكم والحكم أهل أن يتحاكم اليه وهو الذى لا يحكم الا بالحق فالله تعالى حكم لا يحكم الا بالحق فلما أنزل الله على محمد القرآن فقد حكم له بالنبوة وهو قوله تعالى (وهو الذى أنزل اليكم الكتاب مفصلا) يعنى مبينا فيه أمره ونهيه ووعده ووعيده وفيه الحكم بينى وبينكم (والذين آتيناهم الكتاب) يعنى علماء اليهود والنصارى (يعلمون أنه منزل من ربك بالحق) يعنى يشهدون ان هذا القرآن منزل من عند الله وذلك لما ثبت عندهم بالدلائل الدالة على ذلك وقيل المريد بهم علماء الصحابة ورؤساؤهم مثل ابى بكر وعمر وعثمان وعلى ونظرائهم يعلمون ان هذا القرآن منزل من ربك بالحق فآمنوا به وصدقوه (فلا تكونن من الممترين) يعنى فلا تكونن يا محمد من الشاكين ان علماء اهل الكتاب يعلمون ان هذا القرآن حق وانه منزل من عند الله وقيل معناه فلا تكونن فى شك مما قصصنا عليك انه حق وصدق فهو من باب التهييج لأنه ﷺ لم يشك قط وقيل الخطاب وان كان فى الظاهر للنبى ﷺ الا ان المراد به غيره والمعنى فلا تكونن أيها الانسان السامع لهذا القرآن فى شك أنه من عند الله لما فيه من الاعجاز الذى لا يقدر على مثله الا الله تبارك وتعالى * قوله تعالى (وتمت كلمة ربك) وقرىء كلمات ربك على الجمع فمن قرأ على التوحيد قال الكلمة قد يراد بها الكلمات الكثيرة إذا كانت مضبوطة بضابط واحد كقولهم قال الشاعر فى كلمته يعنى فى قصيدته وكذلك القرآن كلمة واحدة لأنه شىء واحد فى إعجاز النظم وكونه حقا وصدقا ومعجزا ومن قرأ بالجمع قال لأن الله قال فى سياق الاية لا مبدل لكلماته فوجب الجمع فى اللفظ الأول اتباعا للثانى (صدقا وعدلا) يعنى صدقا فيما وعد

لقوله تعالى وهو الذى أنزل اليكم الكتاب (من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين) من الشاكين أنهم يعلمون ذلك قوله عز وجل (وتمت كلمة ربك) قرأ أهل الكوفة ويعقوب كلمة على التوحيد وقرأ الآخرون كلمات بالجمع وأراد بالكلمات أمره ونهيه ووعده ووعيده (صدقا وعدلا) أى صدقا فى الوعد والوعيد وعدلا فى الأمر والنهى قال قتادة ومقاتل صادقا فيما وعد وعدلا فيما حكم

(لا مبدل لكلماته) قال ابن عباس لا راد لقضائه ولا مغير لحكمه ولا خلف لوعده (وهو السميع العليم) قيل أراد بالكلمات القرآن لا مبدل له يريد لا يزيد فيه المفترون ولا ينقصون (وإن تطع أكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله) عن دين الله وذلك أن اكثر اهل الارض كانوا على الضلالة وقيل اراد أنهم جادلوا رسول الله ﷺ والمؤمنين في اكل الميتة وقالوا تاكلون ما تقتلون ولا تاكلون ما قتله الله عز وجل فقال وإن تطع اكثر من في الارض اى وإن تطعهم في اكل الميتة يضلوك عن سبيل الله (إن يتبعون إلا الظن) يريدان دينهم الذى هم عليه ظن وهوى لم ياخذوه عن بصيرة (وإن هم إلا يخرصون) يكذبون (إن ربك هو اعلم من يضل عن سبيله) قيل موضع من نصب بنزع حرف الصفة اى بمن يضل وقال الزجاج موضعه رفع بالابتداء ولفظها لفظ الاستفهام والمعنى إن ربك هو اعلم اى الناس يضل عن سبيله (وهو اعلم بالمهتدين) اخبر انه اعلم بالفريقين الضالين والمهتدين فيجازى كلا بما يستحقون قوله تعالى (فكلوا مما ذكر اسم الله عليه) اى كلوا مما ذبح على اسم الله (إن كنتم بآياته مؤمنين) وذلك انهم كانوا يحرمون اصنافا من النعم ويحلون الاموات فقيل لهم احلوا ما احل الله وحرموا ما حرم الله ثم قال (ومالكم) يعنى اى شىء لكم (ان لا تاكلوا) وما يمنعكم من ان تاكلوا (مما ذكر اسم الله عليه) من الذبائح (وقد فصل لكم ما حرم عليكم) قرأ أهل المدينة ويعقوب وحفص فصل وحرم بالفتح فيهما اى فصل الله ما حرمه عليكم لقوله

وعدلا فيما حكم وقيل ان القرآن مشتمل على الاخبار والاحكام فهو صادق فيما اخبر عن القرون الماضية والامم الخالية وعما هو كائن إلى قيام الساعة وفيما اخبر عن ثواب المطيع في الجنة وعقاب العاصى في النار وهو عدل فيما حكم من الامر والنهى والحلال والحرام وسائر الاحكام (لا مبدل لكلماته) يعنى لا مغير لقضائه ولا راد لحكمه ولا خلف لمواعيده وقيل لما وصف كلماته بالتمام في قوله وتمت كلمة ربك والتمام في كلام الله لا يقبل النقص والتغيير والتبديل قال الله تعالى لا مبدل لكلماته لانها مصونة عن التحريف والتغيير والتبديل باقية إلى يوم القيامة وفي قوله لا مبدل لكلماته دليل على ان السعيد لا ينقلب شقيا ولا الشقى ينقلب سعيدا فالسعيد من سعد في الازل والشقى من شقى في الازل واورد على هذا أن الكافر يكون شقيا بكفره فيسلم فينقلب سعيدا باسلامه واجيب عنه بان الاعتبار بالخاتمة فمن ختم له بالسعادة كان قد كتب سعيدا في الازل ومن ختم له بالشقاوة وكان شقيا في الازل والله اعلم قوله تعالى (وهو السميع) يعنى لما يقول العباد (العليم) باحوالهم * قوله عز وجل (وإن تطع اكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله) قال المفسرون ان المشركين جادلوا رسول الله ﷺ والمؤمنين في اكل الميتة وذلك انهم قالوا للمسلمين كيف تاكلون ما قتلتم ولا تاكلون ما قتل ربكم فقال تعالى لنبيه محمد ﷺ وإن تطع اكثر من في الارض في اكل الميتة وكان الكفار يومئذ اكثر اهل الارض يضلوك عن سبيل الله يعنى يضلوك عن دين الله الذى شرعه لك وبعثك به وقيل معناه لا تطعهم في معتقداتهم الباطلة فانك ان تطعهم يضلوك عن سبيل الله يعنى يضلوك عن طريق الحق ومنهج الصدق ثم اخبر عن حال الكفار وما هم عليه فقال تعالى (إن يتبعون إلا الظن) يعنى ان هؤلاء الكفار الذين يجادلونك ما يتبعون في دينهم الذى هم عليه إلا الظن وليسوا على بصيرة وحق في دينهم وليسوا بقاطعين انهم على حق لانهم اتبعوا اهواءهم وتركوا التماس الصواب والحق واقتصروا على اتباع الظن والجهل (وإن هم إلا يخرصون) يعنى يكذبون واصل الخرص الحزر والتخمين ومنه خرص النخلة إذا حزر كمية ثمرتها على الظن من غير يقين ويسمى الكذب خرصا لما يدخله من الظنون الكاذبة وقيل إن كل قول مقول عن ظن وتخمين يقال له خرص لان قائله لم يقله عن علم ويقين (ان ربك هو اعلم من يضل عن سبيله) يقول الله لنبيه محمد ﷺ يا محمد ان ربك هو اعلم منك ومن جميع خلقه أى الناس يضل عن سبيله (وهو اعلم بالمهتدين) يعنى وهو اعلم ايضا بمن كان على هدى واستقامة وسداد لا يخفى عليه شىء من أحوال خلقه فاخبر تعالى انه أعلم بالفريقين الضال والمهتدى وأنه يجازى كلا بما يستحق * قوله تعالى (فكلوا مما ذكر اسم الله عليه) هذا جواب لقول المشركين حيث قالوا للمسلمين اتاكلون مما قتلتم ولا تاكلون مما قتل ربكم فقال الله تعالى للمسلمين فكلوا أنتم مما ذكر اسم الله عليه من الذبائح (إن كنتم بآياته مؤمنين) وقيل كانوا يحرمون اصنافا من النعم ويحلون الميتة فقيل احلوا ما احل الله وحرموا ما حرم الله فعلى هذا القول تكون الاية خطابا للمشركين وعلى القول الأول تكون الاية خطابا للمسلمين وهو الاصح لقوله في آخر الاية إن كنتم بآياته مؤمنين (ومالكم ان لا تاكلوا مما ذكر اسم الله عليه) يعنى وأى شىء لكم في أن لا تأكلوا وما يمنعكم من أن تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه وهذا تأكيد في إباحة ما ذبح على إسم الله دون غيره (وقد فصل لكم ما حرم عليكم) يعنى وقد بين لكم الحلال من الحرام فما تطعمون وقال جمهور المفسرين المراد بقوله وقد فصل لكم ما حرم عليكم المحرمات المذكورة في قوله تعالى حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به واورد الامام فخر الدين الرازى ههنا اشكالا فقال في سورة الانعام مكية وسورة المائدة من اخر ما انزل الله تعالى بالمدينة

(١٩ — خازن — ني)

اسم الله وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب وابو عمرو بضم الفاء والحاء وكسر الصاد والراء على غير تسمية الفاعل لقوله ذكر وقرا حمزة والكسائى وابو بكر فصل بالفتح وحرم بالضم أوراد بتفصيل المحرمات ما ذكر في قوله تعالى حرمت عليكم الميتة والدم

(إلا ما اضطررتم إليه من هذه الأشياء فانه حلال لكم عند الاضطرار (وإن كثيرا ليضلون) قرأ أهل الكوفة بضم الياء وكذلك قوله ليضلوا في سورة يونس لقوله تعالى يضلوك عن سبيل الله وقيل أراد به عمرو بن لحي فمن دونه من المشركين الذين اتخذوا البحائر والسوائب وقرأ الآخرون بالفتح لقوله من يضل (بأهوائهم بغير علم) حين امتنعوا من أكل ما ذكر اسم الله عليه ودعوا إلى أكل الميتة

(إن ربك هو أعلم بالمعتدين) الذين يجاوزون الحلال إلى الحرام (وذروا ظاهر الإثم وباطنه) يعني الذنوب كلها لأنها لا تخلو من هذين الوجهين قال قتادة علانيته وسره وقال مجاهد ظاهره ما يعمله الانسان بالجوارح من الذنوب وباطنه ما ينويه ويقصده بقلبه كالمصر على الذنب القاصد له قال الكلبي ظاهره الزنا وباطنه المخالفة وأكثر المفسرين على أن ظاهر الإثم الاعلان بالزنا وهم أصحاب الروايات وباطنه الاستسرار به وذلك ان العرب كانوا يحبون الزنا وكان الشريف منهم يتشرف فيسر به وغير الشريف لا يبالي به فيظهره فحرمهما الله عز وجل وقال سعيد بن جبير ظاهر الإثم نكاح المحارم وباطنه الزنا وقال ابن زيد ان ظاهر الإثم التجرد من الثياب والتعري في الطواف والباطن الزنا وروى حيان عن الكلبي ظاهر الإثم طواف الرجال بالبيت نهارا عراة وباطنه طواف النساء بالليل عراة (إن الذين يكسبون الإثم سيجزون) في الآخرة (بما كانوا يقترفون) يكتسبون في الدنيا قوله عز وجل (ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه) قال ابن عباس رضي الله عنهما الآية في تحريم الميتات وما في معناها من المنخنقة وغيرها وقال عطاء الآية في تحريم الذبائح التي كانوا يذبحونها على اسم الأصنام اه

وقوله وقد فصل يجب أن يكون ذلك المفصل متقدما على هذا المحل والمدني متأخر على المكي فيمتنع كونه متقدما ثم قال بل الاولى ان يقال بعد قوله تعالى بعد هذه الآية قل لا أجد فيما أوحي إلي محرما على طاعم يطعمه إلا ان يكون ميتة او دما مسفوحا او لحم خنزير وهذه الآية وإن كانت مذكورة بعد هذه الآية بقليل إلا ان هذا القدر من التأخر لا يمنع ان يكون هو المراد قال كاتبه ولما ذكر المفسرون وجه وهو ان الله لما علم ان سورة المائدة متقدمة على سورة الانعام في الترتيب لا في النزول حسن عود الضمير في قوله وقد فصل لكم ما حرم عليكم إلى ما هو متقدم في الترتيب وهو قوله حرمت عليكم الميتة الآية والله اعلم بمراده * وقوله تعالى (إلا ما اضطررتم إليه) يعني إلا ان تدعوكم الضرورة إلى اكله بسبب شدة المجاعة فيباح لكم ذلك عند الاضطرار (وان كثيرا ليضلون بأهوائهم بغير علم) يعني وان كثيرا من الذين يجادلونكم في اكل الميتة ويحتجون عليكم في ذلك بقولهم أتأكلون ما تذبحون ولا تأكلون ما يذبحه الله وإنما قالوا هذه المقالة جهلا منهم بغير علم منهم بصحة ما يقولون بل يتبعون أهواءهم ليضلوا أنفسهم وأتباعهم بذلك وقيل المراد به عمرو بن لحي فمن دونه من المشركين لانه اول من بحر البحائر وسيب السوائب واباح الميتة وغير دين إبراهيم عليه السلام (إن ربك هو أعلم بالمعتدين) يعني إن ربك يا محمد هو أعلم بمن تعدى حدوده فاحل ما حرم الله وحرم ما أحل الله فهو يجازيهم على سوء صنيعهم * قوله عز وجل (وذروا ظاهر الإثم وباطنه) يعني وذروا أيها الناس ما يوجب الإثم وهي الذنوب والمعاصي كلها سرها وعلانيتها قليلها وكثيرها قال الربيع ابن انس نهى الله عن ظاهر الإثم وباطنه ان يعمل به سرا وعلانية وقال سعيد بن جبير في هذه الآية الظاهر منه قوله ولا تنكحوا ما نكح اباؤكم من النساء إلا ما قد سلف ونكاح المحارم من الامهات والبنات والاخوات والباطن الزنا وقال السدي أما الظاهر فالزواني في الحوانيت وهن اصحاب الرايات واما الباطل فالمراة يتخذها الرجل صديقة فيأتيها سرا وقال الضحاك كان اهل الجاهلية يستسرون بالزنا ويرون ان ذلك حلالا ما كان سرا فحرم الله السر منه والعلانية وقال ابن زيد ظاهر الإثم التجرد من الثياب والتعري في الطواف والباطن الزنا وقال الكلبي ظاهر الإثم طواف الرجال بالبيت نهارا عراة وباطنه طواف النساء بالليل عراة وكان اهل الجاهلية يفعلون ذلك إلى ان جاء الاسلام فنهى الله عن ذلك كله وقيل ان هذا النهي عام في جميع المحرمات التي نهى الله عنها وهو الأصح لأن تخصيص العام بصورة معينة من غير دليل لا يجوز فعلى هذا القول يكون معنى الآية وذروا ما اعلنتم به وما اسررتم من الذنوب كلها قال ابن الانباري وذروا الإثم من جميع جهاته وقيل المراد بظاهر الإثم الإقدام على الذنوب من غير مبالاة وباطنه ترك الذنوب لخوف الله عز وجل لا لخوف الناس وقيل المراد بظاهر الأثم افعال الجوارح وباطنه افعال القلوب فيدخل في ذلك الحسد والكبر والعجب وإرادة السوء للمسلمين ونحو ذلك * وقوله تعالى (إن الذين يكسبون الأثم) يعني إن الذين يعملون بما نهاهم الله عنه ويرتكبون ما حرم عليهم من المعاصي وغيرها (سيجزون) يعني في الآخرة (بما كانوا يقترفون) يعني بما كانوا يكسبون في الدنيا من الآثام وظاهر هذا النص يدل على عقاب المذنب أنه مخصوص بمن لم يتب لأن المسلمين أجمعوا على أنه إذا تاب العبد من الذنب توبة صحيحة لم يعاقب وزاد أهل السنة في ذلك فقالوا المذنب إذا لم يتب فهو في خطر المشيئة إن شاء عاقبه وإن شاء عفا عنه بفضله وكرمه قوله تعالى (ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه) قال ابن عباس الآية في تحريم الميتات وما في معناها من المنخنقة وغيرها وقال عطاء الآية في الآية في تحريم الذبائح التي كانوا يذبحونها على اسم الأصنام اه

معناها من المنخنقة وغيرها وقال عطاء الآية في تحريم الذبائح التي كانوا يذبحونها على اسم الأصنام واختلف اهل العلم في ذبيحة المسلم إذا لم يذكر اسم الله عليها فذهب قوم إلى تحريمها سواء ترك التسمية عامدا أو ناسيا وهو قول ابن سيرين والشعبي واحتجوا بظاهر هذه الآية وذهب قوم إلى تحليلها يروى ذلك عن ابن عباس وهو قول مالك والشافعي واحمد رضوان الله عليهم اجمعين وذهب قوم إلى أنه ترك التسمية عامدا لا

يحل وان تركها ناسيا يحل حكى الخرقى من أصحاب أحمد أن هذا مذهبه وهو قول الثورى وأصحاب الرأى من أباحها قال المراد من الاية الميتات وماذبح على غير اسم الله بدليل انه قال (وانه لفسق) والفسق فى ذكر اسم غير الله كما قال اخر السورة قل لا أجد فيما أوحى إلى محرما على طاعم إلى قوله أوفسقا أهل لغير الله به واحتج من أباحها بما (١٤٧) أخبرنا عبد الواحد المليحى أنا أحمد بن عبد الله النعيمى أخبرنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا يوسف بن موسى ثنا أبو خالد الأحمر قال سمعت هشام بن عروة يحدث عن أبيه عن عائشة رضى الله عنها قالت إن قوماً قالوا يارسول الله ان هنا أقواما حديثا عهدهم بشرك يأتوننا بلحمان لاندرى يذكرون اسم الله عليها أم لا قال اذكروا أنتم اسم الله وكلوا ولوكانت التسمية شرطا للاباحة لكان الشك فى وجودها مانعا من أكلها كالشك فى أصل الذبح قوله (وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم) أراد أن الشياطين ليوسوسون إلى أوليائهم من المشركين ليجادلوكم وذلك أن المشركين قالوا يامحمد أخبرنا عن الشاة إذا ماتت من قتلها فقال الله قتلها قالوا فتزعم أن ماقتلت أنت وأصحابك حلال وماقتله الكلب والصقر والفهد حلال وماقتله الله حرام فانزل الله هذه الاية (وان اطعتموهم) فى أكل الميتة (انكم لمشركون) قال الزجاج وفيه دليل على ان من احل شيئا مما حرم الله او حرم ما احل الله فهو مشرك قوله (اومن كان ميتا فاحييناه) قرا نافع ميتا وفى الارض الميتة احييناها بالتشديد فيهن وقرا الاخرون بالتخفيف فاحييناه اى كان ضالا فهديناه كان ميتا بالكفر فاحييناه بالايمان (وجعلنا له نورا) يستضىء به (يمشى به فى الناس) على قصد السبيل قيل النور هو الاسلام لقوله تعالى يخرجهم من الظلمات الى النور وقال قتادة هو كتاب الله بينة من الله مع المؤمن بها يعمل وبها ياخذ واليها ينتهى (كمن مثله فى الظلمات) المثل صلة اى كمن هو فى الظلمات

﴿فصل﴾ اختلف العلماء فى ذبيحة المسلم إذا لم يذكر اسم الله عليها فذهب قوم إلى تحريمها سواء تركها عامدا أو ناسيا وهو قول ابن سيرين والشعبى ونقله الإمام فخر الدين الرازى عن مالك ونقل عن عطاء انه قال كل مالم يذكر اسم الله عليه من طعام أو شراب فهو حرام احتجوا فى ذلك بظاهر هذه الاية وقال الثورى وأبو حنيفة إن ترك التسمية عامدا لاتحل وإن تركها ناسيا تحل وقال الشافعى تحل الذبيحة سواء ترك التسمية عامدا او ناسيا ونقله البغوى عن ابن عباس ومالك ونقل ابن الجوزى عن احمد روايتين فيما اذا ترك التسمية عامدا اوان تركها ناسيا حلت فمن أباح أكل الذبيحة التى لم يذكر اسم الله عليها قال المراد من الاية الميتات وماذبح على اسم الاصنام بدليل أنه قال تعالى فى سياق الاية (وأنه لفسق) وأجمع العلماء على أن اكل ذبيحة المسلم التى ترك التسمية عليها لايفسق واحتجوا أيضا فى اباحتها بماروى البخارى فى صحيحه عن عائشة رضى الله عنها قالت قلت يارسول الله إن هنا أقواما حديثا عهدهم بشرك يأتوننا بلحمان فما ندرى يذكرون اسم الله عليها أم لا قال اذكروا انتم اسم الله وكلوا ولوكانت التسمية شرطا للاباحة لكان الشك فى وجودها مانعا من أكلها كالشك فى اصل الذبح وقول الشافعى فى اول الاية ان كان عاما بحسب الصيغة الا ان اخرها لما حصلت فيه هذه القيود الثلاثة وهى قوله وانه لفسق وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم ليجادلوكم وان اطعتموه انكم لمشركون علمنا ان المراد من هذا العموم هو الخصوص والفسق ذكر اسم غير الله فى الذبح كما قال فى اخر السورة قل لا اجد فيما اوحى الى محرما على طاعم يطعمه الى قوله او فسقا اهل لغير الله به فصار هذا الفسق الذى اهل لغير الله به مفسرا لقوله وانه لفسق واذا كان كذلك كان قوله ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وانه لفسق مخصوصا بما اهل لغير الله به والله اعلم * وقوله تعالى (وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم ليجادلوكم) يعنى ان الشياطين يوسوسون الى اوليائهم من المشركين ليجادلوكم ويخاصموا محمدا ﷺ وذلك ان المشركين قالوا يامحمد اخبرنا عن الشاة اذا ماتت من قتلها فقال الله قتلها قالوا فتزعم ان ماقتلت انت واصحابك حلال وماقتله الكلب والصقر حلال وماقتله الله حرام فانزل عز وجل هذه الاية وقال عكرمة لما نزلت هذه الاية فى تحريم الميتة كتبت فارس وهم المجوس الى مشركى قريش ان خاصموا محمدا او قولوا له ان ماذبحت فهو حلال وماذبحه الله فهو حرام فانزل الله وان الشياطين يعنى مردة الانس وهم المجوس ليوحون الى اوليائهم يعنى مشركى قريش وكان بين فارس والعرب موالاة ومكاتبة على الروم فعلى هذا يكون المراد بالوحى المكاتبة فى خفية (وان اطعتموهم) يعنى فى اكل الميتة وماحرم الله عليكم (انكم لمشركون) يعنى انكم اذا مثلهم فى الشرك قال الزجاج فيه دليل على ان كل من احل من احل شيئا مما حرم الله او حرم شيئا مما احل الله فهو مشرك انما سمى مشركا لأنه اثبت حاكما غير الله عز وجل ومن كان كذلك فهو مشرك قوله عز وجل (اومن كان ميتا فاحييناه) يعنى اومن كان ميتا بالكفر فاحييناه بالايمان وانما جعل الكفر موتا لأنه جعل الايمان حياة لان الحى صاحب بصر يهتدى به الى رشده ولما كان الايمان يهدى الى الفوز العظيم والحياة الابدية شبهه بالحياة (وجعلنا له نورا يمشى به فى الناس) يعنى وجعلنا له نورا يستضىء به فى الناس ويهتدى به الى قصد السبيل قيل النور هو الاسلام لانه يخلص من ظلمات الكفر لقوله يخرجهم من الظلمات الى النور وقال قتادة هو كتاب الله القران لانه بينة من الله مع المؤمن بما يعمله (كمن مثله فى الظلمات)

ليس بخارج منها) يعنى من ظلمة الكفر قيل نزلت هذه الاية فى رجلين بأعيانهما ثم اختلفوا فيهما قال ابن عباس جعلنا له نورا يريد حمزة بن عبد المطلب كمن مثله فى الظلمات يريد أبا جهل بن هشام وذلك ان ابا جهل رمى رسول الله ﷺ بفرث فاخبر حمزة بما فعل أبو جهل وهو راجع من قنصه وبيده قوس وحمزة لم يؤمن بعد فأقبل غضبان حتى رمى أبا جهل بالقوس وهو يتضرع إليه ويقول يا أبا يعلى أما ترى ما جاء به سفه عقولنا وسب آلهتنا وخالف آباءنا (١٤٨) فقال حمزة ومن أسفه منكم تعبدون الحجارة من دون الله أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله فانزل الله هذه الاية وقال الضحاك نزلت فى عمر بن الخطاب وابى جهل وقال عكرمة والكلبى نزلت فى عمار بن ياسر وابى جهل (كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون) من الكفر والمعصية قال ابن عباس يريد زين لهم الشيطان عبادة الأصنام قوله عز وجل (وكذلك جعلنا فى كل قرية اكابر مجرميها) اى كما ان فساق مكة اكابرها اى عظماءها جمع اكبر مثل افضل وافاضل واسود واساود وذلك سنة الله تعالى انه جعل فى كل قرية اتباع الرسل ضعفاءهم كما قال فى قصة نوح عليه السلام انؤمن لك واتبعك الأرذلون وجعل فساقهم اكابرهم (ليمكروا فيها) وذلك انهم اجلسوا على كل طريق من طرق مكة اربعة نفر ليصرفوا الناس عن الايمان بمحمد ﷺ يقولون لكل من يقدم إياك وهذا الرجل فانه كاهن ساحر كذاب (وما يمكرون إلا بأنفسهم) لان وبال مكرهم يعود عليهم (وما يشعرون) انه كذلك قوله تعالى (وإذا جاءتهم اية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما اوتى رسل الله (يعنى مثل ما اوتى رسل الله من النبوة وذلك ان الوليد بن المغيرة قال لو كانت النبوة حقا لكنت اولى بها منك لانى اكبر منك سنا واكثر منك مالا فانزل الله تعالى هذه الاية وقال مقاتل نزلت فى ابى جهل وذلك انه قال زاحمنا بنو عبد مناف فى الشرف حتى إذا صرنا كفرسى رهان قالوا منا نبى يوحى إليه والله لا نؤمن به ولا نتبعه ابدا إلا ان يأتينا وحى كما يأتيه فانزل الله عز وجل وإذا جاءتهم اية حجة على صدق محمد صلى الله عليه وسلم قالوا يعنى ابا جهل لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما اوتى رسل الله

يعنى كمن هو فى ظلمة الكفر وظلمة الجهالة وظلمة عمى البصيرة (ليس بخارج منها) يعنى من تلك الظلمات وهذا مثل ضربه الله تعالى لحال المؤمن والكافر فبين ان المؤمن المهتدى بمنزلة من كان ميتا فاحياه وأعطاه نورا يهتدى به فى مصالحه وان الكافر بمنزلة من هو فى الظلمات منغمس فيها ليس بخارج منها فيكون متحيرا على الدوام ثم اختلف المفسرون فى هذين المثالين هل هما مخصوصان بانسانين معينين أو هما عامان فى كل مؤمن وكافر فذكروا فى ذلك قولين احدهما ان الاية فى رجلين معينين ثم اختلفوا فيهما فقال ابن عباس فى قوله وجعلنا له نورا يمشى به فى الناس يريد حمزة بن عبد المطلب عم النبى ﷺ كمن مثله فى الظلمات يريد بذلك أبا جهل بن هشام وذلك أن أبا جهل رمى النبى ﷺ بفرث فاخبر حمزة بما فعل أبو جهل وكان حمزة قد رجع من صيد وبيده قوس وحمزة لم يؤمن بعد فأقبل حمزة غضبان حتى علا ابا جهل وجعل يضربه بالقوس وجعل أبو جهل يتضرع إلى حمزة ويقول يا أبا يعلى أما ترى ما جاء به سفه عقولنا وسب آلهتنا وخالف آباءنا فقال حمزة ومن اسفه منكم عقولا تعبدون الحجارة من دون الله اشهد أن لا إله إلا الله وأشهد ان محمدا رسول الله فاسلم حمزة يومئذ فانزل الله هذه الاية وقال الضحاك نزلت فى عمر بن الخطاب وأبى جهل وقال عكرمة والكلبى نزلت فى عمار بن ياسر وابى جهل وقال مقاتل نزلت فى النبى ﷺ وابى جهل وذلك ان ابا جهل قال زاحمنا بنو عبد مناف فى الشرف حتى إذا صرنا نحن وهم كفرسى رهان قالوا منا نبى يوحى اليه والله لا نؤمن حتى يأتينا وحى كما يأتيه فنزلت هذه الاية والقول الثانى وهو قول الحسن فى اخرين ان هذه الاية عامة فى حق كل مؤمن وكافر وهذا هو الصحيح لأن المعنى إذا كان حاصلا فمن الكل دخل فيه كل احد * قوله تعالى (كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون) قال اهل السنة المزين هو الله تعالى ويدل عليه قوله زينا لهم أعمالهم ولأن حصول الفعل يتوقف على حصول الدواعى وحصوله لا يكون إلا بخلق الله تعالى فدل ذلك على ان المزين هو الله تعالى وقالت المعتزلة المزين هو الشيطان ويرده ما تقدم * وقوله تعالى (وكذلك جعلنا فى كل قرية أكابر مجرميها) يعنى وجعلنا فى مكة أكابر وعظماء جعلنا فى كل قرية أكابر وعظماء وقيل هو معطوف على ما قبله ومعناه كما زينا للكافرين ما كانوا يعملون كذلك جعلنا فى كل قرية اكابر جمع الأكبر ولا يجوز ان يكون مضافا لأنه لا يتم المعنى بل فى الاية تقديم وتأخير تقديره وكذلك جعلنا فى كل قرية اكابر مجرميها وإنما جعل المجرمين اكابر لأنهم اقدر على المكر والغدر وترويج الباطل بين الناس من غيرهم وإنما حصل ذلك لأجل رياستهم وذلك سنة الله ان جعل فى كل قرية اتباع الرسل ضعفاءهم وجعل فساقهم اكابرهم (ليمكروا فيها) قال ابو عبيدة المكر الخديعة والحيلة والغدر والفجور زاد بعضهم والغيبة والنميمة والايمان الكاذبة وترويج الباطل قال ابن عباس معناه ليقولوا فيها الكذب وقال مجاهد جلس على كل طريق من طرق مكة اربعة نفر ليصرفوا الناس عن الايمان بمحمد ﷺ ويقولوا هو كذاب ساحر كاهن فكان هذا مكرهم (وما يمكرون إلا بأنفسهم) يعنى ما يحيق هذا المكر إلا بهم لأن وبال مكرهم يعود عليهم (وما يشعرون) يعنى ان وبال ذلك المكر يعود عليهم ويضرهم * قوله عز وجل (وإذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما اوتى رسل الله) يعنى النبوة وذلك ان الوليد بن المغيرة قال للنبى ﷺ لو كانت النبوة حقا لكنت

يعنى محمدا ﷺ ثم قال الله تعالى (الله أعلم حيث يجعل رسالته) قرأ ابن كثير وحفص رسالته على التوحيد وقرأ الآخرون رسالاته بالجمع يعنى الله اعلم بمن هو أحق بالرسالة (سيصيب الذين أجرموا صغار) ذل وهوان (عند الله) أى من عند الله (وعذاب شديد بما كانوا يمكرون) قيل صغار فى الدنيا وعذاب شديد فى الآخرة قوله عز وجل (فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام) أى يفتح قلبه وينوره حتى يقبل الاسلام ولما نزلت هذه الآية سئل رسول الله ﷺ عن شرح الصدر قال نور يقذفه الله فى قلب المؤمن فينشرح له وينفسح قيل فهل لذلك امارة قال نعم الانابة إلى دار الخلود والتجافى عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل نزول الموت قوله تعالى (ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا) قرأ ابن كثير ضيقا بالتخفيف ههنا وفى الفرقان والباقون بالتشديد وهما لغتان مثل هين وهين ولين ولين (حرجا) قرأ أهل المدينة وأبو بكر بكسر الراء والباقون بفتحها وهما لغتان أيضا مثل الدنف والدنف قال سيبويه الحرج بالفتح المصدر كالطب ومعناه ذا حرج وبالكسر الاسم وهو أشد الضيق يعنى يجعل قلبه ضيقا حتى لا يدخله الايمان وقال الكلبى ليس للخير فيه منفذ قال ابن عباس إذا سمع ذكر الله اشمأز قلبه وإذا ذكر شىء من عباده

أنا أولى بها منك لأنى أكبر منك سنا وأكثر منك مالا فأنزل الله هذه الآية وقال مقاتل نزلت فى أبى جهل وذلك انه قال زاحمنا بنو عبد مناف فى الشرف حتى إذا صرنا كفرسى رهان قالوا منا نبى يوحى إليه والله لا نؤمن به ولا نتبعه أبدا إلا أن يأتينا وحى كما يأتيه فأنزل الله هذه الآية وإذا جاءتهم آية يعنى حجة بينة ودلالة واضحة على صدق محمد ﷺ قالوا يعنى الوليد بن المغيرة وأبا جهل بن هشام أو كل واحد من رؤساء الكفر ويدل عليه الآية التى قبلها وهى قوله وكذلك جعلنا فى كل قرية اكابر مجرميها ليمكروا فيها فكان من مكر كفار قريش أن قالوا لن نؤمن لك حتى نؤتى مثل أوتى رسل الله يعنى النبوة وإنما قالوا هذه المقالة الخبيثة حسدا منهم للنبى ﷺ وفى قولهم لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أتى رسل الله قولان أحدهما وهو المشهور أن القوم ارادوا أن تحصل لهم النبوة والرسالة كما حصلت للنبى ﷺ وأن يكونوا متبوعين لا تابعين القول الثانى وهو قول الحسن ومنقول عن ابن عباس أن المعنى وإذا جاءتهم آية من القرآن تأمرهم باتباع محمد ﷺ قالوا لن نؤمن لك يعنى لن نصدقك حتى نؤتى مثل ما أوتى رسل الله يعنى حتى يوحى الينا ويأتينا جبريل بصدقك بأنك رسول الله فعلى هذا القول لم يطلبوا النبوة وإنما طلبوا ان تخبرهم الملائكة بصدق محمد ﷺ وانه رسول من الله تعالى وعلى القول الأول انهم طلبوا ان يكونوا أنبياء ويدل على صحة هذا القول سياق الآية وهو قوله تعالى (الله اعلم حيث يجعل رسالته) يعنى انه تعالى يعلم من يستحق الرسالة فيشرفه بها ويعلم من لا يستحقها ومن ليس بأهل لها وانتم لستم لها بأهل وأن النبوة لا تحصل لمن يطلبها خصوصا لمن عنده حسد ومكر وغدر وقال أهل المعانى الابلغ فى تصديق الرسل أن لا يكونوا قبل البعثة مطاعين فى قومهم لان الطعن كان يتوجه عليهم فيقال إنما كانوا رؤساء مطاعين فاتبعهم قومهم لأجل ذلك فكان الله تعالى أعلم ممن يستحق الرسالة فجمعها ليتيم ابى طالب دون ابى جهل والوليد وغيرهما من اكابر قريش ورؤسائها * وقوله تعالى (سيصيب الذين أجرموا صغار) أى ذلة وهوان وقيل الصغار هو الذل الذى تصغر إلى المرء نفسه فيه (عند الله) يعنى هذا من عند الله وقيل ان هذا الصغار ثابت لهم عند الله فعلى هذا القول إنما يحصل لهم الصغار فى الاخرة وقيل معناه سيصيبهم صغار بحكم الله حكم عليهم فى الدنيا (وعذاب شديد) يعنى فى الاخرة (بما كانوا يمكرون) يعنى إنما حصل لهم هذا الصغار والعذاب بسبب مكرهم وحسدهم وطلبهم ما لا يستحقون * قوله تعالى (فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام) اى الايمان يقال شرح الله صدره فانشرح اى وسعه لقبول الايمان والخير فتوسع وذلك ان الانسان اذا اعتقد فى عمل من الأعمال ان نفعه زائد وخيره راجح وربحه ظاهر مال بطبعه إليه وقويت رغبته فيه فتسمى هذه الحالة سعة النفس وانشراح الصدر وقيل الشرح الفتح والبيان يقال شرح فلان امره إذا وضحه واظهره وشرح المسئلة إذا كانت مشكلة فأوضحها وبينها فقد ثبت ان للشرح معنيين أحدهما الفتح ومنه يقال شرح الكافر بالكفر صدرا أى فتحه لقبوله ومنه قوله تعالى ولكن من شرح بالكفر صدرا وقوله فمن شرح الله صدره للاسلام يعنى فتحه ووسعه لقبوله والثانى ان الشرح نور يقذفه الله فى قلب العبد فيعرف بذلك النور الحق فيقبله وينشرح صدره له ومعنى الاية فمن يرد الله ان يهديه للايمان بالله وبرسوله وبما جاء به من عنده يوفقه له ويشرح صدره لقبوله ويهونه عليه ويسهله له بفضله وكرمه ولطفه به وإحسانه اليه فعند ذلك يستنير الاسلام فى قلبه فيضىء به ويتسع له صدره ولما نزلت هذه الاية سئل النبى ﷺ عن شرح الصدر فقال نور يقذفه الله فى قلب المؤمن فينشرح له وينفسح قيل فهل لذلك امارة قال نعم الانابة إلى دار الخلود والتجافى عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل نزول الموت واسنده الطبرى عن ابن مسعود قيل لرسول الله ﷺ حين نزلت عليه هذه الاية فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام قال إذا دخل النور القلب انفسح وانشرح قالوا فهل لذلك من آية يعرف بها قال الانابة إلى دار الخلود والتجافى عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل لقاء الموت * وقوله تعالى (ومن يرد) أى الله (أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا)

الاصنام ارتاح إلى ذلك وقرأ عمر بن الخطاب رضى الله عنه هذه الآية فسأل اعرابيا من كنانة ما الحرجة فيكم قال الحرجة فينا الشجرة تكون بين الأشجار التى لا تصل اليها راعية ولا وحشية ولا شىء فقال عمر رضى الله عنه كذلك قلب المنافق لا يصل إليه شىء من الخير (كأنما يصعد فى السماء) وقرأ ابن كثير يصعد بالتخفيف (١٥٠) وسكون الصاد وقرأ أبو بكر عن عاصم يصاعد بالألف أى يتصاعد وقرأ الآخرون يصعد بتشديد الصاد والعين أن يتصعد يعنى يشق عليه الايمان كما يشق عليه صعود السماء وأصل الصعود المشقة ومنه قوله تعالى سأرهقه صعودا أى عقبة شاقة (كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون) قال ابن عباس الرجس هو الشيطان أى يسلط عليه وقال الكلبى هو المأثم وقال مجاهد الرجس مالا خير فيه وقال عطاء الرجس العذاب مثل الرجس وقيل هو النجس روى ان رسول الله ﷺ كان إذا دخل الخلاء قال اللهم إنى أعوذ بك من الرجس النجس وقال الزجاج الرجس اللعنة فى الدنيا والعذاب فى الآخرة قوله عز وجل (وهذا صراط ربك مستقيما) اى هذا الذى بينا وقيل هذا الذى انت عليه يا محمد طريق ربك ودينه الذى ارتضاه لنفسه مستقيما لاعوج فيه وهو الاسلام (قد فصلنا الايات لقوم يذكرون لهم دار السلام عند ربهم) يعنى الجنة قال أكثر المفسرين السلام هو الله وداره الجنة وقيل السلام هو السلامة أى لهم دار السلامة من الآفات وهى الجنة وسميت دار السلام لأن كل من دخلها سلم من البلايا والرزايا وقيل سميت بذلك لأن جميع حالاتها مقرونة بالسلام فقال فى الابتداء ادخلوها بسلام آمنين والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم وقال لا يسمعون فيها لغوا إلا سلاما وقال تحيتهم فيها سلام وقال سلام قولا من رب رحيم

يعنى يجعل صدره ضيقا حتى لا يدخله الايمان وقال الكلبى ليس للخير فيه منفذ وقال ابن عباس إذا سمع ذكر الله اشمأز قلبه وإذا سمع ذكر الاصنام ارتاح الى ذلك وقرأ عمر بن الخطاب هذه الاية وعنده أعرابى من كنانة فقال له ما الحرجة فيكم قال الحرجه فينا الشجرة تكون بين الاشجار التى لا تصل اليها راعية ولا وحشية ولا شىء فقال عمر كذلك قلب المنافق لا يصل اليه شىء من الخير واصل الحرج الضيق وهو مأخوذ من الحرجة وهى الأشجار الملتف بعضها على بعض حتى لا يصل اليه شىء وقرأ ابن عباس هذه الاية فقال هل هنا احد من بنى بكر قال رجل نعم قال ما الحرجة فيكم قال الوادى الكثير الشجر المستمسك الذى لا طريق فيه فقال ابن عباس كذلك قلب الكافر قال اهل المعانى لما كان القلب محلا للعموم والاعتقادات وصف الله تعالى قلب من يريد هدايته بالانشراح والانفساح ونوره فقبل ما اودعه من الايمان بالله ورسوله ووصف قلب من يريد ضلالته بالضيق الذى هو خلاف الشرح والانفساح فدل ذلك على ان الله تعالى صير قلب الكافر بحيث لا يعى علما ولا استدلالا على توحيد الله تعالى والإيمان به وفى الآية دليل على أن جميع الأشياء بمشيئة الله وإرادته حتى إيمان المؤمن وكفر الكافر * وقوله تعالى (كأنما يصعد فى السماء) يعنى ان الكافر إذا دعى إلى الإسلام كأنه كلف أن يصعد إلى السماء ولا يقدر على ذلك وقيل يجوز أن يكون المعنى كأن قلب الكافر يصعد إلى السماء نبوا عن الإسلام وتكبرا وقيل ضاق عليه المذهب فلم يجد إلا أن يصعد إلى السماء وليس يقدر على ذلك وقيل هو من المشقة وصعوبة الأمر فيكون المعنى أن الكافر إذا دعى إلى الاسلام فانه يتكلف مشقة وصعوبة فى ذلك كمن يتكلف إلى السماء وليس يقدر على ذلك (كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون) الكاف فى كذلك تنبيه التشبيه وفيه وجهان الأول معناه أن جعله الرجس عليهم كجعله صدورهم ضيقة حرجة والمعنى كما جعلنا صدورهم ضيقة حرجة كذلك يجعل الله الرجس عليهم الوجه الثانى قال الزجاج أى مثل ما قصصنا عليك كذلك يجعل الله الرجس قال ابن عباس الرجس الشيطان أى فيسلطه الله عليهم وقال مجاهد الرجس ما لا خير فيه وفى رواية عن ابن عباس أن الرجس العذاب وقال الزجاج الرجس فى الدنيا اللعنة وفى الآخرة العذاب * قوله عز وجل (وهذا صراط ربك مستقيما) يعنى وهذا الذى بينا لك يا محمد فى هذه السورة وغيرها من سور القرآن هو صراط ربك يعنى دينه الذى شرعه لعباده ورضيه لنفسه وجعله مستقيما لا اعوجاج فيه قال ابن عباس فى قوله وهذا صراط ربك مستقيما يعنى الإسلام وقال ابن مسعود يعنى القرآن لأنه يؤدى من تبعه وعمل به إلى طريق الاستقامة والسداد (قد فصلنا الآيات) يعنى قد فصلنا آيات القرآن بالوعد والوعيد والثواب والعقاب والحلال والحرام والأمر والنهى وغير ذلك من أحكام القرآن (لقوم يذكرون) يعنى لمن يتذكر بها ويتعظ بما فيها من المواعظ والعبر قال عطاء يعنى أصحاب النبى ﷺ ومن تبعهم باحسان (لهم دار السلام عند ربهم) يعنى الجنة فى قول جميع المفسرين قال الحسن والسدى السلام هو الله تعالى وداره الجنة معنى السلام فى أسماء الله تعالى ذو السلام وهو جمع سلامة لأنه تعالى ذو السلامة فى جميع الآفات والنقائص فعلى هذا القول اضيفت الدار إلى السلام الذى هو الله تعالى إضافة تشريف وتعظيم كما قيل للكعبة بيت الله وللنبى ﷺ عبد الله فى قوله انه لما قام عبد الله يدعوه واحتج لصحة هذا بأن فى إضافة الدار إلى الله تعالى نهاية تشريفها وتعظيمها فكان ذكر الإضافة مبالغة فى تعظيم أمرها وقيل إن السلام صفة للدار لأنها دار السلامة الدائمة التى لا تنقطع فعلى هذا يكون السلام بمعنى السلامة كأنه قال دار السلامة التى لا يلقون فيها شيئا يكرهونه وقيل سميت بذلك لأن جميع

(وهو وليهم بما كانوا يعملون) قال الحسين بن الفضل يتولاهم في الدنيا بالتوفيق وفي الآخرة بالجزاء قوله عز وجل (ويوم يحشرهم) قرأ حفص يحشرهم بالياء (جميعا) يعني الجن والانس يجمعهم في موقف القيامة فيقول (يا معشر الجن) والمراد بالجن الشياطين (قد استكثرتم من الانس) اي استكثرتم من الانس بالاضلال والاغواء أي أضللتم كثيرا (وقال أولياؤهم) من الانس) يعني أولياء الشياطين الذين أطاعوهم من الانس، (ربنا استمتع بعضنا ببعض) قال الكلبي استمتاع الانس بالجن هو ان الرجل اذا كان سافر ونزل بأرض قفر وخاف على نفسه من الجن قال أعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه فيبيت في جوارهم وأما استمتاع الجن بالانس هو انهم قالوا قد سدنا الانس مع الجن حتى عادوا بنا فيزدادون شرفا في قومهم وعظما في أنفسهم وهذا كقوله تعالى وأنه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا وقيل استمتاع الانس بالجن ما كانوا يلقون إليهم من الأراجيف والسحر والكهانة وتزيينهم لهم الأمور التي يهوونها حتى يسهل فعلها عليهم واستمتاع الجن بالانس طاعة الانس للجن فيما يزينون لهم من الضلالة والمعاصي وقيل استمتاع الانس بالجن فيما كانوا يدلونهم على أنواع الشهوات وأصناف الطيبات ويسهلونها عليهم واستمتاع الجن بالانس هي طاعة الانس للجن فيما يأمرونهم به وينقادون لحكمهم فصاروا كالرؤساء للانس والانس كالاتباع وقيل ان قوله ربنا استمتع بعضنا ببعض هو من كلام الانس خاصة لأن استمتاع الجن بالانس وبالعكس امر نادر لا يكاد يظهر اما استمتاع الانس بعضهم ببعض فهو ظاهر فوجب حمل الكلام عليه (وبلغنا أجلنا الذي أجلت لنا) يعني ان ذلك الاستمتاع كان إلى أجل معين ووقت محدود ثم ذهب وبقيت الحسرة والندامة قال الحسن والسدي الاجل الموت وقيل هو وقت البعث للحساب في يوم القيامة (قال) يعني قال الله لهؤلاء الذين استمتع بعضهم ببعض من الجن والانس (النار مثواكم) يعني ان النار مقامكم ومقركم فيها ومصيركم إليها (خالدين فيها) يعني مقيمين في نار جهنم ابدا (إلا ما شاء الله) اختلفوا في معنى هذا الاستثناء فقيل معناه خالدين فيها إلا قدر مدة بعثهم ووقوفهم للحساب إلى حين دخولهم إلى النار فان هذا الوقت ليسوا بخالدين فيه في النار وقيل المراد من الاستثناء هو اوقات نقلتهم من عذاب إلى عذاب آخر وذلك انهم يستغيثون من النار فينقلون إلى الزمهرير ثم يستغيثون منه فينقلون إلى النار فكانت مدة نقلهم هي المراد من هذا الاستثناء ونقل جمهور المفسرين عن ابن عباس انه قال ان هذا الاستثناء يرجع إلى قوم سبق في علم الله انهم يسلمون ويصدقون النبي ﷺ فيخرجون من النار قالوا فعلى هذا التأويل تكون ما في قوله إلا ما شاء الله بمعنى من يعني إلا من شاء الله ونقل الطبري عن ابن عباس انه كان يتناول هذا الاستثناء بأن الله عز وجل جعل امر هؤلاء القوم في مبلغ عذابهم إلى حالاتها مقرونة بالسلامة كما قال تعالى في وصفها ادخلوها بسلام آمنين والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم وقال تحيتهم فيها سلام وقال سلام قولا من رب رحيم لا يسمعون فيها لغوا إلا سلاما وقوله عندربهم يعني أن الجنة معدة مهيأة لهم عند ربهم حتى يوصلهم إليها (وهو وليهم بما كانوا يعملون) يعني أنه تعالى يتولى أمرهم وإيصال المنافع إليهم ويدفع المضار عنهم وقيل معناه أنه يتولاهم في الدنيا بالتوفيق والهداية وفي الاخرة بالجزاء والجنة وقيل الولي هو الناصر والقريب يعني أنه تعالى ينصرهم في الدنيا ويقربهم في الآخرة بسبب أعمالهم الصالحة التي كانوا يتقربون بها إليه في الدنيا قوله تعالى (ويوم يحشرهم جميعا) أي اذكر يا محمد يوم نحشر المعاندين بالله الأصنام مع أوليائهم من الشياطين يعني نحشر المشركين والشياطين جميعا يوم القيامة (يا معشر الجن) فيه حذف تقديره يقول لهم يا معشر الجن والمعشر الجماعة والمراد من الجن الشياطين (قد استكثرتم من الانس) يعني من إضلالهم وإغوائهم وقال ابن عباس معناه أضللتم كثيرا من الانس وهذا التفسير لا بد له من تأويل آخر لان الجن لا يقدرون على اضلال الانس وإغوائهم بأنفسهم لأنه لا يقدر على الاجبار أحد إلا الله لأنه هو المتصرف في خلقه بما شاء فوجب ان يكون المعنى قد استكثرتم من الدعاء إلى الإضلال مع مصادفة القبول من الانس (وقال أولياؤهم من الانس ربنا استمتع بعضنا ببعض) يعني استمتع الجن بالانس والانس بالجن فاما استمتاع الانس بالجن فقال الكلبي كان الرجل في الجاهلية إذا سافر فنزل بأرض قفر او خاف على نفسه من الجن قال أعوذ بسيد هذا الوادي من شر سفهاء قومه فيبيت في جوارهم واما استمتاع الجن بالانس فهم انهم قالوا سدنا الانس مع الجن حتى عادوا بنا فيزدادون بذلك شرفا في قومهم وعظما في انفسهم وقيل استمتاع الانس بالجن هو ما كانوا يلقون إليهم من الأراجيف والسحر والكهانة وتزيينهم الامور التي كانوا يهوونها وتسهيل سبلها عليهم واستمتاع الجن بالانس طاعة الانس للجن فيما يزينون لهم من الضلالة والمعاصي وقيل استمتاع الانس بالجن فيما كانوا يدلونهم على انواع الشهوات واصناف الطيبات ويسهلونها عليهم واستمتاع الجن بالانس هي طاعة الانس للجن فيما يأمرونهم به وينقادون لحكمهم فصاروا كالرؤساء للانس والانس كالاتباع وقيل ان قوله ربنا استمتع بعضنا ببعض هو من كلام الانس خاصة لأن استمتاع الجن بالانس وبالعكس امر نادر لا يكاد يظهر اما استمتاع الانس بعضهم ببعض فهو ظاهر فوجب حمل الكلام عليه (وبلغنا أجلنا الذي أجلت لنا) يعني ان ذلك الاستمتاع كان إلى أجل معين ووقت محدود ثم ذهب وبقيت الحسرة والندامة قال الحسن والسدي الاجل الموت وقيل هو وقت البعث للحساب في يوم القيامة (قال) يعني قال الله لهؤلاء الذين استمتع بعضهم ببعض من الجن والانس (النار مثواكم) يعني ان النار مقامكم ومقركم فيها ومصيركم إليها (خالدين فيها) يعني مقيمين في نار جهنم ابدا (إلا ما شاء الله) اختلفوا في معنى هذا الاستثناء فقيل معناه خالدين فيها إلا قدر مدة بعثهم ووقوفهم للحساب إلى حين دخولهم إلى النار فان هذا الوقت ليسوا بخالدين فيه في النار وقيل المراد من الاستثناء هو اوقات نقلتهم من عذاب إلى عذاب آخر وذلك انهم يستغيثون من النار فينقلون إلى الزمهرير ثم يستغيثون منه فينقلون إلى النار فكانت مدة نقلهم هي المراد من هذا الاستثناء ونقل جمهور المفسرين عن ابن عباس انه قال ان هذا الاستثناء يرجع إلى قوم سبق في علم الله انهم يسلمون ويصدقون النبي ﷺ فيخرجون من النار قالوا فعلى هذا التأويل تكون ما في قوله إلا ما شاء الله بمعنى من يعني إلا من شاء الله ونقل الطبري عن ابن عباس انه كان يتناول هذا الاستثناء بأن الله عز وجل جعل امر هؤلاء القوم في مبلغ عذابهم إلى

كما اختلفوا في قوله خالدين فيها ما دامت السموات والارض إلا ما شاء ربك قيل اراد إلا قدر مدة ما بين بعثهم إلى دخولهم جهنم يعني خالدون في النار إلا هذا المقدار وقيل الاستثناء يرجع إلى العذاب وهو قوله النار مثواكم اي خالدين في النار سوى ما شاء الله من انواع العذاب وقال ابن عباس الاستثناء يرجع إلى قوم سبق فيهم علم الله انهم يسلمون فيخرجون من النار واما بمعنى من على هذا التأويل

(وإن ربك حكيم علیم) قيل حكيم بمن استثنى علیم بما فى قلوبهم من البر والتقوى (وكذلك نولى بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون) قيل أى كما خذلنا عصاة الجن والانس حتى استمتع بعضهم ببعض نولى بعض الظالمين بعضا أى نسلط بعض الظالمين على بعض فنأخذ من الظالم بالظالم كما جاء من اعان ظالما سلطه الله عليه وقال قتادة نجعل بعضهم أولياء بعض فالمؤمن ولى المؤمن أين كان والكافر ولى الكافر حيث كان وروى معمر عن قتادة نتبع بعضهم بعضا فى النار من الموالاة وقيل معناه نولى ظلمة الانس ظلمة الجن ونولى ظلمة الجن ظلمة الانس اى نكل بعضهم إلى بعض كقوله تعالى نوله ما تولى وروى الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس رضى الله عنهما فى تفسيرها هوان الله تعالى إذا أراد بقوم خيرا ولى امرهم خيارهم وإذا أراد بقوم شرا ولى أمرهم شرارهم قوله عز وجل (يامعشر الجن والانس ألم يأتكم رسل منكم) واختلفوا فى ان الجن هل ارسل إليهم منهم رسول فسئل الضحاك عنه فقال بلى ألم تسمع الله يقول ألم يأتكم رسل منكم يعنى بذلك رسلا من الانس ورسلا من الجن قال الكلبى كانت الرسل من قبل أن يبعث محمد صلى الله عليه وسلم يبعثون إلى الجن والانس جميعا ومحمد الرسول صلى الله عليه وسلم يبعث إلى الجن والانس كافة قال مجاهد الرسل من الانس والنذر من الجن ثم قرأ ولوا إلى قومهم منذرين وهم قوم يسمعون كلام الرسل فيبلغون وينذرونكم الجن ماسمعوا وليس للجن رسل فعلى هذا قوله رسل منكم ينصرف إلى أحد الصنفين وهم الانس كما قال يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وإنما يخرج من الملح دون العذب وقال وجعل القمر فيهن نورا وإنما هى فى سماء واحدة (يقصون عليكم) أى يقرؤن عليكم (اياتى) كتبى

مشيئته وقال فى هذه الاية أنه لا ينبغى لأحد أن يحكم على الله فى خلقه أن لا ينزلهم جنة ولا نارا قال الزجاج والقول الأول أولى لأن معنى الاستثناء إنما هو من يوم القيامة لأن قوله ويوم نحشرهم جميعا هو يوم القيامة ثم قال خالدين فيها منذ يبعثون إلا ماشاء الله من مقدار حشرهم من قبورهم ومقدار مدة محاسبتهم (إن ربك حكيم) يعنى فى تدبير خلقه وتصريفه إياهم فى مشيته من حال إلى حال وغير ذلك من أفعاله وقيل حكيم فيما يفعله من ثواب الطائع وعقاب العاصى وفى سائر وجوه المجازاة (علیم) يعنى بعواقب أمور خلقه وما هم إليه صائرون كأنه قال إنما حكمت لهؤلاء الكفار بالخلود فى النار لعلمى بأنهم يستحقون ذلك * قوله عز وجل (وكذلك نولى بعض الظالمين بعضا) الكاف فى كذلك كاف التشبيه تقتضى شيئا تقدم ذكره فالتقدير كما انزلت العذاب بالجن والانس الذين استمتع بعضهم ببعض كذلك نولى بعض الظالمين بعضا أى نسلط بعضهم على بعض فنأخذ من الظالم بالظالم كما جاء فى الأثر من اعان ظالما سلطه الله عليه وقال قتادة نجعل بعضهم أولياء بعض فالمؤمن ولى المؤمن حيث كان وأين كان والكافر ولى الكافر حيث كان وأين كان وفى رواية أخرى عن قتادة قال يتبع بعضهم بعضا فى النار من الموالاة وقيل معناه نولى ظلمة الانس ظلمة الجن، وظلمة الجن ظلمة الانس يعنى نكل بعضهم إلى بعض وقال ابن عباس فى تفسير هذه الاية وأن الله تعالى إذا أراد بقوم خيرا ولى عليهم خيارهم وإذا أراد بقوم شرا ولى عليهم شرارهم فعلى هذا القول أن الرعية متى كانوا ظالمين سلط الله عز وجل عليهم ظالما مثلهم فمن أراد أن يخلص من ظلم ذلك الظالم فليترك الظلم * وقوله تعالى (بما كانوا يكسبون) يعنى يسلط عليهم من يظلمهم بسبب أعمالهم الخبيثة التى اكتسبوها * قوله تعالى (يامعشر الجن والانس) المعشر كل جماعة أمرهم واحد والجمع معاشر (ألم يأتكم رسل منكم) اختلف العلماء فى معنى هذه الاية وهل كان من الجن رسل أم لا فذهب اكثر العلماء إلى انه لم يكن من الجن رسول وإنما كانت الرسل من الانس وأجابوا عن قوله رسل منكم يعنى من أحدكم وهم الانس فحذف المضاف فهو كقوله يخرج من أحدهما وهو الملح دون العذب وإنما جاز ذلك لأن ذكرهما قد جمع فى قوله مرج البحرين وهو جائز فى كل ما اتفق فى اصله فلذلك لما اتفق ذكر الجن مع الانس جاز مخاطبتهما بما ينصرف إلى أحد الفريقين وهم الانس وهذا قول الفراء والزجاج ومذهب جمهور أهل العلم قال الواحدى وعليه دل كلام ابن عباس لانه قال يريد أنبياء من جنسهم ولم يكن من جنس الجن أنبياء وذهب قوم إلى أنه أرسل الى الجن رسلا منهم كما أرسل إلى الانس رسلا منهم قال الضحاك من الجن رسل كما من الانس رسل وظاهر الاية يدل على ذلك لأنه تعالى قال ألم يأتكم رسل منكم فخاطب الفريقين جميعا وأجيب عن ذلك بأن الله تعالى قال يا معشر الجن والانس ألم يأتكم رسل منكم وهذا يقتضى كون الرسل بعضا من أبعاض هذا المجموع وإذا كان الرسل من الانس كان الرسل بعضا من أبعاض هذا المجموع وكان هذا القول أولى من حمل لفظ الاية على ظاهرها فثبت بذلك كون الرسل من الانس لا من الجن ويحتمل أيضا أن يقال ان كافة الرسل كانوا من الانس لكن الله تعالى يلقى الداعية فى قلوب قوم من الجن، حتى يسمعوا كلام الرسل من الانس ثم يأتوا قومهم من الجن فيخبروهم بما سمعوا من الرسول ينذرهم به كما قال تعالى وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن يستمعون القرآن إلى فلما قضى ولوا إلى قومهم منذرين فكان أولئك النفر من الجن رسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى قومهم وهذا مذهب مجاهد فانه قال الرسل من الانس والنذر من الجن ونحو ذلك، قال ابن جريج وأبو عبيدة وقيل كانت الرسل يبعثون إلى الجن من الجن ولكن بواسطة رسل الانس والله أعلم بمراده وأسرار كتابه * وقوله تعالى (يقصون عليكم آياتى) يعنى يخبرونكم بما أوحى من آياتى الدالة على توحيدى وتصديق رسلى

(ويندرونكم لقاء يومكم هذا) وهو يوم القيامة (قالوا شهدنا على أنفسنا) أنهم قد بلغوا قال مقاتل وذلك حين شهدت عليهم جوارحهم بالشرك والكفر قال الله عز وجل (وغرتهم الحياة الدنيا) حتى لم يؤمنوا (وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين ان لم يكن ربك مهلك القرى بظلم) أى ذلك الذى قصصنا عليك من أمر الرسل وعذاب من كذبهم لأنه لم يكن ربك مهلك القرى بظلم أى لم يكن يهلكهم بظلم أى بشرك من اشرك (وأهلها غافلون) لم ينذروا حتى يبعث اليهم رسلا ينذرونهم وقال الكلبى لم يهلكهم بذنوبهم من قبل أن يأتيهم الرسل وقيل معناه لم يكن ليهلكهم دون التنبيه والتذكير بالرسل فيكون قد ظلمهم وذلك ان الله تعالى اجرى السنة ان لا يأخذ أحدا إلا بعد وجود الذنب وإنما يكون مذنبا إذا أمر فلم يأتمر أو نهى فلم ينته وذلك يكون بعد إنذار الرسل (ولكل درجات مما عملوا) يعنى فى الثواب والعقاب على قدر أعمالهم فى الدنيا فمنهم من هو أشد عذابا ومنهم من هو أجزل ثوابا (وما ربك بغافل عما يعملون) قرأ ابن عامر تعملون بالتاء والباقون بالياء (وربك الغنى) عن خلقه (ذو الرحمة) قال ابن عباس بأوليائه وأهل طاعته وقال الكلبى بخلقه ذو التجاوز (إن يشأ يذهبكم) يهلككم وعيد لأهل مكة (ويستخلف) ويخلف (من بعدكم ما يشاء) خلقا غيركم امثل واطوع (كما أنشأكم من ذرية قوم آخرين) اى من نسل ابائهم الماضين قرنا بعد قرن

(ويندرونكم لقاء يومكم هذا) يعنى ويحذرونكم ويخوفونكم لقاء عذابى فى يومكم هذا وهو يوم القيامة وذلك ان الله تعالى يقول يوم القيامة لكفار الجن والانس على سبيل التقريع والتوبيخ فى ما أخبر فى كتابه وهو قوله تعالى يا معشر الجن والانس الاية فيجيبون بما اخبر عنهم فى قوله تعالى (قالوا) يعنى كفار الجن والانس (شهدنا على أنفسنا) اعترفوا بأن الرسل قد أتتهم وبلغتهم رسالات ربهم وأنذروا لقاء يومهم هذا وأنهم كذبوا الرسل ولم يؤمنوا بهم وذلك حين شهدت عليهم جوارحهم بالشرك والكفر قال تعالى (وغرتهم الحياة الدنيا) إنما كان ذلك بسبب أنهم غرتهم الحياة الدنيا ومالوا اليها (وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين) فى الدنيا * فان قلت كيف أقروا على أنفسهم بالكفر فى هذه الاية وجحدوا الشرك والكفر فى قوله والله ربنا ما كنا مشركين * قلت يوم القيامة يوم طويل والأحوال فيه مختلفة فاذا رأو ما حصل للمؤمنين من الخير والفضل والكرامة انكروا الشرك لعل ذلك الانكار ينفعهم وقالوا والله ربنا ما كنا مشركين فحينئذ يختم على أفواههم وتشهد عليهم جوارحهم بالشرك والكفر فذلك قوله تعالى وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين * فان قلت لم كرر الشهادة على أنفسهم * قلت شهادتهم الأولى اعتراف منهم بما كانوا عليه فى الدنيا من الشرك والكفر وتكذيب الرسل وفى قوله وشهدوا على أنفسهم ذم لهم وتخطئة لرأيهم ووصف لقلة نظرهم لأنفسهم وأنهم قوم غرتهم الحياة الدنيا ولذاتها فكانت عاقبة امرهم ان اضطروا إلى الشهادة على أنفسهم بالكفر والمقصود من شرح حالهم تحذير السامعين وضجرهم عن الكفر والمعاصى وقوله عز وجل (ذلك) إشارة إلى ما تقدم ذكره من بعثة الرسل اليهم وإنذارهم سوء العاقبة وقال الزجاج معناه ذلك الذى قصصنا عليك من امر الرسل عذاب من كذبهم (ان لم يكن ربك) يعنى لأنه لم يكن ربك (مهلك القرى بظلم) قال الكلبى معناه لم يكن ليهلكهم بذنوبهم من قبل أن يأتيهم الرسل فتنهاهم فان رجعوا وإلا اتاهم العذاب وهذا قول جمهور المفسرين قال الفراء يجوز أن يكون المعنى لم يكن ليهلكهم بظلم منه (وأهلها غافلون) فعلى قول الجمهور يكون الظلم فعلا للكفار وهو شركهم وذنوبهم التى عملوها وعلى قول الفراء أنه لو أهلكهم قبل بعثة الرسل لكان ظالما والله عز وجل تعالى عن الظلم والقول الأول أصح لأنه تعالى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا اعتراض لاحد عليه فى شىء من أفعاله غير أنه اخبر أنه لا يعذب قبل بعثة الرسل ولو فعل ذلك لم يكن ظلما منه قوله تعالى (ولكل درجات مما عملوا) يعنى ولكل عامل بطاعة الله أو بمعصيته درجات يعنى منازل يبلغها بعمله إن كان خيرا فخير وإن كان شرا فشر وإنما سميت درجات لتفاضلها فى الارتفاع والانحطاط كتفاضل الدرج وهذا إنما يكون فى الثواب والعقاب على قدر أعمالهم فى الدنيا فمنهم من هو اعظم ثوابا ومنهم من هو أشد عقابا وهو قول جمهور المفسرين وقيل ان قوله تعالى ولكل درجات مما عملوا مختص بأهل الطاعة لأن لفظ الدرجة لا يليق إلا بهم * وقوله تعالى (وما ربك بغافل عما يعملون) مختص بأهل الكفر والمعاصى ففيه وعيد وتهديد لهم والقول الاول اصح لان علمه تعالى شامل لكل المعلومات فيدخر فيه المؤمن والكافر والطائع والعاصى وانه عالم على التفصيل التام فيجزى كل عامل على قدر عمله وما يليق به من ثواب او عقاب * قوله عز وجل (وربك الغنى) يعنى عن خلقه وذلك انه تعالى لما بين ان لكل عامل بطاعة او معصية درجة على قدر عمله بين ان تخصيص المطيعين بالثواب والعاصين بالعقاب ليس لانه محتاج إلى طاعة المطيع او منتقص بمعصية العاصى بل هو الغنى على الاطلاق وان جميع الخلق فقراء اليه (ذو الرحمة) قال ابن عباس بأوليائه واهل طاعته وقال الكلبى بخلقه ذو التجاوز عنهم فمن رحمته تأخير العذاب عن المذنبين لعلهم يتوبون ويرجعون (إن يشأ يذهبكم) يعنى يهلككم الخطاب لاهل مكة ففيه وعيد وتهديد لهم (ويستخلف) يعنى وينشىء ويخلق (من بعدكم) يعنى من بعد اهلاككم (ما يشاء) يعنى خلقا غيركم امثل واطوع منكم (كما انشأكم من ذرية قوم آخرين) اختلف

(إن ما توعدون) أى ما توعدون من مجىء الساعة والحشر (لآت) كائن (وما أنتم بمعجزين) أى بفائتين يعنى بدركم الموت حيث ما كنتم (قل) يا محمد (ياقوم اعملوا على (٥٤) مكانتكم قرأ أبو بكر عن عاصم مكاناتكم بالجمع حيث كان أى على تمكنكم قل عطاء على حالاتكم التى أنتم عليها قال الزجاج اعملوا على ما أنتم عليه يقال للرجل إذا أمر دان يثبت على حاله على مكانتك يا فلان اى اثبت على ما انت عليه وهذا امر وعيد عن المبالغة يقول الله تعالى لنبيه ﷺ قل لهم اعملوا على ما أنتم عاملون (إنى عامل) ما امرنى به ربى عز وجل (فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار) اى الجنة قرأ حمزة والكسائى يكون بالياء هنا وفى القصص وقرأ الاخرون بالتاء لتأنيث العاقبة (إنه لا يفلح الظالمون) قال ابن عباس معناه لا يسعد من كفر بى واشرك قال الضحاك لا يفوز قوله عز وجل (وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا) الاية كان المشركون يجعلون لله من حروثهم وانعامهم وثمارهم وسائر اموالهم نصيبا وللاوثان نصيبا فما جعلوه لله صرفوه إلى الضيفان والمساكين وما جعلوه للاصنام انفقوه على الاصنام وخدمها فان سقط شىء مما جعلوه لله تعالى فى نصيب الاوثان تركوه قالوا ان الله غنى عن هذا وان سقط شىء من نصيب الاصنام فيما جعلوه لله ردوه إلى الاوثان وقالوا انها محتاجة وكان إذا هلك او نقص شىء مما جعلوه لله لم يبالوا به وإذا هلك او انتقص شىء مما جعلوا للاصنام جبروه عقبه بما جعلوه لله فذلك قوله تعالى وجعلوا لله مما ذرأ من خلق الحرث والانعام نصيبا وفيه اختصار مجازه وجعلوا لله نصيبا ولشركائهم نصيبا

عبارات المفسرين فى هذه اللفظة فقال النعوى يعنى آباءهم الماضين قرنا بعد قرن ونحوه قال الواحدى وصاحب الكشاف يعنى من أولاد آخرين لم يكونوا على مثل صفتكم وهم أهل سفينة نوح عليه السلام وقال الامام فخر الدين الرازى فى قوله تعالى ويستخلف من بعدكم يعنى من بعد اذهابكم لان الاستخلاف لا يكون إلا على طريق البدل من فائت واما قوله ما يشاء فالمراد منه خلق ثالث أو رابع واختلفوا فيه فقال بعضهم خلقا آخر من أمثال الجن والإنس قال القاضى وهو الوجه الأقرب لأن القوم يعلمون بالعادة انه تعالى قادر على إنشاء أمثال هذا الخلق فمتى كمل خلق ثالث ورابع يكون اقوى فى دلالة القدرة فكانه تعالى نبه على ان قدرته ليست مقصورة على جنس دون جنس من الخلق الذين يصحون لرحمته العظيمة التى هى الثواب فبين بهذا الطريق أنه تعالى لرحمته لهؤلاء الأقوام الحاضرين أبقاهم وأمهلهم ولو شاء لأماتهم وأفناهم وأبدل منهم سواهم ثم بين الله تعالى قوة قدرته على ذلك فقال كما أنشأكم من ذرية قوم آخرين لأن المرء إذا تفكر علم أنه تعالى خلق الإنسان من نطفة ليس فيها من صورته قليل ولا كثير فوجب أن يكون ذلك بمحض القدرة والحكمة وإذا كان كذلك فكما قدر على تصوير هذه الأجسام بهذه الخاصة فكذلك يقدر على تصويرهم خلقا آخر مخالفا لها هذا آخر كلامه وقال الطبرى فى قوله كما أنشأكم من ذرية قوم آخرين يقول كما احدثكم وابتدعكم من بعد خلق آخرين كانوا قبلكم ومعنى من فى هذا الموضع التعقيب كما يقال فى الكلام أعطيتك من دينار ثوبا يعنى مكان الدينار ثوبا إلا ان الثوب من الدينا بعض كذلك الذين خوطبوا بقوله كما أنشأكم لم يرد بأخبارهم هذا الخبر أنهم انشئوا من أصلاب قوم آخرين لكن معنى ذلك ما ذكرنا أنشؤا مكان قوم آخرين قد أهلكوا قبلهم * قوله تعالى (إن ما توعدون) به من مجىء الساعة والبعث بعد الموت والحشر للحساب يوم القيامة (لآت) يعنى أنه كائن قريب (وما أنتم بمعجزين) يعنى بفائتين حيثما كنتم بدركم الموت (قل) الخطاب للنبى ﷺ أى قل يا محمد (ياقوم) أى قل لقومك من كفار قريش (اعملوا على مكانتكم) وقرئ مكاناتكم على الجمع والمكانة تكون مصدرا يقال مكن مكانة إذا تمكن ابلغ التمكن وبمعنى المكان يقال مكان ومكانة كما يقال مقام ومقامة فقوله اعملوا على مكانتكم يحتمل أن يكون معناه اعملوا على تمكنكم من امركم واقصى استطاعتكم وامكانكم ويحتمل ان يكون معناه اعملوا على حالتكم التى أنتم عليها كما يقال للرجل إذا امر ان يثبت على حالة مكانتك يا فلان اى اثبت على ما انت عليه لا تتغير عنه وقال ابن عباس معناه اعملوا على ناحيتكم (إنى عامل) يعنى إنى عامل على مكانتى التى انا عليها وما امرنى به ربى والمعنى اثبتوا على ما انتم عليه من الكفر والعداوة فانى ثابت على الإسلام والمصابرة * فان قلت ظاهر الاية يدل على امر الكفار بالإقامة على ما هم عليه من الكفر وذلك لا يجوز * قلت معنى هذا الأمر الوعيد والتهديد والمبالغة فى الزجر عما هم عليه من الكفر فكانه قال اقيموا على ما انتم عليه من الكفر إن رضيتم لانفسكم بالعذاب الدائم فهو كقوله تعالى اعملوا ما شئتم ففيه تفويض امر العمل اليهم على سبيل الزجر والتهديد وليس فيه إطلاق لهم فى عمل ما ارادوه من الكفر والمعاصى * وقوله تعالى (فسوف تعلمون) يعنى لمن تكون العاقبة المحمودة لنا او لكم وقيل معناه فسوف تعلمون عند نزول العذاب بكم اينا كان على الحق فى عمله نحن ام انتم (من تكون له عاقبة الدار) يعنى فسوف تعلمون غدا يوم القيامة لمن تكون له عاقبة الدار وهى الجنة (إنه لا يفلح الظالمون) قال ابن عباس معناه انه لا يسعد من كفر بى واشرك ثم فى هذه الاية قولان احدهما انها محكمة وهذا على قول من يقول ان المراد بقوله اعملوا على مكانتكم الوعيد والتهديد والقول الثانى انها منسوخة بآية السيف وهذا على قول من يقول ان المراد بها ترك القتال * قوله تعالى (وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا) الاية بين الله عز وجل قبح طريقة الكفار وما كانوا عليه من إنكار البعث وغير ذلك

(فقالوا هذا لله بزعمكم) قرأ الكسائي بزعمهم بضم الزاي والباقون بفتحها وهما لغتان وهو القول من غير حقيقة (وهذا لشركائنا) يعني الأوثان (فما كان لشركائهم فلا يصل إلى الله وما كان لله فهو يصل إلى شركائهم) ومعناه ما قدنا أنهم كانوا يتمون ما جعلوا للأوثان مما جعلوه لله ولا يتمون ما جعلوه لله مما جعلوه للأوثان وقال قتادة كانوا إذا أصابتهم سنة استعانوا بما جزؤا لله وأكلوا منه فوفروا ما جزؤا لشركائهم ولم يأكلوا منه (ساء ما يحكمون) اى بئس ما يقضون (وكذلك زين لكثير من المشركين) أى كما زين لهم تحريم الحرث والانعام كذلك زين لكثير من المشركين (قتل اولادهم شركاؤهم) قال مجاهد شركاؤهم اى شياطينهم زينوا وحسنوا لهم وادالبنات خيفة العيلة سميت الشياطين شركاء لانهم اطاعوهم فى معصية الله واضيف الشركاء اليهم لانهم اتخذوها وقال الكلبي شركاؤهم سدنة آلهتهم الذين كانوا يزينون للكفار قتل الاولاد وكان الرجل منهم يحلف لئن ولد له كذا غلاما لينحرن احدهم كما حلف عبد المطلب على ابنه عبد الله وقرا ابن عامر زين بضم الزاى وكسر الياء قتل رفع اولادهم نصب شركائهم بالخفض على التقديم كأنه قال زين لكثير من المشركين قتل شركائهم اولادهم فصل بين الفعل وفاعله بالمفعول به وهو الاولاد كما قال الشاعر

فرجحته متمكنا * زج القلوص أبي مزاده اى زج ابى مزادة القلوص فأضيف الفعل وهو القتل او الشوكاء وان لم يتولوا ذلك لانهم هم الذين زينوا ذلك ودعوا اليه فكأنهم فعلوه قوله عز وجل (ليردهم) ليهلكوهم (وليلبسوا عليهم) ليخلطوا عليهم (دينهم) قال ابن عباس ليدخلوا عليهم الشك دينهم وكانوا على دين اسماعيل فرجعوا عنه بلبس الشياطين

عقيب بذكر أنواع من جهالاتهم وأحكامهم الفاسدة تنبيها على ضعف عقولهم وفساد ما كانوا عليه فى الجاهلية فقال تعالى وجعلوا لله مما ذرأ يعنى مما خلق من الحرث يعنى الزرع والثمر والأنعام يعنى ومن الأنعام وهى الابل والبقر والغنم نصيبا يعنى قسما وجزءا قال المفسرون وكان المشركون فى الجاهلية يجعلون لله من حروثهم وثمارهم وأنعامهم وسائر أموالهم نصيبا وللاصنام نصيبا فما جعلوه من ذلك لله صرفوه إلى الضيفان والمساكين وما جعلوه للاصنام انفقوه عليها وعلى خدمتها فان سقط شىء مما جعلوه لله نصيب الأوثان تركوه وقالوا ان الله غنى عن هذا وان سقط شىء من نصيب الأوثان فيما جعلوه لله ردوه إلى الأوثان وقالوا انها محتاجة اليه وكانوا إذا أهلك شىء مما جعلوه لله لم يبالوا به وإذا انتقص شىء مما جعلوه للاوثان جبروه مما جعلوه لله فذلك قوله وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيبا وفيه اختصار تقديره وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيبا وللاصنام نصيبا (فقالوا هذا لله بزعمهم) يعنى قولهم الذى هو بغير حقيقة لأن معنى زعم حكاية قول يكون بظنة الكذب ولذلك لا يجىء إلا فى وضع ذم لقائليه وإنما نسبوا الى الكذب فى قولهم هذا الله بزعمهم وان كانت الأشياء كلها لله لاضافتهم نصيب الأصنام مع نصيب الله وهو قولهم (وهذا لشركائنا) يعنى الأصنام وإنما سموا الأصنام شركاء لأنهم جعلوا لها نصيبا من أموالهم ينفقونه عليها (فما كان لشركائهم) يعنى وما جعلوا لها من الحرث والأنعام (فلا يصل الى الله) يعنى فلا يعطونه المساكين ولا ينفقونه على الضيفان (وما كان لله فهو يصل الى شركائهم) والمعنى انهم كانوا يقرون ما جعلوا للاصنام مما جعلوه لله ولا يقرون ما جعلوه لله مما جعلوه للاصنام وقال قتادة كانوا إذا أصابتهم سنة قحط وشدة استعانوا بما جعلوه لله وأكلوا منه ووفروا ما جعلوه لشركائهم ولم يأكلوا منه شيئا وقال الحسن والسدى كانوا إذا هلك ما جعلوه لشركائهم أخذوا بدله مما جعلوه لله ولا يفعلون ذلك فيما جعلوه لشركائهم فلذلك ذمهم الله تعالى فقال (ساء ما يحكمون) يعنى بئس ما يحكمون ويقضون وذلك انهم رجحوا جانب الأصنام على جانب الله تعالى فى الرعاية والحفظ وهذا سفه منهم وقيل ان الأشياء كلها لله عز وجل وهو خلقها فلما جعلوا للأصنام جزءا من المال وهى لا تملك ولا تخلق ولا تضر ولا تنفع نسبوا إلى الاساءة فى الحكم والمقصود من ذلك بيان ما كانوا عليه فى الجاهلية من هذه الأحكام الفاسدة التى لم يرد بها شرع ولا نص ولا يحسنها عقل * قوله عز وجل (وكذلك) عطف على قوله وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيبا يعنى كما فعلوا ذلك جهلا منهم كذلك زين لكثير منهم قتل أولادهم شركاؤهم والمعنى ان جعلهم لله نصيبا من أموالهم لشركائهم نصيبا فى غاية الجهل بمعرفة الخالق المنعم لأنهم جعلوا الاصنام مثله فى استحقاق النصيب وكذلك اقدامهم على قتل أولادهم فى نهاية الجهالة أيضا فكأنه قال ومثل ذلك الذى فعلوه فى القسم جهلا وخطأ وضلالا كذلك (زين) يعنى حسن (لكثير من المشركين قتل أولادهم) يعنى به وادالبنات احياء مخافة الفقر والعيلة (شركاؤهم) يعنى شياطينهم امروهم ان يقتلوا أولادهم خشية الفقر وسميت الشياطين شركاء لانهم اطاعوهم فيما امروهم به من معصية الله وقتل الاولاد فاشركوهم مع الله فى وجوب طاعتهم واضيف الشركاء إلى المشركين لانهم اطاعوهم واتخذوهم اربابا وقال الكلبى شركاؤهم سدنة آلهتهم يعنى خدامها وهم الذين كانوا يزينون ويحسنون للكفار قتل الأولاد وكان الرجل فى الجاهلية يقوم فيحلف لئن ولد له كذا وكذا غلاما لينحرن آخرهم كما حلف عبد المطلب على ابنه عبد الله فعلى هذا القول الشركاء هم السدنة وخدام الأصنام سموا شركاء لانهم اشركوهم فى الطاعة (ليردوهم) يعنى ليهلكوهم بذلك الفعل الذى أمروهم به والارداء فى اللغة الاهلاك قال ابن عباس ليردوهم فى النار (وليلبسوا عليهم

(ولو شاء الله ما فعلوه) أى لو شاء الله لعصمهم حتى ما فعلوا ذلك من تحريم الحرث والأنعام وقتل الأولاد (فذرهم) يا محمد (وما يفترون) يختلقوا من الكذب فان الله تعالى لهم بالمرصاد (وقالوا) يعنى المشركين (هذه أنعام وحرث حجر) أى حرام يعنى ما جعلوا الله ولآلهتهم من الحرث والأنعام على ما مضى ذكره وقال مجاهد يعنى بالأنعام البحيرة والسائبة الوصيلة والحام (لا يطعمها إلا من نشاء بزعمهم) يعنون الرجال دون النساء (وأنعام حرمت ظهورها) يعنى الحوامى كانوا لا يركبونها (وأنعام لا يذكرون اسم الله عليها) أى يذبحونها باسم الأصنام لا باسم الله وقال أبو وائل معناه لا يحجون (١٥٦) عليها ولا يركبونها لفعل الخير لأنه لما جرت العادة بذكر اسم الله على فعل الخير عبر بذكر الله تعالى عن فعل الخير (افتراء عليه) يعنى انهم يفعلون ذلك ويزعمون ان الله أمرهم به افتراء (سيجزيهم بما كانوا يفترون وقالوا ما فى بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا) أى نسائنا قال ابن عباس وقتادة والشعبى أراد جنة البحائر والسوائب فما ولد منها حيا فهو خالص للرجال دون النساء وما ولد ميتا أكله الرجال والنساء جميعا وأدخل الهاء فى الخالصة للتأكيد كالخالصة والعامة كقولهم نسابة وعلاقة وقال الفراء رحمه الله أدخلت الهاء لتأنيثها وقال الكسائى خالص وخالصة واحد مثل وعظ وموعظة (وان يكن ميتة) قرأ ابن عامر وأبو جعفر تكن بالتاء ميتة رفع ذكر الفعل بعلامة التأنيث لأن الميتة فى اللفظ مؤنثة وقرأ ابو بكر عن عاصم تكن بالتاء ميتة نصب أى وان تكن الاجنة ميتة وقرأ ابن كثير وان يكن بالياء ميتة رفع لأن المراد بالميتة الميت أى وان يقع ما فى البطون ميتا وقرأ الآخرون وان يكن بالياء ميتة نصب رده إلى ما أى وان يكن ما فى البطون ميتة يدل عليه انه قال (فهم فيه شركاء) ولم يقل فيها وأراد ان الرجال والنساء فيه شركاء (سيجزيهم وصفهم) اى بوصفهم أو على وصفهم الكذب على الله (انه حكيم عليم قد خسر الذين قتلوا أولادهم) قرأ ابن عامر وابن كثير قتلوا بتشديد التاء على التكثير وقرأ الآخرون بالتخفيف (سفها) جهلا (بغير علم) نزلت فى ربيعة ومضر وبعض من العرب من غيرهم كانوا يدفنون البنات أحياء مخافة السبى والفقر وكان بنو كنانة لا يفعلون ذلك أنعم

دينهم) يعنى وليخلطوا عليهم دينهم قال ابن عباس ليدخلوا عليهم الشك فى دينهم وكانوا على دين اسمعيل عليه السلام فرجعوا عنه بتلبيس الشياطين وإنما فعلوا ذلك ليزيلوهم عن الدين الحق الذى كان عليه اسمعيل وابراهيم عليهما الصلاة والسلام فوضعوا لهم هذه الأوضاع الفاسدة وزينوها لهم ولو شاء الله ما فعلوه) يعنى ولو شاء الله لعصمهم من ذلك الفعل القبيح الذى زين لهم من تحريم الحرث والأنعام وقتل الأولاد أخبر الله عز وجل ان جميع الأشياء بمشيئته وارادته إذ لو لم يشأ ما فعلوا ذلك (فذرهم) يعنى فاتركهم يا محمد (وما يفترون) يعنى وما يختلقون من الكذب على الله فان الله لهم بالمرصاد، قوله تعالى (وقالوا) يعنى المشركين (هذه أنعام وحرث حجر) أى حرام وأصله المنع لأنه منع من الانتفاع منه بتحريمه وقيل هو من التضييق والحبس لأنهم كانوا يحبسون أشياء من أنعامهم وحروثهم لآلهتهم قال مجاهد يعنى بالأنعام البحيرة والسائبة والوصيلة والحامى (لا يطعمها إلا من نشاء بزعمهم) يعنى يأكلها خدام الأصنام والرجال دون النساء (وأنعام حرمت ظهورها) يعنى الحوامى وهى الأنعام التى حموا ظهورها عن الركوب فكانوا لا يركبونها (وأنعام لا يذكرون اسم الله عليها) يعنى لا يذكرون اسم الله عليها عند الذبح وإنما كانوا يذكرون عليها أسماء الأصنام وقيل معناه لا يحجون عليها ولا يركبونها لفعل الخير لأنه لما جرت العادة بذكر الله على فعل كل خير ذم هؤلاء على ترك فعل الخير (افتراء عليه) يعنى انهم كانوا يفعلون هذه الأفعال ويزعمون ان الله أمرهم بها وذلك اختلاق وكذب على الله عز وجل (سيجزيهم بما كانوا يفترون) فيه وعيد وتهديد لهم على افترائهم على الله الكذب * قوله عز وجل وقالوا ما فى بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا) يعنى نساءنا قال ابن عباس وقتادة والشعبى أراد جنة البحائر والسوائب فما ولد منها حيا فهو خالص للرجال دون النساء وما ولد منها ميتا أكله الرجال والنساء جميعا وهو قوله تعالى (وان يكن ميتة فهم فيه شركاء) ودخلت الهاء فى خالصة للتأكيد والمبالغة كقولهم رجل علامة ونسابة وقال الفراء دخلت الهاء لتأنيث الأنعام لأن ما فى بطونها مثلها فانث بتأنيثها وقال الكسائى خالص وخالصة واحد مثل وعظ وموعظة وقيل إذا كان اللفظ عبارة عن مؤنث جاز تأنيثه على المعنى وتذكيره على اللفظ كما فى هذه الاية فان أنث خالصة على المعنى وذكر ومحرم على اللفظ (سيجزيهم وصفهم) يعنى سيكافئهم بسبب وصفهم على الله للكذب (انه حكيم عليم) فيه وعيد وتهديد يعنى انه تعالى حكيم فيما يفعله عليم بقدر استحقاقهم * قوله تعالى (قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفها بغير علم) قال عكرمة نزلت فيمن يئد البنات من ربيعة ومضر وكان الرجل يقاضى الرجل على ان يستعى جارية ويئد أخرى فاذا كانت الجارية التى توأد غدا الرجل أو راح من عند امرأته وقال لها انت على كظهر امى ان رجعت اليك ولم تئديها فتخذلها فى الأرض خدا وترسل إلى نسائها فيجتمعن عندها يتداولنها بينهن حتى إذا بصرته راجعا دستها فى حفرتها ثم سوت عليها التراب وقال قتادة هذا من صنيع اهل الجاهلية كان احدهم يقتل ابنه مخافة السبى والفاقة ويفدو كلبه اما سبب الخسران المذكور فى قوله قد خسر الذين قتلوا اولادهم ان الولد نعمة عظيمة

(وحرموا ما رزقهم الله) يعني البحيرة والسائبة والوصيلة والحام (افتراء على الله) حيث قالوا إن الله أمرهم بها (قد ضلوا وما كانوا مهتدين) قوله تعالى (وهو الذي أنشأ جنات) بساتين (معروشات وغير معروشات) أي مسموكات مرفوعات وغير مرفوعات وقال ابن عباس معروشات ما انبسط على وجه الأرض فانتشر مما يعرش مثل الكرم والقرع والبطيخ وغيرها وغير معروشات ما قام على ساق

أنعم الله بها على الوالد فإذا تسبب الرجل في إزالة هذه النعمة وإبطالها فقد استوجب الذم وخسر في الدنيا والآخرة أما خسارته في الدنيا فقد سعى في نقص عدده وإزالة ما أنعم الله به عليه وأما خسارته في الآخرة فقد استحق بذلك العذاب العظيم وقوله سفها بغير علم يعني فعلوا ذلك للسفاهة وهي الخفة والجهالة المذمومة وسبب حصول هذه السفاهة هو قلة العلم بل عدمه لأن الجهل كان هو الغالب عليهم قبل بعثة رسول الله ﷺ ولهذا سموا الجاهلية وقوله تعالى (وحرموا ما رزقهم الله) يعني البحائر والسوائب والحامي وبعض الحروث وبعض ما في بطون الأنعام وهذا أيضا من أعظم الجهالة (افتراء على الله) يعني أنهم فعلوا هذه الأفعال المذمومة وزعموا أن الله أمرهم بذلك وهذا افتراء على الله وكذب وهذا أيضا من أعظم الجهالة لأن الجراءة على الله والكذب عليه من أعظم الذنوب وأكبر الكبائر ولهذا قال تعالى (قد ضلوا) يعني في فعلهم عن طريق الحق والرشاد (وما كانوا مهتدين) يعني إلى طريق الحق والصواب في فعلهم (خ) عن ابن عباس قال إذا سرك أن تعلم جهل العرب فاقرأ ما فوق الثلاثين والمائة من سورة الأنعام قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفها بغير علم إلى قوله قد ضلوا وما كانوا مهتدين * قوله عز وجل (وهو الذي أنشأ جنات معروشات) يعني والله الذي ابتدع وخلق جنات يعني بساتين معروشات (وغير معروشات) يعني مسموكات مرتفعات وغير مرتفعات وأصل العرش في اللغة شيء مسقف يجعل عليه الكرم وجمعه عروش يقال عرشت الكرم أعرشه عرشا وعرشته تعريشا إذ جعلته كهيئة السقف واعترش العنب العريش إذا علاه وركبه واختلفوا في معنى قوله معروشات وغير معروشات فقال ابن عباس المعروشات ما انبسط على الأرض وانتشر مما يعرش مثل الكرم والقرع والبطيخ ونحو ذلك وغير معروشات ما قام على ساق ونسق كالنخل والزرع وسائر الشجر وقال الضحاك كلاهما في الكرم خاصة لأن منه ما يعرش ومنه ما لم يعرش بل يلقى على وجه الأرض منبسطا وقيل المعروشات ما غرسه الناس في البساتين اهتموا به فعرشوه من كرم وغيره وغير معروشات هو ما أنبته الله في البراري والجبال من كرم أو شجر (والنخل والزرع) يعني وأنشأ النخل والزرع وهو جميع الحبوب التي تقتات وتدخر (مختلفا أكله) يعني به اختلاف الطعوم في الثمار كالحلو والحامض والجيد والردي ونحو ذلك (والزيتون والرمان متشابها) يعني في المنظر (وغير متشابه) يعني في المطعم كالرمانتين لونهما واحد وطعمهما مختلف وقيل أن ورق الزيتون يشبه ورق الرمان ولكن ثمرتهما مختلفة في الجنس والطعم (كلوا من ثمره إذا أثمر) لما ذكر ما أنعم الله به على عباده من خلق هذه الجنات المحتوية على أنواع من الثمار ذكر ما هو المقصود الأصلي وهو الانتفاع بها فقال تعالى كلوا من ثمره إذا أثمر وهذا أمر إباحة وتمسك بهذا بعضهم فقال الأمر قد يرد إلى غير الوجوب لأن هذه الصيغة مفيدة لدفع الحرج وقال بعضهم المقصود منه إباحة الأكل قبل إخراج الحق لأنه تعالى لما أوجب الزكاة في الحبوب والثمار كان يحتمل أن يحرم على المالك أن يأكل منها شيئا قبل إخراج الواجب فيها لمكان شركة الفقراء والمساكين معه فأباح الله أن يأكل قبل إخراجه لأن رعاية حق النفس مقدمة على رعاية حق الغير وقيل إنما قال تعالى كلوا من ثمره إذا أثمر بصيغة الأمر ليعلم أن المقصود من خلق هذه الأشياء التي أنعم الله بها على عباده وهو الأكل (وآتوا حقه يوم حصاده) يعني يوم جذاذه وقطعه واختلفوا في هذا الحق المأمور بإخراجه فقال ابن عباس وأنس بن مالك هو الزكاة المفروضة وهذا قول طاوس والحسن وجابر بن زيد وسعيد ابن المسيب ومحمد بن الحنفية وقتادة قال قتادة في قوله وآتوا حقه يوم حصاده أي من الصدقة المفروضة ذكر لنا أن نبي الله ﷺ سن فيما سقت السماء والعين السائحة أو سقاه النيل ونسق مثل النخل والزرع وسائر الأشجار وقال الضحاك كلاهما من الكرم خاصة منها ما عرش ومنها ما لم يعرش (والنخل والزرع) أي وأنشأ النخل والزرع (مختلفا أكله) ثمره وطعمه منها الحلو والحامض والجيد والردي (والزيتون والرمان متشابها) في النظر (وغير متشابه) في المطعم مثل الرمانتين لونهما واحد وطعمهما مختلف (كلوا من ثمره إذا أثمر) (وآتوا حقه يوم حصاده) قرأ أهل البصرة وابن عامر وعاصم حصاده بفتح الحاء وقرأ الآخرون بكسرها ومعناهما واحد كالصرام والصرام والجذار والجذار واختلفوا في هذا الحق فقال ابن عباس وطاوس والحسن وجابر ابن زيد وسعيد بن المسيب انها الزكاة المفروضة من العشر ونصف العشر وقال علي بن الحسين وعطاء ومجاهد وحماد والحكم حق في المال سوى الزكاة أمر بإتيانه لأن الآية مكية وفرضت الزكاة بالمدينة قال إبراهيم هو الضغث وقال الربيع لقاط السنبل وقال مجاهد كانوا يعلقون العذق عند الصرام فيأكل منه من مر وقال يزيد بن الأصم كان أهل المدينة إذا أصرموا يجيئون بالعذق فيعلقونه في جانب المسجد فيجيء المسكين يضربه بعصاه فيسقط منه فيأخذه وقال سعيد بن جبير كان هذا حقا يؤتمر بإتيانه في ابتداء الإسلام فصار منسوخا بإيجاب العشر قال مقسم عن ابن عباس نسخت الزكاة كل نفقة في القرآن

وقال الربيع لقاط السنبل وقال مجاهد كانوا يعلقون العذق عند الصرام فيأكل منه من مر وقال يزيد بن الأصم كان أهل المدينة إذا أصرموا يجيئون بالعذق فيعلقونه في جانب المسجد فيجيء المسكين يضربه بعصاه فيسقط منه فيأخذه وقال سعيد بن جبير كان هذا حقا يؤتمر بإتيانه في ابتداء الإسلام فصار منسوخا بإيجاب العشر قال مقسم عن ابن عباس نسخت الزكاة كل نفقة في القرآن

والندى أوكان بعلا العشر كاملا وإن سقى بنضح أو ساقية فنصف العشر وهذا فيما يكال من الثمرة أو الزرع وبلغ خمسة أوسق وذلك ثلثمائة صاع فقد وجب فيها حق الزكاة وفى رواية عن ابن عباس فى قوله تعالى وآتوا حقه يوم حصاده قال هو العشر ونصف العشر * فان قلت على هذا التفسير إشكال وهو أن فرض الزكاة كان بالمدينة وهذه السورة مكية فكيف يمكن حمل قوله واتوا حقه يوم حصاده على الزكاة المفروضة قلت ذكر ابن الجوزى فى تفسيره عن ابن عباس وقتادة أن هذه الاية نزلت بالمدينة فعلى هذا القول تكون الآية محكمة نزلت فى حكم الزكاة وإن قلنا أن هذه الاية مكية تكون منسوخة بآية الزكاة لأنه قد روى عن ابن عباس انه قال نسخت آية الزكاة كل صدقة فى القرآن وقيل فى قوله تعالى وآتوا حقه يوم حصاده أنه حق سوى الزكاة فرض يوم الحصاد وهو إطعام من حضر وترك ماسقط من الزرع والثمر وهذا قول على بن الحسين وعطاء ومجاهد وحماد قال إبراهيم هو الضغث وقال الربيع هو لقاط السنبل وقال مجاهد كانوا يجيؤون بالعذق عند الصرام فيأكل منه من مر وقال يزيد بن الأصم كان أهل المدينة إذا صرموا النخل يجيؤون بالعذق فيعلقونه فى جانب المسجد فيجىء المسكين فيضربه بعصاه فما سقط منه أكله فعلى هذا القول هل هذا الأمر أمر وجوب أو استحباب وندب فيه قولان أحدهما أنه أمر وجوب فيكون منسوخا بآية الزكاة بقوله ﷺ فى حديث الاعرابى هل على غيرها قال إلا أن تطوع والقول الثانى أنه أمر ندب واستحباب فتكون الاية محكمة وقال سعيد بن جبير كان هذا حقا يؤمر باخراجه فى ابتداء الاسلام ثم صار منسوخا بايجاب العشر ولقول ابن عباس نسخت آية الزكاة كل صدقة فى القرآن واختار هذا القول الطبرى وصححه واختار الواحدى والرازى القول الأول وصححاه * فان قلت فعلى هذا القول الأول كيف تؤدى الزكاة يوم الحصاد والحب فى السنبل وإنما يجب الاخراج بعد التصفية والجفاف قلت معناه قدروا أداء إخراج الواجب منه يوم الحصاد فانه قريب من زمان التنقية والجفاف ولأن النخيل يجب إخراج الحق منه يوم حصاده وهو الصرام والزرع محمول عليه إلا أنه لا يمكن إخراج الحق منه إلا بعد التصفية وقيل معناه وآتوا حقه الذى وجب يوم حصاده بعد التصفية وقيل إن فائدة ذكر الحصاد أن الحق لا يجب بنفس الزرع وبلوغه إنما يجب يوم حصاده وحصوله فى يدنا لكى لا فيما يتلف من الزرع قبل حصوله فى يدنا لكى * وقوله تعالى (ولا تسرفوا) الاسراف تجاوز الحد فيما يفعله الإنسان وإن كان فى الانفاق أشهر وقيل السراف تجاوز ما حد لك وسرف المال إنفاقه فى غير منفعة ولهذا قال سفيان ما أنفقت فى غير طاعة الله فهو سرف وإن كان قليلا قال ابن عباس فى رواية عنه عمد ثابت بن قيس بن شماس فصرم خمسمائة نخلة فقسمها فى يوم واحد ولم يترك لأهله شيء فانزل الله هذه الاية ولا تسرفوا قال السدى معناه لا تعطوا أموالكم وتقعدوا فقراء قال الزجاج فعلى هذا لو أعطى الانسان كل ماله ولم يوصل إلى عياله شيئا فقد اسرف لانه قد صح فى الحديث أبدأ بمن تعول وقال سعيد بن المسيب معناه لا تمنعوا الصدقة فتأويل الاية على هذا القول لا تجاوز الحد فى البخل والامساك حتى تمنعوا الواجب من الصدقة وهو ان القولان يشركان فى أن المراد من الاسراف مجاوزة الحد إلا أن الأول فى البذل والاعطاء والثانى فى الامساك والبخل وقال مقاتل معناه لا تشركوا الأصنام فى الحرث والانعام وهذا القول أيضا يرجع إلى مجاوزة الحد لان من شرك الاصنام فى الحرث والانعام فقد جاوز ما حد له وقال الزهرى معناه لا تنفقوا فى معصية الله عز وجل وقال مجاهد الاسراف ما قصرت به فى حق الله تعالى ولو كان أبو قبيس ذهبا فانفقته فى طاعة الله لم تكن مسرفا ولو أنفقت درهما أو مدا فى معصية الله كنت مسرفا وقال ابن زيد إنما خوطب بهذا السلطان نهى أن يأخذ من رب المال فوق الذى الزم الله ماله يقول الله عز وجل للسلاطين لا تسرفوا أى لا تأخذوا بغير حق فكانت الاية بين السلطان وبين الناس * وقوله تعالى (إنه لا يحب المسرفين) فيه وعيد وزجر عن الاسراف فى كل شيء لان من لا يحبه الله فهو من أهل النار قوله تعالى (ومن الانعام) يعنى وأنشأ من الانعام (حمولة) وهى كل ما يحمل عليها من الابل (وفرشا) يعنى صغار الابل التى لا تحمل قال ابن عباس الحمولة هى الكبار من الابل والفرش

(ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين) وقيل أراد بالاسراف إعطاء الكل قال ابن عباس فى رواية الكلبى عمد ثابت بن قيس ابن شماس فصرم خمسمائة نخلة وقسمها فى يوم واحد ولم يترك لاهله شيء فانزل الله تعالى هذه الاية فقال السدى لا تسرفوا أى لا تعطوا أموالكم فتقعدوا فقراء قال الزجاج على هذا إذا أعطى الانسان كل ماله ولم يوصل إلى عياله شيئا فقد أسرف لانه جاء فى الخبر أبدأ بمن تعول وقال سعيد بن المسيب معناه لا تمنعوا الصدقة فتأويل هذه الاية على هذا لا تتجاوز الحد فى البخل والامساك حتى تمنعوا الواجب من الصدقة وقال مقاتل لا تشركوا الاصنام فى الحرث والانعام وقال الزهرى لا تنفقوا فى المعصية وقال مجاهد الاسراف ما قصرت به عن حق الله عز وجل وقالوا لو كان ابو قبيس ذهبا لرجل فانفقه فى طاعة الله لم يكن مسرفا وقال إياس بن معاية وما جاوزت به امر الله فهو سرف وإسراف وروى ابن وهب عن أبى زيد قال الخطاب للسلاطين يقول لا تأخذوا فوق حقكم قوله عز وجل (ومن الانعام) أى وأنشأ من الانعام (حمولة) وهى كل ما يحمل عليها من الابل (وفرشا) وهى الصغار من الابل التى لا تحمل

(كلوا مما رزقكم الله ولا تتبعوا خطوات الشيطان) لا تسلكوا طريقه وآثاره فى تحريم الحرث والأنعام (إنه لكم عدو مبين) ثم بين الحمولة والفرش فقال (ثمانية أزواج) نصبها على البدل من الحمولة والفرش أى وأنشأ من الأنعام ثمانية أزواج أصناف (من الضأن اثنين) اى ذكر والأنثى فالذكر زوج والأنثى زوج والعرب تسمى الواحد زوجا إذا كان لا ينفك عن الاخر والضأن النعاج وهى ذوات الصوف من الغنم والواحد ضأن والأنثى ضائنة والجمع ضوائن (ومن المعز اثنين) قرأ ابن كثير وابن عامر وأهل البصرة من المعز بفتح العين والباقون بسكونها والمعز والمعزى جمع لا واحد له من لفظه وهى ذوات الشعر من الغنم وجمع الماعز معزى، وجمع (١٥٩) الماعز مواعز (قل) يا محمد (آلذكرين حرم) الله عليكم يعنى ذكر الضان والمعز (أم الانثيين) يعنى انثى الضأن والمعز (اما اشتملت عليه ارحام الانثيين) منهما فانها لا تشتمل إلا على ذكر او انثى (نبئونى) اخبرونى (بعلم) قال الزجاج فسروا ما حرمتم بعلم (ان كنتم صادقين) إن الله تعالى حرم هذا (ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين قل آلذكرين حرم ام الانثيين اما اشتملت عليه ارحام الانثيين) وذلك أنهم كانوا يقولون هذه انعام وحرث حجر وقالوا ما فى بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا وحرموا البحيرة والسائبة والوصيلة والحام كانوا يحرمون بعضها على الرجال والنساء وبعضها على النساء دون الرجال فلما قام الاسلام وثبتت الأحكام جادلوا النبى ﷺ وكان خطيبهم مالك بن عوف أبو الاحوص الجشمى قالوا يا محمد بلغنا أنك تحرم أشياء مما كان آباؤنا يفعلونه فقال لهم رسول الله ﷺ إنكم قد حرمتم اصنافا من النعم على غير اصل وإنما خلق الله هذه الازواج الثمانية للاكل والانتفاع بها فمن اين جاء هذا التحريم من قبل الذكر ام من قبل الانثى فسكت مالك بن عوف وتحير فلم يتكلم فلو قال جاء هذا التحريم بسبب الذكور وجب ان يحرم جميع الذكور وإن كان بسبب الانوثة وجب ان يحرم جميع الاناث وان كان باشتمال الرحم عليه فينبغى ان يحرم الكل لان الرحم لا يشتمل إلا على ذكر او انثى فاما تخصيص التحريم بالولد الخامس او السابع او بالبعض دون البعض فمن اين ويروى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لمالك يا مالك لا تتكلم قال له مالك بل تكلم واسمع منك

هى الصغار من الابل وفى رواية اخرى ذكرها الطبرى اما الحمولة فالابل والخيل والبغال والحمير وكل شىء يحمل عليه واما الفرش فالغنم وقال الربيع بن أنس الحمولة الابل والبقر والفرش المعز والضان فالحمولة كل ما يحمل عليها من الأنعام والفرش ما لا يصلح للحمل سمى فرشا لأنه يفرش للذبيح ولأنه قريب من الأرض لصغره (كلوا مما رزقكم الله) يعنى كلوا مما أحله الله لكم من هذه الأنعام والحرث (ولا تتبعوا خطوات الشيطان) يعنى لا تسلكوا طريقة وآثاره فى تحريم الحرث والأنعام كما فعله اهل الجاهلية (إنه) يعنى الشيطان (لكم عدو مبين) يعنى مبين العداوة لكم ثم بين الحموله والفرش فقال عز وجل (ثمانية ازواج يعنى وانشأ من الأنعام ثمانية ازواج يعنى ثمانية اصناف والزوج فى اللغة الفرد إذا كان معه آخر من جنسه لا ينفك عنه فيطلق لفظ الزوج على الواحد كما يطلق على الاثنين فيقال للذكر زوج والانثى زوج (من الضأن اثنين) يعنى الذكر والأنثى والضأن ذوات الصوف من الغنم والواحد ضائن والأنثى ضائنة والجمع ضوائن (ومن المعز اثنين) يعنى الذكر والانثى والمعز ذوات الشعر من الغنم والواحد ماعز والجمع معزى (قل آلذكرين حرم ام الأنثيين) استفهام إنكار اى قل يا محمد لهؤلاء الجهلة الذكرين من الضأن والمعز حرم عليكم ام الأنثيين منهما فان كان حرم الذكرين من الغنم ذكورها حرام وإن كان حرم الأنثيين منهما فكل اناثهما حرام (اما اشتملت عليه ارحام الأنثيين) يعنى ام حرم ما اشتملت عليه ارحام الأنثيين من الضأن والمعز فانها لا تشمل إلا على ذكر او انثى (نبئونى) اى اخبرونى وفسروا إلى ما حرمتم (بعلم ان كنتم صادقين) يعنى ان الله حرم ذلك عليكم (ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين) وهذه أربعة أزواج أخر بقية الثمانية (قل الذكرين حرم أم الانثيين أما اشتملت عليه أرحام الانثيين) وتفسير هذه الاية نحو ما تقدم وفى هاتين الايتين تقريع وتوبيخ من الله تعالى لاهل الجاهلية بتحريمهم ما لم يحرمه الله وذلك أنهم كانوا يقولون هذه أنعام وحرث حجر وقالوا ما فى بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا وحرموا البحيرة والسائبة والوصيلة والحامى وكانوا يحرمون بعضها على الرجال والنساء وبعضها على النساء دون الرجال كما أخبر الله عنهم فى كتابه فلما جاء الاسلام وثبت الاحكام جادلوا النبى ﷺ وكان خطيبهم مالك بن عوف الجشمى فقال يا محمد بلغنا انك تحرم أشياء مما كان آباؤنا يفعلونه فقال له رسول الله ﷺ قد حرمتم اصنافا من النعم على غير اصل وإنما خلق الله هذه الازواج الثمانية للأكل والانتفاع فمن اين جاء هذا التحريم من قبل الذكر ام من قبل الانثى فسكت مالك بن عوف وتحير ولم يتكلم فقال النبى ﷺ لمالك يا مالك الا تتكلم فقال بل انت تكلم واسمع منك قال المفسرون فلو قال جاء التحريم من قبل الذكر بسبب الذكورة وجب ان يحرم جميع الذكور ولو قال بسبب الانوثة وجب أن يحرم جميع الاناث وإن كان باشتمال الرحم عليه فينبغى ان يحرم الكل لان الرحم لا يشتمل إلا على ذكرا وانثى واما تخصيص التحريم بالولد الخامس او السابع او بالبعض دون البعض فمن اين ذلك التحريم فاحتج الله على بطلان دعواهم بهاتين الايتين واعلم نبيه صلى الله عليه وسلم ان كل ما قالوه من ذلك واضافوه إلى الله فهو

(أم كنتم شهداء إذ وصاكم الله بهذا فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا ليضل الناس بغير علم) قيل أراد عمرو بن لحى ومن جاء بعده على طريقته
(ان الله لا يهدى القوم الظالمين) (١٦٠) ثم بين ان التحريم والتحليل يكون بالوحى والتنزيل فقال (قل لا اجد فيما اوحى إلى محرما)

كذب على الله وانه لم يحرم شيئا من ذلك وانهم اتبعوا فى ذلك اهوائهم وخالفوا امر ربهم وذكر الامام فخر الدين فى معنى الاية وجهين اخرين ونسبهما إلى نفسه فقال ان هذا الكلام ما ورد على سبيل الاستدلال على بطلان قولهم بل هو استفهام على سبيل الإنكار يعنى انكم لا تقرون بنبوة نبى ولا تعترفون بشريعة شارع فكيف تحكمون بان هذا يحل وهذا يحرم والوجه الثانى انكم حكمتم بالبحيرة والسائبة والوصيلة والحامى مخصوصا بالإبل فالله تعالى بين ان النعم عبارة عن هذه الأنواع الأربعة وهى الضأن والمعز والبقر والإبل فلم لم تحكموا بهذه الأحكام فى هذه الأنواع الثلاثة وهى الضأن والمعز والبقر فكيف خصصتم الأبل بهذا الحكم دون هذه الأنواع الثلاثة * قوله تعالى (أم كنتم شهداء إذ وصاكم الله بهذا) يقول الله لنبيه ﷺ قل لهؤلاء الجهلة من المشركين الذين يزعمون ان الله حرم عليهم ما حرموا على انفسهم من الأنعام والحرث هل شاهدتم الله حرم هذا عليكم ووصاكم به فانكم لا تقرون بنبوة احد من الأنبياء فكيف تثبتون هذه الأحكام وتنسبونها إلى الله عز وجل ولما احتج الله عليهم بهذه الحجة وبين انه لا مستند لهم فى ذلك قال تعالى (فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا ليضل الناس بغير علم) يعنى فمن اشد ظلما وابعد عن الحق ممن يكذب على الله ويصف تحريم ما لم يحرمه الله إلى الله ليضل الناس بذلك ويصدهم عن سبيل الله جهلا منه إذ ليس هو على بصيرة وعلم فى ذلك الذى ابتدعه ونسبه إلى الله ويقول ان الله امرنا بهذا قيل اراد به عمرو بن لحى لأنه اول من بحر البحائر وسيب السوائب وغير دين ابراهيم عليه السلام ويدخل فى هذا الوعيد كل من كان على طريقته او ابتدع شيئا لم يامر الله به ولا رسوله ونسب ذلك إلى الله تعالى لان اللفظ عام فلا وجه للتخصيص فكل من ادخل فى دين الله ما ليس فيه فهو داخل فى هذا الوعيد (ان الله لا يهدى القوم الظالمين) يعنى ان الله لا يرشده ولا يوفق من كذب على الله واضاف اليه ما لم يشرعه لعباده * قوله عز وجل (قل لا اجد فيما اوحى إلى محرما على طاعم يطعمه) اعلم انه لما بين الله تعالى فساد طريقة اهل الجاهلية وما كانوا عليه من التضليل والتحريم من عند أنفسهم واتباع أهوائهم فيما احلوه وحرموه من المطعومات اتبعه بالبيان الصحيح فى ذلك وبين أن التحريم والتحليل لا يكون إلا بوحى سماوى وشرع نبوى فقال تعالى قل أى قل يا محمد لهؤلاء المشركين الجاهلين الذين يحللون ويحرمون من عند أنفسهم لا أجد فيما أوحى إلى وقيل أنهم قالوا فما المحرم إذا فنزل كل لا أجد فيما أوحى إلى محرما يعنى شيأ محرما على طاعم يطعمه يعنى على آكل يأكله (إلا ان يكون ميتة اودما مسفوحا) يعنى سائلا مصبوبا (او لحم خنزير فانه رجس) اى نجس (او فسقا اهل لغير الله به) يعنى ما ذبح على غير اسم الله تعالى فبين الله تعالى فى هذه الاية ان التحريم والتحليل لا يكون إلا بوحى منه وان المحرمات محصورة فى الاربعة الأشياء المذكورة فى هذه الاية وهى الميتة والدم المسفوح ولحم الخنزير وما ذبح على غير اسم الله وهذا مبالغة فى ان التحريم لا يخرج عن هذه الاربعة وذلك انه ثبت انه لا طريق إلى معرفة المحرمات إلا بالوحى وثبت ان الله تعالى نص فى هذه الآية على هذه الاربعة الاشياء ولهذا اختلف العلماء فى حكم هذه الاية فذهب بعضهم إلى ظاهرها وانه لا يحرم شىء من سائر المطعومات والحيوان إلا ما ذكر فى هذه الاية يروى ذلك عن ابن عباس وعائشة وسعيد بن جبير وهو ظاهر مذهب مالك واحتجوا على ذلك بان هذه الآية محكمة لانها خبر والخبر لا يدخله النسخ واحتجوا بأن هذه الاية وإن كانت مكية لكن يعضدها اية مدنية وهى قوله تعالى فى سورة البقرة إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله وكلمة إنما تفيد الحصر فصارت هذه الآية المدنية مطابقة للآية المكية فى المحكم وذهب جمهور العلماء إلى أن هذا التحريم لا يختص بهذه الأشياء المنصوص عليها فى هذه الاية فان المحرم بنص الكتاب هو ما ذكره فى هذه الاية وقد حرمت السنة أشياء فوجب القول بها منها تحريم الحمر الاهلية وكل ذى ناب من السباع ومخلب من الطير عن المقدام بن معد يكرب

أى شيئا محرما وروى انهم قالوا فما المحرم إذا فنزل قل يا محمد لا أجد فيما اوحى إلى محرما (على طاعم يطعمه) اكل يا كله (إلا ان يكون ميتة) قرا ابن عامر وابو جعفر تكون بالياء ميتة رفع اى الا ان تقع ميتة وقرأ ابن كثير وحمزة تكون بالياء ميتة نصب على تقدير إسم مؤنث اى إلا ان تكون النفس اى الجثة ميتة وقرا الباقون بالياء ميتة نصب يعنى الا ان يكون المطعوم ميتة (اودما مسفوحا) اى مهراقا سائلا قال ابن عباس يريد ما خرج من الحيوان وهن احياء وما يخرج من الاوداج عند الذبح ولا يدخل فيه الكبد والطحال لانهما جامدان وقد جاء الشرع باباحتهما ولا ما اختلط باللحم من الدم لانه غير سائل قال عمر ان ابن جرير سألت ابا مجلز عما يختلط باللحم من الدم وعن القدر يرى فيها حمرة الدم فقال لا بأس به إنما نهى عن الدم المسفوح وقال ابراهيم لا بأس بالدم فى عرق أو مخ إلا المسفوح الذى يعمد ذلك وقال عكرمة لولا هذه الآية لاتبع المسلمون من العروق ما يتبع اليهود (او لحم خنزير فانه رجس او فسقا اهل لغير الله به) وهو ما ذبح على غير اسم الله تعالى فذهب بعض أهل العلم إلى أن التحريم مقصور على هذه الأشياء ويروى ذلك عن عائشة وابن عباس قالوا ويدخل فى الميتة المنخنقة والموقوذة وما ذكر فى أول سورة المائدة وأكثر العلماء على أن التحريم قال

لايختص بهذه الأشياء بل المحرم بنص الكتاب ماذكرهنا وذلك معنى قوله تعالى قل لاأجد فيما أوحى إلى محرما وقد حرمت السنة أشياء يجب القول بهامنها ما أخبرنا اسمعيل بن عبد القاهر ثنا عبد الغافر بن محمد بن عيسى (١٦١) الجلودى ثنا ابراهيم بن محمد بن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج قال ثنا عبيد الله بن معاذ العنبرى اخبرنا ابى انا شعبة عن الحكم عن ميمون بن مهران عن ابن عباس قال نهى رسول الله ﷺ عن اكل ذى ناب من السباع وكل ذى مخلب من الطير اخبرنا ابو الحسن السرخسى ثنا زاهر بن أحمد ثنا أبو اسحق الهاشمى ثنا أبو مصعب عن مالك عن اسمعيل بن ابى حكيم عن عبيدة بن سفيان الحضرمى عن ابى هريرة ان رسول الله ﷺ قال اكل كل ذى ناب من السباع حرام والأصل عند الشافعى ان مالم يرد فيه نص تحريم أو تحليل فان كان مما امر الشرع بقتله كما قال خمس فواسق يقتلن فى الحل والحرام اونهى عن قتله كما روى انه نهى عن قطع النخلة وقتل النملة فهو حرام وما سوى ذلك فالمرجع فيه إلى الأغلب من عادات العرب فما يأكله الأغلب منهم فهو حلال ومالا يأكله الأغلب منهم فهو حرام لأن الله تعالى خاطبهم بقوله قل احل لكم الطيبات فثبت ان ما استطابوه فهو حلال, فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان ربك غفور رحيم) أباح الله اكل هذه المحرمات عند الاضطرار فى غير العدوان

قال قال رسول الله ﷺ ألا هل عسى رجل يبلغه الحديث عنى وهو متكىء على اريكته فيقول بيننا وبينكم كتاب الله فما وجدنا فيه حلالا استحللناه وما وجدنا فيه حراما حرمناه وإنما حرم رسول الله ﷺ كما حرم الله تعالى أخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب ولأبى داود قال قال رسول الله ﷺ ألا انى أوتيت الكتاب ومثله معه ألا يوشك رجل شبعان على اريكته يقول عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه وما وجدتم فيه من حرام فحرموه ألا لايحل لكم الحمار الأهلى ولا كل ذى ناب من السباع ولا لقطة معاهد إلا أن يستغنى عنها صاحبها ومن نزل بقوم فعليهم ان يقروه فان لم يقروه فله ان يعقبهم بمثل قراه عن ابن عباس قال كان اهل الجاهلية يأكلون أشياء ويتركون أشياء تقذرا فبعث الله نبيه ﷺ وأنزل كتابه وأحل حلاله وحرم حرامه فما أحل فهو حلال وما حرم فهو حرام وما سكت عنه فهو معفو وتلا قل لاأجد فيما اوحى إلى محرما على طاعم يطعمه إلا ان يكون ميتة الآية أخرجه أبو داود (م) عن ابن عباس قال نهى النبى ﷺ عن كل ذى ناب من السباع وكل ذى مخلب من الطير (م) عن ابى هريرة ان النبى ﷺ نهى يوم خيبر عن اكل لحوم الحمر الأهلية (ق) عن جابر ان النبى ﷺ نهى عن لحوم الحمر الأهلية وأذن فى الخيل وفى رواية اكلنا من خيبر الخيل وحمر الوحش ونهى رسول الله ﷺ عن الحمار الأهلى عن جابر ان رسول الله ﷺ نهى عن اكل الهر واكل ثمنه وقد استثنى الشارع من الميتة السمك والجراد ومن الدم الكبد والطحال واباح اكل ذلك وقد تقدم دليله والأصل فى ذلك عند الشافعى ان كل مالم يرد فيه نص بتحريم أو تحليل فما كان امر الشرع بقتله كما ورد فى الصحيح خمس فواسق يقتلن فى الحل والحرم وهى الحية والعقرب والفارة والحدأة والكلب العقور وروى عن سعد بن ابى وقاص ان النبى ﷺ امر بقتل الوزغ اخرجه البخارى ومسلم وسماه فويسقا وعن ابن عباس قال نهى النبى ﷺ عن قتل أربع من الدواب النملة والنحلة والهدهد والصرد اخرجه ابو داود فهذا كله حرام لايحل اكله وماسوى ذلك فالمرجع فيه الى الأغلب من عادة العرب فما يستطيبه الأغلب منهم فهو حلال ومايستخبثه الأغلب منهم ولا يأكلونه فهو حرام لأن الله خاطبهم بقوله احل لكم الطيبات فما استطابوه فهو حلال فهذا تقرير مايحل ويحرم من المطعومات واما الجواب عن هذه الاية الكريمة فمن وجوه احدها ان يكون المعنى لااجد محرما مما كان اهل الجاهلية يحرمونه من البحائر والسوائب وغيرها الا ما اوحى الى فى هذه الاية الوجه الثانى ان يكون المراد وقت نزول هذه الاية لم يكن محرما غير ماذكر ونص عليه فى هذه الاية ثم حرم بعد نزولها اشياء أخر الوجه الثالث يحتمل ان هذا اللفظ العام خصص بدليل آخر وهو ماورد فى السنة الوجه الرابع ان ماذكر فى هذه الآية محرم على لسان رسول الله ﷺ وهو ماورد فى السنة من المحرمات والله اعلم بقى فى الآية احكام فى قوله تعالى اودما مسفوحا وهو ماسال من الحيوان فى حال الحياة اوعند الذبح فان ذلك الدم حرام نجس وماسوى ذلك كالكبد والطحال فانهما حلال, لأنهما دمان جامدان وقيل ورد الحديث باباحتهما وكذا ما اختلط باللحم من الدم لأنه غير سائل قال عمران بن جرير سالت ابا مجلز عما يختلط باللحم من الدم وعن القدر يرى فيها حمرة الدم فقال لا بأس بذلك إنما نهى عن الدم المسفوح وقال ابراهيم النخعى لا بأس بالدم فى عروق الخ إلا المسفوح وقال عكرمة لولا هذه الاية لتتبع المسلمون الدم من العروق ما تتبع اليهود ٠ وقوله تعالى (فمن اضطر غير باغ ولا عاد) لما بين الله المحرمات فى هذه الآية اباح كلها عند الاضطرار من غير بغى ولا عدوان وفى قوله (فان ربك غفور رحيم) دليل على الرخصة والاباحة عند الاضطرار ٠ وقوله تعالى (وعلى الذين هادوا) يعنى اليهود (حرمنا كل ذى ظفر) قال ابن عباس هو البعير والنعامة ونحو ذلك من الدواب وقيل كل مالم يكن مشقوق الاصابع من البهائم والطير

(٢١ - خازن - ثى) قوله عز وجل (وعلى الذين هادوا حرمنا) يعنى اليهود (كل ذى ظفر) وهو مالم يكن مشقوق الاصابع من البهائم والطير مثل البعير والنعامة والاوز والبط قال القتيبى هو كل ذى مخلب من الطير وكل حافر من الدواب وحكاه عن بعض المفسرين سمى الحافر ظفرا على الاستعارة

(ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما) يعنى شحوم الجوف وهى الثروب وشحم الكليتين (إلا ماحملت ظهورهما) أى إلا ماعلق بالظهر والجنب من داخل بطونهما (أوالحوايا) وهى المباعر واحدتها حاوية وحوية أى ماحملته الحوايا من الشحم (أوما اختلط بعظم) يعنى شحم الالية هذا كله داخل فى الاستثناء والتحريم مختص بالثرب وشحم الكلية أخبرنا عبد الواحد المليحى أنا أحمد ابن عبدالله النعيمى أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا قتيبة انا الليث عن يزيد بن حبيب عن عطاء بن ابى رباح عن جابر بن عبدالله انه سمع رسول الله ﷺ يقول عام الفتح وهو بمكة ان الله ورسوله حرما بيع الخمر والميتة والخنزير والأصنام قيل يارسول أرأيت شحوم الميتة فانه يطلى بها السفن ويدهن بها والجلود يستصبح بها الناس فقال (١٦٢) لاهو حرام ثم قال رسول الله ﷺ عند ذلك قاتل الله اليهود ان الله عز وجل لما حرم شحومهما جملوه ثم باعوه فاكلوا ثمنه (ذلك جزيناهم) اى ذلك التحريم عقوبة لهم (ببغيهم) اى بظلمهم من قتلهم الانبياء وصدهم عن سبيل الله واخذهم الربا واستحلال اموال الناس بالباطل (وانا لصادقون) فى الاخبار عما حرمنا عليهم وعن بغيهم (فان كذبوك فقل ربكم ذو رحمة واسعة) بتأخير العذاب عنكم (ولا يرد بأسه) عذابه (عن القوم المجرمين) إذا جاء وقته (سيقول الذين اشركوا) لمالزمتهم الحجة وتيقنوا بطلان ما كانوا عليه من من الشرك بالله وتحريم مالم يحرمه الله قالوا (لوشاء الله ما اشركنا) نحن (ولا آباؤنا) من قبل (ولا حرمنا من شئ) من البحائر والسوائب وغيرهما ارادوا ان يجعلوا قوله لوشاء الله ما أشركنا حجة لهم على اقامتهم على الشرك وقالوا ان الله تعالى قادر على ان يحول بيننا وبين مانحن عليه حتى لا نفعله فلولا انه رضى بمانحن عليه واراده منا وامرنا به لحال بيننا وبين ذلك فقال الله تعالى تكذيبا لهم (كذلك كذب الذين من قبلهم) من كفار الامم الخالية (حتى ذاقوا بأسنا) عذابنا ويستدل اهل القدر بهذه الاية ويقولون انهم لما قالوا لوشاء الله ما اشركنا كذبهم الله ورد عليهم فقال كذلك كذب الذين من قبلهم قلنا التكذيب ليس فى قولهم لوشاء الله ما اشركنا بل ذلك القول صدق ولكن فى قولهم ان الله تعالى امرنا بها ورضى بمانحن عليه كما اخبر عنهم فى سورة الاعراف وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله امرنا بها فالرد عليهم فى هذا كما قال تعالى قل ان الله لا يأمر بالفحشاء

مثل البعير والنعامة والأوز والبط قال القتيبى هو كل ذى مخلب من الطير وكل ذى حافر من الدواب وسمى الحافر ظفرا على الاستعارة (ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما) يعنى شحم الجوف وهى الثروب وشحم الكليتين (إلا ماحملت ظهورهما) يعنى إلا ماعلق بالظهر والجنب من داخل بطونهما من الشحم فانه غير محرم عليهم وقال السدى وأبو صالح الالية ما حملت ظهورهما وهذا القول مختص بالغنم لأن البقر ليس لها ألية (أوالحوايا) وهى المباعر فى قول ابن عباس وجمهور المفسرين واحدتها حاوية وحوية وقيل الحوايا المباعر والمصارين وهى الدوائر التى تكون فى بطن الشاة والمعنى ان الشحم الملتصق بالمباعر والمصارين غير محرم على اليهود (وما اختلط بعظم) يعنى من شحم الالية لأنه اختلط بالعصص وكذا الشحم المختلط بالعظام التى تكون فى الجنب والرأس والعين فكل هذا حلال على اليهود فحاصل هذا أن الذى حرم عليهم شحم الثرب وشحم الكلية وماعدا ذلك فهو حلال عليهم (ق) عن جابر بن عبدالله قال سمعت رسول الله ﷺ يقول عام الفتح بمكة ان الله حرم بيع الخمر والميتة والخنزير والأصنام فقيل يارسول الله أرأيت شحوم الميتة فانها يطلى بها السفن ويدهن بها الجلود ويستصبح بها الناس فقال لاهو حرام ثم قال رسول الله ﷺ عند ذلك قاتل الله اليهود إن الله لما حرم عليهم شحومها جملوه ثم باعوه فأكلوا ثمنه قوله جملوه يعنى أذابوه يقال أجملت الشحم وجملته إذا أذبته وجملته اكثر وافصح * وقوله تعالى (ذلك جزيناهم) أى ذلك التحريم جزيناهم عقوبة (ببغيهم) يعنى بسبب بغيهم وظلمهم وهو قتل الانبياء وأخذ الربا واستحلالهم أموال الناس بالباطل (وإنا لصادقون) يعنى فى الاخبار عن بغيهم وفى الاخبار عن تخصيصهم بهذا التحريم (فان كذبوك) يعنى فان كذبك اليهود يامحمد فيما أخبرناك إنا حرمنا عليهم وأحللنا لهم ما بيناه فى هذه الاية المتقدمة (فقل ربكم ذو رحمة واسعة) يعنى بتأخير العقوبة عنكم فان رحمته تسع المسىء والمحسن فلا يعجل بالعقوبة على من كفر به اوعصاه (ولا يرد بأسه) يعنى ولا يرد عذابه ونقمته إذا جاء وقتهما (عن القوم المجرمين) يعنى الذين كذبوا الانبياء وهم الكفار واليهود * وقوله عز وجل (سيقول الذين اشركوا) لمالزمتهم الحجة وتيقنوا بطلان ما كانوا عليه من الشرك بالله وتحريم مالم يحرمه الله اخبر الله تعالى عنهم بما سيقولونه فقال تعالى سيقول الذين اشركوا يعنى مشركى قريش والعرب (ولوشاء الله ما اشركنا ولا اباؤنا) يعنى من قبل قال المفسرون جعلوا قولهم لوشاء الله ما اشركنا حجة على إقامتهم على الكفر والشرك وقالوا إن الله قادر على ان يحول بيننا وبين مانحن عليه حتى لا نفعله فلولا انه رضى مانحن عليه واراده منا وامرنا به لحال بيننا وبين ذلك (ولا حرمنا من شىء) يعنى ما حرموه من البحائر والسوائب وغير ذلك فقال الله عز وجل ردا وتكذيبا لهم (كذلك كذب الذين من قبلهم) يعنى من كفار الامم الخالية الذين كانوا قبل قومك كذبوا انبياءهم وقالوا مثل قول هؤلاء (حتى ذاقوا بأسنا) يعنى عذابنا

والدليل على أن التكذيب وردفيما قلنا لا فى قولهم لو شاء ما أشركنا قوله كذلك كذب الذين من قبلهم بالتشديد ولو كان ذلك خبراً من الله عز وجل عن كذبهم فى قولهم لو شاء الله ما أشركنا لقال كذلك كذب من قبلهم بالتخفيف فكان نسبهم إلى الكذب لا إلى التكذيب وقال الحسن بن الفضل لو ذكروا هذه المقالة تعظيما واجلالا لله عز وجل (١٦٣) ومعرفة منهم به لما عابهم بذلك

﴿فصل﴾ استدل القدرية والمعتزلة بهذه الاية فقالوا إن القوم لما قالوا لو شاء الله ما أشركنا كذبهم الله ورد عليهم بقوله كذلك كذب الذين من قبلهم وأيضا فان الله تعالى حكى عن هؤلاء الكفار صريح مذهب الجبرية وهو قولهم لو شاء الله منا أن لا نشرك ولمنعنا عن هذا الكفر وحيث لم يمنعنا عنه ثبت انه مريد له وإذا أراده منا امتنع تركه منا وأجيب عن هذا بأن الله تعالى حكى عن هؤلاء الكفار أنهم قالوا لو شاء الله ما أشركنا ثم ذكر عقيبه كذلك كذب الذين من قبلهم وهذا التكذيب ليس هو فى قولهم لو شاء الله ما اشركنا بل ذلك القول حق وصدق ولكن الكذب فى قولهم أن الله أمرنا به ورضى مانحن عليه كما أخبر عنهم فى سورة الأعراف وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها فرد الله تعالى عليهم بقوله قل إن الله لا يأمر بالفحشاء والدليل ان التكذيب فى قولهم إن الله امرنا بهذا ورضيه منا لا فى قولهم لو شاء الله ما أشركنا لقال كذلك كذب الذين من قبلهم بالتشديد ولو كان خبرا من الله عن كذبهم فى قولهم لو شاء الله ما أشركنا لقال كذلك كذب الذين من قبلهم بالتخفيف فكان ينسبهم إلى الكذب لا إلى التكذيب وقال الحسن بن الفضل لو قالوا هذه المقالة تعظيما لله وإجلالا له ومعرفة بحقه وبما يقولون لما عابهم بذلك ولكنهم قالوا هذه المقالة تكذيبا وجدلا من غير معرفة بالله وبما يقولون وقيل فى معنى الاية أنهم كانوا يقولون الحق بهذه الكلمة وهو قوم لو شاء الله ما أشركنا إلا أنهم كانوا يعدونه عذرا لانفسهم ويجعلونه حجة لهم فى ترك الايمان والرد عليهم فى ذلك أن أمر الله بمعزل عن مشيئته وإرادته فان الله تعالى مريد لجميع الكائنات غير أمر بجميع ما يريد فعلى العبد أن يتبع أمره وليس له أن يتعلق بمشيئة فان مشيئته لا تكون عذر الأحد عليه فى فعله فهو تعالى يشاء الكفر من الكافر ولا يرضى به ولا يأمر به ومع هذا فيبعث الرسل إلى العبد ويأمر بالايمان وورود الأمر على خلاف الارادة غير ممتنع فالحاصل أنه تعالى حكى عن الكفار أنهم يتمسكون بمشيئة الله تعالى فى شركهم وكفرهم فأخبر الله تعالى أن هذا التمسك فاسد باطل فانه لا يلزم من ثبوت المشيئة لله تعالى فى كل الأمور دفع دعوة الأنبياء عليهم السلام والله أعلم. وقوله تعالى (قل هل عندكم من علم) أى قل يا محمد لهؤلاء المشركين القائلين لو شاء الله ما أشركنا ولكنه رضى مانحن عليه من الشرك هل عندكم يعنى بدعواكم ما تدعون من علم يعنى من حجة وكتاب يوجب اليقين من العلم (فتخرجوه لنا) يعنى فتظهروا ذلك العلم لنا وتبينوه كما بينا لكم خطأ قولكم وفعلكم وتناقض ذلك واستحالته فى العقول (إن تتبعون إلا الظن) يعنى فيما أنتم عليه من الشرك وتحريم ما لم يحرمه الله عليكم وتحسبون أنكم على حق وإنما هو باطل (وإن انتم ألا تخرصون) يعنى ما أنتم فى ذلك كله ألا تكذبون وتقولون على الله الباطل وقوله تعالى (قل فلله الحجة البالغة) يعنى قل يا محمد لهؤلاء المشركين حين عجزوا عن إظهار علم الله أو حجة لهم فلله الحجة البالغة يعنى التامة على خلقه بانزال الكتاب وإرسال الرسل قال الربيع بن انس لاحجة لأحد عصى الله أو أشرك به على الله ولكن لله الحجة البالغة على عباده (فلو شاء لهداكم أجمعين) يعنى فلو شاء الله لوفقكم أجمعين للهداية ولكنه لم يشأ ذلك وفيه دليل على انه لم يشأ ايمان الكافر ولو شاء لهداه لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون (قل هلم شهداءكم الذين يشهدون) يعنى هاتوا أو ادعوا شهداءكم وهلم كلمة دعوة الى الشيء يستوى فيه الواحد والاثنان والجمع والذكر والانثى وفيها لغة أخرى يقال للواحد هلم وللاثنين هلما وللجمع هلموا وللانثى هلمى واللغة الاولى أفصح (ان الله حرم هذا) وهذا تنبيه من الله باستدعاء الشهود من الكافرين على تحريم ما حرموه على انفسهم وقالوا ان الله امرنا به ليظهر ان لا شاهد لهم على ذلك وانما اختلقوه من عند انفسهم (فان شهدوا فلا تشهد معهم) وهذا تنبيه ايضا على كونهم كاذبين فى شهادتهم فلا تشهد انت يا محمد معهم لانهم فى شهادتهم كاذبون (ولا تتبع)

لأن الله تعالى قال ولو شاء الله ما أشركوا وقال وما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله والمؤمنون يقولون ذلك ولكنهم قالوه تكذيبا وتخرصا وجدلا من غير معرفة بالله وبما يقولون نظيره قوله عز وجل وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم قال الله تعالى ما لهم بذلك من علم أن هم إلا يخرصون وقيل فى معنى الاية انهم كانوا يقولون الحق بهذه الكلمة إلا أنهم كانوا يعدونه عذرا لأنفسهم ويجعلونه حجة لأنفسهم فى ترك الايمان وردعليهم فى هذا الأن أمر الله بمعزل عن مشيئته وإرادته فانه مريد لجميع الكائنات غير آمر بجميع ما يريد وعلى العبد أن يتبع أمره وليس له أن يتعلق بمشيئته فان مشيئته لا تكون عذر الأحد (قل هل عندكم من علم) أى كتاب وحجة من الله (فتخرجوه لنا) حتى يظهر ما تدعون على الله تعالى من الشرك وتحريم ما حرمتموه (إن تتبعون (ما تتبعون فيما أنتم عليه (إلا الظن) من غير علم ويقين (وإن أنتم إلا تخرصون (تكذبون

(قل فلله الحجة البالغة) التامة على خلقه بالكتاب والرسول والبيان (فلو شاء لهداكم اجمعين) فهذا يدل على انه لم يشأ ايمان الكافر ولو شاء لهداه (قل هلم) يقال للواحد والاثنين والجمع (شهداءكم الذين يشهدون (أى ائتوا بشهدائكم الذين يشهدون (ان الله حرم هذا هذا راجع الى ما تقدم من تحريمهم الاشياء على انفسهم ودعواهم ان الله امرهم به (فان شهدوا) وهم كاذبون (فلا تشهد) انت (معهم ولا تتبع

أهواء الذين كذبوا بآياتنا والذين لا يؤمنون بالآخرة وهم بربهم يعدلون) أي يشركون قوله عز وجل (قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم أن لا تشركوا به شيئا) وذلك أن المشركين سألوا وقالوا أي شيء الذي حرم الله تعالى فقال عز وجل قل تعالوا أتل أقرأ ما حرم ربكم عليكم حقا ويقينا لا ظنا وكذبا كما تزعمون فان قيل ما معنى قوله حرم ربكم عليكم ان لا تشركوا به شيئا والمحرم هو الشرك لا ترك الشرك قيل موضع ان رفع معناه هو ان لا تشركوا وقيل محله نصب واختلفوا في وجه انتصابه قيل معناه حرم عليكم ان لا تشركوا ولا صلة كقوله تعالى ما منعك ان لا تسجد اي منعك ان تسجد وقيل تم الكلام عند قوله حرم ربكم ثم قال عليكم ان لا تشركوا به شيئا على وجه الاغراء قال الزجاج يجوز ان يكون هذا محمولا على المعنى اي اتل عليكم تحريم الشرك وجائز ام يكون على معنى اوصيكم ألا تشركوا (وبالوالدين إحسانا ولا تقتلوا اولادكم من املاق) فقر (نحن نرزقكم وإياهم) اي تئدوا بناتكم خشية العيلة فاني رازقكم واياهم (ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن) ما بطن يعني السر وكان اهل الجاهلية يستقبحون الزنا في العلانية ولا يرون به بأسا في السر فحرم الله تعالى الزنا في العلانية والسر وقال الضحاك ما ظهر الخمر وما بطن الزنا (ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق) حرم الله تعالى قتل المؤمن والمعاهد الا بالحق الا بما يبيح به قتله من ردة أو قصاص او زنا

أهواء الذين كذبوا بآياتنا) يعني إن وقع منهم شهادة فانما هي باتباع الهوى فلا تتبع أنت يا محمد أهواءهم ولكن اتبع ما أوحي إليك من كتابي الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه (والذين لا يؤمنون بالآخرة) أي ولا تتبع أهواء الذين لا يؤمنون بالآخرة (وهم بربهم يعدلون) يعني يشركون * قوله عز وجل (قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم) لما بين الله تعالى فساد مقالة الكفار فيما زعموا ان الله أمرهم بتحريم ما حرموه على أنفسهم فكأنهم سألوا وقالوا أي شيء حرم الله فأمر الله عز وجل نبيه محمدا ﷺ أن يقول لهم تعالوا تعال من الخاص الذي صار عاما وأصله أن يقوله من كان في مكان عال لمن هو أسفل منه ثم كثر واتسع فيه حتى عم وقيل أصله أن تدعو الانسان إلى مكان مرتفع وهو من العلو وهو ارتفاع المنزلة فكأنه دعاه إلى ما فيه رفعة وشرف ثم كثر في الاستعمال والمعنى تعالوا وهلموا أيها القوم أتل عليكم يعني أقرأ ما حرم ربكم عليكم يعني الذي حرم ربكم عليكم حقا يقينا لا شك فيه ولا ظنا ولا كذبا كما تزعمون انتم بل هو وحي اوحاه الله إلى (أن لا تشركوا به شيئا) * فان قلت ترك الاشراك واجب فما معنى قوله ان لا تشركوا به شيئا لأنه كالتفصيل لما اجمله في قوله حرم ربكم عليكم وذلك لا يجوز * قلت الجواب عنه من وجوه الوجه الأول أن يكون موضع أن رفع معناه هو ان تشركوا الوجه الثاني ان يكون محل النصب واختلفوا في وجه انتصابه فقيل معناه حرم عليكم ان تشركوا او تكون لا صلة وقيل ان حرف لا على اصلها ويكون المعنى اتل عليكم تحريم الشرك اي لا تشركوا او يكون المعنى اوصيكم ان لا تشركوا الا ان قوله وبالوالدين إحسانا محمول على اوصيكم بالوالدين إحسانا الوجه الثالث ان يكون الكلام قد تم عند قوله حرم ربكم ثم قال عليكم ان لا تشركوا على الاغراء او بمعنى فرض عليكم ان لا تشركوا به شيئا ومعنى هذا الاشراك الذي حرمه الله ونهى عنه هو ان يجعل لله شريكا من خلقه او يطيع مخلوقا في معصية الخالق او يريد بعبادته رياء وسمعة ومنه قوله ولا يشرك بعبادة ربه احدا * وقوله عز وجل (وبالوالدين إحسانا) اي وفرض عليكم ووصاكم بالوالدين إحسانا وإنما ثنى بالوصية بالاحسان إلى الوالدين لأن اعظم النعم على الانسان نعمة الله لانه هو الذي اخرجه من العدم إلى الوجود وخلقه واوجده بعد ان لم يكن شيأ ثم بعد نعمة الله نعمة الوالدين لانهما السبب في وجود الانسان ولما لهما عليه من حق التربية والشفقة والحفظ من المهالك في حال صغره (ولا تقتلوا اولادكم من إملاق) يعني من خوف الفقر والاملاق الافتقار والمراد بالقتل وأد البنات وهن إحياء فكانت العرب تفعل ذلك في الجاهلية فنهاهم الله تعالى عن ذلك وحرمه عليهم (نحن نرزقكم وإياهم) يعني لا تئدوا بناتكم خوف العيلة والفقر فاني رازقكم وإياهم لأن الله تعالى إذا تكفل برزق الوالد والولد وجب على الوالد القيام بحق الولد وتربيته والاتكال في امر الرزق على الله عز وجل (ولا تقربوا الفواحش) يعني الزنا (ما ظهر منها وما بطن) يعني علانيته وسره وكان اهل الجاهلية يستقبحون الزنا في العلانية ولا يرون به باسا في السر فحرم الله تعالى الزنا في السر والعلانية وقيل ان الأولى حمل لفظ الفواحش عن العموم في جميع الفواحش المحرمات والمنهيات فيدخل فيه الزنا وغيره لأن المعنى الموجب لهذا النهي هو كونه فاحشة فحمل اللفظ على العموم أولى من تخصيصه بنوع من الفواحش وايضا فان السبب إذا كان خاصا لا يمنع من حمل اللفظ على العموم وفي قوله ما ظهر منها وما بطن دقيقة وهي ان الانسان إذا احترز عن المعاصي في الظاهر ولم يحترز منها في الباطن دل ذلك على ان احترازه عنها ليس لأجل عبودية الله وطاعته فما امر به او نهى عنه ولكن لأجل الخوف من رؤية الناس ومذمتهم ومن كان كذلك استحق العقاب ومن ترك المعصية ظاهرا وباطنا لأجل خوف الله وتعظيما لأمره استوجب رضوان الله وثوابه (ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق) حرم الله

يوجب الرجم اخبرنا احمد بن عبد الله الصالحي ثنا ابو بكر احمد بن الحسين الحيري ثنا حاجب بن احمد الطوسي ثنا محمد بن حماد

ثنا أبو معاوية عن الأعمش عن عبد الله بن مرة عن مسروق عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ لا يحل دم امرىء يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث الثيب الزاني والنفس بالنفس والتارك لدينه المفارق للجماعة (ذلكم) الذي ذكرت (وصاكم به) أمركم به (لعلكم تعقلون ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن) يعني بما فيه صلاحه وتثميره وقال مجاهد هو التجارة فيه وقال الضحاك هو أن يبتغي له فيه ولا يأخذ من ربحه شيئاً (حتى يبلغ أشده) قال الشعبي ومالك الأشد الحلم حتى يكتب له الحسنات وتكتب عليه السيئات قال أبو العالية حتى يعقل وتجتمع قوته وقال الكلبي الأشد ما بين ثمان عشرة سنة إلى ثلاثين سنة وقيل إلى أربعين سنة وقيل إلى ستين سنة وقال الضحاك عشرون سنة وقال السدي ثلاثون سنة وقال مجاهد الأشد ثلاث وثلاثون سنة والأشد جمع شد مثل قد وأقد وهو استحكام قوة شبابه وسنه ومنه شد النهار وهو ارتفاعه وقيل بلوغ الأشد أن يؤنس رشده بعد البلوغ وتقدير الآية ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن على الأبد حتى يبلغ أشده فادفعوا إليه ماله إن كان رشيداً (وأوفوا الكيل والميزان بالقسط) بالعدل (لا نكلف نفساً إلا وسعها) أي طاقتها في إيفاء الكيل والميزان لم يكلف المعطي أكثر مما وجب عليه ولم يكلف صاحب الحق الرضا بأقل من حقه حتى لا تضيق نفسه عنه بل أمر كل واحد منهما بما يسعى مما لا حرج عليه فيه (وإذا قلتم فاعدلوا) فاصدقوا في الحكم والشهادة (ولو كان ذا قربى) ولو كان المحكوم والمشهود عليه ذا قرابة (وبعهد الله أوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون) تتعظون قرأ حمزة والكسائي وحفص تذكرون خفيفة الذال كالقرآن والآخرون بتشديدها قال ابن عباس هذه الآيات محكمات في جميع الكتب لم ينسخهن شيء وهن محرمات على بني آدم كلهم وهن أم الكتاب من عمل بهن دخل الجنة ومن تركهن دخل النار (وأن هذا) أي هذا الذي أوصاكم به في هاتين الآيتين (صراطي) طريقي وديني (مستقيماً) مستوياً قويماً (فاتبعوه) قرأ حمزة والكسائي وإن بكسر الألف على الاستئناف وقرأ الآخرون بفتح الألف قال الفراء والمعنى وأتل عليكم أن هذا صراطي مستقيماً وقرأ ابن عامر ويعقوب بسكون النون

تعالى قتل النفس إلا بالحق وقتلها من جملة الفواحش المتقدم ذكرها في قوله تعالى ولا تقربوا الفواحش وإنما أفرد قتل النفس بالذكر تعظيماً لأمر القتل وأنه من أعظم الفواحش والكبائر وقيل إنما أفرده بالذكر لأنه تعالى أراد أن يستثني منه ولا يمكن ذلك الاستثناء من جملة الفواحش إلا بالافراد فلذلك قال ولا تقتلوا النفس التي حرم الله قتلها إلا بالحق وهي التي أبيح قتلها من ردة أو قصاص أو زنا بعد احصان وهو الذي يوجب الرجم (ق) عن ابن مسعود قال قال رسول الله ﷺ لا يحل دم امرىء مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث الثيب الزاني والنفس بالنفس والتارك لدينه المفارق للجماعة * وقوله تعالى (ذلكم) يعني ما ذكر من الأوامر والنواهي المحرمات (وصاكم به) يعني أمركم به وأوجبه عليكم لعلكم تعقلون) يعني لكي تفهموا ما في هذه التكاليف من الفوائد والمنافع فتعملوا بها قوله تعالى (ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن) ولا تقربوا مال اليتيم إلا بما فيه صلاحه وتثميره وتحصيل الربح له قال مجاهد هو التجارة فيه وقال الضحاك هو أن يسعى له فيه هو ولا يأخذ من ربحه شيئاً هذا إذا كان القيم بالمال غنياً غير محتاج فلو كان الوصي فقيراً فله أن يأكل بالمعروف (حتى يبلغ أشده) يعني احفظوا مال اليتيم إلى أن يبلغ أشده فإذا بلغ أشده فادفعوا إليه ماله فأما الأشد فهو استحكام قوة الشباب والسن حتى يتناهى في الشباب إلى حد الرجال قال الشعبي ومالك الأشد الحلم حين تكتب له الحسنات وتكتب عليه السيئات وقال أبو العالية حتى يعقل وتجتمع قوته وقال الكلبي الأشد هو ما بين ثمان عشرة سنة إلى ثلاثين سنة وقيل إلى أربعين وقيل إلى ستين سنة وقال الضحاك الأشد عشرون سنة وقال السدي الأشد ثلاثون سنة وقال مجاهد الأشد ثلاث وثلاثون سنة وهذه الأقوال التي نقلت عن المفسرين في هذه الآية إنما هي نهاية الأشد لا ابتداؤه والمراد بالأشد في هذه الآية هو ابتداء بلوغ الحلم مع إيناس الرشد وهذا هو المختار في تفسير هذه الآية * قوله تعالى (وأوفوا الكيل والميزان بالقسط) يعني بالعدل من غير زيادة ولا نقصان (لا نكلف نفساً إلا وسعها) يعني طاقتها وما يسعها في إيفاء الكيل والميزان وإتمامه لم يكلف المعطي أن يعطي أكثر مما وجب عليه ولم يكلف صاحب الحق الرضا بأقل من حقه حتى لا تضيق نفسه عنه بل أمر كل واحد بما يسعه مما لا حرج عليه فيه (وإذا قلتم فاعدلوا) يعني في الحكم الشهادة (ولو كان ذا قربى) يعني المحكوم عليه وكذا المشهود وقيل إن الأمر بالعدل في القول هو أعم من الحكم والشهادة بل يدخل فيه كل قول حتى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من غير زيادة فيه ولا نقصان وأداء الأمانة وغير ذلك من جميع الأقوال التي يعتمد فيها العدل والصدق (وبعهد الله أوفوا) يعني ما عهد إلى عباده ووصاهم به وأوجبه عليهم أو ما أوجبه الإنسان على نفسه كنذر ونحوه فيجب الوفاء به (ذلكم) يعني الذي ذكر في هذه الآيات (وصاكم به) يعني بالعمل به (لعلكم تذكرون) يعني لعلكم تتعظون وتتذكرون فتأخذون ما أمرتكم به * قوله عز وجل (وإن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه) يعني وان هذا الذي وصيتكم به وأمرتكم به في هاتين الآيتين هو صراطي يعني طريقي ودبني الى ارتضيته لعبادي مستقيماً يعني قويماً لا اعوجاج فيه فاتبعوه ويعني فاعملوا به وقيل ان الله تعالى لما بين في الآيتين

(ولا تتبعوا السبل) أى الطرق المختلفة التى عدا هذا الطريق مثل اليهودية والنصرانية وسائر الملل وقيل الاهواء والبدع (فتفرق) فتميل (بكم) وتشتت (عن سبيله) عن طريقه ودينه الذى ارتضى وبه أوصى (ذلكم) الذى ذكرنا (وصاكم به لعلكم تتقون) أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الصمد الرانى المعروف بأبى بكر الهيثم أخبرنا الحاكم أبو الفضل محمد بن الحسين الحدادى ثنا أبو بكر محمد بن يحيى بن خالد ثنا ابو يعقوب اسحق ابن ابراهيم الحنظلى ثنا عبد الرحمن بن مهدى عن حماد بن زيد عن عاصم بن بهدلة عن أبى وائل عن عبد الله قال خط لنا رسول الله ﷺ خطا ثم قال هذا سبيل الله ثم خط خطوطا عن يمينه وعن شماله وقال هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو اليه ثم قرأ وإن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه الاية قوله عز وجل (ثم آتينا موسى الكتاب) فان قيل لم قال ثم آتينا وحرف ثم للتعقيب وإيتاء موسى الكتاب كان قبل مجىء القرآن قيل معناه ثم أخبركم انا آتينا موسى الكتاب فأدخل ثم لتأخير الخبر لا لتأخير النزول (تماما على الذى أحسن) اختلفوا فيه قيل تماما على المحسنين من قومه فيكون الذى بمعنى من أى على من أحسن من قومه وكان منهم محسن ومسىء يدل عليه قراءة ابن مسعود على الذين أحسنوا وقال أبو عبيدة معناه على كل من أحسن أى أتممنا فضيلة موسى بالكتاب على المحسنين يعنى أظهرنا فضله عليها والمحسنون هم الأنبياء والمؤمنون وقيل الذى أحسن هو موسى والذى بمعنى ما أى على ما أحسن موسى تقديره آتيناه الكتاب يعنى التوراة الله إتماما عليه للنعمة لاحسانه فى الطاعة والعبادة وتبليغ الرسالة وأداء الأمر وقيل الإحسان بمعنى العلم وأحسن بمعنى علم ومعناه تماما على الذى أحسن موسى من العلم والحكمة أى اتيناه الكتاب زيادة على ذلك وقيل معناه تماما منى على احسانى إلى موسى (وتفصيلا) بيانا (لكل شىء) يحتاج إليه من شرائع الدين (وهدى ورحمة) هذا فى صفة التوراة (لعلهم بلقاء ربهم يؤمنون) قال ابن عباس كى يؤمنوا بالبعث ويصدقوا بالثواب والعقاب (وهذا) يعنى القرآن (كتاب أنزلناه) إليك (مبارك فاتبعوه) فاعملوا بما فيه (واتقوا) وأطيعوا (لعلكم ترحمون

المتقدمين ما وصى به مفصلا أجمله فى هذه الاية إجمالا يقتضى دخول جميع ما تقدم ذكره فيه ويدخل فيه أيضا جميع أحكام الشريعة وكل ما بينه رسول الله ﷺ من دين الإسلام هو المنهج القويم والصراط المستقيم والدين الذى ارتضاه لعباده المؤمنين وأمرهم باتباع جملته وتفصيله (ولا تتبعوا السبل) يعنى الطرق المختلفة والاهواء المضلة والبدع الرديئة وقيل السبل المختلفة مثل اليهودية والنصرانية وسائر الملل والأديان المخالفة لدين الإسلام (فتفرق بكم عن سبيله) يعنى فتميل بكم هذه الطرق المختلفة المضلة عن دينه وطريقه الذى ارتضاه لعباده روى البغوى بسنده عن ابن مسعود قال خط لنا رسول الله ﷺ خطا ثم قال هذا سبيل الله ثم خط خطوطا عن يمينه وعن شماله وقال هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو اليه وقرأ وإن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل الاية (ذلكم وصاكم به) يعنى باتباع دينه وصراطه الذى لا اعوجاج فيه (لعلكم تتقون) يعنى الطرق المختلفة والسبل المضلة قال ابن عباس هذه الايات محكمات فى جميع الكتب لم ينسخهن شىء وهن من محرمات على بنى آدم كلهم وهن أم الكتاب من عمل بهن دخل الجنة ومن تركهن دخل النار وعن ابن مسعود قال من سره أن ينظر إلى الصحيفة التى عليها خاتم محمد ﷺ فليقرأ هؤلاء الايات قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم الايات إلى قوله لعلكم تتقون اخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب * قوله تعالى (ثم آتينا موسى الكتاب) يعنى التوراة * فان قلت إتيان موسى الكتاب كان قبل نزول القرآن وحرف ثم للتعقيب فما معنى ذلك * قلت دخلت ثم لتأخير الخبر لا لتأخير النزول والمعنى قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم وهو كذا وكذا إلى قوله تعالى لعلكم تتقون ثم اخبركم انا آتينا موسى الكتاب وقيل ان المحرمات المذكورة فى قوله تعالى قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم محرمات على جميع الأمم وجميع الشرائع فتقدير الكلام ذلكم وصاكم به يا بنى آدم قديما وحديثا ثم بعد ذلك آتينا موسى الكتاب يعنى بعد إيجاب هذه المحرمات وقيل معناه قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم ثم قال بعد ذلك يا محمد إنا اتينا موسى الكتاب فحذف لفظه قل لدلالة الكلام عليها * وقوله تعالى (تماما على الذى أحسن) اختلف أهل التفسير فيه فقيل معناه تماما على المحسنين من قومه فيكون الذى بمعنى من أى تماما على من أحسن من قومه لأنه كان منهم محسن ومسىء وعلى قراءة ابن مسعود تماما على الذين أحسنوا وقيل معناه تماما على كل من أحسن اى أتممناه فضيلة موسى على المحسنين وهم الأنبياء والمؤمنون أى أتممنا فضله عليهم بالكتاب وقيل الذى أحسن هو موسى فيكون الذى بمعنى ما أى على ما أحسن وتقديره وآتينا موسى الكتاب اتماما للنعمة عليه لإحسانه فى الطاعة والعبادة وتبليغ الرسالة وأداء الأمر وقيل الإحسان بمعنى العلم وتقديره اتينا موسى الكتاب تماما على الذى أحسن موسى من العلم والحكمة زيادة له على ذلك وقيل معناه تماما منى على إحسانى إلى موسى (وتفصيلا لكل شىء) يعنى وفيه بيان لكل شىء يحتاج إليه من شرائع الدين وأحكامه (وهدى) يعنى وفيه هدى من الضلالة (ورحمة) يعنى انزاله عليهم رحمة منى عليهم (لعلهم بلقاء ربهم يؤمنون) قال ابن عباس لكى يؤمنوا بالبعث ويصدقوا بالثواب والعقاب * قوله عز وجل (وهذا كتاب أنزلناه مبارك) يعنى القرآن لأنه كثير الخير والنفع والبركة ولا يتطرق إليه نسخ (فاتبعوه) يعنى فاعملوا بما فيه من الأوامر والنواهى والأحكام (واتقوا) يعنى مخالفته (لعلكم ترحمون) يعنى ليكن الغرض بالتقوى رحمة

أن تقولوا) يعنى لئلا تقولوا كقوله تعالى يبين الله لكم أن تضلوا أى لئلا تضلوا وقيل معناه أنزلناه كراهة أن تضلوا أن تقولوا

الله وقيل معناه لكى ترحموا على جزاء التقوى (أن تقولوا) يعنى لئلا تقولوا وقيل معناه كراهية أن تقولوا يعنى أنزلنا إليكم الكتاب كراهية أن تقولوا (إنما انزل الكتاب) وقيل يجوز أن تكون متعلقة بما قبلها فيكون المعنى واتقوا أن تقولوا وهذا خطاب لأهل مكة والمعنى واتقوا يا أهل مكة أن تقولوا إنما أنزل الكتاب والكتاب اسم جنس لأن المراد به التوراة والإنجيل (على طائفتين من قبلنا) يعنى اليهود والنصارى (وإن كنا) اى وقد كنا وقيل وانه كنا (عن دراستهم) يعنى عن قراءتهم (لغافلين) يعنى لا علم لنا بما فيها لأنها ليست بلغتنا والمراد بهذه الآية اثبات الحجة على اهل مكة وقطع عذرهم بانزال القران على محمد ﷺ بلغتهم والمعنى وأنزلنا القران بلغتهم لئلا يقولوا يوم القيامة ان التوراة والإنجيل أنزلا على طائفتين من قبلنا بلسانهم ولغتهم فلم نعرف ما فيهما فقطع الله عذرهم بانزال القران عليهم بلغتهم (أو تقولوا لو انا أنزل علينا الكتاب لكنا أهدى منهم) وذلك أن جماعة من الكفار قالوا أنزل علينا ما أنزل على اليهود والنصارى لكنا خيرا منهم وأهدى وإنما قالوا ذلك لاعتمادهم على صحة عقولهم وجودة فطنتهم وذهنهم قال الله عز وجل (فقد جاءكم بينة من ربكم) يعنى هذا القران فيه بيان وحجة واضحة تعرفونها (وهدى) يعنى من الضلالة (ورحمة) يعنى وهو رحمة ونعمة أنعم الله بها عليكم (فمن أظلم) أى لا أحد أظلم وأكفر (ممن كذب بآيات الله وصدف عنها) يعنى وأعرض عنها (سنجزى الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب) يعنى أسوأ العذاب وأشده (بما كانوا يصدفون) أى ذلك العذاب جزاؤهم بسبب اعراضهم وتكذيبهم بآيات الله قوله تعالى (هل ينظرون) يعنى هل ينتظر هؤلاء بعد تكذيبهم الرسل وإنكارهم القران وصدهم عن ايات الله وهو استفهام معناه النفى وتقدير الاية أنهم لا يؤمنون بك إلا إذا جاءتهم إحدى هذه الأمور الثلاث فاذا جاءتهم إحداها امنوا وذلك حين لا ينفعهم ايمانهم (إلا أن تأتيهم الملائكة) يعنى لقبض أرواحهم وقيل أن تأتيهم بالعذاب (أو يأتى ربك) يعنى للحكم وفصل القضاء بين الخلق يوم القيامة وقد تقدم الكلام فى معنى الاية فى سورة البقرة عند قوله هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله فى ظلل من الغمام بما فيه كفاية وأن المجىء والذهاب على الله محال فيجب امرارها بلا تكييف (أو يأتى بعض ايات ربك) قال جمهور المفسرين هو طلوع الشمس من مغربها ويدل على ذلك ما روى عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال ثلاث إذا خرجن لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن امنت من قبل طلوع الشمس من مغربها والدجال ودابة الأرض أخرجه مسلم عن أبى سعيد عن النبى ﷺ فى قوله أو يأتى بعض ايات ربك قال طلوع الشمس من مغربها أخرجه الترمذى وقال حديث غريب (م) عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال من تاب قبل طلوع الشمس من مغربها تاب الله عليه عن صفوان بن عسال المرادى قال رسول الله ﷺ باب من قبل المغرب مسيرة عرضه أو قال يسير الراكب فى عرضه أربعين أو سبعين سنة خلقه الله تعالى يوم خلق السموات والأرض مفتوحا للتوبة لا يغلق حتى تطلع الشمس منه أخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح (ق) عن أبى هريرة قال قال رسول الله ﷺ لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها فاذا رآها الناس آمن من عليها وفى رواية فاذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعين فذلك حين لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن امنت من قبل أو كسبت فى إيمانها خيرا (م) عن حذيفة بن أسد الغفارى قال أطلع رسول الله ﷺ علينا ونحن نتذاكر فقال ما تذكرون قلنا الساعة فقال انها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات فذكر الدخان والدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى بن مريم وثلاث خسوف خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب وآخر ذلك نار تطرد الناس إلى محشرهم (م) عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال بادروا بالأعمال قبل ست طلوع الشمس من مغربها والدخان والدجال والدابة وخويصة أحدكم وأمر العامة (م) عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال حفظت من رسول الله ﷺ حديثا لم أنسه بعد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أن أول الايات خروجا طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة على الناس ضحى وأيهما كانت قبل صاحبتها فالأخرى على أثرها قريبا وروى

قال الكسائى معناه واتقوا أن تقولوا يا أهل مكة (إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا) يعنى اليهود والنصارى (وإن كنا) وقد كنا (عن دراستهم) قراءتهم (لغافلين) لا نعلم ما هى معناه أنزلنا عليكم القرآن لئلا تقولوا ان الكتاب أنزل على من قبلنا بلسانهم ولغتهم فلم نعرف ما فيه وغفلنا عن دراسته فتجعلوه عذرا لأنفسكم أو تقولوا لو انا أنزل علينا الكتاب لكنا أهدى منهم) وقد كان جماعة من الكفار قالوا ذلك لو انا أنزل علينا ما انزل على اليهود والنصارى لكنا خيرا منهم قال الله تعالى (فقد جاءكم بينة من ربكم) حجة واضحة بلغة تعرفونها (وهدى) بيان (ورحمة) ونعمة لمن اتبعه (فمن اظلم ممن كذب بآيات الله وصدف) اعرض (عنها سنجزى الذين يصدفون عن اياتنا سوء العذاب) أى شدة العذاب (بما كانوا يصدفون) يعرضون قوله تعالى (هل ينظرون) أى هل ينتظرون بعد تكذيبهم الرسل وانكارهم القران (إلا أن تأتيهم الملائكة) لتقبض أرواحهم وقيل بالعذاب قرأ حمزة والكسائى يأتيهم بالياء هنا وفى النحل والباقون بالتاء (أو يأتى ربك) بلا كيف لفصل القضاء بين خلقه

فى موقف القيامة (أو يأتى بعض آيات ربك) يعنى طلوع الشمس من مغربها عليه أكثر المفسرين ورواه أبو سعيد الخدرى مرفوعا

إلى الإيمان (أو كسبت فى ايمانها خيرا) يريد لا يقبل ايمان كافر ولا توبة فاسق (قل انتظروا) يا أهل مكة (انا منتظرون) بكم العذاب أخبرنا أبو على حسان بن سعيد المنيعى ثنا أبو طاهر محمد بن محمد بن محمش الزيادى ثنا أبو بكر محمد بن الحسن القطان ثنا احمد بن يوسف السلمى ثنا عبد الرازق ثنا معمر عن همام بن منبه ثنا ابو هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها فاذا طلعت ورآها الناس امنوا أجمعون وذلك حين لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن امنت من قبل او كسبت فى ايمانها خيرا اخبرنا أحمد ابن عبد الله الصالحى اخبرنا أبو بكر أحمد بن الحسن الحيرى انا حاجب بن احمد الطوسى انا محمد بن حماد ثنا أبو معاوية عن الأعمش عن عمرو بن مرة عن عبيدة عن أبى موسى الأشعرى قال قال رسول الله ﷺ يد الله يبسطان(١) لمسىء الليل ليتوب بالنهار ولمسىء النهار ليتوب بالليل حتى تطلع الشمس من مغربها

(١) يد الله يبسطان كذا فى نسخه وفى أخرى بسيطتان والذى فى الجامع الصغير عن أبى موسى الأشعرى أن الله يبسط يده بالليل لتوب مسىء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسىء الليل فليحرر اهمصححه

الطبرى بسنده عن عبد الله بن مسعود فى تفسير هذه الاية قال تصبحون والشمس والقمر من ههنا من قبل المغرب كالبعيرين القرينين زاد فى رواية عنه فذلك حين لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل او كسبت فى ايمانها خيرا وبسنده عن أبى ذر قال قال رسول الله ﷺ يوما تدرون اين تذهب هذه الشمس قالوا الله ورسوله اعلم قال انها تذهب إلى مستقرها تحت العرش فتخر ساجدة فلا تزال كذلك حتى يقال لها ارتفعى من حيث جئت فتصبح طالعة من مطلعها ثم تجرى حتى تنتهى إلى مستقرها تحت العرش فتخر ساجدة فلا تزال كذلك حتى يقال لها ارتفعى فارجعى من حيث جئت فتصبح طالعة من مطلعها لا تنكر الناس منها شيئا حتى تنتهى فتخر ساجدة فى مستقرها تحت العرش فيقال لها اطلعى من مغربك فتصبح طالعة من مغربها قال رسول الله ﷺ اتدرون اى يوم ذلك قالوا الله ورسوله أعلم قال ذلك يوم لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن امنت من قبل أو كسبت فى إيمانها خيرا وبسنده عن أبى ذر قال كنت ردف النبى ﷺ ذات يوم على حمار فنظر إلى الشمس حين غربت فقال انها تغرب فى عين حمئة تنطلق حتى تخر لربها ساجدة تحت العرش حتى يأذن لها فاذا أراد أن يطلعها من مغربها حبسها فتقول يا رب إن مسيرى بعيد فيقول لها اطلعى من حيث غربت فذلك حين لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن امنت من قبل وروى بسنده عن ابن عباس قال خرج رسول الله ﷺ عشية من العشيات فقال لهم عباد الله توبوا إلى الله قبل أن يأتيكم بعذاب فانكم توشكون أن تزول الشمس من قبل المغرب فاذا فعلت حسنت التوبة وطوى العمل فقال الناس هل لذلك من اية يا رسول الله فقال رسول الله ﷺ ان اية تلك الليلة ان تطوى كقدر ثلاث ليال فيستيقظ الذين يخشون ربهم فيصلون له ثم يقضون صلاتهم والليل مكانه لم ينتقص ثم يأتون مضاجعهم فينامون حتى إذا استيقظوا والليل مكانه فاذا رأوا ذلك خافوا أن يكون ذلك بين يدى أمر عظيم فاذا أصبحوا فطال عليهم رأت أعينهم طلوع الشمس فبينما هم ينظرونها إذ طلعت عليهم من قبل المغرب فاذا فعلت ذلك لم ينفع نفسا ايمانها لم تكن امنت من قبل قال ابن عباس لا ينفع مشركا ايمانه عند الايات وينفع أهل الايمان عند الايات ان كانوا اكتسبوا خيرا قبل ذلك وقال ابن الجوزى قيل ان الحكمة فى طلوع الشمس من مغربها ان الملاحدة المنجمين زعموا ان ذلك لا يكون فيريهم الله قدرته فيطلعها من المغرب كما أطلعها من المشرق فيتحقق عجزهم وقيل بل ذلك بعض الايات الثلاث الدابة ويأجوج ومأجوج وطلوع الشمس من مغربها يروى عن ابن مسعود انه قال التوبة معروضة على ابن آدم ان قبلها مالم تخرج إحدى ثلاث الدابة وطلوع الشمس من مغربها او ياجوج وماجوج ويروى عن عائشة قالت إذا خرج أول الايات طرحت التوبة وحسبت الحفظة وشهدت الأجساد على الأعمال ويروى عن أبى هريرة فى قوله تعالى أو يأتى بعض ايات ربك قال هى مجموع الايات الثلاث طلوع الشمس من مغربها والدجال ودابة الأرض ورواه مرفوعا عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ثلاث إذا خرجن لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن امنت من قبل أو كسبت فى ايمانها خيرا طلوع الشمس من مغربها والدجال ودابة الأرض وأصح الأقوال فى ذلك ما تظاهرت عليه الأحاديث الصحيحة وثبت عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه طلوع الشمس من مغربها وقوله تعالى (يوم يأتى بعض ايات ربك لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن امنت من قبل) يعنى لا ينفع من كان مشركا ايمانه ولا تقبل توبة فاسق عند ظهور هذه الاية العظيمة التى تضطرهم إلى الإيمان والتوبة (أو كسبت فى إيمانها خيرا) يعنى أو عملت قبل ظهور هذه الاية بيرا من عمل صالح وتصديق قال الضحاك من أدركه بعض الايات وهو على عمل صالح مع ايمانه قبل الله منه العمل الصالح بعد نزول الاية كما قبل منه قبل ذلك فاما من امن من مشرك أو تاب من معصية عند ظهور هذه الاية فلا يقبل منه لأنها حالة اضطرار كما لو ارسل الله عذابا على أمة فآمنوا وصدقوا فانهم لا ينفعهم ايمانهم ذلك لما يتهم الأهوال والشدائد التى تضطرهم إلى الإيمان والتوبة وقوله (قل انتظروا) يعنى ما وعدتم به من مجىء الاية ففيه وعيد وتهديد (انا منتظرون)

أخبرنا عبد الواحد المليحي ثنا أبو منصور محمد بن محمد بن سمعان أخبرنا أبو جعفر محمد بن احمد بن عبد الجبار الرياني انا حميد بن زنجويه انا النضر بن شميل انا هشام عن ابن سيرين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ من تاب قبل ان تطلع الشمس من مغربها تاب الله عليه أخبرنا عبد الواحد المليحي انا ابو منصور السمعاني انا ابو جعفر الرياني انا حميد بن زنجويه أنا احمد بن عبد الله انا حماد بن زيد أنا عاصم ابن ابي النجود عن زر بن حبيش قال اتيت صفوان بن عسال المراد فذكر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل جعل بالمغرب بابا مسيرة عرضه سبعون عاما للتوبة لا يغلق مالم تطلع الشمس من قبله وذلك قول الله تعالى يوم يأتي بعض ايات ربك لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل وروى ابو حازم عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول (١٦٩) الله صلى الله عليه وسلم ثلاث

يعني ما وعدكم ربكم من العذاب يوم القيامة أو قبله في الدنيا قال بعض المفسرين وهذا إنما ينتظره من تأخر في الوجود من المشركين والمكذبين لمحمد صلى الله عليه وسلم إلى ذلك الوقت والمراد بهذا ان المشركين انما يؤمنون قدر مدة الدنيا فاذا ماتوا وظهرت الآيات لم ينفعهم الايمان وحلت بهم العقوبة اللازمة ابدا وقيل ان قوله قل انتظروا انا منتظرون المراد به الكف عن قتال الكفار فتكون الآية منسوخة بآية القتال وعلى القول الأول تكون الآية محكمة * قوله عز وجل (إن الذين فرقوا) وقرىء فارقوا (دينهم وكانوا شيعا) يعني احزابا متفرقة في الضلالة ومعنى فرقوا دينهم انهم لم يجتمعوا عليه وكانوا مختلفين فيه فمن قرأ وفرقوا دينهم وجعلوا دينهم وهو دين إبراهيم الحنيفية السهلة اديانا مختلفة كاليهودية والنصرانية وعبادة الاصنام وغير ذلك من الاديان المختلفة ومن قرأ فارقوا دينهم قال معناه باينوه وتركوه من المفارقة للشيء وقيل إن معنى القراءتين يرجع إلى شيء واحد في الحقيقة وهو ان من فرق دينه فارق بعضه وانكر بعضه فقد فارق دينه في الحقيقة ثم اختلفوا في المعنى بهذه الآية فقال الحسن هم جميع المشركين لان بعضهم عبدوا الاصنام وقالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله وبعضهم عبدوا الملائكة وقالوا انهم بنات الله وبعضهم عبدوا الكواكب فكان هذا تفريق دينهم وقال مجاهد هم اليهود وقال ابن عباس وقتادة والسدي والضحاك هم اليهود والنصارى لانهم تفرقوا فكانوا فرقا مختلفة وقال ابو هريرة في هذه الآية هم أهل الضلالة من هذه الأمة وروى ذلك مرفوعا قال قال رسول الله ﷺ إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء وليسوا منك هم أهل البدع وأهل الشهوات واهل الضلالة من هذه الامة أسنده الطبري فعلى هذا يكون المراد من هذه الآية الحث على أن تكون كلمة المسلمين واحدة وان لا يتفرقوا في الدين ولا يبتدعوا البدع المضلة وروى عن عمر بن الخطاب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعائشة إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا هم أصحاب البدع والاهواء من هذه الأمة ذكر البغوي بغير سند عن العرباض بن سارية قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم ثم أقبل بوجهه علينا فوعظنا موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب فقال رجل يا رسول الله كأن هذه موعظة مودع فماذا تعهد الينا فقال أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن تأمر عليكم عبد حبشي فانه من يعش منكم بعدي فسيرى إختلافا كثيرا فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فان كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة أخرجه أبو داود والترمذي عن معاوية قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إلا أن من قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على اثنتين وسبعين فرقة وإن هذه الامة ستفرق على ثلاث وسبعين ثنتان وسبعون في النار وواحدة في الجنة وهي الجماعة زاد في رواية وأنه سيخرج في أمتي أقوام تتجارى بهم الاهواء كما يتجارى

إذا خرجن لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن امنت من قبل او كسبت في ايمانها خيرا الدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها قوله عز وجل (ان الذين فرقوا دينهم) قرأ حمزة والكسائي فارقوا بالألف هنا وفي سورة الروم اي خرجوا من دينهم وتركوه وقرأ الاخرون فرقوا مشددا اي جعلوا دين الله وهو واحد دين إبراهيم عليه السلام الحنيفية أديانا مختلفة فتهود قوم وتنصر قوم يدل عليه قوله عز وجل (وكانوا شيعا) اي صاروا فرقا مختلفة وهم اليهود والنصارى في قول مجاهد وقتادة والسدي وقيل هم اصحاب البدع والشهوات من هذه الأمة وروي عن عمر بن الخطاب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعائشة يا عائشة ان الذين فارقوا دينهم وكانوا شيعا هم اصحاب البدع والشهوات من هذه الامة حدثنا أبو الفضل زياد بن محمد زياد

الحنفي انا أبو محمد عبد الرحمن بن أحمد بن محمد الأنصاري أنا ابو عبيد الله محمد بن عقيل الأزهري البلخي انا الزيادي انا احمد ابن منصور انا الضحاك بن مخلد أنا نور بن يزيد انا خالد بن معدان عن عبد الرحمن بن عمر السلمي عن العرباض بن سارية قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الصبح فوعظنا موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب وقال قائل يا رسول الله كانها موعظة مودع فاوصنا فقال أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن كان عبدا حبشيا فان من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فان كل بدعة ضلالة وروى عن عبد الله بن عمر قال قال رسول الله ﷺ ان بني إسرائيل تفرقت على اثنين وسبعين ملة وتفرق أمتي على ثلاث وسبعين ملة كلهم في النار الا واحدة قالوا من هي يا رسول الله قال ما انا عليه واصحابي قال عبد الله بن مسعود فان أحسن الحديث كتاب الله وأحسن الهدى هدى محمد ﷺ وشر الامور محدثاتها

ورواه جابر مرفوعا إلى رسول الله ﷺ قوله عز وجل (لست منهم فى شىء) قيل لست من قتالهم فى شىء نسختها ايه القتال وهذا على قول من تقول المراد منه اليهود والنصارى ومن قال أراد بالاية أهل الاهواء قال المراد من قوله لست منهم فى شىء أى منهم برىء وهم منك براء يقول العرب ان فعلت كذا (١٧٠) فلست منى ولست منك أى كل واحد منا برىء من صاحبه (إنما أمرهم إلى الله) يعنى فى الجزاء والمكافآت (ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون) إذا وردوا للقيامة قوله تعالى من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها أى له عشر حسنات أمثالها وقرا يعقوب عشر منون امثالها بالرفع (ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها وهم لا يظلمون) أنا حسان بن سعيد المنيعى ثنا ابو طاهر محمد بن محمد بن محمش الزيادى ثنا أبو بكر محمد بن الحسن القطان ثنا محمد بن يوسف السلمى ثنا عبد الرزاق انا معمر عن همام بن منبه ثنا أبو هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ إذا أحسن احدكم إسلامه فكل حسنة يعملها تكتب له بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف وكل سيئة يعملها تكتب له بمثلها حتى يلقى الله عز وجل أنا إسمعيل بن عبد القاهر الجرجانى ثنا غبد الغافر بن محمد الفارسى ثنا محمد بن عيسى الجلودى ثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج ثنا أبو بكر بن ابى شيبة ثنا وكيع ثنا الأعمش عن المعرور ابن سويد عن أبى ذر رضى الله عنه قال قال رسول صلى الله عليه وسلم يقول

الكلب بصاحبه لا يبقى منه عرق ولا مفصل إلا دخله أخرجه أبو داود عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال رسول الله ﷺ ان بنى إسرائيل تفرقت على ثنتين وسبعين ملة وستفترق امتى على ثلاث وسبعين ملة كلها فى النار إلا ملة واحدة قالوا من هى يا رسول قال من كان على ما انا عليه واصحابى أخرجه الترمذى قال الخطابى فى هذا الحديث دلالة على أن هذه الفرق غير خارجة من الملة والدين إذ جعلهم من أمته وقوله تتجارى بهم الاهواء كما يتجارى الكلب بصاحبه التجارى تفاعل من الجرى وهو الوقوع فى الأهواء الفاسدة والبدع المضلة تشبيها بجرى الفرس والكلب قال ابن مسعود أحسن الحديث كتاب الله وأحسن الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم وشر الأمور محدثاتها ورواه جابر عن النبى ﷺ مرفوعا * وقوله تعالى (لست منهم فى شىء) يعنى فى قتال الكفار فعلى هذا تكون الآية منسوخة بآية القتال وهذا على قول من يقول أن المراد من الاية اليهود والنصارى والكفار ومن قال المراد من الاية أهل الاهواء والبدع من هذه الأمة قال معناه لست منهم فى شىء أى أنت منهم برىء وهم منك براء تقول العرب ان فعلت كذا فلست منك ولست منى أى كل واحد منا برىء من صاحبه (إنما أمرهم إلى الله) يعنى فى الجزاء والمكافاة (ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون) يعنى إذا وردوا القيامة * قوله تعالى (من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها) يعنى عشرة حسنات أمثالها (ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها) يعنى مثلها فى مقابلتها واختلفوا فى هذه الحسنة والسيئة على قولين أحدهما أن الحسنة قول لا إله إلا الله والسيئة هى الشرك بالله أورد على هذا القول إن كلمة التوحيد لا مثل لها حتى يجعل جزاء قائلها عشر امثالها وأجيب عنه بأن جزاء الحسنة قدر معلوم عند الله فهل يجازى على قدر إيمان المؤمن بما شاء من الجزاء وإنما قال عشر أمثالها للترغيب فى الأيمان لا للتحديد وكذلك جزاء السيئة بمثلها من جنسها والقول الثانى أن اللفظ عام فى كل حسنة يعملها العبد أو سيئة وهذا أولى لأن حمل اللفظ على العموم أولى قال بعضهم التقدير بالعشرة ليس للتحديد لان الله يضاعف لمن يشاء فى حسناته إلى سبعمائة ويعطى من يشاء بغير حساب واعطاء الثواب لعامل الحسنة فضل من الله تعالى هذا مذهب أهل السنة وجزاء السيئة بمثلها عدل منه سبحانه وتعالى وهو قوله تعالى (وهم لا يظلمون) يعنى لا ينقص من ثواب الطائع ولا يزاد على عذاب العاصى (ق) عن ابى هريرة قال قال رسول الله ﷺ إذا أحسن احدكم إسلامه فكل حسنة يعملها تكتب له بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف وكل سيئة يعملها تكتب له بمثلها حتى يلقى الله تعالى (م) عن أبى ذر رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ يقول الله تبارك وتعالى من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها وأزيد من جاء بالسيئة فجزاء سيئة مثلها أو أغفر ومن تقرب منى شبرا تقربت منه ذراعا ومن تقرب منى ذراعا تقربت منه باعا ومن أتانى يمشى أتيته هرولة ومن لقينى بقراب الارض خطيئة بعد أن لا يشرك بى شيئا لقيته بمثلها مغفرة (ق) عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال يقول الله تبارك وتعالى وإذا أراد عبدى أن يعمل سيئة فلا تكتبوها عليه حتى يعملها فان عملها فاكتبوها بمثلها وإن ترك من اجلى فاكتبوها له حسنة وإذا أراد أن يعمل سنة فلم يعملها فاكتبوها له حسنة فان عملها فاكتبوها له بعشر أمثالها إلى سبعمائة لفظ البخارى وفى لفظ مسلم عن محمد رسول الله ﷺ قال قال الله تبارك وتعالى إذا تحدث عبدى بأن يعمل حسنة فانا أكتبها له حسنة مالم يعملها فاذا عملها فأنا أكتبها له بعشر أمثالها وإذا تحدث عبد بأن يعمل سيئة فأنا أغفر له مالم يعملها

الله من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها وأزيد ومن جاء بالسيئة فجزاء سيئة بمثلها او أغفر ومن تقرب منى فاذا شبرا تقربت منه ذراعا ومن تقرمنى ذراعا تقربت منه باعا ومن اتانى يمشى اتيته هرولة ومن لقينى بقراب الارض خطيئة لا يشرك بى شيئا لقيته بمثلها مغفرة قال ابن عمرو الآية فى غير الصدقات من الحسنات فاما الصدقات تضاعف سبعمائة ضعف قوله تعالى

(قل إننى هدانى ربى إلى صراط مستقيم دينا قيما) قرأ أهل الكوفة والشام قيما بكسر القاف وفتح الياء خفيفة وقرأ الآخرون بفتح القاف وكسر الياء مشددا ومعناهما واحد وهو القويم المستقيم وانتصابه على معنى هدانى دينا قيما (ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين قل إن صلاتى ونسكى) قيل أراد بالنسك الذبيحة فى الحج والعمرة وقال مقاتل نسكى حجى وقيل دينى (ومحياى ومماتى) أى حياتى ووفاتى (لله رب العالمين) أى هو يحيينى ويميتنى وقيل محياى بالعمل الصالح ومماتى إذا مت على الإيمان لله رب العالمين وقيل طاعتى فى حياتى لله وجزائى بعد مماتى من الله رب العالمين قرأ أهل المدينة محياى بسكون الياء ومماتى بفتحها وقراءة العامة محياى بفتح الياء لئلا يجتمع ساكنان قوله تعالى (لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين) قال قتادة وأنا أول المسلمين من هذه الأمة (قل أغير الله أبغى ربا) قال ابن عباس رضى الله عنهما سيدا وإلها (وهو رب كل شىء) وذلك أن الكفار كانوا يقولون للنبى ﷺ ارجع إلى ديننا قال ابن عباس كان الوليد بن المغيرة يقول اتبعوا سبيلى أحمل عنكم أوزاركم فقال الله تعالى (ولا تكسب كل نفس إلا عليها) لا تجنى كل نفس إلا ما كان من إثمه على الجانى (ولا تزر وازرة وزر أخرى) أى لا تحمل حمل أخرى أى لا يؤاخذ بذنب غيره (ثم إلى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون) وهو الذى جعلكم خلائف الأرض) يعنى أهل القرون الماضية وأورثكم الأرض يا أمة محمد صلى الله عليه وسلم من بعدهم فجعلكم خلائف منهم فيها يخلفونهم فيها وتعمرونها بعدهم والخلائف جمع خليفة كالوصائف جمع وصيفة وكل من جاء بعد من مضى فهو خليفة لأنه يخلفه

فاذا عملها فأنا أكتبها له بمثلها فقال رسول الله ﷺ قالت الملائكة رب ذاك عبدك يريد أن يعمل سيئة وهو ابصر به فقال ارقبوه فان عملها فاكتبوها له بمثلها وان تركها فاكتبوها له حسنة فانما تركها من اجلى زاد الترمذى من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها * قوله عز وجل (قل) يعنى قل يا محمد لهؤلاء المشركين من قومك (إننى هدانى ربى إلى صراط مستقيم) يعنى قل لهم إننى أرشدنى ربى إلى الطريق القويم وهو دين الاسلام الذى ارتضاه الله لعباده المؤمنين (دينا قيما) يعنى هدانى صراطا مستقيما دينا قيما وقيل يحتمل أن يكون محمولا على المعنى تقديره وعرفنى دينا قيما يعنى دينا مستقيما لا اعوجاج فيه ولا زيغ وقيل كنا قيما ثابتا مقوما لامور معاشى ومعادى وقيل هو من قام وهو أبلغ من القائم (ملة إبراهيم) والملة بالكسر الدين والشريعة يعنى هدانى وعرفنى دين إبراهيم وشريعته (حنيفا) الأصل فى الحنيف الميل وهو ميل عن الضلالة إلى الاستقامة والعرب تسمى كل من اختتن أو حج حنيفا تنبيها على انه على دين إبراهيم عليه السلام (وما كان من المشركين) يعنى إبراهيم ﷺ وفيه رد على كفار قريش لانهم يزعمون انهم على دين إبراهيم فاخبر الله تعالى ان إبراهيم لم يكن من المشركين وممن يعبد الأصنام (قل ان صلاتى) اى قل يا محمد ان صلاتى (ونسكى) قال مجاهد وسعيد بن جبير والضحاك والسدى اراد بالنسك فى هذا الموضع الذبيحة فى الحج والعمرة وقيل النسك العبادة والناسك العابد وقيل المناسك أعمال الحج وقيل النسك كل ما يتقرب به إلى الله تعالى من صلاة وذبح وعبادة ونقل الواحدى عن ابن الاعرابى قال النسك سبائك الفضة كل سبيكة منها نسيكة وقيل للمتعبد ناسك لأنه خلص نفسه من دنس الآثام وصفاها كالسبيكة المخلصة من الخبث وفى قوله أن صلاتى ونسكى دليل على ان جميع العبادات يؤديها العبد على الاخلاص لله ويؤكد هذا قوله لله رب العالمين لا شريك له وفيه دليل على أن جميع العبادات لا تؤدى إلا على وجه التمام والكمال لأن ما كان لله لا ينبغى أن يكون إلا كاملا تاما مع اخلاص العبادة له فما كان بهذه الصفة من العبادات كان مقبولا (ومحياى ومماتى) اى حياتى وموتى بخلق الله وقضائه وقدره أى هو يحيينى ويميتنى وقيل معناه إن محياى بالعمل الصالح ومماتى إذا مت على الإيمان لله وقيل معناه ان طاعتى فى حياتى لله وجزائى بعد مماتى من الله وحاصل هذا الكلام له أن الله أمر رسوله ﷺ أن يبين أن صلاته ونسكه وسائر عباداته وحياته وموته كلها واقعة بخلق الله وقضائه وقدره وهو المراد بقوله (لله رب العالمين لا شريك له) يعنى فى العبادة والخلق والقضاء والقدر وسائر أفعاله لا يشاركه فيها أحد من خلقه (وبذلك أمرت) يعنى قل يا محمد وبهذا التوحيد أمرت (وأنا أول المسلمين) قال قتادة يعنى من هذه الامة وقيل معناه وانا اول المستسلمين لقضائه وقدره * قوله عز وجل (قل أغير الله أبغى ربا) أى قل يا محمد لهؤلاء الكفار من قومك أغير الله أطلب سيدا أو الها (وهو رب كل شىء) يعنى وهو سيد كل شىء ومالكه لا يشاركه فيه أحد وذلك أن الكفار قالوا للنبى ﷺ ارجع إلى ديننا قال ابن عباس كان الوليد بن المغيرة يقول اتبعوا سبيلى أحمل عنكم أوزاركم فقال الله عز وجل ردا عليه (ولا تكسب كل نفس إلا عليها) يعنى أن اثم الجانى عليه لا على غيره (ولا تزر وازرة وزر أخرى) يعنى لا تؤاخذ نفس آثمة باثم أخرى ولا تحمل نفس حاملة حمل أخرى ولا يؤاخذ أحد بذنب آخر (ثم إلى ربكم مرجعكم) يعنى يوم القيامة (فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون) يعنى فى الدنيا من الأديان والملل * قوله تعالى (وهو الذى جعلكم خلائف الأرض) يعنى والله الذى جعلكم يا أمة محمد خلائف فى الأرض فان الله اهلك من كان قبلكم من الأمم الخالية واستخلفكم فجعلكم خلائف منهم فى الأرض تخلفونهم فيها وتعمرونها بعدهم وذلك أن محمدا صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء وهو آخرهم وأمته

آخر الأمم (ورفع بعضكم فوق بعض درجات) يعنى أنه تعالى خالف بين أحوال عباده فجعل بعضهم فوق بعض فى الخلق والرزق والشرف والعقل والقوة والفضل فجعل منهم الحسن والقبيح والغنى والفقير والشريف والوضيع والعالم والجاهل والقوى والضعيف وهذا التفاوت بين الخلق فى الدرجات ليس لأجل العجز أو الجهل أو البخل فان الله سبحانه وتعالى منزه عن صفات النقص وإنما هو لاجل الابتلاء والامتحان وهو قوله تعالى (ليبلوكم فيما آتاكم) يعنى يعاملكم معاملة المبتلى والمختبر وهو أعلم بأحوال عباده والمعنى يبتلى الغنى بغناه والفقير بفقره والشريف بشرفه والوضيع بدناءته والعبد والحر وغيرهم من جميع أصناف خلقه ليظهر منكم ما يكون عليه الثواب والعقاب لأن العبد إما أن يكون مقصراً فيما كلف به وإما أن يكون موفيا ما أمره به فان كان مقصراً كان نصيبه التخويف والترغيب وهو قوله تعالى (إن ربك سريع العقاب) يعنى لاعدائه باهلاكهم فى الدنيا وإنما وصف العقاب بالسرعة لأن كل ما هو آت فهو قريب إن كان العبد موفيا حقوق الله تعالى فيما أمره به أو نهاه عنه كان نصيبه الترغيب والتشريف والتكريم وهو قوله تعالى (وانه لغفور) يعنى لذنوب أوليائه وأهل طاعته (رحيم) يعنى بجميع خلقه والله أعلم بمراده وأسرار كتابه

﴿تفسير سورة الأعراف﴾

نزلت بمكة وروى ذلك عن ابن عباس وبه قال الحسن ومجاهد وعكرمة وعطاء وجابر بن زيد وقتادة وروى عن ابن عباس أيضا أنها مكية إلا خمس آيات أولها واسألهم عن القرية التى كانت وبه قال قتادة وقال مقاتل ثمان آيات فى سورة الأعراف مدنية أولها واسألهم عن القرية إلى قوله وإذ أخذ ربك من بنى آدم وهى مائتان وست آيات وثلاثة آلاف وثلثمائة وخمس وعشرون كلمة وأربعة عشر الف حرف وعشرة أحرف

(بسم الله الرحمن الرحيم)

* قوله عز وجل (المص) قال ابن عباس معناه أنا الله أفصل وعنه أنا الله أعلم وعنه أفصل وعنه أن المص قسم أقسم الله به وهو اسم من أسماء الله تعالى وقال قتادة المص اسم من أسماء القرآن وقال الحسن هو اسم للسورة وقال السدى هو بعض اسمه تعالى المصور وقال ابو العالية الألف مفتاح اسمه الله واللام مفتاح اسمه لطيف والميم مفتاح اسمه مجيد والصاد مفتاح اسمه صادق وصور وقيل هى حروف مقطعة استأثر الله تعالى بعلمها وهى سره فى كتابه العزيز وقيل هى حروف اسمه الأعظم وقيل هى حروف تحتوى معانى دل الله بها خلقه على مراده وقد تقدم بسط الكلام على معانى الحروف المقطعة أوائل السور فى أول سورة البقرة * وقوله تعالى (كتاب انزل إليك) يعنى هذا كتاب أنزله الله إليك يا محمد وهو القرآن (فلا يكن فى صدرك حرج منه) يعنى فلا يضيق صدرك بالابلاغ وتأدية ما أرسلت به إلى الناس (لتنذر به) يعنى انزلت اليك الكتاب يا محمد لتنذر به من أمرتك بانذاره (وذكرى للمؤمنين) يعنى ولتذكر وتعظ به المؤمنين وهذا من المؤخر الذى معناه التقديم تقديره كتاب انزلناه اليك لتنذر به وذكرى للمؤمنين فلا يكن فى صدرك حرج منه قال ابن عباس فلا تكن فى شك منه لأن الشك لا يكون إلا من ضيق الصدر وقلة الاتساع لتوجيه ما حصل له * قوله تعالى (اتبعوا ما انزل إليكم من ربكم) أى قل يا محمد لقومك اتبعوا أيها الناس ما انزل اليكم من ربكم يعنى من القرآن الذى فيه الهدى والنور والبيان قال الحسن يا ابن آدم امرت باتباع كتاب الله وسنة محمد ﷺ والله ما نزلت آية إلا ويحب أن تعلم فيم انزلت وما معناها وبنحو هذا قال الزجاج أى اتبعوا القرآن وما أتى به النبى ﷺ فانه مما انزل لقوله تعالى وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا أو معنى الآية أن الله تعالى لما أمر رسوله ﷺ بالانذار فى قوله لتنذر به كان معنى الكلام انذر القوم وقل لهم اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم واتركوا ما انتم عليه من الكفر والشرك وقيل معناه لتنذر به وتذكر به المؤمنين فتقول لهم اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم وقيل هو خطاب للكفار اى واتبعوا أيها المشركون ما انزل اليكم من ربكم واتركوا ما انتم عليه من الكفر والشرك ويدل عليه قوله

(ورفع بعضكم فوق بعض درجات) اى خالف بين احوالكم فجعل بعضكم فوق بعض فى الخلق والرزق والمعاش والقوة والفضل (ليبلوكم فيما آتاكم) ليختبركم فيما رزقكم يعنى يبتلى الغنى والفقير والشريف والوضيع والحر والعبد ليظهر منكم ما يكون عليه من الثواب والعقاب (ان ربك سريع العقاب) لان ما هو آت فهو سريع قريب قيل هو الهلاك فى الدنيا (وانه لغفور رحيم) قال عطاء سريع العقاب لاعدائه غفور لاوليائه رحيم بهم

(تفسير سورة الاعراف) مكية كلها إلا خمس آيات اولها واسألهم عن القرية التى كانت

(بسم الله الرحمن الرحيم) (المص كتاب) اى هذا كتاب (انزل اليك) وهو القرآن (فلا يكن فى صدرك حرج منه) قال مجاهد شك فالخطاب للرسول ﷺ والمراد به الامة وقال ابو العالية حرج اى ضيق معناه لا يضيق صدرك بالابلاغ وتادية ما ارسلت به (لتنذر به) اى كتاب انزل اليك لتنذر به (وذكرى للمؤمنين) أى عظة لهم وهو رفع مردود على الكتاب اتبعوا) اى وقل لهم اتبعوا (ما انزل اليكم من ربكم

تعالى

ولا تتبعوا من دونه أولياء) أى لا تتخذوا غيره أولياء تطيعونهم فى معصية الله تعالى (قليلا ما تذكرون تتعظون وقرأ ابن عامر يتذكرون بالياء والتاء (وكم من قرية أهلكناها) بالعذاب وكم للتكثير ورب للتقليل (فجاءها باسنا) عذابنا (بياتا) ليلا (أوهم قائلون من القيلولة تقديره فجاءها باسنا ليلا وهم نائمون أو نهارا وهم قائلون أو نائمون ظهيرة والقيلولة (١٧٣) استراحة نصف النهار وإن لم يكن معها نوم

تعالى (ولا تتبعوا من دونه أولياء) يعنى ولا تتخذوا الذين يدعوكم إلى الكفر والشرك أولياء فتتبعوهم والمعنى ولا تتولوا من دونه شياطين الإنس والجن فيأمروكم بعبادة الأصنام واتباع البدع والاهواء الفاسدة (قليلا ما تذكرون) يعنى ما تتعظون إلا قليلا * قوله تعالى (وكم من قرية أهلكناها) لما أمر الله رسوله ﷺ بالانذار والإبلاغ وأمر أمته باتباع ما أنزله اليهم حذرهم نقمته وبأسه إن لم يتبعوا ما أمروا به فذكر فى هذه الآية ما فى ترك المتابعة والاعراض عن أمره من الوعيد فقال تعالى وكم من قرية أهلكناها قيل فيه حذف تقديره وكم من أهل قرية لأن المقصود بالاهلاك أهل القرية لا القرية وقيل ليس فيه حذف لأن اهلاك القرية اهلاك لاهلها (فجاءها بأسنا) يعنى عذابنا * فان قلت مجىء البأس وهو العذاب إنما يكون قبل الاهلاك فكيف قال اهلكناها فجاءها باسنا * قلت معناه وكم من قرية حكمنا باهلاكها فجاءها باسنا وقال الفراء الهلاك والبأس قد يقعان معا كما قال اعطيتنى فأحسنت إلى فلم يكن الاحسان قبل الاعطاء ولا بعده وإنما وقعا معا وقال غيره لا فرق بين قولك اعطيتنى فاحسنت إلى او احسنت إلى فأعطيتنى فيكون احدهما بدلا من الآخر (بياتا) يعنى فجاءها عذابنا ليلا قبل ان يصبحوا (او هم قائلون) من القيلولة وهى نوم نصف النهار او استراحة نصف النهار وإن لم يكن معها نوم والمعنى فجاءها بأسنا غفلة وهم غير متوقعين ليلا وهم نائمون او نهارا وهم قائلون وقت الظهيرة وكل ذلك وقت الغفلة ومقصود الآية انه جاءهم العذاب على حين غفلة منهم من غير امارة تدلهم على وقت نزول العذاب وفيه وعيد وتخويف للكفار كانه قيل لهم لا تغتروا بأسباب الامن والراحة فان عذاب الله إذا نزل نزل دفعة واحدة (فما كان دعواهم) يعنى فما كان دعاء اهل القرية التى جاءها بأسنا والدعوى تكون بمعنى الادعاء وبمعنى الدعاء قال سيبويه تقول العرب اللهم اشركنا فى صالح دعوى المؤمنين ومنه قوله تعالى دعواهم فيها سبحانك اللهم (إذ جاءهم بأسنا) يعنى عذابنا (إلا ان قالوا إنا كنا ظالمين) يعنى انهم لم يقدروا على رد العذاب عنهم وكان حاصل امرهم الاعتراف بالجناية وذلك حين لا ينفع الاعتراف (فلنسألن الذين ارسل اليهم) يعنى نسأل الامم الذين ارسلنا اليهم الرسل ماذا عملتم فيما جاءتكم به الرسل (ولنسألن المرسلين) يعنى ونسألن الرسل الذين ارسلناهم إلى الامم هل بلغتم رسالاتنا وادّيتم إلى الامم ما امرتم بتأديته اليهم ام قصرتم فى ذلك قال ابن عباس رضى الله عنهما فى معنى هذه الآية يسأل الله تعالى الناس عما اجابوا به المرسلين ويسأل المرسلين عما بلغوا وعنه انه قال يوضع الكتاب يوم القيامة فيتكلم بما كانوا يعملون وقال السدى يسأل الامم ماذا عملوا فيما جاءت به الرسل ويسأل الرسل هل بلغوا ما ارسلوا به * فان قلت قد اخبر عنهم فى الآية الاولى بأنهم اعترفوا على انفسهم بالظلم فى قوله انا كنا ظالمين فما فائدة هذا السؤال مع اعترافهم على انفسهم بذلك * قلت لما اعترفوا بأنهم كانوا ظالمين مقصرين سئلوا بعد ذلك عن سبب هذا الظلم والتقصير والمقصود من هذا التقريع والتوبيخ للكفار * فان قلت فما الفائدة فى سؤال الرسل مع العلم بأنهم قد بلغوا رسالات ربهم إلى من ارسلوا اليهم من الامم * قلت إذا كان يوم القيامة انكر الكفار تبليغ الرسالة من الرسل فقالوا ما جاءنا من بشير ولا نذير فكان مسئلة الرسل على وجه الاستشهاد بهم على من ارسلوا اليهم من الامم انهم قد بلغوا رسالات ربهم إلى من ارسلوا اليه من الامم فتكون هذه المسألة كالتقريع والتوبيخ للكفار ايضا لانهم انكروا تبليغ الرسل فيزداد بذلك خزيهم وهوانهم وعذابهم * وقوله تعالى (فلنقصن عليهم بعلم) يعنى فلنخبرن

ومعنى الآية أنهم جاءهم بأسنا وهم غير متوقعين اما ليلا أو نهارا قال الزجاج وأو لتصريف العذاب أى مرة ليلا ومرة نهارا وقيل معناه من أهل القرى من أهلكناهم ليلا ومنهم من أهلكناهم نهارا أى حكمنا بهلاكها فان قيل ما معنى أهلكناها فجاءها بأسنا فكيف يكون مجىء البأس بعد الهلاك قيل معنى اهلكنا حكمنا بهلاكها فجاءها باسنا وقيل فجاءها بأسنا هو بيان قوله اهلكناها مثل قول القائل اعطيتنى فاحسنت إلى لا فرق بينه وبين قوله احسنت إلى فاعطيتنى فيكون أحدهما بدلا من الآخر (فما كان دعواهم) أى قولهم ودعاؤهم ونضرعهم والدعوى تكون بمعنى الادعاء وبمعنى الدعاء قال سيبويه تقول العرب اللهم اشركنا فى صالح دعوى المسلمين أى فى دعائهم (إذ جاءهم بأسنا) عذابنا (إلا ان قالوا إنا كنا ظالمين) معناه لم يقدروا على رد العذاب وكان حاصل امرهم الاعتراف بالجناية حتى لا ينفع الاعتراف (فلنسألن الذين أرسل اليهم) يعنى الأمم عن

اجابتهم الرسل وهذا سؤال توبيخ لا سؤال استعلام يعنى نسالهم عما عملوا فيما بلغتهم الرسل (ولنسألن المرسلين) عن الابلاغ (فلنقصن عليهم بعلم) اى نخبرنهم عن علم قال ابن عباس رضى الله عنهما ينطق عليهم كتاب اعمالهم كقوله تعالى هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق

الرسل ومن أرسلوا اليهم بعلم ويقين بما عملوا فى الدنيا (وما كنا غائبين) يعنى عنهم وعن أفعالهم وعن الرسل فيما بلغوا وعن الامم فيما أجابوا * فان قلت كيف الجمع بين قوله تعالى فلنسئلن الذين ارسل اليهم ولنسئلن المرسلين وبين قوله فلنقصن عليهم بعلم وما كنا غائبين وإذا كان عالما فما فائدة هذا السؤال * قلت فائدة سؤال الأمم والرسل مع علمه سبحانه وتعالى بجميع المعلومات التقريع والتوبيخ للكفار لأنهم إذا اقروا على أنفسهم كان أبلغ فى المقصود فأما سؤال الاسترشاد والاستثبات فهو منفى عن الله عز وجل لأنه عالم بجميع الأشياء قبل كونها وفى حال كونها بعد كونها فهو عالم بالكليات والجزئيات وعلمه بظاهر الأشياء كعلمه بباطنها * قوله تعالى (والوزن يومئذ الحق) يعنى والوزن يوم سؤال الأمم والرسل وهو يوم القيامة العدل وقال مجاهد المراد بالوزن هنا القضاء ومعنى الحق العدل ذهب جمهور المفسرين إلى ان المراد بالوزن وزن الأعمال بالميزان وذلك أن الله عز وجل ينصب ميزانا له لسان وكفتان كل كفة ما بين المشرق والمغرب قال ابن الجوزى جاء فى الحديث ان داود عليه الصلاة والسلام سال ربه ان يريه الميزان فاراه إياه فقال إلهى من يقدر ان يملأ كفتيه حسنات فقال يا داود إذ رضيت عن عبدى ملأتها بتمرة وقال حذيفة جبريل صاحب الميزان يوم القيامة فيقول له ربه عز وجل زن بينهم وردمن بعضهم على بعض وليس ثم ذهب ولا فضة فيرد على المظلوم من الظالم ما وجد له من حسنة فان لم يكن له حسنة أخذ من سيئات المظلوم فيرد على سيئات الظالم فيرجع الرجل وعليه مثل الجبل * فان قلت اليس الله عز وجل يعلم مقادير أعمال العباد فما الحكمة فى وزنها * قلت فيه حكم منها إظهار العدل والله عز وجل لا يظلم عباده ومنها امتحان الخلق بالإيمان بذلك فى الدنيا وإقامة الحجة عليهم فى العقبى ومنها تعريف العباد ما لهم من خير وشر وحسنة وسيئة ومنها إظهار علامة السعادة والشقاوة ونظيره أنه تعالى أثبت أعمال العباد فى اللوح المحفوظ ثم فى صحائف الحفظة الموكلين ببنى آدم من غير جواز النسيان عليه سبحانه وتعالى ثم اختلف العلماء فى كيفية الوزن فقال بعضهم توزن صحائف الأعمال المكتوبة فيها الحسنات والسيئات ويدل على ذلك حديث البطاقة وهو ما روى عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان رسول الله ﷺ قال ان الله عز وجل سيخلص رجلا من أمتى على رؤس الخلائق يوم القيامة فينشر له تسعة وتسعين سجلا كل سجل مثل مد البصر ثم يقول له اتنكر من هذا شيئا اظلمتك كتبتى الحافظون فيقول لا يا رب فيقول افلك عذر فيقول لا يا رب فيقول الله تبارك وتعالى بلى ان لك عندنا حسنة فانه لا ظلم عليك اليوم فيخرج الله له بطاقة فيها اشهد ان لا إله إلا الله واشهد ان محمدا رسول الله فيقول احضر وزنك فيقول يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات فيقال فانه لا ظلم عليك اليوم فتوضع السجلات فى كفة والبطاقة فى كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة ولا يثقل مع اسم الله شىء أخرجه الترمذى وأحمد بن حنبل وقال ابن عباس يؤتى بالاعمال الحسنة على صورة حسنة وبالاعمال السيئة على صورة قبيحة فتوضع فى الميزان فعلى قول ابن عباس ان الاعمال تتصور صورا وتوضع تلك الصور فى الميزان ويخلق الله فى تلك الصور ثقلا وخفة ونقل البغوى عن بعضهم أنها توزن الاشخاص واستدل ذلك بما روى عن ابى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال أنه ليأتى الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله تعالى جناح بعوضة أخرجاه فى الصحيحين وهذا الحديث ليس فيه دليل على ما ذكر من وزن الاشخاص فى الميزان لان المراد بقوله لا يزن عند الله جناح بعوضة مقداره وحرمته لا وزن جسده ولحمه والصحيح قول من قال إن صحائف الاعمال توزن أو نفس الاعمال تتجسد وتوزن والله أعلم بحقيقة ذلك * وقوله تعالى (فمن ثقلت موازينه) جمع ميزان وأورد على أنه ميزان واحد فما وجه الجمع وأجيب عنه بأن العرب قد توقع لفظ الجمع على الواحد وقيل أنه ينصب لكل عبد ميزان وقيل إنما جمعه لان الميزان يشتمل على الكفتين والشاهدين واللسان ولا يتم الوزن إلا باجتماع ذلك كله وقيل هو جمع موزون يعنى من رجحت أعماله بالحسنة الموزونة التى لها وزن وقدر (فأولئك هم المفلحون) يعنى هم الناجحون غدا والفائزون بثواب الله

فيما بلغوا وعن الامم فيما أجابوا قوله تعالى (والوزن يومئذ الحق) يعنى يوم السؤال قال مجاهد معناه والقضاء يومئذ العدل ويقال الاكثرون أراد به وزن الاعمال بالميزان وذلك ان الله تعالى ينصب ميزانا له لسان وكفتان كل كفة بقدر ما بين المشرق والمغرب واختلفوا فى كيفية الوزن فقال بعضهم توزن صحائف الاعمال وروينا ان رجلا ينشر عليه تسعة وتسعون سجلا كل سجل مد البصر فيخرج له بطاقة فيها شهادة أن لا إله إلا الله واشهد أن محمدا عبده ورسوله فتوضع السجلات فى كفة والبطاقة فى كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة وقيل توزن الاشخاص وروينا عن رسول الله ﷺ أنه قال ليأتى الرجل العظيم السمين يوم القيامة فلا يزن عند الله جناح بعوضة وقيل توزن الاعمال روى ذلك عن ابن عباس فيؤتى بالاعمال الحسنة على صورة حسنة وبالاعمال السيئة على صورة قبيحة فتوضع فى الميزان والحكمة فى وزن الاعمال امتحان الله عباده بالايمان فى الدنيا وإقامة الحجة عليهم فى العقبى

ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم بما كانوا بآياتنا يظلمون) وقال أبو بكر رضى الله عنه حين حضره الموت فى وصيته لعمر ابن الخطاب رضى الله عنه إنما ثقلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيامة باتباعهم الحق فى الدنيا وثقله عليهم وحق لميزان يوضع فيه الحق غدا أن يكون ثقيلا وانما خفت موازين من خفت موازينه يوم القيامة باتباعهم الباطل فى الدنيا وخفته عليهم وحق لميزان يوضع فيه الباطل غدا أن يكون خفيفا فان قيل فقد قيل من ثقلت موازينه ذكر بلفظ الجمع والميزان (١٧٥) واحد قيل يجوز أن يكون لفظه جمعا ومعناه واحد كقوله يا أيها الرسل وقيل لكل عبد ميزان وقيل الأصل ميزان واحد عظيم ولكل عبد فيه ميزان معلق به وقيل جمعه لأن الميزان يشتمل على الكفتين والشاهدين واللسان ولا يتم الوزن الا باجتماعها قوله تعالى (ولقد مكناكم فى الارض) أى مكناكم والمراد من التمكين التمليك والقدرة (وجعلنا لكم فيها معايش) اى أسبابا تعيشون بها أيام حياتكم من التجارات والمكاسب والمآكل والمشارب والمعايش جمع المعيشة (قليلا ما تشكرون) فيما صنعت اليكم قوله عز وجل (ولقد خلقناكم ثم صورناكم) قال ابن عباس خلقناكم اى اصولكم واباءكم ثم صورناكم فى ارحام امهاتكم وقال قتادة والضحاك والسدى اما خلقناكم فادم واما صورناكم فذريته وقال مجاهد فى خلقناكم ادم ثم صورناكم فى ظهر ادم بلفظ الجمع لانه ابو البشر ففى خلقه خلق من يخرج من صلبه وقيل خلقناكم فى ظهر آدم ثم صورناكم يوم الميثاق حين اخرجكم كالذر وقال عكرمة خلقناكم فى اصلاب الرجال وصورناكم فى ارحام النساء وقال يمان خلق الإنسان فى الرحم ثم صوره فشق سمعه وبصره واصابعه وقيل الكل ادم خلقه وصوره ثم بمعنى الواو (ثم قلنا للملائكة اسجدوا لادم) فان قيل الامر بسجود الملائكة كان قبل خلق بنى ادم فما وجه قوله ثم قلنا وثم للترتيب وللتراخى قيل على قول من يصرف الخلق والتصوير إلى ادم وحده يستقيم الكلام اما على قول من يصرفه إلى الذرية فعنه اجوبة احدها ثم بمعنى الواو اى وقلنا للملائكة فلا تكون للترتيب والتعقيب وقيل أراد ثم اخبركم انا قلنا للملائكة اسجدوا وقيل فيه تقديم وتاخير تقديره

وجزائه (ومن خفت موازينه) يعنى موازين أعماله وهم الكفار بدليل قوله تعالى (فأولئك الذين خسروا أنفسهم) يعنى غبنوا انفسهم حظوظها من جزيل ثواب الله وكرامته (بما كانوا بآياتنا يظلمون) يعنى سبب ذلك الخسران انهم كانوا بحجج الله وادلة توحيده يجحدون ولا يقرونها روى عن ابى بكر الصديق رضى الله عنه انه حين حضره الموت قال فى وصيته لعمر بن الخطاب انما ثقلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيامة باتباعهم الحق فى الدنيا وثقله عليهم وحق لميزان يوضع فيه الحق غدا أن يكون ثقيلا وانما خفت موازين من خفت موازينه يوم القيامة باتباعهم الباطل فى الدنيا وخفته عليهم حق لميزان يوضع فيه الباطل غدا ان يكون خفيفا * قوله عز وجل (ولقد مكناكم فى الأرض) يعنى ولقد مكناكم ايها الناس فى الارض والمراد من التمكين التمليك وقيل معناه جعلنا لكم فيها مكانا وقررنا اقدارنا كم على التصرف فيها (وجعلنا لكم فيها معايش) جمع معيشة يعنى به جمع وجوه المنافع التى تحصل بها الأرزاق وتعيشون بها ايام حياتكم وهى على قسمين أحدهما ما نعم الله تعالى به على عباده من الزرع والثمار وانواع المأكل والمشارب والثانى ما يتحصل من المكاسب والارباح فى انواع التجارات والصنائع وكلا القسمين فى الحقيقة إنما يحصل بفضل الله وانعامه واقداره وتمكينه لعباده من ذلك فثبت بذلك ان جمع معايش العالم انعام من الله تعالى على عباده وكثرة الانعام توجب الطاعة للمنعم بها والشكر له عليها ثم بين تعالى انه مع هذا الافضل على عباده وانعامه عليهم لا يقومون بشكره كما ينبغى فقال تعالى (قليلا ما تشكرون) يعنى على ما صنعت اليكم وانعمت به عليكم وفيه دليل على انهم قد يشكرون لان الانسان قد يذكر نعم الله فيشكره عليها فلا يخلو فى بعض الاوقات من الشكر على النعم وحقيقة الشكر تصور النعمة وإظهارها ويضاده الكفر وهو نسيان النعمة وسترها * قوله تعالى (ولقد خلقناكم ثم صورناكم) يعنى ولقد خلقنا كم ايها الناس المخاطبون بهذا الخطاب قبل نزوله فى ظهر ابيكم ادم ثم صورناكم فى ارحام النساء صورا مخلوقة * فان قلت على هذا التفسير يكون قوله ثم قلنا للملائكة اسجدوا لادم يقتضى الامر بالسجود كان وقع بعد خلق المخاطبين بهذا الخطاب وتصويرهم لأن كلمة ثم للتراخى ومعلوم ان الامر ليس كذلك بل كان السجود لادم عليه الصلاة والسلام قبل خلق ذريته * قلت يحتمل ان يكون المعنى ولقد خلقناكم ثم صورناكم ايها المخاطبون ثم اخبرناكم انا قلنا للملائكة اسجدوا لادم فتكون كلمة ثم تفيد ترتيب خبر على خبر ولا تفيد ترتيب المخبر به على الخبر وقيل فى معنى الاية ولقد خلقنا كم يعنى ادم ثم صورناكم يعنى ذريته وهذا قول ابن عباس وقال مجاهد ولقد خلقناكم يعنى ادم ثم صورناكم يعنى فى ظهره وعلى هذين القولين إنما ذكر ادم بلفظ الجمع على التعظيم او لانه ابو البشر فكان فى خلقه خلق من خرج فى صلبه وقيل إن الخلق والتصوير يرجع إلى ادم عليه الصلاة والسلام وحده والمعنى ولقد خلقنا كم يعنى ادم حكمنا بخلقه ثم صورناكم يعنى آدم صورة من طين (ثم قلنا للملائكة اسجدوا لادم) يعنى بعد إكمال خلقه وقد تقدم فى سورة البقرة الكلام فى معنى هذا السجود وانه كان على سبيل التحية والتعظيم لادم لا حقيقة السجود وقيل بل كان حقيقة السجود وان المسجود له هو الله تعالى إنما كان كالقبلة وللساجدين وقيل بل كان السجود له وكان ذلك بامر الله تعالى وهل كان هذا الامر بالسجود لجميع الملائكة او لبعضهم فيه

الساجدين) لآدم (قال) الله تعالى يا إبليس (ما منعك ان لا تسجد إذ أمرتك) أى ولم منعك ان تسجد ولا زائدة كقوله تعالى وحرام على قرية أهلكناهم انهم لا يرجعون (قال) إبليس مجيبا له (أنا خير منه) لأنك (خلقتنى من نار وخلقته من طين) والنار خير وأنور من الطين قال ابن عباس أول من قاس ابليس فأخطأ القياس فمن قاس الدين بشىء من رأيه قرنه الله مع إبليس قال ابن سيرين ما عبدت الشمس إلا بالقياس قال محمد ابن جرير ظن الخبيث ان النار خير من الطين ولم يعلم أن الفضل لمن جعل الله له الفضل وقد فضل الطين على النار وقالت الحكماء للطين فضل على النار من وجه منها أن من جوهر الطين الرزانة والوقار والحلم والصبر وهو الداعى لآدم بعد السعادة التى سبق له إلى التوبة والتواضع والتضرع فأورثه الاجتباء والتوبة والهداية ومن جوهر النار الخفة والطيش والجرأة والارتفاع وهو الداعى لإبليس بعد الشقاوة التى سبقت له إلى الاستكبار والاصرار فأورثه اللعنة والشقاوة ولأن الطين سبب جمع الأشياء والنار سبب تفرقها ولأن التراب سبب الحياة لأن حياة الأشجار والنبات به والنار سبب الهلاك قوله تعالى (قال فاهبط منها) أى من الجنة وقيل من السماء إلى الارض وكان له ملك الأرض فأخرجه منها إلى جزائر البحر وعرشه فى البحر الأخضر فلا يدخل الارض إلا خائفا على هيئة السارق مثل شيخ عليه أطمار يروع فيها حتى يخرج منها

خلاف ما تقدم ذكره فى سورة البقرة * وقوله تعالى (فسجدوا) يعنى الملائكة (إلا إبليس) يعنى فسجد الملائكة لآدم إلا إبليس (لم يكن من الساجدين) يعنى له وظاهر الاية يدل على أن ابليس كان من الملائكة لأن الله تعالى استثناه منهم وكان الحسن يقول ان إبليس لم يكن من الملائكة لأنه خلق من نار والملائكة من نور وإنما استثناه من الملائكة لأنه كان مأمورا بالسجود لادم مع الملائكة فلما لم يسجد أخبر الله تعالى عنه انه لم يكن من الساجدين لادم فهذا استثناه منهم * قوله تعالى (قال ما منعك أن لا تسجد إذ أمرتك) يعنى قال الله عز وجل لإبليس أى شىء منعك من السجود لادم إذ أمرتك به فعلى هذا التأويل تكون كلمة لا فى قوله أن لا تسجد صلة زائدة وإنما دخلت للتوكيد والتقدير ما منعك أن تسجد فهو كقوله لا أقسم أى أقسم وقوله وحرام على قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون أى يرجعون وقوله لئلا يعلم أهل الكتاب أى ليعلم أهل الكتاب وهذا قول الكسائى والفراء والزجاج والأكثرين وقيل أن كلمة لا هنا على أصلها مفيدة وليست بزائدة لأنه لا يجوز أن يقال إن فى كلمة من كتاب الله زائدة ولا معنى لها وعلى هذا القول حكى الواحدى عن أحمد بن يحيى أن لا فى هذه الاية ليست زائدة ولا توكيدا لأن معنى قوله ما منعك أن لا تسجد من قال لك لا تسجد فحمل نظم الكلام على معناه وهذا القول حكاه أبو بكر عن الفراء وقال الطبرى الصواب فى ذلك أن يقال إن فى الكلام محذوفا تقديره ما منعك من السجود فأحوجك أن لا تسجد فترك ذكر أحوجك استغناء عنه بمعرفة السامعين به ونقل الامام فخر الدين الرازى عن القاضى قال ذكر الله تعالى المنع وأراد الداعى فكأنه قال ما دعاك إلى أن لا تسجد لأن مخالفة الله تعالى عظيمة يتعجب منها ويسئل عن الداعى اليها * فان قلت لم سأله عن المانع له من السجود وهو أعلم به * قلت إنما سأله للتوبيخ والتقريع له ولاظهار معاندته وكفره وافتخاره بأصله وحسده لادم عليه الصلاة والسلام ولذلك لم يتب الله عليه (قال) يعنى قال إبليس مجيبا الله تعالى عما سأله عنه (أنا خير منه) * فان قلت قوله أنا خير منه ليس بجواب عما سأله عنه فى قوله تعالى ما منعك أن لا تسجد فلم يجب بما منعه من السجود فانه كان ينبغى له ان يقول منعنى كذا وكذا ولكنه قال أنا خير منه * قلت استأنف قصة أخبر فيها عن نفسه بالفضل على آدم وفيها دليل على موضع الجواب وهو قوله (خلقتنى من نار وخلقته من طين) والنار خير من الطين وأنور وإنما قال أنا خير منه لما رأى انه أشد منه قوة وأفضل منه أصلا وذلك لفضل الجنس الذى خلق منه وهو النار على الطين الذى خلق منه آدم عليه الصلاة والسلام فجهل عدو الله إبليس وجه الحق وأخطأ طريق الصواب لأن من المعلوم أن من جوهر النار الخفة والطيش والارتفاع والاضطراب وهذا الذى حمل الخبيث إبليس مع الشقاء الذى سبق له من الله تعالى فى الكتاب السابق على الاستكبار على السجود لادم عليه الصلاة والسلام والاستخفاف بأمر ربه فأورد ذلك العطب والهلاك ومن المعلوم أن فى جوهر الطين الرزانة والأناة والصبر والحلم والحياة والثبت وهذا كان الداعى لادم عليه الصلاة والسلام مع السعادة السابقة التى سبقت له من الله تعالى فى الكتاب السابق إلى التوبة من خطيئته ومسئلته ربه العفو عنه والمغفرة ولذلك كان الحسن وابن سيرين يقولان أول من قاس إبليس فأخطأ وقال ابن سيرين أيضا ما عبدت الشمس والقمر إلا بالمقاييس وأصل هذا القياس الذى قاسه إبليس لعنة الله تعالى لما رأى أن النار أفضل من الطين وأقوى فقال أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين ولم يدر أن الفضل لمن جعله الله فاضلا وأن الأفضلية والخيرية لا تحصل بسبب فضيلة الأصل والجوهر وأيضا الفضيلة إنما تحصل بسبب الطاعة وقبول الأمر فالمؤمن الحبشى خير من الكافر القرشى فالله تعالى خص صفيه آدم عليه السلام بأشياء لم يخص بها غيره وهو أنه خلقه بيده ونفخ فيه من روحه وأسجد له ملائكته وعلمه أسماء كل شىء وأورثه الاجتباء والتوبة والهداية إلى غير ذلك مما خص الله تعالى به آدم عليه الصلاة والسلام للعناية التى سبقت له فى القدم وأورث إبليس كبره اللعنة والطرد للشقاوة التى سبقت له فى القدم * وقوله تعالى (قال فاهبط منها) يعنى

قوله تعالى (فما يكون لك أن تتكبر) بمخالفة الأمر (فيها) أى فى الجنة ولا ينبغى أن يسكن الجنة ولا السماء متكبر مخالف لأمر الله (فاخرج انك من الصاغرين) من الأذلاء والصغار الذل والمهانة (قال) ابليس عند ذلك (انظرنى) اخرنى وأمهلنى فلا تمتنى (إلى يوم يبعثون) من قبورهم وهو النفخة الآخرة عند قيام الساعة اراد الخبيث أن لا يذوق الموت (قال) الله تعالى (إنك (١٧٧) من المنظرين) المؤخرين وبين مدة

قال الله تعالى لإبليس لعنه الله أهبط من الجنة وقيل من السماء إلى الارض والهبوط الانزال والانحدار من فوق على سبيل القهر والانحدار والهوان والاستخفاف (فما يكون لك ان تتكبر فيها) يعنى فليس لك أن تستكبر فى الجنة عن امرى وطاعتى لانه لا ينبغى أن يسكن الجنة او فى السماء متكبر مخالف لأمر الله عز وجل فأما غير الجنة والسماء فقد يسكنها المستكبر عن طاعة الله تعالى وهم الكفار والساكنون فى الارض (فاخرج انك من الصاغرين) يعنى انك من الاذلاء المهانين والصغار الذل والمهانة قال الزجاج استكبر عدو الله ابليس فابتلاه الله تعالى بالصغار والذلة وقيل كان له ملك الارض فاخرجه الله تعالى منها إلى جزائر البحر الاخضر وعرشه عليه فلا يدخل الارض إلا خائفا كهيأة السارق مثل شيخ عليه اطمار رثة يروع فيها حتى يخرج منها (قال) يعنى قال ابليس عند ذلك (أنظرنى) يعنى اخرجنى وامهلنى فلا تمتنى (إلى يوم يبعثون) يعنى من قبورهم وهى النفخة الاخيرة عند قيام الساعة وهذا من جهالة الخبيث ابليس لعنه الله لانه سأل ربه الإمهال وقد علم انه لا سبيل لأحد من خلق الله تعالى إلى البقاء فى الدنيا لكنه كره إن يكون ذائقا للموت فطلب البقاء والخلود فلم يجب إلى ماسأل بل (قال) الله تعالى له (إنك من المنظرين) يعنى من المؤخرين المهملين وقد بين الله تعالى مدة النظر والمهلة فى سورة الحجر فقال تعالى إنك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم وذلك هو النفخة الأولى حين يموت الخلق كلهم * قال قلت فما وجه قولك إنك من المنظرين وليس احد ان ينظر سواه * قلت معناه ان الذين تقوم عليهم الساعة منظرون إلى ذلك الوقت باجالهم فهو منهم (قال) يعنى ابليس (فبما أغويتنى) يعنى فبأى شىء أضللتنى فعلى هذا تكون ما استفهامية وتم الكلام عند قوله اغويتنى ثم ابتدأ فقال (لأقعدن لهم صراطك المستقيم) وقيل هى باء القسم فبأغوائك إياى وقيل معناه فيما أوقعت فى قلبى الغى الذى كان سبب هبوطى إلى الأرض من السماء وأضللتنى عن الهدى لاقعدن لهم صراطك المستقيم يعنى لاجلسن على طريقك القويم وهو طريق الاسلام وقيل المراد بالصراط المستقيم الطريق الذى يسلكونه إلى الجنة وذلك بان أوسوس إليهم وأزين لهم الباطل وما يكسبهم المآثم وقيل المراد بالصراط المستقيم هنا طريق مكة يعنى يمنعهم من الهجرة وقيل المراد به الحج والقول الاول أولى لانه يعم الجميع ومعنى الآية لاردن بنى آدم عن عبادتك وطاعتك ولأغوينهم ولاضلنهم كما أضللتنى عن سيرة بن ابى الفاكه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول إن الشيطان قعد لابن آدم باطرقة قعد له فى طريق الإسلام فقال تسلم وتذر دين آبائك وآباء آبائك فعصاه واسلم وقعد له بطريق الهجرة فقال تهاجر وتذر ارضك وسماءك وإنما مثل المهاجر كمثل الفرس فى الطول فعصاه فهاجر وقعد له بطريق الجهاد فقال تجاهد فهو جهد النفس والمال فتقاتل فتقتل فتنكح المرأة ويقسم المال فعصاه فجاهد قال فمن ذلك كان حقا على الله أن يدخله الجنة وإن غرق كان حقا على الله ان يدخله الجنة او وقصته دابة كان حقا على الله ان يدخله الجنة اخرجه النسائى وقوله تعالى اخبار أعن إبليس (ثم لآتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم) قال ابن عباس من بين ايديهم يعنى من قبل الآخر فاشككهم فيها ومن خلفهم يعنى من قبل الدنيا فارغبهم فيها وعن ايمانهم يشبه عليهم امر دينهم وعن شمائلهم اشتهى لهم المعاصى وإنما جعل الآخرة من بين ايديهم فى هذا القول لانهم منقلبون اليها وصائرون اليها فعلى هذا الاعتبار فالدنيا خلفهم لانهم يخلفونها وراء ظهورهم وقال ابن عباس فى رواية عنه من بين ايديهم من قبل دنياهم ازينها فى قلوبهم ومن خلفهم من قبل الآخرة فأقول لا بعث

النظر والمهلة فى موضع آخر فقال إلى يوم الوقت المعلوم وهو النفخة الأولى حين يموت الخلق كلهم (قال فبما أغويتنى) اختلفوا فى ما قيل هو استفهام يعنى فباى شىء أغويتنى ثم ابتدأ فقال لاقعدن لهم وقيل هو ما الجزاء أى لاجل أنك أغويتنى أقعدن لهم وقيل هو ما المصدر موضع القسم تقديره فباغوائك إياى لاقعدن لهم كقوله بما غفر لى ربى يعنى بغفران ربى والمعنى بقدرتك على ونفاذ سلطانك وقال ابن الإنبارى أى فيما أوقعت فى قلبى من الغى الذى كان سبب هبوطى من السماء أغويتنى أى أضللتنى عن الهدى وقيل أهلكتنى وقيل خيبتنى (لاقعدن لهم صراطك المستقيم) أى لاجلسن لبنى آدم على طريقك القويم وهو الإسلام (ثم لآتينهم من بين أيديهم) قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس من بين أيديهم أى من قبل الآخرة فاشككهم فيها (ومن خلفهم) أرغبهم فى دنياهم (وعن إيمانهم) أشبه عليهم أمر دينهم

(وعن شمائلهم) اشهى لهم المعاصى وروى عطية عن عباس من بين ايديهم من قبل دنياهم يعنى ازينها فى قلوبهم ومن خلفهم من قبل الآخرة فاقول لا بعث ولا جنة ولا نار وعن إيمانهم من قبل حسناتهم وعن شمائلهم من قبل سيئاتهم وقال الحكم من بين ايديهم من قبل الدنيا يزينها لهم ومن خلفهم من قبل الآخرة يثبطهم عنها وعن أيمانهم من قبل الحق يصدهم عنه وعن شمائلهم من قبل الباطل يزينه لهم وقال قتادة اتاهم من بين ايديهم فاخبرهم انه

لا بعث ولا جنة ولا نار ومن خلفهم من أمور الدنيا يزينها لهم ويدعوهم إليها وعن أيمانهم من قبل حسناتهم بطأهم عنها وعن شمائلهم زين لهم السيئات والمعاصي ودعاهم إليها أتاك يا ابن آدم من كل وجه غير أنه لم يأتك من فوقك لم يستطع ان يحول بينك وبين رحمة الله وقال مجاهد من بين أيديهم وعن أيمانهم من حيث يبصرون ومن خلفهم وعن شمائلهم ومن حيث لا يبصرون وقال ابن جريج معنى قوله حيث لا يبصرون اى لا يخطئون وحيث لا يبصرون أى لا يعلمون أنهم يخطئون (ولا تجد أكثرهم شاكرين) مؤمنين فان قيل كيف علم الخبيث ذلك قيل قاله ظنا فأصاب قال الله ولقد صدق عليهم ابليس ظنه (قال) الله تعالى لابليس (اخرج منها مذؤما مدحورا) اى معيباً والذام أشد العيب يقال ذامه يذامه ذاماً فهو مذؤم وذامه يذيمه ذاماً فهو مذيم مثل سار يسير سيرا والمدحور المبعد المطرود يقال دحره يدحره دحرا إذا أبعده وطرده قال ابن عباس مذؤماً اى ممقوتاً قال قتادة مذؤماً مدحورا اى لعيناً شقياً وقال الكلبي مذؤماً مدحورا مقصياً من الجنة ومن كل خير (لمن تبعك منهم) من بني ادم (لأملأن جهنم) اللام لام القسم (منكم أجمعين) أى منك ومن ذريتك من كفار ذرية ادم أجمعين (و يا ادم اسكن أنت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين فوسوس لهما الشيطان) أى إليهما والوسوسة حديث يلقيه الشيطان فى قلب الانسان

ولا نشور ولا جنة ولا نار وعن أيمانهم من قبل حسناتهم وعن شمائلهم من قبل سيئاتهم وإنما جعل الدنيا من بين ايديهم فى هذا القول لأن الانسان يسعى فيها ونشاهدها فهى حاضرة بين يديه والاخرة غائبة عنه فهى خلفه وقال الحكم بن عتبة من بين ايديهم يعنى من قبل الدنيا فازينها لهم ومن خلفهم من قبل الاخرة فأثبطهم عنها وعن إيمانهم يعنى من قبل الحق فاصدهم عنه وعن شمائلهم من قبل الباطل فازينه لهم وقال قتادة اتاهم من بين أيديهم فأخبرهم أنه لا بعث ولا جنة ولا نار من خلفهم من أمر الدنيا فزينها لهم ودعاهم اليها وعن أيمانهم من قبل حسناتهم فبطأهم عنها وعن شمائلهم زين لهم السيئات والمعاصي ودعاهم اليها اتاك يا ابن آدم من كل وجه غير انه لم يأت من فوقك فلم يستطع ان يحول بينك وبين رحمة الله تعالى وقال مجاهد يأتيهم من بين أيديهم وعن أيمانهم حيث يبصرون ومن خلفهم وعن شمائلهم حيث لا يبصرون ومعنى هذا من حيث يخطئون ويعلمون انهم يخطئون ومن حيث لا يبصرون انهم لا يخطئون ولا يعلمون انهم يخطئون وقيل من بين أيديهم يعنى فيما بقى من أعمارهم فلا يقدمون فيه طاعة ومن خلفهم يعنى ما مضى من أعمارهم فلا يتوبون عما أسلفوا فيه من معصية وعن إيمانهم يعنى من قبل الغنى فلا ينفقون ولا يشكرون ومن خلفهم يعنى من قبل الفقر فلا يمتنعون فيه من محظور نالوه وقال شقيق البلخى ما من صباح إلا ويأتينى الشيطان من الجهات الأربع من بين يدى ومن خلفى وعن يمينى وعن شمالى أما بين يدى فيقول لا تخف ان الله غفور رحيم فاقرأ إنى لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى وأما من خلفى فيخوفنى من وقوع أولادى فى الفقر فاقول وما من دابة فى الأرض إلا على الله رزقها وأما من قبل يمينى فيأتينى من الثناء فأقرأ والعاقبة للمتقين وأما عن قبل شمالى فيأتينى من قبل الشهوات فاقرأ وحيل بينهم وبين ما يشتهون وقيل إن ذكر هذه الجهات الأربع إنما أريد بها التأكيد والمبالغة فى إلقاء الوسوسة فى قلب ابن آدم وأنه لا يقصر فى ذلك ومعنى الاية على هذا القول ثم لاتينهم من جميع الوجوه الممكنة لجميع الاعتبارات وقوله (ولا تجد اكثرهم شاكرين) يعنى ولا تجد يارب أكثرهم بنى آدم شاكرين على نعمتك التى أنعمت بها عليهم وقال ابن عباس معناه ولا تجد اكثرهم موحدين * فان قلت كيف علم الخبيث ابليس ذلك حتى قال ولا تجد اكثرهم شاكرين * قلت قاله ظناً فأصاب ومنه قوله تعالى ولقد صدق عليهم ابليس ظنه وقيل انه كان عازماً على المبالغة فى تزيين الشهوات وتحسين القبائح وعلم ميل بنى آدم إلى ذلك فقال هذه المقالة وقيل إنه راه مكتوبا فى اللوح المحفوظ فقال هذه المقالة على سبيل اليقين والقطع والله أعلم بمراده * قوله عز وجل (قال اخرج منها) أى قال الله تعالى لأبليس حين طرده عن بابه وأبعده عن جنابه وذلك بسبب مخالفته وعصيانه اخرج منها يعنى من الجنة فانه لا ينبغى أن يسكن فيها العصاة (مذؤماً) يعنى معيباً والذام أشد العيب (مدحوراً) يعنى مطرودا مبعداً وقال ابن عباس صغيرا ممقوتاً وقال قتادة لعيناً مقيتاً وقال الكلبى ملوماً مقصياً من الجنة ومن كل خير (لمن اتبعك منهم) يعنى من بنى ادم (لأملان جهنم منكم أجمعين) اللام لام القسم اقسم الله تعالى ان من تبع ابليس من بنى ادم وأطاعه منهم * قوله تعالى (ويا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة) أى وقلنا يا آدم اسكن انت وزوجك الجنة وذلك بعد أن أهبط منها ابليس وأخرجه وطرده من الجنة (فكلا من حيث شئتما) يعنى فكلا من ثمار الجنة من أى مكان شئتما * فان قلت قال فى سورة بقرة وكلا الواو وقال هنا فكلا بالفاء فما الفرق * قلت قال الامام فخر الدين الرازى إن الواو تفيد الجمع المطلق والفاء تفيد الجمع على سبيل التعقيب فالمفهوم من الفاء نوع داخل تحت المفهوم من الواو ولا منافاة بين النوع والجنس ففى سورة البقرة ذكر الجنس وهنا ذكر النوع (ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين) تقدم فى سورة البقرة الكلام على تفسير الاية مستوفى * قوله تعالى (فوسوس لهما الشيطان) يعنى فوسوس إليهما والوسوسة حديث يلقيه الشيطان فى قلب الانسان يقال وسوس إذا تكلم كلاماً خفياً مكررا وأصله من صوت الحلى ومعنى وسوس لهما فعل الوسوسة وألقاها إليهما * فان قلت كيف وسوس

(ليبدى لهما ما وروى عنهما سوآتهما) أى ليظهر لهما ما غطى وستر عنهما من عوراتهما قيل اللام فيه لام العاقبة أن إبليس لم يوسوس لهذا ولكن كان عاقبة أمرهم ذلك وهو ظهور عوراتهما كقوله تعالى فالتقطته آل فرعون ليكون (١٧٩) لهم عدوا وحزنا ثم بين الوسوسة

اليهما وادم وحواء فى الجنة وإبليس قد اخرج عنها * قلت ذكر الامام فخر الدين الرازى فى الجواب عن هذا السؤال عن الحسن انه قال كان يوسوس فى الارض إلى السماء إلى الجنة بالقوة القوية التى جعلها الله تعالى له قوله وقال ابو مسلم الاصبهانى بل كان آدم وإبليس فى الجنة لأن هذه الجنة كانت بعض جنات الارض الذى يقوله بعض الناس من ان إبليس دخل فى جوف الحية فدخلت به الحية إلى الجنة فقصة مشهورة تركيكة وقال اخرون ان ادم وحواء ربما قربا من باب الجنة وكان إبليس واقفا من خارج الجنة على بابها فقرب احدهما من الآخر فحصلت الوسوسة هناك * فان قلت ان آدم عليه الصلاة والسلام قد عرف ما بينه وبين إبليس من العداوة فكيف قبل قوله * قلت يحتمل ان يقال ان إبليس لقى ادم مرارا كثيرة ورغبه فى اكل هذه الشجرة بطرق كثيرة فنهار جاء نيل الخلد ومنها قوله وقاسمهما انى لكما لمن الناصحين فلاجل هذه المواظبة والمداومة على هذا التمويه اثر كلام إبليس فى آدم حتى اكل من الشجرة (ليبدى لهما ما وورى عنهما من سوآتهما) يعنى ليظهر لهم ما غطى وستر عوراتهما وقوله ما ووورى ماخوذ من المواراة وهى الستر يقال واريته بمعنى ستر ته والسواة فرج الرجل والمراة سمى بذلك لان ظهوره يسوء الإنسان وفى الاية دليل على ان كشف العورة من المنكرات المحرمات واللام فى قوله ليبدى لهما لام العاقبة وذلك لان إبليس لم يقصد بالوسوسة ظهور عوراتهما وإنما كان حملهما على المعصية فقط فكان عاقبة امرهما ان بدت عوراتهما (وقال) يعنى وقال إبليس لادم وحواء (ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة) يعنى عن الاكل من هذه الشجرة (إلا ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين) يعنى انما نهاكما عن هذه الشجرة لكى لا تكونا ملكين من الملائكة تعلمان الخير والشر وتكونا من الباقين الذين لا يموتون وإنما اطمع إبليس ادم بهذه الاية لانه علم ان الملائكة لهم المنزلة والقرب من العرش فاستشرف لذلك ادم واحب ان يعيش مع الملائكة لطول أعمارهم أو يكون مع الخالدين الذين لا يموتون ابدا * فان قلت ظاهر الاية يدل على أن الملك افضل من الانبياء لان ادم عليه الصلاة والسلام طلب ان يكون من الملائكة وهذا يدل على فضلهم عليه * قلت ليس فى ظاهر الاية ما يدل على ذلك لان آدم عليه الصلاة والسلام لما طلب ان يكون من الملائكة كان ذلك الطلب قبل ان يتشرف بالنبوة وكانت هذه الواقعة قبل نبوة ادم عليه الصلاة والسلام فطلب ان يكون من الملائكة او من الخالدين وعلى تقديره ان تكون هذه الواقعة زمان النبوة بعد ان شرف بها ادم إنما طلب ان يكون من الملائكة لطول اعمارهم لا لانهم افضل منه حتى يلتحق بهم فى الفضل لانه طلب إما أن يكون من الملائكة لطول اعمارهم او من الخالدين الذين لا يموتون أبدا وقوله تعالى (وقاسمهما) اى واقسم وحلف لهما وهذا من المفاعلة التى تختص بالواحد (إنى لكما لمن الناصحين) قال قتادة حلف لهما بالله تعالى حتى خدعهما وقد يخدع المؤمن بالله فقال إنى خلقت قبلكما وانا اعلم منكما فاتبعانى ارشدكما وقال بعض العلماء من خادعنا بالله خدعنا له (فدلاهما بغرور) يعنى فخدعهما بغرور يقال مازال فلان يدلى فلانا بغرور يعنى مازال يخدعه ويكلمه بزخرف من القول الباطل قال الازهرى واصله ان الرجل العطشان يتدلى فى البئر ليأخذ الماء فلا يجد فيها ماء فوضعت التدلية موضع الطمع فيما لا فائدة فيه والغرور إظهار النصح مع ابطان الغش وهو ان إبليس حطهما من منزلة الطاعة إلى حالة المعصية لأن التدلى لا يكون إلا من علو إلى أسفل ومعنى الاية أن إبليس لعنه الله تعالى غر آدم باليمين الكاذبة وكان ادم عليه الصلاة والسلام يظن ان احدا لا يحلف بالله كاذبا وإبليس أول من حلف بالله كاذبا فلما حلف إبليس ظن آدم انه صادق فاغتر به (فلما ذاقا الشجرة) يعنى طعما من ثمرة الشجرة وفيها دليل على انهما تناولا اليسير من ذلك قصد إلى معرفة طعمه لأن الذوق يدل على الأكل اليسير (بدت لهما سوآتهما) يعنى ظهرت لهما عوراتهما قال ابن عباس رضى الله عنهما

فقال (وقال) إبليس لآدم وحواء (ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا ان تكونا ملكين) يعنى إلا كراهية ان تكونا من الملائكة يعلمان الخير والشر (او تكونا من الخالدين) من الباقين الذين لا يموتون كما قال فى موضع آخر هل ادلك على شجرة الخلد (وقاسمهما انى لكما لمن الناصحين) اى واقسم وحلف لهما وهذا من المفاعلة التى تختص بالواحد وقال قتادة حلف لهما بالله حتى خدعهما وقد يخدع المؤمن بالله فقال إنى خلقت قبلكما وانا اعلم منكما فاتبعانى ارشدكما وابليس اول من حلف بالله كاذبا فلما حلف ظن ادم ان احدا لا يحلف بالله إلا صادقا فاغتر به (فدلاهما بغرور) اى خدعهما يقال مازال ابليس يدل فلانا بالغرور يعنى ما زال يخدعه ويكلمه بزخرف باطل من القول وقيل حطهما من منزلة الطاعة إلى حالة المعصية ولا يكون التدلى إلا من علو إلى اسفل والتدلية ارسال الدلو فى البئر يقال تدلى بنفسه ودعا غيره وقال الازهرى اصله من تدلية العطشان البئر ليروى من الماء ولا يجد الماء فيكون تدلى بالغرور عن اظهار النصح مع

إبطان الغش (فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوآتهما) قال الكلبى فلما أكلا منها وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال قبل ان ازدردا أخذتهما العقوبة والعقوبة ان بدت ظهرت لهما سوآتهما عوراتهما وتهافت عنهما لباسهما حتى أبصر كل واحد منهما ما وروى

قبل ان ازدردا اخذتهما العقوبة والعقوبة ان ظهرت وبدت لهما سوآتهما وتهافت عنهما لبسهما حتى ابصر كل واحد منهما ما ورى عنه من عورة صاحبه وكانا لا يريان ذلك وقال وهب كان لباسهما من النور لا يرى هذا عورة هذه ولا هذه عورة هذا فلما اصابا الخطيئة بدت لهما سوآتهما وقال قتادة كان لباس آدم فى الجنة ظفرا كله فلما وقع فى الذنب قشط عنه وبدت سواته (وطفقا) يعنى واقبلا وجعلا (يخصفان عليهما من ورق الجنة) يعنى انهما لما بدت لهما سوآتهما جعلا يرقعان ويلزقان عليهما من ورق الجنة وهو ورق التين حتى صار كهيئة الثوب وقال الزجاج جعلا ورقة على ورقة ليستترا سوآتهما وفى الاية دليل على أن كشف العورة من ابن ادم قبيح الا ترى انهما بادرا إلى ستر العورة لما تقرر فى عقلهما من قبح كشفها روى أبى بن كعب عن رسول الله ﷺ قال كان آدم ﷺ رجلا طويلا كانه نخلة سحوق كثير شعر الرأس فلما وقع فى الخطيئة بدت له سواته وكان لا يراها فى الجنة فانطلق فارا فعرضت له شجرة من شجر الجنة فحبسته بشعره فقال لها ارسلينى قالت لست بمرسلتك فناداه ربه يا ادم امنى تفر قال لا يارب ولكنى استحييتك ذكره البغوى بغير سند وأسنده الطبرى من طريقين موقوفا مرفوعا * قوله تعالى (ونادا هما ربهما الم انهكما عن تلكما الشجرة) يعنى ان الله تعالى نادى ادم وحواء وخاطبهما فقال الم انهكما عن أكل ثمرة هذه الشجرة (واقل لكما ان الشيطان لكما عدو مبين) يعنى علمتكما ان الشيطان قد بانت عداوته لكما بترك السجود حسدا وبغيا قال ابن عباس رضى الله عنهما لما أكل آدم من الشجرة قيل له لم أكلت من الشجرة التى نهيتك عنها قال حواء امرتنى قال فانى اعقبتها أن لا تحمل إلا كرها ولا تضع إلا كرها قال فرنت حواء عند ذلك رنة فقيل لها الرنة عليك وعلى بناتك وقال محمد بن قيس ناداه ربه يا ادم لم أكلت منها وقد نهيتك قال اطعمتنى حواء فقال لحواء لم اطعمتيه قالت امرتنى الحية فقال للحية لم امرتها قالت أمرنى إبليس قال الله تعالى أما أنت يا حواء فكما أدميت الشجرة تدمين كل شهر وأما أنت يا حية فاقطع رجليك فتمشين على وجهك وسيشدخ رأسك من لقيك وأما أنت يا أبليس فملعون مطرود مدحور يعنى عن الرحمة وقيل ناداه ربه يا ادم أما خلقتك بيدى أما نفخت فيك من روحى أما أسجدت لك ملائكتى أما أسكنتك جنتى بجوارى * قوله عز وجل (قالا ربنا ظلمنا أنفسنا) وهذا خبر من الله عز وجل عن ادم عليه الصلاة والسلام وحواء عليها السلام واعترافهما على أنفسهما بالذنب والندم على ذلك والمعنى قالا يا ربنا إنا فعلنا بأنفسنا من الإساءة اليها بمخالفة أمرك وطاعة عدونا وعدوك ما لم يكن لنا أن نطيعه فيه من أكل الشجرة التى نهيتنا عن أكلها (وإن لم تغفر لنا) يعنى وانت يا ربنا ان لم تستر علينا ذنبنا (وترحمنا) يعنى وتتفضل علينا برحمتك (لنكونن من الخاسرين) يعنى من الهالكين قال قتادة قال ادم يارب أرأيت إن تبت اليك واستغفرتك قال إذا أدخلك الجنة وأما إبليس فلم يسأله التوبة وسأله أن ينظره فاعطى كل واحد منهما ما سأل وقال الضحاك فى قوله ربنا ظلمنا أنفسنا قال هى الكلمات التى تلقاها ادم عليه الصلاة والسلام من ربه عز وجل

(فصل) وقد استدل من يرى صدور الذنب من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بهذه الآية واجيب عنه بأن درجة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فى الرفعة والعلو والمعرفة بالله عز وجل مما حملهم على الخوف منه والاشفاق من المؤاخذة بما لم يؤاخذ به غيرهم وانهم ربما عوتبوا بأمور صدرت منهم سبيل التأويل والسهو فهم بسبب ذلك خائفون وجلون وهى ذنوب بالاضافة إلى علو منصبهم وسميات بالنسبة إلى كمال طاعتهم لا أنها ذنوب كذنوب غيرهم ومعاصى كمعاصى غيرهم فكان ما صدر منهم مع طهارتهم ونزاهتهم وعمارة بواطنهم بالوحى السماوى والذكر القدسى وعمارة ظواهرهم بالعمل الصالح أو الخشية لله عز وجل ذنوبا وهى حسنات بالنسبة إلى غيرهم كما قيل حسنات الأبرار سيئات المقربين يعنى أنهم يرونها بالنسبة إلى أحوالهم كالسيئات وهى حسنات لغيرهم وقد تقدم فى سورة البقرة أن أكل ادم من الشجرة هل كان قبل

لباسا فلما وقعا فى الذنب بدت لهما سوآتهما فاستحييا (وطفقا) أقبلا وجعلا (يخصفان) يرقعان ويلزقان ويصلان (عليهما من ورق الجنة وهو ورق التين حتى صار كهيئة الثوب قال الزجاج يجعلان ورقة على ورقة ليستروا سوآتهما وروى عن أبى بن كعب عن رسول الله ﷺ كان ادم رجلا طوالا كأنه نخلة سحوق كثير شعر الرأس فلما وقع فى الخطيئة بدت له سواته وكان لا يراها فانطلق هاربا فى الجنة فعرضت له شجرة من شجر الجنة فحبسته بشعره فقال لها أرسلينى قالت لست بمرسلتك فناداه ربه يا ادم أتفر منى قال لا يارب ولكن استحييتك (ونادا هما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة) يعنى عن الأكل منها (وأقل لكما ان الشيطان لكما عدو مبين) أى بين العداوة قال محمد بن قيس ناداه ربه يا ادم أكلت منها وقد نهيتك قال رب اطعمتنى حواء لحواء لم اطعمتيه قالت أمرتنى الحية قال للحية لم امرتها قالت أمرنى إبليس فقال الله أما أنت يا حواء فكما أدميت الشجرة فتدمين كل شهر وأما أنت يا حية فأقطع قوائمك فتمشين على بطنك ووجهك وسيشدخ رأسك من لقيك وأما أنت يا إبليس فملعون

النبوة أو بعدها والخلاف فيه فأغنى عن الإعادة والله أعلم * قوله تعالى (قال اهبطوا) قال الامام فخر الدين الرازى رحمه الله ان الذى تقدم ذكره هو ادم وحواء وإبليس فقوله اهبطوا يجب ان يتناول هؤلاء الثلاثة وقال الطبرى قال تعالى لادم وحواء وإبليس والحية اهبطوا يعنى من السماء إلى الأرض قال السدى رحمه الله قوله تعالى اهبطوا يعنى إلى الأرض ادم وحواء وإبليس والحية (بعضكم لبعض عدو) يعنى ان العداوة ثابتة بين ادم وابليس والحية وذرية كل واحد من آدم وإبليس (ولكم فى الارض مستقر) يعنى موضع قرار تستقرون فيه وقال ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى ولكم فى الارض مستقر يعنى القبور (ومتاع إلى حين) يعنى ولكم فيها متاع تستمتعون به إلى انقطاع الدنيا وإلى انقضاء اجالكم ومعنى الاية أن الله عز وجل أخبر ادم وحواء وإبليس والحية إذا أهبطهم إلى الارض فان بعضهم لبعض عدو وان لهم فى الارض موضع قرار يستقرون فيه إلى انقضاء اجالهم ثم يستقرون فى قبورهم إلى انقطاع الدنيا قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما فى قوله تعالى ومتاع إلى حين يعنى إلى يوم القيامة وإلى انقطاع الدنيا (قال فيها تحيون) يعنى قال الله عز وجل لادم وذريته وإبليس وأولاده فيها يحيون يعنى فى الارض تعيشون ايام حياتكم (وفيها تموتون) يعنى وفى الارض تكونون وفاتكم وموضع قبوركم (ومنها تخرجون) يعنى ومن الارض يخرجكم ربكم ويحشركم للحساب يوم القيامة * قوله عز وجل (يا بنى ادم قد انزلنا عليكم لباسا يوارى سوءاتكم) اعلم ان الله عز وجل لما أمر ادم وحواء بالهبوط الى الارض وجعلها مستقر الهم انزل عليهم كل ما يحتاجون اليه من مصالح الدين والدنيا فكان مما انزل عليهم اللباس الذى يحتاج اليه فى الدين والدنيا فاما منفعته فى الدين فانه يستر العورة وستر ها شرط فى صحة الصلاة واما منفعته فى الدنيا فانه يمنع الحر والبرد فامتن الله على عباده بان أنزل عليهم لباسا يوارى سواتهم فقال تعالى يا بنى ادم قد انزلنا عليكم لباسا يوارى سوءاتكم يعنى لباسا تسترون به عوراتكم * فان قلت ما معنى قوله قد انزلنا عليكم لباسا * قلت ذكر العلماء فيه وجوها احدها أنه بمعنى خلق أى خلقنا لكم لباسا أو بمعنى رزقناكم لباسا الوجه الثانى ان الله تعالى أنزل المطر من السماء وهو سبب نبات اللباس فكانه انزله عليهم الوجه الثالث ان جميع بركات الارض تنسب إلى السماء وإلى الانزال كما قال تعالى وانزلنا الحديد (وريشا) الريش للطائر معروف وهو لباسه وزينته كالثياب للانسان فاستعير للانسان لانه لباسه وزينته والمعنى وانزلنا عليكم لباسين لباسا يوارى سواتكم ولباسا لزينتكم لان التزين غرض صحيح كما قال تعالى لتركبوها وزينة وقال ولكم فيها جمال وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله جميل يحب الجمال واختلفوا فى معنى الريش المذكور فى الاية فقال ابن عباس رضى الله عنهما وريشا يعنى مالا وهو قول مجاهد والضحاك والسدى لان المال مما يتزين به ويقال تريش الرجل إذا تمول وقال ابن زيد الريش الجمال وهو يرجع إلى الزينة أيضا المتاع والاموال عندهم وربما الاناث وما ظهر من الثياب والمتاع مما يلبس أو يفرش والريش ايضا المتاع والاموال عندهم وربما استعملوه فى الثياب والكسوة دون سائر المال يقال انه لحسن الريش أو لحسن الثياب وقيل الريش والرياش يستعمل ايضا فى الخصب ورفاهية العيش (ولباس التقوى) اختلف العلماء فى معناه فمنهم من حمله على نفس الملبوس وحقيقته ومنهم من حمله على المجاز اما من حمله على نفس الملبوس فاختلفوا أيضا فى معناه فقال ابن الانبارى لباس التقوى هو اللباس الأول وانما أعاده اخبارا أن ستر العورة من التقوى وذلك خير وقيل انما اعاده لأجل ان يخبر عنه بأنه خير لان العرب فى الجاهلية كانوا يتعبدون بالتعرى وخلع الثياب فى الطواف بالبيت فاخبر ان ستر العورة فى الطواف هو لباس التقوى وذلك خير وقال زيد بن على رحمه الله تعالى لباس التقوى الات الحرب التى يتقى بها فى الحروب كالدروع والمغفرة ونحو ذلك وقيل لباس التقوى هو الصوف الخشن من الثياب التى يلبسها اهل الزهد والورع وقيل هو ستر العورة فى الصلاة وأما من حمل لباس التقوى على المجاز فاختلفوا فى معناه فقال قتادة والسدى لباس التقوى هو الإيمان لان صاحبه يتقى به من النار وقال ابن عباس رضى الله عنهما لباس التقوى

تموتون ومنها تخرجون) أى من الأرض تخرجون من قبوركم للبعث قرا ابن عامر وحمزة والكسائى تخرجون بفتح التاء ههنا وفى الزخرف وافق يعقوب ههنا وزاد حمزة والكسائى وكذلك تخرجون فى أول الروم والباقون بضم التاء وفتح الراء فهن قوله تعالى (يا بنى ادم قد انزلنا عليكم) اى خلقنا لكم (لباسا) وقيل إنما قال انزلنا لان اللباس يكون من نبات الارض والنبات يكون بما ينزل من السماء فمعنى قوله انزلنا أى انزلنا أسبابه وقيل كل بركات الأرض منسوبة إلى السماء كما قال تعالى وانزلنا الحديد وإنما يستخرج الحديد من الأرض وسبب نزول هذه الاية انهم كانوا فى الجاهلية يطوفون البيت عراة يقولون لا نطوف فى ثياب عصينا الله فيها فكان الرجال يطوفون بالنهار والنساء بالليل عراة قال قتادة كانت المراة تطوف وتضع يدها على فرجها وتقول

اليوم يبدو بعضه أو كله
وما بدا منه فلا احله

فامر الله سبحانه بالستر فقال قد انزلنا عليكم لباسا) يوارى سواتكم) يستر عوراتكم واحدتها سوأة سميت بها لانه يسوء صاحبها انكشافها فلا تطوفوا عراة (وريشا) يعنى مالا فى قول ابن عباس ومجاهد والضحاك والسدى يقال تريش الرجل اذا تمول وقيل الريش الجمال أى تتجملون به من الثياب وقيل هو اللباس (ولباس التقوى

ذلك خير) قرأ أهل المدينة وابن عامر والكسائى ولباس بنصب السين عطفا على قوله لباسا وقرأ الآخرون بالرفع على الابتداء وخبره خير وجعلوا ذلك صلة فى الكلام ولذلك قرأ ابن مسعود وأبى كعب ولباس التقوى خير واختلفوا فى لباس التقوى قال قتادة والسدى التقوى هو الايمان وقال الحسن هو الحياء لانه يبعث على التقوى وقال عطاء عن ابن عباس هو العمل الصالح وعن عثمان ابن عفان انه هو السمت الحسن وقال عروة بن الزبير لباس التقوى خشية الله وقال الكلبى هو العفاف والمعنى لباس التقوى خير لصاحبه إذا أخذ به مما خلق الله له من لباس التجمل وقال ابن الانبارى لباس التقوى هو اللباس الاول وإنما اعاده اخبارا أن ستر العورة خير من التعرى فى الطواف وقال زيد بن على لباس التقوى الالات التى يتقى بها فى الحرب كالدرع والمغفر والساعد والساقين وقيل لباس التقوى هو الصوف والشياب الخشنة التى يلبسها أهل الورع (ذلك من ايات الله لعلهم يذكرون يا بنى ادم لا يفتننكم الشيطان) لا يضلنكم الشيطان (كما اخرج أبويكم) أى فتن ابويكم ادم وحواء فاخرجهما (من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوءاتهما) أى ليرى كل واحد سواة الاخر (انه يراكم) يعنى ان الشيطان يراكم يا بنى ادم (هو وقبيله) جنوده قال ابن عباس هو وولده وقال قتادة قبيلة الجن والشياطين

هو العمل الصالح وقال الحسن رضى الله عنه هو الحياء لانه يحث على التقوى وقال عثمان بن عفان رضى الله عنه لباس التقوى هو السمت الحسن وقال عروة بن الزبير رضى الله عنه لباس التقوى خشية الله وقال الكلبى هو العفاف فعلى هذه الاقوال ان لباس التقوى خير لصاحبه إذا اخذ به مما خلق الله له من لباس التجميل وزينة الدنيا وهو قوله تعالى (ذلك خير) يعنى ان لباس التقوى خير من لباس الجمال والزينة وأنشدوا فى المعنى

إذا انت لم تلبس ثيابا من التقى * عريت وان وارى القميص قميص

* وقوله تعالى (ذلك من ايات الله) يعنى انزل اللباس عليكم يا بنى آدم من ايات الله الدالة على معرفته وتوحيده (لعلهم يذكرون) يعنى لعلهم يذكرون نعمته عليكم فيشكرونها * قوله تعالى (يا بنى ادم لا يفتننكم الشيطان كما اخرج ابويكم من الجنة) قيل هذا خطاب للذين كانوا يطوفون بالبيت عراة والمعنى لا يخدعنكم بغروره ولا يضلنكم فتبين لكم كشف عوراتكم فى الطواف وإنما ذكر قصة ادم هنا وشدة عداوة إبليس ليحذر بذلك أولاد آدم فقال تعالى يا بنى آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة يعنى ادم وحواء عليهما الصلاة والسلام والمعنى ان من قدر على اخراج ابويكم من الجنة بوسوسته وشدة عداوته فبان يقدر على فتنتكم بطريق الأولى فحذر الله عز وجل بنى ادم واءرهم بالاحتراز عن وسوسة الشيطان وغروره وتزيينه القبائح وتحسينه الأفعال الرديئة فى قلوب بنى ادم فهذه فتنته التى نهى الله تعالى عباده عنها وحذرهم منها * قوله تعالى (ينزع عنهما لباسهما) إنما اضاف نزع اللباس إلى الشيطان وإن لم يباشر ذلك لان نزع لباسهما كان لباسهما وسوسة الشيطان وغروره فاسند اليه واختلفوا فى اللباس الذى نزع عنهما فقال ابن عباس رضى الله عنهما كان بسبب الظفر فلما أصابا الخطيئة نزع عنهما وبقيت الاظفار تذكرة وزينة ومنافع وقال وهب بن منبه رحمه الله تعالى كان لباس آدم وحواء نورا وقال مجاهد كان لباسهما التقى وفى رواية عنه التقوى وقيل ان لباسهما من ثياب الجنة وهذا القول اقرب لان اطلاق اللباس ينصرف اليه لان النزع لا يكون إلا بعد اللبس (ليريهما سوءاتهما) يعنى ليرى عورة حواء عورة ادم وكان قبل ذلك لا يرى بعضهم سوأة بعض (انه يراكم هو وقبيله) يعنى ان إبليس يراكم يا بنى ادم هو وقبيله إنما اعاد الكناية فى قوله هو لتحسن العطف والقبيل جمع قبيلة وهى الجماعة المجتمعة التى يقابل بعضهم بعضا وقال الليث كل جيل من جن أو إنس قبيل ومعنى يراكم هو وقبيله أى من هو عن نسله وحكى ابو عبيدة عن أبى يزيد القبيل ثلاثة فصاعدا من قوم شتى والجمع قبل والقبيلة بنو اب واحد وقال الطبرى قبيله يعنى صفه وجيله الذى هو منهم وهو واحد يجمع على قبل الجن وهم الجن وقال مجاهد الجن والشياطين وقال ابن زيد قبيله نسله وقال ابن عباس رضى الله عنهما هو ولده وقوله (من حيث لا ترونهم) يعنى انتم يا بنى ادم قال العلماء رحمهم الله ان الله تعالى خلق فى عيون الجن ادراكا يرون بذلك الادراك الإنس ولم يخلق فى عيون الانس هذا الادراك فلم يروا الجن وقالت المعتزله الوجه فى ان الانس لا يرون الجن رقة أجسام الجن ولطافتها والوجه فى رؤية الجن للانس كثافة أجسام الانس والوجه فى رؤية الجن بعضهم بعضا ان الله تعالى قوى شعاع ابصار الجن وزاد فيها حتى يرى بعضهم بعضا ولو جعل فى ابصارنا هذه القوة لرايناهم ولكن لم يجعلها وحكى الواحدى وابن الجوزى عن ابن عباس رضى الله عنهما ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ان الشيطان يجرى من ابن ادم مجرى الدم وجعلت صدور بنى ادم مساكن لهم إلا من عصمه الله تعالى كما قال تعالى الذى يوسوس فى صدور الناس فهم يرون بنو ادم وبنو ادم لا يرونهم وكان مجاهد قال إبليس جعل لنا أربعة نرى ولا نرى ونخرج من تحت الثرى ويعود شيخنا فتى وقال مالك بن دينار رحمه الله تعالى ان عدوا يراك ولا تراه لشديد المؤنة إلا من عصمه الله تعالى (إنا جعلنا الشياطين أولياء) يعنى أعوانا وقرناء (للذين لا يؤمنون) قال الزجاج يعنى سلطانهم عليهم

(من حيث لا ترونهم) قال مالك بن دينار ان يراك ولا تراه لشديد المؤنة إلا من عصم الله (إنا جعلنا الشياطين أولياء) يزيدون قرناء وأعوانا (للذين لا يؤمنون) قال الزجاج سلطناهم عليهم يزيدون فى غيهم كما قال إنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم ازا

(وإذا فعلوا فاحشة) قال ابن عباس ومجاهد هي طوافهم بالبيت عراة وقال عطاء الشرك والفاحشة اسم لكل فعل قبيح بلغ النهاية في القبح (قالوا وجدنا عليها آباءنا) وفيه اضمار معناه وإذا فعلوا فاحشة فنهوا عنها قالوا وجدنا عليها آباءنا وإذا قيل ومن أين أخذا باؤكم قالوا (والله أمرنا بها قل إن الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله مالا تعلمون قل أمر ربي بالقسط) قال ابن عباس بلا إله إلا الله وقال الضحاك بالتوحيد وقال مجاهد والسدي بالعدل (وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد) قال مجاهد والسدي يعني توجهوا حيث ما كنتم في الصلاة إلى الكعبة وقال الضحاك إذا حضرت الصلاة وأنتم عند مسجد فصلوا فيه ولا يقولن أحدكم أصلي في مسجدي وقيل معناه اجعلوا سجودكم لله خالصا (وادعوه) واعبدوه (مخلصين له الدين) الطاعة والعبادة (كما بدأكم تعودون) قال ابن عباس، ان الله بدأ خلق بني آدم مؤمنا وكافرا كما قال هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن ثم يعيدهم يوم القيامة كما خلقهم مؤمنا وكافرا قال جابر يبعثون على ما ماتوا عليه

أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي حدثنا أبو سعيد محمد بن موسى الصيرفي أنبأنا محمد بن عبد الله الصفار حدثنا أحمد بن محمد بن عيسى البزي حدثنا أبو حذيفة حدثنا سفيان الثوري عن الأعمش عن أبي سفيان عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله ﷺ يبعث كل عبد على ما مات عليه المؤمن على إيمانه والكافر على كفره وقال أبو العالية عادوا على عليه فهم قال سعيد بن جبير كما كتب عليكم تكونون قال محمد بن كعب من ابتدأ الله خلقه على الشقاوة وصار إليها وان عمل أعمال اهل السعادة كما ان ابليس كان يعمل باعمال اهل السعادة ثم صار إلى الشقاوة ومن ابتداء خلقه على السعادة صار إليها وان عمل بعمل اهل الشقاوة وكما ان السحرة كانت تعمل بعمل اهل الشقاوة فصاروا إلى السعادة اخبرنا عبد الواحد المليحي انبأنا عبد الرحمن بن ابي شريح انبأنا ابو القاسم البغوي ثنا علي بن الجعد حدثنا ابو غسان عن ابي حازم قال سمعت سهل بن سعد يقول قال رسول الله ﷺ ان العبد يعمل فيما يرى الناس بعمل اهل الجنة وانه من اهل النار وان العبد ليعمل فيما يرى الناس بعمل اهل النار وانه من اهل الجنة وإنما الاعمال بالخواتيم وقال الحسن ومجاهد كما بدأكم وخلقكم في

يزيدون في غيهم * قوله عز وجل (وإذا فعلوا فاحشة) قال ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد هي طوافهم بالبيت عراة الرجال والنساء وقال عطاء هي الشرك والفاحشة اسم لكل فعل قبيح فيدخل فيه جميع المعاصي والكبائر فيمكن حملها على الاطلاق وإن كان السبب مخصوصا بما ورد من طوافهم عراة ولما كانت هذه الأفعال التي كان أهل الجاهلية يفعلونها ويعتقدون أنها طاعة وهي في نفسها فواحش ذمهم الله تعالى عليها ونهاهم عنها فاحتجاجا عن هذه الأفعال بما اخبر الله عنهم وهو قوله تعالى (قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها) فذكروا لأنفسهم عذرين أحدهما محض التقليد وهو قولهم وجدنا على هذا الفعل آباءنا وهذا التقليد باطل لأنه لا أصل له والعذر الثاني قولهم والله أمرنا بها وهذا العذر أيضا باطل وقد اجاب الله تعالى عنه بقوله (قل إن الله لا يأمر بالفحشاء) والمعنى أن هذه الأفعال التي كان اهل الجاهلية يفعلونها هي في نفسها قبيحة منكرة فكيف يأمر الله تعالى بها والله لا يأمر بالفحشاء بل يأمر بما فيه مصالح العباد ثم قال تعالى ردا عليهم (أتقولون على الله مالا تعلمون) يعني انكم سمعتم كلام الله تعالى ابتداء من غير واسطة ولا اخذتموه عن الأنبياء الذين هم وسائط بين الله تعالى وبين عباده في تبليغ اوامره ونواهيه واحكامه لأنكم تنكرون نبوة الأنبياء فكيف تقولون على الله مالا تعلمون * قوله تعالى (قل امر ربي بالقسط) اي قل يا محمد لهؤلاء الذين يقولون على الله مالا يعلمون امر ربي بالقسط يعني بالعدل وهذا قول مجاهد والسدي وقال ابن عباس رضي الله عنهما بلا إله إلا الله فالامر بالقسط في هذه الاية يشتمل على معرفة الله تعالى بذاته وصفاته وافعاله وانه واحد لا شريك له (واقيموا وجوهكم عند كل مسجد) * فان قلت قل امر ربي بالقسط خبر وقوله واقيموا وجوهكم عند كل مسجد امر وعطف الامر على الخبر لا يجوز فما معناه قلت فيه اضمار وحذف تقديره قل امر ربي بالقسط وقال واقيموا وجوهكم عند كل مسجد فحذف فقال لدلالة الكلام عليه ومعنى الاية في قول مجاهد والسدي وجهوا وجوهكم حيثما كنتم في الصلاة إلى الكعبة وقال الضحاك معناه إذا حضرت الصلاة وانتم عند المسجد فصلوا فيه ولا يقولن احدكم اصلي في مسجدي او في مسجد قومي وقيل معناه اجعلوا سجودكم لله خالصا (وادعوه مخلصين له الدين) اي واعبدوه مخلصين العباد والطاعة والدعاء لله عز وجل لا لغيره (كما بدأكم تعودون) قال ابن عباس رضي الله عنهما إن الله عز وجل بدا خلق بني آدم مؤمنا وكافرا كما قال تعالى هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن ثم يعيدهم يوم القيامة كما بدا خلقهم مؤمنا وكافرا وحجة هذا القول قوله في سياق الاية فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة فانه كالتفسير له ويدل على صحة ذلك ماروى عن جابر رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث كل عبد على ما مات عليه اخرجه مسلم زاد البغوي في روايته المؤمن على إيمانه والكافر على كفره وقال محمد بن كعب من ابتدا الله خلقه على الشقاوة صار إلى ما ابتدىء عليه خلقه وان عمل بأعمال اهل السعادة كما ان ابليس كان يعمل بعمل اهل السعادة ثم صار إلى الشقاوة ومن ابتدا خلقه على السعادة صار إليها وان عمل بأعمال اهل الشقاوة كما ان السحرة كانوا يعملون بعمل اهل الشقاوة ثم صاروا إلى السعادة ويصح هذا القول ماروى عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الرجل ليعمل الزمن الطويل بعمل اهل الجنة ثم يختم له عمله بعمل اهل النار وان الرجل ليعمل الزمن الطويل بعمل اهل النار ثم يختم له عمله بعمل اهل الجنة

أخرجه مسلم وقال الحسن ومجاهد فى معنى الاية كما بدأكم فخلقكم فى الدنيا ولم تكونوا شيئا فأحياكم ثم يميتكم كذلك تعودون أحياء يوم القيامة ويشهد لصحة هذا القول ماروى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قام فينا رسول الله ﷺ بموعظة فقال أيها الناس إنكم تحشرون إلى الله عز وجل حفاة عراة غرلا كما بدانا أول خلق نعيده وعدا علينا إنا كنا فاعلين أخرجه البخارى ومسلم * وقوله تعالى (فريقا هدى) يعنى هداهم إلى الإيمان به ومعرفته ووفقهم لطاعته وعبادته (وفريقا حق عليهم الضلالة) يعنى وخذل فريقا حتى وجبت عليهم الضلالة السابقة التى سبقت لهم فى الأزل بانهم أشقياء وفيه دليل على أن الهدى والضلالة من الله عز وجل ولما روى عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ ان الله خلق خلقه فى ظلمة فالقى عليهم من نوره فمن أصابه من ذلك النور اهتدى ومن أخطأه ضل أخرجه الترمذى * وقوله تعالى (انهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله) يعنى أن الفريق الذى حق عليهم الضلالة اتخذوا الشياطين نصراء وأعوانا أطاعوهم فيما امروهم به من الكفر والمعاصى والمعنى أن الداعى الذى دعاهم إلى الكفر والمعاصى هو انهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله لأن الشياطين لا يقدرون على إضلال احد * وقوله (ويحسبون انهم مهتدون)) يعنى أنهم مع ضلالتهم يظنون ويحسبون انهم على هداية وحق وفيه دليل على أن الكافر الذى يظن فى دينه على الحق والجاحد والمعاند فى الكفر سواء * قوله عز وجل (يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد) عن ابن عباس رضى الله عنهما قال كانت المرأة تطوف بالبيت وهى عريانة فتقول من يعيرنى تطوافا تجعله على فرجها وهى تقول اليوم يبدو بعضه أو كله * وما بدا منه فلا أحله فنزلت هذه الاية خذوا زينتكم عند كل مسجد أخرجه مسلم وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما قالوا كانوا يطوفون بالبيت عراة الرجال بالنهار والنساء بالليل وذكر الحديث زاد فى رواية أخرى عنه فامرهم الله تعالى ان يلبسوا ثيابهم ولا يتعروا وقال مجاهد كان حى من أهل اليمن كان أحدهم إذا قدم حاجا أو معتمرا يقول لا ينبغى لى أن اطوف فى ثوب قد عصيت فيه فيقول من يعيرنى منزرا فان قدر عليه وإلا طاف عريانا فانزل الله تعالى فيه ما تسمعون خذوا زينتكم عند كل مسجد وقال الزهرى ان العرب كانت تطوف بالبيت عراة إلا الحمس وهم قريش وأحلافهم فمن جاء من غير الحمس وضع ثيابه وطاف فى ثوب أحمسى ويرى أنه لا يحل له أن يلبس ثيابه فان لم يجد من يعيره من الحمس فانه يلقى ثيابه ويطوف عريانا وإن طاف فى ثياب نفسه ألقاها إذا قضى طوافه وحرمها أى جعلها حراما عليه فلذلك قال الله تعالى خذوا زينتكم عند كل مسجد والمراد من الزينة لبس الثياب التى تستر العورة قال مجاهد ما يوارى عوراتكم ولو عباءة وقال الكلبى الزينة ما يوارى العورة عند كل مسجد كطواف وصلاة وقوله تعالى خذوا زينتكم أمر وظاهره الوجوب وفيه دليل على أن ستر العورة واجب فى الصلاه والطواف وفى كل حال * وقوله تعالى (وكلوا واشربوا) قال الكلبى كانت بنو عامر لا يأكلون فى أيام حجهم إلا قوتا ولا يأكلون دسما يعظمون بذلك حجهم فقال المسلمون نحن أحق أن نفعل ذلك يا رسول الله فأنزل الله عز وجل وكلوا واشربوا يعنى الدسم واللحم (ولا تسرفوا) يعنى بتحريم ما لم يحرمه الله من اكل اللحم والدسم قال ابن عباس رضى الله عنهما كل ما شئت واشرب ما شئت والبس ما شئت ما أخطأتك خصلتان سرف ومخيلة وقال على بن الحسين بن واقد قد جمع الله الطب كله فى نصف اية فقال وكلوا واشربوا ولا تسرفوا وفى الاية دليل على أن جميع المطعومات والمشروبات حلال إلا ما خصه الشرع دليل فى التحريم لأن الاصل فى جميع الاشياء الإباحة إلا ما حظره الشارع وثبت تحريمه بدليل منفصل (إنه لا يحب المسرفين) يعنى ان الله تعالى لا يحب من إسراف المأكول والمشروب والملبوس وفى هذه الاية وعيد وتهديد لمن اسرف فى هذه الأشياء لان محبة الله تعالى دليل عن رضاه عن العبد وإيصال الثواب إليه وإذا لم يحبه علم انه تعالى ليس هو أرض عنه فدلت الاية على الوعيد الشديد فى الإسراف قوله تعالى (قل من حرم زينة الله التى اخرج لعباده) يعنى قل يا محمد لهؤلاء الجهلة من العرب الذين يطوفون بالبيت عراة من حرم عليكم زينة الله

فنظيره قوله تعالى منها خلقناكم وفيها نعيدكم قوله عز وجل (فريقا هدى) اى هداهم الله (وفريقا حق) وجب (عليهم الضلالة) اى بالإرادة السابقة (انهم اتخذوا الشياطين اولياء من دون الله ويحسبون انهم مهتدون) فيه دليل على ان الكافر الذى يظن انه فى دينه على الحق والجاحد والمعاند سواء قوله تعالى (يا بنى ادم خذوا زينتكم عند كل مسجد) قال اهل التفسير كانت بنو عامر يطوفون بالبيت عراة فأنزل الله عز وجل يا بنى ادم خذوا زينتكم عند كل مسجد يعنى الثياب قال مجاهد ما يوارى عورتك ولو عباءة قال الكلبى الزينة ما يوارى العورة عند كل مسجد لطواف وصلاة (وكلوا واشربوا) قال الكلبى كانت بنو عامر لا يأكلون فى ايام حجهم من الطعام إلا قوتا ولا يأكلون دسما يعظمون بذلك حجهم فقال المسلمون نحن احق ان نفعل ذلك يا رسول الله فانزل الله عز وجل وكلوا يعنى اللحم والدسم واشربوا (ولا تسرفوا) بتحريم ما احل الله لكم من اللحم والدسم (إنه لا يحب المسرفين) الذين يفعلون ذلك قال ابن عباس كل ما شئت والبس ما شئت ما اخطأتك خصلتان سرف ومخيلة قال على بن الحسين بن واقد جمع الله الطب كله فى نصف اية فقال كلوا واشربوا قوله عز وجل (قل من حرم زينة الله التى اخرج لعباده) يعنى ليس

التى خلقها لعباده أن تتزينوا بها وتلبسوها فى الطواف وغيره ثم فى تفسير الزينة قولان أحدهما وهو قول جمهور البصريين أن المراد من الزينة هنا اللباس الذى يستر العورة والقول الثانى ذكر الامام فخر الدين الرازى انه يتناول جميع أنواع الزينة فيدخل تحته جميع انواع الملبوس والحلى ولولا ان النص ورد بتحريم استعمال الذهب والحرير على الرجال لدخلا فى هذا العموم ولكن النص ورد بتحريم استعمال الذهب والحرير على الرجال دون النساء (والطيبات من الرزق) يعنى ومن حرم الطيبات من الرزق التى أخرجها الله لعباده وخلقها لهم ثم ذكروا فى معنى الطيبات فى هذه الاية أقوالا أحدها أن المراد بالطيبات اللحم والدسم الذى كانوا يحرمونه على أنفسهم ايام الحج يعظمون بذلك حجهم فرد الله تعالى به وله قل من حرم زينة الله التى اخرج لعباده والطيبات من الرزق والقول الثانى وهو قول ابن عباس رضى الله تعالى عنهما وقتادة ان المراد بذلك ما كان اهل الجاهلية يحرمونه من البحائر والسوائب قال ابن عباس رضى الله عنهما ان اهل الجاهلية كانوا يحرمون اشياء احلها الله تعالى من الرزق وغيرها وهو قول الله تعالى قل ارايتم ما انزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا وهو هذا وانزل الله قل من حرم زينة الله التى اخرج لعباده والطيبات من الرزق والقول الثالث أن الاية على العموم فيدخل تحته كل ما يستلذ ويشتهى من سائر المطعومات إلا ما نهى عنه وورد نص بتحريمه (قل هو للذين آمنوا) يعنى قل يا محمد أن الطيبات التى اخرج الله من رزقه للذين آمنوا (فى الحياة الدنيا) غير خالصة لهم لانه يشركهم فيها المشركون (خالصة) لهم (يوم القيامة) يعنى لا يشركهم فيها احد لانه لا حظ للمشركين يوم القيامة فى الطيبات من الرزق وقيل خالصة لهم يوم القيامة من التكدير والتنغيص والغم لانه قد يقع لهم فى الحياة الدنيا فى تناول الطيبات من الرزق كدر وتنغيص فاعلمهم انها خالصة لهم فى الاخرة من ذلك كله (كذلك نفصل الايات لقوم يعلمون يعنى كذلك نبين الحلال مما احللت والحرام مما حرمت لقوم علموا انى انا الله وحدى لا شريك لى فاحلوا حلالى وحرموا حرامى * قوله عز وجل (قل إنما حرم ربى الفواحش) جمع فاحشة وهى ما قبح وفحش من قول او فعل والمعنى قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين يتجردون من الثياب ويطوفون بالبيت عراة ويحرمون اكل الطيبات مما احل الله لهم ان الله لم يحرم ما تحرمونه انتم بل احله الله لعباده وطيبه لهم وإنما حرم ربى الفواحش من الأفعال والأقوال (ما ظهر منها وما بطن) يعنى علانيته وسره (ق) عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه ان رسول الله ﷺ قال لا احد اغير من الله من اجل ذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا احد احب اليه المدح من الله من اجل ذلك مدح نفسه اصل الغيرة ثوران القلب وهيجان الحفيظة بسبب المشاركة فيما يختص به الإنسان ومنه غيرة احد الزوجين على الاخر لاختصاص كل واحد منهما بصاحبه ولا يرضى ان يشاركه احد فيه فلذلك يذب عنه ويمنعه من غيره واما الغيرة فى وصف الله تعالى فهو منعه من ذلك وتحريمه له ويدل على ذلك قوله ومن غيرته حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن وقد يحتمل ان تكون غيرته تغيير حال فاعل ذلك بعقاب والله اعلم * قوله تعالى (والاثم) يعنى وحرم الاثم واختلفوا فى الفرق بين الفاحشة والاثم فقيل الفواحش الكبائر لانه قد تفاحش قبحها وتزايد والاثم عبارة عن الصغائر من الذنوب فعلى هذا يكون معنى الاية قل إنما حرم ربى الكبائر والصغائر وقيل الفاحشة اسم لما يجب فيه الحد من الذنوب والاثم قسم لما لا يجب فيه الحد وهذا القول قريب من الأول واعتراض على هذين القولين بأن الاثم فى اصل اللغة الذنب فيدخل فيه الكبائر والصغائر وقيل ان الفاحشة اسم للكبيرة والاثم اسم لمطلق الذنب سواء كان كبيرا او صغيرا والفائدة فيه ان يقال لما حرم الله الكبيرة بقوله قل إنما حرم ربى الفواحش اردفه بتحريم مطلق الذنب لئلا يتوهم متوهم ان التحريم مقصور على الكبائر فقط وقيل ان الفاحشة وان كانت بحسب اللغة اسم لكل ما تفاحش من قول او فعل لكنه قد صار فى العرف مخصوصا بالزنا لانه إذا اطلق لفظ الفاحشة لم يفهم منه إلا ذاك فوجب حمل لفظ الفاحشة على الزنا واما الاثم فقد قيل انه اسم من اسماء الخمر وهو قول الحسن وعطاء قال الجوهرى وقد تسمى الخمر إثما واستدل عليه بقول الشاعر

ماحرم أهل الجاهلية من البحائر والسوائب (قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة) فيه حذف تقديره هى للذين آمنوا وللمشركين فى الحياة الدنيا فان أهل الشرك يشاركون المؤمنين فى طيبات الدنيا وهى فى الاخرة خالصة للمؤمنين لا حظ للمشركين فيها وقيل هى خالصة يوم القيامة من تنغيص والغم للمؤمنين فانها لهم فى الدنيا مع التنغيص والغم قرا نافع خالصة يوم القيامة وقرأ الاخرون بالنصب على القطع (كذلك نفصل الايات لقوم يعلمون قل إنما حرم ربى الفواحش ماظهر منها وما بطن) يعنى الطواف عراة ما ظهر طواف الرجال بالنهار وما بطن طواف النساء بالليل وقيل هو الزنا سرا وعلانية أخبرنا عبد الواحد ابن أحمد المليحى انبانا أحمد ابن عبد الله النعيمى انبانا محمد بن يوسف حدثنا محمد ابن اسمعيل حدثنا سليمان بن حرب حدثنا شعبة عن عمرو بن مرة عن ابى وائل عن عبد الله قال قلت أنت سمعت هذا من عبد الله قال مم رفعه قال لا أحد اغير من الله فلذلك حرم الفواحش ماظهر منها وما بطن ولا أحد أحب اليه المدحة من الله فلذلك مدح نفسه قوله عز وجل (والاثم) يعنى الذنب والمعصية وقال الضحاك الذنب الذى لا حد فيه قال

شربت الاثم حتى ضل عقلى * كذاك الاثم يذهب بالعقول

وقال ابن سيده صاحب المحكم وعندى ان تسميه الخمر بالاثم صحيح لأن شربها اثم وبهذا المعنى يظهر الفرق بين اللفظين وأنكر أبو بكر بن الأنبارى تسمية الخمر بالاثم قال لأن العرب ماسمته اثما قط فى جاهلية ولا فى إسلام ولكن قد يكون الخمر داخلا تحت الاثم لقوله قل فيهما اثم كبير * وقوله تعالى (والبغى) أى وحرم البغى (بغير الحق) والبغى هو الظلم والكبر والاستطاله على الناس ومجاوزة الحد فى ذلك كله ومعنى البغى بغير الحق وهو أن يطلب ما ليس له بحق فاذا طلب ماله بحق خرج من أن يكون بغيا (وان تشركوا) أى وحرم أن تشركوا (بالله ما لم ينزل به سلطانا) هذا فيه تهكم بالمشركين والكفار لأنه لا يجوز أن ينزل حجة وبرهانا بأن يشرك به غيره لأن الاقرار بشىء ليس على ثبوته حجة ولا برهانا ممتنع فلما امتنع حصول الحجة والبينة على صحة القول بالشرك وجب أن يكون باطلا على الاطلاق * فان قلت البغى والاشراك داخلان تحت الفاحشة والاثم لأن الشرك من أعظم الفواحش وأعظم الاثم وكذا البغى أيضا من الفواحش والاثم * قلت إنما أفردهما بالذكر للتنبيه على عظم قبحهما كانه قال من الفواحش المحرمة البغى والشرك فكانه بين جمله ثم تفصيله وقوله (وأن تقولوا على الله مالا تعلمون) تقدم تفسيره * قوله تعالى (ولكل أمة أجل) الأجل الوقت المؤقت لانقضاء وقت المهلة ثم فى هذا الأجل المذكور فى الآية قولان أحدهما أنه أجل العذاب والمعنى أن لكل أمة كذبت رسلها وقتا معينا وأجلا مسمى أمهلهم الله إلى ذلك الوقت (فاذا جاء أجلهم) يعنى إذا حل وقت عذابهم (لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون) يعنى فلا يؤخرون ولا يمهلون قدر ساعة ولا أقل من ساعة وإنما ذكرت الساعة لأنها أقل أسماء الوقت فى العرف وهذا حين سألوا انزول العذاب فأخبرهم الله تعالى إن لهم وقتا إذا جاء ذلك الوقت وهو وقت أهلاكهم واستئصالهم فلا يؤخرون عنه ساعة ولا يستقدمون والقول الثانى أن المراد بهذا الأجل هو أجل الحياة والعمر فاذا انقضى ذلك الأجل وحضر الموت فلا يؤخر ساعة ولا يقدم ساعة وعلى هذا القول يلزم أن يكون لكل واحد أجل لا يقع فيه تقديم ولا تأخير وإنما قال تعالى لكل أمة لتقارب أعمار أهل كل عصر فكانهم كالواحد فى مقدار العمر وعلى هذا القول أيضا يكون المقتول ميتا بأجله خلافا لمن يقول القاتل قطع عليه أجله * قوله عز وجل (يا بنى آدم يأتينكم رسل منكم) هى أن الشرطية ضمت إليها ما مؤكدة لمعنى الشرط وجزاء هذا الشرط هو الفاء وما بعده من الشرط والجزاء وهو قوله فمن اتقى واصلح يعنى منكم وإنما قال رسل بلفظ الجمع وإن كان المراد به واحدا وهو النبى ﷺ لأنه خاتم الأنبياء وهو مرسل إلى كافة الخلق فذكره بلفظ الجمع على سبيل التعظيم فعلى هذا يكون الخطاب فى قوله يا بنى آدم لأهل مكة ومن يلحق بهم وقيل أراد جميع الرسل وعلى هذا فالخطاب فى قوله يا بنى آدم عام فى كل بنى آدم وإنما قال منكم يعنى من جنسكم ومثلكم من بنى آدم لأن الرسول إذا كان من جنسهم كان أقطع لعذرهم وأثبت للحجة عليهم لأنهم يعرفونه ويعرفون أحواله فاذا أتاهم بما يليق بقدرته أو بقدرة أمثاله علم أن ذلك الذى أتى به معجزة له وحجة على من خالفه (يقصون عليكم آياتى) يعنى يقرؤن عليكم كتابى وأدلة أحكامى وشرائعى التى شرعت لعبادى (فمن اتقى) يعنى فمن اتقى الشرك ومخالفة رسلى (وأصلح) يعنى العمل الذى أمرته به رسلى فعمل بطاعتى وتجنب معصيتى ومانهيته عنه (فلا خوف عليهم) يعنى حين يخاف غيرهم يوم القيامة من العذاب (ولا هم يحزنون) يعنى على ما فاتهم من دنياهم التى تركوها (والذين كذبوا بآياتنا) يعنى ومن جحدوا آياتنا وكذبوا رسلنا (واستكبروا عنها) يعنى واستكبروا عن الايمان بها وما جاءت به رسلنا (أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) يعنى لا يخرجون منها أبدا * قوله تعالى (فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا) يعنى أن اعظم ظلما ممن يقول على الله ما لم يقله او يجعل له شريكا من خلقه وهو منزه عن الشريك والولد (او كذب بآياته) يعنى أو كذب بالقرآن الذى انزله على عبده ورسوله محمد ﷺ (اولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب) يعنى ينالهم حظهم مما قدر لهم وكتب فى اللوح والمحفوظ واختلفوا فى ذلك النصيب على

تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا) حجة وبرهانا (وان تقولوا على الله مالا تعلمون) فى تحريم الحرث والأنعام فى قول مقاتل وقال غيره هو عام فى تحريم القول فى الدين من غير يقين (ولكل امة اجل) مدة واكل وشرب وقال ابن عباس وعطاء والحسن يعنى وقتا لنزول العذاب بهم (فاذا جاء اجلهم) وانقطع أكلهم (لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون) اى لا يتقدمو وذلك حين سألوا العذاب فانزل الله هذه الاية قوله تعالى (يا بنى آدم إما يأتينكم رسل منكم) اى ان يأتكم قيل اراد جميع الرسل وقال مقاتل اراد بقوله يا بنى آدم مشركى العرب وبالرسل محمدا ﷺ وحده (يقصون عليكم آياتى) قال ابن عباس فرائضى واحكامى (فمن اتقى واصلح) اى اتقى الشرك واصلح عمله وقيل اخلص مابينه وبين ربه (فلا خوف عليهم) اذا خاف الناس (ولا هم يحزنون) اى اذا حزنوا (والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها) تكبروا عن الايمان بها ذكر الاستكبار لأن كل مكذب وكافر متكبر قال الله تعالى انهم كانوا اذا قيل لهم لااله الا الله يستكبرون

(اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون) قوله تعالى (فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا) جعل له شريكا (او كذب بآياته) القران (اولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب) نصيبهم اى حظهم مما كتب لهم فى اللوح المحفوظ واختلفوا فيه قال الحسن والسدى

ما كتب لهم من العذاب وقضى عليهم من سواد الوجوه وزرقة العيون قال عطية عن ابن عباس كتب لمن يفترى على الله ان وجهه مسود قال الله تعالى ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة وقال سعيد بن جبير ومجاهد ماسبق لهم من الشقاوة والسعادة

قولين أحدهما أن المراد به هو العذاب المعين لهم فى الكتاب ثم اختلفوا فيه فقال الحسن والسدى ما كتب لهم من العذاب وقضى عليهم من سواد الوجوه وزرقة العيون وقال ابن عباس فى رواية عنه كتب لمن يفترى على الله كذباً ان وجهه أسود وقال الزجاج هو المذكور فى قوله فأنذرتكم نارا تلظى وفى قوله إذا الأغلال فى أعناقهم فهذه الأشياء هى نصيبهم من الكتاب على قدر ذنوبهم فى كفرهم والقول الثانى أن المراد بالنصب المذكور فى الكتاب هو شىء سوى العذاب ثم اختلفوا فيه فقال ابن عباس رضى الله عنهما فى رواية أخرى عنه وعن مجاهد وسعيد بن جبير وعطية فى قوله ينالهم نصيبهم من الكتاب قالوا هو السعادة والشقاوة وقال ابن عباس ما كتب عليهم من الأعمال وقال فى رواية أخرى عنه من عمل خيراً جوزى به ومن عمل شراً جوزى به وقال قتادة جزاء أعمالهم التى عملوها وقيل معنى ذلك ينالهم نصيبهم مما وعدوا فى الكتاب من خير أو شر قاله مجاهد والضحاك وهو رواية عن ابن عباس رضى الله عنهما أيضاً وقال الربيع بن أنس ينالهم ما كتب لهم فى الكتاب من الرزق وقال محمد بن كعب القرظى عمله ورزقه وعمره وقال ابن زيد ينالهم نصيبهم من الكتاب من الأعمال والأرزاق والأعمار فاذا فرغ هذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم وصحح الطبرى هذا القول الآخر وقال لأن الله تعالى اتبع ذلك بقوله حتى إذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم فأبان أن الذى ينالهم هو ما قدر لهم فى الدنيا فاذا فرغ توفتهم رسل ربهم قال الإمام فخر الدين رحمه الله تعالى وإنما حصل الإختلاف لإن لفظ النصيب محتمل لكل الوجوه وقال بعض المحققين حمله على العمر والرزق أولى لأنه تعالى بين أنهم وإن بلغوا فى الكفر ذلك المبلغ العظيم فانه ليس بمانع أن ينالهم ما كتب لهم من رزق وعمر تفضلا من الله سبحانه وتعالى لكى يصلحوا ويتوبوا * قوله تعالى (حتى إذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم) يعنى إذا جاءت هؤلاء الذين يفترون على الله الكذب رسلنا يعنى ملك الموت وأعوانه لقبض أرواحهم عند استكمال أعمارهم وأرزاقهم لأن لفظ الوفاة يفيد هذا المعنى (قالوا) يعنى قال الرسل وهم الملائكة للكفار (أينما كنتم تدعون من دون الله) وهذا سؤال توبيخ وتقريع وتبكيت لا سؤال استعلام والمعنى أين الذين كنتم تعبدونهم من دون الله ادعوهم ليدفعوا عنكم ما نزل بكم وقيل ان هذا يكون فى الاخرة والمعنى حتى إذا جاءتهم رسلنا يعنى ملائكة العذاب يتوفونهم يعنى يستوفون عددهم عند حشرهم إلى النار قالوا أينما كنتم تدعون يعنى شركاء وأولياء تعبدونهم من دون الله فادعوهم ليدفعوا عنكم ما جاءكم من أمر الله (قالوا) يعنى الكفار مجيبين للرسل (ضلوا عنا) يعنى بطلوا وذهبوا عنا وتركونا عند حاجتنا اليهم فلم ينفعونا (وشهدوا على أنفسهم كانوا كافرين) يقول الله تعالى وشهد هؤلاء الكفار عند معنة العذاب أنهم كانوا جاحدين وحدانية الله واعترفوا على أنفسهم بذلك * قوله عز وجل (قال ادخلوا فى أمم قد خلت من قبلكم من الجن والانس) يقول عز وجل يوم القيامة لمن افترى عليه الكذب وجعل له شريكا من خلقه ادخلوا فى أمم يعنى فى جملة أمم قد خلت يعنى قد مضت وسلفت وإنما قال قد خلت ولم يقل قد خلوا لانه أطلق الضمير على الجماعة يعنى فى جملة جماعة قد خلت من قبلكم يعنى من الجن والإنس (فى النار) أى ادخلوا جميعاً فى النار التى هى مستقركم ومأواكم وإنما عنى بالامم الجماعات والاحزاب وأهل الملل الكافرة من الجن والانس (كلما دخلت أمة) يعنى كلما دخلت جماعة النار (لعنت أختها) يعنى كلما دخلت أمة النار لعنت أختها من أهل ملتها فى الدين لا فى النسب قال السدى كلما دخلت أهل ملة النار لعنوا أصحابهم على ذلك الدين فيلعن المشركون المشركون واليهود اليهود والنصارى النصارى والصابئون الصابئين والمجوس المجوس تلعن الاخرة الاولى (حتى إذا أدركوا) يعنى تداركوا وتلاحقوا (فيها جميعاً) يعنى تلاحقوا واجتمعوا فى النار جميعاً وأدرك بعضهم بعضاً واستقروا فى النار (قالت أخراهم لاولاهم) قال ابن عباس رضى الله عنهما يعنى قال آخر كل أمة لاولها وقال السدى قالت أخراهم لاولادهم

وقال ابن عباس وقتادة والضحاك يعنى أعمالهم التى عملوها وكتب عليهم من خير وشر يجرى عليها وقال محمد ابن كعب القرظى ما كتب لهم من الارزاق والاعمال فاذا فنيت (حتى إذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم) يقبضون أرواحهم يعنى ملك الموت وأعوانه (قالوا) يعنى يقول الرسل للكفار (أينما كنتم تدعون) تعبدون (من دون الله) سؤال تبكيت وتقريع (قالوا ضلوا عنا) بطلوا وذهبوا عنا (وشهدوا على أنفسهم) اعترفوا عند معاينة الموت (أنهم كانوا كافرين قال ادخلوا فى أمم) يعنى يقول الله لهم يوم القيامة ادخلوا فى أمم أى مع جماعات (قد خلت) مضت (من قبلكم من الجن والانس فى النار) يعنى كفار الأمم الخالية (كلما دخلت أمة لعنت أختها) يريد أختها فى الدين لا فى النسب فلتعن اليهود اليهود والنصارى النصارى وكل فرقة تلعن أختها ويلعن الاتباع القادة ولم يقل أخاها لأنه عنى الأمة والجماعة (حتى إذا أدركوا فيها) أى تداركوا وتلاحقوا واجتمعوا فى النار (جميعاً قالت أخراهم) قال مقاتل يعنى أخراهم دخولا النار وهم الاتباع (لاولادهم) أى لاولادهم دخولا وهم القادة لان القادة يدخلون النار أولا وقال ابن عباس يعنى آخر كل أمة لاولادها وقال السدى أهل الزمان لاولادهم الذين شرعوا لهم ذلك الدين

(ربنا هؤلاء) الذين (أضلونا) عن الهدى يعنى القادة (فآتهم عذابا ضعفا من النار) اى ضعف عليهم العذاب (قال) الله تعالى (لكل ضعف) يعنى للقادة والاتباع ضعف من العذاب (ولكن لا تعلمون) ما لكل فريق منكم من العذاب وقرأ ابو بكر لا يعلمون بالياء اى لا يعلم الاتباع ما للقادة ولا القادة ما للاتباع (وقالت اولاهم) يعنى القادة (لاخراهم) للاتباع (فما كان لكم علينا من فضل) لانكم كفرتم كما كفرنا فنحن وانتم فى الكفر سواء وفى العذاب سواء (فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون إن الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها) لا تفتح بالتاء خفف أبو عمرو وبالياء خفف حمزة والكسائى والباقون بالتاء والتشديد (لهم أبواب السماء) لادعيتهم ولا لأعمالهم وقال ابن عباس لأرواحهم لانها خبيثة لا يصعد بها بل يهوى بها الى سجين إنما تفتح أبواب السماء لارواح المؤمنين وأدعيتهم وأعمالهم (ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط) أى حتى يدخل البعير فى ثقب الابرة والخياط والمخيط واحد وهو الابرة والمراد منه أنهم لا يدخلون الجنة أبدا لأن الشىء إذا علق بما يستحيل كونه دل ذلك على تأكيد المنع كما يقال لا أفعل ذلك حتى يشيب الغراب أو يبيض القار يريد لا أفعله أبدا

الذين كانوا فى آخر الزمان لاولادهم الذين شرعوا لهم ذلك الدين وقال مقاتل يعنى قال آخرهم دخولا النار وهم الاتباع لاولادهم دخولا وهم القادة لان القادة يدخلون النار أولا (ربنا هؤلاء أضلونا) يعنى تقول الاتباع ربنا هؤلاء القادة والرؤساء أضلونا عن الهدى وزينوا لنا طاعة الشيطان وقيل إنما قال المتأخرون ذلك لانهم كانوا يعتقدون تعظيم المتقدمين من أسلافهم فسلكوا سبيلهم فى الضلالة واتبعوا طريقهم فيما كانوا عليه من الكفر والضلالة فلما كان يوم القيامة وتبين لهم فساد ما كانوا عليه قالوا ربنا هؤلاء أضلونا لانا اتبعنا سبيلهم (فآتهم عذابا ضعفا من النار) أى أضعف عليهم العذاب قال ابو عبيدة الضعف هو مثل الشىء مرة واحدة قال الازهرى والذى قاله أبو عبيدة هو ما يستعمله الناس فى مجاز كلامهم واما كتاب الله فهو عربى مبين فيرد تفسيره إلى موضع كلام العرب والضعف فى كلامهم ما زاد وليس بمقصور على مثلين وجائز فى كلام العرب هذا ضعفه أى مثلاه وثلاثة أمثاله لان الضعف فى الاصل زيادة غير محصورة وأولى الاشياء به ان يجعل عشرة امثاله فأقل الضعف محصور وهو المثل واكثره غير محصور وقال الزجاج فى تفسير هذه الاية فآتهم عذابا ضعفا اى مضاعفا لان الضعف فى كلام العرب على ضربين احدهما المثل الاخر ان يكون فى معنى تضعيف الشىء اى زيادته (قال) يعنى قال الله تعالى (لكل ضعف) يعنى لاولادكم ضعف ولاخراكم ضعف وقيل معناه للتابع ضعف وللمتبوع ضعف لانهم قد دخلوا فى الكفر جميعا (ولكن لا تعلمون) يعنى ما اعد لكل فريق من العذاب وقرىء بالياء ومعناه ولكن لا يعلم كل فريق ما اعد الله تعالى من العذاب للفريق الاخر (وقالت اولاهم) يعنى فى الكفر وهم القادة (لاخراهم) يعنى الاتباع (فما كان لكم علينا من فضل) يعنى قد ضللتم كما ضللنا وكفرتم كما كفرنا وقيل فى معنى الاية وقالت كل امة سلفت فى الدنيا الاخراها الذين جاؤا من بعدهم فسلكوا سبيل من مضى قبلهم فما كان لكم علينا من فضل وقد علمتم ما حل بنا من عقوبة الله بسبب كفرنا ومعصيتنا إياه وجاءتكم بذلك الرسل والنذر فما رجعتم عن ضلالتكم وكفركم (فذوقوا العذاب) وهذا يحتمل ان يكون من قول القادة للاتباع والامة الأولى للاخرى التى بعدها ويحتمل أن يكون من قول الله تعالى يعنى يقول الله للجميع فذوقوا العذاب (بما كنتم تكسبون) يعنى بسبب ما كنتم تكسبون من الكفر والأعمال الخبيثة * قوله عز وجل (إن الذين كذبوا بآياتنا) يعنى كذبوا بدلائل التوحيد فلم يصدقوا بها ولم يتبعوا رسلنا (واستكبروا عنها) أى وتكبروا عن الايمان بها والتصديق لها وأنفوا عن اتباعها والانقياد لها والعمل بمقتضاها تكبرا (لا تفتح لهم أبواب السماء) يعنى لا تفتح لأرواحهم إذا خرجت من أجسادهم ولا يصعد لهم إلى الله عز وجل فى وقت حياتهم قول ولا عمل لأن أرواحهم واقوالهم وأعمالهم كلها خبيثة وإنما يصعد إلى الله تعالى الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه قال ابن عباس رضى الله عنهما لا تفتح أبواب السماء لأرواح الكفار وتفتح لأرواح المؤمنين وفى رواية عن ابن عباس رضى الله عنهما أيضا قال لا يصعد لهم قول ولا عمل وقال ابن جريج لا تفتح أبواب السماء لأعمالهم ولا لأرواحهم وروى الطبرى بسنده عن البراء بن عازب أن رسول الله ﷺ ذكر قبض روح الفاجر وأنه يصعد بها إلى السماء قال فيصعدون بها فلا يمرون على ملأ من الملائكة إلا قالوا وما هذه الروح الخبيثة قال فيقولون فلان بأقبح أسمائه التى يدعى بها فى الدنيا حتى ينتهوا بها إلى السماء فيستفتحون له فلا يفتح له ثم قرأ رسول الله ﷺ لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط وقيل فى معنى الآية لا تنزل عليهم البركة والخير لأن ذلك لا ينزل إلا من السماء فاذا لم تفتح لهم أبواب السماء فلا ينزل عليهم من البركة والخير والرحمة شىء * وقوله تعالى (ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط) والولوج الدخول والجمل معروف وهو الذكر من الابل وسم الخياط ثقب الأبرة قال الفراء الخياط والمخيط ما يخاط به والمراد به الأبرة فى هذه الاية وإنما خص الجمل بالذكر من بين سائر الحيوانات لأنه أكبر من سائر الحيوانات جسما عند العرب قال الشاعر * جسم الجمال وأحلام العصافير * وصف من هجاه بهذا بعظم الجسم مع صغر العقل فجسم الجمل من أعظم

الاجسام وثقب الابرة من أضيق المنافذ فكان ولوج الجمل مع عظم جسمه فى ثقب الابرة الضيق محالا فكذلك دخول الكفار الجنة محال ولما وصف الله دخول الجنة على حصول هذا الشرط وكان وقوع هذا الشرط محالا ثبت أن الموقوف على المحال محال فوجب بهذا الاعتبار ان دخول الكفار الجنة مأيوس منه قطعا وقال بعض أهل المعانى لما علق الله تعالى دخولهم الجنة بولوج الجمل فى سم الخياط وهو خرق الابرة كان ذلك نفيا لدخولهم الجنة على التأبيد وذلك لأن العرب إذا علقت مايجوز كونه بما لايجوز كونه استحال كون ذلك الجائز وهذا كقولك لا آتيك حتى يشيب الغراب ويبيض القار ومنه قول الشاعر

إذا شاب الغراب اتيت أهلى * وصار القار كاللبن الحليب

* قوله تعالى (وكذلك نجزى المجرمين) أى ومثل الذى وصفنا نجزى المجرمين يعنى الكافرين لأنه تقدم من صفتهم أنهم كذبوا بآيات الله واستكبروا عنها وهذه صفة الكفار فوجب حمل لفظ المجرمين على أنهم الكفار ولما بين الله عز وجل ان الكفار لايدخلون الجنة أبدا بين انهم من اهل النار ووصف ماأعد لهم فيها فقال تعالى (لهم من جهنم مهاد) يعنى لهم من نار جهنم فراش وأصل المهاد المتمهد الذى يقعد عليه ويضطجع عليه كالفراش والبساط (ومن فوقهم غواش) جمع غاشية وهى الغطاء كاللحاف ونحوه ومعنى الاية أن النار محيطة بهم من تحتهم ومن فوقهم قال محمد بن كعب القرظى والضحاك والسدى المهاد الفراش والغواشى اللحف (وكذلك نجزى الظالمين) يعنى وكذلك نكافىء ونجازى المشركين الذين وضعوا العبادة فى غير موضعها * قوله عز وجل (والذين آمنوا وعملوا الصالحات لانكلف نفسا إلا وسعها) لما ذكر الله تعالى وعيد الكافرين وما أعد لهم فى الاخرة اتبعه بذكر وعد المؤمنين وما أعد لهم فى الاخرة فقال والذين آمنوا وعملوا الصالحات يعنى والذين صدقوا الله ورسوله واقروا بماجاءهم به من وحى الله اليه وتنزيله عليه من شرائع دينه وعملوا بما أمرهم به واطاعوه فى ذلك وتجنبوا مانهاهم عنه لانكلف نفسا إلا وسعها يعنى لانكلف نفسا إلا مايسعها من الأعمال ومايسهل عليها ويدخل فى طوقها وقدرتها ومالاحرج فيه عليها ولاضيق قال الزجاج الوسع مايقدر عليه وقال مجاهد معناه إلا ماافترض عليها يعنى الذى افترض عليها من وسعها الذى تقدر عليه ولاتعجز عنه وقد غلط من قال ان الوسع بذل المجهود قال اكثر أصحاب المعانى ان قوله تعالى لانكلف نفسا إلا وسعها اعتراض وقع بين المبتدأ والخبر والتقدير والذين آمنوا وعملوا الصالحات (أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون) لانكلف نفسا إلا وسعها وإنما حسن وقوع هذا الكلام بين المبتدأ والخبر لأنه من جنس هذا الكلام لأنه تعالى لما ذكر عملهم الصالح ذكر ان ذلك العمل من وسعهم وطاقتهم وغير خارج عن قدرتهم وفيه تنبيه للكفار على ان الجنة مع عظم قدرها ومحلها يتوصل اليها بالعمل الصالح السهل من غير تحمل كلفة ولامشقة صعبة وقال قوم من أصحاب المعانى هو من تمام الخبر موضعه رفع والعائد محذوف كانه قال لانكلف نفسا منهم إلا وسعها فحذف العائد للعلم به * قوله تعالى (ونزعنا مافى صدورهم من غل) يعنى وقلعنا واخرجنا مافى صدور المؤمنين من غش وحسد وحقد وعداوة كانت بينهم فى الدنيا ومعنى الاية ازلنا تلك الأحقاد التى كانت لبعضهم على بعض فى الدنيا فجعلناهم اخوانا على سرر متقابلين لايحسد بعضهم بعضا على شىء خص الله به بعضهم دون بعض ومعنى نزع الغل تصفية الطباع وإسقاط الوساوس ودفعها عن ان ترد على القلب روى عن على رضى الله عنه قال فينا والله أهل بدر نزلت ونزعنا مافى صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين وروى عنه أيضا أنه قال إنى لأرجو ان أكون انا وعثمان وطلحة والزبير من الذين قال الله تعالى فيهم ونزعنا مافى صدورهم من غل وقيل ان الحسد والغل يزول بدخولهم الجنة (خ) عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يخلص المؤمنون من النار فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم فى الدنيا حتى إذاهذبوا ونقوا اذن الله لهم فى دخول الجنة فوالذى نفس محمد بيده لأحدهم اهدى بمنزله فى الجنة منه بمنزله فى الدنيا وقال السدى فى هذه الاية ان

(وكذلك نجزى المجرمين لهم من جهنم مهاد) أى فراش (ومن فوقهم غواش) أى لحف وهى جمع غاشية يعنى ماغشاهم وغطاهم يريد إحاطة النار بهم من كل جانب كما قال الله لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل (وكذلك نجزى الظالمين والذين آمنوا وعملوا الصالحات لانكلف نفسا إلا وسعها أى طاقتها ومالا تحرج فيه ولا تضيق عليه (أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون ونزعنا) أخرجنا (مافى صدورهم من غل) من غش وعداوة كانت بينهم فى الدنيا فجعلناهم اخوانا على سرر متقابلين لايحسد بعضهم بعضا على شىء خص الله به بعضهم

(تجرى من تحتهم الأنهار) روى الحسن عن على رضى الله عنهم قال فينا والله أهل بدر نزلت ونزعنا ما فى صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين وقال على رضى الله عنه أيضا انى لأرجو أن أكون أنا وعثمان وطلحة والزبير من الذين قال لهم الله عز وجل ونزعنا ما فى صدورهم من غل أنا عبد الواحد المليحى انبانا أحمد بن عبد الله النعيمى انبانا محمد بن يوسف حدثنا محمد بن اسمعيل حدثنا الصلت بن محمد حدثنا يزيد بن زريع حدثنا سعيد عن قتادة عن أبى المتوكل الناجى عن أبى سعيد الخدرى قال قال رسول الله ﷺ يخلص المؤمنون من النار فيحبسون على قنطرة بين (١٩٠) الجنة والنار فيقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم فى الدنيا حتى إذا هذبوا ونقوا اذن لهم فى دخول الجنة فوالذى نفس محمد بيده لاحدهم اهدى بمنزله فى الجنة منه بمنزله كان فى الدنيا وقال السدى فى هذه الاية ان اهل الجنة إذا سيقوا إلى الجنة وجدوا عندبابها شجرة فى اصل ساقها عينان فشربوا من احداهما فينزع ما فى صدورهم من غل فهو الشراب الطهور واغتسلوا من الاخرى فجرت عليهم نضرة النعيم فلن يشعثوا ولن يسحنوا بعدها ابدا (وقالوا الحمد لله الذى هدانا لهذا) اى إلى هذا يعنى طريق الجنة وقال سفيان الثورى معناه هدانا لعمل هذا ثوابه (وما كنا) قرا ابن عامر ما كنا بلا واو (لنهتدى لولا ان هدانا الله لقد جاءت رسل ربنا بالحق) هذا قول اهل الجنة حين راوا ما وعدهم الرسل عيانا (ونودوا ان تلكم الجنة اورثتموها بما كنتم تعملون) قيل هذا النداء إذا راوا الجنة من بعيد نودوا ان تلكم الجنة وقيل هذا النداء يكون فى الجنة انا

أهل الجنة إذا سيقوا إلى الجنة فبلغوا وجدوا عندبابها شجرة فى أصل ساقها عينان فشربوا من احداهما فينزع ما فى صدورهم من غل فهو الشراب الطهور واغتسلوا من الأخرى فجرت عليهم نضرة النعيم فلن يشعثوا ولن يسحنوا بعدها أبدا وقيل ان درجات أهل الجنة متفاوتة فى العلو والكمال فبعض أهل الجنة اعلى من بعض واخرج الله عز وجل الغل والحسد من صدورهم وأزاله عنهم ونزعه من قلوبهم فلا يحسد صاحب الدرجة النازلة صاحب العالية وأورد على هذا القول كيف يعقل ان الانسان يرى الدرجات العالية والنعم العظيمة وهو محبوس عنها لا يصل اليها ولا يميل بطبعه اليها ولا يغتم بسبب حرمانه منها وإن كان فى لذة ونعيم وأجيب عن هذا بأن الله تعالى قد وعد بازالة الحقد والحسد من قلوب اهل الجنة حتى تكمل لهم اللذة والسرور حتى ان احدهم لا يرى نفسه إلا فى كمال وزيادة فى النعيم الذى هو فيه فيرضى بما هو فيه ولا يحسد احدا ابدا وبهذا تم نعيمه ولذته وكمل سروره وبهجته * وقوله تعالى (تجرى من تحتهم الانهار) لما اخبر الله تعالى بما انعم به على أهل الجنة من إزالة الغل والحسد والحقد من صدورهم اخبر انا بما أنعم به عليهم من اللذات والخيرات والمسرات (وقالوا الحمد لله الذى هدانا لهذا) يعنى ان المؤمنين إذا دخلوا الجنة قالوا الحمد لله الذى وفقنا وأرشدنا للعمل الذى هذا ثوابه وتفضل علينا رحمة منه وإحسانا وصرف عنا عذاب جهنم بفضله وكرمه فله الحمد على ذلك (وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله) يعنى وما كنا لنرشد لذلك العمل الذى هذا ثوابه لولا أنه أرشدنا الله اليه ووفقنا بفضله ومنه وكرمه وفى الاية دليل على أن المهتدى من هداه الله ومن لم يهده الله فليس بمهتد (لقد جاءت رسل ربنا بالحق) يعنى ان أهل النعيم إذا دخلوها ورأوا ما أعد الله لهم فيها من النعيم قالوا لقد جاءت رسل ربنا بالحق يعنى أنهم رأوا ما وعدهم به الرسل عيانا (ونودوا أن تلكم الجنة) يعنى ونادى مناديا أهل الجنة ان هذه الجنة التى كان الرسل وعدتكم بها فى الدنيا واختلفوا فى المنادى فقيل هو الله عز وجل وقيل الملائكة ينادون بأمر الله عز وجل وقيل هذا النداء يكون فى الجنة (م) عن أبى سعيد الخدرى وأبى هريرة رضى الله تعالى عنهما أن رسول الله ﷺ قال إذا دخل أهل الجنة الجنة نادى مناد ان لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبدا وأن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبدا وأن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبدا وإن لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبدا فذلك قوله عز وجل ونودوا ان تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون * وقوله تعالى (أورثتموها بما كنتم تعملون) روى أبو هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال ما من أحد إلا وله منزل فى الجنة ومنزل فى النار فاما الكافر فانه يرث المؤمن من منزله من النار والمؤمن يرث الكافر منزله من الجنة زاد فى رواية فذلك قوله تعالى أورثتموها بما كنتم تعملون قال بعضهم لما سمى الله الكافر ميتا بقوله أموات غير أحياء وسمى المؤمن حيا بقوله لينذر من كان حيا وفى الشرع أن الاحياء يرثون الاموات فقال أورثتموها يعنى أن المؤمن حى وهو يرث الكافر منزله من الجنة لانه فى حكم الميت وقيل معناه أن أمرهم يؤل إلى الجنة كما أن الميراث يؤل إلى الوارث وقيل أورثتموها عن الاعمال الصالحة التى عملتموها

أبو بكر محمد بن عبد الله بن ابى توبة الخطيب انبانا ابو طاهر محمد بن يعقوب الكسائى انبانا محمد بن يعقوب الكسائى انبانا عبد الله لان ابن محمود انبانا ابراهيم بن عبد الله الخلال حدثنا عبد الله بن المبارك عن سفيان عن ابى اسحق عن الاغر عن ابى سعيد عن ابى هريرة قالا ينادى مناد ان لكم ان تصحوا فلا تسقموا ابدا وإن لكم ان تحيوا فلا تموتوا ابدا وإن لكم ان تشبوا فلا تهرموا ابدا وأن لكم ان تنعموا فلا تباسوا ابدا فذلك قوله ونودوا ان تلكم الجنة اورثتموها بما كنتم تعملون هذا حديث صحيح اخرجه مسلم بن الحجاج عن اسحق بن ابراهيم وعبد الرحمن بن حميد عن عبد الرزاق عن سفيان الثورى بهذا الاسناد مرفوعا وروى عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من احد إلا وله منزلة فى الجنة ومنزلة فى النار فاما الكافر فانه يرث المؤمن من منزله من النار والمؤمن يرث الكافر منزله من الجنة

قوله تعالى (ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار أن قد وجدنا ماوعدنا ربنا) من الثواب (حقاً) أى صدقا (فهل وجدتم ماوعد ربكم) من العذاب (حقاً قالوا نعم) قرأ الكسائى بكسر العين حيث كان والباقون بفتحها وهما لغتان (فاذن مؤذن بينهم) أى نادمناد أسمع الفريقين (أن لعنة الله على الظالمين) قرأ أهل المدينة والبصرة وعاصم ان خفيف لعنة رفع وقرأ الآخرون بالتشديد لعنة الله تصب على الظالمين أى الكافرين (الذين يصدون) أى يصرفون الناس (عن سبيل الله) طاعة الله (ويبغونها عوجا) أى يطلبونها زيغاً وميلاً أى يبطلون سبيل الله جائرين قال ابن عباس يصلون لغير الله يعظمون مالم يعظمه الله والعوج بكسر العين فى الدين والأمر والأرض وكل مالم يكن قائماً وبالفتح فى كل ما كان قائماً كالحائط والرمح ونحوهما (وهم بالاخرة كافرون وبينهما حجاب) يعنى بين الجنة والنار وقيل بين أهل النار حجاب وهو السور الذى ذكر الله فى قوله فضرب بينهم بسور له باب قوله تعالى (وعلى الاعراف رجال) هى ذلك السور الذى بين الجنة والنار وهى جمع عرف وهو اسم للمكان المرتفع ومنه عرف الديك لارتفاعه على ماسواه من جسده وقال السدى سمى ذلك السور اعرافاً لان أصحابه يعرفون الناس واختلفوا فى الرجال الذين أخبر الله عنهم انهم على الاعراف فقال حذيفة وابن عباس هم قوم استوت حسناتهم وسيآتهم وقصرت بهم سيئاتهم عن الجنة وتجاوزت بهم حسناتهم عن النار فوقفوا هناك حتى يقضى الله فيهم مايشاء ثم يدخلهم الجنة بفضل رحمته وهم آخر من يدخل الجنة أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد

لأن الجنة جعلت لهم جزاء وثواباً على الأعمال ويعارض هذا القول ماورد عن النبى ﷺ أنه قال لن يدخل الجنة أحد بعمله وإنما يدخلها برحمة الله فان دخول الجنة برحمة الله وانقسام المنازل والدرجات بالأعمال وقيل إن العمل الصالح لن يناله المؤمن ولن يبلغه إلا برحمة الله تعالى وتوفيقه وإذا كانت العمل الصالح يسبب الرحمة كان دخول الجنة فى الحقيقة برحمة الله تعالى وجعلها الله ثواباً وجزاء لهم على تلك الأعمال الصالحة التى عملوها فى الدنيا والله أعلم * قوله تعالى (ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار) يعنى ونادى أهل الجنة أهل النار وهذا النداء إنما يكون بعد استقرار أهل الجنة فى الجنة وأهل النار فى النار يقول أهل الجنة يا أهل النار (ان قد وجدنا ماوعدنا ربنا حقاً) يعنى ماوعدنا فى الدنيا على السنة رسله من الثواب على الإيمان به وبرسله وطاعته حقاً (فهل وجدتم ماوعد ربكم حقاً) يعنى من العذاب على الكفر (قالوا نعم) يعنى قال أهل النار مجيبين لأهل الجنة نعم وجدنا ذلك حقاً * فان قلت هذا النداء من كل أهل الجنة لكل أهل النار أو من البعض للبعض * قلت ظاهر قوله ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار يفيد العموم والجمع إذا قابل الجمع يوزع الفرد على الفرد فكل فريق من أهل الجنة ينادى من كان يعرفه من الكفار فى دار الدنيا * فان قلت إذا كانت الجنة فى السماء والنار فى الأرض فكيف يمكن أن يبلغ هذا النداء أو كيف يصح أن يقع * قلت إن الله تعالى قادر على أن يقوى الأصوات والأسماع فيصير البعيد كالقريب * وقوله تعالى (فأذن مؤذن بينهم) يعنى نادمناد واعلم ان أصل الاذان فى اللغة الاعلام والمعنى نادى مناد اسمع الفريقين هذا المنادى من الملائكة وقيل إنه إسرافيل صاحب الصور ذكره الواحدى (إن لعنة الله على الظالمين) يعنى ويقول المؤذن إن لعنة الله على الظالمين ثم فسر الظالمين من هم فقال تعالى (الذين يصدون عن سبيل الله) يعنى الذين يمنعون الناس عن الدخول فى دين الاسلام (ويبغونها عوجاً) يعنى ويحاولون أن يغيروا دين الله وطريقته التى شرع لعباده ويبدلونها وقيل معناه انهم يصلون لغير الله ويعظمون مالم يعظمه الله وذلك أنهم طلبوا سبيل الله بالصلاة لغير الله وتعظيم مالم يعظمه الله فأخطؤا الطريق وضلوا عن السبيل (وهم بالآخرة كافرون) يعنى وهم بكون الاخرة واقعة جاحدون منكرون لها * قوله عز وجل (وبينهما حجاب) يعنى بين الجنة والنار وقيل بين أهل الجنة وأهل النار حجاب وهو المذكور فى قوله تعالى فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب قال مجاهد الأعراف حجاب بين الجنة والنار وقال السدى وبينهم حجاب هو السور وهو الأعراف وقوله (وعلى الأعراف رجال) الأعراف جمع عرف وهو كل مرتفع من الأرض وقيل من عرف الديك لارتفاعه على ماسواه من الجسد سمى بذلك لأنه بسبب ارتفاعه صار أعرف وأبين مما انخفض وقال السدى إنما سمى الأعراف لان أصحابه يعرفون الناس وقال ابن عباس رضى الله عنهما الاعراف الشىء المشرف وعنه قال الاعراف سور كعرف الديك وعنه أن الاعراف جبل بين الجنة والنار يحبس عليه ناس من أهل الذنوب بين الجنة والنار واختلف العلماء فى صفة الرجال الذين أخبر الله عنهم أنهم على الاعراف وما

الله بن أبى توبة ثنا أبو طاهر محمد بن احمد بن الحارث ثنا محمد بن يعقوب الكسائى ثنا عبد الله بن محمود ثنا إبراهيم بن عبد الله الخلال ثنا عبد الله بن المبارك عن أبى بكر الهذلى قال قال سعيد بن جبير يحدث عن ابن مسعود قال يحاسب الناس يوم القيامة فمن كانت حسناته أكثر من سيئاته بواحدة دخل الجنة ومن كانت سيآته أكثر من حسناته بواحدة دخل النار ثم قرأ قوله فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم ثم قال ان الميزان يخف بمثقال حبة أو يرجح قال من استوت حسناته وسيآته كان من أصحاب الأعراف فوقفوا على الصراط ثم عرفوا أهل الجنة وأهل النار فاذا نظروا إلى أهل الجنة ناد واسلام عليكم وإذا صرفوا أبصارهم إلى أصحاب النار قالوا ربنا لاتجعلنا مع القوم الظالمين فاما أصحاب الحسنات فانهم يعطون نوراً يمشون به بين أيديهم وبأيمانهم ويعطى كل

السبت الذى من أجله صار واهنا لك فروى عن حذيفة أنه سئل عن أصحاب الأعراف فقال هم قوم استوت حسناتهم وسياتهم فقصرت بهم سياتهم عن الجنة وتخلفت بهم حسناتهم عن النار فوقفوا هنالك على السور حتى يقضى الله تعالى فيهم قال بعضهم إنما جعلوا على الأعراف لأنها درجة متوسطة بين الجنة والنار فهم لا من أهل الجنة ولا من أهل النار لكن الله تعالى يدخلهم الجنة بفضله ورحمته لأنه ليس فى الاخرة دار إلا الجنة أو النار وقال ابن مسعود رضى الله عنه يحاسب الناس يوم القيامة فمن كانت حسناته أكثر بواحدة دخل الجنة ومن كانت سيئاته أكثر بواحدة دخل النار وإن الميزان يخفف ويثقل بمثقال حبة من خردل ومن استوت حسناته وسيئاته كان من أصحاب الأعراف فوقفوا على الأعراف فاذا نظروا إلى أهل الجنة نادوا سلام عليكم وإذا نظروا إلى أهل النار قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين فهنالك يقول الله تعالى لم يدخلوها وهم يطمعون فكان الطمع دخولا قال ابن مسعود رضى الله تعالى عنه إذا عمل العبد حسنة كتب له بها عشر وإذا عمل سيئة لم تكتب له إلا واحدة ثم قال ملك من غلب أحاده عشراته وقال ابن عباس رضى الله عنهما الأعراف سور بين الجنة والنار وأصحاب الاعراف هم قوم استوت حسناتهم وسياتهم فهم بذلك المكان حتى اذا أراد الله تعالى أن يعافيهم انطلق بهم الى نهر يقال له نهر الحياة حافتاه قصب الذهب مكلل باللؤلؤ ترابه المسك فألقوا فيه حتى أنهم وتبدو فى نحورهم سامة بيضاء يعرفون بها حتى اذا أصلحت ألوانهم أتى بهم الرحمن تبارك وتعالى فقال تمنوا ما شئتم فيتمنون حتى اذا انقطعت أمنيتهم قال لهم لكم الذى تمنيتم ومثله سبعون ضعفا فيدخلون الجنة ذكره ابن جرير فى تفسيره وقال شرحبيل بن سعد أصحاب الأعراف قوم خرجوا فى الغزو من غير اذن آبائهم ورواه الطبرى بسنده الى يحيى بن غيل مولى لبنى هاشم عن محمد بن عبد الرحمن عن أبيه قال سئل رسول الله ﷺ عن اصحاب الأعراف فقال هم قوم قتلوا عصاة لآبائهم فمنعهم قتلهم فى سبيل الله عن النار ومنعتهم معصية آبائهم أن يدخلوا الجنة زاد فى رواية فهم اخر من يدخل الجنة وذكر ابن الجوزى انهم قوم رضى اباؤهم دون أمهاتهم وامهاتهم دون أبائهم ورواه عن إبراهيم وذكر عن ابى صالح مولى التوامة عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انهم اولاد الزنا وقيل انهم الذين ماتوا فى الفترة وفيه بعد لان اخر امر اصحاب الاعراف إلى الجنة وهؤلاء الذين ماتوا فى الفترة الله اعلم بحالهم وهو يتولى امرهم وقيل انهم اولاد المشركين الذين ماتوا اطفالا وهذا القول يرجع معناه إلى القول الذى قبله لانه داخل فى حكمه فهذه الاقوال تدل على ان اصحاب الاعراف دون اهل الجنة فى الدرجات وإن كانوا يدخلون الجنة برحمة الله تعالى وقال مجاهد اصحاب الاعراف قوم صالحون فقهاء علماء فعلى هذا القول إنما يكون لبثهم على الاعراف على سبيل النزهة او ليرى غيرهم شرفهم وفضلهم وقيل انهم انبياء حكاه ابن الانبارى وإنما اجلسهم الله على ذلك المكان العالى تمييزا لهم على سائر أهل القيامة وإظهارا لفضلهم وعلو مرتبتهم وليكونوا مشرفين على اهل الجنة والنار ومطلعين على احوالهم ومقادير ثواب اهل الجنة وعقاب اهل النار وقال ابو مجلز اصحاب الاعراف ملائكة يعرفون الفريقين بسيماهم يعنى يعرفون اهل الجنة واهل النار فقيل لابى مجلز ان الله تعالى يقول وعلى الاعراف رجال وانت تقول انهم ملائكة فقال ان الملائكة ذكور ليسوا باناث وضعف الطبرى قول ابى مجلز قال لان لفظ الرجال فى لسان العرب لا يطلق إلا على الذكور من بنى ادم دون إناثهم ودون سائر الخلق وحاصل هذه الاقوال أن أصحاب الاعراف افضل من أهل الجنة لانهم اعلى منهم منزلة وافضل وقيل إنما اجلسهم الله فى ذلك المكان العالى ليميزوا بين اهل الجنة وبين اهل النار والله اعلم بمراده واسرار كتابه * قوله عز وجل (يعرفون كلا بسيماهم) يعنى اصحاب الاعراف يعرفون اهل الجنة بسيماهم وذلك ببياض وجوههم ونضرة النعيم عليهم ويعرفون أهل النار بسيماهم وذلك بسواد وجوههم وزرقة عيونهم والسيما العلامة الدالة على الشىء وأصله من السمة قال ابن عباس رضى الله عنهما أصحاب الاعراف إذا رأوا اصحاب الجنة عرفوا ببياض الوجوه وإذا راوا اصحاب النار

اصحاب الأعراف فان النور لم ينزع من بين ايديهم ومنعتهم سياتهم ان يمضوا فبقى فى قلوبهم الطمع اذ لم ينزع النور من بين ايديهم فهنالك يقول الله لم يدخلوها وهم يطمعون وكان الطمع للنور الذى بين ايديهم ثم ادخلوا الجنة وكانوا آخر اهل الجنة دخولا وقال شرحبيل بن سعد اصحاب الأعراف قوم خرجوا فى الغزو بغير اذن آبائهم ورواه مقاتل فى تفسيره مرفوعا هم رجال غزوا فى سبيل الله عصاة لآبائهم فقتلوا فاعتقوا من النار بقتلهم فى سبيل الله وحبسوا عن الجنة بمعصية آبائهم فهم آخر من يدخل الجنة وروى عن مجاهد انهم اقوام رضى عنهم احد الابوين دون الاخر يحبسون على الاعراف إلى أن يقضى الله بين الخلق ثم يدخلون الجنة وقال عبد العزيز بن يحيى الكنانى هم الذين ماتوا فى الفترة ولم يبدلوا دينهم وقيل هم اطفال المشركين وقال الحسن هم اهل الفضل من المؤمنين علوا على الاعراف فيطلعون على اهل الجنة واهل النار جميعا ويطالعون احوال الفريقين قوله تعالى (يعرفون كلا بسيماهم) اى

(ونادوا اصحاب الجنة أن سلام عليكم) أى إذا رأوا أهل الجنة قالوا سلام عليكم (لم يدخلوها) يعنى أصحاب الأعراف لم يدخلوا الجنة (وهم يطمعون) فى دخولها قال أبو العالية ما جعل الله ذلك الطمع فيهم إلا كرامة يريدها بهم قال الحسن الذى جعل الطمع فى قلوبهم يوصلهم إلى ما يطمعون (وإذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار) تعوذوا بالله (قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين) يعنى الكافرين فى النار (ونادى أصحاب الأعراف رجالا) كانوا عظماء فى الدنيا من أهل النار (يعرفونهم بسيماهم قالوا ما أغنى عنكم جمعكم) فى الدنيا من المال والولد (وما كنتم تستكبرون) عن الايمان قال الكلبى ينادون وهم على السور يا وليد بن المغيرة يا اباجهل ابن هشام ويا فلان ثم ينظرون إلى الجنة فيرون فيها الفقراء والضعفاء ممن كانوا يستهزؤن بهم مثل سلمان وصهيب وخباب وبلال واشباههم فيقول اصحاب الاعراف لاولئك الكفار (اهؤلاء) يعنى هؤلاء الضعفاء (الذين اقسمتم) حلفتم (لا ينالهم الله برحمة) اى حلفتم انهم لا يدخلون الجنة ثم يقال لأهل الاعراف (ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا انتم تحزنون) وفيه قول آخر ان اصحاب الاعراف إذا قالوا لأهل النار ما قالوا قال لهم اصحاب النار إن دخل اولئك الجنة فأنتم لم تدخلوها فيعيرونهم بذلك ويقسمون انهم يدخلون النار فتقول الملائكة الذين حبسوا اصحاب الاعراف على الصراط لأهل النار اهؤلاء يعنى أصحاب الأعراف الذين اقسمتم يا اهل النار انه لا ينالهم الله برحمة ثم قالت الملائكة لأصحاب الأعراف ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون فيدخلون الجنة قوله تعالى (ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفيضوا) أى صبوا (علينا من الماء أو مما رزقكم الله) أى أوسعوا علينا مما رزقكم الله من طعام الجنة قال عطاء عن ابن عباس لما صار أصحاب الأعراف إلى الجنة طمع أهل النار فى الفرج وقالوا يا رب أن لنا قرابات من أهل الجنة فاذن لنا حتى نراهم ونكلمهم فينظروا إلى قرابتهم فى الجنة وما هم فيه من النعيم فيعرفونهم ولم يعرفهم أهل الجنة لسواد وجوههم فينادى أصحاب النار أصحاب الجنة بأسمائهم وأخبروهم بقراباتهم أن أفيضوا علينا من الماء او مما رزقكم الله (قالوا

عرفوهم بسواد الوجوه * فان قلنا أن أصحاب الأعراف من استوت حسناتهم وسيآتهم وهم دون أهل الجنة فى الدرجة كان وقوفهم على الأعراف ليكونوا درجة متوسطة بين الجنة والنار فاذا رأوا أهل الجنة وعرفوهم ببياض وجوههم نادوهم أن سلام عليكم وهو قوله تعالى (ونادوا أصحاب الجنة أن سلام عليكم) يعنى نادى أصحاب الاعراف أصحاب الجنة أن سلام عليكم يعنى سلتم من الآفات وحصل لكم الامن والسلامة وإذا رأوا أهل النار يعرفونهم بسواد وجوههم قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين وإن قلنا إن أصحاب الاعراف هم الاشراف والافاضل من أهل الجنة كان جلوسهم على الاعراف ليطلعوا على أهل الجنة وأهل النار ثم لينقلهم الله عز وجل إلى الدرجات العلية فى الجنة * وقوله تعالى (لم يدخلوها وهم يطمعون) يعنى فى دخول الجنة قال الحسن ما جعل الله ذلك الطمع فى قلوبهم إلا لكرامة يريدها بهم * قوله تعالى (وإذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار) يعنى وإذا صرفت أبصار أصحاب الاعراف تلقاء أصحاب النار يعنى وجاههم وحيالهم فنظروا اليهم وإلى سواد وجوههم وما هم فيه من العذاب (قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين) يعنى الذين ظلموا أنفسهم بالشرك وقال ابن عباس رضى الله عنهما أن أصحاب الاعراف إذا نظروا لاهل النار وعرفوهم قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين والمعنى ان أصحاب الاعراف إذا نظروا إلى أهل النار وما هم فيه من العذاب تضرعوا إلى الله تعالى وسألوه أن لا يجعلهم منهم * قوله تعالى (ونادى اصحاب الاعراف رجالا) يعنى ونادى اصحاب الاعراف رجالا كانوا عظماء فى الدنيا وهم من اهل النار (يعرفونهم بسيماهم) يعنى سيما اهل النار (قالوا) يعنى اصحاب الاعراف لهؤلاء الذين عرفوهم فى النار (ما اغنى عنكم جمعكم) يعنى ما كنتم تجمعون من الاموال والعدد فى الدنيا (وما كنتم تستكبرون) يعنى وما اغنى عنكم تكبركم عن الإيمان شيئاً قال الكلبى ينادونهم وهم على السور يا وليد بن المغيرة يا اباجهل بن هشام يا فلان ويا فلان ثم ينظرون إلى الجنة فيرون فيها الفقراء والضعفاء ممن كانوا يستهزؤن بهم مثل سلمان وصهيب وخباب وبلال واشباههم فيقول اصحاب الاعراف لاولئك الكفار (اهؤلاء) لفظ استفهام يعنى اهؤلاء الضعفاء (الذين اقسمتم) بالله (لا ينالهم الله برحمة) يعنى انكم حلفتم انهم لا يدخلون الجنة وقد دخلوا الجنة ثم يقول الله تعالى لاصحاب الاعراف (ادخلوا الجنة) بفضلى ورحمتى (لا خوف عليكم ولا انتم تحزنون) وقيل ان اصحاب الاعراف إذا قالوا لأصحاب النار ما اخبر الله عنهم قال لهم اهل النار ان اولئك دخلوا الجنة وانتم لم تدخلوها فيعيرونهم بذلك ويقسمون انهم لا يدخلون الجنة ولا ينالهم الله برحمة فتقول الملائكة لاهل النار اهؤلاء يعنى اصحاب الاعراف الذين اقسمتم لا ينالهم الله برحمة ثم تقول الملائكة لأصحاب الاعراف ادخلوا الجنة برحمة الله لا خوف عليكم ولا انتم تحزنون قوله عز وجل (ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة ان افيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله قالوا) قال ابن عباس رضى الله عنهما لما صار اصحاب الاعراف إلى الجنة طمع اهل النار فى الفرج فقالوا يا ربنا إن لنا قرابات من اهل الجنة فأذن لنا حتى نراهم ونكلمهم فيأذن لهم فينظرون إلى قرابتهم الجنة وما فيه من النعيم فيعرفونهم وينظر أهل الجنة إلى قرابتهم من اهل النار فلم يعرفوهم لسواد وجوههم فينادى اى اصحاب النار اصحاب الجنة بأسمائهم فينادى الرجل اباه واخاه فيقول قد احترقت افض علي من

الماء فيقال لهم أجيبوا فيقولون ان الله حرمهما على الكافرين ومعنى الاية أن أهل النار يستغيثون بأهل الجنة إذا استقروا فيها وذلك عند نزول البلاء باهل النار وما يلقون من شدة العطش والجوع عقوبة لهم من الله على ما سلف منهم فى الدنيا من الكفر والمعاصى يقول اهل النار لاهل الجنة يا اهل الجنة افيضوا علينا من الماء يعنى صبوا علينا من الماء او ممارزقكم الله يعنى اوا طعمونا ممارزقكم الله ووسعوا علينا من طعام الجنة فيجيبهم اهل الجنة بقولهم (إن الله حرمهما على الكافرين) وهذا الجواب يفيد الحرمان وقال بعضهم لما كانت شهواتهم فى الدنيا فى لذة الاكل والشرب عذبهم الله فى الآخرة بشدة الجوع والعطش فسالوا ما كانوا يعتادونه فى الدنيا من طلب الاكل والشرب واجيبوا بان الله حرمهما على الكافرين يعنى طعام الجنة وشرابها ثم وصف الكافرين فقال تعالى (الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا) يعنى انهم تلاعبوا بدينهم الذى شرع لهم ولهوا عنه واصل اللهو ما يشغل الانسان عما يعنيه ويهمه يقال لهوت بكذا ولهيت عن كذا اى اشتغلت عنه قال ابن عباس رضى الله عنهما هم المستهزؤون وذلك انهم كانوا إذا دعوا إلى الايمان سخروا ممن دعاهم إليه وهزؤوا به استهزاء بالله عز وجل وقيل هو مازين لهم الشيطان من تحريم البحائر والسوائب والمكاء والتصدية حول البيت وسائر الخصال الذميمة التى كانوا يفعلونها فى الجاهلية وقيل معنى دينهم عيدهم اتخذوه لهوا ولعبا لا يذكرون الله فيه (وغرتهم الحياة الدنيا) يعنى وخدعهم عاجل ما هم فيه من خصب العيش ولذته وشغلهم ما هم فيه من ذلك عن الايمان بالله ورسله وعن الأخذ بنصيبهم من الاخرة حتى اتتهم المنية وهم على ذلك والغرة غفلة فى اليقظة وهو طمع الانسان فى طول العمر وحسن العيش وكثرة المال والجاه ونيل الشهوات فاذا حصل له ذلك صار محجوبا عن الدين وطلب الخلاص لانه غريق فى الدنيا بلذاته وما هو فيه من ذلك ولما وصفهم الله تعالى بهذه الصفات الذميمة قال (فاليوم) يوم القيامة (ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا) يعنى فاليوم نتركهم فى العذاب المهين جياعا عطاشا كما تركوا العمل للقاء يومهم هذا وهذا قول ابن عباس ومجاهد والسدى قال ابن عباس رضى الله عنهما ننسهم من الخير ولم ينسهم من الشر وقيل معناه نعاملهم معاملة من نسى فنتركهم فى النار كما تركوا العمل واعرضوا عن الايمان إعراض الناسى سمى الله تعالى جزاء نسيانهم بالنسيان على المجاز لان الله تعالى لا ينسى شيئا فهو كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها فيكون المراد من هذا النسيان ان الله تعالى لا يجيب دعاءهم ولا يرحم ضعفهم وزلتهم بل يتركهم فى النار كما تركوا الايمان والعمل (وما كانوا بآياتنا يجحدون) يعنى ونتركهم فى النار كما كانوا بدلائل وحدانيتنا يكذبون * قوله تعالى (ولقد جئناهم بكتاب) يعنى ولقد جئنا هؤلاء الكفار بالقرآن الذى انزلناه عليك يا محمد (فصلناه على علم) اى بيناه على علم منا بما نفصله ونبينه (هدى ورحمة لقوم يؤمنون) اى جعلنا القرآن هاديا وذا رحمة لقوم يؤمنون (هل ينظرون) يعنى هل ينظر هؤلاء الكفار الذين كذبوا بآياتنا وجحدوا ولم يؤمنوا بها (إلا تاويله) يعنى هل ينظرون ويتوقعون إلا ما وعدوا به على السنة الرسل من العذاب وان مصيرهم إلى النار والتاويل ما يؤول اليه الشىء (يوم يأتى تاويله) يعنى يوم القيامة لانه يوم الجزاء وما تؤول إليه امورهم (يقول الذين نسوه من قبل) يعنى يقول الذين تركوا العمل بالقرآن ولم يؤمنوا به يوم القيامة عند معاينة العذاب (قد جاءت رسل ربنا بالحق) اقروا على انفسهم واعترفوا حين لا ينفعهم ذلك الاعتراف والاقرار والمعنى ان الكفار اقروا بأن الذى جاءت به الرسل من الايمان والتصديق والحشر والبعث يوم القيامة والثواب والعقاب حق وصدقوا بما اقروا به هذه الأشياء لانهم شاهدوا معاينة وذلك حين لا ينفعهم ولما راوا انفسهم فى العذاب قالوا (فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا أو نرد فنعمل غير الذى كنا نعمل) يعنى أنه ليس لنا طريق إلى الخلاص مما نحن فيه من العذاب إلا ان يشفع لنا شفيع عند ربنا فيه فهل شفاعته فينا فيخلصنا من هذا العذاب او نرد إلى الدنيا فنعمل غير الذى كنا نعمل فيها فنبدل الكفر بالتوحيد والايمان والمعاصى بالطاعة والانابة (قد خسروا انفسهم) يعنى أن الذى طلبوه لا يحصل لهم فتبين خسرانهم واهلاكهم انفسهم لانهم

إن الله حرمهما على الكافرين) يعنى الماء والطعام (الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا) وهو مازين لهم الشيطان من تحريم البحيرة واخواتها والمكاء والتصدية حول البيت وسائر الخصال الذميمة التى كانوا يفعلونها فى الجاهلية وقيل دينهم اى عيدهم (وغرتهم الحياة الدنيا فاليوم ننساهم) نتركهم فى النار (كما نسوا لقاء يومهم هذا) أى كما تركوا العمل للقاء يومهم هذا (وما كانوا بآياتنا يجحدون ولقد جئناهم بكتاب) يعنى القرآن (فصلناه) بيناه (على علم) منا لما يصلحهم (هدى ورحمة) أى جعلنا القرآن هاديا وذا رحمة (لقوم يؤمنون هل ينظرون) اى هل ينتظرون (إلا تأويله) قال مجاهد جزاءه وقال السدى عاقبته ومعناه هل ينتظرون إلا ما يؤول إليه أمرهم من العذاب ومصيرهم إلى النار (يوم يأتى تأويله) أى جزاؤه وما يؤل إليه أمرهم (يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق) اعترفوا به حين لا ينفعهم الاعتراف (فهل لنا) اليوم (من شفعاء فيشفعوا لنا أو نرد) إلى الدنيا (فنعمل غير الذى كنا نعمل قد خسروا انفسهم) أهلكوها بالعذاب

كانوا فى الدنيا أول مرة فلم يعملوا بطاعة الله ولو ردوا إلى الدنيا لعادوا إلى ما كانوا عليه من الكفر والعصيان لسابق علم الله تعالى فيهم (وضل عنهم ما كانوا يفترون) يعنى وبطل وذهب عنهم ما كانوا يزعمون ويكذبون فى الدنيا من أن الأصنام تشفع لهم فلما أفضوا إلى الآخرة ذهب ذلك عنهم وعلموا انهم كانوا فى دعواهم كاذبين * قوله عز وجل (إن ربكم الله) يعنى أن سيدكم ومالككم ومصلح أموركم وموصل الخيرات اليكم والذى يدفع عنكم المكاره وهو الله (الذى خلق السموات والارض) أصل الخلق فى اللغة التقدير ويستعمل فى إبداع الشىء من غير أصل سبق ولا ابتداء تقدم فقوله خلق السموات والارض يعنى ابدعهما وانشأ خلقهما على غير مثال سبق وقدر احوالهما (فى ستة ايام) * فان قلت اليوم عبارة عن مقدار من الزمان وذلك المقدار هو من طلوع الشمس إلى غروبها فكيف قال فى ستة ايام ولم يكن شمس ولا سماء * قلت معناه فى مقدار ستة ايام فهو كقوله ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا يعنى على مقادير البكر والعشى فى الدنيا لان الجنة لا ليل فيها ولا نهار واختلف العلماء فى اليوم الذى ابتدا الله عز وجل بخلق الاشياء فيه فقيل فى يوم السبت وهو قول محمد بن اسحق وغيره ويدل على صحة هذا القول ماروى مسلم فى افراده من حديث ابى هريرة رضى الله عنه قال اخذ رسول الله ﷺ بيدى فقال خلق الله تعالى التربة يوم السبت وخلق الجبال يوم الاحد وخلق الشجر يوم الاثنين وخلق المكروه يوم الثلاثاء وخلق النور الاربعاء وخلق الدواب يوم الخميس وخلق آدم بعد العصر من يوم الجمعة فى آخر الخلق فى آخر ساعة من ساعات الجمعة فيما بين العصر إلى الليل وهذا الحديث وإن كان فى صحيح مسلم ففيه مقال وقد انكره بعض العلماء لما فيه من المخالفة للآية الكريمة لان الله تعالى يقول خلق السموات والارض فى ستة ايام وقال فى آخر آية اخرى ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما فى ستة ايام فدل بهذين النصين على ان جميع الخلق تم وكمل فى ستة ايام والذى فى الحديث ان بعض الخلق وقع فى سبعة ايام وذلك مجموع أيام الاسبوع فلهذا السبب أنكره من أنكره من العلماء وقد ذكر الازهرى فى كتابه تهذيب اللغة ما يقوى الحديث فقال وقال ابن الانبارى السبت القطع وسمى يوم السبت لان الله تعالى ابتدأ الخلق يوم السبت وقطع فيه بعض خلق السموات والارض وقيل ان إبتداء الخلق كان يوم الاحد وهو قول عبد الله بن سلام وكعب الاحبار والضحاك ومجاهد واختاره ابن جرير الطبرى قال الطبرى خلق الله السموات والارض فى ستة أيام وذلك يوم الاحد والاثنين والثلاثاء والاربعاء والخميس والجمعة وروى بسنده عن مجاهد قال بدأ خلق العرش والماء والهدى وخلقت الارض من الماء وبدأ الخلق يوم الاحد والاثنين والثلثاء والاربعاء والخميس وجمع الخلق فى يوم الجمعة وتهودت اليهود فى يوم السبت ويوم من الستة الايام كألف سنة مما تعدون ويعضد هذا القول ماحكاه صاحب المحكم ابن سيده قال وسمى سابع الاسبوع سبتا لان ابتداء الخلق كان من يوم الاحد إلى يوم الجمعة ولم يكن فى السبت خلق قال اصحاب الاخبار والسير والتواريخ ان الله تعالى خلق التربة التى هى الارض بلا دحو ولا بسط فى يوم الاحد والاثنين ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات فى يومين وهما الثلاثاء والاربعاء ثم دحا الارض وبسطها وطحاها واخرج ماءها ومرعاها وخلق دوابها ووحشها وجميع مافيها فى يومين وهما الخميس والجمعة وخلق آدم فى يوم الجمعة آخر الخلق فى آخر ساعة من ساعات الجمعة وقيل خلق الله عز وجل التربة يوم الاحد ثم استوى إلى السماء فخلقها وجميع مافيها يوم الاثنين والثلاثاء ثم مد الارض ودحاها يوم الاربعاء والخميس وخلق آدم يوم الجمعة وأسكنه الجنة هو وزوجته حواء ثم اهبطهما إلى الارض فى آخر ساعة من يوم الجمعة وقيل اول ما خلق الله القلم ثم اللوح فكتب فيه ما كان وما سيكون وما خلق وما هو خالق إلى يوم القيامة ثم خلق الظلمة والنور ثم خلق العرش ثم خلق السماء من درة بيضاء ثم خلق التربة ثم خلق السموات وما فيها من نجوم وشمس وقمر ثم مد الارض وبسطها من التربة التى خلقها اولا ثم خلق جميع مافيها من جبال وشجر ودواب وغير ذلك ثم خلق آدم آخر الخلق فى آخر ساعة من ساعات يوم الجمعة وفيه اهبط إلى الارض فتكامل جميع الخلق فى ستة ايام كل يوم مقداره الف سنة وهذا قول جمهور العلماء وقيل فى

(وضل) وبطل (عنهم ما كانوا يفترون) قوله تعالى (إن ربكم الله الذى خلق السموات والارض فى ستة ايام) اراد به فى مقدار ستة ايام لان اليوم من لدن طلوع الشمس إلى غروبها ولم يكن يومئذ يوم ولا شمس ولا سماء وقيل ستة أيام كايام الآخرة وكل يوم كالف سنة وقيل كأيام الدنيا قال سعيد بن جبير كان الله عز وجل قادرا على خلق السموات والأرض فى لمحة ولحظة فخلقهن فى ستة أيام تعليما لخلقه التثبت والتأنى فى الامور وقد جاء فى الحديث التأنى من الرحمة والعجلة من الشيطان

ستة أيام من أيام الدنيا * فان قلت ان الله عز وجل قادر على أن يخلق جميع الخلق فى لحظة واحدة ومنه قوله تعالى وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر فما الفائدة فى خلق السموات والأرض فى ستة أيام وما الحكمة فى ذلك * قلت ان الله سبحانه وتعالى وإن كان قادرا على خلق جميع الأشياء فى لحظة واحدة إلا أنه تعالى جعل لكل شىء حدا محدودا ووقتا معلوما فلا يدخل فى الوجود إلا فى ذلك الوقت والمقصود من ذلك تعليم عباده التثبت والتأنى فى الأمور وقال سعيد بن جبير كان الله عز وجل قادر على خلق السموات والأرض فى لمحة ولحظة فخلقهن فى ستة أيام تعليما لخلقه التثبت والتأنى فى الأمور كما فى الحديث التأنى من الله والعجلة من الشيطان وقيل ان الشىء إذا أحدث دفعة واحدة فلعله أن يخطر ببال بعضهم ان ذلك الشىء إنما وقع على سبيل الاتفاق فاذا أحدث شيئا بعد شىء على سبيل المصلحة والحكمة كان ذلك أبلغ فى القدرة وأقوى فى الدلالة وقيل أن الله تعالى أراد أن يوقع فى كل يوم أمرا من أمره حتى تسبحه الملائكة وغيرهم من شاهده وقيل ان التعجيل فى الخلق أبلغ فى القدرة وأقوى فى الدلالة والتثبت أبلغ فى الحكمة فأراد الله تعالى إظهار حكمته فى خلق الأشياء بالتثبت كما أظهر قدرته فى خلق الأشياء بكن فيكون * وقوله تعالى (ثم استوى على العرش) العرش فى اللغة السرير وقيل هو ما على فاظل وسمى مجلس السلطان عرشا اعتبارا بعلوه ويكنى عن العز والسلطان والمملكة بالعرش على الاستعارة والمجاز يقال فلان ثل عرشه بمعنى ذهب عزه وملكه وسلطانه قال الراغب فى كتابه مفردات القرآن وعرش الله عز وجل مما لا يعلمه البشر إلا بالاسم على الحقيقة وليس هو كما تذهب اليه أوهام العامة فانه لو كان كذلك لكان حاملا له تعالى الله عن ذلك وليس كما قال قوم انه الفلك الأعلى والكرسى فلك الكواكب وأما استوى بمعنى استقر فقد رواه البيهقى فى كتابه الأسماء والصفات برواية كثيرة عن جماعة من السلف وضعفها كلها وقال أما الاستواء فالمتقدمون من أصحابنا كانوا لا يفسرون ولا يتكلمون فيه كنحو مذهبهم فى أمثال ذلك وروى بسنده عن عبد الله بن وهب أنه قال كنا عند مالك بن أنس فدخل رجل فقال يا أبا عبد الله الرحمن على العرش استوى كيف استواؤه قال فأطرق مالك وأخذته الرحضاء ثم رفع رأسه فقال الرحمن على العرش استوى كما وصف نفسه ولا يقال له كيف وكيف عنه مرفوع وانت رجل سوء صاحب بدعة اخرجوه فاخرج الرجل وفى رواية يحيى ابن يحيى قال كنا عند مالك بن أنس فجاء رجل فقال يا أبا عبد الله الرحمن على العرش استوى كيف استواؤه فأطرق مالك برأسه حتى علته الرحضاء ثم قال الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة وما اراك إلا مبتدعا فأمر به ان يخرج وروى البيهقى سنده عن ابن عيينة قال كل ما وصف الله تعالى به نفسه فى كتابه فتفسيره تلاوته والسكوت عنه قال البيهقى والآثار عن السلف فى مثل هذا كثيرة وعلى هذه الطريقة يدل مذهب الشافعى رضى الله تعالى عنه وإليه ذهب احمد بن حنبل والحسن بن الفضل البجلى ومن المتأخرين ابو سليمان الخطابى قال البغوى اهل السنة يقولون الاستواء على العرش صفة الله بلا كيف يجب على الرجل الايمان به ويكل العلم به إلى الله عز وجل وذكر حديث مالك بن انس مع الرجل الذى سأله عن الاستواء وقد تقدم وروى عن سفيان الثورى والاوزاعى والليث بن سعد وسفيان بن عيينة وعبد الله بن المبارك وغيرهم من علماء السنة فى هذه الآيات التى جاءت فى الصفات المتشابهة اقرؤها كما جاءت بلا كيف وقال الإمام فخر الدين الرازى رحمه الله بعد ذكره الدلائل العقلية والسمعية انه لا يمكن حمل قوله تعالى ثم استوى على العرش على الجلوس والاستقرار وشغل المكان والحيز وعند هذا حصل للعلماء الراسخين مذهبان الأول القطع بكونه تعالى متعاليا عن المكان والجهة ولا نخوض فى تأويل الآية على التفصيل بل نفوض علمها إلى الله تعالى وهو الذى قررنا فى تفسيره قوله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون فى العلم يقولون آمنا به وهذا المذهب هو الذى نختاره ونقول به ونعتمد عليه والمذهب الثانى انا نخوض فى تأويله على التفصيل وفيه قولان ملخصان الأول ما ذكره القفال فقال العرش فى كلامهم هو السرير الذى يجلس عليه الملك ثم جعل ثل العرش كناية عن نقض الملك يقال ثل عرشه اى انتقض ملكه واذا استقام له ملكه واطرد امره ونفذ حكمه قالوا استوى على عرشه واستوى على

(ثم استوى على العرش) قال الكلبى ومقاتل استقر وقال أبو عبيدة صعد واولت المعتزلة الاستواء بالاستيلاء فأما اهل السنة يقولون الإستواء على العرش صفة لله تعالى بلا كيف يجب على الرجل الايمان به ويكل العلم فيه إلى الله عز وجل وسأل رجل مالك بن أنس عن قوله الرحمن على العرش استوى كيف استوى فأطرق رأسه مليا وعلاه الرحضاء ثم قال الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة وما أظنك إلا ضالا ثم أمر به فأخرج وروى عن سفيان الثورى والاوزاعى والليث بن سعد وسفيان ابن عيينة وعبد الله بن المبارك وغيرهم من علماء السنة فى هذه الآيات التى جاءت فى الصفات المتشابهات أمروها كما جاءت بلا كيف والعرش فى اللغة هو السرير وقيل هو ما علا فأظل ومنه عرش الكروم وقيل العرش الملك

سرير ملكه هذا ما قاله القفال والذى قاله القفال حق وصواب ثم قال الله تعالى دل على ذاته وصفاته وكيفية تدبيره العالم على الوجه الذى ألفوه من ملوكهم واستقر فى قلوبهم تنبيها على عظمة الله جل جلاله وكمال قدرته وذلك مشروط بنفى التشبيه والمراد منه نفاذ القدرة وجريان المشيئة قال ويدل على صحة هذا قوله فى سورة يونس ثم استوى على العرش يدبر فقوله يدبر الأمر جرى مجرى التفسير لقوله ثم استوى على العرش وأورد على هذا القول أن الله تعالى لم يكن مستويا على الملك، قبل خلق السموات والأرض والله تعالى منزه عن ذلك وأجيب عنه بان الله تعالى كان قبل خلق السموات والأرض مالكها لكن لا يصح أن يقال شبع زيد إلا بعد اكله الطعام فاذا فسر العرش بالملك صح ان يقال انه تعالى إنما استوى على ملكه بعد خلق السموات والارض والقول الثانى أن يكون استوى بمعنى استوى وهذا مذهب المعتزلة وجماعة من المتكلمين واحتجوا عليه بقول الشاعر

قد استوى بشر على العراق * من غير سيف ودم مهراق

وعلى هذا القول إنما خص العرش بالأخبار عنه بالاستيلاء عليه لأنه اعظم المخلوقات ورد هذا القول بان العرب لا تعرف استوى بمعنى استولى وإنما يقال استولى فلان على كذا إذا لم يكن فى ملكه ثم ملكه واستولى عليه والله تعالى لم يزل مالكا للاشياء كلها ومستوليا عليها فاى تخصيص للعرش هنا دون غيره من المخلوقات ونقل البيهقى عن ابى الحسن الأشعرى ان الله تعالى فعل فى العرش فعلا سماه كما فعل فى غيره فعلا سماه رزقا او نعمة وغيرهما من افعاله ثم لم يكيف الاستواء إلا انه جعله من صفات الفعل لقوله تعالى ثم استوى على العرش وثم للتراخى والتراخى إنما يكون فى الافعال وافعال الله تعالى توجيد بلا مباشرة منه إياها ولا حركة وحكى الاستاذ ابو بكر بن فورك عن بعض اصحابنا انه قال استوى بمعنى علا من العلو قال ولا يريد بذلك علوا بالمسافة والتحيز والكون فى المكان متمكنا فيه ولكن يريد معنى نفى التحيز عنه وانه ليس مما يحويه طبق او يحيط به قطر ووصف الله تعالى بذلك طريقة الخبر ولا يتعدى ماروى به الخبر قال البيهقى رحمه الله تعالى وهو على هذه الطريقة من صفات الذات وكلمة ثم تعلقت بالمستوى عليه لا بالاستواء قال وقد اشار ابو الحسن الأشعرى إلى هذه الطريقة حكاية فقال بعض اصحابنا انه صفة ذات قال وجوابى هو الاول وهو ان الله تعالى مستو على عرشه وانه فوق الاشياء بائن منها بمعنى انه لا تحله ولا يحلها ولا يماسها ولا يشبهها وليست البينونة بالعزلة تعالى الله ربنا عن الحلول والمماسة علوا كبيرا وقد قال بعض اصحابنا أن الاستواء صفة الله تعالى تنفى الإعوجاج عنه وروى ان ابن الاعرابى جاءه رجل فقال يا ابا عبد الرحمن ما معنى قوله تعالى الرحمن على العرش استوى قال انه مستو على عرشه كما اخبر فقال الرجل إنما معنى قوله استوى اى استولى فقال له ابن الاعرابى ما يدريك ان العرب لا تقول استولى فلان على الشىء حتى يكون له فيه مضاد فانهما غلب قيل لمن غلب قد استولى عليه والله تعالى لا مضاد له فهو على عرشه كما أخبر لا كما تظنه البشر والله اعلم * وقوله تعالى (يغشى الليل والنهار) يعنى انه تعالى ياتى بالليل على النهار فيغطيه ويلبسه حتى يذهب بنوره وفيه حذف تقديره ويغشى النهار الليل وإنما لم يذكر النهار لدلالة الكلام عليه (يطلبه حثيثا) يعنى سريعا وذلك انه إذا كان يعقب احدهما الآخر ويخلفه فكانه يطلبه حكى الامام فخر الدين الرازى عن القفال انه قال ان الله تعالى لما اخبر عباده باستوائه على العرش اخبر عن استمرار امور المخلوقات على وفق مشيئته واراهم ذلك فيما يشاهدونه منها لينضم العيان إلى الخبر وتزول الشبهة من كل الجهات قال الامام واعلم انه سبحانه وتعالى وصف هذه الحركة بالسرعة الشديدة وذلك لان تعاقب الليل والنهار إنما يحصل بحركة الفلك الأعظم وتلك الحركة اشد الحركات سرعة فان الانسان إذا كان فى اشد عدوه بمقدار رفع رجله ووضعها يتحرك الفلك الأعظم ثلاث آلاف ميل وهى الف فرسخ فلهذا قال تعالى يطلبه حثيثا لسرعة حركته (والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره) معنى التسخير التذليل وقال الزجاج وخلق هذه الأشياء جارية فى مجاريها بامره وقال المفسرون يعنى بتسخيرهن تذليلهن لما يراد منها من طلوع وغروب وسير ورجوع إذ ليس هى قادرات

(يغشى الليل والنهار) قرأ حمزة والكسائى وأبو بكر ويعقوب يغشى بالتشديد هاهنا وفى سورة الرعد والباقون بالتخفيف أى يأتى الليل على النهار فيغطيه وفيه حذف أى ويغشى النهار الليل ولم يذكره لدلالة الكلام عليه وذكر فى آية أخرى فقال يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل (يطلبه حثيثا) أى سريعا وذلك أنه إذا كان يعقب أحدهم الآخر ويخلفه فكانه يطلبه والشمس والقمر والنجوم مسخرات) قرأ ابن عامر كلها بالرفع على الابتداء والخبر والباقون بالنصب وكذلك فى سورة النحل عطفا على قوله خلق السموات والأرض أى خلق هذه الأشياء مسخرات أى مذللات (بأمره

بأنفسهن إنما هن يتصرفن فى متصرفاتهن على إرادة المدبر لهن الحكيم فى تدبيرهن وتسريفهن على ما أراد منهن والمراد بالأمر فى قوله بأمره نفاذ ارادته لأن الغرض من هذه الآية تبيين عظمة قدرته ومنهم من حمل الأمر على الأمر الذى هو الكلام وقال إنه تعالى أمر هذه الاجرام بالسير الدائم والحركة المستمرة إلى انقضاء الدنيا وخراب هذا العالم * فان قلت أن الشمس والقمر من النجوم فلم أفردهما بالذكر ثم عطف عليهما ذكر النجوم * قلت إنما أفردهما بالذكر لبيان شرفهما على سائر الكواكب لما فيهما من الاشراق والنور وسيرهما فى المنازل لتعرف الاوقات فهو كقوله من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فعطف جبريل وميكال على ذكر الملائكة وإن كانا من الملائكة لبيان شرفهما وفضلهما على غيرهما من الملائكة * وقوله تعالى (ألا له الخلق والأمر) يعنى له الخلق لأنه خالقهم وله أن يأمرفيهم بما أراد وله أن يحكم فيهم بما شاء وعلى هذا المعنى الأمر هنا الذى هو نقيض النهى واستخرج سفيان بن عيينة من هذا المعنى أن كلام الله عز وجل ليس بمخلوق فقال أن الله تعالى فرق بين الخلق والأمر فمن جمع بينهما فقد كفى يعنى أن من جعل الأمر الذى هو كلامه تعالى من جملة خلقه فقد كفر لأن المخلوق لا يقوم بمخلوق مثله وقيل معناه أن جميع ما فى العالم لله عز وجل والخلق له لأنه خلقهم وجميع الامور تجرى بقضائه وقدره فهو مجريها ومنشئها فلا يبقى بعد هذا الاحد شىء وقيل المراد بالامر هنا الارادة لان الغرض من الآية تعظيم القدرة وفى الاية دليل على أنه لا خالق إلا الله عز وجل ففيه رد على من يقول أن للشمس والقمر والكواكب تأثيرات فى هذا العالم فأخبر الله أنه هو الخالق المدبر لهذا العالم لا الشمس والقمر والكواكب وله الامر المطلق وليس لاحد أمر غيره فهو الامر والناهى الذى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا اعتراض لاحد من خلقه عليه (تبارك الله) يعنى تمجدو تعظم وارتفع وقال الزجاج تبارك تفاعل من البركة ومعنى البركة الكثرة من كل خير وقيل معناه تعالى وتعظم الله (رب العالمين) يعنى أنه هو الذى يستحق التعظيم وذلك أن الله تعالى لما افتتح هذه الاية بقوله أن ربكم الله الذى خلق السموات والارض وذكر أشياء من عظيم خلقه وأن له الخلق والامر والنهى والقدرة عليهم ختم الاية بالثناء عليه لانه هو المستحق للمدح المطلق والثناء والتعظيم وقال ابن عباس رضى الله عنهما معناه جاء بكل بركة وقيل تبارك معناه تقدس والتقديس الطهارة وقيل معناه باسمه يتبرك فى كل شىء وقال المحققون معنى هذه الصفة ثبت ودام كما لم يزل ولا يزال وأصل البركة الثبوت ويقال تبارك الله ولا يقال متبارك ولا مبارك لانه لم يرد به التوقيف * قوله عز وجل (ادعوا ربكم) قيل معناه اعبدوا ربكم لان معنى الدعاء طلب الخير من الله تعالى وهذه الصفة العبادة ولانه تعالى عطف عليه قوله وادعوه خوفا وطمعا والمعطوف يجب أن يكون مغايرا للمعطوف عليه وقيل المراد به حقيقة الدعاء هو الصحيح لان الدعاء هو السؤال والطلب وهو نوع من أنواع العبادة لان الداعى لا يقدم على الدعاء إلا إذا عرف من نفسه الحاجة إلى ذلك المطلوب وهو عاجز عن تحصيله وعرف أن ربه تبارك وتعالى يسمع الدعاء ويعلم حاجته وهو قادر على إيصالها إلى الداعى فعند ذلك يعرف العبد نفسه بالعجز والنقص ويعرف ربه بالقدرة والكمال وهو المراد من قوله تعالى (تضرعا) يعنى أدعوا ربكم تذللا واستكانة وهو إظهار الذل فى النفس والخشوع يقال ضرع فلان لفلان إذا أذل له وخشع وقال الزجاج تضرعا يعنى تملقا وحقيقته أن تدعوه خاضعين خاشعين متعبدين بالدعاء له تعالى (وخفية) يعنى سرا فى أنفسكم وهو ضد العلانية والادب فى الدعاء أن يكون خفيا لهذه الاية قال الحسن بين دعوة السر ودعوة العلانية سبعون ضعفا ولقد كان المسلمون يجتهدون فى الدعاء ولا يسمع لهم صوت ان كان إلا همسا بينهم وبين ربهم وذلك أنه تعالى يقول أدعوا ربكم تضرعا وخفية وأن الله تعالى ذكر عبدا صالحا رضى فعله فقال تعالى إذ نادى ربه نداء خفيا (ق) وعن أبى موسى الاشعرى رضى الله عنه قال كنا مع رسول الله ﷺ فجعل الناس يجهرون بالتكبير فقال رسول الله ﷺ أيها الناس أربعوا على أنفسكم أنكم لا تدعون أصم ولا غائبا أنكم تدعون سميعا بصيرا وهو معكم والذى تدعونه أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته قال أبو موسى رضى الله عنه وأنا خلفه أقول لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم فى نفسى

ألا له الخلق والامر) له الخلق لانه خلقهم وله الامر يأمر فى خلقه بما يشاء. قال سفيان بن عيينة فرق الله بين الخلق والامر فمن جمع بينهما فقد كفر (تبارك الله) أى تعالى الله وتعظم وقيل ارتفع والمبارك المرتفع وقيل تبارك تفاعل من البركة وهى النماء والزيادة أى البركة تكتسب وتنال بذكره وعن ابن عباس قال جاء بكل بركة وقال الحسن تجىء البركة من عنده وقيل تبارك تقدس والقدس الطهارة وقيل تبارك الله أى باسمه يتبرك فى كل شىء وقال المحققون معنى هذه الصفة ثبت ودام بما لم يزل ولا يزال واصل البركة الثبوت ويقال تبارك الله ولا يقال متبارك ولا مبارك لانه لم يرد به التوقيف (رب العالمين ادعوا ربكم تضرعا) تذللا واستكانة (وخفية) أى سرا قال الحسن بين دعوة السر ودعوة العلانية سبعون ضعفا ولقد كان المسلمون يجتهدون فى الدعاء وما يسمع لهم صوت إن كان إلا همسا بينهم وبين ربهم ذلك أن الله سبحانه يقول ادعوا ربكم تضرعا وخفية وأن الله ذكر عبدا صالحا ورضى فعله فقال إذ نادى ربه نداء خفيا

(انه لا يحب المعتدين) قيل المعتدين فى الدعاء. وقال أبو مجلز هم الذين يسألون منازل الانبياء عليهم السلام أخبرنا عمر بن عبد العزيز الفاشانى انبانا القاسم بن جعفر الهاشمى انبانا ابو على محمد بن احمد اللؤلؤى ثنا أبو داود السجستانى حدثنا (١٩٩) موسى بن اسماعيل حدثنا حماد

فقال يا عبد الله بن قيس ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة قلت بلى يا رسول الله قال لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم قوله ﷺ اربعوا على انفسكم يعنى ارفقوا بها واقصروا عن الصياح فى الدعاء * وقوله تعالى (انه لا يحب المعتدين) يعنى فى الدعاء. وقال ابو مجلز هم الذين يسألون منازل الانبياء عن عبد الله بن مغفل انه سمع ابنه يقول اللهم إنى اسألك القصر الابيض عن يمين الجنة إذا دخلتها قال اى بنى سل الله الجنة وتعوذ به من النار فانى سمعت رسول الله ﷺ يقول سيكون فى هذه الامة قوم يعتدون فى الظهور والدعاء اخرجه أبو داود وقال ابن جريج الاعتداء رفع الصوت والنداء والصياح فى الدعاء وقيل الاعتداء مجاوزة الحد فى كل شىء فكل من خالف أمر الله ونهيه فقد اعتدى ودخل تحت قوله تعالى انه لا يحب المعتدين وفرع بعض ارباب الطريقة على قوله تعالى ادعوا ربكم تضرعا وخفية هل الافضل إظهار العبادات أم لا فذهب بعضهم إلى أن إخفاء الطاعات والعبادات أفضل من إظهارها لهذه الآية ولكونها أبعد عن الرياء وذهب بعضهم إلى أن إظهارها افضل ليقتدى به الغير فيعمل مثل عمله وتوسط الشيخ محمد بن عبد الحكيم الترمذى فقال إن كان خائفا على نفسه من الرياء فالاولى إخفاء العبادات صونا لعمله عن البطلان وإن كان قد بلغ فى الصفاء وقوة اليقين إلى التمكين بحيث صار مباينا سائبة الرياء كان الاولى فى حقه الاظهار لتحصل فائدة الاقتداء به وذهب بعضهم إلى أن إظهار العبادات المفروضات أفضل من إخفائها فالصلاة المكتوبة فى المسجد افضل من صلاته فى بيته وصلاة النفل فى البيت أفضل من صلاته فى المسجد وكذا إظهار الزكاة أفضل من إخفائها وإخفاء صدقة التطوع أفضل من إظهارها ويقاس على هذا سائر العبادات * قوله تعالى (ولا تفسدوا فى الارض بعد إصلاحها) يعنى ولا تفسدوا ايها الناس فى الارض بالمعاصى والكفر والدعاء إلى غير طاعة الله بعد إصلاح الله إياها ببعثة الرسل وبيان الشرائع والدعاء إلى طاعة الله تعالى وهذا معنى قول الحسن والسدى والضحاك والكلبى قال ابن عطية لا تعصوا فى الارض فيمسك الله المطر ويهلك الحرث بسبب معاصيكم فعلى هذا يكون معنى قوله بعد إصلاحها يعنى بعد إصلاح الله إياها بالمطر والخصب وقيل معنى الاية لا تفسدوا فى الارض شيئا بعد أن اصلحه الله تعالى فيدخل فيه المنع من إتلاف النفس بالقتل او افسدها بقطع بعض الاعضاء وافساد الاموال بالغضب والسرقة واخذه من الغير بوجوه الحيل وإفساد الاديان بالكفر واعتقاد البدع والاهواء المضلة وافساد الانساب بالاقدام على الزنا وافساد العقول بسبب شرب المسكر وذلك لان المصالح المعتبرة فى الدنيا هى هذه الخمسة فمنع الله من إدخال الفساد فى ماهيتها * وقوله تعالى (وادعوه خوفا وطمعا) اصل الخوف انزعاج فى الباطن لما لا يؤمن من المضار وقيل هو توقع مكروه يحصل فيما بعد والطمع توقع محبوب يحصل له والمعنى ادعوه خوفا منه ومن عقابه وطمعا فيما عنده من جزيل ثوابه وقال ابن جريج معناه خوف العدل والطمع الفضل وقيل معناه ادعوه خوفا من الرياء فى الذكر والدعاء وطمعا من الاجابة * فان قلت فى اول الآية ادعو ربكم تضرعا وخفية وقال وادعوه وهذا هو عطف الشىء على نفسه فما فائدة ذلك قلت الفائدة فيه أن المراد بقوله تعالى ادعوا ربكم أى ليكن الدعاء مقرونا بالتضرع والاخبات وقوله وادعوه خوفا وطمعا أن فائدة الدعاء أحد هذين الامرين فكانت الأولى فى بيان شرط صحة الدعاء والآية الثانية من بيان فائدة الدعاء وقيل معناه كونوا جامعين فى أنفسكم من بين الخوف والرجاء فى أعمالكم كلها ولا تطمعوا انكم وفيتم حق الله فى العبادة والدعاء وإن اجتهدتم فيهما (ان رحمة الله) اصل الرحمة وتقتضى الاحسان إلى المرحوم وتستعمل تارة فى الرقة المجردة عن الاحسان وتارة فى الاحسان المجرد عن الرقة وإذا وصف بها البارى جل وعز فليس يراد بها الا الاحسان المجرد دون الرقة

يعنى ابن سلمة أنبأنا سعيد الجريرى عن أبى نعامة أن عبد الله بن مغفل سمع ابنه يقول اللهم إنى أسألك القصر الابيض عن يمين الجنة إذا دخلتها فقال يا بنى سل الله الجنة وتعوذ به من النار فانى سمعت رسول الله ﷺ يقول انه سيكون فى هذه الأمة قوم يعتدون فى الظهور والدعاء وقيل اراد به الاعتداء بالجهر قال ابن جريج من الاعتداء رفع الصوت والنداء بالدعاء والصياح روينا عن أبى موسى قال لما غزا رسول الله ﷺ خيبر أشرف الناس على واد فرفعوا أصواتهم بالتكبير فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اربعوا على أنفسكم انكم لا تدعون أصم ولا غائبا أنكم تدعون سميعا قريبا وقال عطية هم الذين يدعون على المؤمنين فيما لا يحل فيقولون اللهم اخزهم اللهم العنهم (ولا تفسدوا فى الارض بعد إصلاحها) أى لا تفسدوا فيها بالمعاصى والدعاء إلى غير طاعة الله بعد إصلاح الله إياها ببعث الرسل وبيان الشريعة والدعاء إلى طاعة الله وهذا معنى قول الحسن والسدى والضحاك والكلبى وقال عطية لا تعصوا فى الأرض فيمسك الله المطر ويهلك الحرث بمعاصيكم فعلى هذا معنى قوله بعد إصلاحها أى بعد إصلاح الله إياها بالمطر والخصب (وادعوه خوفا وطمعا) أى خوفا منه ومن عذابه وطمعا فيما عنده من مغفرته وثوابه وقال ابن جريج خوف العدل وطمع الفضل (ان رحمة الله

قريب من المحسنين) ولم يقل قريبة قال سعيد بن جبير الرحمة ههنا الثواب فرجع النعت إلى المعنى دون اللفظ كقوله وإذا حضر القسمة أولوا القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه ولم يقل منها لانه اراد الميراث والمال وقال الخليل بن احمد القريب والبعيد يستوى فيهما المذكر والمؤنث والواحد والجمع قال (٢٠٠) أبو عمرو بن العلاء القريب فى اللغة يكون بمعنى القرب وبمعنى المسافة تقول العرب هذه امرأة قريبة منك إذا كانت بمعنى القرابة وقريب منك إذا كانت بمعنى المسافة قوله تعالى (وهو الذى يرسل الرياح بشرا) قرا عاصم بالباء وضمها وسكون الشين هاهنا وفى الفرقان وسورة النمل يعنى انها تبشر بالمطر بدليل قوله تعالى الرياح مبشرات وقرا حمزة والكسائى نشرا بالنون وفتحها وهى الريح الطيبة اللينة قال الله تعالى والناشرات نشرا وقرا ابن عامر بضم النون وسكون الشين وقرأ الاخرون بضم النون والشين جمع نشور مثل صبور وصبر ورسول ورسل اى متفرقة وهى الرياح التى تهب من كل ناحية (بين يدى رحمته) اى قدام المطر أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب انبانا عبد العزيز بن احمد الخلال أنبأنا أبو العباس الاصم انبا الربيع انبانا الشافعى أنبأنا الثقة عن الزهرى عن ثابت بن قيس عن ابى هريرة قال اخذت الناس ريح بطريق مكة وعمر حاج فاشتدت فقال عمر رضى الله عنه لمن حوله ما بلغكم فى الريح فلم يرجعوا اليه شيئا فبلغنى الذى سأل عمر عنه من أمر الريح فاستحثثت راحلتى حتى ادركت عمر وكنت فى مؤخر الناس فقلت يا أمير المؤمنين أخبرت أنك سألت عن الريح وانى سمعت رسول الله ﷺ يقول الريح تأتى من روح الله تأتى بالرحمة وبالعذاب فلا تسبوها وسلوا الله من خيرها وتعوذوا به من شرها ورواه عبد الرازق عن معمر عن الزهرى باسناده (حتى إذا اقلت) حملت الرياح (سحابا ثقالا) بالمطر (سقناه) ورد الكناية إلى السحاب (لبلد ميت) اى الى بلد ميت محتاج الى الماء وقيل معناه لاحياء بلد ميت لانبات فيه

فرحمة الله عز وجل عبارة عن الافضال والانعام على عباده وإيصال الخير إليهم وقيل هى إرادة إيصال الخير والنعمة إلى عباده فعلى القول الاول تكون الرحمة من صفات الافعال وعلى القول الثانى تكون من صفات الذات (قريب من المحسنين) قال سعيد بن جبير الرحمة ههنا الثواب فرجع النعت إلى المعنى دون اللفظ وقيل ان تأنيث الرحمة ليس بحقيقى وما كان كذلك جاز فيه التذكير والتأنيث عند أهل اللغة وكون الرحمة قريبة من المحسنين لان الانسان فى كل ساعة من الساعات فى ادبار عن الدنيا واقبال على الآخرة وإذا كان كذلك كان الموت اقرب اليه من الحياة وليس بينه وبين رحمة الله التى هى الثواب فى الاخرة إلا الموت وهو قريب من الانسان * قوله عز وجل (وهو الذى يرسل الرياح) هذا عطف على ما قبله والمعنى ان ربكم هو الله الذى خلق السماوات والارض وهو الذى يرسل الرياح (بشرا) قرىء نشرا بالنون اراد جمع نشور وهى الريح الطيبة الهبوب التى تهب من كل ناحية وقيل هو جمع ناشر يقال انشر الله الريح بمعنى احياها وقال الفراء النشر الريح الطيبة اللينة التى تنشىء السحاب وقال ابن الانبارى النشر المنتشرة الواسعة الهبوب وقيل النشر خلاف الطى فيحتمل انها كانت بانقطاعها كالمطوية فانتشرت بمعنى ارسلت وقرىء ابشرا بالباء جمع بشيرة وهى التى تبشر بالمطر والريح هو الهواء المتحرك يمنة ويسرة والرياح اربعة الصبا وهى الشرقية والدبور وهى الغربية والشمال وهى التى تهب من تحت القطب الشمالى والجنوب وهى الجبلية وعن ابن عمر رضى الله عنهما ان الرياح ثمان أربع منها عذاب وهى القاصف والعاصف والصرصر والعقيم وأربع منها رحمة وهى الناشرات والمبشرات والمرسلات والذاريات (بين يدى رحمته) يعنى امام المطر الذى هو رحمته وإنما سماه رحمة لانه سبب لحياة الارض الميتة قال ابو بكر بن الانبارى رحمه الله تعالى اليدان تستعملهما العرب فى المجاز على معنى التقدمة تقول هذه تكون فى الفتن بين يدى الساعة يريدون قبل ان تقوم الساعة تشبيها وتمثيلا بما إذا كانت يد الانسان تتقدمانه كذلك الرياح تتقدم المطر وتؤذن به عن ابى هريرة رضى الله عنه قال اخذت الناس ريح بطريق مكة وعمر حاج فاشتدت فقال عمر لمن حوله ما بلغكم من الريح فلم يرجعوا اليه شيئا وبلغنى الذى سأل عمر عنه من امر الريح فاستحثثت راحلتى حتى ادركت عمر وكنت فى مؤخر الناس فقلت يا امير المؤمنين اخبرت انك سألت عن الريح فانى سمعت رسول الله ﷺ يقول الريح من روح الله تعالى تاتى بالرحمة وتاتى بالعذاب فاذا رايتموها فلا تسبوها واسألوا الله من خيرها واستعيذوا بالله من شرها رواه الشافعى رضى الله عنه بطوله واخرجه ابو داود فى المسند عنه وقال كعب الاحبار لو حبس الله الريح عن عباده ثلاثة ايام لانتن أكثر أهل الأرض وقوله تعالى (حتى إذا أقلت سحابا ثقيلا) يقال أقل فلان الشىء إذا حمله واشتاق الاقلال من القلة فان من يرفع شيئا يراه قليلا والسحاب جمع سحابة وهو الغيم فيه ماء ولم يكن فيه ماء سمى سحابا لانسحابه فى الهواء والمعنى حتى إذا حملت هذه الرياح سحابا ثقالا بما فيه من الماء قال السدى ان الله تبارك وتعالى يرسل الرياح فتأتى بالسحاب من بين الخافقين وهما طرفا السماء والارض حيث يلتقيان فتخرجه ومن ثم تنشره فتبسطه فى السماء كيف يشاء ثم تفتح له ابواب السماء فيسيل الماء على السحاب ثم يمطر السحاب بعد ذلك وقيل ان الله تعالى دبر بحكمته ان الرياح تتحرك تحريكا شديدا فتثير السحاب ثم ينضم بعضه إلى بعض فيتراكم وينعقد ويحمل الماء ثم تسوقه إلى حيث يشاء الله عز وجل وهو قوله تعالى (سقناه لبلد ميت) يعنى إلى بلد فتكون اللام بمعنى إلى وقيل معناه لاجل حياة بلد ميت وإنما قال سقناه لان لفظ السحاب مذكر وان كان جمع سحابة فكان ورد الكناية عنه على سبيل التذكير جائزا نظرا إلى اللفظ قال الأزهرى

الأزهرى رحمه الله تعالى قال الليث البلد كل موضع من الأرض عامرا وغير عامر خال أو مسكون والطائفة منها بلدة والجمع بلاد زاد غيره والمفازة تسمى بلدة لكونها مسكن الوحش والجن قال الأعشى

وبلدة مثل ظهر الترس موحشة * للجن بالليل فى حافاتها زجل

ومعنى الاية ان سقنا السحاب إلى بلد ميت محتاج لانزال الماء لم ينزل فيه غيث ولم تنبت فيه خضرة (فانزلنا به الماء) اختلفوا فى الضمير فى قوله تعالى به إلى ماذا يعود فقال الزجاج رحمه الله وابن الأنبارى جائز أن يكون المعنى فأنزلنا بالبلد الميت الماء وجائز أن يكون المعنى وأنزلنا بالسحاب الماء لان السحاب آلة لنزول الماء (فأخرجنا به) يعنى بذلك الماء لأن إنزال الماء كان سببا لاخراج الثمرات وقيل يحتمل أن يكون المعنى فأخرجنا بذلك الماء (من كل الثمرات) يعنى وأخرجنا بذلك البلد بعد موته وجدبه من أصناف الثمار والزروع (كذلك نخرج الموتى) يعنى كما أحيينا البلد الميت كذلك نخرج الموتى أحياء من قبورهم بعد فنائهم ودروس آثارهم واختلفوا فى وجه التشبيه فقيل إن الله تعالى كما يخلق النبات بواسطة إنزال المطر كذلك يحيى الموتى بواسطة إنزال المطر أيضا قال أبو هريرة وابن عباس رضى الله عنهما أن الناس إذا ماتوا فى النفخة الأولى أمطر الله تعالى عليهم ماء من تحت العرش يدعى ماء الحيوان اربعين سنة فينبتون كما ينبت الزرع من الماء وفى رواية أربعين يوما فينبتون فى قبورهم نبات الزرع حتى إذا استكملت أجسادهم نفخ فيهم الروح ثم يلقى عليهم النوم فينامون فى قبورهم فاذا نفخ فى الصور النفخة الثانية عاشوا ثم يحشرون من قبورهم وهم يجدون طعم النوم فى رؤوسهم وأعينهم كما يجد النائم حين يستيقظ من نومه فعند ذلك يقولون ياويلنا من بعثنا من مرقدنا فينادى مناديهم المنادى هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون قال مجاهد إذا أراد الله تعالى أن يخرج الموتى أمطر السماء حتى تنشق الارض ثم يرسل الارواح فتعود كل روح إلى جسدها فكذلك يحى الله الموتى بالمطر كما حيا ته الارض به وقيل إنما وقع التشبيه بأصل الأحياء والمعنى أنه تعالى كما أحيا هذا البلد الميت بعد خرابه وموته فأنبت فيه الزرع والشجر وجعل الثمر كذلك يحيى الله الموتى ويخرجهم من قبورهم حياء بعد أن كانوا أمواتا أو رميما بالية لان من قدر فى اخراج الثمر الرطب من الخشب اليابس قادر على أن يحييهم ويخرجهم من قبورهم إلى حشرهم ونشرهم (لعلكم تذكرون) الخطاب لمنكرى البعث يقول إنكم شاهدتم الاشجار وهى مزهرة مورقة مثمرة فى أيام الربيع والصيف ثم إنكم شاهدتموها يابسة عارية من تلك الازهار والاوراق والثمار ثم إن الله تعالى أحياها مرة أخرى فالقادر على إحيائها بعد موتها قادر على إحياء الاجساد بعد موتها والمعنى إنما وصفت ما وصفت من التشبيه والتمثيل لكى تعتبروا وتتذكروا وتعلموا أن من فعل ذلك كان هو الذى يعيد ويحيى * قوله تعالى (والبلد الطيب) يعنى والارض الطيبة التربة السهلة السمحة (يخرج نباته باذن ربه) يعنى إذا أصابه المطر أخرج نباته باذن الله عز وجل (والذى خبث لا يخرج) يعنى والبلد الذى خبث أرضه فهى سبخة لا يخرج يعنى لا يخرج نباته (إلا نكدا) يعنى عسرا بمشقة وكلفة قال الشاعر فى المعنى يذم انسانا

لا تنجز الوعد إن وعدت وإن * أعطيت أعطيت تافها نكدا

يعنى بالتافه القليل وبالنكد العسير ومعناه ومعناه إنك إن أعطيت القليل بعسر ومشقة قال المفسرون مثل ضرب الله تعالى للمؤمن والكافر فشبه المؤمن بالارض الطيبة الحرة وشبه نزول القرآن على قلب المؤمن بنزول المطر على الارض الطيبة فاذا نزل المطر عليها اخرجت أنواع الازهار والثمار وكذلك المؤمن إذا سمع القرآن آمن وانتفع به وظهرت منه الطاعات والعبادات وأنواع الاخلاق الحميدة وشبه الكافر بالارض الرديئة الغليظة السبخة التى لا ينتفع بها وإن أصابها المطر فكذلك الكافر إذا سمع القران لا ينتفع به ولا يصدقه ولا يزيده الا عتوا وكفرا وإن عمل الكافر حسنة فى الدنيا كانت بمشقة وكلفة لا ينتفع بها فى الاخرة قال ابن عباس رضى الله عنهما هذا مثل ضرب الله تعالى للمؤمن يقول هو طيب وعمله طيب كما أن البلد الطيب ثمره طيب ثم ضرب مثل الكافر كالبلدة السبخة المالحة التى خرجت منها البركة فالكافر خبيث وعمله

(فأنزلنا به) أى بالسحاب وقيل بذلك البلد (الماء) يعنى من المطر (فأخرجنا به من كل الثمرات كذلك نخرج الموتى) استدل باحياء الأرض بعد موتها على أحياء الموتى (لعلكم تذكرون) قال أبو هريرة وابن عباس إذا مات الناس كلهم فى النفخة الأولى أرسل الله عليهم مطرا كمنى الرجال من ماء تحت العرش يدعى ماء الحيوان فينبتون فى قبورهم نبات الزرع حتى إذا استكملت أجسادهم نفخ فيهم الروح ثم يلقى عليهم النوم فينامون فى قبورهم ثم يحشرون بالنفخة الثانية وهم يجدون طعم النوم فى رؤوسهم وأعينهم فعند ذلك يقولون ياويلنا من بعثنا من مرقدنا قوله تعالى (والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه) هذا مثل ضربه الله للمؤمنين والكافرين فمثل المؤمن مثل البلد الطيب يصيبه المطر فيخرج نباته باذن ربه (والذى خبث) يريد الأرض السبخة التى (لا يخرج) نباتها (إلا نكدا) قرأ أبو جعفر بفتح الكاف وقرأ الاخرون بكسرها أى عسرا قليلا بعناء ومشقة فالأول مثل المؤمن الذى إذا سمع القرآن وعاه وعقله وانتفع به والثانى مثل الكافر الذى يسمع القران فلا يؤثر فيه كالبلد الخبيث الذى لا يتبين أثر المطر فيه

(كذلك نصرف الآيات) نبينها (لقوم يشكرون) أخبرنا عبد الواحد المليحي أنبأنا أحمد عبد الله النعيمي أنبأنا محمد بن يوسف حدثنا محمد بن إسمعيل حدثنا محمد بن العلاء حدثنا حماد بن أسامة عن يزيد بن عبد الله عن أبي بردة عن أبي موسى عن النبي ﷺ قال مثل ما بعثني الله به من الهدى من العلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضا (٢٠٢) فكانت منها طائفة قبلت الماء فانبتت الكلا والعشب والكثير وكانت منها أجادب

خبيث وقال مجاهد هذا مثل ضربه الله تعالى لآدم وذريته كلهم منهم خبيث وطيب ويدل على صحة هذا التأويل ما روى عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ ان مثل ما بعثني الله تعالى به من العلم كمثل غيث أصاب أرضا فكانت منها طائفة طيبة قبلت الماء فانبتت الكلأ والعشب الكثير وكانت منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله تعالى بها الناس فشربوا منها وسقوا وزرعوا وأصاب طائفة منها أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ فذلك مثل من فقه دين الله عز وجل ونفعه ما بعثني الله تعالى به فعلم وعلم ومثل لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدى الله تعالى الذي ارسلت به أخرجاه في الصحيحين * وقوله تعالى (كذلك نصرف الايات لقوم يشكرون) يعني كما ضربنا هذا المثل كذلك نبين الايات الدالة على التوحيد والايمان آية بعد آية وحجة بعد حجة لقوم يشكرون الله تعالى على إنعامه عليهم بالهداية وحيث جنبهم سبيل الضلالة وإنما خص الشاكرين بالذكر لأنهم هم الذين انتفعوا بسماع القرآن * قوله عز وجل (لقد أرسلنا نوحا إلى قومه) اعلم ان الله تبارك وتعالى لما ذكر في الايات المتقدمة دلائل آثار قدرته وغرائب خلقه وصنعته الدالة على توحيده وربوبيته وأقام الدلالة القاطعة على صحة البعث بعد الموت اتبع ذلك بقصص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وما جرى لهم مع أممهم وفي ذلك تسلية للنبي ﷺ لأنه لم يكن إعراض قومه فقط عن قبول الحق بل قد أعرض عنه سائر الأمم الخالية والقرون الماضية وفيه تنبيه على أن عاقبة أولئك الذين كذبوا الرسل كانت إلى الخسار والهلاك في الدنيا وفي الاخرة إلى العذاب العظيم فمن كذب بمحمد ﷺ من قومه كانت عاقبته مثل أولئك الذين خلوا من قبله من الأمم المكذبة وفي ذكر هذه القصص دليل على صحة نبوة محمد ﷺ لأنه كان أميا لا يقرأ ولا يكتب ولم يلق أحدا من علماء زمانه فلما أتى بمثل هذه القصص والاخبار عن القرون الماضية والامم الخالية مما لم ينكره عليه أحد علم بذلك أنه إنما أتى به من عند الله عز وجل وأنه أوحي إليه ذلك فكان ذلك دليلا واضحا وبرهانا قاطعا على صحة نبوته ﷺ وقوله تعالى لقد أرسلنا نوحا إلى قومه لقد أرسلنا نوحا جواب قسم محذوف تقديره والله لقد أرسلنا نوحا وهو نوح بن لمك بن متوشلخ بن أخنوخ وهو إدريس عليه الصلاة والسلام ومعنى أرسلنا بعثنا وهو اول نبي بعثه الله تعالى بعد إدريس وكان نوح عليه السلام نجارا وقيل معنى الإرسال أن الله تعالى حمله رسالة ليؤديها إلى قومه فعلى هذا التقدير فالرسالة تكون متضمنة للبعث أيضا ويكون البعث كالتابع لأنه أصل قال ابن عباس رضي الله عنهما بعثه الله وهو بن أربعين سنة وقيل وهو بن خمسين سنة وقيل ابن مائتين وخمسين سنة وقيل وهو ابن مائة سنة وقال ابن عباس رضي الله عنهما سمي نوحا لكثرة ما ناح على نفسه واختلفوا في سبب نوحه فقيل لدعوته على قومه بالهلاك وقيل لمراجعته ربه في شأن ابنه كنعان وقيل لانه مر بكلب مجذوم فقال له اخسأ يا قبيح فأوحى الله تعالى إليه اعبتني ام عبت الكلب (فقال) يعني نوحا لقومه (يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره) يعني اعبدوا الله تعالى فانه هو الذي يستحق العبادة لا غيره فانه ليس لكم إله معبود سواه فانه هو الذي يستوجب ان يعبد (إني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم) يعني إن لم تقبلوا ما امركم به من عبادة الله تعالى واتباع امره وطاعته واليوم الذي خافه عليهم وهو يوم إما الطوفان واهلاكهم فيه او يوم القيامة وإنما قال اخاف على الشك وإن كان على يقين من حلول العذاب بهم إن لم يؤمنوا به لانه لم يعلم وقت نزول العذاب بهم ايعاجلهم ام يتأخر عنهم العذاب إلى يوم القيامة (قال الملأ) وهم الجماعة الاشراف (من قومه إنا لنراك) يعني يا نوح (في ضلال مبين) يعني في خطأ وزوال عن الحق بين (قال) يعني نوحا (يا قوم ليس بي ضلالة) يعني ما بي ما تظنون من الضلال (ولكني رسول من رب

امسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا واصاب منها طائفة اخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم ومثل من لم يرفع بذلك راسا ولم يقبل هدى الله الذي ارسلت به

قوله تعالى (لقد ارسلنا نوحا إلى قومه) وهو نوح بن لمك بن متوشلخ بن اخنوخ وهو إدريس وهو اول نبي بعثه الله بعد إدريس وكان نجارا بعثه الله إلى قومه وهو ابن خمسين سنة وقال ابن عباس ابن اربعين سنة وقيل بعث وهو ابن مائتين وخمسين سنة وقال مقاتل بن مائة سنة وقال ابن عباس سمي نوحا لكثرة ما ناح على نفسه واختلفوا في سبب نوحه فقال بعضهم لدعوته على قومه بالهلاك وقيل لمراجعته ربه في شأن ابنه كنعان وقيل لانه مر بكلب مجذوم فقال اخسأ يا قبيح فأوحى الله تعالى إليه اعبتني ام عبت الكلب (فقال) لقومه (يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره) قرا ابو جعفر والكسائي من إله غيره بكسر الراء حيث كان على نعت الاله وافق حمزة في سورة فاطر هل من خالق غير الله وقرا الاخرون برفع الراء على التقديم تقديره مالكم غيره من إله (إني اخاف عليكم) إن لم تؤمنوا (عذاب يوم عظيم قال الملأ من قومه إنا لنراك في ضلال) خطأ وزوال عن الحق (مبين) بين (قال) نوح (يا قوم ليس بي ضلالة) ولم يقل ليست لأن معنى الضلالة الضلال او على تقديم الفعل (ولكني رسول من رب

العالمين) يعنى هو أرسانى اليكم لأنذركم وأخوفكم إن لم تؤمنوا به وهو قوله (أبلغكم رسالات ربى) يعنى بتحذيرى إياكم عقوبة على كفركم إن لم تؤمنوا به (وانصح لكم) يقال نصحته ونصحت له كما يقال شكرته وشكرت له والنصح إرادة الخير لغيره ويريده لنفسه وقيل النصح تحرى قول أو فعل فيه صلاح للغير وقيل حقيقة النصح تعريف وجه المصلحة مع خلوص النية من شوائب المكروه والمعنى أنه قال جميع تكاليف الله وشرائعه وأرشدكم إلى الوجه الأصلح والأصوب لكم وادعوكم إلى مادعانى اليه وأحب لكم ما أحب لنفسى قال بعضهم والفرق بين إبلاغ الرسالة وبين النصيحة هو أن تبليغ الرسالة ان يعرفهم جميع أوامر الله تعالى ونواهيه وجميع أنواع التكاليف التى أوجبها الله تعالى عليهم وأما النصيحة فهو ان يرغبهم فى قبول تلك الأوامر والنواهى والعبادات ويحذرهم عقابه ان عصوه (واعلم من الله مالا تعلمون) يعنى وأعلم أنكم إن عصيتم أمره عاقبكم بالطوفان والغرق فى الدنيا ويعذبكم فى الاخرة عذابا عظيما وقيل أعلم ان مغفرة الله تعالى لمن تاب وعقوبته لمن أصر على الكفر وقيل لعل الله تعالى اطلعه على سر من اسراره فقال واعلم من الله مالا تعلمون (أوعجبتم) الألف الف استفهام والواو للعطف والمعطوف عليه محذوف وهذا الاستفهام استفهام انكار معناه اكذبتم وعجبتم (ان جاءكم ذكر من ربكم) يعنى وحيا من ربكم على رجل منكم) تعرفونه وتعرفون نسبه وذلك لأن كونه منهم يزيل التعجب وقيل المراد بالذكر الكتاب الذى انزله الله تعالى على نوح عليه الصلاة والسلام سماه ذكرا كما سمى القرآن ذكرا وقيل المراد بالذكر المعجزة التى جاء بها نوح عليه السلام فعلى هذا تكون على بمعنى مع أى مع رجل منكم قال الفراء على هنا بمعنى مع (لينذركم) يعنى جاءكم لأجل أن ينذركم (ولتتقوا) أى ولاجل أن تتقوا (ولعلكم ترحمون) لأن المقصود من ارسال الرسل الانذار والمقصود من الانذار التقوى عن كل مالا ينبغى والمقصود بالتقوى الفوز بالرحمة فى الدار الاخرة (فكذبوه) يعنى فكذبوا نوحا (فأنجيناه) يعنى من الطوفان والغرق (والذين معه) يعنى من آمن من قومه معه (فى الفلك) يعنى فى السفينة (وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا إنهم كانوا قوما عمين) قال ابن عباس رضى الله عنهما عميت قلوبهم عن معرفة الله تعالى وقال الزجاج عموا عن الحق والايمان يقال رجل عم فى البصيرة وأعمى فى البصر وأنشدوا قول زهير

وأعلم مافى اليوم والأمس قبله * ولكننى عن علم مافى غد عم

قال مقاتل عموا عن نزول العذاب بهم وهو الغرق * قوله تعالى (وإلى عاد أخاهم هودا) أى وأرسلنا إلى عاد وهو عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح وهى عاد الأولى اخاهم هودا يعنى اخاهم فى النسب لا فى الدين وهو هود بن عبد الله بن رباح بن الخلود بن عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح وقال ابن اسحق هود بن شالخ بن ارفخشذ بن سام بن نوح واتفقوا على أن هودا عليه الصلاة والسلام لم يكن اخاهم فى الدين ثم اختلفوا فى سبب الأخوة من أين حصلت فقيل أنه كان واحدا من القبيلة فيتوجه قوله أخاهم لأنه واحد منهم وقيل أنه لم يكن من القبيلة ثم ذكروا فى تفسير هذه الأخوة وجهين الأول قال الزجاج أنه كان من بنى آدم ومن جنسهم لا من الملائكة ويكفى هذا القدر فى تسمية الأخوة والمعنى إنا أرسلنا إلى عاد واحدا من جنسهم من البشر ليكون الفهم والانس بكلامه أتم وأكمل ولم نبعث اليهم من غير جنسهم مثل الملك أو الجن والثانى أنه أخاهم يعنى صاحبهم والعرب تسمى صاحب القوم أخاهم وكانت منازل عاد بالأحقاف باليمن والأحقاف الرمل الذى عند عمان وحضرموت (قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره) اى اعبدوا الله وحده ولا تجعلوا له إلها اخر فانه ليس لكم إله غيره والعرق بين قوله فى قصة نوح فقال وهنا قال ان نوحا كان مواظبا على دعوة قومه غير متوان فيها لأن الفاء تدل على التعقيب واما هود فلم يكن كذلك بل كان دون نوح فى المبالغة فى الدعاء فاخبر الله تعالى عنه بقوله ياقوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره (افلا تتقون) يعنى افلا تخافون عقابه بعبادتكم غيره ولما كانت هذه القصة منسوقة على قصة قوم نوح وقد علموا ماحل بهم من الغرق حسن

رسالات ربى وقرأ الاخرون بالتشديد من التبليغ لقوله تعالى بلغ ما انزل اليك رسالات ربك (وانصح لكم) يقال نصحته ونصحت له والنصح ان يريد لغيره من الخير مايريد لنفسه (واعلم من الله مالا تعلمون) ان عذابه لا يرد عن القوم المجرمين (أوعجبتم) ألف استفهام دخلت على واو العطف (ان جاءكم ذكر من ربكم) قال ابن عباس رضى الله عنهما موعظة وقيل بيان وقيل رسالة (على رجل منكم لينذركم) عذاب الله إن لم تؤمنوا (ولتتقوا) أى لكى تتقوا الله (ولعلكم ترحمون) لكى ترحموا (فكذبوه) يعنى كذبوا نوحا (فانجيناه) من الطوفان (والذين معه فى الفلك) فى السفينة (وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا إنهم كانوا قوما عمين) أى كفارا قال ابن عباس عميت قلوبهم عن معرفة الله قال الزجاج عموا عن الحق والإيمان يقال رجل عم عن الحق واعمى فى البصر وقيل العمى والأعمى كالخضر والأخضر قال مقاتل عموا عن نزول العذاب وهو الغرق قوله تعالى (وإلى عاد أخاهم هودا) أى وأرسلنا إلى عاد

وهو عاد بن عوص ابن ارم بن سام بن نوح عليه السلام وهى عاد الاولى اخاهم فى النسب لا فى الدين وهو هود بن عبد الله بن رباح بن الجلود ابن عاد بن عوص وقال ابن اسحق هو ابن شالخ بن ارفخشذ بن سام بن نوح (قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره أفلا تتقون) أفلا تخافون

(قال الملأ الذين كفروا من قومه إنا لنراك) ياهود (فى سفاهة) فى حمق وجهالة قال ابن عباس رضى الله عنهما تدهو إلى دين لا تعرفه (وانا لنظنك من الكاذبين) أنك رسول الله الينا (٢٠٤) (قال) هود (ياقوم ليس بى سفاهة ولكنى رسول من رب العالمين أبلغكم رسالات ربى وانا لكم ناصح امين) ناصح ادعوكم إلى التوبة امين على الرسالة قال الكلبى كنت فيكم قبل اليوم أمينا (أوعجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم) يعنى نفسه (لينذركم واذكروا إذ جعلكم خلفاء) يعنى فى الارض (من بعد قوم نوح) اى من بعد اهلاكهم (وزادكم فى الخلق بسطة) اى طولا وقوة قال الكلبى والسدى كانت قامة الطويل منهم مائة ذراع وقامة القصير ستون ذراعا وقال ابو حمزة الثمالى سبعون ذراعا وعن ابن عباس رضى الله عنهما ثمانون ذراعا وقال مقاتل كان طول كل رجل اثنى عشر ذراعا وقال وهب كان راس احدهم مثل القبة العظيمة وكان عين الرجل يفرخ فيها الضباع وكذلك مناخرهم (فاذكروا الاء الله) نعم الله واحدها إلى وإلى مثل معى وامعاء وقفا واقفاء ونظيرها اناء الليل واحدها انى وانى (لعلكم تفلحون قالوا اجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ماكان يعبد اباؤنا) من الاصنام (فاتنا بما تعدنا) من العذاب (إن كنت من الصادقين قال) هود (قد وقع) وجب ونزل (عليكم من ربكم رجس) اى عذاب والسين مبدلة من الزاى (وغضب) اى سخط بقومه اتجادلونني فى اسماء سميتموها وضعتموها (انتم واباؤكم) قال اهل التفسير كانت لهم اصنام يعبدونها سموها اسماء مختلفة (مانزل الله بها من سلطان) حجة وبرهان (فانتظروا) نزول العذاب (انى معكم من المنتظرين فانجيناه) يعنى هودا عند نزول العذاب

قوله هنا أفلا تتقون يعنى أفلا تخافون ما نزل بهم من العذاب ولما لم يكن قبل واقعة قوم نوح شىء حسن تخويفهم من العذاب فقال هناك إنى أخاف عليكم عذاب يوم عظيم (قال الملأ الذين كفروا من قومه انا لنراك فى سفاهة) يعنى انا لنراك ياهود فى حمق وجهالة وضلالة عن الحق والصواب اخبر الله تعالى عن قوم نوح أنهم قالوا إنا لنراك فى ضلال مبين واخبر عن قوم هود أنهم قالوا انا لنراك فى سفاهة والفرق بينهما ان نوحا لما خوف قومه بالطوفان وطفق فى عمل السفينة قال له قومه عند ذلك انا لنراك فى ضلال مبين حيث تتعب فى إصلاح سفينة فى ارض ليس فيها من الماء شىء وأما هود عليه السلام فانه لما زيف عبادة الأصنام ونسب من عبدها إلى السفه وهو قلة العقل قابلوه بمثله فقالوا انا لنراك فى سفاهة (وإنا لنظنك من الكاذبين) يعنى فى ادعائك أنك رسول من عند الله (قال) يعنى قال هود لهؤلاء الملا الذى نسبوه إلى السفه (ياقوم ليس بى سفاهة) يعنى ليس الأمر كما تدعون أن بى سفاهة (ولكن رسول من رب العالمين) يعنى اليكم (أبلغكم رسالات ربى) يعنى أؤدى اليكم ما أرسلنى به من أوامره ونواهيه وشرائعه وتكاليفه (وانا لكم ناصح) يعنى فيما أمركم به من عبادة الله عز وجل وترك عبادة ما سواه (امين) يعنى على تبليغ الرسالة واداء النصح والأمين الثقة على ما ائتمن عليه حكى الله عن نوح عليه الصلاة والسلام أنه قال وأنصح لكم وحكى عن هود عليه الصلاة والسلام أنه قال وانا لكم ناصح فالأول بصيغة الفعل والثانى بصيغة اسم الفاعل والفرق بينهما ان صيغة الفعل تدل على تجدد النصح ساعة بعد ساعة فكان نوح يدعو قومه ليلا ونهارا كما اخبر الله عنه بقوله قال رب انى دعوت قومى ليلا ونهارا فلما كان ذلك من عادته ذكره بصيغة الفعل فقال وانصح لكم وأما هود فلم يكن كذلك بل كان يدعوهم وقتا دون وقت فلهذا قال وانا لكم ناصح امين والمدح للنفس أعظم صفات المدح غير لائق بالعقلاء وإنما فعل هود ذلك وقال هذا القول لانه كان يجب عليه اعلاء قومه بذلك ومقصوده الرد عليهم فى قولهم وانا لنظنك من الكاذبين فوصف نفسه بالامانة وأنه أمين فى تبليغ ما ارسل به من عند الله ففيه تقرير للرسالة والنبوة وفيه دليل على جواز مدح الإنسان نفسه فى موضع الضرورة إلى مدحها (أوعجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم) يعنى أعجبتم ان أنزل الله وحيه على رجل تعرفونه لينذركم بأس ربكم ويخوفكم عقابه (واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح) يعنى واذكروا نعمة الله عليكم إذ اهلك قوم نوح وجعلكم تخلفونهم فى الارض (وزادكم فى الخلق بسطة) يعنى طولا وقوة قال الكلبى والسدى كانت قامة الطويل منهم مائة ذراع وقامة القصير ستين ذراعا وقيل سبعين ذراعا عن ابن عباس رضى الله عنهما ثمانين ذراعا وقال مقاتل اثنى عشر ذراعا وقال وهب كان رأس أحدهم مثل القبة العظيمة (فاذكروا الاء الله) يعنى نعم الله وفيه اضمار تقديره فاذكروا نعمة الله عليكم واعملوا عملا يليق بذلك الإنعام وهو ان تؤمنوا به وتتركوا ما أنتم عليه من عبادة الاصنام (لعلكم تفلحون) يعنى لكى تفوزوا بالفلاح وهو البقاء فى الاخرة (قالوا) يعنى قال قوم هود مجيبين له (اجئتنا) ياهود (لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد أباؤنا) يعنى من الاصنام (فاتنا بما تعدنا) يعنى من العذاب (إن كنت من الصادقين) يعنى فى قولك انك رسول الله (قال) يعنى قال هود مجيبا لهم (قد وقع) يعنى نزل ووجب (عليكم من ربكم رجس وغضب) اى عذاب وسخط (اتجادلوننى) يعنى اتخاصمونني (فى اسماء سميتموها انتم واباؤكم) يعنى وضعتم لها اسماء من عند انفسكم والمراد منه الاستفهام على سبيل الانكار عليهم لانهم سموا الاصنام بالالهة وذلك معدوم فيها (مانزل الله بها من سلطان) يعنى من حجة وبرهان على هذه التسمية وإنما سميتموها انتم من عند انفسكم بغير دليل (فانتظروا) يعنى العذاب (انى معكم من المنتظرين) يعنى نزول العذاب بكم (فانجيناه) يعنى فانجينا هودا عند نزول العذاب

(والذين معه برحمة منا وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا) أى استأصلناهم وأهلكناهم عن اخرهم (وما كانوا مؤمنين) ﴿قصة عاد﴾
ما ذكره محمد بن إسحق وغيره انهم كانوا ينزلون اليمن وكانت مساكنهم بالاحقاف وهى رمال بين عمان وحضرموت وكانوا قد فشوا فى الأرض كلها وقهروا أهلها بفضل قوتهم التى أتاهم الله عز وجل وكانوا أصحاب أوثان يعبدونها صنم يقال له صداء وصنم يقال له صمود وصنم يقال له الهباء فبعث الله إليهم هودا نبيا وهو من أوسطهم نسبا وافضلهم حسبا فامرهم أن يوحدوا (٢٠٥) الله ويكفوا عن ظلم الناس لهم يامرهم

بقومه (والذين معه برحمة منا) يعنى وأنجينا أتباعه الذين امنوا به وصدقوه لأنهم كانوا مستحقين للرحمة (وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا) يعنى وأهلكنا الذين كذبوا هودا من قومه وارادبالايات معجزات هود عليه الصلاة والسلام الدالة على صدقه وهذا هلاك استئصال فهلكوا جميعا ولم يبق منهم واحد (وما كانوا مؤمنين) يعنى لانهم لم يكونوا مصدقين بالله ولا برسوله هود عليه الصلاة والسلام

﴿ذكر قصة عاد على ماذكره محمد بن إسحق وأصحاب السير والأخبار﴾

قالوا جميعا كانت منازل عاد وجماعتهم حين بعث الله تعالى فيهم هودا عليه الصلاة والسلام الاحقاف الرمل فيما بين عمان وحضرموت من أرض اليمن وكانوا قد فسقوا فى الأرض كلها وقهروا أهلها بفضل قوتهم التى جعلها الله فيهم وكانوا أصحاب أوثان يعبدونها من دون الله عز وجل صنم يقال له صداء وصنم يقال له صمود وصنم يقال له الهباء فبعث الله عز وجل فيهم هودا عليه الصلاة والسلام وهو من أوسطهم نسبا وأفضلهم موضعا فامرهم أن يوحدوا الله ولا يجعلوا معه إلها غيره وان يكفوا عن ظلم الناس ولم يأمرهم بغير ذلك فيما ذكر فأبوا عليه وكذبوه وقالوا من أشد منا قوة واتبعه منهم ناس فامنوا به وهم يسير يكتمون إيمانهم وكان ممن صدقه وامن به رجل يقال له مرثد بن سعد بن عفير وكان يكتم إيمانه فلما عتوا على الله وكذبوا نبيه واكثروا فى الأرض الفساد وتجبروا وبنوا بكل ريع اية واتخذوا المصانع لعلهم يخلدون فلما فعلوا ذلك أمسك الله عنهم المطر ثلاث سنين حتى جهدهم ذلك وكان الناس فى ذلك الزمان إذا نزل بهم بلاء وجهد يطلبون الفرج من الله عز وجل وذلك عند بيته الحرام بمكة مؤمنهم ومشركهم وكان يجتمع بمكة ناس كثير مختلفة أديانهم وكل معظم مكة معترف بحرمتها ومكانها من الله عز وجل وكان البيت معروفا مكانه من الحرم وكان سكان مكة يومئذ العماليق وإنما سموا العماليق لان اباهم كان عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح وكان سيد العماليق يومئذ رجلا يقال له معاوية بن بكر وكانت ام معاوية كلهدة بنت الخيبرى وهو رجل من عاد وكانت عاد اخوال معاوية سيد العماليق فلما قحطت عاد وقل عنهم المطر قالوا جهزوا منكم وفدا إلى مكة ليستسقوا لكم فانكم قد هلكتم فبعثوا قيل ابن عنز ونعيم بن هزال من هزيل وعقيل بن صنديد بن عاد الاكبر مرثد بن سعد بن عفير وكان مسلما يكتم إسلامه وجلهمة بن الخيبرى خال معاوية بن بكر سيد العماليق ولقمان بن عاد فانطلق كل رجل من هؤلاء القوم ومعه جماعة من قومه فبلغ عدد وفد عاد سبعين رجلا فلما قدموا مكة نزلوا على معاوية بن بكر وهو بظاهر مكة خارجا عن الحرم فانزلهم واكرمهم وكانوا أخواله وأصهاره فأمواعنده شهرا يشربون الخمر وتغنيهم الجرادتان وهما قينتان لمعاوية بن بكر فلما رأى معاوية ان طول مقامهم عنده وقد بعثهم قومهم يتغوثون لهم من البلاء الذى اصابهم شق ذلك عليه وقال هلك اخوالى وأصهارى وهؤلاء مقيمون عندى وهم ضيفى نازلون على والله ما ادرى كيف أصنع فانى استحى ان امرهم بالخروج لما بعثوا اليه فيظنوا أنه ضيق منى بمكانهم عندى وقد هلك من وراءهم قومهم جهدا وعطشا قال وشكا ذلك من أمرهم إلى قينتيه الجرادتين فقالتا قل شعرا نغنيهم به ولا يدرون من قاله لعل ذلك أن يحركهم فقال معاوية

ألا ياقيل ويحك قم فهينم * لعل الله يسقينا غماما * فيسقى ارض عاد إن عادا
قد امسوا لا يبينون الكلاما * من العطش الشديد فليس نرجو * به الشيخ الكبير ولا الغلاما

بغير ذلك فكذبوه وقالوا من أشد منا قوة وبنو المصانع وبطشوا بطشة الجبارين فلما فعلوا ذلك امسك الله عنهم المطر ثلاث سنين حتى جهدهم ذلك وكان الناس فى ذلك الزمان إذا نزل بهم بلاء فطلبوا الفرج كانت طلبتهم إلى الله عز وجل عند بيته الحرام بمكة مسلمهم ومشركهم فيجتمع بمكة ناس كثير شتى مختلفة اديانهم وكلهم معظم لمكة واهل مكة يومئذ العماليق سموا عماليق لان اباهم عمليق بن لاذ بن سام بن نوح وكان سيد العماليق إذ ذاك بمكة رجل يقال له معاوية بن بكر وكانت أم معاوية كلهدة بنت الخيبرى رجل من عاد فلما قحط المطر عن عاد وجهدوا قالوا اجهزوا وفدا منكم إلى مكة فليستسقوا لكم فبعثوا قيل ابن عنز ونعيم بن هزال من هزيل وعقيل بن صندين ابن عاد الاكبر ومرثد بن سعد بن عفير وكان مسلما يكتم إسلامه وجلهمة بن الخيبرى خال معاوية بن بكر ثم بعثوا لقمان بن عاد الاصغر بن صندين بن عاد الاكبر فانطلق كل رجل

من هؤلاء ومعه رهط من قومه حتى بلغ عدد وفدهم سبعين رجلا فلما قدموا مكة نزلوا على معاوية بن بكر وهو بظاهر مكة خارجا من الحرم فانزلهم واكرمهم وكانوا أخواله واصهاره فاقاموا عنده شهرا يشربون الخمر وتغنيهم الجرادتان وهما قينتان لمعاويه ابن بكر وكان مسيرهم شهرا ومقامهم شهرا فلما رأى معاوية بن بكر طول مقامهم وقد بعثهم قومهم يتغوثون بهم من البلاء الذى أصابهم شق ذلك عليه وقال هلك أخوالى وأصهارى وهؤلاء مقيمون عندى وهم ضيفى والله ما أدرى كيف اصنع بهم استحى أن أمرهم

بالخروج إلى ما بعثوا إليه فيظنون أنه ضيق عليهم بمقامهم عندي وقد هلك من وراءهم من قومهم جهدا وعطشا فشكا ذلك من أمرهم إلى قيله الجرادتين فقالتا قل شعرا نفهم به لا يدرون من قاله لعل ذلك أن يحركهم فقال معاوية بن بكر الا يا قيل ويحك قم فهينم لعل الله يسقينا غماما فيسقي أرض عاد إن عاداً * قد امسوا لا يبينون الكلاما * من العطش الشديد فليس نرجو * به الشيخ الكبير ولا الغلاما وقد كانت نساؤهم بخير * فقد امست (٢٠٦) نساؤهم ايامى * وان الوحش تاتيهم جهارا * فلا تخشى لعادى سهاما وأنتم ههنا فيما اشتهيتم

وقد كانت نساؤهموا بخير * فقد أمست نساؤهم أيامى * وان الوحش تاتيهم جهارا
ولا تخشى لعادى سهاما * وانتم ههنا فيما اشتهيتم * نهاركموا وليلكموا تماما
فقبح وفدكم من وفد قوم * ولا لقوا التحية والسلاما

فلما قال معاوية هذا الشعر وغنتهم به الجرادتان وعرف القوم ما غنتا به قال بعضهم لبعض يا قوم إنما بعثكم قومكم ليتغوثوا بكم من هذا البلاء الذى نزل بهم وقد ابطأتم عليهم فادخلوا الحرم واستسقوا لقومكم فقال مرثد بن سعد بن عفير انكم والله لا تسقون بدعائكم ولكن إن اطعتم نبيكم وتبتم إلى ربكم سقيتم واظهر إسلامه عند ذلك وقال فى ذلك

عصت عاد رسولهم فأمسوا * عطاشا ماتبلهم السماء
لهم صنم يقال له صمود * يقابله صداء والهباء
فبصرنا الرسول سبيل رشد * فابصرنا الهدى وجلا العلماء
وان إله هود هو إلهى * على الله التوكل والرجاء

زاد فى رواية

لقد حكم الإله وليس جورا * وحكم الله أن غلب الهواء
على عاد وعاد شر قوم * فقد هلكوا وليس لهم بقاء
وإنى لن أفارق دين هود * طوال الدهر أو يأتى الفناء

فقال جلهمة بن الخبير مجيبا لمرثد بن سعد حين فرغ من مقالته وعرف انه اتبع دين هود وآمن به

ألا يا سعد انك من قبيل * ذوى كرم وأمك من ثمود
فانا لا نطيعك ما بقينا * ولسنا فاعلين لما تريد
اتامرنا لنترك دين وفد * ورمل والصداء مع الصمود
ويترك دين اباء كرام * ذوى راى ونتبع دين هود

ثم قال جلهمة لمعاوية بن بكر وأبيه بكر احبسا عنا مرثدا فلا يقدمن معنا مكة فانه قد تبع دين هود وترك ديننا ثم خرجوا إلى مكة يستسقون بها لعاد فلما ولوا إلى مكة خرج مرثد بن سعد من منزل معاوية بن بكر حتى ادركهم بمكة قبل ان يدعوا الله بشىء مما خرجوا إليه فلما انتهى إليهم قام يدعو الله وبها وفد عاد يدعونه فقال مرثد اللهم اعطنى سؤلى وحدى ولا تدخلنى فيما يدعوك به وفد عاد وقام قيل بن عنز راس وفد عاد يدعوا فقال اللهم قيلا ما سألك وقال الوفد معه واجعل سؤلنا مع سؤله وكان قد تخلف عن وفد عاد لقمان بن عاد وكان سيد عاد حتى إذا فرغوا من دعواتهم قام لقمان فقال اللهم إنى جئتك وحدى فى حاجتى فاعطنى سؤلى وسال طول العمر عمر سبعة انسر وقال قيل بن عنز حين دعا يا الهنا إن كان هود صادقا فاسقنا فانا قد هلكنا فانشا الله تعالى سحائب ثلاثا بيضاء وحمراء وسوداء ثم ناداه مناد من السماء يا قيل اختر لقومك ولنفسك من هذه السحائب فقال قيل قد اخترت السحابة السوداء فانها اكثر السحاب ماء فناداه مناد اخترت رمادا رمددا لا يبقى من ال عاد احدا وساق الله تعالى السحابة السوداء التى اختارها قيل بما فيها من النقمة إلى عاد حتى خرجت عليهم من واد لهم يقال له المغيث فلما رأوها استبشروا بها وقالوا هذا عارض ممطرنا يقول الله عز وجل بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم تدمر كل شىء اى كل شىء مرت به بامر ربها وكان اول من ابصر

فقبح وفدكم من وفد قوم
ولا لقوا التحية والسلاما
فلما غنتهم الجرادتان هذا قال بعضهم لبعض يا قوم إنما بعثكم قومكم يتغوثون بكم من البلاء الذى نزل بهم وقد ابطاتم عليهم فادخلوا هذا الحرم فاستسقوا لقومكم فقال مرثد بن سعد بن عفير وكان قد امن بهود سرا إنكم والله لا تسقون بدعائكم ولكن إن اطعتم نبيكم اثبتم إلى ربكم سقيتم فاظهر اسلامه عند ذلك وقال شعرا
عصت عاد رسولهم فامسوا
عطاشا ما تبلهم السما
لهم صنم يقال له صمود
يقابله عداء والهباء
فبصرنا الرسول سبيل رشد
فابصرنا الهدى وجلى العماء
وان إله هود هو إلهى
على الله التوكل والرجاء
فقالوا لمعاوية بن بكر احبس عنا مرثد بن سعد فلا يقدمن معنا مكة فانه قد اتبع دين هود وترك ديننا ثم خرجوا إلى مكة يستسقون لعاد فلما ولوا إلى مكة خرج مرثد بن سعد من منزل معاوية حتى ادركهم قبل ان يدعوا الله بشىء ما اخرجوا له فلما انتهى إليهم قام يدعو الله وبها وفد عاد يدعون فقال اللهم اعطنى سؤلى وحدى ولا تدخلنى فى شىء مما يدعوك به وفد عاد وكان قيل ما ابن عنز رأس وفد عاد اللهم اعط قيلا ما سألك واجعل سؤلنا مع سؤله وكان قد تخلف عن وفد عاد حين دعوا لقمان بن عاد وكان سيد عاد حتى إذا فرغوا من دعوتهم فقال اللهم إنى جئتك وحدى فى حاجتى فاعطنى سؤلى وسأل الله طول العمر فعمر عمر سبعة أنسر وقال قيل بن عنز حين دعا يا الهنا ان كان هود صادقا فاسقنا فانا قد هلكنا فانشأ الله سحائب ثلاثا بيضاء وحمراء وسوداء ثم ناداه مناد من السحاب

ياقيل اختر لنفسك وقومك من هذه السحائب ماشئت فقال اخترت السحابة السوداء فانها اكثر السحاب ماء فنادا ممتادا اخترت رمادا رمدد الا يبقى من آل عاد احدا وساق الله السحابة السوداء التى اختارها قيل بما فيها من النقمة إلى عاد حتى خرجت عليهم من وادهم يقال له المغيث فلما رأوها استبشروا وقالوا هذا عارض ممطرنا يقول الله تعالى بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب اليم تدمر كل شيء بامر ربها أى كل شيء مرت به وكان أول من بصر ما فيها وعرف انها ريح مهلكة امرأة من عاد يقال لها مهدد فلما تبينت ما فيها صاحت ثم صعقت فلما أفاقت قالوا لها ماذا رايت قالت رأيت ريحا فيها كشهب النار امامها يقودونها فسخرها الله عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما فلم تدع من عاد أحدا إلا هلك واعتزل هود ومن معه من المؤمنين فى حظيرة ما يصيبه هو ومن معه من الريح إلا ما تلين عليه الجلود وتلذ الأنفس وانها لتمر من عاد بالظعن فتحملهم بين السماء والأرض وتدمغهم بالحجارة وخرج وفد عاد من مكة حتى مروا بمعاوية بن بكر فنزلوا عليه فبينما هم عنده إذا أقبل رجل على ناقة فى ليلة مقمرة مساء ثالثة من مصاب عاد فاخبرهم الخبر فقالوا له فاين فارقت (٣٠٧) هودا وأصحابه فقال فارقتهم بساحل البحر

مافيها وعرف انها ريح مهلكة امرأة من عاد يقال لها مهدد فلما عرفت مافيها من العذاب صاحت ثم صعقت فلما أفاقت قالوا لها ماذا رأيت قالت رأيت الريح فيها كشهب النار أمامها رجال يقودونها فسخرها الله عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما فلم تدع من آل عاد احدا إلا اهلكته واعتزل هود ومن معه من المؤمنين فى حظيرة ما يصيبه ومن معه من الريح إلا ما تلين عليه الجلود وتلذ به الانفس فى قوتها لتمر بالظعن من عاد فتحملهم بين السماء والأرض وتدمغهم بالحجارة وخرج وفد عاد من مكة حتى مروا بمعاوية بن بكر فنزلوا عليه فبينما هم عنده إذا قبل رجل على ناقة فى ليلة مقمرة وذلك مساء ثالثة من مصاب عاد فاخبرهم الخبر فقالوا له اين فارقت هودا وأصحابه فقال فارقتهم بساحل البحر وكانهم شكوا فيما حدثهم به فقالت هذيلة بنت بكر صدق ورب الكعبة وقال السدى بعث الله عز وجل على عاد الريح العقيم فلما دنت منهم نظروا إلى الإبل والرجال تطير بهم الريح بين السماء والأرض فلما رأوها تبادروا إلى البيوت فدخلوها وأغلقوا الأبواب فجاءت الريح فقلعت أبوابهم ودخلت عليهم فاهلكتهم فيها ثم أخرجتهم من البيوت فلما اهلكتهم أرسل الله تعالى عليهم طيرا أسود فنقلتهم إلى البحر فألقاهم فيه وقيل إن الله تعالى امر الريح فاما لت عليهم الرمال فكانوا تحتها سبع ليال وثمانية ايام يسمع لهم أنين تحت الرمل ثم امر الله الريح فكشفت عنهم الرمل ثم احتملتهم فرمت بهم فى البحر ولم تخرج ريح قط إلا بمكيال إلا يومئذ فانها عتت على الخزنة فغلبتهم فلم يعلموا كم كان مكيالها وفى الحديث إنما خرجت على مثل خرق الخاتم وقتل ان مرثد بن سعد ولقمان بن عاد وقيل ابن عنز حين دعوا بمكة قيل لهم اعطيتم مناكم فاختاروا لانفسكم غيرانه لا سبيل إلى الخلود ولا بد من الموت فقال مرثد اللهم اعطنى برا وصدقا فاعطى ذلك وقال لقمان اللهم اعطنى عمرا فقيل له اختر فاختار عمر سبعة انسر فكان يأخذ الفرخ حين يخرج من البيضة وكان يأخذ الذكر لقوته فيربيه حتى يموت فاذا مات أخذ غيره فلم يزل يفعل ذلك حتى اتى على السابع وكان كل نسر يعيش ثمانين سنة وكان السابع من النسور اسمه لبد فلما مات لبد مات لقمان معه وأما قيل فانه اختار لنفسه ما يصيب قومه فقيل له انه الهلاك فقال لا ابالى لا حاجة لى فى البقاء بعد قومى فاصابه الذى اصاب عادا فهلك ومن معه من الوفد الذين خرجوا يستسقون لعاد فأتت الريح لما خرجوا من الحرم فأهلكتهم جميعا فلما أهلك الله عادا ارتحل هود ومن معه من المؤمنين من أرضهم بعد هلاك قومه إلى موضع يقال له الشحر من أرض اليمن فنزل هناك ثم أدركه الموت فدفن بأرض حضرموت يروى عن على بن ابى طالب كرم الله وجهه ان قبر داود عليه السلام بحضرموت فى كثيب أحمر وقال عبد ابن شبابة بين الركن والمقام وزمزم قبر تسعة وتسعين نبيا وان قبر هود وصالح وشعيب وإسمعيل

فكأنهم شكوا فيما حدثهم به فقالت هذيلة بنت بكر صدق ورب مكة وذكروا ان مرثد ابن سعد ولقمان بن عاد وقيل إن عنز حين دعوا بمكة قيل لهم قد أعطيتم مناكم فاختاروا لانفسكم إلا انه لا سبيل إلى الخلود ولا بد من الموت فقال مرثد اللهم اعطنى صدقا وبرا فاعطى ذلك وقال لقمان أعطنى يارب عمرا فقال اختر فاختار عمر سبعة أنسر فكان يأخذ الفرخ حين يخرج من بيضته فيأخذ الذكر منها لقوته حتى إذا مات أخذ غيره فلم يزل يفعل ذلك حتى أتى على السابع وكان نسر يعيش ثمانون سنة وكان آخرها لبدا فلما مات لبد مات لقمان معه واما قيل فانه اختار ان يصيبنى ما اصاب قومى فقيل له ان الهلاك فقال لا أبالى لا حاجة لى فى البقاء بعدهم فاصابه الذى أصاب عادا من البلاء والعذاب فهلك قال السدى بعث الله الريح العقيم فلما دنت منهم نظروا إلى الإبل والرجال تطير بهم الريح بين السماء والأرض فلما رأوها تبادروا البيوت فدخلوها وأغلقوا ابوابهم فجاءت الريح فقلعت أبوابهم فدخلت عليهم فاهلكتهم فيها ثم أخرجتهم من البيوت فلما أهلكهم الله أرسل عليهم طيراً سوداء فنقلتهم إلى البحر فالقتهم فيه وروى ان الله عز وجل امر الريح فاهالت عليهم الرمال فكانوا تحت الرمل سبع ليال وثمانية أيام لهم انين تحت الرمل ثم أمر الريح فكشفت عنهم الرمال فاحتملتهم فرمت بهم فى البحر ولم تخرج ريح قط إلا بمكيال إلا يومئذ فانها عتت على الخزنة فغلبتهم فلم يعلموا كم كان مكيالها وفى الحديث انها خرجت على قدر خرق الخاتم وروى عن على ان قبر هود بحضرموت فى كثيب أحمر وقال عبد الرحمن بن سابط بين الركن والمقام وزمزم قبر تسعة وتسعين نبيا وان قبر هود وشعيب وصالح واسمعيل فى تلك البقعة ويروى ان النبى من الأنبياء إذا هلك قومه جاء هو والصالحون معه إلى مكة يعبدون الله فيها حتى يموتوا

قوله تعالى (إلى ثمود أخاهم صالحا) وهو ثمود بن عابر بن أرم بن سام بن نوح وأراد هنا القبيلة قال أبو عمرو بن العلاء سميت ثمود لقلة مائها والثمد الماء القليل وكانت مساكنهم الحجر بين الحجاز والشام إلى وادي القرى أخاهم صالحا أي أرسلنا إلى ثمود أخاهم في النسب لا في الدين صالحا وهو صالح بن عبيد بن آسف بن (٢٠٨) ماسح بن عبيد بن حادر بن ثمود (قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره قد جاءتكم بينة

من ربكم) على صدق (هذه ناقة الله) اضافها اليه على التفضيل والتخصيص كما يقال بيت الله لكم آية) نصب على الحال (فذروها تأكل) العشب (في أرض الله ولا تمسوها بسوء) ولا تصيبوها بعقر (فيأخذكم عذاب أليم واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم) اسكنكم وانزلكم (في الأرض تتخذون من سهولها قصورا وتنحتون الجبال بيوتا كانوا ينقبون في الجبال البيت ففي الصيف يسكنون بيوت الطين وفي الشتاء بيوت الجبل وقيل كانوا ينحتون البيوت في الجبل لان بيوت الطين ما كانت تبقى مدة اعمارهم لطول اعمارهم (فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا في الأرض مفسدين) والعثو اشد الفساد (قال الملا) قرأ ابن عامر وقال الملا بالواو (الذين استكبروا من قومه) يعني الاشراف والقادة الذين تعظموا عن الايمان بصالح (للذين استضعفوا) يعني قال الكفار للمؤمنين يعني الاتباع (لمن آمن منهم) (أتعلمون أن صالحا مرسل من ربه إليه) اليكم (قالوا إنا بما ارسل به مؤمنون قال الذين استكبروا إنا بالذي آمنتم به كافرون

عليهم الصلاة والسلام في تلك البقعة وروى أن كل نبي من الأنبياء إذا هلك قومه جاء هو والصالحون من قومه معه إلى مكة يعبدون الله تعالى حتى يموتوا بها * قوله عز وجل (وإلى ثمود أخاهم صالحا) يعني وارسلنا إلى ثمود وهو ثمود بن عابر بن ارم بن سام نوح وهو اخو جديس بن عابر وكانت مساكن ثمود الحجر بين الحجاز والشام إلى وادي القرى وما حوله ومعنى الكلام إلى بني ثمود اخاهم صالحا لان ثمود قبيلة قال ابو عمرو بن العلاء سميت ثمود لقلة مائها والثمد الماء القليل وقيل سموا ثمود باسم ابيهم الذي ينسبون اليه اخاهم صالحا يعني في النسب لا في الدين وهو صالح بن عبيد بن آسف بن ماسح بن عبيد بن حاذر بن ثمود (قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره) يعني قال لهم صالح حين أرسله الله تعالى الههم يا قوم وحدوا الله تعالى ولا تشركوا به شيئا فما لكم من إله يستحق أن يعبد سواه (قد جاءتكم بينة من ربكم) يعني جاءتكم حجة من ربكم وبرهان على صدق ما اقول وأدعو اليه من عبادة الله تعالى وان لا تشركوا به شيئا وعلى تصديق بأني رسول الله اليكم ثم فسر تلك البينة فقال (هذه ناقة الله لكم آية) يعني علامة على صدقي قال العلماء رحمهم الله تعالى ووجه كون هذه الناقة اية على صدق صالح ومعجزة له خارقة للعادة انها خرجت من صخرة في الجبل وكونها لا من ذكر ولا من انثى وكمال خلقها من غير حمل ولا تدريج لانها خلقت في ساعة وخرجت من الصخرة وقيل لانه كان لها شرب يوم ولجميع قبيلة ثمود شرب يوم وهذا من المعجزة ايضا لأن ناقة تشرب ما تشرب به قبيلة معجزة وكانوا يحلبونها في يوم شربها قدر ما يكفيهم جميعهم ويقوم لهم مقام الماء وهذا أيضا معجزة وقيل ان سائر الوحوش والحيوانات كانت تمتنع من شرب الماء في يوم شرب الناقة وتشرب الحيوانات الماء في غير يوم الناقة وهذا أيضا معجزة وإنما أضافها إلى الله تعالى في قوله هذه ناقة الله على سبيل التفضيل والتشريف كما يقال بيت الله وقيل لان الله تعالى خلقها بغير واسطة ذكر ولا انثى وقيل لانه لم يملكها احد إلا الله تعالى وقيل لانها كانت حجة الله على قوم صالح (فذروها تأكل في ارض الله) يعني فذروا الناقة تأكل العشب من ارض الله فان الارض لله والناقة ايضا لله وليس لكم في ارض الله شيء لانه هو الذي نبت العشب فيها (ولا تمسوها بسوء) يعني ولا تطردوها ولا تقربوها بشيء من انواع الاذى ولا تعقروها (فيأخذكم عذاب أليم) يعني بسبب عقرها واذاها (واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد عاد) يعني ان الله أهلك عادا وجعلكم تخلفونهم في الأرض وتعمرونها (وبوأكم) يعني واسكنكم وانزلكم (في الأرض تتخذون من سهولها قصورا) يعني تبنون القصور من سهولة الأرض لأن القصور إنما تبنى من اللبن والاجر المتخذ من الطين السهل اللين (وتنحتون الجبال بيوتا) يعني وتشقون بيوتا من الجبال وقيل كانوا يسكنون السهول في الصيف والجبال في الشتاء وهذا يدل على انهم كانوا متمتعين مترفهين (فاذكروا آلاء الله) اي فاذكروا نعمة الله عليكم واشكروه عليها (ولا تعثوا في الأرض مفسدين) قال قتادة معناه ولا تسيروا في الأرض مفسدين فيها والعثو أشد الفساد وقيل اراد به عقر الناقة وقيل هو ظاهره فيدخل فيه النهي عن جميع انواع الفساد (قال الملأ الذين استكبروا من قومه) يعني قال الاشراف الذين تعظموا عن الايمان بصالح (للذين استضعفوا) يعني المساكين (لمن امن منهم) يعني قال الاشراف المتعظمون في انفسهم لاتباعهم الذين آمنوا بصالح وهم الضعفاء من قومه (اتعلمون ان صالحا مرسل من ربه) يعني ان الله ارسله الينا واليكم (قالوا إنا بما أرسل به مؤمنون) يعني قال الضعفاء إنا بما أرسل الله به صالحا من الدين والهدى مصدقون (قال الذين استكبروا) يعني عن امر الله والايمان به وبرسوله صالح (إنا بالذي امنتم به كافرون) اي جاحدون منكرون (فعقروا الناقة) يعني فعقرت ثمود الناقة والعقر قطع عرقوب البعير ثم جعل النحر عقرا لان ناحر البعير يعقره ثم ينحره (وعتوا عن أمر ربهم) أي تكبروا عن أمر ربهم وعصوه والعتو والغلو في الباطل والتكبر عن الحق والمعنى انهم عصوا الله وتركوا امره في الناقة وكذبوا نبيهم صالحا عليه الصلاة

جاحدون (فعقروا الناقة) قال الأزهري العقر هو قطع عرقوب البعير ثم جعل النحر عقرا لأن ناحر البعير يعقره ثم ينحره والسلام (وعتوا عن أمر ربهم) والعتو والغلو في الباطل يقال عتا يعتو عتوا إذا استكبروا والمعنى عصوا الله وتركوا امره في الناقة وكذبوا نبيهم

وقالوا ياصالح ائتنا بما تعدنا) اى من العذاب إن كنت من المرسلين فأخذتهم الرجفة) وهى زلزلة الارض وحركتها واهلكوا بالصيحة والرجفة (فاصبحوا فى دارهم) قيل اراد الديار وقيل اراد ارضهم وبلدتهم ولذلك وحد الدار (جاثمين) خامدين ميتين قيل سقطوا على وجوههم موتى عن آخرهم (فتولى) اعرض صالح (عنهم وقال ياقوم لقد أبلغتكم رسالة ربى ونصحت لكم بعدما أهلكوا بالرجفة قيل كما خاطب رسول الله ﷺ الكفار من قتلى بدر حين ألقاهم فى القليب فجعل يناديهم بأسمائهم وأسماء آبائهم أيسركم أنكم أطعتم الله ورسوله فأنا قد وجدنا ماوعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ماوعد ربكم حقا فقال عمر يارسول الله ماتكلم من أجساد لا أرواح لها فقال النبى ﷺ والذى نفس محمد بيده ما أنتم باسمع لما اقول منهم ولكن لايجيبون وقيل خاطبهم ليكون عبرة لمن خلفهم وقيل فى الاية تقديم وتأخير تقديرها فتولى عنهم وقال ياقوم لقد أبلغتكم رسالة ربى فاخذتهم الرجفة وكان قصة ثمود على ماذكره محمد بن اسحاق ووهب وغيرهما ان عاد (٢٠٩) لما هلكت وتقضى أمرها عمرت ثمود بعدها واستخلفوا فى الأرض فدخلوا فيها وكثروا وعمروا حتى جعل احدهم يبنى المسكن من المدر فينهدم والرجل منهم حى فلما راوا ذلك اتخذوا من الجبال بيوتا وكانوا فى سعة من معاشهم فعثوا وافسدوا فى الأرض وعبدوا غير الله فبعث الله فيهم صالحا وكانوا قوما عربا وكان صالح من اوسطهم نسبا وافضلهم حسبا وموضعا فبعثه الله اليهم غلاما شابا فدعاهم إلى الله حتى شمط وكبر لايتبعه منهم إلا قليل مستضعفون فلما ألح عليهم صالح بالدعاء والتبليغ وأكثر لهم التحذير والتخويف سالوه ان يريهم آية تكون مصداقا إلى ما يقول فقال لهم اى آية يريدون قالوا تخرج معنا إلى عيدنا وكان لهم عيد

والسلام (وقالوا ياصالح ائتنا بما تعدنا) يعنى من العذاب (إن كنت من المرسلين) يعنى إن كنت كما تزعم أنك رسول الله فان الله تعالى ينصر رسله على أعدائه وإنما قالوا ذلك لأنهم كانوا مكذبين فى كل ما أخبرهم به من العذاب فعجل الله لهم ذلك فقال تعالى (فأخذتهم الرجفة) قال الفراء والزجاج الرجفة الزلزلة الشديدة العظيمة وقال مجاهد والسدى هى الصيحة فيحتمل انهم أخذتهم الزلزلة من تحتهم والصيحة من فوقهم حتى هلكوا وهو قوله تعالى (فأصبحوا فى دارهم جاثمين) يعنى فأصبحوا فى أرضهم وبلدهم جاثمين ولذلك وحد الدار كما يقال دار الحرب أى بلد الحرب ودار بنى فلان بمعنى موضعهم وبمحلهم وجمع فى آية أخرى فقال فى ديارهم لأنه أراد ما لكل واحد منهم من الديار والمساكن وقوله جاثمين يعنى باركين على الركب والجثوم للناس والطير بمنزلة البروك للبعير وجثوم الطير وقوعه لاطئا بالأرض فى حال نومه وسكونه بالليل والمعنى انهم اصبحوا جاثمين على وجوههم موتى لايتحركون (فتولى عنهم) يعنى فاعرض عنهم صالح وفى وقت هذا التولى قولان احدهما انه تولى عنهم بعد ان ماتوا وهلكوا ويدل عليه قوله فأصبحوا فى دارهم جاثمين فتولى عنهم والفاء للتعقيب فدل على انه جعل هذا التولى بعد جثومهم وهو موتهم والقول الثانى انه تولى عنهم وهم احياء قبل موتهم وهلاكهم ويدل عليه انه خاطبهم (وقال ياقوم لقد ابلغتكم رسالة ربى ونصحت لكم ولكن لاتحبون الناصحين) وهذا الخطاب لايليق إلا بالأحياء فعلى هذا القول يحتمل ان يكون فى الاية تقديم وتاخير تقديره فتولى عنهم وقال ياقوم لقد ابلغتكم رسالة ربى ونصحت لكم ولكن لاتحبون الناصحين فاخذتهم الرجفة فاصبحوا فى دارهم جاثمين واجاب اصحاب القول الأول عن هذا انه خاطبهم بعد هلاكهم وموتهم توبيخا وتقريعا كما خاطب النبى ﷺ الكفار من قتلى بدر حين القوا فى القليب فجعل يناديهم باسمائهم الحديث فى الصحيح وفيه فقال عمر يارسول الله كيف تكلم اقواما قد جيفوا فقال ماانتم باسمع لما اقول منهم ولكن لا يجيبون وقيل إنما خاطبهم صالح بذلك ليكون عبرة لمن ياتى بعدهم فينزجر عن مثل تلك الطريقة التى كانوا عليها

﴿ذكر قصة ثمود على ماذكره محمد بن إسحق ووهب بن منبه وغيرهما من اصحاب السير والأخبار﴾

قالوا جميعا إن عادا لما هلكت وانقضى امرها عمرت ثمود بعدها واستخلفوا فى الأرض فدخلوا فيها وكثروا وعمروا حتى ان احدهم ليبنى المسكن من المدر فينهدم والرجل حى فلما راوا ذلك اتخذوا من الجبال بيوتا وكانوا فى سعة من العيش والرخاء فعثوا وافسدوا فى الأرض وعبدوا غير الله فبعث الله تعالى اليهم صالحا نبيا وكانوا أقواما عربا وكان صالح من اوسطهم نسبا وافضلهم بيتا وحسبا فبعثه الله تعالى اليهم وهو غلام فلم يزل

(٢٧ — خازن — نى) يخرجون فيه أصنامهم فى يوم معلوم من السنة فتدعو إلهك وندعو آلهتنا فان استجيب لك اتبعناك وإن استجيب لنا اتبعتنا فقال لهم صالح نعم فخرجوا بأوثانهم إلى عيدهم وخرج صالح معهم فدعوا أوثانهم وسألوها ان لايستجاب لصالح فى شىء مما يدعو به ثم قال جندع بن عمرو بن حراش وهو يومئذ سيد ثمود ياصالح اخرج لنا من هذه الصخرة لصخرة منفردة فى ناحية من الحجر يقال لها الكاثبة ناقة مخترجة جوفاء وبراء عشراء والمخترجة ماشاكل البخت من الإبل فان فعلت صدقناك وآمنا بك فأخذ عليهم صالح مواثيقهم لئن فعلت لتصدقنى ولتؤمنن بى قالوا نعم فصلى صالح ركعتين ودعا به فتمخضت الصخرة تمخض النتوج بولدها ثم تحركت الهضبة فانصدعت عن ناقة عشراء جوفاء وبراء كما وصفوا لا يعلم ما بين جنبيها عظما إلا الله وهم ينظرون ثم نتجت سقبا مثلها فى العظم فآمن به جندع بن عمرو ورهط من قومه وأراد أشراف ثمود أن يؤمنوا به ويصدقوه فنهاهم ذؤاب بن عمرو بن لبيد والحباب صاحب أوثانهم ورباب بن صمغر وكان كاهنهم وكانوا من أشراف ثمود فلما خرجت الناقة قال لهم صالح هذه ناقة الله لهم شرب ولكم شرب يوم معلوم فكنت

الناقة ومعها سقبها فى أرض ثمود ترعى الشجر وتشرب الماء فكانت ترد الماء غبا فاذا كان يومها وضعت فى بئر فى الحجر يقال لها بئر الناقة فاترفع راسها حتى نشرب كل ماء فيها فلا تدع قطرة ثم ترفع راسها فتفتح حتى تفجج لهم فيحلبون ماشاؤا من لبن فيشربون ويدخرون حتى يملؤا اوانيهم كلها ثم تصدر من غير الفج الذى وردت منه لا تقدر أن تصدر من حيث ترد يضيق عنها حتى إذا كان يومهم فيشربون ما شاؤا من الماء ويدخرون ماشاؤا ليوم الناقة فهل له من ذلك فى سعة ودعة وكانت الناقة تصيف إذا كان الحر بظهر الوادى فتهرب منها المواشى أغنامهم وبقرهم وابلهم فتهبط إلى بطن الوادى فى حره وجدبه وذلك ان المواشى تنفر منها إذا رأتها وتشتو ببطن الوادى إذا كان الشتاء فتهرب مواشيهم إلى ظهر الوادى فى البرد والجدب فاضر ذلك بمواشيهم للبلاء والاختبار فكبر ذلك عليهم فعتوا عن أمر ربهم وحملهم ذلك على عقر الناقة فاجمعوا على عقرها وكانت امرأتان من ثمود إحداهما يقال لها عنيزة بنت غنم بن مجلز تكنى بام غنم وكانت امرأة ذؤاب ابن عمرو وكانت عجوز مسنة وكانت ذات بنات حسان وذات مال من ابل وبقر وغنم وامرأة أخرى يقال لها صدوف بنت المحيا وكانت جميلة غنية ذات مواش كثيرة وكانتا من أشد الناس عداوة لصالح وكانتا تحبان عقر الناقة لما أضرت بهما من مواشيهما فتحيلتا فى عقر الناقة فدعت صدوف رجلا من ثمود يقال له الحباب لعقر الناقة وعرضت عليه نفسها ان هو فعل فابى عليها فدعت ابن عم لها يقال له مصدع ابن مهرج بن المحيا وجعلت له نفسها على أن يعقر الناقة وكانت من أحسن الناس وأكثرهم مالا فأجابها إلى ذلك ودعت عنيزة بنت غنم قدار بن سالف وكان رجلا أحمر أزرق قصيرا يزعمون انه كان لزانية ولم يكن لسالف ولكنه ولد على فراش سالف فقالت أعطيك أى بنانى شئت على أن تعقر الناقة وكان قدار عزيزا منيعا فى قومه أخبرنا عبد الواحد المليحى أنا احمد بن عبد الله النعيمى انا محمد بن يوسف حدثنا بن اسمعيل حدثنا موسى بن اسمعيل حدثنا وهيب ثنا هشام عن ابيه انه أخبره عبد الله بن زمعة انه سمع النبى ﷺ يخطب وذكر الناقة والذى عقرها فقال رسول الله ﷺ إذ انبعث اشقاها انبعث لها رجل عزيز عارم منيع فى قومه مثل ابى زمعة رجعنا إلى القصة قالوا فانطلق قدار بن سالف ومصدع بن مهرج فاستغويا غواة ثمود فاتبعهم سبعة نفر فكانوا تسعة رهط فانطلق قدار ومصدع وأصحابهما فرصدوا الناقة حين صدرت عن الماء وقد كمن لها قدار فى أصل صخرة على طريقها وكمن لها مصدع فى طريق آخر فمرت على مصدع فرماها بسهم فانتظم به فى عضلة ساقها وخرجت ام غنم عنيزة وامرت ابنتها وكانت من أحسن الناس فاسفرت لقدار ثم زمرته فشد على الناقة بالسيف فكشف عرقوبها فخرت

يدعوهم إلى الله تعالى وإلى عبادته حتى شمط وكبر فلم يتبعه منهم إلا قليل مستضعفون فلما ألح عليهم صالح بالدعاء والتبليغ وأكثر لهم التحذير والتخويف سألوه أن يريهم آية تكون مصداقا على ما يقول فقال صالح أى آية تريدون فقالوا تخرج معنا إلى عيد نار كان لهم عيد يخرجون فيه أصنامهم وذلك فى يوم معلوم من السنة وقالوا تدعو إلهك وندعو آلهتنا فان استجيب لك اتبعناك وان استجيب لنا اتبعنا فقال لهم صالح نعم فخرجوا بأصنامهم إلى عيدهم وخرج صالح معهم ودعوا أوثانهم وسألوها ان لا يستجاب لصالح فى شىء مما يدعو به ثم قال جندع بن عمرو بن حراش وهو يومئذ سيد ثمود ياصالح اخرج لنا من هذه الصخرة منفردة فى ناحية الحجر يقال لها الكاثبة ناقة مخترجة جوفاء وبراء عشراء والمخترجة ماشاكلت البخت من الابل فان فعلت آمنا بك وصدقناك فأخذ عليهم صالح مواثيقهم لئن فعلت لتصدقنى ولتؤمنن بى قالوا نعم فصلى صالح عليه الصلاة والسلام ركعتين ودعا ربه عز وجل فتمخضت الصخرة كما تمخض النتوج بولدها ثم تحركت الهضبة عن ناقة عشراء جوفاء وبراء كما سألوا أو وصفوا غير انه لا يعلم ما بين جنبيها إلا الله عز وجل عظما وهم ينظرون اليها ثم نتجت سقبا مثلها فى العظم فآمن به جندع بن عمرو ورهط معه من قومه وأراد بقية أشراف ثمود أن يؤمنوا به ويصدقوه فمنعهم ذؤاب بن عمر بن لبيد والحباب وكان صاحبا أوثانهم ورباب بن ضمير وكان كاهنهم وكانوا من أشراف ثمود فلما خرجت الناقة من الصخرة قال لهم صالح هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم فمكثت الناقة ومعها سقبها فى أرض ثمود ترعى الشجر وتشرب الماء وكانت ترد الماء غبا فاذا كان يوم ورودها وضعت راسها فى بئر فى الحجر يقال لها بئر الناقة فما ترفع رأسها حتى تشرب كل ما فيها فلا تدع قطرة ثم ترفع راسها فتفجج لهم فيحلبون ماشاؤا منها من لبن فيشربون ويدخرون حتى يملؤا اوانيهم كلها ثم تصدر الناقة من غير الفج الذى وردت منه ولا تقدر ان تصدر من حيث وردت حتى إذا كان من الغد كان يوم ثمود فيشربوا ما شاء الله من الماء ويدخرون ما شاؤا ليوم الناقة فهم على ذلك فى سعة ودعة وكانت الناقة تصيف إذا كان الحر بظهر الوادى فتهرب منها مواشيهم الإبل والبقر والغنم فتهبط إلى بطن الوادى فتكون فى حره وجدبه وإذا كان الشتاء فتشتو الناقة فى بطن الوادى فتهرب المواشى إلى ظهره فتكون فى البرد والجدب فأضر ذلك بمواشيهم للامر الذى يريد الله بهم والبلاء والاختبار فكبر ذلك عليهم فعتوا عن امر ربهم وحملهم ذلك على عقر الناقة فأجمعوا على عقرها وكانت امراتان من ثمود يقال لاحداهما عنيزة بنت غنم بن مخلدو تكنى بأم غنم وكانت عجوزا مسنة وهى امراة ذؤاب بن عمرو وكانت ذات بنات حسان وذات مال من إبل وبقر وغنم والمراة الأخرى يقال لها صدقة بنت المختار وكانت جميلة غنية ذات مواش كثيرة وكانتا من اشد الناس عداوة لصالح عليه الصلاة والسلام

وكانتان تحبان عقر الناقة لما أضرت بمواشيهما فتحيلتا فى عقر الناقة فدعت صدقة رجلا من ثمود يقال له الحباب لعقر الناقة وعرضت عليه نفسها ان هو فعل فأبى عليها فدعت ابن عم لها يقال له مصدع بن مهرج بن المحيا وجعلت له نفسها على أن يعقر الناقة وكانت من أحسن الناس وجها وأكثرهم مالا فاجابها إلى ذلك ودعت عنيزة بنت غنم قدار بن سالف وكان رجلا أحمر أزرق قصيرا ويزعمون أنه كان ابن زانية ولم يكن لسالف ولكنه ولد على فراشه فقالت عنيزة لقدار أى بناتى شئت أعطيتك على أن تعقر الناقة وكان قدار عزيزا منيعا فى قومه (ق) عن عبد بن زمعة رضى الله تعالى عنه أنه سمع النبى ﷺ يخطب وذكر الناقة والذى عقرها فقال رسول الله ﷺ إذ انبعث أشقاها انبعث لها رجل عزيز عارم منيع فى رهطه مثل ابى زمعة قوله انبعث أى قام بسرعة والعارم الخبيث الشرير والعرامة الشدة والقوة والشراسة والمنيع الممتنع ممن أراده قال أصحاب الأخبار فانطلق قدار بن سالف ومصدع بن مهرج فاستنفروا غواة ثمود فاتبعهم سبعة نفر فكانوا تسعة رهط فانطلق قدار ومصدع وأصحابهما فرصدوا الناقة حتى صدرت على الماء وقد كمن لها قدار فى أصل صخرة على طريقها وكمن لها مصدع فى أصل صخرة أخرى فمرت على مصدع فرماها بسهم فانتظم فى عضلة ساقها فخرجت أم غنم عنيزة وأمرت ابنتها فسفرت عن وجهها وكانت من أحسن الناس وجها ليراها قدار ثم حثته على عقرها وأغرته فشد قدار على الناقة بالسيف فكشف عرقوبها فخرجت ورغت رغاة واحدة فتحدر سقبها من الجبل ثم طعن قدار فى لبتها فنحرها فخرج اهل البلدة فاقتسموا لحمها فلما رأى سقبها ذلك انطلق هاربا حتى أتى جبلا منيعا يقال صدر وقيل قارة وأتى صالح عليه الصلاة والسلام فقيل له أدرك الناقة فقد عقرت فاقبل نحوها وخرج أهل البلد يتلقونه ويعتذرون إليه ويقولون يا نبى الله لقد عقرها فلان ولا ذنب لنا فقال صالح انظروا هل تدركون فصيلها فان أدركتموه فعسى أن يرفع الله عنكم العذاب فخرجوا فى طلبه فراوه على الجبل فذهبوا ليأخذوه فاوحى الله تعالى الى الجبل أن تطاول فتطاول حتى ما تناله الطير وجاء صالح عليه السلام فلما رآه الفصيل بكى حتى سالت دموعه ثم رغا ثلاثا ثم انفجرت الصخرة فدخلها فقال صالح لكل رغوة أجل يوم تمتعوا فى داركم ثلاثة أيام ذلك وعد غير مكذوب وقال ابن اسحق تبع السقب أربعة نفر من التسعة الذين عقروا الناقة وفيهم مصدع بن مهرج واخوة ذؤاب فرماه مصدع بسهم فاصاب قلبه ثم جذبه فانزله والقوا لحمه مع أمه وقال لهم صالح عليه الصلاة والسلام انتهكتم حرمة الله فابشروا بعذاب الله ونقمته قالوا وهم يهزؤون به ومتى ذلك ياصالح وما آية ذلك وكانوا يسمون الأيام فى ذلك الوقت الأحد أول والاثنين أهون والثلاثاء دبار والأربعاء جبار والخميس مونس والجمعة العروبة والسبت شبار وكانوا عقروا الناقة يوم الأربعاء فقال لهم صالح عليه الصلاة والسلام حين قالوا ذلك تصبحون غدا يوم مؤنس ووجوهكم مصفرة ثم تصبحون يوم العروبة ووجوهكم محمرة ثم تصبحون يوم شبار ووجوهكم مسودة ثم يصبحكم العذاب يوم أول فلما قال لهم صالح ذلك قال التسعة الذين عقروا الناقة هلم فلنقتل صالحا فان كان صادقا عجلناه قبلنا وإن كان كاذبا قد كنا ألحقناه بناقته فاتوه ليلا ليبيتوه فى أهله فدمغتهم الملائكة بالحجارة فلما أبطؤا على أصحابهم أتوا منزل صالح فوجدوهم قد رضخوا بالحجارة فقالوا لصالح أنت قتلتهم ثم هموا به فقامت عشيرته دونه ولبسوا السلاح وقالوا لهم والله لا تقتلونه أبدا فقد وعدكم أن العذاب نازل بكم بعد ثلاث ساعات فان كان صادقا لم تزيدوا ربكم عليكم إلا غضبا وإن كان كاذبا فانتم من وراء ما تريدون فانصرفوا عنهم ليلتهم فاصبحوا يوم الخميس ووجوههم مصفرة كأنما طليت بالخلوف صغيرهم وكبيرهم ذكرهم وأنثاهم فعند ذلك أيقنوا العذاب وعرفوا أن صالحا قد صدقهم فطلبوه ليقتلوه وخرج صالح هاربا منهم حتى جاء إلى بطن من ثمود يقال لهم بنى غنم فنزل على سيدهم رجل يقال له نفيل ويكنى بابى هدب وهو مشرك ففيه عنهم ولم يقدروا عليه فغدوا على اصحاب صالح يعذبونهم ليدلوهم عليه فقال رجل من اصحاب صالح يقال له مبدع بن هرم يا نبى الله انهم ليعذبوننا لنهديهم عليك افندلهم قال نعم فدلهم عليه واتوا باهداب فكلموه فى ذلك فقال نعم عندى صالح وليس لكم عليه سبيل فاعرضوا عنه وتركوه وشغلهم عنه ما انزل الله بهم من عذابه فجعل بعضهم يخبر بعضا بما يرون فى وجوههم فلما امسوا صالحا

فالقوا لحمه مع لحم أمه وقال لهم صالح انتهكتم حرمة الله فابشروا بعذاب الله ونقمته قالوا وهم يهزؤن به ومتى ذلك ياصالح وما آية ذلك وكانوا يسمون الأيام فيهم الأحد أول والاثنين اهون والثلاثاء دبار والأربعاء جبار والخميس مؤنس والجمعة العروبة والسبت شبار وكانوا عقروا الناقة يوم الأربعاء فقال لهم صالح حين قالوا ذلك تصبحون غداة يوم مؤنس ووجوهكم مصفرة ثم تصبحون يوم العروبة ووجوهكم محمرة ثم تصبحون يوم شبار ووجوهكم مسودة ثم يصبحكم العذاب يوم أول فلما قال لهم صالح ذلك قال التسعة الذين عقروا الناقة هلم فلنقتل صالحا فان كان صادقا عجلناه قبلنا وإن كان كاذبا قد كنا ألحقناه بناقته فاتوه ليلا ليبيتوه فى أهله فدمغتهم الملائكة بالحجارة فلما أبطؤا على أصحابهم أتوا منزل صالح فوجدوهم قد رضخوا

بأجمعهم ألا قد مضى يوم من الأجل فلما أصبحوا اليوم الثانى إذا وجوههم محمرة كأنما خضبت بالدماء فصاحوا وبكوا فلما أمسوا صاحوا بأجمعهم ألا قد مضى يومان من الأجل وحضركم العذاب فلما أصبحوا اليوم الثالث إذا وجوههم مسودة كأنما طليت بالقار فصاحوا بأجمعهم ألا قد حضركم العذاب فلما أن كانت ليلة الأحد خرج صالح من بين أظهرهم ومن أسلم معه إلى الشام فنزل رملة فلسطين فلما أصبح القوم تكفنوا وتحنطوا وألقوا أنفسهم بالارض يقلبون أبصارهم إلى السماء مرة وإلى الارض مرة لا يدرون من أين يأتيهم العذاب فلما اشتد الضحى من يوم الاحد اتتهم صيحة من السماء فيها صوت كل صاعقة وصوت كل شيء له صوت فى الارض فقطعت قلوبهم فى صدورهم فلم يبق صغير منهم ولا كبير إلا هلك (٢١٢) كما قال الله تعالى فأصبحوا فى ديارهم جاثمين إلا جارية مقعدة يقال لها ذريعة بنت سالف وكانت كافرة شديدة العداوة لصالح فاطلق الله رجليها بعدما عاينت العذاب فخرجت كأسرع ما يرى شيء قط حتى أتت قرح وهو واد القرى من حد ما بين الحجاز والشام فاخبرتهم بما عاينته من العذاب وما اصاب ثمود ثم استقت من الماء فسقيت فلما شربت ماتت وذكر السدى فى عقر الناقة واوحى الله إلى صالح عليه السلام ان قومك سيعقرون الناقة فقال لهم ذلك فقالوا ما كنا نفعل فقال صالح انه يولد فى شهركم هذا غلام يعقرها فيكون هلاككم على يديه فقالوا لا يولد لنا ولد فى هذا الشهر إلا قتلناه قال فولد لتسعة منهم فى ذلك الشهر فذبحوا ابناءهم ثم ولد للعاشر فابى ان يذبح ابنه وكان لم يولد له قبل ذلك وكان ابنه ازرق احمر فنبت نباتا سريعا وكان اذا مر بالتسعة قالوا لو كان ابناؤنا احياء لكانوا مثل هذا فغضب التسعة على صالح لانه كان سبب قتل أولادهم فتقاسموا بالله لنبيتنه واهله قالوا نخرج فنرى الناس انا قد خرجنا الى سفر فناتى الغار فنكون فيه حتى اذا كان الليل وخرج صالح الى مسجده اتيناه فقتلناه ثم رجعنا الى الغار فكنا فيه ثم انصرفنا الى رحلنا فقلنا ما شهدنا مهلك اهله وانا لصادقون فيصدقوننا يظنون انا قد خرجنا الى سفر وكان صالح لا ينام معهم فى القرية وكان يبيت فى مسجد يقال له مسجد صالح فاذا اصبح أتاهم فوعظهم وذكرهم واذا امسى خرج الى المسجد فبات فيه فانطبقوا الغار فسقط عليهم الغار فقتلهم فانطلق رجال ممن قد اطلع على ذلك منهم فاذا هم رضخ فرجعوا يصيحون فى القرية اى عباد الله ما رضى صالح ان امرهم بقتل اولادهم حتى قتلهم فاجتمع اهل القرية على عقر الناقة وقال ابن اسحق كان تقاسم التسعة على تبييت صالح بعد عقرهم الناقة كما ذكرنا قال السدى وغيره فلما ولد ابن العاشر يعنى قدار شب فى اليوم شباب غيره فى الجمعة وشب فى شهر شباب غيره فى السنة فلما كبر جلس مع الناس يصيبون من الشراب

التسعة الذين عقروا الناقة هلموا فنقتل صالحا فان كان صادقا عجلناه قبلنا وإن كان كاذبا كنا قد ألحقناه بناقته فاتوه ليلا ليقتلوه فى أهله فدمغتهم الملائكة بالحجارة فلما أبطؤا على أصحابهم أتوا منزل صالح عليه الصلاة والسلام فوجدهم وقد رضخوا بالحجارة فقالوا لصالح أنت قتلتهم ثم هموا فقامت عشيرته دونه وقالوا لا تقتلوه ابدا فانه قد وعدكم العذاب أنه نازل بكم بعد ثلاث فان كان صادقا لم تزيدوا ربكم إلا غضبا عليكم وإن كان كاذبا فأنتم وراء ما تريدون فانصرفوا عنه تلك الليلة فأصبحوا يوم الخميس ووجوههم مصفرة كأنما طليت بالخلوق صغيرهم وكبيرهم ذكرهم وأنثاهم فأيقنوا بالعذاب وعرفوا أن صالحا قد صدقهم فيما قال فطلبوه ليقتلوه فهرب منهم ولحق بحى من بطون ثمود يقال لهم بنو غنم فنزل على سيدهم واسمه نفيل ويكنى بابى هدب وهو مشرك فمنع صالحا فلم يقدروا عليه وكانوا عمدوا إلى أصحاب صالح ليدلوهم عليه فقال رجل من أصحاب صالح يقال له مدع بن هرم يا نبى الله انهم يعذبونا لندلهم عليك افندلهم عليك قال نعم فدلوهم عليه فأتوا بوهدب فكلموه فى أمر صالح فقال هو عندى وليس لكم إليه سبيل فأعرضوا عنه وتركوه وشغلهم ما نزل بهم من العذاب فجعل بعضهم يخبر بعضا بما يرون فى وجوههم فلما أمسوا صاحوا بأجمعهم ألا قد مضى يوم من الاجل فلما أصبحوا فى اليوم الثانى إذا وجوههم محمرة كأنما خضبت بالدم فصاحوا وضجوا وبكوا وايقنوا أنه العذاب فلما أمسوا صاحوا بأجمعهم ألا قد مضى يومان من الاجل وحضركم العذاب فلما أصبحوا فى اليوم الثالث إذا وجوههم مسودة كأنما طليت بالقار فصاحوا جميعا ألا قد حضركم العذاب فلما كانت ليلة الاحد خرج صالح عليه السلام ومن أسلم معه من بين أظهرهم إلى الشام فنزل رملة فلسطين فلما أصبحوا فى اليوم الرابع تكفنوا وتحنطوا وألقوا بأنفسهم إلى الارض يقلبون أبصارهم إلى السماء مرة وإلى الارض مرة لا يدرون من أين يأتيهم العذاب فلما اشتد الضحى من يوم الاحد أتتهم صيحة عظيمة من السماء فيها صوت كل صاعقة وصوت كل شيء له صوت فى الارض فتقطعت قلوبهم فى صدورهم وهلكوا جميعا الا جارية مقعدة يقال لها ذريعة بنت سالف وكانت كافرة شديدة العداوة لصالح عليه الصلاة والسلام فاطلق الله تعالى رجليها بعد ما عاينت العذاب وما أصاب ثمود فخرجت مسرعة حتى اتت وادى القرى فاخبرتهم بما عاينت من العذاب الذى نزل بثمود ثم استقت ماء فسقيت فلما شربت ماتت فى الحال وقال السدى فى عقر الناقة فقال أوحى الله عز وجل الى صالح عليه الصلاة والسلام أن قومك سيعقرون ناقتك فقال لهم ذلك صالح فقالوا ما كنا لنفعل فقال صالح انه سيولد فى شهركم هذا غلام يعقرها فيكون هلاككم على يديه فقالوا لا يولد لنا فى هذا الشهر ولدا الا قتلناه قال فولد لتسعة منهم فى ذلك الشهر أولاد فذبحوهم ثم ولد للعاشر ولد فأبى أن يذبحه لانه كان لم يولد قبل ذلك ولد وكان الولد الذى ولد له أحمر ازرق فنبت نباتا سريعا فكان اذا مر بالتسعة فراوه قالوا لو كان أبناؤنا احياء لكانوا مثل هذا الغلام فغضب

فارادوا اماء يمزجون به شرابهم وكان ذلك اليوم شرب الناقة فوجدوا الماء قد شربته الناقة فاشتد ذلك عليهم وقالوا ما نصنع نحن باللبن لو كنا ناخذ هذا الماء الذى تشرب به هذه الناقة فنسقية انعامنا وحروثنا كان خيرا لنا فقال ابن العاشر هل لكم فى ان اعقرها لكم قالوا نعم فعقرها اخبرنا عبد الواحد المليحى انبانا احمد بن عبد الله النعيمى انبانا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا محمد بن مسكين ثنا يحيى بن حسان بن حيان ابو زكريا ثنا سليمان عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر ان رسول الله ﷺ لما نزل الحجر فى غزوة تبوك امرهم ان لا يشربوا من

التسعة على صالح لانه كان سبب قتل ابنائهم فتقاسموا بالله يعنى فتحالفوا بالله لنبيتنه واهله وقالوا نخرج فنرى الناس انه قد خرجنا إلى سفرنا ثم نأتى الغار فنكون فيه حتى إذا كان الليل وخرج صالح إلى مسجده اتيناه فقتلناه ثم نرجع إلى الغار فنكون فيه حتى ننصرف إلى رحلنا فنقول ما شهدنا مهلك اهله وإنا لصادقون فيصدقوننا فيظنون إنا قد خرجنا إلى سفر وكان صالح لا ينام معهم فى القرية بل كان يبيت فى مسجد خارج القرية فاذا اصبح اتاهم فيعظهم ويذكرهم فاذا امسى خرج إلى مسجده فتعبد فيه قال فانطلق التسعة إلى الغار فدخلوا فسقط عليهم فقتلوا فانطلق رجال ممن كان قد اطلع على امرهم لينظروا ما فعل اولئك النفر فراوهم وهم رضخ فرجعوا إلى القرية يصيحون مار ضى صالح بقتل اولادهم حتى قتلهم فاجتمع اهل القرية على عقر الناقة وقال ابن إسحق كان التسعة قد تقاسموا على تبييت صالح بعد عقر الناقة وقال السدى وغيره لما ولد للعاشر ولد اسماه بقدار فكان يشب سريعا فلما كبر جلس مع اناس يشربون الخمر فاراد وا اماء ليمزجوا به شرابهم وكان ذلك اليوم يوم شرب الناقة فوجدوا الماء قد شربته الناقة فاشتد ذلك عليهم وقالوا ما نصنع نحن باللبن هذه الناقة ولو كنا ناخذ هذا الماء الذى تشرب به الناقة فنسقيه لانعامنا وزروعنا كان خيرا لنا وقال ابن العاشر هل لكم ان اعقرها لكم فالوا نعم فعقروها (ق) عن ابن عمر رضى الله عنهما قال لما مر رسول الله ﷺ بالحجر قال لا تدخلوها مساكن الذين ظلموا انفسهم ان يصيبكم ما اصابهم إلا ان تكونوا باكين ثم قنع راسه واسرع السير حتى جاوز الوادى وفى رواية لمسلم لا تدخلوا على هؤلاء المعذبين ثم ذكر مثله ولهما عنه ان الناس نزلوا مع رسول الله ﷺ على الحجر ارض ثمود فاستقوا من ابارها وعجنوا به العجين فامرهم رسول الله ﷺ ان يهريقوا ما استقوه ويعلفوا الابل العجين وامرهم ان يستقوا من البئر التى كانت ترد ها الناقة وللبخارى ان رسول الله ﷺ لما نزل الحجر فى غزوة تبوك امرهم ان لا يشربوا من ابارها ولا يستقوا منها فقالوا قد عجنا منها واستقينا فامرهم النبى ﷺ ان يطرحوا ذلك العجين ويهريقوا ذلك الماء وفى بعض الاحاديث قال رسول الله ﷺ لا تسالوا رسولكم الايات هؤلاء قوم صالح سالوا رسولهم الآية فبعث الله الناقة فكانت ترد من هذا الفج وتصدر من هذا الفج وتشرب ماءهم يوم ورودها واراهم مرتقى الفصيل من القارة فعتوا عن امر ربهم وعقروها فاهلك الله من تحت اديم السماء منهم فى مشارق الارض ومغاربها إلا رجلا واحدا يقال له ابو رغال وهو ابو ثقيف كان فى حرم الله فمنعه حرم الله تعالى من عذاب الله فلما خرج اصابه ما اصاب قومه فدفن ودفن معه غصن من ذهب واراهم رسول الله ﷺ قبر ابى رغال فنزل القوم وابتدروه باسيافهم وحفروا عنه واستخرجوا ذلك الغصن وكانت الفرقة المؤمنة من قوم صالح اربعة الاف خرج بهم صالح إلى حضرموت فلما دخلوها مات صالح فسمى حضرموت ثم بنوا اربعة الاف مدينة وسموها حاضوراء وقال قوم من اهل العلم توفى صالح عليه الصلاة والسلام بمكة وهو ابن ثمان وخمسين سنة واقام فى قومه عشرين سنة * قوله تعالى (ولوطا) يعنى وارسلنا لوطا وقيل معناه واذكر يا محمد لوطا وهو لوط بن هاران بن تارخ وهو ابن اخى ابراهيم وابراهيم عمه (إذ قال لقومه) يعنى اهل سدوم وإليهم كان قد ارسل وذلك ان لوطا عليه الصلاة والسلام لما هاجر مع عمه ابراهيم عليهما الصلاة والسلام إلى الشام فنزل إبراهيم عليه الصلاة والسلام ارض فلسطين ونزل لوط الاردن ارسله الله تعالى إلى اهل سدوم يدعوهم إلى الله تعالى وينهاهم عن فعلهم القبيح وهو قوله تعالى

من بئرها ولا يسقوا منها فقالوا قد عجنا منها واستقينا فامرهم ان يطرحوا ذلك العجين ويهريقوا ذلك الماء وقال نافع عن ابن عمر فامرهم رسول الله ﷺ ان يهريقوا ما استسقوا من ابارها وان يعلفوا الابل العجين وامرهم ان يستسقوا من البئر التى كانت ترد ها الناقة وروى عن الزبير عن جابر قال لما مر رسول الله ﷺ بالحجر فى غزوة تبوك قال لاصحابه لا يدخل احد منكم القرية ولا تشربوا من مائهم ولا تدخلوا على هؤلاء المعذبين إلا ان تكونوا باكين ان يصيبكم مثل ما اصابهم ثم قال اما بعد فلا تسالوا رسولكم الان هؤلاء قوم صالح سالوا رسولهم الناقة فبعث الله الناقة فكانت ترد من هذا الفج وتصدر من هذا الفج وتشرب ماءهم يوم ورودها واراهم مرتقى الفصيل من الجبل فعتوا عن امر ربهم وعقروها فاهلك الله من تحت اديم السماء منهم فى مشارق الارض ومغاربها إلا رجلا واحدا يقال له ابو رغال وهو ابو ثقيف كان فى حرم الله فمنعه حرم الله من عذاب الله فلما خرج اصابه ما اصاب قومه ودفن معه غصن من ذهب واراهم قبر ابى رغال فنزل القوم فابتدروا باسيافهم وحفروا عنه واستخرجوا ذلك الغصن وكانت الفرقة المؤمنة من قوم صالح اربعة الاف خرج بهم صالح إلى حضرموت فلما دخلوها مات صالح فسمى حضرموت ثم بنى الاربعة الاف مدينة يقال لها حاضوراء قال قوم من اهل العلم توفى صالح وهو ابن ثمان وخمسين سنة قوله تعالى (ولوطا) اى وارسلنا لوطا وقيل معناه واذكر لوطا وهو لوط بن هاران بن تارخ ابن اخى ابراهيم (إذ قال لقومه) وهم اهل سدوم وذلك ان لوطا شخص من ارض بابل مع عمه ابراهيم عليه السلام مؤمنا مهاجرا معه إلى الشام فنزل ابراهيم فلسطين وانزل لوطا

الأردن فأرسله الله عز وجل إلى أهل سدوم فقال لهم (أتأتون الفاحشة) يعنى إتيان الذكر (ماسبقكم بها من أحد من العالمين) قال عمرو بن دينار ما نزا ذكر على ذكر فى الدنيا إلا كان من قوم لوط (أئنكم) قرا اهل المدينة وحفص انكم بكسر الالف على الخبر وقرا الاخرون على الاستئناف (لتاتون الرجال) فى ادبارهم (شهوة من دون النساء) فسر تلك الفاحشة يعنى ادبار الرجال اشهى اليكم من فروج النساء (بل أنتم قوم مسرفون) مجاوزون الحلال إلى الحرام قال محمد بن اسحق كانت لهم ثمار وقرى لم يكن فى الارض مثلها فقصدهم الناس لينالوا من ثمارهم فاذوهم فعرض لهم إبليس فى صورة شيخ فقال إن فعلتهم كذا وكذا نجوتم فابوا فلما الح عليهم قصدوهم فاصابوهم غلمانا صباحا فاخذوهم وقهروهم على انفسهم واخبثوا بهم فاستحكم ذلك فيهم قال الحسن كانوا لا ينكحون إلا الغرباء وقال الكلبي ان اول من عمل عمل قوم لوط إبليس لان بلادهم اخصبت فانتجعها اهل البلدان فتمثل لهم إبليس فى صورة شاب ثم دعا إلى دبره فنكح فى دبره فامر الله تعالى السماء ان تحصبهم والارض ان تخسف بهم (وما كان جواب قومه إلا ان قالوا) قال بعضهم لبعض (أخرجوهم) يعنى لوطا واهل دينه (من قريتكم انهم اناس يتطهرون) يتنزهون عن ادبار الرجال (فانجيناه) يعنى لوطا (واهله) المؤمنين وقيل اهله ابنتاه (إلا امراته كانت من الغابرين) يعنى الباقين فى العذاب وقيل معناه كانت من الباقين المعمرين قد اتى عليها دهر طويل فهلكت مع من هلك من قوم لوط وإنما قال من الغابرين لانه اراد من بقى من الرجال فلما ضم ذكرها إلى ذكر الرجال قال من الغابرين (وامطرنا عليهم مطرا) يعنى حجارة من سجيل قال وهب الكبريت والنار (فانظر كيف كان عاقبة المجرمين) قال ابو عبيدة يقال فى العذاب امطر وفى الرحمة مطر قوله تعالى (وإلى مدين اخاهم شعيبا) أى وأرسلنا إلى مدين وهو مدين بن إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام وهم اصحاب الايكة اخاهم

(أتأتون الفاحشة) يعنى أتفعلون الفعلة الخسيسة التى هى غاية فى القبح وكانت فاحشتهم اتيان الذكران فى ادبارهم (ماسبقكم بها من احد من العالمين) من الاولى زائدة لتوكيد النفى وإفادة معنى الاستغراق والثانية للتبعيض والمعنى ماسبقكم ايها القوم بهذه الفعلة الفاحشة احد من العالمين قبلكم وفى هذا الكلام توبيخ لهم وتقريع على فعلهم تلك الفاحشة قال عمرو بن دينار ما نزال ذكر على ذكر فى الدنيا إلا كان من قوم لوط (أئنكم لتاتون الرجال) يعنى فى ادبارهم (شهوة من دون النساء) يعنى ان ادبار الرجال اشهى عندكم من فروج النساء (بل انتم) يعنى ايها القوم (قوم مسرفون) اى مجاوزون الحلال إلى الحرام وإنما ذمهم وعيرهم ووبخهم بهذا الفعل الخبيث لان الله تبارك وتعالى خلق الإنسان وركب فيه شهوة النكاح لبقاء النسل وعمران الدنيا وجعل النساء محلا للشهوة وموضع النسل فاذا تركهن الإنسان وعدل عنهن إلى غيرهن من الرجال فكانما قد اسرف وجاوز واعتدى لانه وضع الشىء فى غير محله وموضعه الذى خلق له لان ادبار الرجال ليست محلا للولادة التى هى مقصودة بتلك الشهوة المركبة فى الإنسان وكانت قصة قوم لوط على ماذكره محمد بن إسحق وغيره من اهل الأخبار والسير انه كانت قرى قوم لوط مخصبة ذات زروع وثمار لم يكن فى الارض مثلها فقصدهم الناس فاذوهم وضيقوا عليهم فعرض لهم إبليس فى صورة شيخ وقام لهم إذا فعلتم بهم كذا وكذا نجوتم منهم فابوا فلما الح الناس عليهم قصدوهم فاصابوا غلمانا حسانا صباحا فاخبثوا واستحكم ذلك فيهم قال الحسن كانوا لا ينكحون إلا الغرباء وقيل استحكم ذلك الفعل فيهم حتى نكح بعضهم بعضا وقال الكلبى ان اول من عمل قوم لوط إبليس وذلك لان بلادهم اخصبت فقصدها اهل البلدان فتمثل لهم إبليس فى صورة شاب امرد فدعا إلى نفسه فكان اول من نكح فى دبره فامر الله تعالى السماء ان تحصبهم والارض ان تخسف بهم * قوله عز وجل (وما كان جواب قومه) يعنى وما كان جواب قوم لوط للوط إذ وبخهم على فعلهم القبيح وركوبهم ماحرم الله تعالى عليهم من العمل الخبيث (إلا ان قالوا) يعنى قال بعضهم لبعض (اخرجوهم من قريتكم) يعنى اخرجوا لوطا واتباعه واهل دينه من بلدكم (إنهم اناس يتطهرون) يعنى انهم اناس يتنزهون عن فعلكم وعن ادبار الرجال لانها موضع النجاسة ومن تركها فقد تطهر وقيل ان البعد عن المعاصى يسمى طهارة فمن تباعد عنهما فقد تطهر فلهذا قال انهم اناس يتطهرون اى من فعل المعاصى والآثام (فانجيناه واهله) يعنى فانجينا لوطا ومن امن به واتبعه على دينه وقيل المراد باهله المتصلون به بسبب النسل او المراد باهله ابنتاه (إلا امراته) يعنى زوجته (كانت من الغابرين) يعنى كانت من الباقين فى العذاب لانها كانت كافرة وقيل معناه كانت من الباقين المعمرين قد اتى عليها دهر طويل ثم هلكت مع من هلك من قوم لوط وإنما قال من الغابرين ولم يقل من الغابرات لانها هلكت مع الرجال فغلب ذكر الرجال فقال من الغابرين (وامطرنا عليهم مطرا) يعنى حجارة من سجيل قد عجنت بالكبريت والنار يقال مطرت السماء وامطرت وقال ابو عبيدة يقال فى العذاب امطرت وفى الرحمة مطرت (فانظر كيف كان عاقبة المجرمين) يعنى انظر يامحمد كيف كان عاقبة هؤلاء الذين كذبوا بالله ورسوله وعملوا الفواحش كيف اهلكناهم قال مجاهد نزل جبريل عليه السلام فادخل جناحيه تحت مدائن قوم لوط فاقتلعها ورفعها إلى السماء ثم قلبها فجعل اعلاها اسفلها ثم اتبعوا الحجارة وقوله فانظر كيف كان عاقبة المجرمين وإن كان هذا الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم لكن المراد به غيره من امته ليعتبروا بما جرى على أولئك فينزجروا بذلك الاعتبار على الأفعال القبيحة والفواحش الخبيثة * قوله عز وجل (وإلى مدين اخاهم شعيبا) يعنى وارسلنا إلى مدين اخاهم شعيبا) يعنى وارسلنا إلى مدين اكثر المفسرين

شعيبا فى النسب لا فى الدين قال عطاء هو شعيب بن توبة بن مدين بن إبراهيم وقال ابن اسحق هو شعيب بن ميكائيل بن يزجر بن مدين بن إبراهيم وأم ميكائيل بنت لوط وقيل هو شعيب بن يثرون بن مدين بن ابراهيم وكان شعيب أعمى وكان يقال له خطيب الانبياء لحسن مراجعته قومه وكان قومه اهل كفر وبخس للكيال والميزان (قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم) فان قيل ما معنى قوله تعالى قد جاءتكم بينة من ربكم ولم يكن لهم اية مذكور قيل قد كانت لهم هذه الاية إلا انها لم تذكر وليست كل الايات مذكورة فى القران وقيل اراد بالبينة مجىء شعيب (فاوفوا الكيل والميزان) أتموا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم) لا تظلموا الناس حقوقهم ولا تنقصوهم اياها (ولا تفسدوا فى الأرض بعد اصلاحها) أى ببعث الرسل والامر بالعدل وكل نبى بعث إلى قوم فهو (ذلكم) الذى ذكرت لكم وامرتكم به (خير لكم إن كنتم مؤمنين) مصدقين بما أقول (ولا تقعدوا بكل صراط) اى على كل طريق (توعدون) تهددون (وتصدون عن سبيل الله) دين الله (من امن به وتبغونها عوجا) زيغاً وقيل تطلبون الاعوجاج فى الدين والعدول عن القصد وذلك انهم كانوا يجلسون على الطريق فيقولون لمن يريد الايمان بشعيب ان شعيب كذاب

على ان مدين اسم رجل وهو مدين بن إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام فعلى هذا يكون المعنى وأرسلنا إلى ولد مدين ومدين اسم للقبيلة كما يقال بنو تميم بنو عدى وبنو اسد وقيل مدين اسم للماء الذى كانوا عليه وقيل هو اسم للمدينة وعلى هذين القولين يكون المعنى وأرسلنا إلى أهل مدين والصحيح هو الأول لقوله اخاهم شعيبا يعنى فى النسب لا فى الدين وشعيب هو ابن ثويب بن مدين بن إبراهيم عليه الصلاة السلام قاله عطاء وقال محمد بن اسحق وهو شعيب بن ميكيل بن يشجر بن مدين بن إبراهيم عليه السلام وام ميكيل بنت لوط عليه السلام وقيل هو شعيب بن يثرون بن ثويب بن مدين بن إبراهيم عليه السلام وكان شعيب اعمى وكان يقال له خطيب الأنبياء لحسن مراجعته قومه وكان قومه اهل كفر وبخس فى المكيال والميزان (قال) يعنى شعيبا (ياقوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم) يعنى قد جاءتكم حجة وبرهان من ربكم بحقية ما اقول وصدق ما ادعى من النبوة والرسالة اليكم لانه لابد لكل نبى من معجزة تدل على صدق ما جاء به من عند الله غير ان تلك المعجزة التى كانت لشعيب لم تذكر فى القران وليست كل ايات الانبياء مذكورة فى القران وقيل اراد بالبينة مجىء شعيب بالرسالة اليهم وقيل اراد بالبينة الموعظة وهى قوله (فاوفوا الكيل والميزان) يعنى فاتموا الكيل والميزان واعطوا الناس حقوقهم وهو قوله (ولا تبخسوا الناس اشياءهم) يعنى لا تظلموا الناس حقوقهم ولا تنقصوهم إياها فتطففوا الكيل والوزن يقال بخس فلان فى الكيل والوزن إذا نقصه وطففه (ولا تفسدوا فى الأرض بعد اصلاحها) يعنى بعد ان اصلحها الله تعالى ببعثة الرسل واقامة العدل وكل نبى يبعث إلى قوم فهو صلاحهم (ذلكم) يعنى الذى ذكر لكم وامرتكم به من الايمان بالله ووفاء الكيل والميزان وترك الظلم والبخس (خير لكم) يعنى مما انتم عليه من الكفر وظلم الناس (إن كنتم مؤمنين) يعنى ان كنتم مصدقين بما اقول (ولا تقعدوا بكل صراط توعدون) يعنى ان شعيبا قال لقومه الكفار ولا تقعدوا على كل طريق من الدين والحق تمنعون الناس من الدخول فيه وتهددونهم على ذلك وذلك انهم كانوا يجلسون على الطرقات ويخوفون من يريد الايمان بالله وبرسوله شعيب وهو قوله تعالى (وتصدون عن سبيل الله من آمن به) يعنى وتمنعون من يريد الايمان بالله وتقولون ان شعيبا كذاب وتخوفونه بالقتل قال ابن عباس كانوا يجلسون على الطريق فيخبرون من اتى عليهم ان شعيبا الذى تريدونه كذاب فلا يفتننكم عن دينكم (وتبغونها عوجا) يعنى وتريدون اعوجاج الطريق عن الحق وعدولها عن القصد وقيل معناه تلتمسون لها الزيغ والضلال ولا تستقيمون على طريق الهدى والرشاد (واذكروا إذ كنتم قليلا فكثركم) يعنى ان شعيبا عليه الصلاة والسلام ذكرهم نعمة الله عليهم قال الزجاج يحتمل ذلك ثلاثة اوجه كثر عددكم وكثركم بالغنى بعد الفقر وكثركم بالقوة بعد الضعف ووجه ذلك انهم إذا كانوا فقراء ضعفاء فهو بمنزلة القليل والمعنى كثركم بعد القلة لكم اعزكم بعد الذلة فاشكروا نعمة الله تعالى عليكم وامنوا به (وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين) يعنى وانظروا نظر اعتبار ما نزل بمن كان قبلكم من الامم السالفة والقرون الخالية حين عتوا على ربهم وعصوا رسله من العذاب والهلاك واقرب الأمم اليكم قوم لوط فانظروا كيف ارسل الله تعالى عليهم حجارة من السماء لما عصوه وكذبوا رسله (وإن كان طائفة منكم آمنوا بالذى ارسلت به وطائفة لم يؤمنوا) يعنى وان اختلفتم فى رسالتى فصرتم فرقتين فرقة امنت بى وصدقت برسالتى وفرقة كذبت وجحدت رسالتى (فاصبروا) فيه وعيد وتهديد (حتى يحكم الله بيننا) يعنى حتى يقضى الله ويفصل بيننا فيعز المؤمنين المصدقين وينصرهم ويهلك المكذبين الجاحدين ويعذبهم (وهو خير الحاكمين) يعنى انه حاكم عادل منزه عن الجور والميل والحيف فى حكمه وإنما قال خير الحاكمين لانه قد يسمى بعض الاشخاص حاكما على سبيل المجاز والله تعالى هو الحاكم فى الحقيقة فلهذا قال وهو خير الحاكمين

فلا يفتنك عن دينك ويتوعدون المؤمنين بالقتل ويخوفونهم وقال السدى كانوا عشارين (واذكروا إذ كنتم قليلا فكثركم) فكثر عددهم (وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين) اى اخر امر قوم لوط (وان كان طائفة منكم امنوا بالذى ارسلت به وطائفة لم يؤمنوا) اى ان اختلفتم فى رسالتى فصرتم فرقتين مكذبين ومصدقين (فاصبروا حتى يحكم الله بيننا) بتعذيب المكذبين وانجاء المصدقين (وهو خير الحاكمين

(قال الملأ الذين استكبروا من قومه) يعنى قال الجماعة من أشراف قومه الذين تكبروا عن الايمان بالله وبرسوله وتعظموا عن اتباع شعيب (لنخرجنك ياشعيب والذين امنوا معك من قريتنا او لتعودن فى ملتنا) يعنى ان قوم شعيب اجابوه بأن قالوا لابد من احد امرين اما اخراجك ومن تبعك على دينك من بلدنا او لترجعن إلى ديننا وملتنا ومانحن عليه وهذا فيه اشكال وهو ان شعيباً عليه الصلاة والسلام لم يكن قط على ملتهم حتى يرجع إلى ما كان عليه فما معنى قوله او لتعودن فى ملتنا واجيب عن هذا الاشكال بان اتباع شعيب كان قبل الايمان به على ملة أولئك الكفار فخاطبوا شعيبا واتباعه جميعا فدخل هو فى الخطاب وان لم يكن على ملتهم قط وقيل معناه لتصيرن إلى ملتنا فوقع العود على معنى الابتداء كما تقول قد عاد على من فلان مكروه بمعنى قد لحقنى منه ذلك وإن لم يكن قد سبق منه مكروه فهو كما قال الشاعر

فان تكن الايام أحسن مدة * إلى فقد عادت لهن ذنوب

أراد فقد صارت لهن ذنوب ولم يردان ذنوبا كانت لهن قبل الاحسان * وقوله تعالى (قال أولو كنا كارهين) أى لا نعود فى ملتكم وان اكرهتمونا واجبرتمونا على الدخول فيها فلا نقبل ولا ندخل (قد افترينا على الله كذبا ان عدنا فى ملتكم بعد إذ نجانا الله منها) يعنى ان شعيبا اجاب قومه إذ دعوه ومن امن به إلى العود إلى ملتهم والدخول فيها فقال قد افترينا يعنى قد اختلقنا على الله كذبا وتخرصنا عليه من القول باطلا ان نحن رجعنا إلى ملتكم وقد علمنا فساد ما انتم عليه من الملة والدين وقد انقذنا الله وخلصنا منها وبصرنا خطاها وهذا ايضا فيه من الاشكال مثل ما فى الاول وهو ان شعيبا عليه الصلاة والسلام ما كان فى ملتهم قط حتى يقول ان عدنا فى ملتكم بعد إذ نجانا الله منها والجواب عنه مثل ما اجيب عن الاشكال الأول وهو ان نقول ان الله نجى قومه الذين امنوا به من تلك الملة الباطلة إلا أن شعيبا نظم نفسه فى جملتهم وان كان بريئا مما كانوا عليه من الكفر فاجرى الكلام على حكم التغليب وقيل معنى نجانا الله منها علمنا قبح ملتكم وفسادها فكانه خلصنا منها وقوله تعالى اخبارا عنه (وما يكون لنا ان نعود فيها إلا ان يشاء الله ربنا) يعنى وما يكون لنا ان نرجع إلى ملتكم ونترك الحق الذى نحن عليه إلا ان يشاء الله ربنا يعنى إلا ان يكون قد سبق لنا فى علم الله ان نعود فيها فحينئذ يمضى قضاء الله وقدره فينا وينفذ سابق مشيئته علينا وقال الواحدى ومعنى العود هنا الابتداء والذى عليه اهل العلم والسنة فى هذه الاية ان شعيبا واصحابه قالوا ما كنا لنرجع إلى ملتكم بعد ان وقفنا على انها ضلالة تكسب دخول النار إلا ان يريد الله اهلاكنا فامورنا راجعة إلى الله غير خارجة عن قبضته يسعد من يشاء بالطاعة ويشقى من يشاء بالمعصية وهذا من شعيب وقومه استسلام لمشيئة الله ولم تزل الانبياء والاكابر يخافون العاقبة وانقلاب الامر الا ترى إلى قول الخليل عليه الصلاة والسلام واجنبنى وبنى ان نعبد الاصنام وكان نبينا محمد صلى الله عليه وسلم كثيرا ما يقول يامقلب القلوب ثبت قلبى على دينك قال الزجاج رحمه الله تعالى المعنى وما يكون لنا ان نعود فيها إلا ان يكون قد سبق فى علم الله ومشيئته ان نعود فيها وتصديق ذلك قوله (وسع ربنا كل شىء علما) يعنى انه تعالى يعلم ما يكون قبل ان يكون وما سيكون وانه تعالى كان عالما فى الازل بجميع الأشياء فالسعيد من سعد فى علم الله تعالى والشقى من شقى فى علم الله تعالى (على الله توكلنا) اى على الله نعتمد واليه نستند فى امورنا كلها فانه الكافى لمن توكل عليه والمعنى على توكلنا لا على غيره فكانه ترك الأسباب ونظر إلى مسبب الأسباب (ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق) لما ايس شعيب من إيمان قومه دعا بهذا الدعاء فقال ربنا افتح أى اقض وافصل واحكم بيننا وبين قومنا بالحق يعنى بالعدل الذى لاجور فيه ولا ظلم ولا حيف (وانت خير الفاتحين) يعنى خير الحاكمين قال الفراء ان اهل عمان يسمون القاضى الفاتح والفتاح وقال غيره من أهل اللغة هى لغة مراد وانشد لبعضهم فى ذلك

الا ابلغ بنى عصم رسولا * فانى عن فتى حكم غنى

أراد انه غنى عن حاكمهم وقاضيهم وقال ابن عباس رضى الله عنهما ما كنت ادرى ما معنى قوله ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وانت خير الفاتحين حتى سمعت ابنة ذى يزن تقول تعالى افاتحك يعنى اقاضيك وهذا قول قتادة والسدى وابن جريج وجمهور المفسرين ان الفاتح هو القاضى والحاكم سمى بذلك لانه يفتح اغلاق

قال الملأ الذين استكبروا من قومه) يعنى الرؤساء الذين تعظموا عن الإيمان به (لنخرجنك ياشعيب والذين امنوا معك من قريتنا أو لتعودن فى ملتنا) لترجعن إلى ديننا الذى نحن عليه (قال) شعيب (أو لو كنا كارهين) يعنى ولو كنا أى ان كنا كارهين لذلك فتجبروننا عليه (قد افترينا على الله كذبا ان عدنا فى ملتكم بعد إذ نجانا الله منها وما يكون لنا أن نعود فيها) بعد إذ انقذنا الله منها (إلا ان يشاء الله ربنا) يقول إلا ان يكون قد سبق لنا فى علم الله ومشيئته انا نعود فيها فحينئذ يمضى قضاء الله فينا وينفذ حكمه علينا فان قيل ما معنى قوله او لتعودن فى ملتنا وما يكون لنا ان نعود فيها ولم يكن شعيب قط على ملتهم حتى يصح قولهم ترجع الى ملتنا معناه او لتدخلن فى ملتنا فقال وما كان لنا أن ندخل فيها وقيل معناه ان صرنا فى ملتكم ومعنى عاد صار وقيل اراد به قوم شعيب لانهم كانوا كفارا فامنوا فاجاب شعيب عنهم قوله (وسع ربنا كل شىء علما) احاط علمه بكل شىء (على الله توكلنا) فيما توعدوننا فيه ثم عاد شعيب بعد ما أيس من فلاحهم فقال

(ربنا افتح بيننا وبين قومنا) اى اقض بيننا (بالحق) والفتاح القاضى (وانت خير الفاتحين) أى الحاكمين

قال والملأ الذين كفروا من قومه لئن اتبعتم شعيبا) تركتم دينكم (إنكم إذا لخاسرون) مغبونون قال عطاء جاهلون وقال الضحاك عجزة (فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين) قال الكلبي الزلزلة وقال ابن عباس رضي الله عنهما وغيره فتح الله عليهم بابا من جهنم فأرسل عليهم حرا شديدا فأخذ بأنفاسهم ولم ينفعهم ظل ولا ماء فكانوا يدخلون الأسراب ليبردوا فيها فاذا دخلوها وجدوها أشد حرا من الظاهر فخرجوا هربا إلى البرية فبعث الله سحابة فيها ريح طيبة فاظلتهم فنادى بعضهم بعضا وهي الظلة فوجدوا لها بردا ونسيما حتى اجتمعوا تحت السحابة رجالهم ونساؤهم وصبيانهم ألهبها الله عليهم نارا وزجفت بهم الارض فاحترقوا كما يحترق الجراد المقلى وصاروا رمادا وروى أن الله تعالى حبس عنهم الريح سبعة أيام ثم سلط عليهم الحر قال يزيد الجريري سلط الله عليهم الحر سبعة أيام ثم رفع لهم جبل من بعيد فأتاه رجل فاذا تحته أنهار وعيون فاجتمعوا تحته كلهم فوقع ذلك الجبل عليهم فذلك قوله عذاب يوم الظلة قال قتادة بعث الله شعيبا إلى أصحاب الايكة واصحاب مدين أما أصحاب الأيكة فأهلكوا بالظلة واما أصحاب مدين فأخذتهم الصيحة صاح بهم جبريل عليه السلام فهلكوا اجمعين قال ابو عبدالله البجلي كان أبو جاد وهو زو حطى وكلمن وسعفص وقرشت ملوك مدين وكان ملكهم في زمن شعيب عليه السلام يوم الظلة كلمن فلما هلك قامت ابنته تبكيه (كلمن قدهدركني * هلكه وسط المحله * سيد القوم أتاه * هلك نارا تحت ظله * جعلت نارا عليهم * دارهم كالمضمحله)

الاشكال بين الخصوم ويفصلها وقال الزجاج وجائز أن يكون معناه ربنا أظهر أمرنا حتى ينفتح بيننا وبين قومنا وينكشف والمراد منه ان ينزل عليهم عذابا يدل على كونهم مبطلين وعلى كون شعيب وقومه محقين وعلى هذا الوجه فالفتح يراد به الكشف والتمييز (وقال الملا الذين كفروا من قومه لئن اتبعتم شعيبا) يعني وقال جماعة من أشراف قوم شعيب ممن كفر به لآخرين منهم لئن اتبعتم شعيبا على دينه وتركتم دينكم وملتكم وما انتم عليه (إنكم إذا لخاسرون) يعني إنكم لمغبونون في فعلكم (فأخذتهم الرجفة) يعني الزلزلة الشديدة (فأصبحوا في دارهم جاثمين) قال ابن عباس وغيره فتح الله عليهم بابا من جهنم فارسل عليهم حرا شديدا من جهنم فأخذ بانفاسهم فلم ينفعهم ظل ولا ماء فدخلوا في الاسراب ليبردوا فيها فوجدها اشد حرا من الظاهر فخرجوا هاربا إلى البرية فبعث الله عليهم سحابة فيها ريح طيبة باردة فاظلتهم وهي الظلة فوجدوا لها بردا ونسيما فنادى بعضهم بعضا حتى إذا اجتمعوا تحت السحابة رجالهم ونساؤهم وصبيانهم ألهبها الله عليهم نارا وزجفت بهم الأرض من تحتهم فاحترقوا كاحتراق الجراد في المقلاة وصاروا رمادا وروى ان الله تعالى حبس عنهم الريح سبعة أيام ثم سلط عليهم الحر حتى هلكوا بها وقال قتادة بعث الله شعيبا إلى اصحاب الايكة وإلى اهل مدين فاما اصحاب الايكة فاهلكوا بالظلة واما اهل مدين فاخذتهم الرجفة صاح عليهم جبريل عليه السلام صيحة هلكوا جميعا قال ابو عبدالله البجلي كان ابو جاد وهو زو حطى وكلمن وسعفص وقرشت ملوك مدين وكان ملكهم في زمن شعيب يوم الظلة اسمه كلمن فلما هلك قالت ابنته شعرا تبكيه وترثيه به

كلمن هدم ركني * هلكه وسط المحله * سيد القوم اتاه * هلك نارا تحت ظله

جعلت نارا عليهم * دراهم كالمضمحلة

وقوله تعالى (الذين كذبوا شعيبا كان لم يغنوا فيها) يعني كان لم يقيموا فيها ولم ينزلوها يوما من الدهر يقال غنيت بالمكان اي اقمت به والمعاني والمنازل التي بها واحدها معنى قول الشاعر

ولقد غنوا فيها بانعم عيشة * في ظل ملك ثابت الاوتاد

أراد أقاموا فيها وقيل في معنى الآية كأن لم يعيشوا فيها متنعمين مستغنين يقال غنى الرجل إذا استغنى وهو من الغنى الذي هو ضد الفقر (الذين كذبوا شعيبا هم الخاسرين) يعني خسروا انفسهم بهلاكهم (فتولى عنهم) يعني فاعرض عنهم شعيب شاخصا من بين اظهرهم حين اتاهم العذاب (وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم) يعني انه قال لهم ذلك لما تيقن نزول العذاب بقومه واختلفوا اهل كان ذلك القول قبل نزول العذاب او بعده على قولين سبقا في قصة صالح عليه الصلاة والسلام وقوله (فكيف آسى) يعني أحزن (على قوم كافرين) والآسى أشد الحزن وإنما اشتد حزنه على قومه لانهم كانوا كثيرين وكان يتوقع منهم الاجابة والايمان فلما نزل بهم ما نزل من العذاب عزى نفسه فقال كيف احزن الله على قوم كافرين لانهم هم الذين اهلكوا انفسهم باصرارهم على الكفر وقيل في معنى الاية ان شعيبا قال لقد اعذرت اليكم في الابلاغ والنصيحة والتحذير فلم تسمعوا قولي ولم تقبلوا نصحي فكيف احزن عليكم يعني أنكم لستم مستحقين لان يحزن عليكم فعلى القول الاول انه حصل لشعيب حزن على قومه وعلى القول الثاني لم يحزن عليهم والله أعلم وقوله تعالى (وما أرسلنا في قرية من نبي)

قامت ابنته تبكيه كلمن قدهدركني * هلكه وسط المحلة سيد القوم أتاه * هلك نارا تحت ظله

جعلت نارا عليهم * دارهم كالمضمحلة وقوله تعالى (الذين كذبوا شعيباً كان لم يغنوا فيها) اي لم يقيموا ولم ينزلوا فيها من قولهم غنيت بالمكان إذا قمت به والمغاني والمنازل واحدها معنى وقيل كأن لم يتنعموا فيها (الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرون) لا المؤمنين كما زعموا (فتولى عنهم) أعرض عنهم شعيب شاخصا من بين أظهرهم حين أتاهم العذاب (وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم فكيف آسى) أحزن (على قوم كافرين) والاسى الحزن والاسى الصبر قوله (وما أرسلنا في قرية من نبي) فيه إضمار يعني فكذبوه

(إلا أخذنا) عاقبنا (أهلها) حين لم يؤمنوا (بالبأساء والضراء) قال ابن مسعود البأساء الفقر والضراء المرض وهذا معنى قول من قال البأساء في المال والضراء في النفس وقيل الباساء البؤس وضيق العيش والضراء والضر سوء الحال وقيل الباساء في الحزن والضراء في الجدب (لعلهم يضرعون) لكي يتضرعوا فيتوبوا (ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة) يعني النعمة والسعة والخصب والصحة (حتى عفوا) اي كثروا وازدادوا أو كثرت اموالهم يقال عفا الشعر إذا كثر قال مجاهد كثرت أموالهم وأولادهم (وقالوا) من غرتهم وغفلتهم بعد ما صاروا إلى الرخاء (قد مس آباءنا الضراء والسراء) اي هكذا كانت عادة الدهر قديما لنا ولآبائنا ولم يكن ما مسنا من الضراء عقوبة من الله فكونوا على ما انتم عليه كما كان آباؤكم فانهم لم يتركوا دينهم لما اصابهم من الضراء قال الله تعالى عز وجل (فاخذناهم بغتة) فجاة آمن ما كانوا (وهم لا يشعرون) بنزول العذاب (ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض) يعني المطر من السماء والنبات من الارض وأصل البركة المواظبة على الشيء اى تابعنا عليهم المطر والنبات ورفعنا عنهم القحط والجدب (ولكن كذبوا فاخذناهم بما كانوا يكسبون) من الأعمال الخبيثة (أفامن أهل القرى) الذين كفروا وكذبوا يعنى مكة وما حولها (ان ياتيهم باسنا) عذابنا (بياتا) ليلا (وهم نائمون أو أمن) قرأ أهل الحجاز والشام أو أمن بسكون الواو والباقون بفتحها (أهل القرى ان ياتيهم باسنا ضحى) اى نهارا والضحى صدر النهار ووقت انبساط الشمس (وهم يلعبون) ساهون لاهون

فيه اضمار وحذف تقديره فكذبوه (إلا أخذنا أهلها بالبأساء والضراء) قال ابن مسعود البأساء الفقر والضراء المرض وهو معنى قول الزجاج فانه قال الباساء كل ما نالهم من الشدة في اموالهم والضراء كل ما نالهم من الامراض وقيل الباساء الشدة وضيق العيش والضراء الضر وسوء الحال (لعلهم يضرعون) يعني إنما فعلنا بهم ذلك لكي يتضرعوا ويتوبوا والتضرع والخضوع والانقياد لامر الله عز وجل والمراد من هذه الاية ان الله عز وجل لما عرف نبيه ﷺ احوال الأنبياء مع أممهم المكذبة وقص عليه من اخبارهم وعرفه سنته في الامم الذين خلوا من قبله وما صاروا اليه من الهلاك والعذاب عرفه هذه الاية انه قد ارسل رسلا إلى امم أخر فكذبوا رسلهم فأخذهم بالباساء والضراء كما فعل بمن كذب رسله وفيه تخويف وتحذير لكفار قريش وغيرهم من الكفار لينزجروا عما هم عليه من الكفر والتكذيب ثم بين تعالى انه لا يجري تدبيره في اهل القرى على نمط واحد وسنة واحدة وإنما يدبرهم بما يكون إلى الايمان اقرب وهو قوله تعالى (ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة) لأن ورود النعمة في البدن والمال بعد الشدة والضيق يستدعي الانقياد للطاعة والاشتغال بالشكر قال اهل اللغة السيئة كل ما يسوء صاحبه والحسنة كل ما يستحسنه الطبع والعقل فالسيئة والحسنة هنا الشدة والرخاء والمعنى انه تعالى بدل مكان الباساء والضراء النعمة والسعة والخصب والصحة في الابدان فاخبر الله تعالى في هذه الاية انه ياخذ اهل المعاصي والكفر تارة بالشدة وتارة بالرخاء على سبيل الاستدراج وهو قوله (حتى عفوا) يعني انه فعل ذلك بهم حتى كثروا وكثرت اموالهم يقال عفا الشعر إذا كثر وطال وقال مجاهد حتى كثرت اموالهم واولادهم (وقالوا) يعني من غرتهم وغفلتهم بعد ما صاروا إلى الرخاء والسعة (قد مس آباءنا الضراء والسراء) يعني انهم قالوا هكذا عادة الدهر قديما وحديثا لنا ولآبائنا ولم يكن ما مسنا من الشدة والضراء عقوبة لنا من الله تعالى على ما نحن عليه فكونوا على ما انتم عليه كما كان آباؤكم من قبل فانهم لم يتركوا دينهم لما أصابهم من الضراء والسراء قال الله تعالى (فاخذناهم بغتة) يعني اخذناهم فجاة آمن ما كانوا ليكون ذلك اعظم لحسرتهم (وهم لا يشعرون) يعني بنزول العذاب بهم والمراد بذكر هذه القصة اعتبار من سمعها لينزجر عما هو عليه من الذنوب * قوله عز وجل (ولو أن اهل القرى آمنوا واتقوا) لما بين الله تعالى في هذه الاية الأولى إن الذين عصوا وتمردوا اخذهم بعذابه بين في هذه الاية انهم لو امنوا يعني بالله ورسله واطاعوه فيما امرهم به واتقوا يعني ما نهى الله تعالى عنه وحرمه عليهم (لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض) فبركات السماء المطر وبركات الارض النبات والثمار وجميع ما فيها من الخيرات والانعام والارزاق والامن والسلامة من الافات وكل ذلك من فضل الله تعالى وإحسانه على عباده واصل البركة ثبوت الخير الالهي في الشيء وسمي المطر بركة السماء لثبوت البركة فيه وكذا ثبوت البركة في نبات الارض لانه نشا عن بركات السماء وهي المطر وقال البغوي أصل البركة المواظبة على الشيء أي تابعنا عليهم بالمطر من السماء والنبات من الارض ورفعنا عنهم القحط والجدب (ولكن كذبوا) يعني فعلنا بهم ذلك ليؤمنوا فما آمنوا ولكن كذبوا يعني الرسل (فاخذناهم) يعني بانواع العذاب (بما كانوا يكسبون) يعني اخذناهم بسبب كسبهم الاعمال الخبيثة * قوله تعالى (افامن اهل القرى) هو استفهام بمعنى الانكار وفيه وعيد وتهديد زجر والمراد بالقرى مكة وما حولها وقيل هو عام في كل اهل القرى الذين كفروا وكذبوا (أن ياتيهم باسنا) يعني عذابنا (بياتا) يعني ليلا وهم نائمون أو أمن أهل القرى ان ياتيهم باسنا ضحى) يعني نهارا لان الضحى صدر النهار (وهم يلعبون) يعني وهم ساهون لاهون غافلون عما يراد بهم والمقصود من الاية ان الله خوفهم بنزول العذاب وهم في غاية الغفلة وهو حال النوم بالليل وحال الضحى بالنهار لانه الوقت الذي يغلب على الانسان التشاغل فيه بامور الدنيا وامور الدنيا كلها

(أفأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون) ومكر الله استدراجه اياهم بما أنعم عليهم فى دنياهم وقال عطية يعنى أخذه وعذابه (اولم يهد) قرأ قتادة ويعقوب نهد بالنون على التعظيم والباقون بالياء على التفريد يعنى أولم يتبين (للذين يرثون الأرض من بعد) هلاك (أهلها الذين كانوا فيها (ان لو نشاء اصبناهم) أى أخذناهم وعاقبناهم (بذنوبهم) كما عاقبنا من قبلهم (ونطبع) نختم (على قلوبهم فهم لا يسمعون) الايمان ولا يقبلون الموعظة قال الزجاج قوله ونطبع منقطع عما قبله لأن قوله أصبناهم ماض ونطبع مستقبل (تلك القرى)

كلها لعب ويحتمل أن يكون المراد خوضهم فى كفرهم وذلك لعب أيضا لأنه يضر ولا ينفع (أفأمنوا مكر الله) يعنى استدراجه اياهم بما أنعم عليهم من الدنيا وقيل المراد أن يأتيهم عذابه من حيث لا يشعرون به (فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون) يعنى أنه لا يأمن أن يكون ما أعطاهم من النعمة مع كفرهم استدراجا إلا من خسر فى اخراه وهلك مع الهالكين (أولم يهد) أولم يبين (للذين يرثون الأرض من بعد) هلاك (اهلها) الذين كانوا من قبلهم فورثوها عنهم وخلفوهم فيها (ان لو نشاء اصبناهم بذنوبهم) يعنى لو نشاء اخذناهم وعاقبناهم بسبب كفرهم (ونطبع) اى نختم (على قلوبهم فهم لا يسمعون) يعنى لا يسمعون موعظة ولا يقبلون الايمان ونطبع منقطع عما قبله والمعنى ونحن نطبع على قلوبهم ويجوز ان يكون معطوفا على الماضى ولفظه لفظ المستقبل والمعنى ولو شئنا طبعنا على قلوبهم (تلك القرى) يعنى هذه القرى التى ذكرنا لك يا محمد امرها وامر اهلها وهى قرى قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وشعيب (نقص عليك من انبائها) يعنى نخبرك عنها وعن اخبار اهلها وما كان من امرهم وامر رسلهم الذين ارسلوا اليهم لتعلم يا محمد انا لننصر رسلنا والذين امنوا معهم على اعدائنا واعدائهم من اهل الكفر والعناد وكيف اهلكناهم بكفرهم وبما خالفهم رسلهم ففيه تسلية للنبى ﷺ وتحذير لكفار قريش ان يصيبهم مثل ما اصابهم (ولقد جاءتهم) يعنى لاهل تلك القرى (رسلهم بالبينات) يعنى جاءتهم رسلهم بالمعجزات الباهرات والبراهين الدالة على صدقهم (فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل) اختلف اهل التفسير فى معنى ذلك فقيل فما كان هؤلاء المشركون الذين اهلكناهم من اهل القرى ليؤمنوا عند ارسالنا اليهم رسلهم بما كذبوا من اهل ذلك وهو يوم اخذ ميثاقهم حين اخرجهم من ظهر ادم عليه السلام فأقروا باللسان واضمروا التكذيب وهذا معنى قول ابن عباس والسدى قال السدى آمنوا كرها يوم اخذ الميثاق وقال مجاهد فما كانوا لو احييناهم بعد اهلاكهم ومعاينتهم العذاب ليؤمنوا بما كذبوا من قبل هلاكهم وقيل معناه فما كانوا ليؤمنوا عند مجىء الرسل بما سبق لهم فى علم الله انهم يكذبون به بين حين اخرجهم من صلب ادم عليه الصلاة والسلام قال ابى بن كعب كان سبق لهم فى علمه يوم اقروا له بالميثاق انهم لا يؤمنون به وقال الربيع بن انس يحق على العباد ان يأخذوا من العلم ما ابدى لهم ربهم وان لا يتاولوا علم ما اخفى الله تعالى عنهم فان علمه نافذ فما كان وفيما يكون وفى ذلك قال تعالى ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين قال نفذ علمه فيهم ايهم المطيع من العاصى حيث خلقهم فى صلب ادم عليه الصلاة والسلام قال الطبرى واولى الاقوال بالصواب قول ابى بن كعب والربيع بن انس وذلك ان من سبق فى علم الله انه لا يؤمن به فلا يؤمن ابدا وقد كان سبق فى علم الله لمن هلك من الامم الذين قص خبرهم فى هذه السورة انهم لا يؤمنون ابد فاخبر عنهم انهم لم يكونوا ليؤمنوا بما هم مكذبون به فى سابق علمه قبل مجىء الرسل عند مجيئهم اليهم (كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين) يعنى كما طبع الله على قلوب كفار الامم الخالية واهلكهم كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين الذين كتب الله عليهم انهم لا يؤمنون من قومك (وما وجدنا لاكثرهم من عهد) يعنى وما وجدنا لاكثر الامم الخالية والقرون الماضية الذين قصصنا خبرهم عليك يا محمد من وفاء بالعهد الذى

أى هذه القرى التى ذكرت لك امرها وامر اهلها يعنى قرى قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وشعيب (نقص عليك من انبائها) أخبارها لما فيها من الاعتبار (ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات) بالايات والمعجزات والعجائب (فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل) أى فما كانوا ليؤمنوا بعد رؤية المعجزات والعجائب بما كذبوا من قبل رؤيتهم تلك العجائب نظيره قوله عز وجل قد سألها قوم من قبلكم ثم أصبحوا بها كافرين قال ابن عباس والسدى يعنى فما كان هؤلاء الكفار الذين أهلكناهم ليؤمنوا عند إرسال الرسل بما كذبوا من قبل يوم أخذ ميثاقهم حين أخرجهم من ظهر آدم فأقروا باللسان وأضمروا التكذيب وقال مجاهد معناه فما كانوا لو أحييناهم بعد اهلاكهم ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل هلاكهم لقوله عز وجل ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه قال يمان ابن رباب هذا على معنى ان كل نبى انذر قومه بالعذاب فكذبوه يقول ما كانوا ليؤمنوا بما كذب به اوائلهم من الأمم الخالية بل كذبوا بما كذب اوائلهم نظيره قوله عز وجل كذلك ما اتى الذين من قبلهم من رسول إلا قالوا ساحر او مجنون (كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين) اى كما طبع الله على قلوب الامم الخالية واهلكهم كذلك يطبع الله على قلوب الكفار الذين كتب ان لا يؤمنوا من قومك (وما وجدنا لاكثرهم من عهد) اى وفاء بالعهد الذى عاهدهم يوم الميثاق حين اخرجهم من صلب ادم

(وإن وجدنا أكثرهم لفاسقين) أى ماوجدنا اكثرهم إلا فاسقين ناقضين للعهد قوله تعالى (ثم بعثنا من بعدهم) أى من بعد نوح وهود وصالح وشعيب (موسى بآياتنا) بادلتنا (إلى فرعون وملئه فظلموا بها) فجحدوا بها والظلم وضع الشىء فى غير موضعه وظلمهم وضع الكفر موضع الايمان (فانظر كيف كان عاقبة المفسدين) كيف فعلنا بهم (وقال موسى) لما دخل على فرعون (يا فرعون انى رسول من رب العالمين) اليك فقال فرعون كذبت فقال موسى (٢٢٠) (حقيق على أن لا أقول على الله إلا الحق أى أنا خليق بأن لا أقول على الله إلا الحق فتكون على بمعنى الباء كما يقال رميت بالقوس ورميت عن القوس وجئت على حال حسنة وبحال حسنة يدل عليه قراءة ابى والاعمش حقيق بأن لا اقول وقال ابو عبيدة معناه حريص على ان لا اقول على الله إلا الحق وقرا نافع على بتشديد الياء اى حق واجب على ان لا اقول على الله إلا الحق (قد جئتكم ببينة من ربكم) يعنى العصا (فأرسل معى بنى اسرائيل) أى اطلق عنهم وخلهم يرجعون إلى الارض المقدسة وكان فرعون قد استخدمهم فى الاعمال الشاقة من ضرب اللبن ونقل التراب ونحوهما فقال فرعون مجيبا لموسى (قال ان كنت جئت بآية فأت بها إن كنت من الصادقين فالقى) موسى (عصاه) من يده (فاذا هى ثعبان مبين) والثعبان الذكر العظيم من الحيات فان قيل اليس قد قال فى موضع آخر كأنها جان والجان الحية الصغيرة قيل انها كانها كالجان فى الحركة والخفة وهى فى جثتها حية عظيمة قال ابن عباس والسدى أنه لما ألقى العصا صارت حية عظيمة صفراء شعراء فاغرة فاها بين لحييها ثمانون ذراعا وارتفعت من الأرض بقدر ميل وقامت على ذنبها واضعة لحيها الأسفل فى الارض ولحيها الاعلى على سور القصر وتوجهت نحو فرعون لتأخذه فوثب فرعون عن سريره هاربا وأحدث وقيل أنه أحدث فى ذلك اليوم أربعمائة مرة وقيل أنها أخذت قبة فرعون بين أنيابها وحملت على الناس فانهزموا وصاحوا وقتل بعضهم بعضا فمات منهم فى ذلك اليوم خمسة وعشرون الفا ودخل فرعون البيت وصاح يا موسى إنشدك بالذى ارسلك أن تأخذها وأنا أؤمن بك وأرسل معك بنى اسرائيل

عهدناه اليهم وأصبناهم به يوم أخذ الميثاق قال ابن عباس إنما أهلك الله أهل القرى لأنهم لم يكونوا حفظوا ما أوصاهم به (وإن وجدنا اكثرهم لفاسقين) أى ماوجدنا اكثرهم إلا فاسقين خارجين عن طاعتنا وامرنا قوله عز وجل (ثم بعثنا من بعدهم) يعنى ثم بعثنا من بعد الأنبياء الذين تقدم ذكرهم وهم نوح وهود وصالح ولوط وشعيب عليهم الصلاة والسلام (موسى بآياتنا) يعنى بحججنا وأدلتنا الدالة على صدقه مثل اليد والعصا ونحو ذلك من الآيات التى جاء بها موسى عليه الصلاة والسلام (إلى فرعون وملئه) قيل ان كل من ملك مصر كان يسمى فرعون فى ذلك الزمان مثل ما كان يسمى ملك فارس كسرى وملك الروم قيصر وملك الحبشة النجاشى وكان اسم فرعون الذى أرسل اليه موسى عليه الصلاة والسلام الوليد بن مصعب ابن الريان وكان ملك القبط والملا اشراف قومه وإنما خصوا بالذكر لأنه إذا امن الاشراف امن الاتباع (فظلموا بها) يعنى فجحدوا بها لأن الظلم موضع الشىء فى غير موضعه وكانت هذه الآيات معجزات قاهرة ظاهرة فكفروا بها ووضعوا الكفر وضع الايمان (فانظر كيف كان عاقبة المفسدين) أى انظر يا محمد بعين العقل والبصيرة كيف فعلنا بهم وكيف اهلكناهم (وقال موسى يا فرعون انى رسول من رب العالمين) يعنى أن موسى عليه الصلاة والسلام لما دخل على فرعون دعاه إلى الله تعالى وإلى الايمان به وقال له انى رسول اى مرسل اليك وإلى قومك من رب العالمين يعنى ان الله الذى خلق السموات والأرض وخلق الخلق وهو سيدهم ومالكهم هو الذى ارسلنى اليك (حقيق) اى واجب (على ان لا أقول على الله إلا الحق) يعنى انى رسول والرسول لا يقول على الله إلا الحق فى وصفه وتنزيهه وتوحيده وأنه لا إله غيره (قد جئتكم ببينة من ربكم) يعنى ببرهان على صدق فيما أدعى من الرسالة والمراد ببينته معجزته وهى العصا واليد البيضاء ثم ان موسى عليه الصلاة والسلام لما فزع من تبليغ رسالته رتب على ذلك الحكم فقال موسى (فارسل معى بنى اسرائيل) يعنى خل عنهم واتركهم من اسرك وكان فرعون قد استعبد بنى اسرائيل واستعملهم فى الأعمال الشاقة مثل ضرب اللبن ونقل التراب ونحو ذلك من الأعمال الشاقة (قال ان كنت جئت بآية فأت بها ان كنت من الصادقين) يعنى ان فرعون قال لموسى عليه الصلاة والسلام بعد تبليغ الرسالة ان كنت جئت من عند من ارسلك ببينة تدل على صدقك فاتنى بها واحضرها عندى لتصح دعواك ويثبت صدقك فما قلت (فألقى عصاه فاذا هى ثعبان مبين) أى بين والثعبان الذكر من الحيات وصفه هنا بأنه ثعبان والثعبان من الحيات العظيم الضخم ووصفه فى آية أخرى بأنه جان والجان الحية الصغيرة والجمع بين هذين الوصفين انها كانت فى عظم الجثة كالثعبان العظيم وفى خفة الحركة كالحية الصغيرة وهى الجان قال ابن عباس والسدى أن موسى لما ألقى العصا صارت حية عظيمة صفراء شعراء فاغرة فاها بين لحييها ثمانون ذراعا وارتفعت من الأرض بقدر ميل وقامت على ذنبها واضعة لحيها الأسفل فى الارض ولحيها الاعلى على سور القصر وتوجهت نحو فرعون لتأخذه فوثب فرعون عن سريره هاربا وأحدث وقيل أنه أحدث فى ذلك اليوم أربعمائة مرة وقيل أنها أخذت قبة فرعون بين أنيابها وحملت على الناس فانهزموا وصاحوا وقتل بعضهم بعضا فمات منهم فى ذلك اليوم خمسة وعشرون الفا ودخل فرعون البيت وصاح يا موسى إنشدك بالذى ارسلك أن تأخذها وأنا أؤمن بك وأرسل معك بنى اسرائيل فأخذها موسى فعادت عصا كما كانت ثم قال فرعون هل معك آية اخرى قال نعم

فعادت

فعادت فى يده عصا كما كانت وفى كون الثعبان مبينا وجوه الاول انه تميز وتبين ذلك عما عملته السحرة من التمويه والتلبيس وبذلك تتميز معجزات الانبياء عليهم الصلاة والسلام من تمويه السحرة وتخيلهم الوجه الثانى انهم شاهدوا العصا قد انقلبت حية وكم يشتبه ذلك عليهم فلذلك قال ثعبان مبين اى بين الوجه الثالث ان ذلك الثعبان لما كان معجزة لموسى عليه الصلاة والسلام كان من اعظم الايات التى اتى بها نت صدق قول موسى عليه الصلاة والسلام فى انه رسول من رب العالمين * وقوله تعالى (ونزع يده) النزع فى اللغة عبارة عن إخراج الشىء عن مكانه والمعنى انه اخرج يده من جيبه أو من تحت جناحه (فاذا هى بيضاء للناظرين) قال ابن عباس وغيره اخرج يده من جيبه فراها بيضاء من غير سوء يعنى من غير برص وقيل ان موسى عليه الصلاة والسلام ادخل يده تحت جيبه ثم نزعها منه وقيل اخرج يده من تحت ابطه فاذا هى بيضاء لها شعاع غلب نور الشمس وكان موسى عليه الصلاة والسلام ادم اللون ثم ردها إلى جيبه فاخرجها فاذا هى كما كانت ولما كان البياض المفرط عيبا فى الجسد وهو البرص قال الله تعالى فى اية اخرى بيضاء من غير سوء يعنى من غير برص والمعنى فاذا هى بيضاء للنظارة ولا تكون بيضاء للنظارة إلا اذا كان بياضها بياضا عجيباً خارجا عن العادة يتعجب منه ﴿ فصل فى بيان المعجزة وكونها دليلا على صدق الرسل ﴾ اعلم ان الله تبارك وتعالى كان قادرا على خلق المعرفة والايمان فى قلوب عباده ابتداء من غير واسطة ولكن ارسل اليهم رسلا تعرفهم معالم دينه وجميع تكليفاته وذلك الرسول وسطة بين الله عزوجل وبين عباده يبلغهم كلامه ويعرفهم احكامه وجائز ان تكون تلك الواسطة من غير البشر كالملائكة من الانبياء وجائز ان تكون الواسطة من جنس البشر كالانبياء مع انهم ولا مانع لهذا من جهة العقل وإذا جاز هذا فى دليل العقل وقد جاءت الرسل عليهم الصلاة والسلام بمعجزات دلت على صدقهم فوجب تصديقهم فى جميع ما اتوا به لان المعجز مع التحدى من النبى قائم مقام قول الله عزوجل صدق عبدى فاطيعوه واتبعوه ولان معجزة النبى شاهد على صدقه فيما يقوله وسميت المعجزة معجزة لان الخلق عجزوا عن الاتيان بمثلها وهى على ضربين فضرب منها هو على نوع قدرة البشر ولكن عجزوا عنه فعجزهم عنه دل على أنه من فعل الله ودل على صدق النبى ﷺ كتمنى الموت فى قوله فتمنوا الموت إن كنتم صادقين فلما صرفوا عن تمنيه مع قدرتهم عليه علم أنه من عند الله ودل على صدق النبى ﷺ الضرب الثانى ماهو خارج عن قدرة البشر كاحياء الموتى وقلب العصا حية وأخوج ناقة من صخرة وكلام الشجر والجماد والحيوان ونبع الماء من بين الأصابع وغير ذلك من المعجزات التى عجز البشر عن مثلها فاذا أتى النبى بشىء من تلك المعجزات الخارقة للعادات علم أن ذلك من عند الله وأن الله عزوجل هو الذى أظهر ذلك المعجز على يد نبيه ليكون حجة له على صدقه فيما يخبر به عن الله عزوجل وقد ثبت بدليل العقل والبرهان القاطع أن الله تعالى قادر على خلق الأشياء وإبداعها من غير أصل سبق لها واخراجها من العدم إلى الوجود وانه قادر على قلب الاعيان وخوارق العادات والله تعالى أعلم * قوله عزوجل (قال الملأ من قوم فرعون إن هذا) يعنى موسى (لساحر عليم) يعنى أنه ليأخذ بأعين الناس حتى يخيل لهم أن العصا صارت حية ويرى الشىء بخلاف ماهو عليه كما أراهم يده بيضاء وهو آدم اللون وإنما قالوا ذلك لان السحر كان هو الغالب فى ذلك الزمان فلما أتى بما يعجز عنه غيره قالوا إن هذا لساحر عليم * فان قلت قد أخبر الله تعالى فى هذه السورة أن هذا الكلام من قول الملا لفرعون وقال فى سورة الشعراء قال للملا حوله إن هذا لساحر عليم فكيف الجمع بينهما * قلت لا يمتنع أن يكون قاله فرعون أولا ثم أنهم قالوه بعده فاخبر الله تعالى عنهم هنا وأخبر عن فرعون فى سورة الشعراء وقيل يحتمل أن فرعون قال هذا القول ثم أن الملا من قومه وهم خاصته سمعوه منه ثم أنهم بلغوه إلى العامة فاخبر الله عزوجل هنا عن الملا وأخبر هناك عن فرعون * وقوله (يريد أن يخرجكم من أرضكم) يعنى يريد موسى ان يخرجكم إيها القبط من ارض مصر (فماذا تأمرون) يعنى فأى شىء تشيرون ان تفعل به وقيل أن قوله فماذا تأمرون من قال الملا لان كلام فرعون ثم عند قوله يريد ان يخرجكم من ارضكم فقال الملا مجيبين لفرعون فماذا تأمرون وانما خاطبوه بلفظ الجمع

(ونزع يده فاذا هى بيضاء للناظرين) فادخل يده فى جيبه ثم نزعها منه وقيل أخرجها من تحت إبطه فاذا هى بيضاء لها شعاع غلب نور الشمس وكان موسى ادم اللون ثم ادخلها جيبه فصارت كما كانت (قال لملا من قوم فرعون ، ان هذا لساحر عليم) يعنون انه ليأخذ باعين الناس حتى يخيل اليهم العصا حية والادم أبيض ويرى ان الشىء بخلاف ماهو عليه (يريدان يخرجكم) يامعشر القبط (من ارضكم) مصر (فماذا تأمرون) اى تشيرون اليه هذا يقوله فرعون وان لم يذكره وقيل من قول الملا لفرعون وخاصته

(قالوا) يعني الملا (أرجه) قرأ ابن كثير وأهل البصرة وابن عامر بالهمزة وضم الهاء وقرأ الآخرون بلا همزة ثم نافع رواية ورش والكسائي يشبعان الهاء كسرا ويسكنها عاصم وحمزة ويختلسها ابو جعفر وقالون قال عطاء معناه اخره وقيل احبسه (واخاه) معناه انهم اشاروا عليه بتأخير امره وترك التعرض إليه بالقتل (وارسل في المدائن حاشرين) يعني الشرط في المدائن وهي مدائن الصعيد من نواحي مصر قالوا ارسل إلى هذه المدائن رجالا يحشرون اليك من فيها من السحر وكان رؤساء السحرة باقصى مدائن الصعيد فان غلبهم موسى صدقناه وان غلبوا علمنا انه ساحر فذلك قوله (ياتوك بكل ساحر عليم) قرا حمزة والكسائي سحار هنا وفي سورة يونس ولم يختلفوا في الشعراء انه سحار قيل السحار الذي يعلم السحر ولا يعلم والسحار الذي يعلم ويعمل وقيل السحار من يكون سحره في وقت دون وقت والسحار من يديم السحر قال ابن عباس وابن اسحق والسدي قال فرعون لما راى من سلطان الله في العصا ما راى انا لا نغالب إلا بمن هو اعلم منه فاتخذ غلمانا من بني إسرائيل فبعث بهم إلى قرية يقال لها الفوصاء يعلمونهم السحر فعلموهم سحرا كثيرا ووعد فرعون موسى موعدا فجاء الى السحرة فجاءوا ومعلمهم معهم فقال له ماذا صنعت قال قد علمتهم سحرا لا يطيقه سحرة اهل الارض إلا ان يكون امر من السماء فانه لا طاقة لهم به ثم بعث فرعون في مملكته فلم يترك ساحرا إلا اتى به واختلفوا في عدد السحرة الذين جمعهم فرعون قال مقاتل كانوا اثنين وسبعين اثنان منهم من القبط وهما رئيسا القوم وسبعون من بني اسرائيل وقال الكلبي كان الذين يعلمونهم رجلين مجوسيين من أهل نينوى وكانوا سبعين غير رئيسهم وقال كعب الاحبار كانوا اثنى عشر الفا وقال محمد بن اسحق كانوا خمسة عشر الفا وقال عكرمة كانوا سبعين الفا وقال محمد بن المنكدر كانوا ثمانين الفا وقال السدي كانوا بضعا وثمانين الفا ويقال رئيس القوم شمعون وقيل يوحنا قوله عز وجل (وجاء السحرة فرعون) يعني لما اجتمعوا وجاءوا الى فرعون (قالوا ان لنا لاجرا) يعني جعلا وعطاء تكرما منا به (ان كنا نحن الغالبين) يعني لموسى قال الامام فخر الدين الرازي ولقائل ان يقول كان حق الكلام ان يقول وجاء السحرة فرعون فقالوا بالفاء وجوابه هو على تقدير سائل سال ما قالوا إذ جاؤا فاجيب بقوله قالوا ائن لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين يعني لموسى (قال نعم) يعني قال لهم فرعون لكم الاجر والعطاء (وانكم من المقربين) يعني ولكم المنزلة الرفيعة عندي مع الاجر والمعنى ان فرعون قال للسحرة انى لا اقتصر معكم على الاجر بل ازيدكم عليه وتلك الزيادة انى اجعلكم من المقربين عندي. قال الكلبي تكونوا اول من يدخل علي وآخر من يخرج من عندي (قالوا) يعني السحرة (ياموسى اما ان تلقي) يعني عصاك (واما ان نكون نحن الملقين) يعني عصينا وحبالنا في هذه الاية دقيقة لطيفة وهي أن السحرة راعوا مع موسى عليه الصلاة والصلام حسن الادب حيث قدموه على انفسهم في الالقاء لاجرم ان الله عز

وهو واحد على عادة الملوك في التعظيم والتفخيم والمعنى فماترون أن نفعل به والقول الأول أصح لسياق الاية التي بعدها وهو قوله تعالى (قالوا ارجه واخاه) يعني اخر امرهما ولا تعجل فيه فتصير عجلتك عليك لا لك والارجاء التاخير في اللغة وقيل معناه ارجه احبسه واخاه وهذا القول ضعيف لان الارجاء في اللغة هو التاخير لا الحبس ولان فرعون ما كان يقدر على حبس موسى بعد ان راى من امر العصا ما راى (وارسل في المدائن) جمع مدينة واشتقاقها من مدن بالمكان اى قام به يعني مدائن صعيد مصر (حاشرين) يعني رجالا يحشرون اليك السحرة من جميع مدائن الصعيد والمعنى انهم قالوا لفرعون ارسل إلى هذه المدائن رجالا من اعوانك وهم الشرط يحشرون اليك من فيها من السحرة وكان الرؤساء السحرة باقصى مدائن الصعيد فان غلبهم موسى صدقناه واتبعناه وإن غلبوه علمنا انه ساحر فذلك قوله (ياتوك) يعني الشرط (بكل ساحر) وقرئ سحار والفرق بين الساحر والسحار ان الساحر هو المبتدىء في صناعة السحر فيتعلم ولا يعلم والسحار هو الماهر الذي يتعلم منه السحر وقيل الساحر من يكون سحره وقتا دون وقت والسحار الذي يدوم سحره ويعمل في كل وقت (عليم) يعني ماهر بصناعة السحر وقال ابن عباس رضي الله عنهما وابن اسحق والسدي ان فرعون لما راى من سلطان الله وقدرته في العصا قال انا لا نقاتل موسى إلا بمن هو أشد منه سحرا فاتخذ غلمانا من بني إسرائيل وبعث بهم إلى مدينة يقال لها الفوصاء يعلمونهم السحر فعلموهم سحرا كبيرا ووعد فرعون موسى موعدا ثم بعث إلى السحرة فجاؤا ومعهم معلمهم فقال فرعون للمعلم ماذا صنعت قال قد علمتهم سحرا لا يطيقه سحرا هل الارض الا ان يكون امرا من السماء فانه لا طاقة لهم به ثم بعث فرعون في مملكته فلم يترك ساحرا إلا اتى به واختلفوا في عدد السحرة الذين جمعهم فرعون قال مقاتل كانوا اثنين وسبعين اثنان منهم من القبط وهما رئيسا القوم وسبعون من بني اسرائيل وقال الكلبي كان الذين يعلمونهم رجلين مجوسيين من أهل نينوى وكانوا سبعين غير رئيسهم وقال كعب الاحبار كانوا اثنى عشر الفا وقال محمد بن اسحق كانوا خمسة عشر الفا وقال عكرمة كانوا سبعين الفا وقال محمد بن المنكدر كانوا ثمانين الفا وقال السدي كانوا بضعا وثمانين الفا ويقال رئيس القوم شمعون وقيل يوحنا قوله عز وجل (وجاء السحرة فرعون) يعني لما اجتمعوا وجاءوا الى فرعون (قالوا ان لنا لاجرا) يعني جعلا وعطاء تكرما منا به (ان كنا نحن الغالبين) يعني لموسى قال الامام فخر الدين الرازي ولقائل ان يقول كان حق الكلام ان يقول وجاء السحرة فرعون فقالوا بالفاء وجوابه هو على تقدير سائل سال ما قالوا إذ جاؤا فاجيب بقوله قالوا ائن لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين يعني لموسى (قال نعم) يعني قال لهم فرعون لكم الاجر والعطاء (وانكم من المقربين) يعني ولكم المنزلة الرفيعة عندي مع الاجر والمعنى ان فرعون قال للسحرة انى لا اقتصر معكم على الاجر بل ازيدكم عليه وتلك الزيادة انى اجعلكم من المقربين عندي. قال الكلبي تكونوا اول من يدخل علي وآخر من يخرج من عندي (قالوا) يعني السحرة (ياموسى اما ان تلقي) يعني عصاك (واما ان نكون نحن الملقين) يعني عصينا وحبالنا في هذه الاية دقيقة لطيفة وهي أن السحرة راعوا مع موسى عليه الصلاة والصلام حسن الادب حيث قدموه على انفسهم في الالقاء لاجرم ان الله عز وجل الفاوقال محمد بن المنكدر كانوا اثنى عشر الفا وقال السدي كانوا بضعة وثلاثين الفا وقال عكرمة كانوا سبعين (وجاء السحرة فرعون) واجتمعوا (قالوا) لفرعون (ان لنا لأجرا) اى جعلا وما لا (ان كنا نحن الغالبين) قرأ أهل الحجاز وحفص ان لنا على الخبر وقرأ الباقون بالاستفهام ولم يختلفوا في الشعراء انه مستفهم (قال) فرعون (نعم وانكم لمن المقربين) في المنزلة الرفيعة عندي مع الاجر قال يعني اول من يدخل واخر من يخرج (قالوا) يعني السحرة (يا موسى اما ان تلقي) عصاك (واما ان نكون نحن الملقين) لعصينا وحبالنا

(قال) موسى بل (القوا) أنتم (فلما القوا سحروا أعين الناس) أى صرفوا اعينهم عن إدراك حقيقة ما فعلوه من التمويه والتخييل وهذا هو السحر (واسترهبوهم) أى ارهبوهم وافزعوهم (وجاؤا بسحر عظيم) وذلك أنهم القوا حبالا غلاظا وخشبا طوالا فاذا هى حيات كامثال الجبال قد ملات الوادى يركب بعضها بعضا وفى القصة أن الأرض كانت ميلا فى ميل صارت حيات وافاعى فى أعين الناس (وأوحينا إلى موسى أن ألق عصاك) فألقاها فصارت حية عظيمة حتى سدت الأفق قال ابن زيد كان اجتماعهم بالاسكندرية ويقال بلغ ذنب الحية من وراء البحر ثم فتحت فاها ثمانين ذراعا (فاذا هى تلقف) قرأ حفص تلقف ساكنة اللام خفيفة حيث كان وقرأ الاخرون بفتح اللام وتشديد القاف أى تبتلع (ما يأفكون) يكذبون من التخاييل وقيل يزورون على الناس وكانت تلتقم حبالهم وعصيهم واحدا واحدا حتى أبلعت الكل وقصدت القوم الذين حضروا فوقع الزحام عليهم فهلك منهم فى الزحام خمسة وعشرون ألفا ثم أخذها موسى فصارت عصا كما كانت (فوقع الحق) قال الحسن ومجاهد ظهر الحق (وبطل ما كانوا يعملون) من السحر وذلك أن السحرة قالوا لو كان ما يصنع موسى سحرا لبقيت حبالنا وعصينا فلما فقدت علموا أن ذلك من أمر الله (فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين) ذليلين مقهورين

وجل عوضهم حيث تأدبوا مع نبيه موسى صلى الله عليه وسلم أن من عليهم بالإيمان والهداية ولما راعوا الأدب أولا وأظهروا ما يدل على رغبتهم فى ذلك (قال) يعنى قال لهم موسى (ألقوا) يعنى أنتم فقدمهم على نفسه فى الالقاء * فان قلت كيف جاز لموسى أن يأمر بالالقاء وقد علم أنه سحر وفعل السحر غير جائز * قلت ذكر العلماء رحمهم الله تعالى فيه أجوبة أحدها أن معناه إن كنتم محقين فى فعلكم فألقوا وإلا فلا تلقوا الجواب الثانى إنما أمرهم بالالقاء لتظهر معجزته لأنهم إذا لم يلقوا حبالهم وعصيهم لم تظهر معجزة موسى فى عصاه الجواب الثالث أن موسى علم أنهم لا بد أن يلقوا تلك الحبال والعصى وإنما وقع التخيير فى التقديم والتأخير فأذن لهم فى التقديم لتظهر معجزته أيضا بغلبهم لأنه لو ألقى أولا لم يكن له غلب وظهور عليهم فلهذا المعنى أمرهم بالالقاء أولا (فلما ألقوا) يعنى حبالهم وعصيهم (سحروا أعين الناس) يعنى صرفوا أعين الناس عن إدراك حقيقة ما فعلوه من التمويه والتخييل وهذا هو السحر وهذا هو الفرق بين السحر الذى هو فعل البشر وبين معجزة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام التى هى فعل الله وذلك لأن السحر قلب الأعين وصرفها عن إدراك ذلك الشىء والمعجزة قلب نفس الشىء عنه حقيقته كقلب عصا موسى عليه الصلاة والسلام حية تسعى (واسترهبوهم) يعنى أرهبوهم وافزعوهم بما فعلوه من السحر وهذا قوله تعالى (وجاؤا) يعنى السحرة (بسحر عظيم) وذلك أنهم ألقوا حبالا غلاظا وخشبا طوالا فاذا هى حيات كأمثال الجبال قد ملأت الوادى يركب بعضها بعضا ويقال أنهم طلوا تلك الحبال بالزئبق وجعلوا داخل تلك العصى زئبقا ايضا وألقوها على الأرض فلما أثر حر الشمس فيها تحركت والتوى بعضها على بعض حتى تخيل للناس أنها حيات ويقال أن الأرض كانت سعيها ميلا فى ميل فصارت كلها حيات وافاعى ففزع الناس من ذلك وأوجس فى نفسه خيفة موسى وهذه الخيفة لم تحصل لموسى عليه الصلاة والسلام لأجل سحرهم لأنه عليه الصلاة والسلام كان على يقين وثقة من الله تعالى أنهم لن يغلبوه وهو غالبهم وكان عالما بأن كل ما اتوا به على وجه المعارضة لمعجزته فهو من باب السحر والتخييل وذلك باطل ومع هذا الجزم يمتنع حصول الخوف لموسى من ذلك بل كان خوفه عليه الصلاة والسلام لأجل فزع الناس واضطرابهم مما رأوا من امر تلك الحيات فخاف موسى عليه الصلاة والسلام أن يتفرقوا قبل ظهور معجزته وحجته فلذلك أوجس فى نفسه خيفة موسى * قوله تعالى (وأوحينا إلى موسى أن ألق عصاك) يعنى فألقاها (فاذا هى تلقف) يعنى تبتلع (ما يأفكون) يعنى ما يكذب فيه السحرة لأن اصل الافك قلب الشىء عن غير وجهه من قيل للكذاب فاك لانه يقلب الكلام عن وجهه الصحيح إلى الباطل قال المفسرون اوحى الله عز وجل إلى موسى عليه الصلاة والسلام ان لا تخف وألق عصاك فألقاها فصارت حية عظيمة حتى سدت الافق قال ابن زيد كان اجتماعهم بالاسكندرية فيقال بلغ ذنب الحية من وراء البحر ثم فتحت فاها ثمانين ذراعا فاذا هى تلقف يعنى تبتلع كل شىء اتوا به من السحر فكانت تبتلع حبالهم وعصيهم واحدا واحدا حتى ابتلعت الكل وقصدت القوم الذين حضروا ذلك المجمع ففزعوا ووقع الزحام بينهم فمات من ذلك الزحام خمسة وعشرون الفا ثم أخذها موسى عليه السلام فصارت فى يده عصا كما كانت اول مرة فلما راى السحرة ذلك عرفوا انه من امر السماء وليس بسحر وعرفوا ان ذلك ليس من قدرة البشر وقوتهم فعند ذلك خروا سجدا وقالوا آمنا برب العالمين وذلك قوله تعالى (فوقع الحق) يعنى فظهر الحق الذى جاء به موسى (وبطل ما كانوا يعملون) يعنى من السحر وذلك ان السحرة قالوا لو كان ما صنع موسى سحر البقيت حبالنا وعصينا فلما انفقدت وتلاشت فى عصا موسى علموا ان ذلك من امر الله وقدرته (فغلبوا هنالك) يعنى فعند ذلك غلب فرعون وسحرته وجموعه (وانقلبوا صاغرين) يعنى ورجعوا ذليلين مقهورين (وألقى السحرة ساجدين) يعنى أن السحرة لما عاينوا من عظيم قدرة الله تعالى ما ليس فى قدرتهم مقابلته وعلموا انه ليس بسحر

(وألقى السحرة ساجدين) قال مقاتل القاهم الله وقيل الهمهم الله ان يسجدوا فسجدوا قال الاخفش من سرعة ما سجدوا كأنهم القوا

(قالوا آمنا برب العالمين) فقال فرعون إياى تعنون فقالوا (رب موسى وهرون) قال مقاتل قال موسى لكبير السحرة تؤمن بى أن غلبتك فقال لاتين بسحر لا يغلبه سحر ولئن غلبتنى لأومنن بك وفرعون ينظر (قال) لهم (فرعون) حين آمنوا (آمنتم به) قرأ حفص آمنتم على الخبر ههنا وفى طه والشعراء وقرأ الاخرون بالاستفهام آمنتم به (قبل أن اذن لكم) أصدقتم موسى من غير أمرى إياكم (أن هذا لمكر مكرتموه) أى صنع صنعتموه انتم وموسى (فى المدينة) فى (٢٢٤) مصر قبل خروجكم إلى هذا الموضع لتستولوا على مصر (لتخرجوا منها أهلها فسوف تعلمون) ما افعل بكم (لأقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف) وهو ان يقطع من كل شق طرفا قال الكلبى لاقطعن ايديكم اليمنى وارجلكم اليسرى (ثم لاصلبنكم اجمعين) على شاطىء نهر مصر (قالوا) يعنى السحرة لفرعون (انا الى ربنا منقلبون) راجعون فى الاخرة (وما تنقم منا) اى ما تكره منا وقال الضحاك وغيره وما تطعن علينا وقال عطاء ما لنا عندك من ذنب تعذبنا عليه (إلا ان امنا بايات ربنا لما لما جاءتنا) ثم فزعوا الى الله عز وجل فقالوا (ربنا افرغ) اصبب (علينا صبرا وتوفنا مسلمين ذكر الكلبى ان فرعون قطع ايديهم وارجلهم وصلبهم وذكر غيره انه لم يقدر عليهم لقوله تعالى لا يصلون اليكما بآياتنا انتما ومن اتبعكما الغالبون (وقال الملا من قوم فرعون) له (اتذر موسى وقومه ليفسدوا فى الارض) وارادوا بالافساد فى الارض دعاهم للناس الى مخالفة فرعون

خروا لله ساجدين وذلك أن الله عز وجل الهمهم معرفته والايمان به (قالوا امنا برب العالمين) فقال فرعون إياى تعنون فقالوا بل (رب موسى وهرون) قال مقاتل قال موسى لكبير السحرة تؤمن بى ان غلبتك فقال لاتين بسحر لا يغلبه سحر ولئن غلبتنى لأومنن بك وقيل أن الحبال والعصى التى كانت مع السحرة كانت حمل ثلاثمائة بعير فلما ابتلعتها عصا موسى كلها قال بعضهم لبعض هذا أمر خارج عن حد السحر وما هو إلا من امر السماء فآمنوا به وصدقوه * فان قلت كان يجب أن يأتوا بالايمان قبل السجود فما فائدة تقديم السجود على الايمان * قلت لما قذف الله عز وجل فى قلوبهم الايمان والمعرفة خروا سجدا لله تعالى شكرا على هدايتهم إليه وعلى ما الهمهم الله من الايمان بالله وتصديق رسوله ثم اظهروا بعد ذلك ايمانهم وقيل لما راوا عظيم قدرة الله تعالى وسلطانه فى امر العصا وانه ليس يقدر على ذلك احد من البشر وزالت كل شبهة كانت فى قلوبهم بادروا إلى السجود لله تعظيما لشأنه لما راوا من عظيم قدرته ثم انهم اظهروا الايمان باللسان قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما لما رات السحرة مارات عرفت ان ذلك من امر السماء وليس بسحر فخروا سجدا وقالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهرون * قوله عز وجل (قال فرعون آمنتم به قبل ان اذن لكم) يعنى قال فرعون للسحرة آمنتم بموسى وصدقتموه قبل ان امركم به واذن لكم فيه (ان هذا لمكر مكرتموه فى المدينة) يعنى ان هذا الصنع الذى صنعتموه انتم وموسى فى مدينة مصر قبل خروجكم إلى هذا الموضع وذلك ان فرعون راى موسى يحدث كبير السحرة فظن فرعون ان موسى وكبير السحرة قد تواطأ عليه وعلى اهل مصر وهو قوله (لتخرجوا منها اهلها) وتستولوا عليها انتم (فسوف تعلمون) فيه وعيد وتهديد يعنى فسوف تعلمون ما افعل بكم ثم فسر ذلك الوعيد فقال (لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف) وهو ان يقطع إحدى اليدين وإحدى الرجلين فيخالف بينهما فى القطع ثم لاصلبنكم اجمعين) يعنى على شاطىء نيل مصر قال ابن عباس رضى الله عنهما اول من صلب واول من قطع الايدى والارجل فرعون (قالوا) يعنى مجيبين لفرعون حين وعدهم بالقتل (انا إلى ربنا منقلبون) يعنى انا إلى ربنا راجعون واليه صائرون فى الاخرة (وما تنقم منا) وما تكره منا وما تطعن علينا وقال عطاء معناه وما لنا عندك من ذنب تعذبنا عليه (إلا ان امنا بايات ربنا لما جاءتنا) ثم فزعوا إلى الله تعالى وسألوه الصبر على تعذيب فرعون إياهم فقالوا (ربنا افرغ علينا صبرا) اى اصبب علينا صبرا كاملا تاما ولهذا اتى بلفظ التنكير يعنى صبرا واى صبر عظيم (وتوفنا مسلمين) يعنى واقبضنا على دين الاسلام وهو دين خليلك ابراهيم عليه الصلاة والسلام قال ابن عباس رضى الله عنهما كانوا فى اول النهار سحرة وفى آخر النهار شهداء قال الكلبى ان فرعون قطع ايديهم وارجلهم وصلبهم وقال غيره انه لم يقدر عليهم لقوله تعالى لا يصلون اليكما بآياتنا انتما ومن اتبعكما الغالبون * قوله تعالى (وقال الملا من قوم فرعون اتذر موسى) يعنى وقال جماعة من اشراف قوم فرعون لفرعون اتدع موسى (وقومه) من بنى إسرائيل (ليفسدوا فى الأرض) يعنى ارض مصر واراد بالافساد فيها انهم يامرونهم بمخالفة فرعون وهو قوله (ويذرك والهتك) يعنى وتذره ليذرك ويذر الهتك فلا يعبدك ولا يعبدها قال ابن عباس رضى الله عنهما كانت لفرعون بقرة كان يعبدها وكان إذا راى بقرة حسنة امرهم بعبادتها ولذلك اخرج لهم السامرى

فى عبادته (ويذرك) اى وليذرك (والهتك) فلا يعبدك ولا يعبدها قال ابن عباس كان لفرعون بقرة يعبدها وكان إذا راى بقرة حسناء امرهم ان يعبدوها فلذلك اخرج السامرى لهم عجلا وقال الحسن كان قد علق على عنقه صليبا يعبده وقال السدى كان فرعون قد اتخذ لقومه اصناما وامرهم بعبادتها وقال لقومه هذه الهتكم ارادها انا ربها وربكم فذلك قوله انا ربكم الاعلى وقرا ابن مسعود وابن عباس والشعبى والضحاك ويذرك وإلهتك بكسر الالف اى عبادتك فلا يعبدك لان فرعون كان يعبد ولا يعبد وقيل اراد بالالهة الشمس وكانوا يعبدونها وقال الشاعر

تزوجنا من اللعباء قصرا * واعجلنا الالاهة ان تؤبا

(قال) فرعون (سنقتل أبناءهم) قرأ أهل الحجاز سنة تل بالتخفيف من القتل وقرأ الاخرون بالتشديد من التقتيل على التكثير (ونستحيى نساءهم نتركهن أحياء (وإنا فوقهم قاهرون) غالبون قال ابن عباس كان فرعون يقتل أبناء

عجلا وقال السدى كان فرعون قد اتخذ لقومه أصناما وكان يأمرهم بعبادتها وقال لهم أنا ربكم ورب هذه الأصنام وذلك قوله أنا ربكم الأعلى والأولى ان يقال ان فرعون كان دهريا منكرا لوجود الصانع فكان يقول مدبر هذا العالم السفلى هى الكواكب فاتخذ أصناما على صورة الكواكب وكان يعبدها ويأمر بعبادتها وكان يقول فى نفسه انه هو المطاع والمخدوم فى الأرض فلهذا قال أنا ربكم الأعلى وقرأ ابن مسعود رضى الله عنه وابن عباس والشعبى والضحاك ويذرك والاهتك بكسر الألف ومعناه ويذرك وعبادتك فلا يعبدك لأن فرعون كان يعبد ولا يعبد وقيل أراد بالالهة الشمس والكواكب لأنه كان يعبدها قال الشاعر

تروحنا من اللعباء قصرا * واعجلنا الألاهة ان تؤبا

أراد بالألاهة الشمس (قال) يعنى فرعون مجيبا لقومه حين قالوا له أتذر موسى وقومه (سنقتل أبناءهم ونستحيى نساءهم) يعنى نتركهن أحياء وذلك ان قوم فرعون لما أرادوا إغراء فرعون على قتل موسى وقومه أوجس موسى إنزال العذاب بقومه ولم يقدر فرعون أن يفعل بموسى عليه الصلاة والسلام شيئا مما أرادوا به لقوة موسى عليه السلام بما معه من المعجزة فعدل إلى قومه فقال سنقتل ابناءهم ونستحيى نساءهم وقال ابن عباس رضى الله عنهما كان قد ترك القتل فى بنى إسرائيل بعدما ولد موسى فلما جاءهم موسى بالرسالة وكان من أمره ما كان قال فرعون اعيدوا عليهم القتل فأعادوا القتل على بنى إسرائيل والمعنى ان فرعون قال إنما يتقوى موسى بقومه فنحن نسعى بتقليل عدد قومه بالقتل لتقل شوكته ثم بين فرعون انه قادر على ذلك بقوله (وإنا فوقهم قاهرون) يعنى بالغلبة والقدرة عليهم ولما نزل ببنى إسرائيل ما نزل شكوا الى موسى ما نزل بهم (قال موسى لقومه) يعنى لما شكوا اليه (استعينوا بالله واصبروا) يعنى استعينوا بالله على فرعون وقومه فيما نزل بكم من البلاء فان الله هو الكافى لكم واصبروا على ما نالكم من المكاره فى انفسكم وابنائكم (ان الأرض لله) يعنى أرض مصر وإن كانت الأرض كلها لله تعالى (يورثها من يشاء من عباده) وهذا اطماع من موسى عليه الصلاة والسلام لبنى إسرائيل ان يهلك فرعون وقومه ويملك بنى إسرائيل أرضهم وبلادهم بعد إهلاكهم وهو قوله تعالى (والعاقبة للمتقين) يعنى ان النصر والظفر للمتقين على عدوهم وقيل أراد الجنة يعنى ان عاقبة المتقين الصابرين الجنة (قالوا أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا) قال ابن عباس رضى الله عنهما لما آمنت السحرة تبع موسى ستمائة الف من بنى إسرائيل والمعنى ان بنى اسرائيل لما سمعوا ما قاله فرعون ووعدهم به من القتل مرة ثانية قالوا لموسى قد أوذينا من قبل ان تأتينا يعنى بالرسالة وذلك ان بنى إسرائيل كانوا مستضعفين فى يد فرعون وقومه كان يستعملهم فى الأعمال الشاقة إلى نصف النهار فلما جاء موسى بالرسالة وجرى ما جرى شدد فرعون فى استعمالهم فكان يستعملهم جميع النهار وأعاد القتل عليهم فقالوا أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا يعنى بالرسالة وظاهر هذا الكلام يوهم ان بنى إسرائيل كرهوا مجىء موسى بالرسالة وذلك كفر والجواب عن هذا الإيهام ان موسى عليه الصلاة والسلام كان قد وعدهم بزوال ما كانوا فيه من الشدة والمشقة فظنوا ان ذلك يكون على الفور فلما رأوا انه قد زادت الشدة عليهم قال أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا فمتى يكون ما وعدتنا به من زوال ما نحن فيه (قال) موسى مجيبا لهم (عسى ربكم أن يهلك عدوكم) يعنى فرعون وقومه (ويستخلفكم فى الأرض) يعنى ويجعلكم تخلفونهم فى أرضهم بعد هلاكهم (فينظر كيف تعملون) يعنى فيرى ربكم كيف تعملون من بعدهم قال الزجاج فيرى وقوع ذلك منهم لأن الله تعالى لا يجازيهم بما يعلمه منهم وإنما يجازيهم على ما يقع منهم * قوله عزوجل ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين) يعنى بالقحط والجدب تقول العرب مستهم السنة بمعنى أخذهم الجدب فى السنة ويقال اسنتوا كما يقال اجدبوا قال الشاعر * ورجال مكة مسنتون عجاف * ومنه قوله

يولد مولود يذهب بملكك فلم يزل يقتلهم حتى اتاهم موسى بالرسالة وكان من امره ما كان فقال فرعون اعيدوا عليهم القتل فأعادوا عليهم القتل فشكت ذلك بنو إسرائيل (قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا ان الأرض لله) يعنى ارض مصر (يورثها) يعطيها (من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين) النصر والظفر وقيل السعادة والشهادة وقيل الجنة (قالوا أوذينا) قال ابن عباس لما آمنت السحرة اتبع موسى ستمائة الف من بنى اسرائيل فقالوا يعنى قوم موسى انا أوذينا (من قبل أن تأتينا) بالرسالة بقتل الأبناء (ومن بعد ما جئتنا) باعادة القتل علينا وقيل فالمراد منه أن فرعون كان يستسخرهم قبل مجىء موسى الى نصف النهار فلما جاء موسى استسخرهم جميع النهار بلا أجر وذكر الكلبى انهم كانوا يضربون له اللبن بطين فرعون فلما جاء موسى أجبرهم ان يضربوه بطين من عندهم (قال) موسى (عسى ربكم ان يهلك عدوكم) فرعون (ويستخلفكم فى الأرض)

اى يسكنكم ارض مصر من بعدهم (فينظر كيف تعملون) فحقق الله ذلك باغراق فرعون استخلفهم فى ديارهم واموالهم فعبدوا العجل قوله تعالى (ولقد اخذنا آل فرعون بالسنين) اى بالجدب والقحط تقول العرب مستهم السنة اى جدب السنة وشدة السنة وقيل اراد بالسنين القحط سنة بعد سنة

(ونقص من الثمرات) والغلات بالآفات والعاهات وقال قتادة أما السنين فلاهل البوادي وأما نقص الثمرات فلاهل الأمصار (لعلهم يذكرون) اى يتعظون وذلك لان الشدة ترقق القلوب وترغبها فيما عند الله عز وجل (فاذا جاءتهم الحسنة) يعنى الخصب والسعة والعافية (قالوا لنا هذه) أى نحن أهلها ومستحقوها على العادة التى جرت لنا فى سعة أرزاقنا ولم يروها تفضلا من الله عز وجل فيشكروا عليها (وإن تصبهم سيئة) جدب وبلاء ورأوا ما يكرهون (يطيروا) يتشاءموا (بموسى ومن معه) وقالوا ما أصابنا بلاء حتى رأيناهم فهذا من شؤم موسى وقومه وقال سعيد بن جبير ومحمد بن المنكدر كان ملك فرعون اربع مائة سنة وعاش ستمائة وعشرين سنة لا يرى مكروها ولو كان له فى تلك المدة جوع أو حمى ليلة أو وجع ساعة لما ادعى الربوبية قط قال الله تعالى (ألا إنما طائرهم عند الله) نصيبهم من الخصب والجدب والخير والشر كله من الله وقال ابن عباس طائرهم ما قضى عليهم وقدر لهم وفى رواية عنه شؤمهم عند الله ومن قبل الله أى إنما جاءهم الشؤم بكفرهم بالله وقيل معناه الشؤم العظيم هو الذى لهم عند الله من عذاب النار (ولكن أكثرهم لا يعلمون) أن الذى أصابهم من الله (وقالوا) يعنى القبط لموسى (مهما) متى ما كلمة تستعمل للشرط (٢٢٦) والجزاء (تاتنا به من آية) علامة (لتسحرنا بها) لتنقلنا عما نحن عليه من الدين (فما نحن لك بمؤمنين) بمصدقين (فارسلنا عليهم الطوفان) قال ابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة ومحمد بن إسحق دخل كلام بعضهم فى بعض لما امنت السحرة ورجع فرعون مغلوبا الى هو وقومه إلا الاقامة على الكفر والتمادى فى الشر فتابع الله عليهم الايات واخذهم بالسنين ونقص من الثمرات فلما عالج منهم بالايات الاربع العصا واليد والسنى ونقص الثمار فابوا ان يؤمنوا فدعا عليهم فقال يارب إن عبدك فرعون علا فى الارض وطغى وعتا وأن قومه قد نقضوا عهدك رب فخذهم بعقوبة تجعلها لهم نقمة ولقومى عظة ولمن بعدهم آية وعبرة فبعث الله عليهم الطوفان وهو الماء

صلى الله عليه وسلم اللهم اجعلها عليهم سنين كسنى يوسف ومعنى الآية ولقد أخذنا آل فرعون بالجدب والقحط والجوع سنة بعد سنة (ونقص من الثمرات) يعنى وإتلاف الغلات بالافات قال قتادة أما السنون فلاهل البوادى واما نقص الثمرات فلاهل الامصار (لعلهم يذكرون) يعنى لعلهم يتعظون فيرجعوا عما هم فيه من الكفر والمعاصى وذلك لأن الشدة ترقق القلوب وترغب فيما عند الله عز وجل من الخير ثم بين الله تعالى انهم عند نزول العذاب وتلك المحن عليهم والشدة لم يزدادوا إلا تمردا وكفرا فقال تعالى (فاذا جاءتهم الحسنة) يعنى الغيث والخصب والسعة والعافية والسلامة من الافات (قالوا لنا هذه) أى نحن مستحقون لها ونحن أهلها على العادة التى جرت لنا فى سعة الأرزاق وصحة الأبدان ولم يروا ذلك من فضل الله عليهم فيشكروه على أنعامه (وإن تصبهم سيئة) يعنى القحط والجدب والمرض والبلاء وراوا ما يكرهون فى أنفسهم (يطيروا) يعنى يتشاءموا واصله يطيروا والتطير التشاؤم فى قول جميع المفسرين (بموسى ومن معه) يعنى انهم قالوا ما اصابنا بلاء إلا حين رأيناهم وما ذلك إلا بشؤم موسى وقومه قال سعيد بن جبير ومحمد ابن المنكدر كان ملك فرعون أربعمائة سنة وعاش ستمائة وعشرين سنة لم ير مكروها قط ولو كان حصل له فى تلك المدة جوع يوم أو حمى ليلة ووجع ساعة لما ادعى الربوبية قط (إلا انما طائرهم عند الله) يعنى أن نصيبهم من الخصب والجدب والخير والشر كله من الله قال ابن عباس رضى الله عنهما ما طائرهم ما قضى لهم وقدر عليهم من عند الله وفى رواية عند الله ومعناه انه إنما جاءهم بكفرهم بالله وقيل الشؤم العظيم هو الذى لهم عند الله من عذاب النار (ولكن اكثرهم لا يعلمون) يعنى وما أصابهم من الله تعالى وإنما قال اكثرهم لا يعلمون لأن اكثر الخلق يضيفون الحوادث إلى الأسباب ولا يضيفونها إلى القضاء والقدر قوله تعالى (وقالوا) يعنى قوم فرعون وهم القبط لموسى عليه السلام (مهما تأتنا به من آية) يعنى من عندربك فهى عندنا سحر وهو قولهم (لتسحرنا بها) يعنى لتصرفنا عما نحن عليه من الدين (فما نحن لك بمؤمنين) يعنى بمصدقين وكان موسى عليه الصلاة والسلام رجلا حديدا مستجاب الدعوة فدعا عليهم فاستجاب الله عز وجل دعاءه فقال تعالى (فارسلنا عليهم الطوفان) قال ابن عباس رضى الله عنهما وسعيد بن جبير وقتادة ومحمد بن اسحق دخل كلام

أرسل الله عليهم الماء وبيوت بنى إسرائيل وبيوت القبط مشتبكة مختلطة فامتلات بيوت القبط حتى قاموا فى الماء إلى تراقيهم بعضهم ومن جلس منهم غرق ولم يدخل بيوت بنى إسرائيل قطرة من الماء وركد الماء على أرضهم لا يقدرون ان يحرثوا ولا يعملوا شيئا ودام ذلك عليهم سبعة ايام من السبت إلى السبت وقال مجاهد وعطاء الطوفان الموت وقال وهب الطوفان الطاعون بلغة اليمن وقال ابو قلابة الطوفان الجدرى وهم أول من عذبوا به فبقى فى الأرض وقال مقاتل الطوفان الماء طغى فوق حروثهم وروى ابن ظبيان عن ابن عباس قال الطوفان امر من الله طاف بهم ثم قرأ فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون قال نحاة الكوفة الطوفان مصدر لا يجمع كالرجحان والنقصان وقال أهل البصرة هو جمع واحدها طوفانة فقالوا لموسى ادع لنا ربك يكشف عنا المطر فنؤمن بك ونرسل معك بنى إسرائيل فدعا ربه فرفع عنهم الطوفان فأنبت الله لهم فى تلك السنة شيئا لم ينبته لهم قبل ذلك من الكلا والزرع والثمر وخصبت بلادهم فقالوا ما كان هذا الماء إلا نعمة علينا وخصبا فلم يؤمنوا وأقاموا شهرا فى عافية فبعث الله عليهم الجراد فاكل عامة زروعهم وثمارهم وأوراق الشجر حتى كانت تاكل الأبواب وسقوف البيوت والخشب والثياب والامتعة ومسامير الابواب من الحديد حتى تقع دورهم وابنى الجراد بالجوع فكان لا يشبع ولم يصب بنى اسرائيل شىء من ذلك فعجوا وضجوا وقالوا يا موسى إدع لنا

ربك بما عهد عندك لئن كشف عنا الرجز لنؤمنن لك ولأعطوه عهد الله وميثاقه فدعا موسى عليه السلام فكشف عنهم الجراد بعد ما أقام عليه سبعة أيام من السبت إلى السبت وفى الخبر مكتوب على صدر كل جرادة جند الله الأعظم ويقال موسى برز إلى الفضاء فأشار بعصاه نحو المشرق والمغرب فرجعت الجراد من حيث جاءت وكانت قد بقيت من زروعهم وعلاتهم بقية فقالوا قد بقى لنا ما هو كافينا فنحن بتاركى ديننا فلم يفوا بما عاهدوا وعادوا إلى أعمالهم السوء فأقاموا شهرا فى عافية ثم بعث الله عليهم القمل واختلفوا فى القمل فروى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال القمل السوس الذى يخرج من الحنطة وقال مجاهد والسدى وقتادة والكلبى القمل الدبى (٢٢٧) والجراد الطيارة التى لها أجنحة والدبى الصغار التى لا أجنحة لها وقال عكرمة هى بنات الجراد وقال أبو عبيدة وهو الحمنان وهو ضرب من القراد وقال عطاء الخرسانى هو القمل وبه قرأ أبو الحسن والقمل بفتح القاف وسكون الميم قالوا أمر الله موسى أن يمشى إلى كثيب أعفر بقرية من قرى مصر تدعى عين شمس فمشى موسى إلى ذلك الكثيب وكان أهيل فضربه بعصاه فانثال عليهم القمل فتتبع ما بقى من حروثهم وأشجارهم ونباتهم فأكله ولحس الأرض كلها وكان يدخل بين ثوب أحدهم وجلده فيعضده وكان أحدهم يأكل الطعام فيمتلىء فلما قال سعيد بن المسيب القمل السوس الذى يخرج من الحبوب وكان الرجل يخرج عشرة أجربة إلى الرحا فلا يرد منها ثلاثة أقفزة فلم يصابوا ببلاء كان أشد عليهم من القمل وأخذ أشعارهم وأبشارهم وأشفار عيونهم وحواجبهم ولزم جلودهم كأنه الجدرى عليهم ومنعهم النوم والقرار فصرخوا وصاحوا إلى موسى انا نتوب فادع لنا ربك يكشف عنا البلاء فدعا موسى عليه السلام الله فرفع القمل عنهم بعد ما اقام عليهم سبعة ايام من السبت إلى السبت فنكثوا وعادوا إلى اخبث اعمالهم وقالوا ما كنا قط احق ان نستيقن انه ساحر منا اليوم يجعل الرمل دواب وقالوا وعزة فرعون لا نتبعه ابدا ولا نصدقه فاقاموا شهرا فى عافية فدعا موسى عليه السلام بعدما اقاموا شهرا فى عافية فارسل الله عليهم الضفادع فامتلأت منها بيوتهم وافنيتهم واطعمتهم وانيتهم فلا يكشف احد إناء ولا طعاما إلا وجد فيه الضفادع وكان الرجل يجلس فى الضفادع إلى ذقنه ويهم ان يتكلم فيثب الضفدع إلى فيه وكان تثب فى قدورهم فتفسد عليهم طعامهم وتطفىء نيرانهم وكان احدهم يضطجع فتركبه الضفادع

بعضهم لبعض قالوا لما امنت السحرة ورجع فرعون مغلوبا أبى هو وقومه إلا الاقامة على الكفر والتمادى فى الشر فتابع الله عز وجل عليهم الآيات فأخذهم أولا بالسنين وهو القحط ونقص الثمرات وأراهم قبل ذلك من المعجزات اليد والعصا فلم يؤمنوا فدعا عليهم موسى وقال يارب ان عبدك فرعون علا فى الارض وبغى وعتا وإن قومه قد نقضوا العهد فخذهم بعقوبة تجعلها عليهم نقمة ولقومى عظة ولمن بعدهم اية وعبرة فبعث الله عليهم الطوفان وهو الماء فأرسل الله عليهم المطر من السماء وبيوت بنى إسرائيل وبيوت القبط مختلطة مشتبكة فامتلأت بيوت القبط حتى قاموا فى الماء إلى تراقيهم ومن جلس منهم غرق ولم يدخل من ذلك الماء فى بيوت بنى إسرائيل شىء وركد الماء على أرضهم فلم يقدروا على التحرك ولم يعملوا شيئا ودام ذلك الماء عليهم سبعة أيام من السبت إلى السبت وقال مجاهد وعطاء الطوفان الموت وقال وهب الطوفان الطاعون بلغة اهل اليمن وقال أبو قلابة الطوفان الجدرى وهم أول من عذبوا به ثم بقى فى الأرض وقال مقاتل الطوفان الماء طما فوق حروثهم وفى رواية ابن عباس رضى الله عنهما أن الطوفان أمر من الله عز وجل طاف بهم فعند ذلك قالوا يا موسى ادع لنا ربك يكشف هذا المطر فنحن نؤمن بك ونرسل معك بنى إسرائيل فدعى موسى عليه الصلاة والسلام ربه فرفع عنهم الطوفان وانبت لهم تلك السنة شيئا لم ينبته قبل ذلك من الكلا والزرع والثمر واخصبت بلادهم فقالوا ما كان هذا الماء إلا نعمة علينا فلم يؤمنوا واقاموا شهرا فى عافية فبعث الله عليهم الجراد فأكل عامة زرعهم وثمارهم وورق الشجر وأكل الأبواب وسقوف البيوت والخشب والثياب والأمتعة وأكل مسامير الحديد التى فى الأبواب وغيرها وابتلى الجراد بالجوع فكان لا يشبع وامتلأت دور القبط منه ولم يصب بنى إسرائيل من ذلك شىء فعجوا وضجوا وقالوا يا موسى ادع لنا ربك لئن كشفت عنا هذا الرجز لنؤمنن لك ولأعطوه عهد الله وميثاقه بذلك فدعا موسى ربه عز وجل فكشف الله عنهم الجراد بعد ما اقاموا عليهم سبعة ايام من السبت إلى السبت وفى الخبر مكتوب على صدر كل جرادة جند الله الأعظم ويقال إن موسى عليه السلام خرج الى الفضاء فأشار بعصاه نحو المشرق فرجع الجراد من حيث جاء وكان قد بقى من زروعهم وثمارهم بقية فقالوا قد بقى لنا ما هو كافينا فنحن بتاركى ديننا فلم يؤمنوا ولم يفوا بما عاهدوا عليه وعادوا إلى اعمالهم الخبيثة فاقاموا شهرا فى عافية ثم بعث الله عز وجل عليهم القمل واختلفوا فيه فروى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما ان القمل هو السوس الذى يخرج من الحنطة وقال مجاهد وقتادة والسدى والكلبى القمل الدبى وهو صغار الجراد الذى لا اجنحة له وقال ابو عبيدة وهو الحمنان وهو ضرب من الجراد وقال عطاء الخرسانى هو القمل نفسه وكان الحسن يقرا بفتح القاف وسكون الميم قال اصحاب الأخبار امر الله عز وجل موسى عليه السلام ان يمشى إلى كثيب رمل اعفر بقرية من قرى مصر تسمى عين شمس فمشى إلى ذلك الكثيب فضربه بعصاه فانهال عليهم القمل فتتبع ما بقى من حروثهم وزروعهم وثمارهم فاكلها ولحس الأرض وكان يدخل بين ثوب احدهم وجلده فيعضده فاذا اكل احدهم طعاما امتلأ فملا قال سعيد بن المسيب القمل السوس الذى يخرج من الحبوب وكان الرجل

فتكون عليه ركاما حتى ما يستطيع أن ينصرف إلى شقه الآخر ويفتح فاه لأكلته فيسبق الضفدع أكلته إلى فيه ولا يعجن عجينا إلا تشدخت فيه ولا يفتح قدرا إلا امتلأت ضفادع فلقوا منها أذى شديدا وروى عكرمة عن ابن عباس قال كانت الضفادع برية فلما أرسلها الله على آل فرعون سمعت وأطاعت فجعلت تقذف نفسها في القدور وهي تغلي وفي التنانير وهي تفور فأثابها الله بحسن طاعتها برد الماء فلما رأوا ذلك بكوا وشكوا إلى موسى وقالوا هذه المرة نتوب إلى الله تعالى ولا نعود فأخذ عهودهم ومواثيقهم ثم دعا ربه فكشف عنهم

الضفادع بعد ما أقام سبعا من السبت إلى السبت فأقاموا شهرا في عافية ثم نقضوا العهود وعادوا إلى كفرهم فدعا عليهم موسى فأرسل الله عليهم الدم فسال النيل عليهم دما وصارت مياههم دما وما يستقون من الآبار والأنهار إلا وجدوه دما عبيطا احمر فشكوا ذلك إلى فرعون وقالوا ليس لنا شراب فقال إنه سحركم فقال القوم من أين سحرنا ونحن لا نجد في أوعيتنا شيء من الماء إلا دما عبيطا وكان فرعون يجمع بين القبطي والاسرائيلي على الاناء الواحد فيكون ما يلي القبطي دما ويقومان الى الجرة فيها الماء فيخرج للاسرائيلي ماء وللقبطي دم حتى كانت المراة من ال فرعون تاتي المرأة من بني إسرائيل حين جهدهم العطش فتقول اسقني من مائك فصب لها من قربتها فيعود في الاناء دما حتى كانت تقول اجعليه في فيك ثم مجيه في فمي فتاخذ في فيها ماء فاذا مجته في فيها صار دما وان فرعون اعتراه العطش حتى انه ليضطر إلى مضغ الأشجار الرطبة فاذا مضغها يصير ماؤها في فيه ملحا شهرا اجاجا فمكثوا في ذلك سبعة ايام لا يشربون إلا الدم قال زيد بن أسلم الدم الذي سلط عليهم كان الرعاف فأتوا موسى وقالوا يا موسى ادع ربك يكشف عنا هذا الدم فنؤمن بك ونرسل معك بني إسرائيل فدعا ربه عز وجل فكشف عنهم فلم يؤمنوا فذلك قوله عز وجل فارسلنا عليهم الطوفان (والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات) يتبع بعضها بعضا وتفصيلها ان كل عذاب كان يمتد اسبوعا وبين كل عذابين شهرا

منهم يخرج بعشرة أجربة إلى الرحى فلا يردمنها ثلاثة أقفزة فلم يصابوا ببلاء كان أشد عليهم من القمل وأخذت أشعارهم وأبصارهم وحواجبهم وأشفار عيونهم ولزم جلودهم كأنه الجدري عليهم ومنعهم النوم والقرار فصرخوا بموسى إنا نتوب فادع لنا ربك يكشف عنا هذا البلاء فدعا موسى فرفع الله عنهم القمل بعد ما أقام عليهم سبعة أيام من السبت إلى السبت فمكثوا بعد ذلك ورجعوا إلى أخبث ما كانوا عليه من الأعمال الخبيثة وقالوا ما كنا قط أحق أن نستيقن أنه ساحر منا اليوم يجعل الرمل دوابا فدعا موسى عليهم بعد ما أقاموا شهرا في عافية فأرسل الله عليهم الضفادع فامتلأت منها بيوتهم وأفنيتهم وأطعمتهم وآنيتهم فلا يكشف أحد اناء ولا طعاما إلا وجد فيه الضفادع وكان الرجل منهم يجلس في الضفادع فتبلغ إلى حلقه فاذا أراد ان يتكلم يثب الضفدع فيدخل في فيه وكانت تثب في قدورهم فتفسد طعامهم عليهم وتطفئ نيرانهم وكان أحدهم إذا اضطجع ركبته الضفادع حتى تكون عليه ركاما فلا يستطيع أن ينقلب إلى شقه الآخر وإذا أراد أن يأكل سبقه الضفدع إلى فيه ولا يعجن أحدهم عجينا إلا امتلأ ضفادع ولا يفتح قدرا إلا امتلأت ضفادع فلقوا من ذلك بلاء شديدا وروى عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كانت الضفادع برية فلما أرسلها الله عز وجل على ال فرعون وسمعت وأطاعت وجعلت تقذف بنفسها في القدور وهي تغلي على النار والتنانير وهي تفور أثابها الله عز وجل بحسن طاعتها برد الماء فلما رأوا ذلك بكوا وشكوا إلى موسى عليه الصلاة والسلام ما يلقونه من الضفادع وقالوا هذه المرة نتوب ولا نعود فأخذ موسى عليه السلام عليهم العهود والمواثيق ثم دعا الله عز وجل فكشف عنهم الضفادع بعد ما أقامت عليهم سبعا من السبت إلى السبت فأقاموا شهرا في عافية ثم نقضوا العهد وعادوا إلى كفرهم فدعا عليهم موسى عليه الصلاة والسلام فأرسل الله عز وجل عليهم الدم فسال النيل عليهم دما عبيطا وصارت مياههم كلها دما وكل ما يستقون من الابار والأنهار يجدونها دما عبيطا فشكوا ذلك إلى فرعون وقالوا ليس لنا شراب إلا الدم فقال سحركم فقالوا من أين يسحرنا ونحن لا نجد في أوعيتنا شيئا من الماء إلا دما عبيطا فكان فرعون يجمع بين القبطي والاسرائيلي على إناء واحد فيكون ما يلي الاسرائيلي ماء وما يلي القبطي دما ويفرغان الجرة فيها الماء فيخرج للقبطي دم وللاسرائيلي ماء حتى أن المرأة من آل فرعون تأتي إلى المرأة من بني إسرائيل حين جهدهم العطش فتقول لها اسقني من مائك فتصب لها الله قربتها فيصير في الإناء دما حتى كانت تقول اجعليه في فيك ثم مجيه في فمي فتفعل ذلك فيصير دما ثم إن فرعون اعتراه العطش حتى انه يضطر إلى مضغ الأشجار الرطبة فاذا مضغها صار ماؤها دما فمكثوا على ذلك سبعة ايام لا يشربون وقال زيد بن اسلم ان الدم الذي سلط الله عز وجل عليهم كان الرعاف فأتوا موسى عليه الصلاة والسلام وشكوا إليه ما يلقوه وقالوا ادع لنا ربك يكشف عنا هذا الدم فنحن نؤمن بك ونرسل معك بني إسرائيل فدعا موسى عليه الصلاة والسلام ربه فكشف عنهم ذلك فلم يؤمنوا فذلك قوله تعالى فأرسلنا عليهم الطوفان (والجراد والقمل والضفادع والدم ايات مفصلات) يعني يتبع بعضها بعضا وتفصيلها ان كل عذاب كان يقوم عليهم اسبوعا وبين كل عذابين مدة

(فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين ولما وقع عليهم الرجز) أي نزل به العذاب وهو ماذكر الله عز وجل من الطوفان وغيرها وقال سعيد بن جبير الرجز الطاعون وهو العذاب السادس بعد الآيات الخمس حتى مات منهم سبعون الفا في يوم واحد فامنوا وهم لا يتدافنون

شهر (فاستكبروا) يعني عن الايمان فلم يؤمنوا (وكانوا قوما مجرمين) يعني آل فرعون * قوله تعالى (ولما وقع عليهم الرجز) يعني لما نزل بهم العذاب الذي ذكره في الاية المتقدمة هو الطوفان وما بعده وقال سعيد ابن جبير الرجز الطاعون وهو العذاب السادس بعد الآيات الخمس التي تقدمت فنزل بهم الطاعون حتى مات منهم في يوم واحد الفا فامسوا وهم لا يتدافنون (ق) عن أبي أسامة بن زيد قال قال رسول الله ﷺ الطاعون رجز ارسل على طائفة من بني اسرائيل او على من كان قبلكم فاذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارا منه * وقوله تعالى (قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك) يعني بما أوصاك وقيل بما أنبأك وقيل بما عهد عندك من إجابة دعوتك (لئن كشفت عنا الرجز) يعني العذاب الذي وقع بنا (لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني اسرائيل) يعني لنصدقن بما جئت به ولنخلين بني اسرائيل حتى يذهبوا حيث شاؤا (فلما كشفنا عنهم الرجز) يعني بدعوة موسى عليه الصلاة والسلام (إلى أجل هم بالغوه) يعني إلى الوقت الذي أجل لهم وهو وقت اهلاكهم بالغرق في اليم (إذا هم ينكثون) يعني إذا هم ينقضون العهد. الذي التزموه فليفوا به واعلم ان ماذكره الله تعالى في هذه الآيات هي معجزات في الحقيقة دالة على صدق موسى عليه الصلاة والسلام ووجه ذلك ان العذاب كان مختصا بآل فرعون دون بني اسرائيل فاختصاصه بالقبطي دون الاسرائيلي معجز وكون بني اسرائيل في أمان منه وعافية وقوم فرعون في شدة وعذاب وبلاء مع اتحاد المساكن معجز ايضا فان اعترض معترض وقال ان الله تعالى علم من حال آل فرعون أنهم لا يؤمنون بتلك المعجزات فما الفائدة في توالبها عليهم وإظهار الكثير منها فالجواب على مذهب أهل السنة ان الله تعالى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا يسئل عما يفعل واما على قول المعتزلة في رعاية المصلحة فلعله تعالى علم من قوم فرعون أن بعضهم كان يؤمن بتوالي تلك المعجزات وظهورها فلهذا السبب والاها عليهم والله أعلم بمراده * قوله عز وجل (فانتقمنا منهم) يعني كافأناهم عقوبة لهم على سوء صنيعهم وأصل الانتقام في اللغة سلب النعمة بالعذاب (فاغرقناهم في اليم) والمعنى أنه تعالى لما كشف عنهم العذاب مرات فلم يؤمنوا ولم يرجعوا عن كفرهم فلما بلغوا الأجل الذي أجل لهم انتقم منهم بأن أهلكهم بالغرق فذلك قوله فاغرقناهم في اليم يعني البحر واليم الذي لا يدرك قعره وقيل هو لجة البحر ومعظم مائه قال الأزهري اليم معروف لفظة سريانية عربتها العرب ويقع اسم اليم على البحر الملح والبحر العذب ويدل على ذلك قوله تعالى فاقذفيه في اليم والمراد به نيل مصر وهو عذب (بأنهم كذبوا بآياتنا) يعني اهلكناهم وأغرقناهم بسبب أنهم كذبوا بآياتنا الدالة على وحدانيتنا وصدق نبينا (وكانوا عنها) يعني عن آياتنا (غافلين) يعني معرضين وقيل كانوا على حلول النقمة بهم غافلين ولما كان الاعراض عن الايات وعدم الالتفات اليها كالغفلة عنها سموا غافلين تجوزا لأن الغفلة ليست من فعل الانسان * قوله عز وجل (وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون) يعني ومكنا الذين كانوا يقهرون ويغلبون على أنفسهم وهوان فرعون وقومه كانوا قد تسلطوا على بني اسرائيل فقتلوا أبناءهم واستخدموهم فصيروهم مستضعفين تحت أيديهم (مشارق الأرض ومغاربها) يعني أرض الشام ومصر وأراد بمشارقها ومغاربها جميع جهاتها ونواحيها وقيل أراد بمشارق الارض ومغاربها الأرض المقدسة وهو بيت المقدس وما يليه من الشرق والغرب وقيل أراد جميع جهات الأرض وهو اختيار الزجاج قال لان داود وسليمان صلوات الله وسلامه عليهما كانا من بني اسرائيل وقد ملكا الارض * وقوله عز وجل (التي باركنا فيها) يدل على أنها الأرض المقدسة يعني باركنا فيها بالثمار والأشجار والزروع والخصب والسعة

(قالوا) لموسى (يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك) أي بما أوصاك وقال عطاء بما نبأك وقيل بما عهد عندك من إجابة دعوتك (لئن كشفت عنا الرجز) وهو الطاعون (لنؤمن لك ولنرسلن معك بني إسرائيل) أخبرنا أبو الحسن السرخسي ثنا زاهر ابن أحمد ثنا أبو اسحق الهاشمي ثنا أبو مصعب عن مالك عن محمد بن المنكدر عن أبي النضر مولى عمر ابن عبيد الله عن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه أنه سمعه يسأل أسامة بن زيد اسمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم في الطاعون فقال أسامة بن زيد قال رسول الله ﷺ الطاعون رجز أرسل على بني اسرائيل أو على من كان قبلكم فاذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارا منه قوله عز وجل (فلما كشفنا عنهم الرجز إلى أجل هم بالغوه) يعني إلى الغرق في اليم (إذا هم ينكثون) ينقضون العهد (فانتقمنا منهم فاغرقناهم في اليم) يعني البحر (بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين) أي عن النقمة قبل حلولها وقيل معناه عن آياتنا معرضين (وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون) يقهرون ويستذلون بذبح الأبناء واستخدام النساء والاستعباد وهم بنو اسرائيل (مشارق الأرض ومغاربها) يعني مصر والشام (التي باركنا فيها) بالماء والأشجار والثمار والخصب والسعة

(وتمت كلمة ربك الحسنى على بنى اسرائيل) يعنى وتمت كلمة الله وهى وعده إياهم بالنصر والتمكين فى الأرض وذلك قوله تعالى ونريد أن نمن على الذين استضعفوا فى الأرض الآية (بما صبروا) على دينهم وعلى عذاب فرعون (ودمرنا) أهلكنا (ما كان يصنع فرعون وقومه) فى ارض مصر من العمارات (وما كانوا يعرشون) (٢٣٠) قال مجاهد يبنون من البيوت والقصور وقال الحسن يعرشون من الأشجار والثمار والاعناب وقرأ أبو بكر وابن عامر يعرشون بضم الراء هاهنا وفى النحل وقرأ الآخرون بكسرها قوله تعالى (وجاوزنا ببنى إسرائيل البحر) قال الكلبى عبر بهم موسى البحر يوم عاشوراء بعد مهلك فرعون وقومه فصامه شكرا لله عز وجل (فأتوا) فمروا (على قوم يعكفون) يقيمون قرأ حمزة والكسائى يعكفون بكسر الكاف وقرأ الآخرون بضمها وهما لغتان (على أصنام) أوثان (لهم) يعبدونها من دون الله قال ابن جريج كانت تماثيل بقر وذلك اول شأن العجل قال قتادة كان اولئك القوم من لخم وكانوا نزولا بالرقة فقالت بنو إسرائيل لما رأوا ذلك (يا موسى اجعل لنا إلها) أى مثالا نعبده (كما لهم الهة) ولم يسكن ذلك شكا من بنى اسرائيل فى وحدانية الله وإنما معناه اجعل لنا شيأ نعظمه ونتقرب بتعظيمه إلى الله وظنوا أن ذلك لا يضر الديانة وكان ذلك لشدة جهلهم (قال) موسى (أنكم قوم تجهلون) عظمة الله (إن هؤلاء متبر) مهلك (ماهم فيه) والتتبير الاهلاك (وباطل) مضمحل وزائل (ما كانوا يعملون قال) يعنى موسى (أغير الله أبغيكم) أى أبغى لكم وأطلب (إلها وهو فضلكم على العالمين) أى على عالمى زمانكم أخبرنا أبو سعيد عبد الله بن أحمد الطاهرى أنا جدى أبو سهل عبد الصمد بن عبد الرحمن البزاز أنا أبو بكر محمد بن زكريا العذافرى أنا اسحق بن ابراهيم الدبرى أنا عبد الرزاق أنا معمر عن الزهرى عن

(وتمت كلمة ربك الحسنى على بنى إسرائيل) يعنى وتمت كلمة الله وهى وعدهم بالنصر على عدوهم والتمكين فى الأرض من بعدهم وقيل كلمة الله هى قوله ونريد أن نمن على الذين استضعفوا فى الأرض الآية والحسنى صفة للكلمة وهى تانيث الاحسن وتمامها انجاز ما وعدهم به من تمكينهم فى الأرض واهلاك عدوهم (بما صبروا) يعنى إنما حصل لهم ذلك التمام وهو ما أنعم الله تعالى به عليهم من انجاز وعده لهم بسبب صبرهم على دينه وأذى فرعون لهم (ودمرنا) يعنى وأهلكنا والدمار الهلاك باستئصال (ما كان يصنع فرعون وقومه) فى أرض مصر من العمارات والبنيان (وما كانوا يعرشون) يعنى يسقفون من ذلك البنيان وقال مجاهد ما كانوا يبنون من البيوت والقصور وقال الحسن وما كانوا يعرشون من الثمار والأعناب * قوله عز وجل (وجاوزنا ببنى إسرائيل البحر) يعنى وقطعنا ببنى إسرائيل البحر بعد هلاك فرعون وقومه وإغراقهم فيه يقال جاز الوادى وجاوزه إذا قطعه وخلفه وراء ظهره وقال الكلبى عبر موسى البحر يوم عاشورا بعد مهلك فرعون وقومه فصامه شكرا لله تعالى (فاتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم) يعنى فمر بنو إسرائيل بعد مجاوزة البحر على قوم يعكفون اى يقيمون ويواظبون على أصنام لهم يعنى تماثيل لهم كانوا يعبدونها من دون الله قال ابن جريج كانت تلك الأصنام تماثيل بقر وذلك أول شان العجل وقال قتادة كان أولئك القوم من لخم وكانوا نزولا بالرقة يعنى بالرقة ساحل البحر وقيل كان أولئك الاقوام من الكنعانيين الذين أمر موسى عليه الصلاة والسلام بقتالهم (قالوا) يعنى قال بنو اسرائيل لموسى لما رأوا ذلك التمثال (يا موسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة) يعنى كما لهم أصنام يعبدونها ويعظمونها فاجعل لنا أنت الها نعبده ونعظمه قال البغوى رحمه الله ولم يكن ذلك شكا من بنى إسرائيل فى وحدانية الله تعالى وإنما معناه اجعل لنا شيأ نعظمه ونتقرب بتعظيمه إلى الله تعالى وظنوا أن ذلك لا يضر الديانة وكان ذلك لشدة جهلهم وقال غيره هذا يدل على غاية جهل بنى إسرائيل وذلك أنهم توهموا أنه يجوز عبادة غير الله تعالى بعد ما رأوا الآيات الدالة على وحدانية الله تعالى وكمال قدرته وهى الآيات التى توالت على قوم فرعون حتى اغرقهم الله تعالى فى البحر بكفرهم وعبادتهم غير الله تعالى فحملهم جهلهم على أن قالوا لنبيهم موسى عليه الصلاة والسلام اجعل لنا إلها كما لهم آلهة فرد عليهم موسى عليه الصلاة والسلام بقوله (قال إنكم قوم تجهلون) يعنى تجهلون عظمة الله تعالى وأنه لا يستحق ان يعبد سواه لأنه هو الذى انجاكم من فرعون وقومه فاغرقهم فى البحر وأنجاكم منه عن أبى واقد الليثى رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ لما خرج إلى غزوة حنين مر بشجرة للمشركين كانوا يعلقون عليها أسلحتهم يقال لها ذات أنواط فقالوا يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط فقال رسول الله ﷺ سبحان الله هذا كما قال قوم موسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة والذى نفسى بيده لتركبن سنن من كان قبلكم أخرجه الترمذى * وقوله تعالى (ان هؤلاء متبر ما هم فيه) أى مهلك والتتبير الاهلاك (وباطل ما كانوا يعملون) البطلان عبارة عن عدم الشيء اما بعدم ذاته أو بعدم فائدته ونفعه والمراد من بطلان عملهم أنه لا يعود عملهم من ذلك العمل نفع ولا يدفع عنهم ضرا لانه عمل لغير الله تعالى فكان باطلا لا نفع فيه (قال أغير الله ابغيكم إلها) لما قال بنو إسرائيل لموسى عليه الصلاة والسلام اجعل لنا إلها كما لهم آلهة حكم عليهم بالجهالة وقال مجيبا لهم على سبيل العجب والانكار عليهم اغير الله أبغيكم إلها يعنى اطلب لكم وأبغى لكم إلها (وهو فضلكم على العالمين) والمعنى أن الاله ليس هو شيئا يطلب ويلتمس ويتخير بل الاله هو الذى فضلكم على العالمين لانه القادر على الانعام والافضال فهو هذا الذى يستحق أن يعبد ويطاع لا عبادة غيره ومعنى قوله

سنان بن أبي سنان الديلي عن أبي واقد الليثي قال خرجنا مع النبي ﷺ قبل حنين فررنا بسدرة فقلنا يارسول الله اجعل لنا ذات انواط كما كان للكفار ذات انواط وكان الكفار ينوطون سلاحهم بسدرة يعكفون حولها فقال النبي صلى الله عليه وسلم الله اكبر هذا كما قالت بنو اسرائيل لموسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة لتركبن سنن من قبلكم قوله عز وجل (وإذ أنجيناكم) قرأ ابن عامر وإذ أنجاكم وكذلك هو في مصاحف اهل الشام (من ال فرعون يسومونكم سوء العذاب يقتلون ابناءكم) قرا نافع يقتلون خفيفة التاء من القتل وقرأ الاخرون بالتشديد على التكثير من التقليل (ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم (٢٣١) وواعدنا موسى ثلاثين ليلة)

فضلكم على العالمين يعني على عالمي زمانكم وقيل فضلهم بما خصهم به من الايات الباهرة التي لم تحصل لغيرهم وان كان غيرهم افضل منهم * قوله عز وجل (وإذ انجيناكم من ال فرعون يسومونكم سوء العذاب يقتلون ابناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم) هذه الاية كما تقدم تفسيرها في سورة البقرة والفائدة في ذكرها في هذا الموضع انه تعالى هو الذي انعم عليكم بهذه النعم العظيمة فكيف يليق بكم الاشتغال بعبادة غيره حتى تقولوا اجعل لنا إلها كما لهم آلهة * قوله عز وجل (وواعدنا موسى ثلاثين ليلة) يعني وواعدنا موسى عليه الصلاة والسلام لمناجاتنا ثلاثين ليلة وهي ذو القعدة (واتممناها بعشر) يعني عشر من ذي الحجة وهذا قول ابن عباس ومجاهد قال المفسرون ان موسى عليه الصلاة والسلام وعد بني اسرائيل اذا اهلك الله تعالى عدوهم فرعون ان ياتيهم بكتاب من عند الله عز وجل فيه بيان ما يأتون وما يذرون فلما اهلك الله تعالى فرعون سال موسى ربه عز وجل ان ينزل عليه الكتاب الذي وعد به بني اسرائيل فامره ان يصوم ثلاثين يوما فصامها فلما تمت انكر خلوف فمه فتسوك بعود خرنوب وقيل بل اكل من ورق الشجر فقالت الملائكة كنا نشم من فيك رائحة المسك فافسدته بالسواك فامره الله ان يصوم عشر ذي الحجة وقال له اما علمت ان خلوف فم الصائم اطيب عندي من ريح المسك فكانت فتنة بني اسرائيل في تلك العشر التي زادها الله عز وجل لموسى عليه الصلاة والسلام وقيل ان الله تعالى امر موسى عليه الصلاة والسلام ان يصوم ثلاثين يوما ويعمل فيها ما يتقرب به إلى الله ثم كلمه واعطاه الالواح في العشر التي زادها فلهذا قال واتممناها بعشر وهذا التفصيل الذي ذكره هنا هو تفصيل ما اجمله في سورة البقرة وهو قوله تعالى وإذ واعدنا موسى اربعين ليلة فذكره هناك على الاجمال وذكره هنا على التفصيل * قوله تعالى (فتم ميقات ربه اربعين ليلة) يعني فتم الوقت الذي قدره الله لصوم موسى عليه الصلاة والسلام وعبادته اربعين ليلة لأن الميقات هو الوقت الذي قدر ان يعمل فيه عمل من الاعمال ولهذا قيل مواقيت الحج (وقال موسى لاخيه هرون اخلفني في قومي) يعني كن انت خليفتي فيهم من بعدي حتى ارجع اليك (واصلح) يعني واصلح امور بني اسرائيل واحملهم على عبادة الله تعالى وقال ابن عباس رضي الله عنهما يريد الرفق بهم والاحسان اليهم (ولا تتبع سبيل المفسدين) يعني ولا تسلك طريق المفسدين في الارض ولا تطعهم والمقصود من هذا الامر التاكيد لأن هرون عليه الصلاة والسلام لم يكن ممن يتبع سبيل المفسدين فهو كقوله ولكن ليطمئن قلبي وكقولك للقاعد اقعد بمعنى دم على ما انت عليه من القعود * قوله تعالى (ولما جاء موسى لميقاتنا) يعني للوقت الذي وقتناله ان ياتي فيه لمناجاتنا وهو قوله (وكلمه ربه) وفي هذه الاية دليل على ان الله عز وجل كلم موسى عليه الصلاة والسلام واختلف الناس في كلام الله تعالى فقال الزمخشري كلمه ربه عز وجل من غير واسطة كما يكلم الملك وتكليمه ان يخلق الكلام منطوقا به في بعض الاجرام كما خلقه مخطوطا في الالواح هذا كلامه وهذا مذهب المعتزلة ولا شك في بطلانه وفساده لان الشجرة او ذلك الجرم لا يقوم إنني انا الله لا إله إلا انا فاعبدني واقم الصلاة لذكري فثبت بذلك بطلان ما قالوه وذهبت

ذا القعدة (واتممناها بعشر) من ذي الحجة (فتم ميقات ربه أربعين ليلة وقال موسى) عند انطلاقه إلى الجبل للمناجاة (لاخيه هارون اخلفني) كن خليفتي (في قومي واصلح) اي اصلحهم بحملك اياهم على طاعة الله وقال ابن عباس يريد الرفق بهم والاحسان اليهم (ولا تتبع سبيل المفسدين) اي لا تطع من عصى الله ولا توافقه على امره وذلك ان موسى عليه السلام وعد بني اسرائيل وهم بمصر ان الله اذا أهلك عدوهم اتاهم بكتاب فيه بيان ما يأتون وما يذرون فلما فعل الله ذلك بهم سال موسى ربه الكتاب فأمره الله عز وجل ان يصوم ثلاثين يوما فلما تمت ثلاثون انكر خلوف فمه فتسوك بعود خرنوب وقال ابو العالية اكل من لحاء شجرة فقالت له الملائكة كنا نشم من فيك رائحة المسك فافسدته بالسواك فأمره الله أن يصوم عشرة ايام من ذي الحجة وقال أما علمت ان خلوف فم الصائم أطيب عندي من ريح المسك وكانت فتنتهم في العشر التي زادها قوله عز وجل (ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه) اي للوقت الذي ضربنا له ان نكلمه فيه قال اهل التفسير ان موسى تطهر وطهر ثيابه ليعاد ربه فلما اتى طور سيناء وفي القصة ان الله عز وجل انزل ظلمة على اربعة فراسخ وطرد عنه الشيطان وطرد هوام الارض ونحى عنه الملكين وكشط له السماء فرأى الملائكة قياما في الهواء ورأى العرش بارزا وكلمه الله وناجاه حتى اسمعه وكان جبريل عليه السلام معه فلم يسمع ما كلمه ربه وادناه حتى سمع صرير القلم فاستحلى موسى عليه السلام كلام ربه واشتاق الى رؤيته

(قال رب أرنى أنظر اليك) قال الزجاج فيه اختصار تقديره ارنى نفسك أنظر إليك قال ابن عباس أعطنى النظر إليك فان قيل كيف سأل الرؤية وقد علم أن الله تعالى لا يرى فى الدنيا قال الحسن هاج به الشوق فسأل الرؤية وقيل سأل الرؤية ظانا منه انه يجوز أن يرى فى الدنيا (قال) الله تعالى (لن ترانى) وليس لبشر أن يطيق النظر إلى فى الدنيا من نظر إلى فى الدنيا مات فقال إلهى سمعت كلامك فاشتقت إلى النظر إليك ولأن انظر اليك ثم أموت أحب إلى من أن أعيش ولا أراك فقال الله عز وجل لن ترانى ولكن انظر إلى الجبل وهو أعظم جبل بمدين يقال له زبير قال السدى لما كلم الله موسى غاص الخبيث إبليس فى الارض حتى خرج من بين قدمى موسى فوسوس إليه وقال ان من كلمك شيطان فعند ذلك سأل موسى الرؤية فقال الله عز وجل لن ترانى وتعلقت نفاة الرؤية بظاهر هذه الآية وقالوا قال الله لن ترانى ولكن تكون للتابيد ولا حجة لهم فيها ومعنى الآية لن ترانى فى الدنيا أو فى الحال لأنه كان يسأل الرؤية فى الحال ولن لا تكون للتابيد كقوله تعالى ولن يتمنوه أبدا إخبارا عن اليهود ثم اخبر عنهم انهم يتمنون الموت فى الآخرة كما قال الله تعالى ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك ويا ليتها كانت القاضية والدليل عليه أنه لم ينسبه إلى الجهل بسؤال الرؤية ولم يقل إنى لا ارى حتى تكون لهم حجة بل علق الرؤية على استقرار الجبل واستقرار الجبل عند التجلى غير مستحيل إذا جعل الله تعالى له تلك القوة والمعلق بما لا يستحيل لا يكون محالا قال الله تعالى (ولكن انظر إلى الجبل فان استقر مكانه فسوف ترانى) الوجود قال وهب وابن اسحق لما سأل موسى ربه الرؤية أرسل الله الدواب والصواعق والظلمة والرعد والبرق وأحاطت بالجبل الذى عليه موسى لربعة فراسخ من كل جانب وامر الله ملائكة السماء ان يعترضوا على موسى فمرت به ملائكة السماء الدنيا كثير ان البقر تتبع افواههم

الحنابلة ومن وافقهم إلى أن كلام الله تعالى حروف وأصوات متقطعة وأنه قديم وذهب جمهور المتكلمين إلى ان كلام الله تعالى صفة مغايرة لهذه الحروف والأصوات وتلك الصفة قديمة ازلية والقائلون بهذا القول قالوا إن موسى عليه الصلاة والسلام سمع تلك الصفة الازلية الحقيقية وقالوا كما انه لا يبعد رؤية ذاته وليست جسما ولا عرضا كذلك لا يبعد سماع كلامه مع ان كلامه ليس بصوت ولا حرف ومذهب اهل السنة وجمهور العلماء من السلف والخلف ان الله تعالى متكلم بكلام قديم وسكتوا عن الخوض فى تاويله وحقيقته قال اهل التفسير والاخبار لما جاء موسى عليه الصلاة والسلام لميقات ربه تطهر وطهر ثيابه وصام ثم اتى طور سيناء وفى القصة ان الله تعال انزل ظلة تغشت الجبل على اربع فراسخ من كل ناحية وطرد عنه الشيطان وهوام الارض ونحى عنه المنكرين وكشط له السماء فراى الملائكة قياما فى الهواء وراى العرش بارزا وأدناه به حتى سمع صريف الاقلام على الالواح وكلمه الله تبارك وتعالى وناجاه واسمعه كلامه وكان جبريل عليه السلام معه فلم يسمع ما كلم تعالى به موسى فاستحلى كلام ربه عز وجل واشتاق إلى رؤيته (قال رب ارنى انظر إليك) قال الزجاج فيه اختصار تقديره ارنى نفسك انظر إليك وقال ابن عباس معناه اعطنى انظر إليك وانما سال موسى عليه الصلاة والسلام الرؤية مع علمه بان الله تعالى لا يرى فى الدنيا لما هاج به من الشوق وفاض عليه من انواع الجلال حتى استغرق فى بحر المحبة فعند ذلك سال الرؤية وقيل إنما سال الرؤية ظانا منه بانه تعالى يرى فى الدنيا فتعالى الله عن ذلك (قال لن ترانى) يعنى ليس لبشر ان يرانى فى الدنيا ولا يطيق النظر إلى فى الدنيا ومن نظر إلى فى الدنيا مات فقال موسى عليه الصلاة والسلام إلهى سمعت كلامك فاشتقت إلى النظر إليك ولأن انظر إليك ثم اموت احب إلى من ان اعيش ولا اراك وقال السدى لما كلم الله تعالى موسى عليه الصلاة والسلام غاص عدو الله إبليس الخبيث فى الارض حتى خرج من بين قدمى موسى فوسوس إليه أن مكلمك الشيطان فعند ذلك سال موسى عليه الصلاة والسلام ربه الرؤية فقال ربى ارنى انظر إليك قال الله تبارك وتعالى لموسى عليه الصلاة والسلام لن ترانى

﴿فصل﴾ وقد تمسك من نفى الرؤية من اهل البدع والخوارج والمعتزلة وبعض المرجئة بظاهر هذه الاية وهو قوله تعالى لن ترانى قالوا لن تكون للتابيد والدوام ولا حجة لهم فى ذلك ولا دليل ولا يشهد لهم فى ذلك كتاب ولا سنة وما قالوه فى ان لن تكون للتابيد خطا بين ودعوى على اهل اللغة إذ ليس يشهد لما قالوه نص عن اهل اللغة والعربية ولم يقل به احد منهم ويدل على صحة ذلك قوله تعالى فى صفة اليهود ولن يتمنوه ابدا مع انهم يتمنون الموت يوم القيامة يدل عليه قوله تعالى ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك وقوله يا ليتها كانت القاضية فان قالوا إن لن معناها تاكيد النفى كلا التى تنفى المستقبل قلنا إن صح هذا التاويل فيكون معنى لن ترانى محمولا على الدنيا اى لن ترانى فى الدنيا جمعا بين دلائل الكتاب والسنة فانه قد ثبت فى الحديث الصحيح ان المؤمنين يرون ربهم عز وجل يوم القيامة فى الدار الاخرة وايضا فان موسى عليه الصلاة والسلام كان عارفا بالله تعالى وبما يجب ويجوز ويمتنع على الله عز وجل وفى الاية على انه سال الرؤية فلو كانت الرؤية ممتنعة على الله تعالى لما سالها موسى عليه الصلاة والسلام فحيث سالها علمنا ان الرؤية جائزة على الله تعالى وايضا فان الله عز وجل علق رؤيته على امر جائز والمعلق على الجائز جائز فيلزم من ذلك كون الرؤية فى نفسها جائزة وإنما قلنا ذلك لأنه تعالى خلق رؤيته على استقرار الجبل وهو قوله تعالى (ولكن انظر إلى الجبل فان استقر مكانه فسوف ترانى) وهو امر جائز الوجود فى نفسه وإذا كان كذلك ثبت ان رؤيته جائزة

بالتسبيح والتقديس بأصوات عظيمة كصوت الرعد الشديد ثم أمر الله ملائكة السماء الثانية أن اهبطوا على موسى فاعترضوا عليه فهبطوا عليه أمثال الأسود لهم لجب بالتسبيح والتقديس ففزع العبد الضعيف ابن عمران مما رأى وسمع وأقشعرت كل شعرة في رأسه وجسده ثم قال لقد ندمت على مسئلتي فهل ينجيني من مكاني الذي فيه شيء فقال له خير الملائكة ورأسهم يا موسى أصبر لما سالت فقليل من كثير ما رأيت يا أمر الله ملائكة السماء الثالثة أن اهبطوا على موسى فاعترضوا عليه فهبطوا أمثال النسور لهم قصف ورجف ولجب شديد وأفواههم تنبع ثم لتسبيح والتقديس كجلب الجيش العظيم ألوانهم كلهب النار ففزع موسى واشتد فزعه وايس من الحياة فقال له خير الملائكة يا ابن عمران مكانك حتى ترى مالا تصبر عليه ثم أمر الله ملائكة السماء الرابعة أن اهبطوا فاعترضوا على (٢٣٣) موسى بن عمران فهبطوا عليه

الوجود لأن استقرار الجبل غير مستحيل عند التجلي إذا جعل الله تعالى له قوة على ذلك والمعلق بما لا يستحيل لا يكون محالا والله أعلم بمراده قال وهب ومحمد بن إسحق لما سال موسى عليه الصلاة والسلام ربه عز وجل الرؤية ارسل الله الضباب والرياح والصواعق والرعد والبرق والظلمة حتى أحاطت بالجبل الذي عليه موسى عليه الصلاة والسلام أربع فراسخ من كل جانب وامر الله تعالى أهل السموات أن يعترضوا على موسى عليه الصلاة والسلام فمرت به ملائكة السماء الدنيا كثيرا أن البقر تنبع افواههم بالتسبيح والتقديس باصوات عظيمة كصوت الرعد الشديد فقال موسى رب انى كنت عن هذا غنيا ثم امر الله تعالى ملائكة السماء الثانية ان اهبطوا على موسى واعترضوا عليه فهبطوا عليه مثال الأسود لهم لهب بالتسبيح والتقديس ففزع العبد الضعيف موسى بن عمران مما راى وسمع واقشعرت كل شعرة فى راسه وبدنه ثم قال لقد ندمت على مسئلتي فهل ينجيني مما انا فيه شيء فقال له خير الملائكة ورئيسهم يا موسى اصبر لما سالت فقليل من كثير ما رايت ثم امر الله ملائكة السماء الثالثة ان اهبطوا على موسى واعترضوا عليه فهبطوا عليه امثال النسور لهم قصف ورجف ولجب شديد وافواههم تنبع بالتسبيح والتقديس لهم جلب كجلب الجيش العظيم الوانهم كلهب النار ففزع موسى واشتد فزعه وايس من الحياة فقال له خير الملائكة ورئيسهم مكانك يا ابن عمران حتى ترى مالا صبر لك عليه ثم أمر الله ملائكة السماء الرابعة ان اهبطوا على موسى فاعترضوا عليه فهبطوا عليه لا يشبههم شيء من الذين مروا قبلهم الوانهم كلهب النار وسائر خلقهم كالثلج الأبيض اصواتهم عالية بالتسبيح والتقديس لا يقاربهم من اصوات الذين مروا به قبلهم فاصطكت ركبتاه وارتعد قلبه واشتد بكاؤه فقال له خير الملائكة ورئيسهم يا ابن عمران اصبر لما سالت فقليل من كثير ما رايت ثم امر الله ملائكته السماء الخامسة ان اهبطوا على موسى فاعترضوا عليه فهبطوا عليه لهم سبعة الوان فلم يستطع موسى ان يتبعهم بصره ولم ير مثلهم ولم يسمع مثل اصواتهم فامتلا جوفه خوفا واشتد حزنه وكثر بكاؤه فقال له خير الملائكة ورئيسهم يا ابن عمران مكانك حتى ترى مالا تصبر عليه ثم امر الله ملائكة السماء السادسة ان اهبطوا على موسى فاعترضوا عليه فهبطوا عليه فى يد كل واحد منهم مثل النخلة العظيمة الطويلة نارا اشد ضوءا من الشمس ولباسهم كلهب النار إذا سبحوا وقدسوا جاوبهم من كان قبلهم من الملائكة كلهم يقولون بشدة اصواتهم سبوح قدوس رب العزة ابدا لا يموت فى راس كل ملك منهم اربعة اوجه فلما رآهم موسى عليه الصلاة والسلام رفع صوته يسبح معهم وهو يبكى ويقول رب اذكرنى ولا تنس عبدك فلا ادرى انفلت مما انا فيه ام ان خرجت احترقت وإن قمت مت فقال له كبير الملائكة ورئيسهم قد اوشكت يا ابن عمران ان يشتد خوفك وينخلع قلبك فاصبر للذى سالت ثم امر الله

لا يشبههم شيء من الذين مروا به قبلهم ألوانهم كلهب النار وسائر خلقهم كالثلج الأبيض أصواتهم عالية بالتقديس والتسبيح لا يقاربهم شيء من أصوات الذين مروا به من قبلهم فاصطكت ركبتاه وارتعد قلبه واشتد بكاؤه فقال له خير الملائكة ورأسهم يا ابن عمران اصبر لما سالت فقليل من كثير ما رأيت ثم أمر الله ملائكة السماء الخامسة ان اهبطوا فاعترضوه على موسى فهبطوا عليه لهم سبعة ألوان فلم يستطع موسى أن يتبعهم بصره لم ير مثلهم ولم يسمع مثل أصواتهم فامتلا جوفه خوفا واشتد حزنه وكثر بكاؤه فقال له خير الملائكة ورأسهم يا ابن عمران مكانك حتى ترى بعض مالا تصبر عليه ثم أمر الله ملائكة السماء السادسة أن اهبطوا على موسى فاعترضوا عليه فهبطوا عليه فى يد كل ملك منهم مثل النخلة الطويلة نارا أشد

(٣٠- خازن ـ ني) ضوءا من الشمس ولباسهم كلهب النار إذا سبحوا وقدسوا جاوبهم من كان قبلهم من ملائكة السموات كلهم يقولون بشدة اصواتهم سبوح قدوس رب الملائكة والروح رب العزة ابدا لا يموت وفى راس كل منهم اربعة اوجه فلما رآهم موسى رفع صوته يسبح معهم حين سبحوا وهو يبكى ويقول رب اذكرنى ولا تنس عبدك لا ادرى أانفلت مما انا فيه ام لا لان خرجت احترقت وإن مكثت مت فقال له كبير الملائكة ورأسهم قد اوشكت يا ابن عمران ان يشتد خوفك وينخلع قلبك فاصبر للذى سالت ثم امر الله ان يحمل عرشه ملائكة السماء السابعة فلما بدا نور العرش انفرج الجبل من عظمة الرب جل جلاله ورفعت ملائكة السموات اصواتهم جميعا يقولون سبحان الملك القدوس رب العزة ابدا لا يموت بشدة أصواتهم فارتج الجبل واندكت كل شجرة كانت فيه وخر العبد الضعيف موسى صعقا على وجهه ليس معه روحه فارسل الله برحمته الروح فيغشاه وقلب عليه الحجر الذى كان

عليه موسى وجعله كهيئة القبة لئلا يحترق موسى فأقامه الروح مثل اللامة فقام موسى يسبح الله ويقول آمنت بك رئى وصدقت أنه لا يراك أحد فيحيا من نظر إلى ملائكتك انخلع قلبه فما أعظمك واعظم ملائكتك أنت رب الأرباب واله الالهة وملك الملوك ولا يعدلك شيء ولا يقوم لك شيء رب تبت اليك الحمد لك لا شريك لك ما أعطيك وما أجلك رب العالمين فذلك قوله تعالى (فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا) قال ابن عباس ظهر نور ربه للجبل جبل زبير وقال الضحاك أظهر الله من نور الحجب مثل منخر ثور وقال عبد الله بن سلام وكعب الأحبار ما تجلى من عظمة الله للجبل إلا مثل سم الخياط (٢٣٤) حتى صار دكا وقال السدى ما تجلى إلا قدر الخنصر يدل عليه ما روى ثابت عن أنس ان النبي ﷺ قرا هذه الاية وقال هكذا ووضع الابهام على المفصل الأعلى من الخنصر فساخ الجبل وحكى عن سهل بن سعد الساعدى ان الله تعالى أظهر من سبعين الف حجاب نورا قدر الدرهم فجعل الجبل دكا اى مستويا بالأرض قرا حمزة والكسائى دكاء ممدودا غير منون هاهنا وفى سورة الكهف وافق عاصم فى الكهف وقرا الاخرون دكا مقصورا منونا فمن قصر فمعناه جعله مدقوقا والدك والدق واحد وقيل معناه دكه الله دكا أى فتته كما قال إذا دكت الارض دكا ومن قرا بالمد اى جعله مستويا ارضا دكاء وقيل معناه جعله مثل دكاء وهى الناقة التى لا سنام لها قال ابن عباس جعله ترابا وقال سفيان ساخ الجبل فى الارض حتى وقع فى البحر فهو يذهب فيه وقال عطية العوفى صار رملا هائلا وقال الكلبى جعله دكا أى كسرا جبالا صغارا ووقع فى بعض التفاسير صارت لعظمته ستة اجبل وقعت بالمدينة احد وودقان ورضوى ووقعت ثلاثة بمكة ثور وثبير وحراء قوله قال عز وجل (وخر موسى صعقا) قال ابن عباس والحسن مغشيا عليه وقال قتادة ميتا وقال الكلبى خر موسى صعقا يوم الخميس يوم عرفة واعطى التوراة يوم الجمعة يوم النحر قال الواقدى لما خر موسى صعقا قالت ملائكة السموات مالا بن عمران وسؤال الرؤية وفى بعض الكتب ان ملائكة السموات اتوا موسى وهو مغشى عليه فجعلوا يركلونه بارجلهم ويقولون يا ابن النساء الحيض اطمعت فى رؤية رب العزة (فلما افاق) موسى من صعقته وثاب إليه عقله عرف انه قد سال امرا عظيما لا ينبغى له (قال سبحانك تبت إليك) عن سؤال الرؤية

تعالى أن يحمل عرشه ملائكة السماء السابعة فلما بدأ نور العرش انصدع الجبل من عظمة الرب سبحانه وتعالى ورفعت الملائكة أصواتهم جميعا يقولون سبحان الملك القدوس رب العزة أبدا لا يموت فارتج الجبل لشدة أصواتهم واندك واندكت كل شجرة كانت فيه وخر العبد الضعيف موسى صعقا على وجهه ليس معه روحه فارسل الله تعالى برحمته الروح فتغشته وقلب عليه الحجر الذى كان جلس عليه موسى فصار عليه كهيئة القبة لئلا يحترق موسى عليه الصلاة والسلام وأقامت الروح عليه مثل اللامة فلما أفاق موسى قام يسبح ويقول آمنت بك وصدقت انه لا يراك احد فيحيا ومن نظر إلى ملائكتك انخلع قلبه فما اعظمك واعظم ملائكتك انت رب الأرباب وملك الملوك والاله العظيم لا يعدلك شيء ولا يقوم لك شيء رب تبت إليك الحمد لك لا شريك لك ما اعظمك وما اجلك يا رب العالمين فذلك قوله تعالى (فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا قال ابن عباس ظهر نور ربه للجبل فصار ترابا واسم الجبل زبير وقال الضحاك أظهر الله عز وجل من نور الحجب مثل منخر الثور وقال عبد الله بن سلام وكعب الأحبار ما تجلى للجبل من عظمة الله تعالى إلا مثل سم الخياط حتى صار دكا وقال السدى ما تجلى إلا قدر الخنصر يدل عليه ما روى ثابت عن انس رضى الله عنه ان النبي ﷺ قرا هذه الاية وقال هكذا ووضع الابهام على المفصل الأعلى من الخنصر فساخ الجبل ذكره البغوى هكذا بغير سند واخرجه الترمذى ايضا عن انس ان النبي ﷺ قرا هذه الآية فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا قال حماد هكذا وامسك بطرف ابهامه على انملة اصبعه اليمنى فساخ الجبل وخر موسى عليه السلام صعقا وقال الترمذى حديث حسن صحيح غريب لا نعرفه إلا من حديث حماد بن سلمة ويروى عن سهل بن سعد الساعدى ان الله تعالى اظهر من سبعين الف حجاب نور قدر الدرهم فجعل الجبل دكا يعنى مستويا بالأرض وقال ابن عباس جعله ترابا وقال سفيان ساخ الجبل حتى وقع فى البحر فهو يذهب فيه وقال عطية العوفى صار رملا هائلا وقال الكلبى جعله دكا يعنى كسرا جبالا صغارا وقيل انه صار لعظمة الله تعالى ستة اجبل فوقع ثلاثة بالمدينة وهى احد وورقان ورضوى ووقع ثلاثة بمكة وهى ثور وثبير وحراء وقال تعالى (وخر موسى صعقا) قال ابن عباس والحسن يعنى مغشيا عليه وقال قتادة يعنى ميتا والاول اصح لقوله (فلما افاق) والميت لا افاقة له إنما يقال افاق من غشيته قال الكلبى صعق موسى عليه الصلاة والسلام يوم الخميس وهو يوم عرفة واعطى التوراة يوم الجمعة يوم النحر وقال الواقدى لما خر موسى صعقا قالت ملائكة السموات ما لابن عمران وسؤال الرؤية وفى بعض الكتب ان ملائكة السموات اتوا موسى وهو فى غشيته فجعلوا يركلونه ويقولون يا ابن النساء الحيض أطمعت فى رؤية رب العزة فلما افاق يعنى من غشيته ورجع عقله اليه وعرف انه سأل امرا عظيما لا ينبغى له (قال سبحانك) يعنى تنزيها لك من النقائص كلها (تبت إليك) يعنى من مسئلتى الرؤية بغير اذنك وقيل من سؤال الرؤية فى الدنيا وقيل لما كانت الرؤية مخصومة بمحمد ﷺ فمنعها قال سبحانك تبت إليك يعنى من سؤالى ما ليس لى وقيل لما سال الرؤية ومنعها

(وأنا أول المؤمنين) بأنك لا ترى فى الدنيا وقال مجاهد والسدى وأنا أول من آمن بك من بنى إسرائيل (قال يا موسى إنى اصطفيتك على الناس) أى اخترتك قرأ ابن كثير وأبو عمرو انى بفتح الياء وكذلك أخى أشدد (برسالاتى) قرأ أهل الحجاز برسالتى على التوحيد والآخرون بالجمع (وبكلامى فخذ ما آتيتك) أعطيتك (وكن من الشاكرين) لله على نعمه فان قيل فما معنى قوله اصطفيتك على الناس برسالاتى وقد أعطى غيره الرسالة قيل لما لم تكن الرسالة على العموم فى حق الناس كافة استفهام قوله اصطفيتك على الناس وان شاركه فيه غيره كما يقول الرجل خصصتك بمشورتى وان شاور غيره اذا لم تكن المشورة على العموم يكون مستقيما وفى القصة ان موسى كان بعدما كلمه ربه لا يستطيع أحد أن ينظر إليه لما غشى وجهه من النور ولم يزل على وجهه برقع حتى مات وقالت امرأته أنا لم أرك منذ كلمك ربك فكشف لها وجهه فأخذها مثل شعاع الشمس فوضعت يدها على وجهها وخرت لله ساجدة وقالت ادع الله أن يجعلنى زوجتك فى الجنة قال ذلك لك ان لم تتزوجى بعدى فان المرأة لآخر أزواجها أخبرنا أبو سعيد الشريحى أنا أبو اسحاق الثعلبى أنا أبو عبد الله محمد بن احمد بن على المزكى اخبرنا ابو العباس محمد بن احمد بن

قال تبت اليك يعنى من هذا السؤال وحسنات الأبرار سيئات المقربين (وأنا أول المؤمنين) يعنى أنك لا ترى فى الدنيا وقيل وأنا أول المؤمنين يعنى من بنى إسرائيل بقى فى الآية سؤالان الأول ان الرؤية عين النظر فكيف قال أرنى أنظر إليك وعلى هذا يكون التقدير أرنى حتى أراك والجواب عنه ان معنى قوله أرنى اجعلنى متمكنا من رؤيتك حتى أنظر اليك وأراك السؤال الثانى كيف قال لن ترانى ولم يقل لن تنظر إلى حتى يكون مطابقا لقوله أنظر اليك والجواب ان النظر لما كان مقدمة الرؤية كان المقصود هو الرؤية لا النظر الذى لا رؤية معه السؤال الثالث كيف استدرك وكيف اتصل الاستدراك من قوله ولكن انظر إلى الجبل بما قبله والجواب ان المقصود تعظيم أمر الرؤية وان أحدا لا يقوى على رؤيته تعالى إلا من قواه الله تعالى بمعرفته وأييده ألا ترى انه لما ظهر أصل التجلى للجبل اندك وتقطع فهذا هو المراد من هذا الاستدراك لأنه يدل على تعظيم أمر الرؤية والله أعلم بمراده * قوله عز وجل (قال يا موسى إنى اصطفيتك على الناس برسالاتى وبكلامى) يعنى قال الله تعالى لموسى عليه الصلاة والسلام يا موسى إنى اخترتك واتخذتك صفوة الاصطفاء الاستخلاص من الصفوة والاجتباء والمعنى إنى فضلتك واجتبتك على الناس وفى هذا تسلية لموسى عليه الصلاة والسلام عن منع الرؤية حين طلبها لأن الله تعالى عدد عليه نعمه التى أنعم بها عليه وأمره أن يشتغل بشكرها كأنه قال له إن كنت منعتك من الرؤية التى طلبت فقد أعطيتك من النعم العظيمة كذا وكذا فلا يضيق صدرك بسبب منع الرؤية وانظر إلى سائر أنواع النعم التى خصصتك بها وهى الاصطفاء على الناس برسالاتى وبكلامى يعنى من غير واسطة لأن غيره من الرسل منع كلام الله تعالى إلا بواسطة الملك * فان قلت كيف قال اصطفيتك على الناس برسالاتى مع ان كثيرا من الأنبياء قد سواه فى الرسالة قلت ذكر العلماء عن هذا السؤال جوابين أحدهما ذكره البغوى فقال لما لم تكن الرسالة على العموم فى حق الناس كافة استفهام قوله اصطفيتك على الناس وان شاركه فيها غيره كما يقول الرجل للرجل خصصتك بمشورتى وان كان قد شاور غيره إذا لم تكن المشورة على العموم فيكون مستقيما وفى هذا الجواب نظر لأن جملة من اصطفاه الله برسالته محمدا ﷺ وهو أفضل من موسى عليه الصلاة والسلام فلا يستقيم هذا الجواب الجواب الثانى ذكره الامام فخر الدين الرازى فقال ان الله تعالى بين انه خصه بمجموع أمرين وهما الرسالة مع الكلام بغير واسطة وهذا المجموع ما حصل لغيره فثبت أنه إنما حصل التخصيص ههنا لأنه سمع ذلك الكلام بغير واسطة وانما كان الجواب بغير واسطة سببا لمزيد الشرف بناء على العرف الظاهر لأن من سمع كلام الملك العظيم من فيه كان أعلى وأشرف ممن سمعه بواسطة الحجاب والنواب وهذا الجواب فيه نظر أيضا لأن محمدا ﷺ اصطفاه برسالته وكلمه ليلة المعراج بغير واسطة وفرض عليه وعلى أمته الصلوات وخاطبه بيا محمد يدل عليه قوله فأوحى إلى عبده ما أوحى ورفعه الى حيث سمع صريف الأقلام وهذا كله يدل على مزيد الفضل والشرف على موسى عليه الصلاة والسلام وغيره من الأنبياء فلا يستقيم هذا الجواب أيضا والذى يعتمد فى هذا الجواب عن السؤال ان الله اصطفى موسى عليه الصلاة والسلام برسالته وبكلامه على الناس الذين كانوا فى زمانه وذلك انه لم يكن فى ذلك الوقت أعلى منصبا ولا أشرف ولا أفضل منه وهو صاحب الشريعة الظاهرة وعليه نزلت التوراة فدل ذلك عليه انه اصطفاه على ناس زمانه كما اصطفى قومه على عالمى زمانهم وهو قوله تعالى يا بنى اسرائيل اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم وانى فضلتكم على العالمين قال المفسرون يعنى على عالمى زمانهم * وقوله تعالى (فخذ ما آتيتك) يعنى ما فضلته وأكرمتك به (وكن من الشاكرين) يعنى على أنعامى عليك وفى القصة أن موسى عليه الصلاة والسلام كان بعد ما كلمه ربه

اسحق السراج حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا رشد بن أسعد بن عبد الرحمن المغافرى عن أبيه عن كعب الاحبار ان موسى نظر عند سعيد فى التوراة فقال انى أجد أمة خير الأمم أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالله وبالكتاب الأول وبالكتاب الاخر ويقاتلون أهل الضلالة حتى يقاتلون الأعور الدجال رب اجعلهم أمتى قال هى أمة محمد يا موسى فقال ربى انى أجد أمة هم الحامدون لله على

كل حال رعاة الشمس المحكمون إذا أرادوا أمرا قالوا نفعل إن شاء الله فاجعلهم أمتى قال هى أمة محمد فقال يارب إنى أجد أمة يأكلون كفاراتهم وصدقاتهم وكان الأولون يحرقون صدقاتهم بالنار وهم المستجيبون والمستجاب لهم الشافعون المشفوع لهم فاجعلهم أمتى قال هى أمة محمد فقال يارب إنى أجد أمة إذا أشرف أحدهم على شرف كبر الله فاذا هبطوا واديا حمدوا الله الصعيد لهم طهور والأرض لهم مسجد حيث ما كانوا يتطهرون من الجنابة طهورهم بالصعيد كطهورهم بالماء حيث لا يجدون الماء غر محجلون من آثار الوضوء فاجعلهم أمتى قال هى أمة محمد قال رب إنى اجد امة إذا هم بحسنة ولم يعملها كتبت له حسنة مثلها وإن عملها كتبت بعشر أمثالها إلى سبع مائة ضعف وإذا هم بسيئة ولم يعملها لم تكتب عليه وإن عملها كتبت له سيئة مثلها فاجعلهم أمتى قال هى امة محمد فقال رب إنى اجد امة مرحومة ضعفاء يرثون الكتاب من الذين اصطفيتهم فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات فلا أجد احدا منهم إلا مرحوما فاجعلهم امتى قال هى امة احمد قال رب إنى اجد امة صاحفهم فى صدورهم (٢٣٦) يلبسون الوان ثياب اهل الجنة يصفون فى صلاتهم صفوف الملائكة اصواتهم فى مساجدهم كدوى النحل لا يدخل النار أحد منهم أبدا إلا من يرى الحساب مثل ما يرى له الحجر من وراء البحر فاجعلهم أمتى قال هى أمة احمد فلما عجب موسى من الخير الذى أعطى الله محمدا وأمته قال يا ليتنى من أصحاب محمد فأوحى الله اليه ثلاث آيات يرضيه بهن يا موسى إنى اصطفيتك على الناس برسالاتى وبكلامى إلى قوله سأريكم دار الفاسقين ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون قال فرضى موسى كل الرضا قوله تعالى (وكتبنا له) يعنى لموسى (فى الالواح) قال ابن عباس يريد ألواح التوراة وفى الحديث كانت من سدر الجنة طول اللوح اثنا عشر ذراعا وجاء فى احاديث خلق الله آدم بيده وكتب التوراة بيده وغرس شجرة طوبى بيده وقال الحسن كانت الألواح من خشب قال الكلبى انى كانت من زبرجدة خضراء وقال سعيد بن جبير كانت من ياقوت احمر وقال الربيع بن أنس كانت الألواح من برد وقال ابن جريج كانت من زمرد أمر الله جبريل حتى جاء بها من عدن وكتبها بالقلم الذى كتب به الذكر واستمد من نهر النور قال وهب أمر الله بقطع الالواح من صخرة صماء لينها الله له فقطعها بيده ثم شققها بيده وسمع موسى صرير القلم بالكلمات العشرة وكان ذلك فى أول يوم من ذى القعدة وكانت الالواح عشرة أذرع على طول موسى وقال مقاتل ووهب وكتبنا له فى الالواح كنقش الخاتم وقال الربيع بن أنس نزلت التوراة وهى سبعون وقر بعير يقرأ الجزء منه فى سنة لم يقرأه إلا أربعة نفر موسى ويوشع وعزير وعيسى وقال الحسن هذه الآية فى التوراة الف آية يعنى وكتبنا له فى الالواح (من كل شىء) مما أمروا به ونهوا عنه (موعظة) نهيا عن الجهل وحقيقة الموعظة التذكير والتحذير بما يخاف عاقبته (وتفصيلا لكل شىء) أى تبيينا لكل شىء من الأمر والنهى والحلال والحرام والحدود والاحكام

لا يستطيع احد ان ينظر اليه لما غشى وجهه من النور ولم يزل على وجهه برقع حتى مات وقالت له زوجته أنا لم أرك منذ كلمك ربك فكشف لها عن وجهه فأخذها مثل شعاع الشمس فوضعت يدها على وجهها وخرت ساجدة وقالت ادع الله ان يجعلنى زوجتك فى الجنة قال ذلك إن لم تتزوجى بعدى فان المرأة لآخر زواجها قوله تعالى (وكتبنا له فى الالواح) قال ابن عباس يريد ألواح التوراة والمعنى وكتبنا لموسى فى الواح التوراة قال البغوى وفى الحديث كانت من سدر الجنة طول اللوح اثنا عشر ذراعا وجاء فى الحديث خلق الله تعالى آدم بيده وكتب التوراة بيده وغرس شجرة طوبى بيده وقال الحسن كانت الالواح من خشب وقال الكلبى من زبرجده خضراء وقال سعيد بن جبير من ياقوتة حمراء وقال ابن جريج من زمرد امر الله تعالى جبريل عليه السلام حتى جاء بها من جنة عدن وكتبها بالقلم الذى كتب به الذكر واستمد من نهر النور وقال الربيع بن انس كانت الالواح من زبرجد وقال وهب امره الله بقطع الواح من صخرة صماء لينها له فقطعها بيده ثم شققها باصبعه وسمع موسى عليه الصلاة والسلام صرير الاقلام بالكلمات العشرة وكان ذلك فى أول يوم من ذى الحجة وكان طول الالواح عشرة أذرع على طول موسى وقيل ان موسى خر صعقا يوم عرفة فأعطاه الله تعالى التوراة يوم النحر وهذا أقرب إلى الصحيح واختلفوا فى عدد الالواح فروى عن ابن عباس انها كانت سبعة ألواح وروى عنه انها لوحان واختاره الفراء قال وانما جمعت على عادة العرب فى إطلاق الجمع على الاثنين وقال وهب كانت عشرة ألواح وقال مقاتل كانت تسعة وقال الربيع بن أنس نزلت التوراة وهى وقر سبعين بعيرا يقرأ الجزء منها فى سنة ولم يقرها إلا أربعة نفر موسى ويوشع بن نون وعزير وعيسى عليهم الصلاة والسلام والمراد بقوله لم يقرأها يعنى لم يحفظها ويقرأها عن ظهر قلبه إلا هؤلاء الاربعة وقال الحسن هذه الاية فى التوراة بألف آية يعنى قوله وكتبنا له فى الالواح (من كل شىء) يعنى يحتاج اليه من أمر ونهى (موعظة) يعنى نهيا عن الجهل وحقيقة الموعظة التذكير والتحذير بما يخاف عاقبته (وتفصيلا لكل شىء) يعنى وتبيينا لكل شىء من الامر والنهى والحلال والحرام والحدود والاحكام مما يحتاج اليه فى أمور الدين وروى الطبرى بسنده عن وهب بن منبه قال كتب له يعنى فى التوراة لا تشرك بى شيئا من أهل السماء ولا من أهل الارض فان كل ذلك خلقى ولا تحلف باسمى كاذبا فان من حلف باسمى كاذبا فلا أزكيه ووقر الديك وروى البغوى باسناد الثعلبى عن كعب الاحبار ان موسى عليه الصلاة والسلام نظر فى التوراة فقال

(فخذوا بقوة) أى بجد واجتهاد وقيل بقوة القلب وصحة العزيمة لانه إذا أخذه بضعف النية أداه إلى الفتور (وأمر قومك يأخذوا باحسنها) قال عطاء عن ابن عباس رضى الله عنهما يحلوا حلالها ويحرموا حرامها ويتدبروا امثالها ويعملوا بمحكمها ويقفوا عند متشابهها وكان موسى عليه السلام اشد عبادة من قومه فامر بما لم يؤمروا به قال قطرب (٢٣٧) باحسنها أى بحسنها وكلها حسن وقيل احسنها الفرائض والنوافل وهى ما يستحق عليها الثواب وما دونها المباح لانه لا يستحق عليه الثواب وقيل بأحسنها بأحسن الأمرين فى كل شىء كالعفو احسن من القصاص والصبر احسن من الانتصار (سأريكم دار الفاسقين) قال مجاهد مصيرها فى الآخرة قال الحسن وعطاء يعنى جهنم يحذركم ان تكونوا مثلهم وقال قتادة وغيره سادخلكم الشام فاريكم منازل القرون الماضية الذين خالفوا امر الله لتعتبروا بها قال عطية العوفى أراد دار فرعون وقومه وهى مصر يدل عليه قراءة قسامة بن زهير سأورثكم دار الفاسقين وقال السدى دار الفاسقين مصارع الكفار وقال الكلبى ما مروا عليه إذا سافروا من منازل عاد وثمود والقرون الذين اهلكوا قوله تعالى (سأصرف عن آياتى الذين يتكبرون فى الارض بغير الحق) قال ابن عباس يريد الذين يتجبرون على عبادى ويحاربون أولياءى حتى

إنى اجد أمة خير الامم أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالكتاب الأول والكتاب الاخر ويقاتلون اهل الضلالة حتى يقاتلوا الاعور الدجال رب اجعلهم امتى قال هى امه محمد يا موسى فقال رب إنى لا اجد امة هم الحامدون رعاة الشمس المحكمون إذا ارادوا امرا قالوا نفعل ان شاء الله فاجعلهم امتى قال هى امة محمد قال رب إنى أجد فى التوراة امة يأكلون كفاراتهم وصدقاتهم وكان الاولون يحرقون صدقاتهم بالنار وهم المستجيبون والمستجاب لهم الشافعون المشفوع لهم فاجعلهم امتى قال هى امة محمد قال يارب إنى اجد امة إذا اشرف احدهم على شرف كبر الله وإذا هبط واديا حمد الله الصعيد لهم طهور والأرض لهم مسجد حيثما كانوا يتطهرون من الجنابة طهرهم بالصعيد كطهورهم بالماء حيث لا يجدن الماء غر محجلون من اثار الوضوء فاجعلهم امتى قال هى أمة محمد قال يارب إنى اجد امة إذا هم احدهم بحسنة ولم يعملها كتبت له حسنة بمثلها وإن عملها كتبت بعشر امثالها إلى سبعمائة ضعف فاجعلهم امتى قال هى امة محمد قال يارب إنى اجد امة مرحومة ضعفا يرثون الكتاب الذين اصطفيتهم فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق الخيرات فلا اجد احدا منهم إلا مرحوما فاجعلهم امتى قال هى امة محمد قال رب إنى أجد أمة مصاحفهم فى صدورهم يلبسون ألوان ثياب أهل الجنة يصفون فى صلاتهم صفوف الملائكة اصواتهم فى مساجدهم كدوى النحل لا يدخل النار احد منهم ابدا إلا من يرى الحساب مثل ما يرى الحجر وراء من البحر فاجعلهم امتى قال هى امة محمد فلما عجب موسى من الخير الذى أعطاه الله عز وجل محمدا صلى الله عليه وسلم وامته قال يا ليتنى من اصحاب محمد فاوحى اليه ثلاث ايات يرضيه بهم يا موسى انى اصفيتك على الناس برسالتى وبكلامى إلى قوله ساريكم دار الفاسقين ومن قوم موسى امة يهدون بالحق وبه يعدلون قال فرضى موسى كل الرضا * وقوله تعالى (فخذها بقوة) يعنى وقدنا لموسى عليه الصلاة والسلام إذا كتبنا فى الألواح من كل شىء خذها بجد واجتهاد وقيل معناه فخذها بقوة قلب وصحة عزيمة ونية صادقة لان من اخذ شيئا بضعف نية أداه إلى الفتور (وامر قومك ياخذوا باحسنها) قال ابن عباس يحلوا حلالها ويحرموا حرامها ويتدبروا امثالها ويعملوا بمحكمها ويقفوا عند متشابهها وكان موسى عليه الصلاة والسلام اشد عبادة من قومه فامر بما لم تؤمروا به وقيل ظاهر قوله وامر قومك ياخذوا باحسنها يدل على ان بين التكليفين فرقا ليكون فى هذا الفصل فائدة وهى ان التكليف كان على موسى اشد لانه تعالى لم يرخص له مارخص لغيره من قومه * فان قلت ظاهر قوله تعالى ياخذوا باحسنها يدل على ان مافيها ليس بحسن وذلك لم يقل به أحد فما معنى قوله ياخذوا باحسنها * قلت ان التكليف كله حسن وبعضه أحسن كالقصاص حسن وليكن العفو احسن وكالانتصار حسن والصبر احسن منه فامروا ان ياخذوا بالاشد على انفسهم ليكون ذلك اعظم فى الثواب فهو كقوله اتبعوا احسن ما انزل اليكم من ربكم وكقوله الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه وقيل ان الحسن يدخل تحته الواجب والمندوب والمباح الاحسن الاخذ بالاشد والاشق على النفس وقيل معناه باحسنها بحسنها وكلها حسن * قوله تعالى سأريكم دار الفاسقين) قال مجاهد يعنى مصيركم فى الاخرة وقال الحسن وعطاء يريد جهنم يحذركم ان تكونوا مثلهم وقال قتادة سادخلكم الشام فاريكم منازل القرون الماضية الذين خالفوا الله تعالى لتعتبروا بها وقال عطية العوفى يعنى دار فرعون وقومه وهى مصر وقال السدى يعنى منازل الكفار وقال الكلبى هى منازل عاد وثمود والقرون الذين اهلكوا فكانوا يمرون عليها اذا سافروا * قوله عز وجل (ساصرف عن اياتى الذين يتكبرون فى الارض بغير الحق) قال ابن عباس يريد الذين يتجبرون على

لا يؤمنوا بى يعنى سأصرفهم عن قبول اياتى والتصديق بها عقوبة بحرمان الهداية لعنادهم للحق كقوله فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم قال سفيان بن عيينة سأمنعهم فهم القرآن قال ابن جريج يعنى خلق السموات والارض وما فيهما اصرفهم ان يتفكروا فيها ويعتبروا بها وقيل حكم الاية لاهل مصر خاصة واراد بالايات الايات التسع التى اعطاها الله تعالى موسى والاكثرون على ان الاية عامة

(وإن يروا كل اية لا يؤمنوا بها وإن يروا) يعنى هؤلاء المتكبرين (سبيل الرشد) قرأ حمزة والكسائى الرشد بفتح الراء والشين والآخرون بضم الراء وسكون الشين وهما لغتان كالسقم والسقم والبخل والبخل والحزن والحزن وكان أبو عمر يفرق بينهما فيقول الرشد بالضم الصلاح فى الامر وبالفتح الاستقامة فى الدين ومعنى الاية وان يروا طرق الهدى والسداد (لا يتخذوه لانفسهم (سبيلا) (وان يروا سبيل الغى) أى طريق الضلال (يتخذوه سبيلا ذلك بانهم كذبوا بايانتا وكانوا عنها غافلين) عن التفكر فيها والاتعاظ بها غافلين ساهين (والذين كذبوا بايانتا ولقاء الاخرة) أى ولقاء الدار الاخرة التى هى موعد الثواب والعقاب (حبطت اعمالهم) بطلت وصارت كأن لم تكن (هل يجزون) فى العقبى (إلا ما كانوا) أى الاجزاء ما كانوا (يعملون) فى الدنيا قوله تعالى (واتخذ قوم موسى من بعده) اى من بعد انطلاقه الى الجبل (من حليهم) التى استعارها من قوم فرعون قرأ حمزة والكسائى من حليهم بكسر الحاء وسكون اللام خفيف اتخذ السامرى منها (عجلا) والقى فى فمه من تراب اثر فرس جبريل فتحول عجلا (جسدا) حيا ولحما ودما (له خوار) وهو صوت البقر وهذا قول ابن عباس والحسن وقتادة وجماعة اهل التفسير

عبادى ويحاربون أوليائى سأصرفهم عن قبول آياتى والتصديق بها حتى لا يؤمنوا بى عوقبوا بحرمان الهداية لعنادهم الحق وقال سفيان بن عيينة سامنعهم فهم القران وقيل معناه ساصرفهم عن التفكير فى خلق السموات والأرض وما فيهما من الايات والعبر وقيل حكم الاية لأهل مصر خاصة واراد بالايات الايات التسع التى اعطاها الله تعالى لموسى عليه الصلاة والسلام والاكثرون على ان الاية عامة وفيه دليل لمذهب اهل السنة على ان الله تعالى يهدى من يشاء ويضل من يشاء ويصرف عن اياته وقبول الحق من يشاء ويوفق بالتفكر فى اياته وقبول الحق من يشاء لانه القادر على ما يشاء لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون ومعنى الذين يتكبرون الذين يرون انهم افضل الخلق وان لهم من الحق ما ليس لغيرهم والتكبر على هذه الصفة لا يكون إلا لله عز وجل لانه هو الذى له القدرة والفضل الذى ليس لاحد سواه فالتكبر فى حق الله عز وجل صفة مدح وفى حق المخلوقين صفة ذم لانه تكبر بما ليس له ولا يستحقه وقيل التكبر إظهار كبر النفس على غيرها فهو صفة ذم فى حق جميع العباد وقوله يتكبرون من الكبر لا من التكبر اى يفتعلون التكبر يرون انهم افضل من غيرهم فلذلك قال يتكبره فى الارض بغير الحق بل بالباطل (وان يروا كل اية لا يؤمنوا بها وان يروا سبيل الرشد) يعنى طريق الحق والهدى والسداد والصواب (لا يتخذوه سبيلا) يعنى لا يختاروه لانفسهم طريقا يسلكونه إلى الهداية (وان يروا سبيل الغى) يعنى طريق الضلال (يتخذوه سبيلا ذلك بأنهم كذبوا بايانتا) يعنى ذلك اختاره لانفسهم من ترك الرشد واتباع الغى بسبب أنهم كذبوا بايات الله الدالة على توحيده (وكانوا عنها غافلين) يعنى عن التفكر فيها والاتعاظ بها (والذين كذبوا بايانتا ولقاء الاخرة) يعنى ولقاء الدار الاخرة التى فيها الثواب والعقاب (حبطت اعمالهم) يعنى بطلت فصارت كان لم تكن والمعنى انه قد يكون فى الدين يكذبون بايات الله من يعمل البر والاحسان والخير فبين الله تعالى بهذه الاية ان ذلك ليس ينفعهم مع كفرهم وتكذيبهم بايات الله وانكارهم الدار الاخرة البعث (هل يجزون إلا ما كانوا يعملون) يعنى هل يجزون فى العقبى إلا جزاء العمل الذى كانوا يعملونه فى الدنيا قوله تعالى (واتخذ قوم موسى من بعده) يعنى من بعد انطلاق موسى إلى الجبل لمناجاة ربه عز وجل (من حليهم) يعنى التى استعارها من قوم فرعون وذلك ان بنى إسرائيل كان لهم عيد فاستعاروا من القبط الحلى ليتزينوا به فى عيدهم فبقى عندهم إلى ان اهلك الله فرعون وقومه فبقى الحلى لبنى إسرائيل ملكا لهم فلذلك قال الله تعالى من حليهم فلما ابطأ موسى عليهم جمع السامرى ذلك الحلى وكان رجلا مطاعا فى بنى إسرائيل فلذلك قال تعالى واتخذ قوم موسى والمتخذ هو واحد فنسب الفعل الى الكل لانه كان برضاهم فكانهم اجمعوا عليه وكان السامرى رجلا صائغا فصاغ لهم (عجلا جسدا) يعنى من ذلك الحلى وهو الذهب والفضة والقى فى ذلك العجل من تراب اثر فرس جبريل عليه السلام فتحول عجلا جسد الحما ودما (له خوار) هو صوت البقر وهذا معنى قول ابن عباس والحسن وقتادة وجمهور اهل التفسير وقيل كان جسدا لا روح فيه وكان يسمع منه صوت وقيل ان ذلك الصوت كان خفيف الريح وذلك انه جعله مجوفا وضع فى جوفه انابيب على وضع مخصوص فاذا هبت الريح دخلت فى تلك الانابيب فيسمع لها صوت كصوت البقر والقول الاول اصح لانه كان يخور وقيل انه خار مرة وقيل انه كان يخور كثيرا وكلما خار سجدوا له وإذا سكت رفعوا رؤسهم قال وهب كان يسمع منه الخوار ولا يتحرك وقال السدى كان يخور ويمشى (الم يروا) يعنى الذين عبدوا العجل وقيل ان بنى إسرائيل كلهم عبدوا العجل إلا هرون عليه الصلاة والسلام بدليل قوله تعالى واتخذ قوم موسى من بعده وهذا يفيد العموم وقيل ان بعضهم عبد العجل وهو الصحيح واجيب عن قوله واتخذ قوم موسى انه خرج على الأغلب وكذا قوله الم يروا (انه) يعنى العجل الذى عبدوه

وقيل كان جسدا بجسدا من ذهب لا روح فيه كان يسمع منه صوت وقيل كان يسمع صوت خفيف الريح يدخل لا يكلمهم فى جوفه ويخرج والأول اصح وقيل انه ما خار الا مرة واحدة وقيل انه كان يخور كثيرا فكلما خار سجدوا له وإذا سكت رفعوا رؤسهم وقال وهب كان يسمع منه الخوار وهو لا يتحرك وقال السدى كان يخور ويمشى (الم يروا) يعنى الذين عبدوا العجل انه لا يكلمهم ولا

يهديهم سبيلا) قال الله عز وجل (اتخذوه وكانوا ظالمين) أى اتخذوه إلها وكانوا كافرين (ولما سقط فى ايديهم) أى ندموا على عبادة العجل تقول العرب لكل نادم على امر قد سقط فى يديه (وراوا انهم قد ضلوا قالوا لئن لم يرحمنا ربنا) يتب علينا ربنا (ويغفر لنا) يتجاوز عنا (لنكونن من الخاسرين) قرأ حمزة والكسائى ترحمنا وتغفر لنا بالتاء فهما ربنا بنصب الباء وكان هذا الندم والاستغفار منهم بعد رجوع موسى اليهم قوله تعالى (ولما رجع موسى إلى قومه غضبان اسفا) قال ابو الدرداء الاسف شديد الغضب وقال ابن عباس والسدى اسفا اى حزينا والاسف اشد الحزن (قال بئسما خلفتمونى من بعدى) اى بئس ما عملتم بعد ذهابى يقال خلفه بخير او بشر إذا اولاه فى اهله بعد شخوصه عنهم خيرا او شرا (اعجلتم) اسبقتم (امر ربكم) قال الحسن وعدربكم الذى وعدكم من الاربعين ليلة وقال الكلبى اعجلتم بعبادة العجل قبل ان ياتيكم امر ربكم (والقى الالواح) التى فيها التوراة وكان حاملا لها والقاها على الارض من شدة الغضب قالت الرواة كانت التوراة سبعة اسباع فلما القى الالواح تكسرت فرفعت ستة اسباعها وبقى سبع واحد فرفع منها ما كان من اخبار الغيب وبقى ما فيه المواعظ والاحكام والحلال والحرام (واخذ براس اخيه يجره إليه) قيل انه اخذ بشعر راسه ولحيته من شدة غضبه وقال ابن الانبارى لما رجع موسى عليه الصلاه والسلام ووجد قومه

لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا) يعنى ان هذا العجل لا يمكنه أن يتكلم بصواب ولا يهدى إلى رشد ولا يقدر على ذلك ومن كان كذلك كان جمادا او حيوانا ناقصا عاجزا او على كلا التقديرين لا يصلح لان يعبد (اتخذوه وكانوا ظالمين) يعنى لانفسهم حيث اعرضوا عن عبادة الله تعالى الذى يضر وينفع واشتغلوا بعبادة العجل الذى لا يضر ولا ينفع ولا يتكلم ولا يهديهم إلى رشد وصواب * قوله عز وجل (ولما سقط فى ايديهم) يعنى ولما ندموا على عبادة العجل تقول العرب لكل نادم على امر سقط فى يده وذلك لان من شان من اشتد ندمه على امر ان يعض يده ثم يضرب على فخذه فتصير يده ساقطة لان السقوط عبارة عن النزول من اعلى إلى اسفل (وراوا انهم قد ضلوا) يعنى وتيقنوا انهم على الضلالة فى عبادتهم العجل (قالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا) يعنى يتب علينا ويتجاوز عنا (لنكونن من الخاسرين) يعنى الذين خسروا انفسهم بوضعهم العبادة فى غير موضعها وهذا كلام من اعترف بعظيم ما اقدم عليه من الذنب وندم على ما صدر منه ورغب إلى الله تعالى فى إقالة عثرته واعترافهم على انفسهم بالخسران ان لم يغفر لهم ربهم ويرحمهم كلام التائب النادم على ما فرط منه وإنما قالوا ذلك لما رجع موسى عليه الصلاة والسلام اليهم وهو قوله تعالى (ولما رجع موسى إلى قومه غضبان اسفا) يعنى لما رجع موسى عليه الصلاة والسلام من مناجاة ربه إلى قومه بنى إسرائيل رجع غضبان اسفا لان الله تعالى كان قد اخبره انه قد فتن قومه وان السامرى قد اضلهم فكان موسى فى حال رجوعه غضبان اسفا قال ابو الدرداء الاسف اشد الغضب وقال ابن عباس والسدى الاسف الحزن والاسيف الحزين قال الواحدى والقولان متقاربان لان الغضب من الحزن والحزن من الغضب فاذا جاءك ما تكره ممن هو دونك غضبت وإذا جاءك ما تكره ممن هو فوقك حزنت فتسمى إحدى هاتين الحالتين حزنا والاخرى غضبا فعلى هذا كان موسى عليه الصلاة والسلام غضبان من قومه لاجل عبادتهم العجل اسفا حزينا لان الله تعالى فتنهم وان الله تعالى كان قد اعلمه بذلك فحزن لاجل ذلك (قال) يعنى موسى عليه الصلاة والسلام لقومه (بئسما خلفتمونى من بعدى) اى بئس الفعل فعلتم بعد فراقى إياكم وهذا الخطاب يحتمل ان يكون لعبدة العجل من السامرى واتباعه او لهرون ومن بنى إسرائيل فعلى الاحتمال الاول فى انه خطاب لعبدة العجل يكون المعنى بئسما خلفتمونى حيث عبدتم العجل وتركتم عبادة الله وعلى الاحتمال الثانى هو ان يكون الخطاب لهرون ومن معه من المؤمنين يكون المعنى بئسما خلفتمونى حيث لم تمنعوهم من عبادة غير الله تعالى وقد رايتم منى الامر بتوحيد الله تعالى واخلاق العبادة له ونفى الشركاء عنه وحمل بنى إسرائيل على ذلك ومن حق الخلفاء ان يسيروا سيرة مستخلفهم وهو قوله (اعجلتم امر ربكم) يعنى العجلة التقدم بالشىء قبل وقته ولذلك صارت مذمومة والسرعة غير مذمومة لان معناها عمل الشىء فى اول وقته ولقائل ان يقول لو كانت العجلة مذمومة لم يقل موسى عليه الصلاة والسلام وعجلت اليك رب لترضى ومعنى الاية اعجلتم ميعاد ربكم فلم تصبروا له وقال الحسن اعجلتم وعدربكم الذى وعدكم من الاربعين وذلك انهم قدروا انه لم يات على راس الثلاثين فقد مات وقيل معناه اعجلتم سخط ربكم بعبادة العجل وقال الكلبى معناه اعجلتم بعبادة العجل قبل ان ياتيكم امر ربكم * ولما ذكر الله تعالى ان موسى عليه السلام رجع إلى قومه غضبان اسفا ذكر بعده ما اوجبه الغضب فقال تعالى (والقى الالواح) يعنى التى فيها التوراة وكان حاملا لها فالقاها من شدة الغضب قالت الرواة واصحاب الاخبار كانت التوراة سبعة اسباع فلما القى موسى الالواح تكسرت فرفع ستة اسباع وبقى سبع واحد فرفع منها ما كان من اخبار الغيب وبقى ما فيه المواعظ والاحكام والحلال والحرام وروى ان الله تعالى اخبر موسى عليه الصلاة والسلام بفتنة قومه وعرف موسى عليه الصلاة والسلام ان ما اخبره الله سبحانه وتعالى به حق وصدق ومع ذلك لم يلق التوراة من يده فلما رجع إلى قومه وعاين ذلك وشاهده القى التوراة وهذا كما قيل ليس الخبر كالمعاينة (واخذ براس اخيه يجره إليه) قيل انه اخذ بشعر راسه ولحيته من شدة غضبه وقال ابن الانبارى لما رجع موسى عليه الصلاه والسلام ووجد قومه

سبع فرفع ما كان من اخبار الغيب او بقى ما فيه الموعظة والاحكام والحلال والحرام (واخذ براس اخيه) بذوائبه ولحيته (يجره إليه) وكان هرون اكبر من موسى بثلاث سنين واحب إلى بنى إسرائيل من موسى لانه كان لين الغضب

(قال) هرون عند ذلك (ابن أم) قرأ أهل الكوفة والشام ها هنا وفي طه بكسر الميم يريد يا ابن أمي فحذف ياء الاضافة وأبقيت الكسر لتدل على الاضافة كقوله ياعباد وقرأ أهل الحجاز والبصرة وحفص بفتح الميم على معنى يا ابن اماه وقيل جعله اسما واحدا وبناه على الفتح كقولهم حضر موت وخمسة عشر ونحوهما وإنما قال ابن ام وكان هرون اخاه لابيه وامه ليرققه ويستعطفه وقيل كان اخاه لامه دون أبيه (ان القوم استضعفوني) يعني عبدة العجل (وكادوا يقتلونني) هموا وقاربوا أن يقتلوني (فلا تشمت بي الاعداء ولا تجعلني) في مؤاخذتك على (مع القوم الظالمين) يعني عبدة العجل (قال) موسى لما تبين له عذر اخيه (رب اغفر لي) ما صنعت إلى أخي (ولاخي) ان كان منه تقصير في الانكار على عبدة العجل (وادخلنا) جميعا (في رحمتك وانت ارحم الراحمين) قوله تعالى (إن الذين اتخذوا العجل) أي اتخذوه إلها (سينالهم غضب من ربهم) في الاخرة (وذلة في الحياة الدنيا) قال أبو العالية هو ما أمروا به من قتل أنفسهم وقال عطية العوفي إن الذين اتخذوا العجل أراد اليهود الذين كانوا في عصر النبي ﷺ عيرهم بصنيع آبائهم فنسبة إليهم سينالهم غضب من ربهم وذلة في الحياة الدنيا أراد ما أصاب بني قريظة والنضير من القتل والجلاء وقال ابن عباس رضي الله عنهما هو الجزية (وكذلك نجزي المفترين) الكاذبين قال ابو قلابة هو الكفر والله جزاء كل مفتر إلى يوم القيامة أن يذله الله قال سفيان بن عيينة هذا في كل مبتدع إلى يوم القيامة قوله عز وجل (والذين عملوا السيئات

مقيمين على المعصية أكبر ذلك واستعظمه فاقبل على أخيه هرون يلومه ومد يده إلى رأسه لشدة موجدته عليه إذ لم يلحق به فيعرفه خبر بني إسرائيل فيرجع ويتلافاهم فاعلمه هرون عليه السلام انه انما اقام بين اظهرهم خوفا على نفسه من القتل وهو قوله تعالى (قال) يعني هرون (ابن ام) إنما قال هرون لموسى ابن ام وإن كانا لأب وأم ليرفقه ويستطعفه عليه (ان القوم) يعني الذين عبدوا العجل (استضعفوني) أي استذلوني وقهروني (وكادوا يقتلونني) اي وقاربوا او هموا ان يقتلوني (فلا تشمت بي الاعداء) اصل الشماتة الفرح ببلية من تعاديه ويعاديك يقال شمت فلان بفلان إذا سر بمكروه نزل به والمعنى لا تسر الاعداء بما تنال مني من مكروه (ولا تجعلني مع القوم الظالمين) يعني الذين عبدوا العجل (قال رب اغفر لي) يعني ان موسى عليه الصلاة والسلام لما تبين له عذر اخيه هرون قال رب اغفر لي ما صنعت إلى اخي هرون يريد ما اظهر من الموجدة عليه في وقت الغضب (ولاخي) يعني واغفر لاخي هرون ان كان وقع منه تقصير في الانكار على عبدة العجل (وادخلنا) يعني جميعا (في رحمتك) يعني في سعة رحمتك (وأنت أرحم الراحمين) وهذا فيه دليل على الترغيب في الدعاء لان من هو ارحم الراحمين تؤمل منه الرحمة وفيه تقوية لطمع الداعي في نجاح طلبته (إن الذين اتخذوا العجل) يعني إلها عبدوه من دون الله (سينالهم غضب من ربهم وذلة في الحياة الدنيا) يعني سينالهم عقوبة من ربهم وهو ان بسبب كفرهم وعبادتهم العجل وذلك في عاجل الحياة الدنيا ثم للمفسرين في هذه الاية قولان احدهما ان المراد بالذين اتخذوا العجل الذين باشروا عبادته وعلى هذا القول في الاية سؤال وهو ان أولئك الاقوام الذين اتخذوا العجل تابوا إلى الله تعالى بقتلهم انفسهم كما امرهم الله فتاب عليهم فكيف يناالهم الغضب والذلة مع التوبة والجواب ان ذلك الغضب إنما حصل لهم في الدنيا وهو نفس القتل فكان ذلك القتل غضبا عليهم والمراد بالذلة هو إسلامهم انفسهم للقتل واعترافهم على انفسهم بالضلال والخطا * فان قلت السين في قوله سينالهم للاستقبال فكيف تكون للماضي * قلت هذا الكلام إنما هو خبر عما اخبر الله به موسى عليه الصلاة والسلام حين اخبره بافتتان قومه واتخاذهم العجل ثم اخبره الله في ذلك الوقت انه سينالهم غضب من ربهم وذله فكان هذا الكلام سابقا لوقوعه وهو القتل الذي امرهم الله به بعد ذلك وقال ابن جريج في هذه الاية ان هذا الغضب والذلة لمن مات منهم على عبادة العجل ولمن فر من القتل وهو الذي قاله ابن جريج وإن كان له وجه لكن لجميع المفسرين على خلافه القول الثاني ان المراد بالذين اتخذوا العجل اليهود الذين كانوا في زمن النبي ﷺ قال ابن عباس هم الذين ادركوا النبي ﷺ واباؤهم هم الذين عبدوا العجل وأراد بالغضب عذاب الاخرة وبالذلة في الدنيا الجزية وقال عطية العوفي سينال اولاد الذين عبدوا العجل وهم الذين كانوا على عهد رسول الله ﷺ وأراد بالغضب والذلة ما أصاب بني النضير وبني قريظة من القتل والجلاء وعلى هذا القول ففي تقرير الاية وجهان الاول ان العرب تعير الابناء بقبائح افعال الاباء كما تفعل لك في المتعاقب فتقول للأبناء كذا وفعلتم كذا وإنما فعل ذلك من مضى من اباهم فكذلك ههنا وصف اليهود الذين كانوا على زمن رسول الله ﷺ بانهم اتخذوا العجل وإن كان اباؤهم فعلوا ذلك ثم حكم على اليهود الذين كانوا في زمنه بانهم سينالهم غضب من ربهم في الاخرة وذلة في الحياة الدنيا الوجه الثاني ان تكون الاية من باب حذف المضاف والمعنى أن الذين اتخذوا العجل وباشروا عبادته سينال أولادهم الخ ثم حذف المضاف لدلالة الكلام عليه * وقوله تعالى (وكذلك نجزي المفترين) يعني وكما جزينا هؤلاء الذين اتخذوا العجل إلها نجزي كل من افترى على الله كذبا أو عبد غيره وقال أبو قلابة هي والله جزاء كل مفتر إلى يوم القيامة أن يذله الله وقال سفيان بن عيينة هذا في كل مبتدع إلى يوم القيامة وقال مالك بن انس ما من مبتدع إلا وهو يجد فوق رأسه ذلة ثم قرأ هذه الاية قال والمبتدع مفتر في دين الله (والذين عملوا السيئات) يعني عملوا الاعمال السيئة ويدخل في ذلك كل ذنب صغير وكبير حتى

الكفر فادونه (ثم تابوا من بعدها) يعنى ثم رجعوا إلى الله من بعد اعمالهم السيئة (وآمنوا) يعنى وصدقوا بالله تعالى وانه يقبل توبة التائب ويغفر الذنوب (ان ربك) يا محمد او يا ايها الانسان التائب (من بعدها) يعنى من بعد توبتهم (لغفور رحيم) يعنى انه تعالى يغفر الذنوب ويرحم التائبين وفى الاية دليل على ان السيئات باسرها صغيرها وكبيرها مشتركة فى التوبة وان الله تعالى يغفرها جميعا بفضله ورحمته وتقدير الاية ان من اتى بجميع السيئات ثم تاب الى الله واخلص التوبة فان الله يغفرها له ويقبل توبته وهذا من اعظم البشائر للمذنبين التائبين * قوله تعالى (ولما سكت عن موسى الغضب) يعنى سكن لان السكوت اصله الامساك عن الشىء ولما كان السكوت بمعنى السكون استعير فى سكون الغضب لان الغضب لا يتكلم لكنه لما كان بفورته دالا على ما فى نفس الغضب كان بمنزلة الناطق فاذا سكنت تلك الفورة كان بمنزلة السكوت عما كان متكلما به وقيل معناه ولما سكت موسى عن الغضب فهو من المقلوب كما تقول ادخلت القلنسوة فى رأسى والمعنى أدخلت رأسى فى القلنسوة والقول الأول أصح لانه قول اهل اللغة والتفسير (اخذ الالواح) يعنى التى القاها قال الامام فخر الدين وظاهر هذا يدل على ان الالواح لم تتكسر ولم يرفع من التوراة شىء (وفى نسختها) النسخ عبارة عن النقل والتحويل فاذا نسخت كتابا من كتاب حرفا بحرف فقد نقلت ما فى الأصل إلى الفرع فعلى هذا قيل اراد بها الألواح لأنها نسخت من اللوح المحفوظ وقيل اراد بها النسخة المكتتبة من الألواح التى أخذها موسى بعد ما تكسرت وقال ابن عباس وعمرو بن دينار لما القى موسى الالواح فكسرت صام اربعين يوما فردت عليه فى لوحين وفيهما ما فى الأولى بعينها فيكون نسخها نقلها وعلى قول من قال ان الالواح لم تتكسر وأخذها موسى بعينها بعدما القاها يكون معنى وفى نسختها المكتوب فيها (هدى ورحمة) قال ابن عباس يعنى هدى من الضلالة ورحمة من العذاب (للذين هم لربهم يرهبون) يعنى للخائفين من ربهم * قوله عز وجل (واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا) الاختيار افتعال من لفظ الخيار يقال اختار الشىء إذا اخذ خيره خياره والمعنى اختار موسى من قومه فحذف كلمة من وذلك سائغ فى العربية لدلالة الكلام عليه قال اصحاب الاخبار ان موسى عليه الصلاة والسلام اختار من كل سبط من قومه ستة نفر فكانوا اثنين وسبعين فقال ليتخلف منكم رجلان فتشاجوا فقال لمن قعد منكم مثل اجر من خرج فقعد يوشع بن نون وكالب بن يوقنا وقيل انه لم يجد إلا ستين شيخا فأوحى الله إليه ان يختار من الشباب عشرة فاختارهم فاصبحوا شيوخا فامرهم ان يصوموا ويتطهروا ويطهروا ثيابهم ثم ذهب بهم إلى ميقات ربه واختلف اهل التفسير فى ذلك الميقات فقيل انه الميقات الذى كلمه فيه ربه وسال فيه الرؤية وذلك انه لما خرج إلى طور سيناء اخذ معه هؤلاء السبعين فلما دنى موسى من الجبل وقع عليه عمود من الغمام حتى أحاط بالجبل كله ودخل موسى فيه وقال للقوم ادنوا فدنوا حتى دخلوا فى الغمام ووقعوا سجدا وسمعوا الله تعالى وهو يكلم موسى يامره وينهاه افعل كذا لا تفعل كذا فلما انكشف الغمام اقبلوا على موسى وقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فاخذتهم الصاعقة وهى المراد من الرجفة المذكورة فى هذه الاية وقال السدى ان الله امر موسى ان ياتيه فى ناس من بنى اسرائيل يعتذرون اليه من عبادة العجل ووعدهم موعدا فاختار موسى من قومه سبعين رجلا ثم ذهب بهم إلى ميقات ربه ليعتذروا فلما اتوا ذلك المكان قالوا ان نؤمن لك يا موسى حتى نرى الله جهرة فانك قد كلمته فارناه فاخذتهم الصاعقة فماتوا فقام موسى يبكى ويدعو الله ويقول رب ماذا اقول لبنى اسرائيل اذا اتيتهم وقد اهلكت خيارهم رب لو شئت اهلكتهم من قبل وإياى وقال محمد بن اسحق اختار موسى من بنى اسرائيل سبعين رجلا الخير فالخير وقال انطلقوا إلى الله فتوبوا اليه مما صنعتم واسألوه التوبة على من تركتم وراءكم من قومكم صوموا وتطهروا وطهروا ثيابكم ثم خرج بهم إلى طور سيناء لميقات وقته له ربه وكان لا ياتيه إلا باذن منه وعلم فقال السبعون فيما ذكر لى حين فعلوا ما امرهم به وخرجوا مع موسى لميقات ربه اطلب لنا نسمع كلام ربنا فقال افعل فلما دنا موسى من الجبل وقع عليه عمود الغمام حتى غشى الجبل كله ودنا موسى فدخل فيه وقال للقوم ادنوا فكان موسى إذا كلمه

ثم تابوا من بعدها وآمنوا ان ربك من بعدها لغفور رحيم) قوله تبارك وتعالى (ولما سكت) اى سكن (عن موسى الغضب أخذ الالواح) التى كان القاها وقد ذهبت ستة أسباعها (وفى نسختها) اختلفوا فيه قيل أراد بها الالواح لأنها نسخت من اللوح المحفوظ وقيل أن موسى لما القى الالواح تكسرت فنسخ منها نسخة أخرى فهو المراد من قوله وفى نسختها وقيل أراد وفيما نسخ منها وقال عطاء فيما بقى منها وقال ابن عباس وعمرو ابن دينار لما القى موسى الالواح فكسرت صام اربعين يوما فردت عليه فى لوحين كان فيه (هدى ورحمة) أى هدى من الضلالة ورحمة من العذاب (للذين لربهم يرهبون) أى للخائفين من ربهم واللام فى لربهم زيادة للتوكيد كقوله ردف لكم وقال الكسائى تقدمت قبل الفعل حسنت كقوله للرؤيا تعبرون قال قطرب اراد من ربهم يرهبون وقيل أراد راهبون لربهم قوله أى من قومه فانتصب لنزع حرف الصفة (سبعين رجلا لميقاتنا) وفيه دليل على أن كلهم لم يعبدوا العجل قال السدى أمر الله تعالى موسى

أن يأتيه فى ناس من بنى اسرائيل يعتذرون اليه من عبادة العجل فاختار موسى من قومه سبعين رجلا

(فلما) أتوا ذلك المكان قالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فاخذتهم الصاعقة فماتوا وقالوا ابن اسحق اختارهم ليتوبوا إليه مما صنعوا ويسألوا التوبة على من تركوا وراءهم من قومهم فهذا يدل على أن كلهم عبدوا العجل وقال قتادة وابن جريج ومحمد بن كعب (أخذتهم الرجفة) لأنهم لم يزايلوا قومهم حين عبدوا العجل ولم يأمروهم بالمعروف ولم ينهوهم عن المنكر وقال ابن عباس أن السبعين الذين قالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فاخذتهم الصاعقة كانوا قبل السبعين الذين أخذتهم الرجفة وانما أمر الله سبحانه وتعالى موسى أن يختار من قومه سبعين رجلا فاختارهم وبرز بهم ليدعوا ربهم فكان فيما دعوا أن قالوا اللهم اعطنا مالم تعطه احدا قبلنا ولا تعطه احدا بعدنا فكره الله ذلك من دعائهم فاخذتهم الرجفة قال وهب لم تكن الرجفة صوتا ولكن القوم لما رأوا تلك الهيبة أخذتهم الرعدة وقلقوا ورجفوا حتى كادت أن تبين منهم مفاصلهم فلما رأى موسى ذلك رحمهم وخاف عليهم الموت واشتد عليه فقدهم وكانوا له وزراء على الخير سامعين مطيعين فعند ذلك دعا وبكى وناشد ربه فكشف الله عنهم تلك الرجفة فاطمأنوا وسمعوا كلام ربهم فذلك قوله عز وجل (قال) يعنى موسى (رب لو شئت اهلكتهم من قبل) يعنى عن عبادة العجل (وإياى) بقتل القبطى (اتهلكنا بما فعل السفهاء منا) يعنى عبدة العجل وظن موسى انهم عوقبوا باتخاذ بنى إسرائيل العجل وقال هذا على طريق السؤال يسأل أتهلكنا بفعل السفهاء وقال المبرد أتهلكنا بما فعل تلك السفهاء منا استعطاف أى لا تهلكنا وقد علم موسى عليه السلام أن الله تعالى أعدل من ان يأخذ بجريرة الجانى غيره قوله تعالى (إن هى إلا فتنتك) أى التى وقع فيها السفهاء لم تكن إلا اختبارك وابتلاءك أضللت بها قوما فافتتنوا وهديت قوما فعصمتهم حتى ثبتوا على

ربه وقع على جبهته نور ساطع لا يستطيع أحد من بنى آدم أن ينظر إليه فضرب دونه بالحجاب ودنا القوم حتى دخلوا فى الغمام ووقعوا سجودا فسمعوا الله وهو يكلم موسى يأمره وينهاه افعل ولا تفعل فلما فرغ من أمره انكشف عن موسى الغمام فاقبل اليهم فقالوا له لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فاخذتهم الصاعقة وهى الرجفة فماتوا جميعا فقام موسى يناشد ربه ويدعوه ويرغب إليه يقول رب لو شئت أهلكتهم من قبل وإياى وقال ابن عباس كان الله أمر موسى أن يختار من قومه سبعين رجلا فاختار سبعين رجلا فبرزهم ليدعوهم ربهم فكان فيما دعوا الله أن قالوا اللهم اعطنا مالم تعطه أحدا قبلنا ولا تعطه أحدا بعدنا فكره الله ذلك من دعائهم فاخذتهم الرجفة قال رب لو شئت أهلكتهم من قبل وإياى وقيل إنما أخذتهم الرجفة من أجل أنهم ادعوا على موسى أنه قتل هرون قال على بن أبى طالب انطلق موسى وهرون إلى سفح جبل فنام هرون على سرير فتوفاه الله فلما رجع موسى إلى بنى إسرائيل قالوا له أنت قتلته حسدتنا على خلقه ولينه وكان هرون حسن الخلق محببا فى بنى اسرائيل فقال لهم موسى اختاروا من شئتم فاختاروا سبعين رجلا فلما انتهوا اليه قالوا يا هرون من قتلك قال ما قتلنى أحد ولكن الله توفانى فاخذتهم الرجفة فجعل موسى يرجع يمينا وشمالا ويقول رب لو شئت اهلكتهم من قبل وإياى الاية فاحياهم الله عز وجل وقيل انما أخذتهم الرجفة لتركهم فراق عبدة العجل لا لانهم كانوا من عبدته قال ابن عباس انما تناولتهم الرجفة لانهم لم يزايلوا القوم حين نصبوا العجل وما كرهوا أن يجامعوهم عليه قال ابن جريج فلما خرجوا ودعوا الله أماتهم ثم أحياهم وقال مجاهد واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا الميقات الموعد فلما أخذتهم الرجفة بعد أن خرج موسى بالسبعين من قومه يدعون الله ويسألونه ان يكشف عنهم البلاء فلم يستجب لهم علم موسى انهم قد أصابوا من المعصية ما أصاب قومهم وقال محمد بن كعب القرظى لم يستجب لهم من أجل أنهم لم ينهوهم عن المنكر ولم يامروهم بالمعروف فاخذتهم الرجفة فماتوا ثم احياهم الله وقوله تعالى (فلما اخذتهم الرجفة) اصل الرجفة الاضطراب الشديد الذى يحصل معه التغيير والهلاك ولهذا اختلفوا فى تلك الرجفة التى حصلت لهؤلاء هل كان معها موت ام لا فمعظم الروايات التى تقدمت انهم ماتوا بسبب تلك الرجفة وقال وهب بن منبه لم تكن تلك الرجفة موتا ولكن القوم لما رأوا تلك الهيئة أخذتهم الرعدة وقلقوا ورجفوا حتى كادت ان تبين مفاصلهم فلما رأى موسى ذلك رحمهم وخاف عليهم الموت واشتد عليه فقدهم وكانوا له وزراء على الخير سامعين له مطيعين فعند ذلك دعا موسى وبكى وناشد ربه فكشف الله عنهم تلك الرجفة فاطمأنوا وسمعوا كلام الله فذلك قوله تعالى عما اخذتهم الرجفة (قال) يعنى موسى (رب) اى يا رب (لو شئت اهلكتهم من قبل) يعنى من قبل عبادتهم العجل (وإياى) وذلك انه خاف ان يتهمه بنو إسرائيل على السبعين إذا رجع اليهم وماهم معه ولم يصدقوه بانهم ماتوا فقال رب لو شئت اهلكتهم من قبل يعنى قبل خروجهم إلى الميقات وإياى معهم فكان بنو إسرائيل يعاتبون ذلك ولا يتهمونى (أتهلكنا بما فعل السفهاء منا) قال الفراء ظن موسى أنهم أهلكوا باتخاذ أصحاب العجل فقال اتهلكنا بما فعل السفهاء منا يعنى عبدة العجل وإنما اهلكوا بسبب مسئلتهم الرؤية وهى قولهم ارنا الله جهرة وهذا قول الكلبى وجماعة وقال جماعة من اهل العلم لا يجوز ان يظن موسى ان الله تبارك وتعالى يهلك قوما بذنوب غيرهم ولكن قوله اتهلكنا بما فعل السفهاء منا استفهام بمعنى الجحد أى لست تفعل ذلك وهذا قول الانبارى وقال المبرد هذا استفهام استعطاف أى لا تهلكنا (إن هى إلا فتنتك) قال الواحدى الكناية فى هى تعود إلى الفتنة كما تقول إن هو إلا زيد والمعنى ان

دينك فذلك هو معنى قوله (تضل بها من تشاء وتهدى من تشاء أنت ولينا) ناصرنا وحافظنا (فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين واكتب لنا) اوجب لنا (فى هذه الدنيا حسنة) النعمة والعافية (وفى الاخرة) اى وفى الاخرة حسنة أى المغفرة والجنة (إنا هدنا اليك) أى تبنا اليك (قال) الله تعالى (عذابى أصيب به من أشاء) من خلقى (ورحمتى وسعت) اى عمت (كل شىء) قال الحسن وقتادة وسعت رحمته فى الدنيا البر والفاجر وهى يوم القيامة للمتقين خاصة قال عطية العوفى وسعت كل شىء ولكن لا تجب إلا للذين يتقون وذلك ان الكافرين يرزقون، ويدفع عنهم بالمؤمنين لسعة رحمة الله للمؤمنين فيعيشون فيها فاذا صار إلى الآخرة وجبت للمؤمنين خاصة كالمستضىء بنار غيره إذا ذهب صاحب السراج بسراجه قال ابن عباس رضى الله عنهما وقتادة وابن جريج لما نزلت ورحمتى وسعت كل شىء قال ابليس انا من ذلك الشىء فقال الله سبحانه وتعالى (فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون) فتمناها اليهود والنصارى وقالوا نحن نتقى ونؤتى الزكاة ونؤمن فجعلها الله لهذه الامة فقال (الذين يتبعون الرسول النبى الامى) الاية قال نوف البكالى الحميرى لما اختار موسى سبعين رجلا قال الله تعالى لموسى أجعل لكم الأرض مسجدا وطهورا تصلون حيث أدركتكم الصلاة إلا عند مرحاض أو حمام أو قبر واجعل السكينة فى قلوبكم واجعلكم تقرؤون التوراة عن ظهر قلوبكم يقرؤها الرجل والمرأة والحر والعبد والصغير والكبير فقال ذلك موسى لقومه

تلك الفتنة التى وقع فيها السفهاء لم تكن إلا فتنتك أى اختبارك وابتلاؤك وهذا تأكيد لقوله أتهلكنا بما فعل السفهاء منا لان معناه لا تهلكنا بفعلهم فان تلك الفتنة كانت اختبارا منك وابتلاء اضللت بها قوما فافتتنوا وهديت قوما فعصمتهم حتى ثبتوا على دينك وهو المراد من قوله (تضل بها من تشاء وتهدى من تشاء) قال الواحدى وهذه الاية من الحجج الظاهرة على القدرية التى لا يبقى لهم معها عذر (انت ولينا يعنى انت يا ربنا ناصرنا وحافظنا وهذا يفيد الحصر اى لا ولى لنا ولا ناصر ولا حافظ إلا انت (فاغفر لنا) سأل موسى عليه الصلاة والسلام لنفسه ولقومه الغفران اما لنفسه فلقوله ان هى إلا فتنتك وهذا فيه اقدام على الحضرة المقدسة واما لقومه فلقولهم ارنا الله جهرة وفى هذا اقدام على الحضرة المقدسة فلهذا السبب سأل موسى عليه الصلاة والسلام الغفران له ولقومه (وارحمنا) اى واشملنا برحمتك التى وسعت كل شىء (وانت خير الغافرين) يعنى ان كل من سواك إنما يغفر الذنب طلبا للثناء الجميل او لدفع ضرر واما انت يا رب فتغفر ذنوب عبادك لا لطلب عوض ولا غرض بل لمحض الفضل والكرم فانت خير الغافرين * قوله تعالى (واكتب لنا فى هذه الدنيا حسنة وفى الاخرة) يعنى قال موسى فى دعائه واكتب لنا فى هذه الدنيا حسنة اى واجعلنا ممن كتبت له حسنة وهى ثواب الأعمال الصالحة وفى الاخرة اى واكتب لنا فى الاخرة مغفرة لذنوبنا (إنا هدنا اليك) قال ابن عباس معناه انا تبنا اليك وهذا قول جميع المفسرين واصل الهود الرجوع برفق قال بعضهم وبه سميت اليهود وكان اسم مدح قبل نسخ شريعتهم فلما نسخت شريعتهم صار اسم ذم وهو لازم لهم (قال) يعنى قال الله عز وجل لموسى عليه الصلاة والسلام (عذابى اصيب به من اشاء) يعنى من خلقى وليس لاحد على اعتراض لان الكل ملكى وعبيدى ومن تصرف فى خالص حقه فليس لاحد عليه اعتراض (ورحمتى وسعت كل شىء) يعنى ان رحمته سبحانه وتعالى عمت خلقه كلهم وقال بعضهم هذا من العام اريد به الخاص فرحمة الله عمت البر والفاجر فى الدنيا وهى للمؤمنين خاصة فى الاخرة وقيل هى للمؤمنين خاصة فى الدنيا والاخرة ولكن الكافر يرزق ويدفع عنه ببركة المؤمن لسعة رحمة الله فاذا كان يوم القيامة وجبت للمؤمنين خاصة قال جماعة من المفسرين لما نزلت ورحمتى وسعت كل شىء تطاول ابليس اليها وقال انا من ذلك الشىء فنزعها الله تعالى من ابليس فقال تعالى (فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون) فايس ابليس منها وقالت اليهود نحن نتقى ونؤتى الزكاة ونؤمن بآيات ربنا فنزعها الله من اليهود واثبتها لهذه الامة فقال تعالى الذين يتبعون الرسول النبى الامى الاية وقال نوف البكالى لما اختار موسى من قومه سبعين رجلا قال الله تعالى لموسى اجعل لك الارض مسجدا وطهورا تصلون حيث ادركتكم الصلاة إلا من عند مرحاض او حمام او قبر واجعل السكينة فى قلوبكم واجعلكم تقرؤن التوراة عن ظهر قلوبكم يقرؤها الرجل والمراة والحر والعبد والصغير والكبير فقال موسى ذلك لقومه فقالوا لا نريد ان نصلى إلا فى الكنائس ولا نستطيع حمل السكينة فى قلوبنا ولا نستطيع أن نقرأ التوراة عن ظهر قلوبنا ولا نريد أن نقراها الا نظرا قال الله تعالى فسأكتبها للذين يتقون إلى قوله مفلحون فجعلها الله تعالى لهذه الامة فقال موسى رب اجعلنى نبيهم قال نبيهم منهم قال اجعلنى منهم قال انك لن تدركهم قال موسى يا رب اتيتك بوفد بنى اسرائيل فجعلت وفادتنا لغيرنا فانزل الله تعالى ومن قوم موسى امة يهدون بالحق وبه يعدلون، فرضى موسى اما التفسير فقوله الذين يتقون يعنى الشرك وسائر ما نهوا عنه لان جميع التكاليف محصورة فى نوعين الاول التروك وهى الاشياء التى يجب على الانسان تركها والاحتراز عنها ولا يقربها واليه الاشارة بقوله تعالى للذين يتقون والثانى الافعال المامور بها وتلك الاعمال بدنية وقلبية اما البدنية فالها الاشارة بقوله ويؤتون الزكاة وهذه الاية وإن كانت فى حق المال لكن يختص البدن باخراجها والاعمال القلبية كالايمان والمعرفة واليها الاشارة بقوله تعالى الذين هم بآياتنا يؤمنون * قوله عز وجل (الذين يتبعون

فقالوا لا نريد أن نعمل إلا في السكينة ثم ولا نستطيع حمل السكينة في قلوبنا ولا نستطيع أن نقرأ التوراة عن ظهور قلوبنا ولا نريد ان نقرأها إلا نظرا فقال الله تعالى فساكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة إلى قوله اولئك هم المفلحون فجعلها الله لهذه الأمة فقال موسى عليه السلام يارب اجعلني منهم فقال إنك لن تدركهم فقال موسى عليه السلام يارب أتيتك بوفد بني إسرائيل فجعلت وفادتنا لغيرنا فأنزل الله تعالى ومن قوم موسى امة يهدون بالحق وبه يعدلون فرضي موسى قوله تعالى الذين يتبعون الرسول النبي الامي وهو محمد صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس رضي الله عنهما هو نبيكم كان أميا لا يكتب ولا يقرأ ولا يحسب وقال النبي صلى الله عليه وسلم إنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب وهو منسوب إلى الام اى هو على ما ولدته امه (٢٤٤) وقيل هو منسوب إلى امته اصله امتي وسقطت التاء في النسبة كما سقطت في المكي والمدني وقيل هو منسوب إلى أم القرى وهي مكة (الذي يجدونه) أي يجدون صفته ونعته ونبوته (مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل) اخبرنا عبد الواحد المليحي أنا احمد ابن عبد الله النعيمي انا محمد بن يوسف حدثنا محمد اسمعيل حدثنا محمد بن سنان حدثنا فليح حدثنا هلال عن عطاء ابن يسار قال لقيت عبد الله ابن عمرو بن العاص فقلت أخبرني عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في التوراة قال اجل والله انه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن يا أيها النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرزا للامين أنت عبدي ورسولي سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب في الاسواق ولا يدفع بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويغفر ويصفح ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بان يقولوا لا اله الا الله ويفتح به أعينا عميا وآذانا صما وقلوبا غلفا تابعه عبد العزيز بن أبي سلمة وقال سعيد عن هلال عن عطاء عن ابن سلام أخبرنا الامام وأخبارهم الحسين بن محمد القاضي انا ابو العباس عبد الله بن محمد بن هرون الطيسفوني انا ابو الحسن محمد بن احمد الترابي انا ابو بكر احمد بن محمد بن عمر بن بسطام انا ابو الحسن احمد بن سيار الفرشي حدثنا عبد الله بن عثمان عن أبي حمزة عن الأعمش عن أبي صالح عن عبد الله بن ضمرة عن كعب قال اني أجد في التوراة مكتوبا محمد رسول الله لا فظ ولا غليظ ولا سخاب في الاسواق ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح أمته الحامدون يحمدون الله في كل منزلة ويكبرونه على كل نجد يأتزرون على انصافهم ويوضؤون أطرافهم صفهم في الصلاة وصفهم في القتال سواء مناديهم ينادي في جو السماء لهم في جوف الليل دوي كدوي النحل مولده بمكة ومهاجره بطيبة وملكه بالشام

الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والأنجيل) ذكر الامام فخر الدين الرازي في معنى هذه التبعية وجهين احدهما ان المراد بذلك ان يتبعوه باعتقاد نبوته من حيث وجدوا صفته في التوراة إذ لا يجوز أن يتبعوه في شرائعه قبل أن يبعث إلى الخلق وفي قوله الانجيل أن المراد وسيجدونه مكتوبا في الانجيل لان من المحال ان يجده فيه قبل ما انزل الله الانجيل الوجه الثاني ان المراد من لحق من بني إسرائيل زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم فبين تعالى ان هؤلاء اللاحقين لا يكتب لهم رحمة الاخرة إلا إذا اتبعوه قال وهذا القول اقرب لان اتباعه قبل ان يبعث لا يمكن فبين بهذه الاية ان هذه الرحمة لا يفوز بها من بني اسرائيل إلا من اتقى وآتى الزكاة وآمن بآيات الله في زمن موسى عليه الصلاة والسلام ومن كانت هذه صفته في ايام رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان مع ذلك متعبا للنبي صلى الله عليه وسلم في شرائعه فعلى هذين الوجهين يكون المراد بقوله الذين يتبعون الرسول من بني اسرائيل خاصة وجمهور المفسرين على خلاف ذلك فانهم قالوا المراد بهم جميع امته الذين آمنوا به واتبعوه سواء كانوا من بني إسرائيل او غيرهم واجمع المفسرون على ان المراد بالرسول محمد صلى الله عليه وسلم وصفه بكونه رسولا لانه الواسطة بين الله وبين خلقه المبلغ رسالته واوامره ونواهيه وشرائعه إليهم ثم وصفه بكونه نبيا وهذا ايضا من أعلى المراتب واشرفها وذلك يدل على انه رفيع الدرجات عند الله المخبر عنه ثم وصفه بالامي قال ابن عباس هو نبيكم صلى الله عليه وسلم كان اميا لا يكتب ولا يقرا ولا يحسب قال الزجاج في معنى الامي هو الذي على صفة امة العرب لان العرب أكثرهم لا يكتب ولا يقرأ ولا يحسب فالنبي صلى الله عليه وسلم كان كذلك فلهذا وصفه الله تعالى بكونه اميا وصح في الحديث انه صلى الله عليه وسلم قال نحن امة امية لا نكتب ولا نحسب قال أهل التحقيق وكونه صلى الله عليه وسلم كان أميا من اكبر معجزاته واعظمها وبيانه أنه صلى الله عليه وسلم اتى بهذا الكتاب العظيم الذي اعجزت الخلائق فصاحته وبلاغته وكان يقرؤه عليهم بالليل والنهار من غير زيادة فيه ولا نقصان منه ولا تغيير فدل ذلك على معجزته وهو قوله تعالى سنقرئك فلا تنسى وقيل انه لو كان يحسن الكتابة ثم انه اتى بهذا القرآن العظيم لكان متهما فيه لاحتمال انه كتبه ونقله من غيره فلما كان اميا وأتى بهذا القرآن العظيم الذي فيه علم الاولين والاخرين والمغيبات دل ذلك على كونه معجزة له صلى الله عليه وسلم وايضا فان الكتابة تعين الانسان على الاشتغال بالعلوم وتحصيلها ثم انه اتى بهذه الشريعة الشريفة والآداب الحسنة مع علوم كثيرة وحقائق دقيقة من غير مطالعة كتب ولا اشتغال على احد فدل ذلك على كونه معجزة له صلى الله عليه وسلم وقيل في معنى الأمي الذي هو منسوب إلى امه كان لم يخرج بعد عما ولدته عليه وقيل سمي أميا لانه منسوب الى أم القرى وهي مكة وقوله تعالى الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل يعني يجدون صفته ونعته ونبوته ومكتوبا عندهم يعرفها علماؤهم

وأحبارهم ولكنهم كتموا ذلك وبدلوه وغيروه حسدا منهم له وخوفا على زوال رياستهم وقد حصل لهم ما كانوا يخافونه فقد زالت رياستهم ووقعوا فى الذل والهوان (خ) عن عطاء بن يسار قال لقيت عبد الله ابن عمرو بن العاص فقلت أخبرنى عن صفة رسول الله فى التوراة فقال أنه لموصوف فى التوراة ببعض صفته فى القرآن يا أيها النبى إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرزا للاميين انت عبدى ورسولى سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب فى الأسواق ولا يدفع بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويغفر لن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا لا إله إلا الله ويفتح به أعينا عميا وآذانا صما وقلوبا غلفا (صريح غريب ألفاظ الحديث) الفظ السيء الخلق والغليظ الجافى القاسى وقوله سخاب بالسين والصاد وهو كثير الصياح فى الأسواق والإعوجاج ضد الاستقامة وأراد بالملة العوجاء الكفر والكلب الاغلف الذى لا يصل إليه شىء ينفعه شبهه بالأغلف كانه فى غلاف وروى البغوى بسنده عن كعب الأحبار قال انى أجد فى التوراة مكتوبا محمد رسول الله لا فظ ولا غليظ ولا سخاب فى الأسواق ولا يجزى بالسيئة ولكن يعفو ويصفح أمته الحامدين يحمدون الله فى كل منزلة ويكبرونه على كل نجد يأتزرون على انصافهم ويغضون أطرافهم صفهم فى الصلاة وصفهم فى القتال سواء مناديهم ينادى فى جو السماء لهم فى جوف الليل دوى كدوى النحل مولده بمكة ومهاجره بطيبة وملكه بالشام ، وقوله تعالى (يأمرهم بالمعروف) يعنى بالايمان وتوحيد الله (وينهاهم عن المنكر) يعنى عن الشرك بالله وقيل بالمعروف ما عرف فى الشريعة والسنة والمنكر ما لا يعرف فى شريعة ولا سنة وقال عطاء يأمرهم بالمعروف بمخلع الانداد وبمكارم الأخلاق وصلة الأرحام وينهاهم عن المنكر عن عبادة الأوثان وقطع الارحام (ويحل لهم الطيبات) يعنى بذلك ما كان محرما عليهم فى التوراة من الطيبات وهو لحوم الابل وشحم الغنم والمعز والبقر وقيل هو ما كانوا يحرمونه على أنفسهم فى الجاهلية من البحائر والسوائب والوصائل والحوامى وقيل هى المستلذات التى تستطيبها الأنفس (ويحرم عليهم الخبائث) قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما يريد الميتة والدم ولحم الخنزير وقيل هو كل يستخبثه الطبع وتستقذره الأنفس فان الاصل فى المضار الحرمة إلا ماله دليل متصل بالحل (ويضع عنهم إصرهم) يعنى ثقلهم واصل الاصر الثقل الذى يأصر صاحبه أى يحبسه عن الحركة لثقله والمراد بالاصر هنا العهد والميثاق الذى أخذ على بنى إسرائيل ان يعملوا بما فى التوراة من الاحكام فكانت تلك الشدائد (والاغلال التى كانت عليهم) يعنى ويضع الاثقال والشدائد التى كانت عليهم فى الدين والشريعة وذلك مثل قتل النفس فى التوبة وقطع الاعضاء الخاطئة وقرض النجاسة عن البدن بالمقراض وتعيين القصاص فى القتل وتحريم أخذ الدية وترك العمل فى السبت وأن صلاتهم لا تجوز إلا فى الكنائس وتتبع العروق فى اللحم وغير ذلك من الشدائد التى كانت على بنى إسرائيل شبهه بالاغلال مجازا لان التحريم يمنع من الفعل كما أن الغل يمنع من الفعل وقيل شبهت بالاغلال التى تجمع اليد إلى العنق كما أن اليد لا تمتد مع وجود الغل فكذلك لا تمتد إلى الحرام الذى نهيت عنه وكانت هذه الاثقال فى شريعة موسى عليه الصلاة والسلام فلما جاء محمد عليه الصلاة والسلام نسخ ذلك كله ويدل عليه قوله عليه الصلاة والسلام بعثت بالحنيفة السمحة (فالذين آمنوا به) يعنى بمحمد عليه الصلاة والسلام (وعزروه) يعنى وقروه وعظموه وأصل التعزير المنع والنصرة وتعزير النبى ﷺ تعظيمه واجلاله ودفع الاعداء عنه وهو قوله (ونصروه) يعنى على أعدائه (واتبعوا النور الذى انزل معه) يعنى القرآن سمى القرآن نورا لان به يستنير قلب المؤمن فيخرج به من ظلمات الشك والجهالة إلى ضياء اليقين والعلم (أولئك هم المفلحون) يعنى هم الناجون والفائزون بالهداية ، قوله تعالى (قل يا أيها الناس إنى رسول الله إليكم جميعا) الخطاب للنبى ﷺ أى قل يا محمد للناس إنى رسول الله إليكم جميعا لا إلى بعضكم دون بعض فى الاية دليل على عموم رسالته إلى كافة الخلق لان قوله يا أيها الناس خطاب عام يدخل فيه جميع

يعرف فى شريعة ولا سنة وقال عطاء يأمرهم بالمعروف بمخلع الانداد ومكارم الأخلاق وصلة الأرحام وينهاهم عن المنكر عن عبادة الأوثان وقطع الأرحام (ويحل لهم الطيبات) يعنى ما كانوا يحرمونه فى الجاهلية من البحيرة والسائبة والوصيلة والحام (ويحرم عليهم الخبائث) يعنى الميتة والدم ولحم الخنزير والزنا وغيرها من المحرمات (ويضع عنهم إصرهم) قرأ ابن عامر آصارهم بالجمع والاصر كل ما يثقل على الانسان من قول أو فعل قال ابن عباس والحسن والضحاك والسدى ومجاهد يعنى العهد الثقيل كان أخذ على بنى إسرائيل بالعمل بما فى التوراة وقال قتادة يعنى التشديد الذى كان عليهم فى الدين (والاغلال) يعنى الأثقال التى كانت عليهم وذلك مثل قتل النفس فى التوراة وقطع الأعضاء الخاطئة وقرض النجاسة عن الثواب بالمقراض وتعيين القصاص فى القتل وتحريم أخذ الدية وترك العمل فى السبت وأن صلاتهم لا تجوز إلا فى الكنائس وغير ذلك من

الناس ثم أمره الله عز وجل بأن يقول إنى رسول الله اليكم جميعا وهذا يقتضى كونه مبعوثا إلى جميع الناس (ق) عن جابر قال قال رسول الله ﷺ أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلى كان كل نبى يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى كل أحمر وأسود وأحلت لى الغنائم ولم تحل لأحد قبلى وجعلت لى الأرض طيبة وطهورا ومسجدا فايما رجل أدركه الصلاة صلى حيث كان ونصرت بالرعب على العدو بين يدى مسيرة شهر وأعطيت الشفاعة وفى رواية أعطيت خمسا لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلى نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لى الأرض مسجدا وطهورا فأيما رجل من أمتى أدركته الصلاة فليصل وأحلت لى الغنائم ولم تحل لأحد من قبلى وأعطيت الشفاعة وكان النبى يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة وقوله فى الرواية الأولى وبعثت إلى كل أحمر وأسود قيل أراد بالأحمر العجم وبالأسود العرب وقيل أراد بالأحمر الأنس وبالأسود الجن فعلى هذا تكون رسالته ﷺ عامة إلى كافة الخلق من الانس والجن (م) عن ابى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال فضلت على الأنبياء بستة أعطيت جوامع الكلم ونصرت بالرعب وأحلت لى الغنائم وجعلت لى الأرض مسجدا وطهورا وأرسلت إلى الخلق كافة وختم بى النبيون * وقوله تعالى (الذى له ملك السموات والارض) لما امر الله عز وجل رسوله محمدا ﷺ بأن يقول يا أيها الناس إنى رسول الله اليكم جميعا أردفه بما يدل على صحة دعواه يعنى أن الذى له ملك السموات والارض وهو مدبرهما ومالك أمرهما هو الذى أرسانى اليكم وأمرنى بأن أقول لكم انى رسول الله اليكم جميعا (لا إله إلا هو يحيى ويميت) وصف الله نفسه بالالهية وإنه لا شريك له فيها وإنه القادر على إحياء خلقه وأماتتهم ومن كان كذلك فهو القادر على إرسال الرسل إلى خلقه (فآمنوا بالله ورسوله) لما أمر الله رسوله محمدا ﷺ بأن يقول للناس إنى رسول الله إليكم جميعا أمر الله جميع خلقه بالايمان به وبرسوله وذلك لان الايمان بالله هو الاصل والايمان برسوله فرع عنه فلهذا بدأ بالايمان بالله ثم ثنى بالايمان برسوله فقال فامنوا بالله ورسوله ثم وصفه الله تعالى (النبى الامى) تقدم معناهما (الذى يؤمن بالله وكلماته) قال قتادة يعنى آياته وهو القران وقال مجاهد والسدى أراد بكلماته عيسى بن مريم لانه خلق بقوله كن فكان وقيل هو على العموم يعنى يؤمن بجميع كلمات الله تعالى (واتبعوه) يعنى واقتدوا به أيها الناس فيما يامركم به وينهاكم عنه وقيل المتابعة على قسمين متابعة فى الاقوال ومتابعة فى الافعال أما المتابعة فى الاقوال فبان يمتثل التابع جميع ما أمره به المتبوع على طريق الامر والنهى والترغيب والترهيب واما المتابعة فى الافعال فبان يقتدى به جميع أفعاله وأدابه إلا ما خص به رسول الله ﷺ وثبت بالدليل انه من خصائصه فلا متابعة فيه وقوله تعالى (لعلكم تهتدون) يعنى لكى تهتدوا وترشدوا وتصيبوا الحق والصواب فى متابعتكم إياه * قوله عز وجل (ومن قوم موسى) يعنى من بنى اسرائيل (أمة) أى جماعة (يهدون بالحق) يعنى يهتدون بالحق ويستقيمون عليه ويعملون به ويرشدون إليه (وبه يعدلون) يعنى وبالحق يحكمون وبالعدل يأخذون ويعطون ويتصفون واختلفوا فى هؤلاء من هم فقيل هم الذين أسلموا من بنى إسرائيل مثل عبد الله بن سلام وأصحابه فانهم امنوا بموسى والتوراة وامنوا بمحمد ﷺ والقران واعترض على هذا بانهم كانوا قليلين ولفظ الأمة يقتضى الكثرة وأجيب عنه بانهم لما كانوا مخلصين فى الدين جاز اطلاق لفظ الأمة عليهم كما فى قوله ان إبراهيم كان امة وقيل هم قوم بقوا على الدين الحق الذى جاء به موسى عليه الصلاة والسلام قبل التحريف والتبديل ودعوا الناس إليه وقال السدى وابن جريج وجماعة من المفسرين ان بنى إسرائيل لما قتلوا انبياءهم وكفروا وكانوا اثنى عشر سبطا تبرا اسبط منهم مما صنعوا واعتذروا وسالوا الله ان يفرق بينهم وان يبعدهم عنهم ففتح الله لهم نفقا فى الارض فساروا فيه حتى خرجوا من وراء الصين فهم هناك حنفاء مسلمون يستقبلون قبلتنا قال ابن جريج قال ابن عباس ساروا فى السرب سنة ونصفا ورواه الطبرى وحكى البغوى عن الكلبى والضحاك والربيع قالوا هم قوم خلف الصين باقصى الشرق على نهر يسمى نهر الأردن

وهى القران وقال مجاهد والسدى يعنى عيسى بن مريم ويقرأ كلمته القاها إلى مريم (واتبعوه لعلكم تهتدون) قوله عز وجل (ومن قوم موسى) يعنى من بنى إسرائيل (امة) أى جماعة (يهدون بالحق) أى يرشدون ويدعون إلى الحق وقيل معناه يهتدون ويستقيمون عليه (وبه يعدلون) أى بالحق يحكمون وبالعدل يقومون قال الكلبى والضحاك والربيع هم قوم خلف الصين باقصى الشرق على نهر مجرى الرمل يسمى نهر الأردن ليس لأحد منهم مال دون صاحبه يمطرون بالليل ويسقمون بالنهار ويزرعون لا يصل إليهم منا احد وهم على دين الحق وذكر ان جبرائيل عليه السلام ذهب بالنبى ﷺ ليلة اسرى به إليهم فكلمهم فقال لهم جبريل هل تعرفون من تكلمون قالوا لا فقال لهم هذا محمد النبى الأمى فامنوا به فقالوا يا رسول الله ان موسى اوصانا ان من ادرك منكم احمد فليقرأ عليه منى السلام فرد النبى ﷺ على موسى وعليهم ثم اقراهم عشر سور من القران نزلت بمكة وأمرهم بالصلاة والزكاة وامرهم ان يقيموا مكانهم وكانوا يسبتون فامرهم أن يجمعوا ويتركوا السبت وقيل هم الذين اسلموا من اليهود فى زمن النبى ﷺ والأول اصح

قوله عز وجل (وقطعناهم) أي فرقناهم يعني بني اسرائيل (اثنتي عشرة أسباطا أمما) قال الفراء إنما قال اثنتي عشرة والسبط مذكر لأنه قال أمما فرجع التأنيث إلى الأمم وقال الزجاج المعنى وقطعناهم اثنتا عشرة فرقة أمما وإنما قال أسباطا أمما بالجمع وما فوق العشرة لا يفسر بالجمع فلا يقال أتاني اثنا عشر رجالا لان الاسباط في الحقيقة نعت المفسر المحذوف وهو الفرقة أي وقطعناهم اثنتي عشرة فرقة أمما وقيل فيه تقديم وتأخير تقديرها وقطعناهم أسباطا أمما اثنتي عشرة والاسباط القبائل واحدها سبط قوله تعالى (وأوحينا إلى موسى إذ استسقاه قومه) في التيه (أن اضرب بعصاك الحجر فانبجست) انفجرت وقال أبو عمرو ابن العلاء عرقت وهو الانبجاس ثم انفجرت (منه اثنتا عشرة عينا) لكل سبط عين (قد علم كل أناس) كل سبط (مشربهم) وكل سبط بنو أب واحد قوله تعالى (وظللنا عليهم الغمام) في التيه تقيهم حر الشمس (وأنزلنا عليهم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون وإذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية وكلوا منها حيث شئتم وقولوا حطة وادخلوا الباب سجدا نغفر لكم) قرأ أهل المدينة وابن عامر ويعقوب تغفر بالتاء وضمها وفتح الفاء وقرأ الآخرون بالنون وفتحها وكسر الفاء (خطيئاتكم) قرأ ابن عامر خطيئتكم على التوحيد ورفع التاء وقرأ أبو عمر وخطاياكم وقرأ أهل المدينة ويعقوب خطيئاتكم بالجمع ورفع التاء وقرأ الآخرون بالجمع وكسر التاء بالجمع

الأردن ليس لاحد منهم مال دون صاحبه يمطرون بالليل ويضحون بالنهار ويزرعون ولا يصل اليهم أحد منا وهم على الحق وذكرنا ان جبريل ذهب بالنبي ﷺ ليلة الاسراء به فكلمهم فقال جبريل هل تعرفون من تكلمون قالوا لا قال هذا محمد النبي الامي فآمنوا به وقالوا يا رسول الله ان موسى أوصانا أن من أدرك منكم أحمد فليقرأ مني عليه السلام فرد رسول الله ﷺ على قوم موسى وأقرأهم عشر سور من القرآن نزلت عليه بمكة وأمرهم بالصلاة والزكاة وأمرهم أن يقيموا مكانهم وكانوا يسبتون فأمرهم أن يجمعوا ويتركوا السبت وهذه الحكاية ضعيفة من وجوه الأول قولهم أن أحدا منا لا يصل اليهم وإذا كان كذلك فمن ذا الذي أوصل خبرهم الينا الوجه الثاني قولهم ان جبريل ذهب بالنبي ﷺ ليلة الاسراء به وهذا لم يرد به نقل صحيح ولا رواه أحد من أئمة الحديث ولا يلتفت إلى قول الاخباريين والقصاص في ذلك الوجه الثالث قولهم أنهم بلغوا النبي ﷺ سلام موسى وقد صح في حديث المعراج أنه سلم عليه في السماء السادسة وأيضا قولهم وأقرأهم عشر سور وقد نزل عليه بمكة أكثر من ذلك وكان فرض الزكاة بالمدينة فكيف يأمرهم بها قبل فرضيتها فاذا ثبت بما ذكرناه بطلان هذه الرواية فالمختار في تفسير هذه الآية أنها اما أن تكون نزلت في قوم كانوا متمسكين بدين موسى قبل التبديل والتغيير ثم ماتوا وهم على ذلك واما أن تكون قد نزلت فيمن أسلم من اليهود على عهد رسول الله ﷺ كعبد الله بن سلام وأصحابه والله أعلم بمراده * قوله تعالى (وقطعناهم) يعني وفرقنا بني إسرائيل (اثنتي عشرة أسباطا) يعني من أولاد يعقوب لان يعقوب هو اسرائيل وأولاده الاسباط وكانوا اثني عشر ولدا (أمما) يعني جماعات وقبائل (وأوحينا إلى موسى إذ استسقاه قومه) يعني في التيه (ان اضرب بعصاك الحجر فانبجست) يعني فانفجرت وقيل عرقت وهو الانبجاس (منه) أي من الحجر (اثنتي عشرة عينا) يعني لكل سبط عين (قد علم كل اناس مشربهم) يعني لا يدخل سبط على سبط في مشربهم (وظللنا عليهم الغمام) يعني في التيه يقيهم حر الشمس (وأنزلنا عليهم المن) هو الترنجبين (والسلوى) جنس من الطير جعل الله ذلك طعاما لهم في التيه (كلوا من طيبات ما رزقناكم) أي وقلنا كلوا (وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) في الكلام حذف ترك ذكره للاستغناء عنه ودلالة الكلام عليه تقديره كلوا من طيبات ما رزقناكم فاجمعوا ذلا وسئموه وقالوا لن نصبر على طعام واحد وسألوه غيره لان المكلف إذا أمر بشيء فتركه وعدل عنه إلى غيره يكون عاصيا بفعله ذلك فهذا قال وما ظلمونا يعني وما أدخلوا علينا في ملكنا وسلطاننا نقصا بمسئلتهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون يعني بمخالفتهم ما أمروا به وقد تقدم بسط الكلام على هذه الآية في سورة البقرة * وقوله تعالى (وإذ قيل لهم) يعني واذكر يا محمد لقومك إذ قيل لهم يعني لبني إسرائيل (اسكنوا هذه القرية) يعني بيت المقدس وقال في سورة البقرة ادخلوا هذه القرية ولا منافاة بينهما لان كل ساكن في موضع لا بد له من الدخول اليه (وكلوا منها حيث شئتم) يعني وكلوا من ثمار القرية وزروعها وحبوبها وبقولها حيث شئتم وأين شئتم وقال في البقرة فكلوا بالفاء وهنا بالواو والفرق بينهما أن الدخول حالة مقتضية للاكل عقبه فيحسن دخول الفاء التي هي للتعقيب ولما كانت السكنى حالة استمرار حسن دخول الواو عقب السكنى فيكون الاكل حاصلا متى شاء وإنما قال في سورة البقرة رغدا ولم يقله هنا لان الاكل عقب الدخول ألذ وأكمل فاما الاكل مع السكنى والاستمرار فليس كذلك فحسن دخول لفظة رغدا هناك بخلافه هنا (وقولوا حطة) أي حط عنا ذنوبنا (وادخلوا الباب سجدا) وقال في البقرة عكس هذا اللفظ ولا منافاة في ذلك لان المقصود من ذلك تعظيم امر الله واظهار الخضوع والخشوع له فلم يتفاوت الحال بسبب التقديم والتأخير (نغفر لكم خطيئاتكم)

(سنزيد المحسنين فبدل الذين ظلموا منهم قولا غير الذى قيل لهم فأرسلنا عليهم رجزا) عذابا (من السماء بما كانوا يظلمون) قوله تعالى (واسألهم عن القرية التى كانت حاضرة البحر) أى سل يا محمد هؤلاء اليهود الذين هم جيرانك سؤال توبيخ وتقريع عن القرية التى كانت حاضرة البحر أى بقربه قال ابن عباس هى قرية يقال لها ايلة بين مدين والطور على شاطئ البحر وقال الزهرى هى طبرية الشام (إذ يعدون فى السبت) اى يظلمون فيه ويجاوزون امر الله تعالى بصيد السمك (إذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا) أى ظاهرة على الماء كثيرة جمع شارع وقال الضحاك متتابعة وفى القصة انها كانت تاتيهم يوم السبت مثل الكباش السمان البيض (ويوم لا يسبتون لا تاتيهم) قرأ الحسن يوم لا يسبتون بضم الياء اى لا يدخلون فى السبت والقراءة المعروفة بنصب الياء ومعناه لا يعظمون السبت (كذلك نبلوهم) نختبرهم (بما كانوا يفسقون) فوسوس اليهم الشيطان وقال ان الله لم ينهاكم عن الاصطياد إنما نهاكم عن الاكل فاصطادوا وقيل وسوس اليهم انكم إنما نهيتم عن الاخذ فاتخذوا حياضا على شاطىء البحر تسوقون الحيتان اليها يوم السبت ثم تاخذونها يوم الاحد ففعلوا ذلك زمانا ثم تجرؤا على السبت وقالوا ما نرى السبت الا قد احل لنا فاخذوا واكلوا وباعوا فصار أهل القرية اثلاثا وكانوا نحوا من سبعين الفا ثلث نهوا وثلث لم ينهوا وسكتوا وقالوا لم تعظون قوما الله مهلكهم ومعذبهم عذابا شديدا قالوا معذرة إلى ربكم ولعلهم يتقون فلما لم ينتهوا قال الناهون لا نساكنكم فى قرية واحدة فقسموا القرية بجدار للمسلمين باب وللمعتدين باب ولعنهم داود فاصبح الناهون ذات يوم ولم يخرج من المعتدين احد فقالوا ان لهم لشانا لعل الخمر غلبتهم فتسوروا الجدار واستراقوا عليهم فاذا كلهم صاروا قردة وخنازير فعرفت القردة أنسابها من الانس ولم تعرف الانس انسابها من القردة

غفران ذنوبهم سواء كانت قليلة أو كثيرة إذا أتوا بالدعاء والتضرع (سنزيد المحسنين) وقال فى سورة البقرة وسنزيد بالواو ومعناه أنه قد وعد المسيئين بالغفران وبالزيادة للمحسنين من الثواب وإسقاط الواو لا يخل بهذا المعنى لانه استئناف مرتب على تقدير قول القائل وماذا بعد الغفران فقيل له سنزيد المحسنين (فبدل الذين ظلموا منهم قولا غير الذى قيل لهم) يعنى فغير الذين ظلموا أنفسهم بمخالفة أمرنا من بنى إسرائيل فقالوا قولا غير الذى قيل لهم وأمروا به وذلك أنهم أمروا أن يقولوا حطة فقالوا احنطة فى شعيرة فكان ذلك تبديلهم وتغييرهم (فارسلنا عليهم رجزا من السماء) يعنى بعثنا عليهم عذابا من السماء فاهلكهم ولا منافاة بين قوله تعالى هنا أرسلنا وبين قوله فى سورة البقرة أنزلنا لانهما لا يكونان إلا من أعلى إلى أسفل وقيل بينهما فرق وهو أن الانزال لا يشعر بالكثرة والارسال يشعر بذلك فكانه تعالى بدأ بانزال العذاب قليلا ثم أرسله عليهم كثيرا (بما كانوا يظلمون) يعنى إرسال العذاب عليهم بسبب ظلمهم ومخالفتهم أمر الله وقال فى البقرة بما كانوا يفسقون والجمع بينهما انهم لما ظلموا أنفسهم بما غيروا وبدلوا فسقوا بذلك وخرجوا عن طاعة الله تعالى وقد تقدمت هذه القصة أيضا فى تفسير سورة البقرة قوله عز وجل (واسألهم عن القرية التى كانت حاضرة البحر) الخطاب للنبى ﷺ أى سل يا محمد هؤلاء اليهود الذين هم جيرانك عن حال أهل القرية وهذا السؤال سؤال توبيخ وتقريع لا سؤال استفهام لانه عليه الصلاة والسلام كان قد علم حال أهل هذه القرية بوحى الله عز وجل اليه واخباره اياهم بحالهم وإنما المقصود بهذا السؤال تقريع اليهود على إقدامهم على الكفر والمعاصى قديما وإن اصرارهم على الكفر بمحمد ﷺ وإنكار نبوته ومعجزاته ليس بشىء قد حدث منهم فى زمانه بل إصرارهم على الكفر كان حاصلا لاسلافهم فى قديم الزمان وفى الاخبار بهذه القصة معجزة للنبى ﷺ لانه كان أميا لا يقرأ الكتب القديمة ولم يعرف أخبار الأولين ثم أخبرهم بما جرى لاسلافهم فى قديم الزمان وانهم بسبب مخالفتهم أمر الله عز وجل مسخوا قردة وخنازير واختلفوا فى هذه القرية فقال ابن عباس[1] هى قرية بين مصر والمدينة والمغرب وقيل بين مدين والطور على شاطىء البحر وقال الزهرى هى طبرية الشام وفى رواية عن ابن عباس قال هى مدين وقال وهب وهى ما بين مدين وعيون يعنى القرية التى كانت على ساحل البحر وقريبة منه (إذ يعدون فى السبت) يعنى بتجاوز حد الله فيه وما امرهم به من تعظيمه فخالفوا أمر الله وصادوا فيه السمك (إذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا) يعنى ظاهرة على الماء كثيرة وقال الضحاك تأتيهم متتابعة يتبع بعضها بعضا وقيل كانت تاتيهم يوم السبت مثل الكباش البيض السمان (ويوم لا يسبتون لا تأتيهم) يعنى الحيتان (كذلك نبلوهم) يعنى مثل هذا الاختبار الشديد نختبرهم ونحن أعلم بحالهم (بما كانوا يفسقون) يعنى أن ذلك الابتلاء والاختبار بسبب فسقهم وخروجهم عن طاعة الله وما أمروا به قال أهل التفسير أن اليهود أمروا بيوم الجمعة فتركوه واختاروا السبت فابتلوا به وهو أن الله أمرهم بتعظيمه ونهاهم عن العمل فيه وحرم عليهم فيه الصيد فلما أراد الله أن يبتليهم كانت الحيتان تظهر لهم فى يوم السبت ينظرون إليها فى البحر فلما انقضى السبت ذهبت فلم تر إلى السبت المقبل فلما ابتلوا به وسوس إليهم الشيطان وقال ان الله لم ينهكم عن الاصطياد وإنما نهاكم عن الاكل فاصطادوا وقيل انه وسوس اليهم انكم إنما نهيتم عن الأخذ فاتخذوا حياضا على ساحل البحر وسوقوا اليها الحيتان يوم السبت فاذا كان يوم الأحد أخذوها ففعلوا ذلك زمانا ثم انهم تجرؤا على السبت وقالوا

(١) قوله هى قرية بين مصر والمدينة والمغرب فى نسخة هى ايلة بين مصر والمدينة والعرب تسمى المدينة قرية وقال الزهرى الخ اه

فجعلت القردة تأتى انسابها من الإنس فتشم ثيابه وتبكى فيقول ألم ننهكم فتقول برأسها نعم فنجا إلا الذين نهوا وهلك سائرهم قوله تعالى (وإذ قالت امة منهم لم تعظون قوما الله مهلكهم) اختلفوا فى الذين قالوا هذا قيل كانوا من الفرقة الهالكة وذلك انهم لما قيل لهم انتهوا عن هذا العمل السيء قبل أن ينزل بكم العذاب فانا نعلم ان الله منزل بكم بأسه إن لم تنتهوا اجابوا وقالوا لم تعظون قوله الله مهلكهم (أو) علمتم انه (معذبهم عذابا شديدا قالوا) أى قال الناهون (معذرة) اى موعظتنا معذرة (إلى ربكم) قرأ حفص معذرة بالنصب أى نفعل ذلك معذرة إلى ربكم والاصح أنها من قول الفرقة الساكتة قالوا لم تعظون قوما الله مهلكهم قالوا معذرة إلى ربكم ومعناه ان الأمر بالمعروف واجب علينا فعلينا موعظة هؤلاء عذرا إلى الله (ولعلهم يتقون) اى يتقون الله ويتركون المعصية ولو كان الخطاب مع المعتدين لكان يقول ولعلكم تتقون (فلما نسوا ماذكروا به) اى تركوا ما وعظوا به (أنجينا الذين ينهون عن السوء واخذنا الذين ظلموا يعنى الفرقة العاصية (بعذاب بئيس) اى شديد وجميع من البأس وهو الشدة واختلف القراء فيه فقرأ أهل المدينة وابن عامر بئس بكسر الباء على وزن فعل إلا ان ابن عامر يهمزه وابو جعفر ونافع لايهمزان وقرأ عاصم فى رواية ابى بكر بفتح الباء وسكون الياء وفتح الهمزة على وزن فيعل مثل صيقل وقرأ الآخرون على وزن فعيل مثل بعير وصغير (بما كانوا يفسقون) قال ابن عباس رضى الله عنهما نسمع الله يقول انجينا الذين ينهون عن السوء واخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس فلا ادرى مافعل بالفرقة الساكتة قال عكرمة

ما نرى السبت إلا قد حل لنا فاصطادوا فيه واكلوا وباعوا وصاروا أهل القرية أحزابا ثلاثة وكانوا نحوا من سبعين الفا فثلث نهوا عن الاصطياد وثلث سكتوا ولم ينهوهم قالوا للناهين لم تعظون قوما الله مهلكهم وثلث هم اصحاب الخطيئة الذين خالفوا امر الله واصطادوا واكلوا وباعوا فلم ينتهوا عما هم فيه من المعصية قال الناهون لا نساكنكم فى قرية واحدة فقسموا القرية بينهم بجدار للناهين باب يدخلون ويخرجون منه وللعاصين باب ولعنهم داود عليه الصلاة السلام وكانوا فى زمنه فاصبح الناهون ذات يوم ولم يخرج من المعتدين احد فقالوا ان لهم لشانا لعل الخمر قد غلبتهم فعلوا على الجدار الذى بينهم فاذا هم قد مسخوا قردة ففتحوا عليهم الباب ودخلوا اليهم فصار القردة يعرفون انسابهم من الناس ولم يعرف الناس انسابهم من القردة فجعلت القردة تاتى انسابها من الناس فتشم ثيابها فيقول لهم اهلوهم الم ننهكم فتقول القردة برأسها نعم فنجا الناهون وهلك سائرهم فذلك قوله تعالى (وإذ قالت امة منهم لم تعظون قوما الله مهلكهم او معذبهم عذابا شديدا قالوا معذرة إلى ربكم) واختلفوا فى القائلين هذه المقالة فقال بعض المفسرين إن اهل القرية افترقوا ثلاث فرق فرقة اعتدت وأصابت الخطيئة وفرقة نهتهم عن ذلك الفعل وفرقة امسكت عن الصيد وسكتت عن موعظة المعتدين وقالوا للناهين لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذابا شديدا يعنى أنهم لا يرجون على موعظة قوم يعلمون انهم غير متعظين ولا منزجرين فقالت الفرقة الناهية للذين لا يرجوهم معذرة إلى ربكم يعنى ان موعظتنا اياهم معذرة إلى ربكم لان الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر واجب فموعظتنا لهؤلاء عذر لنا عند الله (لعلهم يتقون) اى وجائز عندنا ان ينتفعوا بالموعظة فيتقوا الله ويتركوا ما هم فيه من الصيد وقال بعضهم ان اهل القرية كانوا فرقتين فرقة نهت وزجرت عن السوء وفرقة عملت بالسوء فعلى هذا يكون الذين قالوا لم تعظون قوما الله مهلكهم الفرقة المعتدية وذلك ان الفرقة الناهية قالوا للفرقة المعتدية انتهوا قبل ان ينزل بكم عذاب شديد ان لم تنتهوا عما انتم فيه فقالت لهم الفرقة المعتدية لم تعظون قوما الله مهلكهم او معذبهم عذابا شديدا والمعنى لم تعظونا قد علمتم ان الله مهلكنا أو منزل بنا عذابه والقول الأول أصح لأنهم لو كانوا فرقتين لكان قولهم معذرة إلى ربكم خطابا من الناهية للمعتدية وقوله تعالى (فلما نسوا ماذكروا به) اى فلما تركوا ما وعدوا به (أنجينا الذين ينهون عن السوء) وهم الفرقة الناهية (واخذنا الذين ظلموا) يعنى الفرقة المعتدية العاصية (بعذاب بئيس) أى شديد وجميع من البأس وهو الشدة (بما كانوا يفسقون) يعنى اخذناهم بالعذاب بسبب فسقهم وامتدائهم وخروجهم عن طاعتنا روى عكرمة عن ابن عباس قال اسمع الله يقول انجينا الذين ينهون عن السوء واخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس فلا أدرى مافعلت الفرقة الساكتة وجعل يبكى قال عكرمة فقلت جعلنى الله فداك الا نراهم قد انكروا وكرهوا ماهم عليه وقالوا لم تعظون قوما الله مهلكهم وان لم يقل الله أنجيتهم لم يقل مهلكهم قال فاعجبه قولى ورضى به وأمر لى ببردين فكسانيهما وقال نجت الساكتة وقال يمان بن رباب نجت الطائفتان الذين قالوا لم تعظون والذين قالوا معذرة واهلك الله الذين اخذوا الحيتان وهذا قول الحسن وقال ابن زيد نجت الناهية وهلكت الفرقتان وهذه الاية اشداية فى ترك النهى عن المنكر وقوله تعالى (فلما عتوا عما نهوا عنه) قال ابن عباس ابوا ان يرجعوا عن المعصية والعتو عبارة عن الاباء والعصيان

 قلت له جعلنى الله فداك ألا نراهم قد انكروا وكرهوا ماهم عليه وقالوا لم تعظون قوما الله مهلكهم وإن لم يقل الله انجيتهم لم يقل اهلكتهم فاعجبه قولى فرضى وامر لى ببردين فكسانيهما وقال نجت الفرقة الساكتة وقال يمان بن رباب نجت الطائفتان الذين قالوا لم تعظون قوما والذين قالوا معذرة إلى ربكم ولعلهم يتقون وأهلك الله الذين أخذوا الحيتان وهذا قول الحسن وقال ابن زيد نجت الناهية وهلكت الفرقتان وهذه أشد آية فى ترك النهى عن المنكر قوله تعالى (فلما عتوا عما نهوا عنه) قال ابن عباس ابوا ان يرجعوا عن المعصية

(قلنا لهم كونوا قردة خاسئين) مبعدين فكثوا ثلاثة أيام ينظر بعضهم إلى بعض وينظر اليهم الناس ثم هلكوا (واذ تأذن ربك) اى آذن وأعلم ربك يقال تأذن وآذان مثل توعد (٢٥٠) وأوعد وقال ابن عباس تأذن ربك قال ربك وقال مجاهد أمر ربك وقال عطاء حكم ربك (ليبعثن عليهم إلى يوم القيامة) أى على اليهود (من يسومهم سوء العذاب) بعث الله عليهم محمدا ﷺ وامته يقاتلونهم حتى يسلموا او يعطوا الجزية (ان ربك لسريع العقاب وانه لغفور رحيم وقطعناهم) فرقناهم (فى الارض امما) فرقا فرقهم الله فتشتت أمرهم فلم تجتمع لهم كلمة (منهم الصالحون) قال ابن عباس ومجاهد يريد الذين ادركوا رسول الله ﷺ وآمنوا به (ومنهم دون ذلك) يعنى الذين بقوا على الكفر وقال الكلبى منهم الصالحون هم الذين وراء نهر أو ادف من وراء الصين ومنهم دون ذلك يعنى من ههنا من اليهود (وبلوناهم بالحسنات) بالخصب والعافية (والسيئات) الجدب والشدة (لعلهم يرجعون) لكى يرجعوا إلى طاعة ربهم ويتوبوا (فخلف من بعدهم) أى جاء من بعد هؤلاء الذين وصفناهم (خلف) والخلف القرن الذى يجىء بعد قرن قال ابن حاتم الخلف بسكون اللام الاولاد الواحد والجمع فيه سواء والخلف بفتح اللام البدل سواء كان ولدا أو غريبا وقال ابن الاعرابى الخلف بعدهم بالفتح الصالح وبالجزم الطالح وقال النضر بن شميل الخلف بتحريك اللام وإسكانها فى القرن السوء واحد واما فى القرن الصالح فبتحريك اللام لاغير وقال محمد بن جرير اكثر ماجاء فى المدح بفتح اللام وفى الذم بتسكينها وقد يحرك فى الذم ويسكن فى المدح

والمعنى فلما عتوا عما نهوا يعنى عن ترك ما نهوا عنه وتمردوا فى العصيان من اعتدائهم فى السبت واستحلالهم ما حرم الله عليهم من صيد السمك فى يوم السبت وأكله (قلنا لهم كونوا قردة خاسئين) يعنى صاغرين مبعدين من كل خير قال قتادة لما عتوا عما نهوا عنه مسخهم الله فصيرهم قردة تتعاوى بعدما كانوا رجالا ونساء وقال ابن عباس جعل الله منهم القردة والخنازير فزعم ان شبان القوم صاروا قردة وان المشيخة صاروا خنازير قيل انهم بقوا ثلاثة أيام ينظر الناس اليهم ثم هلكوا جميعا * قوله تعالى (وإذ تأذن ربك) الخطاب فيه للنبى ﷺ ومعنى تأذن اذن والأذان الاعلام يعنى أعلم ربك وقيل حكم ربك وقيل أوحى ربك بمعنى اقسم ربك (ليبعثن عليهم) اللام فى قوله ليبعثن جواب القسم لأن قوله وإذ تأذن ربك جار مجرى القسم لكونه جزما وجواب القسم ليبعثن عليهم واختلفوا فى الضمير فى عليهم إلى من يرجع فقيل يقتضى ان يكون راجعا إلى قوله فلما عتوا عما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين لكن قد علم ان الذين مسخوا لم يبق منهم احد فيحتمل أن يكون المراد الذين بقوا منهم فالحق الذل بهم وقيل بان المراد سائر اليهود من بعدهم لأن الذين بقوا من اهل القرية كانوا صالحين والذى بعثه الله على اليهود هو بختنصر وسخاريب وملوك الروم فساموهم سوء العذاب وقيل المراد بقوله ليبعثن عليهم اليهود الذين كانوا من رسول الله ﷺ والذى بعثه الله عليهم هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وامته فالزم من لم يسلم منهم الصغار والذلة والهوان والجزية لازمة لليهود إلى يوم القيامة وأورد على هذا بان فى اخر الزمان يكون لهم عزة وذلك عند خروج الدجال لأن اليهود اتباعه وأشياعه واجيب عنه بان ذلك العز الذى يحصل لهم هو فى نفسه غاية الذلة لأنهم يدعون إلهية الدجال فيزدادون كفرا على كفرهم فاذا هلك الدجال اهلكهم المسلمون وقتلوهم جميعا فذلك هو الذلة والصغار المشار اليه بقوله تعالى ليبعثن عليهم (إلى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب) وهذا نص فى ان العذاب إنما يحصل لهم فى الدنيا مستمرا عليهم إلى يوم القيامة ولهذا فسر هذا العذاب بالاهانة والذلة واخذ الجزية منهم فاذا افضوا إلى الاخرة كان عذابهم أشد واعظم وهو قوله تعالى (إن ربك لسريع العقاب) يعنى لمن اقام على الكفر ففيه دليل على انه يجمع لهم مع ذلة الدنيا عذاب الاخرة فيكون العذاب مستمرا عنهم فى الدنيا والاخرة ثم ختم الاية بقوله تعالى (وانه لغفور رحيم) يعنى لمن امن منهم ورجع عن الكفر واليهودية ودخل فى دين الاسلام * قوله تعالى (وقطعناهم فى الارض امما) يعنى وفرقنا بنى إسرائيل فى الارض جماعات متفرقة فلا تجد بلدا إلا وفيه من اليهود طائفة وجماعة قال ابن عباس كل أرض يدخلها قوم من اليهود (منهم الصالحون) يعنى من هؤلاء الذين وصفهم الله من بنى إسرائيل صالحون وهم من آمن بالله ورسوله وثبت منهم على قبل مبعث عيسى عليه الصلاة والسلام وإنما وصفهم بذلك قبل ارتدادهم عن دينهم وكفرهم بربهم ذكره الطبرى ولم يذكر غيره وروى البغوى وغيره من المفسرين عن ابن عباس ومجاهد أن المراد بالصالحين الذين أدركوا النبى صلى الله عليه وسلم من اليهود وآمنوا به والصحيح ماذكره الطبرى يدل عليه قوله بعد فخلف من بعدهم خلف والخلف إنما كان بعد هؤلاء الذين وصفهم بالصلاح من بنى إسرائيل * وقوله تعالى (ومنهم دون ذلك) يعنى الذين كفروا من بنى إسرائيل وبدلوا وغيروا (وبلوناهم) يعنى جميعا الصالح وغيره وهى بلوى اختبار وامتحان (بالحسنات) يعنى الخصب والعافية (والسيئات) يعنى الجدب والشدة (لعلهم يرجعون) يعنى لكى يرجعوا إلى طاعة ربهم ويتوبوا اليه قال أهل المعانى كل واحدة من الحسنات والسيآت اذا فسرت بالنعم والشدة تدعو إلى طاعة الله تعالى أما النعمة فيزداد عليها شكرا فيرغب فى الطاعة واما الشدة فيخاف سوء عاقبتها فيرهب منها * قوله تعالى (فخلف من بعدهم) يعنى من بعد هؤلاء الذين وصفناهم (خلف) يعنى خلف سوء يعنى حدث من

(ورثوا الكتاب) أى انتقل اليهم الكتاب من آبائهم وهو التوراة (يأخذون عرض هذا الأدنى) العرض متاع الدنيا والعرض بسكون الراء ما كان من الأموال سوى الدراهم والدنانير وأراد بالأدنى العالم وهو هذه الدار الفانية فهو تذكير الدنيا وهؤلاء اليهود ورثوا التوراة فقرؤوها وضيعوا العمل بما فيها وخالفوا حكمها يرتشون فى حكم الله وتبديل كلماته (ويقولون سيغفر لنا) ذنوبنا يتمنون على الله الأباطيل أخبرنا محمد بن عبد الله بن أبى توبة أنبأنا طاهر محمد بن أحمد بن الحرث أنبأنا أبو الحسن محمد بن يعقوب الكسائى أنبأنا عبد الله بن محمود أنبأنا ابراهيم بن عبد الله الخلال أنبأنا عبد الله بن المبارك عن أبى بكر بن أبى مريم الغسانى عن ضمرة بن حبيب عن شداد بن أوس قال قال رسول الله ﷺ الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأمانى (وان يأتهم عرض مثله يأخذوه) هذا اخبار عن حرصهم على الدنيا وإصرارهم على الذنوب يقول إذا أشرف لهم شىء من الدنيا أخذوه حلالا كان أو حراما ويتمنون على الله المغفرة وإن وجدوا من الغد مثله أخذوه وقال السدى كانت بنو إسرائيل لا يستقضون قاضيا إلا ارتشى فى الحكم فيقال له مالك ترتشى فيقول سيغفر لى فيطعن عليه الآخرون فاذا مات أو نزع وجعل مكانه آخر فمن كان يطعن عليه ارتشى أيضا يقول وان يأت الآخرون عرض مثله يأخذوه (ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب أن لا يقولوا على الله إلا الحق) أى أخذ عليهم العهد فى التوراة أن لا يقولوا على الله الباطل وهو تمنى المغفرة مع الإصرار وليس فى التوراة ميعاد المغفرة مع الإصرار (ودرسوا ما فيه) قرأوا ما فيه فهم ذاكرون لذلك ولو عقلوه لعملوا للدار الآخرة ودرس الكتاب قراءته وتدبره مرة بعد أخرى (والدار الآخرة خير للذين يتقون أفلا تعقلون والذين يمسكون بالكتاب) قرأ أبو بكر عن عاصم يمسكون بالتخفيف وقراءة العامة بالتشديد لانه يقال مسكت بالشىء ولا يقال أمسكت بالشىء إنما يقال أمسكته وقرأ أبى بن كعب والذين

بعدهم وتبدل منهم بدل سوء يقال منه هو خلف صدق بفتح اللام وخلف سوء بسكونها فأكثر ما يقال فى المدح بفتح اللام وفى الذم بسكونها وقد تحرك فى الذم وتسكن فى المدح قال حسان بن ثابت فى المدح

لنا القدم الأولى اليك وخلفنا * لأولنا فى طاعة الله تابع

فسكن اللام فى قوله وخلفنا وهو يريد المدح وقال لبيد فى الذم

ذهب الذين يعاش فى أكنافهم * وبقيت فى خلف كجلد الاجرب

ففتح اللام وهو يريد الذم وأصله من الفساد يقال خلف اللبن إذا فسد وتغير فى السقاء ويقال للردىء من القول خلف وخلف الشىء لغيره ومنه خلوف فم الصائم والمعنى جاء من بعد هؤلاء الذين وصفناهم خلف والخلف القرن الذى يجىء بعد قرن كان قبله (ورثوا الكتاب) يعنى انتقل اليهم الكتاب من آبائهم والمراد بالكتاب التوراة (يأخذون عرض هذا الأدنى) العرض بفتح الراء جميع متاع الدنيا كما يقال الدنيا عرض حاضر يأكل منها البر والفاجر والعرض بسكون الراء جميع المال سوى الدراهم والدنانير والمعنى أنهم كانوا يأخذون الرشا فى الأحكام على تبديل الكلام وتغييره وذلك الذى يأخذونه من حطام الدنيا هو الشىء التافه الخسيس الحقير لأن الدنيا بأسرها فانية حقيرة والراغب فيها أحقر منها فالهود ورثوا التوراة وعلموا ما فيها وضيعوا العمل بما فيها وتركوه وأخذوا الرشا فى الأحكام ويعلمون أنها حرام ثم أنهم مع اقدامهم على هذا الذنب العظيم يصرون عليه (ويقولون سيغفر لنا) يعنى ذنوبنا فيتمنون على الله الاماني الباطلة الكاذبة عن شداد بن أوس ان رسول الله ﷺ قال الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله الاماني أخرجه الترمذى وقال فى قوله عليه الصلاة والسلام دان نفسه يعنى حاسبها فى الدنيا قبل أن يحاسب يوم القيامة وموضع الاستشهاد من الحديث على الآية قوله وتمنى على الله الاماني لان اليهود كانوا يندمون على الذنوب ويقولون سيغفر لنا وهذا هو التمنى بعينه وقوله تعالى (وان يأتهم عرض مثله يأخذوه) وهذا إخبار عن حرصهم على الدنيا وإصرارهم على الذنوب والمعنى انهم إذا أتاهم شىء من الدنيا أخذوه حلالا كان أو حراما ويتمنون على الله المغفرة وان وجدوا من الغد مثله أخذوه قال السدى كانت بنو إسرائيل لا يستقضون قاضيا إلا ارتشى فى الحكم فيقال له مالك ترتشى فيقول سيغفر لى فيطعن عليه الآخرون فاذا مات أو نزع من الحكم وجعل مكانه آخر فمن كان يطعن عليه ارتشى أيضا يقول وان يأت الآخرين عرض الدنيا يأخذوه (ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب) يعنى ألم يؤخذ على هؤلاء المرتشين فى أحكامهم العهود والمواثيق فى الكتاب وهو التوراة (ان لا يقولوا على الله إلا الحق) يعنى انا أخذنا عليهم الميثاق على أن يقولوا الحق فقالوا الباطل وخالفوا أمر الله وهو قولهم سيغفر لنا والمراد من هذا التوبيخ والتقريع لليهود فى ادعائهم على الله الباطل قال ابن عباس هو ما يوجبون على الله من غفران ذنوبهم التى لا يزالون يعودون فيها ولا يتوبون منها (ودرسوا ما فيه) يعنى ما فى الكتاب والمعنى انهم ذاكرون لما أخذ عليهم من العهود والمواثيق فى الكتاب لانهم دارسون له لم يتركوه ولكن درسوه وضيعوا العمل به (والدار الآخرة) يعنى وما فى الدار الآخرة مما أعد الله لاوليائه وأهل طاعته العاملين بما أمرهم الله من كتابه ولم يغيروا ولم يبدلوا ولم يرتشوا فى الاحكام (خير للذين يتقون) يعنى يتقون الله ويخافون عقابه (أفلا يعقلون) يعنى أفلا يعقل هؤلاء الذين يرضون بعرض الدنيا أن ما فى الآخرة خير وأبقى لانها دار المتقين (والذين يمسكون بالكتاب) يقال مسكت بالشىء وتمسكت

تمسكوا بالكتاب على الماضى وهو جيد لقوله تعالى وأقاموا الصلاة إذ قل ما يعطف ماض على مستقبل إلا فى المعنى وأراد الذين يعملون بما فى الكتاب قال مجاهد هم المؤمنون من أهل الكتاب عبد الله بن سلام وأصحابه تمسكوا بالكتاب الذى جاء به موسى فلم يحرفوه ولم يكتموه ولم يتخذوه مأكلة وقال عطاء هم أمة محمد ﷺ (وأقاموا الصلاة إنا لا نضيع أجر المصلحين) قوله تعالى (وإذ نتقنا الجبل فوقهم) أى قلعنا وقال المؤرخ قطعنا وقال الفراء علقنا وقيل رفعنا (كأنه ظلة) قال عطاء سقيفة والظلة كل ما أظلك (وظنوا) علموا (أنه واقع بهم خذوا) أى وقلنا لهم خذوا (ما آتيناكم بقوة) بجد واجتهاد (واذكروا ما فيه) واعملوا به (لعلكم تتقون) وذلك حين أبوا ان يقبلوا أحكام التوراة فرفع الله على رؤسهم جبلا قال الحسن فلما نظروا إلى الجبل خر كل رجل منهم ساجدا على حاجبه الأيسر ينظر بعينه اليمنى إلى الجبل فرقا من أن يسقط عليه ولذلك لا تجد يهوديا إلا ويكون سجوده على حاجبه الأيسر قوله تعالى (وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم) الاية أخبرنا أبو الحسن محمد بن محمد السرخسى أنا زاهر بن احمد انا أبو الهاشمى أنا أبو مصعب عن مالك عن زيد بن أبى أنيسة عن عبد الحميد ابن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب أخبره عن مسلم بن يسار الجهنى ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه سئل عن هذه الآية وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم الآية قال عمر بن الخطاب سمعت رسول الله ﷺ يسأل عنها فقال رسول الله ﷺ ان الله عز وجل خلق آدم ثم مسح ظهره بيمينه فاستخرج منه ذرية فقال خلقت هؤلاء للجنة وبعمل أهل الجنة يعملون ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية فقال خلقت هؤلاء للنار وبعمل أهل النار يعملون فقال رجل ففيم العمل يا رسول الله فقال رسول الله ﷺ ان الله عز وجل إذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل أهل الجنة حتى يموت على عمل من أعمال أهل الجنة فيدخله به الجنة وإذا خلق العبد للنار استعمله بعمل أهل النار حتى يموت على عمل من أعمال أهل النار فيدخله به النار وقال أبو عيسى هذا حديث حسن ومسلم بن يسار لم يسمع من عمر وقد ذكر بعضهم فى هذا الإسناد بين مسلم بن يسار وعمر رجلا قال مقاتل وغيره من أهل التفسير أن الله مسح صفحة آدم اليمنى فأخرج منه ذرية بيضاء كهيئة الذر يتحركون وأشهدهم ثم مسح صفحة ظهره اليسرى فأخرج منه ذرية سوداء كهيئة الذر فقال يا آدم هذه ذريتك ثم قال لهم الست بربكم قالوا بلى فقال للبيض هؤلاء فى الجنة برحمتى ولا أبالى وهم أصحاب اليمين وقال للسود هؤلاء فى النار ولا أبالى وهم أصحاب الشمال ثم أعادهم جميعا فى صلبه فأهل القبور محبوسون حتى يخرج أهل الميثاق كلهم من أصلاب الرجال وأرحام النساء قال الله تعالى فيمن نقض العهد الأول وما وجدنا لأكثرهم من عهد وقال بعض اهل التفسير ان أهل السعادة أقروا طوعا وقالوا بلى واهل الشقاوة قالوه تقية وكرها وذلك معنى قوله وله اسلم من فى السموات والأرض طوعا وكرها واختلفوا فى موضع الميثاق قال ابن عباس رضى الله عنه ببطن نعمان واد إلى جنب عرفة وروى عنه أيضا انه بدهناء من أرض الهند وهو الموضع الذى هبط آدم عليه السلام عليه وقال الكلبى بين مكة والطائف وقال السدى اخرج الله آدم عليه السلام من الجنة فلم يهبط من السماء ثم مسح ظهره فأخرج ذريته وروى ان الله اخرجهم جميعا وصورهم وجعل لهم عقولا لا يعلمون بها والسنا ينطقون بها ثم كلمهم قبلا يعنى عيانا وقال الست بربكم وقال الزجاج وجائز ان يكون الله تعالى جعل لأمثال الذر فهما تعقل به كما قال تعالى قالت نملة يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم وروى ان الله تعالى قال لهم جميعا اعلموا انه لا إله غيرى وانا ربكم لا رب لكم غيرى فلا تشركوا بى شيئا فانى سانتقم ممن اشرك بى ولم يؤمن بى وانى مرسل اليكم رسلا يذكرونكم عهدى وميثاقى وأنزل عليكم كتبا فتكلموا جميعا وقالوا اشهدنا انك ربنا وإلهنا لا رب لنا غيرك فأخذ بذلك مواثيقهم ثم كتب اجالهم وارزاقهم ومصائبهم فنظر اليهم آدم فرأى منهم الغنى والفقير وحسن الصورة ودون ذلك فقال رب لو لا سويت بينهم قال إنى أحب أن أشكر فلما قررهم بتوحيده وأشهد بعضهم على بعض أعادهم إلى صلبه فلا تقوم الساعة حتى يولد كل من أخذ ميثاقه فذلك قوله تعالى وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم

به واستمسكت به وأمسكت به والمراد بالتمسك بالكتاب العمل بما فيه من إحلال حلاله وتحريم حرامه وإقامة حدوده والتمسك بأحكامه نزلت هذه الاية فى الذين أسلموا من أهل الكتاب مثل عبد الله بن سلام وأصحابه لأنهم تمسكوا بالكتاب الأول ولم يحرفوه ولم يغيروه فاداهم ذلك التمسك إلى الإيمان بالكتاب الثانى وهو القرآن (وأقاموا الصلاة) يعنى وداوموا على إقامتها فى مواقيتها وإنما أفردها بالذكر وإن كانت الصلاة داخلة فى التمسك بالكتاب تنبيها على عظم قدرها وانها أعظم العبادات بعد الإيمان بالله وبرسوله (إنا لا نضيع أجر المصلحين) قوله عز وجل (وإذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة) يعنى واذكر يا محمد إذ قلعنا الجبل فرفعناه فوق بنى إسرائيل كأنه ظلة يعنى جعلناه فوقهم كالظلة والظلة كل ما علا الإنسان كالسقف ونحوه (وظنوا) أى وعلموا وأيقنوا (أنه واقع بهم) يعنى الجبل (خذوا) يعنى وقلنا لهم خذوا وإضمار القول كثير فى القرآن وكلام العرب (ما آتيناكم) يعنى من التوراة (بقوة) يعنى بجد واجتهاد (واذكروا ما فيه) يعنى واعملوا بما فيه من الأحكام (لعلكم تتقون) قال أصحاب الأخبار ان بنى إسرائيل لما أبوا أن يقبلوا أحكام التوراة لما فيها من التكاليف الشاقة أمر الله عز وجل جبريل فرفع جبلا عظيما حتى صار على رؤسهم كالظلة فلما نظروا إلى الجبل فوق رؤسهم خروا ساجدين فسجد كل واحد منهم على خده وحاجبه الأيسر وجعل ينظر بعينه اليمنى إلى الجبل خوفا ان يسقط عليه ولذلك لا تسجد اليهود إلا على شق وجوههم الأيسر * قوله تعالى (وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم

وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى) الاية عن مسلم بن يسار الجهنى أن عمر بن الخطاب سئل عن قوله سبحانه وتعالى وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم الاية قال سئل عنها رسول الله ﷺ فقال إن الله تبارك وتعالى خلق آدم ثم مسح ظهره بيمينه فاستخرج منه ذرية فقال خلقت هؤلاء للجنة وبعمل اهل الجنة يعملون ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية فقال خلقت هؤلاء للنار وبعمل اهل النار يعملون فقال رجل يارسول الله ففيم العمل فقال رسول الله ﷺ إن الله سبحانه وتعالى إذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل اهل الجنة حتى يموت على عمل من اعمال اهل الجنة فيدخله الجنة وإذا خلق العبد للنار استعمله بعمل اهل النار حتى يموت على عمل من اعمال اهل النار فيدخله النار اخرجه مالك فى الموطا وابو داود والترمذى وقال حديث حسن ومسلم ابن يسار لم يسمع من عمر وقد ذكر بعضهم فى هذا الاسناد بين مسلم بن يسار وعمر رجلا قلت ذكر الطبرى فى بعض طرق هذا الحديث الرجل فقال عن مسلم بن يسار عن يعمر بن ربيعة عن عمر عن النبى ﷺ بنحوه عن عن ابى هريرة قال قال رسول الله ﷺ لما خلق الله سبحانه وتعالى آدم مسح ظهره فسقط من ظهره كل نسمة هو خالقها من ذريته إلى يوم القيامة وجعل بين عينى كل إنسان وبيصا من نور ثم عرضهم على آدم فقال اى رب من هؤلاء قال هؤلاء ذريتك فراى رجلا منهم فأعجبه وبيص ما بين عينيه فقال يارب من هذا قال داود قال رب كم جعلت عمره قال ستين سنة قال يارب زده من عمرى اربعين سنة قال رسول الله ﷺ فلما انقضى عمر آدم إلا اربعين جاء ملك الموت فقال آدم اولم يبق من عمرى اربعون سنة قال اولم تعطها ابنك داود فجحد آدم فجحد ذريته ونسى آدم فاكل من الشجرة فنسيت ذريته وخطىء خطئت ذريته اخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح واما تفسير الاية فقوله سبحانه وتعالى وإذ اخذ ربك يعنى يا محمد إذ اخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم يعنى من ظهور بنى ادم وإنما لم يذكر ظهر ادم وإن كان الله سبحانه وتعالى اخرج جميع الذرية من ظهره لأن الله تعالى أخرج ذرية ادم بعضهم من ظهر بعض على نحو ما يتوالد الابناء من الاباء فلذلك قال سبحانه وتعالى من بنى ادم من ظهورهم فاستغنى عن ذكر ظهر ادم عليه السلام لما علم انهم كلهم بنو ادم واخرجوا من ظهره فترك ذكر ظهر ادم استغناء ثم للعلماء فى تفسير هذه الاية مذهبان احدهما وهو مذهب اهل التفسير والأثر وظاهر ما جاءت به الروايات عن السلف فيما روى عن ابن عباس من طرق كثيرة وروايات مختلفة رواها عنه الطبرى بأسانيد فمنها عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن النبى ﷺ قال اخذ الله الميثاق من ظهر ادم بنعمان يعنى عرفة فاخرج من صلبه كل ذرية ذراها فنثرهم بين يديه كالذر ثم كلمهم قبلا وقال الست بربكم قالوا بلى شهدنا ان يقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين وعن ابن عباس فى هذه الاية قال مسح ربك ظهر آدم فخرجت كل نسمة هو خالقها إلى يوم القيامة بنعمان هذا الذى وراء عرفة واخذ ميثاقهم الست بربكم قالوا بلى شهدنا وعن ابن عباس ايضا قال إن اول ما اهبط الله ادم إلى الأرض اهبطه بدهناء ارض الهند فمسح ظهره فأخرج منه كل نسمة هو بارئها إلى يوم القيامة ثم اخذ عليهم الميثاق واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى شهدنا ان تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين زاد فى رواية عنه فجف القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة وفى رواية عنه قال لما خلق الله ادم اخذ ميثاقه انه ربه وكتب رزقه واجله ومصائبه واستخرج ذريته كالذر وكتب ارزاقهم وآجالهم ومصائبهم وفى رواية عنه قال ان الله عز وجل مسح صلب ادم فاستخرج كل نسمة هو خالقها إلى يوم القيامة فأخذ منهم الميثاق ان يعبدوه ولا يشركوا به شيئا وتكفل لهم بالأرزاق ثم اعادهم فى صلبه فلن تقوم الساعة حتى يولد كل من اعطى الميثاق يومئذ فمن ادرك منهم الميثاق الاخر فوفى به نفعه الميثاق الأول ومن ادرك الميثاق الاخر فلم يف لم ينفعه الأول ومن مات صغيرا ولم يدرك الميثاق الاخر مات على الميثاق الأول على الفطرة وروى الطبرى بسنده عن عبد الله بن عمر قال قال ﷺ اخذوا من ظهره كما يأخذ بالمشط من الراس فقال لهم الست بربكم قالوا بلى قالت الملائكة شهدنا ان تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين وقال ابن عباس

أى من ظهور بنى آدم ذريتهم قرأ أهل المدينة وأبو عمرو وابن عامر ذرياتهم بالجمع وكسر التاء وقرأ الآخرون ذريتهم على التوحيد ونصب التاء فان قيل ما معنى قوله وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم وإنما أخرجهم من ظهر آدم قيل ان الله أخرج ذرية آدم بعضهم من ظهور بعض على نحو ما يتوالد الابناء من الآباء فى الترتيب فاستغنى عن ذكر ظهر آدم لما علم أنهم كلهم بنوه وأخرجوا من ظهره قوله تعالى (وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى) أى أشهد بعضهم على بعض

اخرج ذرية آدم من ظهره فكنسهم الله وانطقهم فقال الست بربكم قالوا بلى ثم أعادها فى صلبه فليس احد من الخلق إلا وقد تكلم فقال ربى الله وإن القيامة لن تقوم حتى يولد من كان يومئذ اشهد على نفسه وقال السدى اخرج الله ادم من الجنة ولم يهبطه من السماء ثم انه مسح صفحة ظهره اليمنى فأخرج منه كهيئة الذر بيضاء فقال أدخلوا الجنة برحمتى ثم مسح صفحة ظهره اليسرى فاخرج منه كهيئة الذر سوداء فقال ادخلوا النار ولا أبالى فذلك حين يقول أصحاب اليمين وأصحاب الشمال ثم أخذ منهم الميثاق فقال الست بربكم قالوا بلى فأعطاه طائفة طائعين وطائفة كارهين على وجه التبيعة زاد فى رواية وذلك حيث يقول وله أسلم من فى السموات والأرض طوعا وكرها وقال محمد بن كعب القرظى أقر له بالايمان والمعرفة الأرواح قبل خلق أجسادها وقال مقاتل مسح صفحة ظهر آدم اليمنى فأخرج منها ذرية بيضاء كهيئة الذر يتحركون ثم مسح صفحة ظهره اليسرى فأخرج منها ذرية سوداء كهيئة الذر يتحركون فقال يا آدم هؤلاء ذريتك ثم قال لهم الست بربكم قالوا بلى فقال للبيض هؤلاء فى الجنة برحمتى وهم أصحاب اليمين وقال للسود هؤلاء فى النار ولا أبالى وهم أصحاب الشمال ثم أعادهم جميعا فى صلب ادم فأهل القبور محبوسون حتى يخرج أهل الميثاق جميعا وروى ان الله سبحانه وتعالى قال لهم جميعا اعلموا أنه لا إله لكم غيرى وأنا ربكم لا رب لكم غيرى فلا تشركوا بى شيئا فانى سأنتقم ممن أشرك بى ولم يؤمن بى وإنى مرسل إليكم رسلا يذكرونكم عهدى وميثاقى وأنزل عليكم كتبا فتكلموا جميعا وقالوا شهدنا أنك ربنا لا رب لنا غيرك فاخذ ميثاقهم ثم كتب آجالهم وأرزاقهم ومصائبهم فنظر اليهم آدم عليه السلام فرأى منهم الغنى والفقير وحسن الصورة ودون ذلك فقال رب هلا سويت بينهم فقال إنى أحب أن اشكر فلما قررهم بتوحيده وأشهد بعضهم على بعض أعادهم إلى صلبه فلا تقوم الساعة حتى يولد كل من أخذ منه الميثاق وقال الزجاج وجائز ان يكون الله سبحانه وتعالى جعل لامثال الذر عقلا وفهما تعقل به كما قال تبارك وتعالى فى النملة قالت نملة يا أيها النمل أدخلوا مساكنكم وكما قال وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير وقال ابن الأنبارى مذهب أصحاب الحديث وكبراء أهل العلم فى هذه الاية أن الله تعالى أخرج ذرية آدم من صلبه وأصلاب أولاده وهم صور كالذر وأخذ عليهم الميثاق أنه خالقهم وأنهم مصنوعه فاعترفوا بذلك وقبلوه وذلك بعد أن ركب فيهم عقولا عرفوا بها ما عرض عليهم كما جعل للجبال عقولا حتى خوطبوا بقوله يا جبال أوبى معه وكما جعل للبعير عقلا حتى سجد للنبى صلى الله عليه وسلم وكذلك الشجر حتى سمعت لأمره وانقادت ومعنى قوله الست بربكم على هذا التفسير قال الله تعالى للذرية الست بربكم فهو إيجاب للربوبية عليهم قالوا بلى يعنى قالت الذرية بلى أنت ربنا فهو جواب منهم له وإقرار منهم له بالربوبية واعتراف على أنفسهم بالعبودية (شهدنا) فيه قولان احدهما انهم لما أقروا له بالربوبية قال الله عز وجل للملائكة اشهدوا قالوا شهدنا على إقرارهم فعلى هذا القول يحسن الوقف على قوله سبحانه وتعالى بلى لأن كلام الذرية تم وانقطع وقوله شهدنا كلام مستانف والقول الثانى أن قوله سبحانه وتعالى شهدنا من كلام الذرية والمعنى شهدنا على أنفسنا بهذا الاقرار وعلى هذا لا يحسن الوقف على بلى لتعلقه بما بعده * وقوله سبحانه وتعالى (ان تقولوا) وقرىء بالتاء على خطاب الذرية ومعناه لئلا تقولوا أيها الذرية (يوم القيامة إنا كنا عن هذا) يعنى الميثاق (غافلين) وقرىء ان يقولوا بالياء على الغيبة ومعناه لئلا يقولوا أى الذرية إنا كنا عن هذا غافلين والمذهب الثانى فى معنى هذه الاية وهو مذهب أهل الكلام والنظر انه سبحانه وتعالى أخرج الذرية وأنشاهم بعد ان كانوا نطفا فى اصلاب الآباء وهم اولاد بنى ادم فاخرج الذرية إلى الدنيا على ترتيبهم فى الوجود وأشهدهم على أنفسهم بما ركب فيهم من العقول وأراهم عجائب خلقه وغرائب صنعه ودلائل وحدانيته فبهذا الاشهاد صاروا كأنهم قالوا بلى واشهدهم على أنفسهم انه ربهم وذلك بما اظهر لهم من دلائل آياته وبراهينه التى تضطرهم إلى ان يعلموا انه خالقهم وبارؤهم وربهم ونافذ الحكم فيهم فلما عرفوا ذلك دعاهم ذلك إلى التصديق بوحدانيته وربوبيته فقالوا بلى شهدنا على أنفسنا إنك انت ربنا وخالقنا فعلى هذا القول يكون قولهم بلى شهدنا على انفسنا على المجاز لا على الحقيقة وهذا النوع من المجاز والاستعارة مشهور فى كلام العرب فكل من بلغ وعقل فقد اخذ

قوله (شهدنا ان تقولوا) قرا ابو عمر ان ان يقولوا ويقولوا بالياء فيهما وقرا الاخرون بالتاء فيهما واختلفوا فى قوله شهدنا قال السدى هو خبر من الله عن نفسه وملائكته انهم شهدوا على إقرار بنى آدم وقال بعضهم هو خبر عن قول بنى آدم اشهد الله بعضهم على بعض فقالوا بلى شهدناه وقال الكلبى ذلك من قول الملائكة وفيه حذف تقديره لما قالت الذرية بلى قال الله للملائكة اشهدوا قالوا شهدنا قوله ان يقولوا يعنى واشهدهم على أنفسهم ان يقولوا أى لئلا يقولوا او كراهية ان يقولوا ومن قرا بالتاء فتقدير الكلام اخاطبكم ألست بربكم لئلا تقولوا (يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين) أى عن هذا الميثاق والإقرار فان قيل كيف يلزم الحجة واحد لا يذكر الميثاق قيل قد أوضح الله الدلائل على وحدانيته وصدق رسله فيما اخبروا فمن انكره كان معاندا ناقضا للعهد ولزمته الحجة وبنسيانهم وعدم حفظهم لا يسقط الاحتجاج بعد اخبار المخبر الصادق صاحب المعجزة قوله

عليه الميثاق بما جعل فيه من السبب الذى يؤخذ به الميثاق وهو العقل والتكليف فيكون معنى الآية وإذ يأخذ ربك من بنى آدم ويشهدهم على أنفسهم بما ركب فيهم من العقل الذى يكون به الفهم والتكليف الذى به يترتب على صاحبه الثواب والعقاب يوم القيامة * فان قلت فما المختار من هذين المذهبين فى تفسير هذه الآية * قلت المذهب الأول هو المختار لانه مذهب جمهور المفسرين من السلف وورد الحديث بذلك عن النبى ﷺ * فان قلت إذا كان المختار فى تفسير هذه الاية هو مذهب السلف فى ذلك وان الله تعالى اخرج الذرية من ظهر آدم لأخذ الميثاق عليهم كما ورد فى الحديث أيضا فكيف يحمل تفسير الفاظ هذه الآية على هذا القول * قلت قد صح الحديث بان الله مسح ظهر ادم فاخرج ذريته واخذ عليهم الميثاق ولا منافاة بين الآية والحديث كما تقدم فى تفسير الفاظ الاية من ان الله اخرج ذرية ادم من ظهره على سبيل التوالد بعضهم من بعض كما فى الخارج وكلهم باجمعهم من ظهر ادم الذى هو اصلهم فبهذا الطريق أمكن الجمع بين الاية والحديث إذ ليس فى معنى الفاظ الاية ما يدل على بطلان ذلك ونفيه وقد ورد الحديث بثبوت ذلك وصحته فوجب المصير إليه والأخذ به جمعا بين الاية والحديث وحكى الواحدى عن صاحب النظم انه قال ليس بين قوله عليه الصلاة والسلام ان الله مسح ظهر آدم فأخرج منه ذريته وبين الاية اختلاف بحمد الله لانه تعالى إذا أخرجهم من ظهر آدم فقد أخرجهم من ظهور ذريته لأن ذرية ادم ذرية كذرية بعضهم من بعض قال وتحصل الفائدة بهذا الفصل بانه تعالى اثبت الحجة على كل منفوس ممن بلغ ومن يبلغ بالميثاق الذى أخذه عليهم وزاد على من بلغ منهم بالحجة بالآيات والدلائل التى نصبها بالرسل المنفذة اليهم مبشرين ومنذرين بالمواعظ وقال غيره فائدة اخذ الميثاق عليهم فى القدم ان من مات منهم صغيرا ادخل الجنة باقراره بالميثاق الأول وهذا على قول من يقول ان اطفال المشركين يدخلون الجنة إذا ماتوا صغارا فاما من لم يحكم لهم بالجنة فانه يقول من كان من أهل الشقاوة من الذرية السوداء وإنما أقروا بالمعرفة كرها فلم يغن عنهم ذلك شيئا ومن بلغ وعقل لم يغن عنه اقراره بالميثاق الأول شيئا حتى يؤمن ويصدق عند بلوغه وعقله بأن الله ربه وخالقه ويصدق رسله فيما جاؤا به من عنده وإنما فعل ذلك لئلا يقول الكفار إنا كنا عن هذا الميثاق أو الايمان بأن الله ربنا غافلين أو لئلا تقول أخلافهم إنما أشرك آباؤنا ونحن نسير على آثارهم ظنا منهم ان الحق ما كانوا عليه * فان قلت أن ذلك الميثاق لا يذكره أحد اليوم فكيف يكون حجة عليهم اليوم أو فكيف يذكرونه يوم القيامة حتى يحتج عليهم به * قلت لما اخرج الذرية من صلب آدم ركب فيهم العقول وأخذ عليهم الميثاق فلما أعيدوا إلى صلب آدم بطل ما ركب فيهم فتوالدوا ناسين لذلك الميثاق لاقتضاء الحكمة الالهية نسيانهم له ثم ابتدأهم بالخطاب على السنة الرسل عليهم الصلاة والسلام وأصحاب الشرائع فقام ذلك مقام الذكر إذ الدار دار تكليف وامتحان ولو لم ينسوه لانتفت المحنة والابتلاء والتكليف فقامت الحجة عليهم لامدادهم بالرسل وإعلامهم بجريان أخذ الميثاق عليهم وبذلك قامت الحجة عليهم أيضا يوم القيامة لاخبار الرسل إياهم بذلك الميثاق فى الدنيا فمن أنكره كان معاندا ناقضا للعهد ولزمتهم الحجة ولم تسقط الحجة عنهم بنسيانهم وعدم حفظهم بعد اخبار الصادق صاحب الشرع والمعجزات الباهرات

* قوله تعالى (أو تقولوا) يعنى الذرية (إنما أشرك آباؤنا من قبل) يعنى إنما أخذ الميثاق عليهم لئلا يقول المشركون إنما أشرك آباؤنا من قبل (وكنا ذرية من بعدهم) يعنى وكنا أتباعا لهم فاقتدينا بهم فى الشرك (افتهلكنا) يعنى افتعذبنا (بما فعل المبطلون) قال المفسرون هذا قطع لعذر الكفار فلا يستطيع أحد من الذرية أن يقول يوم القيامة إنما أشرك آباؤنا من قبلنا ونقضوا العهد والميثاق وكنا نحن الذرية من بعدهم فقلدناهم واقتدينا بهم وكنا فى غفلة عن هذا الميثاق فلا ذنب لنا فلا يمكنهم أن يحتجوا بمثل ذلك وقد أخذ عليهم جميعا الميثاق وجاءتهم الرسل وذكروهم به وثبتت الحجة عليهم بذلك يوم القيامة وأما الذين حملوا معنى الاية على أن المراد منه مجرد نصب الدلائل وهو مذهب أهل النظر قالوا معناه أن الله نصب هذه الدلائل وأظهرها للعقول لئلا يقولوا إنما أشركنا على سبيل التقليد لآبائنا لأن

(أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم) يقول إنما أخذ الميثاق عليكم لئلا تقولوا أيها المشركون إنما أشرك آباؤنا من قبل ونقضوا العهد وكنا ذرية من بعدهم أى كنا أتباعا لهم فاقتدينا بهم فتجعلوا هذا عذرا لأنفسكم وتقولوا (أفتهلكنا بما فعل المبطلون) أفتعذبنا بجناية آبائنا المبطلين فلا يمكنهم أن يحتجوا بمثل هذا الكلام بعد تذكير الله تعالى بأخذ الميثاق على التوحيد

نصب أدلة التوحيد قائم معهم فلا عذر لهم فى الأعراض عنه والاقبال على تقليد الآباء فى الشرك * وقوله تعالى (وكذلك نفصل الآيات) يعنى ليتدبرها العباد فيرجعوا إلى الحق والايمان ويعرضوا عن الباطل والكفر وهو المراد من قوله (ولعلهم يرجعون) يعنى عن الشرك إلى التوحيد وقيل معناه ولعلهم يرجعون إلى الميثاق الأول فيذكرونه ويعملون بموجبه ومقتضاه * قوله عز وجل (واتل عليهم) يعنى واقرأ على قومك يا محمد (نبأ) يعنى خبر (الذى آتيناه آياتنا) اختلفوا فيه فقال ابن عباس هو بلعم بن باعوراء وقال مجاهد بلعام بن باعر وقال ابن مسعود هو بلعم بن ابر قال عطية قال ابن عباس أنه كان من بنى اسرائيل وفى رواية أخرى عنه أنه كان من الكنعانيين من بلد الجبارين وقال مقاتل هو من مدينة البلقاء وكانت قصته على ما ذكره ابن عباس ومحمد بن اسحق والسدى وغيرهم من أصحاب الاخبار والسير قالوا ان موسى عليه السلام لما قصد حرب الجبارين ونزل أرض كنعان من أرض الشام أتى قوم بلعام اليه وكان عنده اسم الله الأعظم فقالوا ان موسى رجل حديد وان معه جنودا كثيرة وأنه قد جاء يخرجنا من بلادنا ويقتلنا ويحلها بنى اسرائيل وأنت رجل مجاب الدعوة فاخرج وادع الله ان يردهم عنا فقال ويلكم نبى الله ومعه الملائكة والمؤمنون فكيف ادعو عليهم وأنا أعلم من الله ما أعلم وإنى إن فعلت هذا ذهبت دنياى واخرتى فراجعوه والحوا عليه فقال حتى اؤامر ربى وكان لا يدعو حتى يؤامر ربه فى المنام فاتى فى المنام فقيل له فى المنام لا تدع عليهم فقال لقومه إنى قد آمرت ربى فنهانى أن أدعو عليهم فأهدوا له هدية فقبلها وراجعوه فقال حتى اؤامر ربى فامر فلم يوح اليه شىء فقال قد امرت ربى فلم يوح إلى شىء فقالوا له لو كره ربك ان يدعو علينا لنهاك كما نهاك أول مرة فلم يزالوا يتضرعون اليه حتى فتنوه فافتتن فركب اتانا له متوجها إلى جبل يطلعه على عسكر بنى اسرائيل يقال لذلك الجبل جبل حسان فلما سار على اتانه غير بعيد ربضت فنزل عنها وضربها فقامت وركبها فلم تسر به كثيرا حتى ربضت فضربها حتى قامت فركبها فلم تسر به كثيرا حتى ربضت فضربها حتى ازلقها فاذن الله عز وجل لها فى الكلام وانطقها له فكلمته حجة عليه فقالت ويحك يا بلعام اتدرى اين تذهب اما ترى الملائكة امامى يردونى عن وجهى هذا ويحك انذهب إلى نبى الله والمؤمنين فتدعوا عليهم فلم ينزع فخلى الله سبيل الاتان فانطلقت به حتى إذا اشرفت به على جبل حسبان ومعه قومه جعل يدعو فلم يدع بشىء إلا صرف الله به لسانه إلى قومه ولا يدعو لقومه بخير إلا صرف الله به لسانه إلى بنى اسرائيل فقال له قومه يا بلعام اتدرى ما تصنع إنما تدعو لهم وتدعو علينا فقال هذا مالا املكه هذا شىء قد غلب الله عليه واندلع لسانه فوقع على صدره فقال لقومه قد ذهبت منى الدنيا والآخرة ولم يبق لى إلا المكر والحيلة فامكروا لكم واحتال ثم قال جملوا النساء وزينوهن واعطوهن السلع ثم ارسلوهن إلى عسكر بنى اسرائيل ليبعنها علها ومروهن ان لا تمنع امرأة نفسها من رجل ارادها فانه ان زنى رجل منهم بواحدة منهم كفيتموهم ففعلوا ذلك فلما دخل النساء على العسكر مرت امرأة من الكنعانيين اسمها كستى بنت صور على رجل من عظماء بنى اسرائيل يقال له زمرى بن شلوم وكان رأس سبط شمعون بن يعقوب فقام إلى المراة وأخذ بيدها حين أعجبه جمالها ثم أقبل بها حتى وقف بها على موسى عليه السلام وقال انى لا اظنك أنك تقول هذه حرام علىك فقال هى حرام عليك لا تقربها قال والله انى لا اطيعك فى هذا ثم قام ودخل بها إلى قبته فوقع عليها فارسل الله عز وجل الطاعون على بنى اسرائيل فى ذلك الوقت وكان فنحاص بن العيزار بن هرون وكان صاحب أمر موسى وكان رجلا فظا قد اعطى بسطة فى الخلق وقوة فى البطش وكان غائبا حين صنع زمرى بن شلوم ما صنع فجاء والطاعون يجوس فى بنى اسرائيل فاخبر الخبر فاخذ حربته وكانت من حديد كلها ثم دخل عليهما القبة وهما متضاجعان فطعنهما بحربته فانتظمهما ثم خرج بهما وهو رافعهما إلى السماء وقد أخذ الحربة بذراعه واعتمد بمرفقه على خاصرته وأسند الحربة إلى لحييه وكان بكر بن العيزار جعل يقول اللهم هكذا نفعل بمن عصاك ورفع الطاعون من بنى اسرائيل فحسب من مات منهم فى ذلك الطاعون فيما بين أن أصاب ذلك الرجل المرأة إلى أن قتله فنحاص فوجدوه قد هلك سبعون الفا فى ساعة واحدة من النهار فمن هنالك يعطى بنو اسرائيل

(وكذلك نفصل الآيات) أى نبين الآيات ليتدبرها العباد (ولعلهم يرجعون) من الكفر إلى التوحيد قوله تعالى (واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا

لولد فنحاص من كل ذبيحة يذبحونها الفشة والذراع واللحى لاعتماده بالحربة على خاسرته وأخذه اياها بذراعه واسناده اياها الى لحيته ويعطوهم البكر من كل أموالهم لأنه كان بكر العيزار وفى بلعام أنزل الله عز وجل واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا الاية وقال مقاتل ان ملك البلقاء قال لبلعام ادع الله على موسى فقال بلعام انه من أهل ديني ولا أدعو عليه فنصب له خشبة ليصلبه عليها فلما رأى ذلك خرج على اتان له ليدعو على موسى فلما عاين عسكرهم وقفت به الاتان فضربها فقالت لم تضربنى وأنا مأمورة وهذه نار أمامى منعتنى أن أمشى فرجع الى الملك فأخبره بذلك فقال لتدعون عليه أو لأصلبنك فدعا على موسى بالاسم الأعظم لا يدخل المدينة فاستجيب له ووقع موسى ومن معه من بنى إسرائيل فى التيه بدعاء بلعام عليه فقال موسى يارب بأى ذنب وقعت فى التيه بدعاء بلعام قال فكما سمعت دعاءه على فاسمع دعائى عليه فدعا موسى عليه السلام ان ينزع عنه الاسم الأعظم والايمان فنزع الله سبحانه وتعالى منه المعرفة وسلخه منها فخرجت من صدره كحمامة بيضاء. فذلك قوله سبحانه وتعالى اتيناه آياتنا فانسلخ منها * فان قلت هذه القصة ذكرها جماعة من المفسرين وفيها ان موسى عليه السلام دعا على بلعام بأن ينزع عنه الاسم الأعظم والإيمان وكيف يجوز لموسى عليه السلام مع علو منصبه فى النبوة أن يدعو على إنسان بالكفر بعد الإيمان أو يرضى له بذلك * قلت الجواب عنه من وجوه أحدها منع صحة هذه القصة لأنها من الإسرائيليات ولا يلتفت إلى ما يسطره أهل الاخبار إذا خالف الأصول الوجه الثانى ان سبب وقوع بنى إسرائيل فى التيه هو عبادتهم العجل أو قولهم لموسى عليه السلام اجعل لنا إلها فكان ذلك هو سبب وقوعهم فى التيه لا دعاء بلعام عليهم الوجه الثالث على تقدير صحة هذه القصة وان موسى عليه السلام دعا على بلعام ان موسى عليه السلام لم يدع عليه إلا ان ثبت عنده ان بلعام كفر وارتد عن الايمان بدعائه على موسى وايثاره الحياة الدنيا فدعا عليه مقابلة لدعائه عليه والله سبحانه وتعالى أعلم بحقيقة ذلك كله والمقصود من ذلك تنزيه منصب النبوة عما ينقله أصحاب الأخبار فى كتبهم من غير نظر فيه ولا بحث عن معناه وقال عبد الله بن عمرو بن العاص وسعيد بن المسيب وزيد بن أسلم نزلت هذه الاية فى امية بن أبى الصلت الثقفى وكانت قصته أنه كان قد قرأ الكتب القديمة وعلم أن الله سبحانه وتعالى مرسل رسولا فرجا ان يكون هو ذلك الرسول فلما ارسل محمد ﷺ وشرفه الله بالنبوة حسده وكذبه وكان امية صاحب حكمة وشعر ومواعظ حسنة فقصد بعض الملوك فلما رجع مر على قتلى بدر فسال عنهم فقيل له قتلهم محمد فقال لو كان نبيا ما قتل أقرباءه فلما مات امية أتت اخته فارعة إلى رسول الله ﷺ فسالها رسول الله ﷺ عن وفاة اخيها فقالت بينا هو راقد قد اتاه اثنان فكشفا سقف البيت ونزلا فقعد احدهما عند راسه والآخر عند رجليه فقال الذى عند رجليه للذى عند راسه اوعى قال وعى قال ازكى قال ابى قالت فسالته عن ذلك فقال خير اريد بى فصرف عنى ثم غشى عليه فلما افاق من غشيته قال شعرا

كل عيش وإن تطاول دهرا * صائر مرة إلى ان يزولا * ليتنى كنت قبل ما قد بدا لى
فى قلال الجبال ارعى الوعولا * ان يوم الحساب يوم عظيم * شاب فيه الصغير يوما ثقيلا

فقال لها رسول الله ﷺ انشدينى من شعر اخيك فانشدته بعض قصائده فقال رسول الله ﷺ امن شعره وكفر قلبه فانزل الله عز وجل واتل عليهم نبا الذين اتيناه اياتنا فانسلخ منها الاية وفى رواية عن ابن عباس انها نزلت فى البسوس وهو رجل من بنى اسرائيل وكان قد اعطى ثلاث دعوات مستجابات وكانت له امراة له منها اولاد فقالت له اجعل لى منها دعوة فقال لك منها واحدة كما تريدين قالت ادع الله ان يجعلنى اجمل امراة فى بنى اسرائيل فدعا فصارت اجمل النساء فلما علمت ان ليس من نساء بنى إسرائيل مثلها رغبت عنه فغضبت فدعا عليها فصارت كلبة نباحة فذهب فيها دعوتان فجاء بنوها إلى ابيهم وقالوا ليس لنا على هذا الأمر قرارا صارت امنا كلبة نباحة والناس تعيرنا بذلك فادع الله ان يردها إلى حالها الاول فدعا فعادت كما كانت فذهبت فيه الدعوات جميعا والقولان الأولان اشهر وقال الحسن وابن

فانسلخ منها) الآية اختلفوا فيه قال ابن عباس هو بلعم بن باعوراء وقال مجاهد بلعام بن باعور وقال عطية عن ابن عباس كان من بني اسرائيل وروى عن علي بن ابي طلحة رضي الله عنه انه كان من الكنعانيين من مدينة الجبارين وقال مقاتل هو من مدينة بلقاء وكانت قصته على ما ذكره ابن عباس وابن اسحق والسدي وغيرهم أن موسى لما قصد حرب الجبارين ونزل أرض بني كنعان من أرض الشام أتى قوم بلعم الى بلعم وكان عنده اسم الله الاعظم فقالوا ان موسى رجل حديد ومعه جند كثير وانه قد جاء يخرجنا من بلادنا ويقتلنا ويحلها بني اسرائيل وانت رجل مجاب الدعوة فاخرج فادع الله ان يردهم عنا فقال ويلكم نبي الله ومعه الملائكة والمؤمنون كيف ادعو عليهم وانا اعلم من الله ما اعلم واني ان فعلت هذا ذهبت دنياي وآخرتي فراجعوه وألحوا عليه فقال حتى اؤامر ربي وكان لا يدعوه حتى ينظر ما يؤمر به في المنام فامر في الدعاء عليهم فقيل له في المنام لا تدع عليهم فقال لقومه اني قد امرت ربي واني قد نهيت فاهدوا اليه هدية فقبلها ثم راجعوه فقال حتى اؤامر ربي فامر فلم يوح اليه شيء فقال قد امرت فلم يوح الي شيء فقالوا لو كره ربك أن تدعو عليهم لنهاك كما نهاك في المرة الاولى فلم يزالوا يتضرعون اليه حتى فتنوه فافتتن فركب اتانا له متوجها الى جبل يطلعه على عسكر بني اسرائيل يقال له حسان فلما سار عليه غير كثيرا ربضت به فنزل عنها فضربها حتى اذلقها فركبها فلم تسر به كثيرا حتى ربضت ففعل بها مثل ذلك فقامت فركبها فلم تسر به كثيرا حتى ربضت وضربها حتى اذا أذلقها أذن الله لها بالكلام فكلمته حجة عليه فقالت ويحك يا بلعم أين تذهب ألا ترى الملائكة أمامي ترد في عن وجهي هذا أتذهب الى نبي الله والمؤمنين تدعو عليهم فلم ينزع فخلى الله سبيلها فانطلقت حتى اذا اشرفت على جبل حسان جعل يدعو عليهم ولا يدعو بشيء الا صرف الله به لسانه الى قومه ولا يدعو لقومه بخير الا صرف الله به لسانه الى بني اسرائيل فقال له قومه يا بلعم أتدري ما تصنع انما تدعو لهم وتدعو علينا فقال هذا ما لا املكه هذا شيء قد غلب الله عليه فاندلع لسانه فوقع على صدره فقال لهم قد ذهبت الان مني الدنيا والاخرة فلم يبق الا المكر والحيلة فسامكر لكم واحتال جملوا النساء وزينوهن واعطوهن السلع ثم ارسلوهن الى العسكر يبعنها فيه ومروهن فلا تمنع امرأة نفسها من رجل ارادها فانهم ان زنا رجل واحد منهم كفيتموهم ففعلوا فلما دخل النساء العسكر مرت امرأة من الكنعانيين اسمها كستي بنت صور برجل من عظماء بني اسرائيل يقال له زمري (٢٥٨) بن شلوم راس سبط شمعون بن يعقوب فقام اليها فاخذ بيدها حين اعجبه جمالها ثم اقبل بها حتى وقف بها على موسى فقال انى اظنك ستقول هذه حرام عليك قال أجل هي حرام عليك لا تقربها قال فوالله لا اطيعك في هذا ثم دخل بها قبته فوقع عليها فأرسل الله الطاعون على بني إسرائيل في الوقت وكان فنحاص بن العيزار بن هارون صاحب أمر موسى وكان رجلا قد أعطي بسطة منه في الخلق وقوة في البطش وكان غائبا حين صنع زمري بن شلوم ما صنع فجاء والطاعون يحوس بني اسرائيل فاخبر الخبر فاخذ حربته وكانت من حديد كلها ثم دخل عليهما القبة وهما متضاجعان فانتظمهما بحربته ثم خرج بهما رافعهما إلى السماء والحربة قد اخذها بذراعه واعتمد بمرفقه على خاصرته واسند الحربة إلى لحيته وكان بكر العيزار وجعل يقول اللهم هكذا نفعل بمن يعصيك ورفع الطاعون فحسب من هلك من بني إسرائيل في الطاعون فيما بين أن أصاب زمري المرأة إلى أن قتله فنحاص فوجدوا قد هلك منهم سبعون ألفا في ساعة من النهار فمن هناك يعطي بنو إسرائيل ولد فنحاص من كل ذبيحة ذبحوها القبة والذراع واللحى لاعتماده بالحربة على خاصرته واخذه إياها بذراعه واسناده إياها إلى لحيته والبكر من كل أموالهم وأنفسهم لانه كان بكر العيزار وفي بلعم أنزل الله تعالى واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا الآية وقال مقاتل ان ملك البلقاء قال لبلعام ادع الله على موسى فقال انه من اهل ديني لا ادعو عليه فنحت خشبة ليصلبه فلما راى ذلك خرج على اتان له ليدعو عليه فلما عاين عسكرهم قامت به الاتان ووقفت فضربها فقالت لم تضربني انى مامورة وهذه نار امامي قد منعتني ان أمشي فرجع فأخبر الملك فقال موسى يا رب بأي ذنب وقعنا في التيه فقال بدعاء بلعام قال فكما سمعت دعاءه علي فاسمع دعائي عليه فدعا موسى عليه السلام ان ينزع عنه الاسم الاعظم والايمان فنزع الله عنه المعرفة وسلخه منها فخرجت منه صورة كحمامة بيضاء فذلك قوله فانسلخ منها وقال عبد الله بن عمرو بن العاص وسعيد بن المسيب وزيد بن اسلم وليث بن سعد نزلت هذه الآية في امية بن أبي الصلت الثقفي وكانت قصته أنه كان قد قرأ الكتاب وعلم أن الله مرسل رسولا فرجا ان يكون هو ذلك الرسول فلما ارسل محمدا صلى الله عليه وسلم حسده وكفر به وكان صاحب حكمة وموعظة حسنة وكان قصد بعض الملوك فلما رجع مر على قتلى بدر فسال عنهم فقيل قتلهم محمد فقال لو كان نبيا ما قتل أقرباءه فلما مات أمية أتت اخته فارعة إلى الرسول الله صلى الله عليه وسلم فسألها رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وفاة اخيها فقالت بينما هو راقد اتاه آتيان فكشفا سقف البيت فنزلا فقعد احدهما عند

كيسان نزلت في منافقي أهل الكتاب الذين كانوا يعرفون النبي ﷺ بنعته وصفته كما يعرفون أبناءهم ثم انكروه وقال قتادة هذا مثل ضربه الله لمن عرض عليه الهدى فلم يقبله وقوله تعالى آتيناه آياتنا قال ابن عباس كان يعلم اسم الله الاكبر وقال ابن زيد كان لا يسال الله شيئا إلا اعطاه وقال السدي كان يعلم اسم الله الأعظم وفي رواية أخرى عن ابن عباس انه اوتي كتابا وقيل آتاه الله حجة وادلة وهي الآيات التي اوتيها (فانسلخ منها) يعني فخرج من الآيات التي كان الله اتاها اياه كما تنسلخ الحية من جلدها وقال ابن عباس نزع

رجليه والاخر عند رأسه فقال الذى عند رجليه للذى عند رأسه أو نبى قال وعى قال أزكى قال أبى قالت فسألته عن ذلك فقال خير أريد فى نصرف عنى فغشى عليه فلما أفاق قال شعرا كل عيش وإن تطاول دهرا * صائر مرة إلى أن يزولا ليتنى كنت قبل ما قد بدا لى * فى قلال الجبال أرعى الوعولا إن يوم الحساب يوم عظيم * شاب فيه الصغير يوما ثقيلا ثم قال رسول الله ﷺ أنشدينى من شعر أخيك فأنشدته بعض قصائد فقال لها رسول الله ﷺ آمن شعره وكفر قلبه فأنزل الله عز وجل واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها الاية وفى رواية عن ابن عباس أنها نزلت فى البسوس رجل من بنى إسرائيل وكان قد أعطى له ثلاث دعوات مستجابات وكان له امرأة له منها ولد فقالت اجعل لى دعوة فقال لك منها واحدة فما تريدين قالت ادع الله ان يجعلنى اجمل امرأة فى بنى إسرائيل فدعا لها فجعلت اجمل النساء فى بنى إسرائيل فلما علمت أنه ليس فيهم مثلها رغبت عنه فغضب الزوج ودعا عليها فصارت كلبة نباحة فذهب فيها دعوتان فجاء بنوها وقالوا ليس لنا على هذا قرار قد صارت أمنا كلبة نباحة والناس يعيرونا بها ادع الله أن يردها إلى الحال التى كانت عليها فدعا الله فعادت كما كانت فذهبت فيها الدعوات كلها والقولان الأولان أظهر وقال الحسن وابن كيسان نزلت فى منافق أهل الكتاب الذين كانوا يعرفون النبى ﷺ (٢٥٩) كما يعرفون أبناءهم وقال قتادة هذا مثل ضربه الله عز وجل لمن عرض عليه الهدى فأبى أن يقبله فذلك قوله واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا قال ابن عباس والسدى اسم الله الأعظم قال ابن زيد كان لا يسأل الله شيئا إلا اعطاه وقال ابن عباس فى رواية أخرى أوتى كتابا من كتب الله فانسلخ أى خرج منها كما تنسلخ الحية من جلدها (فاتبعه الشيطان) أى لحقه وأدركه (فكان من الغاوين ولو شئنا لرفعناه بها) أى رفعنا درجته ومنزلته بتلك الايات وقال ابن عباس رضى الله عنهما لرفعناه بعلمه بها وقال مجاهد وعطاء لرفعناه عنه الكفر وعصمناه بالايات (ولكنه أخلد إلى الأرض) أى سكن إلى الدنيا ومال إليها أخلد فلان بالمكان إذا أقام به والأرض ههنا عبارة عن الدنيا لأن ما فيها من القفار والرباع كلها أرض وسائر متاعها مستخرج من الأرض (واتبع هواه) انقاد لما دعاه إليه الهوى قال ابن زيد كان هواه مع القوم قال عطاء أراد الدنيا وأطاع شيطانه وهذه أشد اية على العلماء وذلك ان الله أخبر أنه اتاه آياته من اسمه الأعظم والدعوات المستجابة والعلم والحكمة فاستوجب بالسكون إلى الدنيا واتباع الهوى تغيير النعمة عليه والانسلاخ عنها ومن الذى يسلم من هاتين الخلتين إلا من عصمه الله أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن أبى توبة أنا محمد بن يعقوب الكسائى أنا عبد الله بن محمود أنا إبراهيم بن عبد الله الخلال انا عبد الله بن المبارك عن زكريا بن أبى زائدة عن محمد بن عبد الرحمن بن سعيد بن زرارة عن كعب بن مالك الأنصارى عن أبيه قال قال رسول الله ﷺ ماذئبان جائعان ارسلا فى غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه قوله تعالى (فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث) يقال لهث الكلب يلهث إذا أدلع لسانه من العطش وشدة الحر وعند الاعياء والتعب وهذ مثل ضربه الله عز وجل لمن اتاه اياته وحكمته فتركها وعدل عنها واتبع اخرته وأثر دنياه بأخس الحيوانات وهو الكلب فى أخس أحواله وهو اللهث لأن الكلب فى حال لهثه لا يقدر على نفع نفسه ولا ضرها كذلك العالم الذى يتبع هواه لا يقدر على نفع نفسه ولا ضرها فى الاخرة لأن التمثيل به على أنه يلهث على كل حال ان حملت عليه أو تركته كان لاهثا وذلك عادة منه وطبيعة وهى مواظبته على اللهث دائما فكذلك من أتاه الله العلم والدين

منه العلم (فأتبعه الشيطان) يعنى لحقه وأدركه وصيره الشيطان تابعا لنفسه فى معصية الله يخالف أمر ربه ويطيع الشيطان وهواه * وقوله تعالى (فكان من الغاوين) يعنى من الهالكين الضالين بما خالف ربه وأطاع هواه وشيطانه وقوله سبحانه وتعالى (ولو شئنا لرفعناه بها) يعنى رفعنا درجته ومنزلته بتلك الايات التى أوتيها وقال ابن عباس لرفعناه بعمله بها وقال مجاهد وعطاء معناه ولو شئنا لرفعنا عنه الكفر وعصمناه بالايات (ولكنه أخلد إلى الأرض) يعنى ولكنه سكن إلى الدنيا ومال إليها ورضى بها وأصله من الخلود وهو الدوام والمقام والأرض هنا عبارة عن الدنيا لأن الأرض عبارة عن المفاوز والقفار وفيها المدن والضياع والمعادن والنبات ومنها يستخرج ما يعاش به فى الدنيا فالدنيا كلها هى الأرض (واتبع هواه) يعنى أنه أعرض عن التمسك بما أتاه الله من الايات واتبع الهوى فخسر دنياه وآخرته ووقع فى هاوية الردى والهلاك هذه الاية من أشد الايات على العلماء الذين يريدون بعلمهم الدنيا وشهوات النفس ويتبعون الهوى وذلك لأن الله عز وجل خص هذا الرجل بآياته وحكمته وعلمه اسمه الأعظم وجعل دعائه مستجابا ثم انه لما اتبع هواه وركن إلى الدنيا ورضى بها عوضا عن الاخرة نزع منه ما كان أعطيه وانسلخ من الدين فخسر الدنيا والاخرة ومن الذى يسلم من الميل إلى الدنيا واتباع الهوى إلا من عصمه الله بالورع وثبته بالعلم وبصره بعيوب نفسه عن كعب بن مالك الأنصارى قال قال رسول الله ﷺ ماذئبان جائعان أرسلا فى غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه أخرجه الترمذى ثم ضرب الله عز وجل مثلا لهذا الرجل الذى آتاه آياته فانسلخ منها واتبع هواه فقال تعالى (فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث) يقال لهث الكلب يلهث إذا أدلع لسانه من العطش وشدة الحر وعند الاعياء والتعب وهذ مثل ضربه الله عز وجل لمن اتاه اياته وحكمته فتركها وعدل عنها واتبع اخرته وأثر دنياه بأخس الحيوانات وهو الكلب فى أخس أحواله وهو اللهث لأن الكلب فى حال لهثه لا يقدر على نفع نفسه ولا ضرها كذلك العالم الذى يتبع هواه لا يقدر على نفع نفسه ولا ضرها فى الاخرة لأن التمثيل به على أنه يلهث على كل حال ان حملت عليه أو تركته كان لاهثا وذلك عادة منه وطبيعة وهى مواظبته على اللهث دائما فكذلك من أتاه الله العلم والدين

الكلب يلهث لهثا إذا ادلع لسانه قال مجاهد هو مثل الذى يقرأ الكتاب ولا يعمل به والمعنى أن هذا الكافر ان زجرته لم ينزجر وإن تركته

لم يهتد فالحالتان عنده سواء كحالتى الكلب ان طرد وحمل عليه بالطرد كان لاهثا وإن ترك وربض كان لاهثا قال للنبى كل شىء يلهث إنما يلهث من أعياء وعطش إلا الكلب فانه يلهث فى حال الكلال وفى حال الراحة وفى حال العطش فضربه الله مثلا لمن كذب بآياته فقال إن وعظته فهو ضال وإن تركته فهو ضال كالكلب إن طردته لهث وإن تركته على حاله لهث نظيره قوله تعالى وإن تدعوهم إلى الهدى لا يتبعوكم سواء عليكم أدعوتموهم أم أنتم صامتون ثم عم بهذا التمثيل جميع من يكذب بآيات الله فقال (ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون) وقيل هذا مثل لكفار مكة وذلك أنهم كانوا يتمنون هاديا يهديهم ويدعوهم إلى طاعة الله فلما جاءهم نبى لا يشكون فى صدقه كذبوه فلم يهتدوا تركوا أو دعوا (ساء مثلا القوم الذين كذبوا بآياتنا) أى بئس مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا وتقديره ساء مثلا مثل القوم فحذف مثل وأقيم القوم مقامه فرفع (وأنفسهم كانوا يظلمون من يهد الله فهو المهتدى ومن يضلل فأولئك هم الخاسرون ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس) اخبر الله تعالى أنه خلق كثيرا من الجن والإنس للنار وهم الذين حقت عليهم الكلمة الأزلية بالشقاوة ومن خلقه الله لجهنم فلا حيلة له فى الخلاص منها أخبرنا أبو بكر يعقوب بن أحمد بن محمد بن على الصيرفى أنا أبو محمد الحسن بن أحمد المخلدى أنا أحمد بن محمد بن أبى حمزة البلخى حدثنا موسى بن محمد بن الحكم الشطوى حدثنا حفص بن غياث عن طلحة بن يحيى عن عائشة بنت طلحة عن عائشة وتعالى أم المؤمنين قالت أدرك النبى ﷺ جنازة صبى من صبيان الأنصار فقالت عائشة طوبى له عصفور من عصافير الجنة فقال رسول الله ﷺ وما يدريك إن الله خلق الجنة وخلق لها أهلا وهم فى أصلاب آبائهم وخلق النار وخلق لها أهلا وهم فى أصلاب آبائهم وقيل اللام فى قوله لجهنم لام العاقبة أى ذرأناهم وعاقبة أمرهم جهنم كقوله تعالى فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا

وأغناه عن التعريض لحطام الدنيا الخسيسة انه مال إليها وطلبها كانت حالته كحالة الكلب اللاهث وقيل إن العالم إذا توصل بعلمه إلى طلب الدنيا فانه يظهر علومه عند أهلها ويدلع لسانه فى تقرير تلك العلوم بيانها وذلك لأجل ما يحصل عنده من حرارة الحرص الشديد وشدة العطش إلى الفوز بمطلوبه من الدنيا فكانت حالته شبيهة بحالة الكلب الذى أدلع لسانه من اللهث فى غير حاجة ولا ضرورة ومعنى إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث أى إن شددت عليه وأهجته لهث وان تركته على حاله لهث لأن اللهث طبيعة أصلية فيه فكذلك حال الحريص على الدنيا إن وعظته فهو حريص لا يقبل الوعظ ولا ينجع فيه وان تركته ولم تعظه فهو حريص أيضا لأن الحرص على طلب الدنيا صار طبيعة له لازمة كما أن اللهث طبيعة لازمة للكلب (ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا) يعنى أن المثل الذى ضربناه للذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فعم هذا المثل جميع من كذب بآيات الله وجحدها فوجه التمثيل بينهم وبين الكلب اللاهث انهم إذا جاءتهم الرسل ليهدوهم لم يهتدوا وإن تركوا لم يهتدوا أيضا بل هم ضلال فى كل حال ثم قال سبحانه وتعالى (فاقصص القصص) وهذا خطاب للنبى ﷺ يعنى فاقصص القصص بامحمد على قومك أى أخبار من كفر بآيات الله (لعلهم يتفكرون) يعنى فيتعظون وقيل هذا المثل لكفار مكة وذلك أنهم كانوا يتمنون هاديا يهديهم ويدعوهم إلى طاعة الله عز وجل فلما جاءهم محمد ﷺ يدعوهم الى الله والى طاعته وهم يعرفونه ويعرفون صدقه كذبوه ولم يقبلوا منه ثم قال سبحانه وتعالى (ساء مثلا القوم الذين كذبوا بآياتنا) يعنى بئس مثلا مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا (وأنفسهم كانوا يظلمون) يعنى بتكذيبهم بآياتنا * قوله عز وجل (من يهد الله فهو المهتدى) يعنى من يرشده الله الى دينه فهو المهتدى وقيل معناه من يتول الله هدايته وارشاده فهو المهتدى (ومن يضلل) يعنى ومن يتول الضلالة (فأولئك هم الخاسرون) يعنى فى الآخرة وقيل الاية دليل على ان الله سبحانه وتعالى هو الهادى المضل * وقوله سبحانه وتعالى إنه خلق كثيرا من الجن والانس للنار وهم الذين حقت عليهم الكلمة الأزلية بالشقاوة ومن خلقه الله للنار فلا حيلة له فى الخلاص منها واستدل البغوى على صحة هذا التأويل بما رواه عن عائشة قالت دعى رسول الله ﷺ إلى جنازة صبى من الأنصار فقلت يا رسول الله طوبى لهذا عصفور من عصافير الجنة لم يعمل السوء ولم يدركه فقال أو غير ذلك يا عائشة ان الله خلق للجنة أهلا خلقهم لها وهم فى أصلاب آبائهم وخلق للنار أهلا لها خلقهم لها وهم فى أصلاب آبائهم أخرجه مسلم قال الشيخ محيى الدين النووى فى شرح مسلم جمع من يعتد به من علماء المسلمين ان من مات من أطفال المسلمين فهو من أهل الجنة لأنه ليس مكلفا وتوقف فيهم بعض من لا يعتد به لحديث عائشة هذا وأجاب العلماء عنه بأنه لعله ﷺ نهاها عن المسارعة إلى القطع من غير أن يكون عندها دليل قاطع كما انكر على سعد بن أبى وقاص لفظة انى لأراه مؤمنا فقال أو مسلما الحديث ويحتمل أنه ﷺ قال هذا قبل ان يعلم أن أطفال المسلمين فى الجنة فلما علم ذلك قال به وأما اطفال المشركين ففيهم ثلاث مذاهب قال الأكثرون هم فى النار تبعا لآبائهم وتوقف طائفة فيهم والثالث وهو الصحيح الذى ذهب اليه المحققون أنهم من أهل الجنة ويستدل له بأشياء منها خبر ابراهيم الخليل ﷺ حين رآه النبى ﷺ فى الجنة وحوله أولاد الناس فقالوا يا رسول الله وأولاد المشركين قال وأولاد المشركين رواه البخارى فى صحيحه ومنها قوله سبحانه

وتعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ولا يتوجه على المولود التكليف ولا يلزمه قبول قول الرسول حتى يبلغ وهذا متفق عليه والله اعلم وفى الاية دليل وحجة واضحة لمذهب اهل السنة فى ان الله خالق أعمال العباد جميعها خيرها وشرها لان الله سبحانه وتعالى بين بصريح اللفظ انه خلق كثيرا من الجن والانس للنار ولا تزيد على بيان الله عز وجل لان العاقل لا يختار لنفسه دخول النار فلما عمل بما يوجب دخول النار به علم ان له من يضطره إلى ذلك العمل الموجب إلى دخول النار وهو الله عز وجل وقيل اللام فى جهنم للعاقبة اى عاقبتهم جهنم ثم وصفهم فقال تعالى (لهم قلوب لا يفقهون بها) يعنى لا يفهمون بها ولا يعقلون بها واصل الفقه فى اللغة الفهم والعلم بالشىء ثم صار علما على اسم العلم فى الدين لشرفه على غيره من العلوم يقال فقه الرجل يفقه فهو فقيه إذا فهم ومعنى الاية لهم قلوب لا يتفكرون بها فى آيات الله ولا يتدبرونها ولا يعقلون بها الخير والهدى لإعراضهم عن الحق وتركهم قبوله (ولهم اعين لا يبصرون بها) يعنى لا يبصرون بها طريق الحق والهدى ولا ينظرون بها فى آيات الله وادلة توحيده (ولهم آذان لا يسمعون بها) يعنى لا يسمعون آيات القرآن ومواعظه فيعتبرون بها قال اهل المعانى ان الكفار لهم قلوب يفقهون بها مصالحهم المتعلقة بالدنيا ولهم اعين يبصرون بها المرئيات واذان يسمعون بها الكلمات وهذا لا يشك فيه ولما وصفهم الله عز وجل بانهم لا يفقهون ولا يبصرون ولا يسمعون مع وجود هذه الحواس الدراكة علم بذلك ان المراد بذلك يرجع الى مصالح الدين وما فيه نفعهم فى الاخرة وحاصل هذا الكلام انهم مع وجود هذه الحواس لا ينتفعون بها فيما ينفعهم فى امور الدين والعرب تقول مثل ذلك لمن ترك استعمال بعض جوارحه فيما لا يصلح له ومنه قول الشاعر

وعوراء الكلام صممت عنها * وانى إن اشاء بها سميع

فانه أثبت له صمما مع وجود السمع قال مجاهد لهم قلوب لا يفقهون بها شيئا من امر الاخرة ولهم أعين لا يبصرون بها الهدى ولهم اذان لا يسمعون بها الحق ثم ضرب لهم مثلا فقال سبحانه وتعالى (اولئك كالأنعام) يعنى ان الذين ذرأهم لجهنم وهم الذين حقت عليهم الكلمة الازلية كالانعام وهى البهائم التى لا تفهم ولا تعقل وذلك لان الانسان وسائر الحيوانات مشتركون فى هذه الحواس الثلاثة التى هى القلب والبصر والسمع وإنما فضل الانسان على سائر الحيوانات بالعقل والادراك والفهم المؤدى إلى معرفة الحق من الباطل والخير والشر فاذا كان الكافر لا يعرف ذلك ولا يدركه فلا فرق بينه وبين الانعام التى لا تدرك شيئا ثم لا تدرك شيئا ثم قال تعالى (بل هم اضل) يعنى بل ان الكفار اضل من الانعام لان الانعام تعرف ما يضرها وما ينفعها والكافر لا يعرف ذلك فصار اضل من الانعام وقيل ان الانعام مطيعة لله عز وجل والكافر غير مطيع لله عز وجل فصارت الانعام افضل منه ثم قال تعالى (اولئك هم الغافلون) يعنى عن ضرب هذه الامثال لهم قوله سبحانه وتعالى (ولله الاسماء الحسنى) قال مقاتل ان رجلا دعا الله فى صلاته ودعا الرحمن فقال بعض مشركى مكة قال ابن الجوزى هو ابو جهل ان محمدا وأصحابه يزعمون انهم يعبدون ربا واحد فما بال هذا يدعو اثنين فانزل الله هذه الاية ولله الاسماء الحسنى والحسنى تانيث الاحسن ومعنى الاية ان اسماء الله سبحانه وتعالى المقدسة كلها حسنى وليس المراد ان فيها ما ليس بحسن والمعنى ان الاسماء الحسنى ليست إلا لله لان هذا اللفظ يفيد الحصر وقيل ان الاسماء الفاظ دالة على معان فهى انما تحسن بمعانيها ولا معنى للحسن فى حق الله تبارك وتعالى الا ذكره بصفات الكمال ونعوت الجلال وهى محصورة فى نوعين احدهما عدم افتقاره إلى غيره الثانى افتقار غيره إليه وانه هو المسمى باسماء الحسنى (ق) عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله تسعة وتسعون إسما من حفظها دخل الجنة والله وتر يحب الوتر وفى رواية من احصاها وفى رواية اخرى لله تسعة وتسعون اسما مائة إلا واحدة لا يحفظها احد إلا دخل الجنة وهو وتر يحب الوتر قال البخارى احصاها حفظها وفى رواية الترمذى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله تسعة وتسعين اسما من احصاها دخل الجنة هو الله الذى لا إله إلا هو الرحمن الرحيم

وحزناثم وصفهم فقال (لهم قلوب لا يفقهون بها) أى يعلمون بها الخير والهدى (ولهم أعين لا يبصرون بها) طريق الحق وسبيل الرشاد (ولهم آذان لا يسمعون بها) مواعظ القرآن فيتفكرون فيها ويعتبرون بها ثم ضرب لهم مثلا فى الجهل والاقتصار على الأكل والشرب فقال (أولئك كالأنعام بل هم أضل) أى كالأنعام فى أن همتهم فى الاكل والشرب والتمتع بالشهوات بل هم أضل لأن الأنعام تميز بين المضار والمنافع فلا تقدم على المضار وهؤلاء يقدمون على النار معاندة مع العلم بالهلاك (أولئك هم الغافلون) قوله تعالى (ولله الأسماء الحسنى

الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر الخالق البارىء المصور الغفار القهار الوهاب الرزاق الفتاح العليم القابض الباسط الخافض الرافع المعز المذل السميع البصير الحكم العدل اللطيف الخبير الحليم الغفور الشكور العلى الكبير الحفيظ المقيت الحسيب الجليل الكريم الرقيب المجيب الواسع الحكيم الودود المجيد الباعث الشهيد الحق الوكيل القوى المتين الولى الحميد المحصى المبدىء المعيد المحيى المميت الحى القيوم الواجد الماجد الواحد الصمد القادر المقتدر المقدم المؤخر الأول الاخر الظاهر الباطن الوالى المتعالى البر التواب المنتقم العفو الرؤف مالك الملك ذو الجلال والاكرام المقسط الجامع الغنى المغنى المانع الضار النافع النور الهادى البديع الباقى الوارث الرشيد الصبور قال الترمذى حدثنا به غير واحد عن صفوان بن صالح ولا نعرفه إلا من حديث صفوان بن صالح وهو ثقة عند اهل الحديث قال وقد روى هذا الحديث من غير وجه عن أبى هريرة عن النبى ﷺ ولا نعلم فى كثير من الروايات ذكر الاسماء التى فى هذا الحديث قال ابن الاثير وفى رواية ذكرها رزين ان رسول الله ﷺ تلا قوله ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها وذر الذين يلحدون فى اسمائه سيجزون ما كانوا يعملون فقال إن الله تبارك وتعالى تسعة وتسعين إسما الحديث قال الشيخ محيى الدين النووى رحمه الله تعالى اتفق العلماء على ان هذا الحديث ليس فى حصر لأسمائه سبحانه وتعالى وليس معناه انه ليس له أسماء غير هذه التسعة والتسعين وإنما المقصود من الحديث ان هذه التسعة والتسعين إسما من أحصاها دخل الجنة فالمراد الاخبار عن دخول الجنة باحصائها الأخبار بحصر الأسماء ولهذا جاء فى الحديث الآخر أسألك بكل إسم سميت به نفسك او استأثرت به فى علم الغيب عندك وقد ذكر الحافظ ابو بكر بن العربى المالكى عن بعضهم ان لله الف إسم قال ابن العربى وهذا قليل وقوله صلى الله عليه وسلم من أحصاها دخل الجنة تقدم فيه قول البخارى أن معناه حفظها وهو قول اكثر المحققين ويعضده الرواية الأخرى من حفظها دخل الجنة وقيل المراد من الاحصاء العدد اى عدها فى الدعاء بها وقيل معناه من اطاقها وأحسن المراعاة لها والمحافظة على ما تقتضيه وصدق بمعانيها وعمل بمقتضاها فدخل الجنة وقيل معنى احصاها احضر بباله عند ذكرها معناها وتفكر فى مدلولها معتبرا متدبرا ذاكرا اغبارا هبا معظما لها ولمسماها ومقدسا لذات الله سبحانه وتعالى وان يخطر بباله عند ذكر كل إسم الوصف الدال عليه وقوله والله وتر يحب الوتر الوتر الفرد ومعناه فى وصف الله تعالى انه الواحد الذى لا شريك له ولا نظير وفيه تفضيل الوتر فى الاعمال لان اكثر الطاعات وتر وفيه دليل على ان اشهر اسمائه سبحانه وتعالى الله لاضافة الاسماء اليه فيقال الرؤوف والكريم اللطيف من أسماء الله ولا يقال من اسماء الرؤوف والكريم واللطيف الله وقد قيل ان لفظ الله هو الاسم الاعظم قال ابو القاسم القشيرى فيه دليل على أن الاسم هو المسمى إذ لو كان غيره لكانت الاسماء لغيره وقد قال ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها وقال الاسماء لفظ الجمع وهو يفيد الثلاثة فما فوقها فثبت ان اسماء الله كثيرة ولا شك ان الله واحد فلزم القطع بان الاسم غير المسمى وايضا قوله سبحانه وتعالى ولله الاسماء يقتضى إضافة الاسماء إلى الله وإضافة الشىء الى نفسه محال وقال غيره الاسم عبارة عن اللفظ الدال على الشىء المسمى به فهو غيره وقال اهل اللغة إنما جعل الاسم تنويها على المعنى لأن المعنى تحت الاسم والتسمية غير الاسم لأن التسمية عبارة عن وضع اللفظ المعين لتعريف ذات الشىء والاسم عبارة عن تلك اللفظة المعينة والفرق ظاهر قال العلماء وكما يجب تنزيه الله عن جميع النقائص فكذلك يجب تنزيه أسمائه أيضا وقوله سبحانه وتعالى (فادعوه بها) يعنى ادعوا الله بأسمائه التى سمى بها نفسه أو سماه بها رسوله ففيه دليل على ان اسماء الله تعالى توقيفية لا اصطلاحية ومما يدل على صحة هذا القول ويؤكده انه يجوز ان يقال ياجواد ولا يجوز أن يقول ياسخى ويجوز أن يقال ياعالم ولا يجوز أن يقال ياعاقل ويجوز أن يقال ياحكيم ولا يجوز أن يقال ياطبيب وللدعاء شرائط منها ان يعرف الداعى معانى الأسماء التى

فادعوه بها) قال مقاتل وذلك أن الرجل دعا الله فى صلاته ودعا الرحمن فقال بعض مشركى مكة أن محمداً صلى الله عليه وسلم وأصحابه يزعمون انهم يعبدون ربا واحداً فما بال هذا يدعو اثنين فانزل الله عز وجل ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها والحسنى تأنيث الأحسن كالكبرى والصغرى فادعوه بها أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحى أنا ابو الحسين على ابن محمد بن عبد الله بن بشران انا أبو على إسمعيل ابن الصفار أنا أحمد بن منصور الرمادى حدثنا معمر عن همام بن منبه عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان لله تسعة وتسعين إسما ماله إلا واحداً من أحصاها دخل الجنة انه وتر يحب الوتر

(وذروا الذين يلحدون فى أسمائه) قرأ حمزة يلحدون بفتح الياء والحاء حيث كان ووافقه الكسائى فى النحل والباقون بضم الياء وكسر الحاء ومعنى الالحاد هو الميل عن القصد يقال لحد يلحد إلحادا والحد يلحد لحودا إذا مال قال يعقوب بن السكيت الالحاد هو العدول عن الحق وادخال ما ليس منه فيه يقال الحد فى الدين والحد به قرأ حمزة وذروا الذين يلحدون فى أسمائهم المشركون عدلوا باسماء الله تعالى عما هى عليه فسموا بها اوثانهم فزادوا او نقصوا فاشتقوا اللات من الله والعزى من العزيز ومناة من المنان هذا قول ابن عباس ومجاهد وقيل هو تسميتهم الأصنام آلهة وروى عن ابن عباس يلحدون فى أسمائه أى يكذبون وقال اهل المعانى الالحاد فى اسماء الله تسميته بما لم يتسم به ولم ينطق به كتاب الله ولا سنة رسول الله ﷺ وجملته ان أسماء الله تعالى على التوقيف فانه يسمى جواد ولا يسمى سخيا وإن كان فى معنى الجواد ويسمى رحيما ولا يسمى رفيقا ويسمى عالما ولا يسمى عاقلا وقال تعالى يخادعون الله وهو خادعهم وقال عز من قائل ومكروا ومكر الله ولا يقال فى الدعاء يا مخادع يا مكار بل يدعى باسمائه التى ورد بها التوقيف على وجه التعظيم فيقال يا الله يا رحمن يا رحيم يا عزيز يا كريم ونحو ذلك (سيجزون ما كانوا يعملون) فى الاخرة قوله تعالى (وممن خلقنا أمة) أى عصابة (يهدون بالحق وبه يعدلون) قال عطاء عن ابن عباس يريد امة محمد ﷺ وهم المهاجرون والانصار والتابعون لهم باحسان وقال قتادة بلغنا ان النبى ﷺ كان إذا قرأ هذه الاية قال هذه لكم وقد اعطى القوم بين أيديكم ومثلها ومن قوم موسى امة يهدون بالحق وبه يعدلون أخبرنا عبد الواحد المليحى انا احمد بن عبد الله النعيمى

يدعو بها ويستحضر فى قلبه عظمة المدعو سبحانه وتعالى ويخلص النية فى دعائه مع كثرة التعظيم والتبجيل والتقديس لله ويعزم المسئلة مع رجاء الاجابة ويعترف لله سبحانه وتعالى بالربوبية وعلى نفسه بالعبودية فاذا فعل العبد ذلك عظم موقع الدعاء وكان له تاثير عظيم (وذروا الذين يلحدون فى أسمائه) معنى الالحاد فى اللغة الميل عن القصد والعدول عن الاستقامة وقال ابن السكيت الملحد العادل عن الحق المدخل فيه ما ليس منه يقال الحد فى الدين الحادا إذا عدل عنه ومال إلى غيره قال المحققون الالحاد يقع فى أسماء الله تعالى على وجوه احدها اطلاق اسماء الله عز وجل على غيره وذلك ان المشركين سموا أصنامهم بالالهة واشتقوا لها اسما من أسماء الله تعالى فسموا اللات والعزى ومنات واشتقاق اللاة من الاله والعزى من العزيز ومناة من المنان وهذا معنى قول ابن عباس ومجاهد الوجه الثانى وهو قول أهل المعانى ان الالحاد فى أسماء الله هو تسميته بما لم يسم به نفسه ولم يرد فيه نص من كتاب ولا سنة لان أسماء الله سبحانه وتعالى كلها توقيفية كما تقدم فلا يجوز فيها غير ما ورد فى الشرع بل ندعو الله باسمائه التى وردت فى الكتاب والسنة على وجه التعظيم الوجه الثالث مراعاة حسن الادب فى الدعاء فلا يجوز أن يقال يا ضار يا مانع يا خالق القردة على انفراد بل يقال يا ضار يا نافع يا خالق الخلق الوجه الرابع أن لا يسمى الله العبد باسم لا يعرف معناه فانه ربما سماه باسم لا يليق اطلاقه على جلال الله سبحانه وتعالى ولا يجوز ان يسمى به لما فيه من الغرابة * وقوله سبحانه وتعالى (سيجزون ما كانوا يعملون) يعنى فى الاخرة ففيه وعيد وتهديد لمن الحد فى أسماء الله عز وجل قوله عز وجل (وممن خلقنا امة) يعنى جماعة وعصابة (يهدون بالحق وبه يعدلون) قال ابن عباس يريد امة محمد ﷺ وهم المهاجرون والانصار والتابعون لهم باحسان قال قتادة بلغنا ان النبى ﷺ كان إذا قرأ هذه الاية قال هذه لكم وقد اعطى القوم بين أيديكم مثلها ومن قوم موسى امة يهدون بالحق وبه يعدلون (ق) عن معاوية قال وهو يخطب سمعت رسول الله ﷺ يقول لا تزال من امتى أمة قائمة بامر الله لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتى امر الله وهم على ذلك وفى الاية دليل على انه لا يخلو زمان من قائم بالحق يعمل به ويهدى اليه (والذين كذبوا بآياتنا) يريد به جميع المكذبين بآيات الله وهم الكفار وقيل المراد بهم اهل مكة والاول أولى لان صيغة العموم تتناول الكل إلا اما دل الدليل على خروجه منه (سنستدرجهم من حيث لا يعلمون) قال الازهرى سنأخذهم قليلا قليلا من حيث لا يحتسبون وذلك أن الله سبحانه وتعالى يفتح عليهم من النعيم ما يغتبطون به او يركنون اليه ثم يأخذهم على غرتهم اغفل ما يكونون وقيل معناه سنقربهم إلى ما يهلكهم ويضاعف عقابهم من حيث لا يعلمون ما يراد بهم لانهم كانوا إذا اتوا بجرم أو اقدموا على ذنب فتح الله عليهم من ابواب الخير والنعمة فى الدنيا فيزدادون تماديا فى الغى والضلال ويندرجون فى الذنوب والمعاصى فيأخذهم الله أخذة واحدة اغفل ما يكونون عليه وقال الضحاك معناه كلما جددوا معصية جددنا

أنا محمد بن يوسف انا محمد بن إسماعيل حدثنا الحميدى حدثنى عمير بن هانىء انه سمع معاوية رضى عنه يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول لا تزال من امتى أمة قائمة بامر الله لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى امر الله وهم على ذلك وقال الكلبى هم من جميع الخلق (والذين كذبوا بآياتنا سنستدرجهم من حيث لا يعلمون) قال عطاء سنمكر بهم من حيث لا يعلمون وقيل نأتيهم من مأمنهم كما قال فاتاهم الله من حيث لم يحتسبوا قال الكلبى نزين لهم أعمالهم فنهلكهم وقال الضحاك كلما جددوا معصية جددنا لهم نعمة قال سفيان الثورى نسبغ عليهم النعمة وننسيهم الشكر قال أهل المعانى الاستدراج ان يتدرج إلى الشىء فى خفية قليلا قليلا فلا يباغت ولا يجاهر ومنه درج الصبى إذا قارب بين خطاه فى المشى ومنه درج الكتاب إذا طواه شيئا بعد شىء

(وأملى لهم) أى أمهلهم وأطيل لهم مدة عمرهم ليتمادوا فى المعاصى (إن كيدى متين) أى ان أخذى قوى شديد قال ابن عباس ان مكرى شديد قبل نزلت فى المستهزئين فقتلهم الله فى ليلة واحدة قوله تعالى (أولم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة قال قتادة ذكر لنا ان النبى ﷺ قام على الصفا ليلا فجعل يدعو قريشا فخذا فخذا يا بنى فلان (٢٦٤) يا بنى فلان يحذرهم بأس الله ووقائعه فقال قائلهم ان صاحبكم هذا المجنون بات يصوت إلى الصباح فانزل الله تعالى أولم يتفكروا ما بصاحبهم محمد ﷺ من جنة جنون (إن هو) ما هو (إلا نذير مبين) ثم حثهم على النظر المؤدى إلى العلم فقال (أولم ينظروا فى ملكوت السموات والأرض وما خلق الله) فيهما (من شىء) أى ينظروا إلى ما خلق الله فيهما من شىء ليستدلوا بها على وحدانيته (وان عسى ان يكون قد اقترب أجلهم) أى لعل ان يكون قد اقترب اجلهم فيموتوا قبل ان يؤمنوا ويصيروا إلى العذاب (فبأى حديث بعده يؤمنون) أى بعد القرآن يؤمنون يقول بأى كتاب غير ما جاء به محمد ﷺ يصدقون وليس بعده نبى ولا كتاب ثم ذكر علة إعراضهم عن الايمان فقال (من يضلل الله فلا هادى له ويذرهم) قرأ أهل البصرة وعاصم بالياء ورفع الراء وقرأ حمزة والكسائى بالياء وجزم الراء لان ذكر الله قد مر قبله وجزم الراء مردود على يضلل وقرأ الاخرون بالنون ورفع الراء على انه كلام مستأنف (فى طغيانهم يعمهون) يترددون متحيرين قوله

نعمة وقال الكلبى نزين أعمالهم ثم نهلكهم بها وقال سفيان الثورى نسبغ عليهم النعم ثم نسلبهم الشكر روى أن عمر بن الخطاب لما حمل عليهم كنوز كسرى قال اللهم انى اعوذ بك ان اكون مستدرجا فانى سمعتك تقول سنستدرجهم من حيث لا يعلمون قال اهل المعانى الاستدراج ان يندرج الشىء إلى الشىء فى خفية قليلا قليلا ومنه درج الصبى إذا قارب بين خطاه فى المشى ومنه درج الكتاب إذا طواه شيئا بعد شىء (وأملى لهم) يعنى وامهلهم واطيل مدة أعمارهم والاملاء فى اللغة الامهال واطالة المدة والمعنى انى اطيل مدة أعمارهم ليتمادوا فى الكفر والمعاصى ولا اعاجلهم بالعقوبة ولا افتح لهم باب التوبة (إن كيدى متين) يعنى ان اخذى شديد والمتين من كل شىء هو القوى الشديد وقال ابن عباس معناه ان مكرى شديد قال المفسرون نزلت هذه الاية فى المستهزئين من قريش وذلك ان الله سبحانه وتعالى امهلهم ثم قتلهم فى ليلة واحدة وفى هذه الاية دليل على مسئلة القضاء والقدر وأن الله سبحانه وتعالى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا يسئل عما يفعل وهم يسألون * قوله سبحانه وتعالى (أولم يتفكروا ما بصاحبهم) يعنى محمدا ﷺ (من جنة) يعنى من جنون قال قتادة ذكر لنا ان نبى الله صلى الله عليه وسلم قام على الصفا ليلا فجعل يدعو قريشا فخذا فخذا يا بنى فلان يا بنى فلان انى لكم نذير مبين وكان يحذرهم بأس الله ووقائعه فقال قائلهم ان صاحبكم هذا المجنون بات يصوت إلى الصباح فانزل الله عز وجل اولم يتفكروا والتفكر التأمل واعمال الخاطر فى عاقبة الامر والمعنى ولم يتفكروا فيعلموا ما بصاحبهم يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم من جنة والجنة حالة من الجنون وادخال لفظة من فى قوله من جنة يوجب أن لا يكون به نوع من أنواع الجنون وإنما نسبوه إلى الجنون وهو برىء منه لانهم رأوا انه صلى الله عليه وسلم خالفهم فى الاقوال والافعال لانه كان معرضا عن الدنيا ولذاتها مقبلا على الاخرة ونعيمها مشتغلا بالدعاء إلى الله عز وجل وإنذارهم بأسه ونقمته ليلا ونهارا من غير ملال ولا ضجر فعند ذلك نسبوه إلى الجنون فبراه الله سبحانه وتعالى من الجنون فقال تعالى (إن هو) يعنى ما هو (إلا نذير مبين) ثم حثهم على النظر المؤدى إلى العلم بالوحدانية فقال سبحانه وتعالى (أولم ينظروا) يعنى نظر إعتبار واستدلال (فى ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شىء) والمقصود التنبيه على الدلالة على الوحدانية ووجود الصانع القديم غير مقصورة على ملك السموات والارض بل كل شىء خلقه الله سبحانه وتعالى وبرأه فيه دليل على وحدانية الله سبحانه وتعالى وآثار قدرته كما قال الشاعر

وفى كل شىء له آية * تدل على أنه واحد

(وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم) والمعنى ولعل اجلهم يكون قد اقترب فيموتوا على الكفر قبل ان يؤمنوا فيصيروا إلى النار وإذا كان الامر كذلك وجب على الغافل المبادرة إلى التفكر والاعتبار والنظر المؤدى إلى الفوز بالنعيم المقيم (فبأى حديث بعده) يعنى بعد القران (يؤمنون) يعنى يصدقون والمعنى فبأى كتاب بعد الكتاب الذى جاء محمد صلى الله عليه وسلم يصدقون وليس بعد محمد نبى ولا بعد كتابه كتاب لانه خاتم الانبياء وكتابه خاتم الكتب لانقطاع الوحى بعد محمد صلى الله عليه وسلم ثم ذكر علة اعراضهم عن الايمان فقال سبحانه وتعالى (من يضلل الله فلا هادى له) يعنى ان إعراض هؤلاء عن الإيمان لاضلال الله إياهم فلو هداهم لامنوا (ويذرهم فى طغيانهم يعمهون) يعنى ويتركهم فى ضلالتهم وتماديهم فى الكفر يترددون متحيرين لا يهتدون سبيلا * قوله عز وجل (يسئلونك عن الساعة ايان مرساها) قال قتادة قالت قريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان بيننا وبينك قرابة فاسر الينا متى الساعة فأنزل الله تعالى هذه الاية وقال ابن عباس قال جبل بن أبى قشير وشمول بن زيد ومما من اليهود لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا محمد أخبرنا متى الساعة إن كنت نبيا كما تقول

فانا

(يسئلونك عن الساعة أيان مرساها) قال قتادة قالت قريش لرسول الله ﷺ إن بيننا وبينك قرابة فأسر الينا متى الساعة فانزل الله تعالى يسئلونك عن الساعة يعنى يوم القيامة أيان مرساها قال ابن عباس رضى الله عنهما منتهاها وقال قتادة قيامها وأصله الثبات أى متى مثبتها

فانا نعلم متى الساعة فانزل الله عز وجل يسألونك عن الساعة يعنى عن خبر القيامة سميت ساعة لأنها تقوم فى ساعة غفلة وبغتة أو لان حساب الخلائق ينقضى فيها فى ساعة واحدة ايان سؤال استفهام عن الوقت الذى تقوم فيه الساعة ومعناه متى مرساها قال ابن عباس يعنى منتهاها أى متى وقوعها قالوا والساعة الوقت الذى تموت فيه الخلائق وأصل الارساء الثبات يقول رسا يرسو إذا ثبت (قل) أى قل لهم يا محمد (إنما علمها عند ربى) أى لا يعلم الوقت الذى تقوم فيه إلا الله استأثر الله بعلمها فلم يطلع عليه أحد ومر حديث الايمان والإسلام والاحسان وسؤال جبريل للنبى ﷺ قال فاخبرنى عن الساعة قال ما المسئول عنها باعلم من السائل قال المحققون وسبب اخفاء علم الساعة ووقت قيامها عن العباد ليكونوا على خوف وحذر منها لانهم إذا لم يعلموا متى يكون ذلك الوقت كانوا على وجل وخوف واشفاق منها فيكون ذلك ادعى لهم إلى الطاعة والتوبة وازجر لهم عن المعصية (لا يجليها لوقتها إلا هو) قال مجاهد لا يأتى بها إلا هو وقال السدى لا يرسلها لوقتها إلا هو والتجلية إظهار الشىء بعد خفائه والمعنى لا يظهرها لوقتها المعين إلا الله ولا يقدر على ذلك غيره (ثقلت فى السموات والأرض) يعنى ثقل أمرها وخفى علمها على أهل السموات والارض فكل شىء خفى فهو ثقيل شديد وقال الحسن إذا جاءت ثقلت وعظمت على أهل السموات والأرض وإنما ثقلت عليهم لأن فيها فناءهم وموتهم وذلك ثقيل على القلوب (لا تأتيكم إلا بغتة) يعنى فجاة على حين غفلة من الخلق (ق) عن ابى هريرة قال قال رسول الله ﷺ لتقومن الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما بينهما فلا يتبايعانه ولا يطويانه ولتقومن الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لقحته فلا يطعمه ولتقومن الساعة وهو يليط حوضه فلا يسقى فيه ولتقومن الساعة وقد رفع اكلته إلى فيه فلا يطعمها اللقحة بفتح اللام وكسرها الناقة القريبة العهد بالنتاج قوله يليط حوضه ويروى يلوط حوضه يعنى يطينه ويصلحه يقال لاط حوضه يليطه أو يلوطه إذا طينه وأصله من اللصوق والاكلة بضم الهمزة اللقمة * وقوله سبحانه وتعالى (يسألونك كانك حفى عنها) يعنى يسألونك قومك عن الساعة كانك حفى بهم بمعنى بارهم شفيق عليهم فعلى هذا القول فيه تقديم وتأخير تقديره يسألونك عنها كانك حفى بهم قال ابن عباس يقول كان بينك وبينهم مودة وكانك صديق لهم قال ابن عباس لما سال الناس محمدا ﷺ عن الساعة سالوه سؤال قوم كانهم يرون أن محمدا ﷺ حفى بهم فاوحى الله عز وجل اليه إنما علمها عنده استأثر بعلمها فلم يطلع عليها ملكا ولا رسولا وقيل معناه يسالونك عنها كانك حفى بها أى عالم بها من قولهم احفيت فى المسألة إذا بالغت فى السؤال عنها حتى علمتها (قل) يعنى يا محمد (إنما علمها عند الله) يعنى استأثر الله بعلمها فلا يعلم متى الساعة إلا الله عز وجل * فان قلت قوله سبحانه وتعالى يسألونك عن الساعة ايان مرساها وقوله سبحانه تعالى ثانيا يسألونك كانك حفى عنها فيه تكرار * قلت ليس فيه تكرار لان السؤال الاول سؤال عن وقت قيام الساعة والسؤال الثانى سؤال عن أحوالها من ثقلها وشدائدها فلم يلزم التكرار * فان قلت عبر عن الجواب فى السؤال الاول بقوله تعالى علمها عند ربى وعن الجواب فى السؤال الثانى بقوله تعالى علمها عند الله فهل من فرق بين الصورتين فى الجوابين * قلت فيه فرق لطيف وهو أنه لما كان السؤال الاول واقعا عن قيام وقت الساعة عبر الجواب فيه بقوله تعالى علم وقت قيامها عند ربى ولما كان السؤال الثانى واقعا عن أحوالها وشدائدها وثقلها عبر عن الجواب فيه بقوله سبحانه وتعالى عند الله لأنه أعظم الأسماء (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) يعنى لا يعلمون ان علمها عند الله وأنه استأثر بعلم ذلك حتى لا يسالوا عنه وقيل ولكن اكثر الناس لا يعلمون السبب الذى من أجله اخفى علم وقت قيامها المغيب عن الخلق * قوله سبحانه وتعالى (قل لا املك لنفسى نفعا ولا ضرا) قال ابن عباس ان أهل مكة قالوا يا محمد الا يخبرك ربك بالسعر الرخيص قبل أن يغلو فتشترى به فتربح فيه عند الغلاء وبالأرض التى يريد أن تجدب فترحل عنها إلى ما قد اخصبت فانزل الله عز وجل قل لا املك أى قل يا محمد لا املك ولا اقدر لنفسى نفعا أى اجتلاب نفع بأن اربح فيما اشتريه ولا ضرا يعنى ولا اقدر ان ادفع عن نفسى ضر انزل بها بان ارتحل إلى الأرض الخصبة واترك

(قل) يا محمد (إنما علمها عند ربى) استأثر بعلمها ولا يعلمها إلا هو (لا يجليها) لا يكشفها (٢٦٥) ولا يظهرها وقال مجاهد لا يأتى بها

(لوقتها إلا هو ثقلت فى السموات والأرض) يعنى ثقل علمها وخفى امرها على أهل السموات والأرض وكل خفى ثقيل قال الحسن يقول إذا جاءت ثقلت وعظمت على أهل السموات والأرض (لا تأتيكم إلا بغتة) فجاة على غفلة أخبرنا عبد الواحد المليحى حدثنا أحمد بن عبدالله النعيمى حدثنا محمد بن يوسف حدثنا محمد بن اسمعيل حدثنا أبو اليمان حدثنا شعيب حدثنا أبو الزناد عن عبد الرحمن الأعرج عن أبى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لتقومن الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما بينهما فلا يتبايعانه ولا يطويانه ولتقومن الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لقحته لا يطعمه ولتقومن الساعة وهو يليط حوضه فلا يسقى فيه ولتقومن الساعة وقد رفع اكلته إلى فيه فلا يطعمها (يسالونك عنها كانك حفى بها) أى عالم بها من قولهم احفيت فى المسألة أى بالغت فيها معناها كانك بالغت فى سؤال عنها حتى علمتها (قل إنما علمها عند الله ولكن أكثر الناس لا يعلمون) ان علمها عند

الله حتى سألوا محمدا ﷺ عنها (قل لا أملك لنفسى نفعا ولا ضرا

إلا ماشاء الله) قال ابن عباس رضي الله عنهما أن أهل مكة قالوا يا محمد ألا يخبرك ربك بالسعر الرخيص قبل أن يغلو فتشتريه وتربح عند الغلاء وبالأرض التي يريد أن تجدب فترتحل منها إلى ما قد اخصبت فأنزل الله تعالى قل لا أملك لنفسي نفعا أي لا أقدر لنفسي نفعا أي اجتلاب نفع بأن أربح ولا ضرا أي دفع ضر بأن ارتحل من أرض يريد أن تجدب إلا ماشاء الله أن أملكه (ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء) أي لو كنت أعلم الخصب والجدب لاستكثرت من المال أي لسنة لقحط وما مسني السواء أي الضر والفقر والجوع وقال ابن جريج قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا يعني الهدى والضلالة ولو كنت أعلم الغيب أي متى أموت لاستكثرت من الخير من العمل الصالح وما مسني السوء قال ابن زيد اجتنبت ما يكون من الشر واتقيه (٢٦٦) وقيل معناه ولو كنت أعلم الغيب أي متى الساعة لاخبرتكم حتى تؤمنوا وما مسني السوء بتكذيبكم وقيل ما مسني السوء ابتداء يريد ما مسني الجنون لأنهم كانوا ينسبونه إلى الجنون (إن أنا إلا نذير) لمن لا يصدق بما جئت به (وبشير) بالجنة (لقوم يؤمنون) يصدقون قوله (هو الذي خلقكم من نفس واحدة) يعني من ادم (وجعل) وخلق (منها زوجها) يعني حواء (ليسكن إليها) ليأنس بها ويأوي اليها (فلما تغشاها) أي واقعها وجامعها (حملت حملا خفيفا) وهو أول ما تحمل المرأة من النطفة يكون خفيفا عليها (فمرت به) أي استمرت به وقامت وقعدت به ولم يثقلها (فلما أثقلت) أي كبر الولد في بطنها وصارت ذات ثقل بحملها ودنت ولادتها (دعوا الله ربهما) يعني ادم وحواء (لئن اتيتنا) يا ربنا (صالحا) أي بشرا سويا مثلنا (لنكونن من الشاكرين) قال المفسرون فلما حملت حواء أتاها إبليس في صورة رجل فقال لها ما الذي في بطنك قالت ما أدري قال إني أخاف أن يكون بهيمة أو كلبا أو خنزيرا أو ما يدريك من أين يخرج من دبرك فيقتلك أو من فيك أو ينشق بطنك فخافت حواء من ذلك وذكرت ذلك لادم عليه السلام فلم يزالا في هم من ذلك ثم عاد اليها فقال إني من الله بمنزلة فان دعوت الله أن يجعله خلقا سويا مثلك ويسهل عليك خروجه أتسميينه عبد الحارث وكان اسم إبليس في الملائكة الحارث فذكرت ذلك لادم فقال لعله صاحبنا الذي قد علمت فعاودها إبليس فلم يزل بهما حتى غرهما فلما ولدت سمياه عبد الحارث قال الكلبي قال ابليس لها ان دعوت الله فولدت انسانا اتسمينه بي قالت نعم فلما ولدت قال سميه بي قالت وما اسمك قال الحارث ولو سمى لها نفسه لعرفته فسمته عبد الحارث وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كانت حواء تلد لادم فيسميه عبد الله وعبيد الله وعبد الرحمن فيصيبهم الموت فاتاهما ابليس وقال ان سركما ان يعيش لكما ولد فسمياه عبد الحارث فولدت فسمياه

الجدبة (إلا ماشاء الله) يعني أن أملكه واقدر عليه (ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير) يعني ولو كنت أعلم وقت الخصب والجدب لاستكثرت من المال (وما مسني السوء) يعني الضر والفقر والجوع وقال ابن جريج معناه لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا من الهدى والضلالة ولو كنت أعلم الغيب يريد من وقت الموت لاستكثرت من الخير يعني من العمل الصالح وقيل ان اهل مكة لما سألوا رسول الله ﷺ عن الساعة أنزل الله تعالى الآية والأولى وهذه الآية ومعناه أنا لا ادعي علم الغيب حتى أخبركم عن وقت قيام الساعة وذلك لما طالبوه بالاخبار عن الغيوب فذكر ان قدرته قاصرة عن علم الغيب فان قلت قد اخبر ﷺ عن المغيبات وقد جاءت احاديث في الصحيح بذلك وهو من أعظم معجزاته ﷺ فكيف الجمع بينه وبين قوله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير قلت يحتمل أن يكون قاله ﷺ على سبيل التواضع والادب والمعنى لا أعلم الغيب إلا أن يطلعني الله عليه ويقدره لي ويحتمل أن يكون قال ذلك قبل أن يطلعه الله عز وجل على الغيب فلما اطلعه الله عز وجل أخبره به كما قال تعالى فلا يظهر على غيبه أحدا الا من ارتضى من رسول أو يكون خرج هذا الكلام مخرج الجواب عن سؤالهم ثم بعد ذلك أظهره الله سبحانه وتعالى على أشياء من المغيبات فاخبر عنها ليكون ذلك معجزة له ودلالة على صحة نبوته ﷺ وقوله وما مسني السوء يعني الجنون وذلك أنهم نسبوه إلى الجنون وقيل معناه ولو كنت أعلم لاستكثرت من تحصيل الخير واحترزت عن الشر حتى اصير بحيث لا يمسني السوء وقيل معناه ولو كنت اعلم الغيب لاعلمتكم بوقت قيام الساعة حتى تؤمنوا وما مسني السوء يعني قولكم لو كنت نبيا لعلمت متى تقوم الساعة (إن أنا إلا نذير) يعني ما أنا إلا رسول أرسلني الله اليكم أنذركم وأخوفكم عقابه إن لم تؤمنوا (وبشير) يعني وابشر بثوابه (لقوم يؤمنون) يعني يصدقون * قوله عز وجل (هو الذي خلقكم من نفس واحدة) يعني ادم عليه السلام (وجعل منها زوجها) يعني وخلق منها زوجها حواء من ضلع ادم في أول سورة النساء (ليسكن اليها) يعني ليأنس بها ويأوي (فلما تغشاها) يعني واقعها وجامعها كنى به عن الجماع احسن كناية لأن الغشيان اتيان الرجل المرأة وقد غشيها وتغشاها إذا علاها وتجللها (حملت حملا خفيفا) يعني النطفة والمني لان أول ما تحمل النطفة وهي خفيفة عليها (فمرت به) يعني أنها استمرت بذلك الحمل فقامت وقعدت وهو خفيف عليها (فلما أثقلت) أي صارت إلى حال الثقل وكبر ذلك الحمل ودنت مدة ولادتها (دعوا الله ربهما) يعني ان آدم وحواء دعوا الله ربهما (لئن آتيتنا صالحا) يعني لئن أعطيتنا بشرا سويا مثلنا (لنكونن من الشاكرين) يعني لك على انعامك علينا قال المفسرون لما هبط آدم وحواء إلى الأرض القيت الشهوة في نفس آدم فاصاب حواء فحملت من ساعتها فلما ثقل الحمل وكبر الولد اتاها ابليس فقال لها ما الذي في بطنك قالت ما أدري

عبد الحارث فعاش وجاء فى الحديث خدعهما إبليس مرتين فى الجنة ومرة فى الأرض وقال ابن زيد ولد لآدم ولد فسماه عبد الله فأتاهما إبليس فقال ما سميتما ابنكما إلا عبد الله وكان قد ولد لهما قبل ذلك ولد فسمياه عبد الله فمات فقال إبليس أتظنان ان الله تارك عبده عندكما والله ليذهبن به كما ذهب بالآخرين ولكن ادلكم على اسم يبقى لكما ما بقيتما فسمياه عبد شمس والأول أصح فذلك قوله (فلما أتاهما صالحا) بشرا سويا (جعلا له شركاء فيما أتاهما) قرأ أهل المدينة وابو بكر شركا بكسر الشين والتنوين أى شركة قال ابو (٢٦٧) عبيدة اى حظا ونصيبا وقرأ الاخرون شركاء بضم الشين ممدودا على جمع شريك يعنى إبليس اخبر عن الواحد بلفظ الجمع اى جعلا له شريكا إذ سمياه عبد الحارث وهما فان ادم كان نبيا معصوما من الشرك ولكن قصد إلى ان الحارث كان سبب نجاة الولد وسلامة امه وقد يطلق إسم العبد إلى من يراد به انه معبود هذا كالرجل إذا نزل به ضيف يسمى نفسه عبد الضيف على وجه الخضوع لا على وجه ان الضيف ربه ويقول للغير انا عبدك وقال يوسف لعزيز مصر انه ربى ولم يرد به انه معبوده كذلك هذا وقوله (فتعالى الله عما يشركون) قيل هذا ابتداء كلام واراد به اشراك اهل مكة ولئن اراد به ماسبق فستقيم من حيث أنه كان الاولى بهما ان لا يفعلا ما اتيا به من الاشراك فى الاسم وفى الاية قول آخر وهو انه راجع إلى جميع المشركين من ذرية آدم وهو قول الحسن وعكرمة ومعناه

قال إنى اخاف ان يكون بهيمة او كلبا او خنزيرا اترين فى الارض إلا بهيمة او نحوها قالت انى اخاف بعض ذلك قال وما يدريك من اين يخرج امن دبرك ام من فيك او يشق بطنك فيقتلك فخافت حواء من ذلك وذكرته لادم فلم يزالا فى غم من ذلك ثم عاد اليها إبليس فقال لها انى من الله بمنزلة فان دعوت الله أن يجعله خلقا سويا مثلك ويسهل عليك خروجه تسميه عبد الحرث وكان اسم ابليس فى الملائكة الحرث فذكرت ذلك حواء لادم عليه السلام فقال لعله صاحبنا الذى علمت فعاودها إبليس فلم يزل بهما حتى غرهما فلما ولدت سمياه عبد الحرث وقال ابن عباس كانت حواء تلد لادم فيسميه عبد الله وعبيد الله وعبد الرحمن فيصيبهم الموت فاتاهما إبليس فقال إن سركما أن يعيش لكما ولد فسمياه عبد الحرث فولدت فسمياه عبد الحرث فعاش عن سمرة بن جندب قال قال رسول الله ﷺ لما حملت حواء طاف بها إبليس وكان لا يعيش لها ولد فقال سميه عبد الحرث فسمته فعاش وكان ذلك من وحى الشيطان وامره أخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث عمر بن إبراهيم عن قتادة وقال وقد رواه بعضهم ولم يرفعه وقوله وذلك من وحى الشيطان يعنى من وسوسته وحديثه كما جاء انه خدعهما مرتين مرة فى الجنة ومرة فى الأرض قال ابن عباس لما ولد له اول ولد اتاه إبليس فقال انى ساصح لك فى شأن ولدك هذا تسمية عبد الحرث وكان اسمه فى السماء الحرث فقال آدم أعوذ بالله من طاعتك انى أطعتك فى أكل الشجرة فأخرجتنى من الجنة فلن أطيعك فمات ولده ثم ولد له بعد ذلك ولد اخر فقال اطعنى وإلا مات كما مات الاول فعصاه فمات ولده فقال لا أزال أقتلهم حتى تسميه عبد الحرث فلم يزل به حتى سماه عبد الحرث فذلك قوله تعالى (فهما أتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما أتاهما) قال ابن عباس اشركاه فى طاعته فى غير عبادة ولم يشركا بالله ولكن اطاعاه وقال قتادة اشركا فى الإسم ولم يشركا فى العبادة وقال عكرمة ما أشرك ادم ولا حواء وكان لا يعيش لهما ولد فأتاهما الشيطان فقال أن سركما أن يعيش لكما ولد فسمياه عبد الحرث فهو قوله تعالى جعلا له شركاء فيما اتاهما قرىء شركا بكسر الشين مع التنوين ومعناه شركة وقال ابو عبيدة معناه حظا ونصيبا وقرىء شركاء بضم الشين مع المد جمع شريك يعنى إبليس عبر عن عبد الواحد بلفظ الجمع يعنى جعلا له شريكا إذ اسمى ولدها عبد الحرث قال العلماء ولم يكن ذلك شركا فى العبادة ولا ان الحرث رب لهما لان ادم عليه الصلاة والسلام كان نبيا معصوما من الشرك ولكن قصد بتسميتها الولد بعبد الحرث أن الحرث كان سبب نجاة الولد وسلامته وسلامة أمه وقد يطلق اسم العبد على من لا يراد به انه مملوك كما قال الشاعر * وانى لعبد الضيف ما كان ثاويا * أخبر عن نفسه انه عبد الضيف ما أقام عنده مع بقاء الحرية عليه وإنما اراد بالعبودية خدمة الضيف والقيام بواجب حقوقه كما يقوم العبو بواجب حقوق سيده وقد يطلق اسم الرب بغير الالف واللام على الله كقول يوسف عليه السلام لعزيز مصر انه ربى احسن مثواى اراد به التربية ولم يرد به انه ربه ومعبوده فكذلك هنا وإنما اخبر عن ادم عليه السلام بقوله سبحانه وتعالى جعلا له شركاء فيما اتاهما لان حسنات الابرار سيئات المقربين ولان منصب النبوة اشرف المناصب وعلى هذا فقد تم الكلام عند قوله فيما اتاهما ثم ابتدأ الخبر عن الكفار بقوله تعالى (فتعالى الله عما يشركون) واعلاها فعاتبه الله على ذلك لانه نظر إلى السبب ولم ينظر إلى المسبب والله اعلم بمراده واسرار كتابه قال

جعل اولادهما له شركاء فحذف الاولاد واقامهما مقامهم كما اضاف فعل الاباء إلى الابناء فى تعييرهم بفعل الاباء إلى الابناء فقال ثم اتخذتم العجل وإذ قتلتم نفسا خاطب به اليهود الذين كانوا فى عهد النبى ﷺ وكان ذلك الفعل من اسلافهم وقيل هم اليهود والنصارى رزقهم الله اولادا فهودوا ونصروا وقال ابن كيسان هم الكفار سموا اولادهم عبد العزى وعبد اللات وعبد مناة وقال عكرمة خاطب كل واحد من يخلو بقوله خلقكم اى خلق كل واحد من ابيه وجعل منها زوجها اى جعل من جنسها زوجها وهذا قول الحسن لا قول السلف مثل عبد الله بن عباس رضى الله عنه ومجاهد وسعيد بن المسيب وجماعة من المفسرين انه فى ادم وحواء

العلماء نزه نفسه سبحانه و تعالى عن اشراك المشركين من أهل مكة وغيرهم وهذا على العموم ولو أراد آدم وحواء لقال سبحانه و تعالى فتعالى الله عما يشركان على التثنية لا على الجمع وقال بعض اهل المعانى ولو أراد آدم به ماسبق فى معنى الآية فمستقيم أيضا من حيث أنه كان الاولى بهما أن يفعلا ما اتيا به من الاشراك فى التسمية فكان الأولى أن يسمياه عبد الله لا عبد الحرث وفى معنى الاية قول آخر وهو أنه راجع إلى جميع المشركين من ذرية آدم وهو قول الحسن وعكرمة ومعناه ويجعل أولادهما له شركاء فحذف ذكر الأولاد واقامهم مقامهم كما اضاف فعل الاباء إلى الأبناء بقوله ثم اتخذتم العجل وإذ قتلتم نفسا فعبر به اليهود الذين كانوا موجودين فى زمن النبى ﷺ وكان ذلك فعل آبائهم وقال عكرمة خاطب كل واحد من الخلق بقوله هو الذى خلقكم من نفس واحدة أى خلق كل واحد من أبيه وجعل منها زوجها أى وجعل منها جنسا زوجا آدمية مثله وهذا قول حسن إلا أن القول الأول أصح لأنه قول السلف مثل ابن عباس ومجاهد وسعيد بن المسيب وغيرهم من المفسرون وورد الحديث بذلك عن النبى ﷺ وقيل هم اليهود والنصارى رزقهم الله أولادا فهودهم ونصروهم وقال ابن كيسان هم الكفار سموا أولادهم بعبد العزى وعبد شمس وعبد الدار ونحو ذلك * وقوله سبحانه و تعالى (أيشركون) قرىء بالتاء على خطاب الكفار وقرىء بالياء على الغيبة (مالا يخلق شيئا) يعنى إبليس والاصنام (وهم يخلقون) اى وهم مخلوقون * فان قلت كيف وحد يخلق ثم جمع فقال وهم يخلقون * قلت أن لفظة ما تقع على الواحد والاثنين والجمع فهى من صيغ الواحد أن يحسب ظاهر اللفظ ويحتمله للجمع بحسب المعنى فوحد قوله مالا يخلق رعاية لحكم ظاهر اللفظ وجمع قوله وهم يخلقون رعاية لجانب المعنى * قلت كيف جمع بالواو والنون لمن لا يعقل وهو جمع من يعقل من الناس * فان قلت لما اعتقدوا عبدوا الأصنام انها تعقل وتميز ورد هذا الجمع بناء على ما يعتقدونه ويتصورونه * وقوله تعالى (ولا يستطيعون لهم نصرا) يعنى أن الأصنام لا تقدر على نصر من اطاعها وعبدها ولا تضر من عصاها والنصر المعونة على الأعداء والمعنى أن المعبود الذى تجب عبادته يكون قادرا على إيصال النفع ودفع الضر وهذه الاصنام ليست كذلك فكيف يليق بالعاقل ان يعبدها ثم قال تعالى (ولا أنفسهم ينصرون) يعنى لا يقدرون على ان يدفعوا عن انفسهم مكروها فان من اراد كسرها قدر عليه وهى لا تقدر على دفعه عنها ثم خاطب المؤمنين فقال سبحانه و تعالى (وإن تدعوهم إلى الهدى) يعنى وإن تدعوا يا المؤمنين المشركين إلى الهدى (لا يتبعوكم) لأن الله سبحانه و تعالى حكم عليهم بالضلالة فلا يقبلون الهداية (سواء عليكم أدعوتموهم) إلى الدين والهداية (ام انتم صامتون) أى ساكتون عن دعائهم فهم فى كلا الحالين لا يؤمنون وقيل ان الله سبحانه و تعالى لما بين فى الاية المتقدمة عجز الأصنام بين فى هذه الآية انه لا علم لها شىء ألبتة والمعنى أن هذه الاصنام التى يعبدها المشركون معلوم من حالها انها لا تضر ولا تنفع ولا تسمع لمن دعاها إلى خير وهدى ثم قوى هذا المعنى بقوله سبحانه و تعالى سواء عليكم ادعوتموهم ام انتم صامتون وذلك ان المشركين كانوا إذا وقعوا فى شدة و بلاء تضرعوا لاصنامهم فاذا لم يكن لهم الى الاصنام حاجة سكتوا وصمتوا فقيل لهم لا فرق بين دعائكم للاصنام اوسكوتكم عنها فانها عاجزة فى كل حال * قوله سبحانه و تعالى (ان الذين تدعون من دون الله عبادا امثالكم) يعنى ان الاصنام التى يعبدها هؤلاء المشركون إنما هى مملوكة لله امثالكم وقيل انها مسخرة مذللة مثل ما انتم مسخرون مذللون قال مقاتل فى قوله سبحانه و تعالى عبادا امثالكم انها الملائكة والخطاب مع قوم كانوا يعبدون الملائكة والقول الأول اصح وفيه سؤال وهو انه وصفها بانها عباد مع انها جماد والجواب ان المشركين لما ادعوا ان الاصنام تضر وتنفع وجب ان يعتقدوا كونها عاقلة فاهمة فوردت هذه الالفاظ على وفق معتقدهم تبكيتا لهم وتوبيخا لذلك قال عز وجل (فادعوهم فليستجيبوا لكم إن كنتم صادقين فى كونها آلهة وجواب اخر وهو ان اللفظ إنما ورد فى معرض الاستهزاء بالمشركين والمعنى ان تصارى هذه الاصنام التى تعبدونها احياء عاقلة على معتقدكم فهم عباد الله امثالكم ولا فضل لهم عليكم فلم عبدتموهم وجعلتموهم

شيئا) يعنى إبليس والاصنام (وهم يخلقون) اى هم مخلوقين) ولا يستطيعون لهم نصرا) الاصنام اى لا تنصر من اطاعها (ولا انفسهم ينصرون) قال الحسن لا يدفعون عن انفسهم مكروه من اراد بهم بكسر اونحوه ثم خاطب المؤمنين فقال (وإن تدعوا المشركين إلى الاسلام (لا يتبعوكم) قرا نافع بالتخفيف وكذلك يتبعهم الغاوون فى الشعراء وقرا الاخرون بالتشديد فيهما وهما لغتان يقال تبعه تبعا واتبعه اتباعا (سواء عليكم ادعوتموهم) إلى الدين (ام انتم صامتون) عن دعائهم لا يؤمنون كما قال سواء عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون وقيل وإن تدعهم الى الهدى يعنى الاصنام لا يتبعوكم لانها غير عاقلة (ان الذين تدعون من دون الله) يعنى الاصنام (عباد امثالكم) يريد انها مملوكة امثالكم وقيل امثالكم فى التسخير اى انهم مسخرون مذللون لما اريد منهم قال مقاتل قوله عبادا امثالكم اراد به الملائكة والخطاب مع قوم كانوا يعبدون الملائكة والأول اصح (فادعوهم فليستجيبوا لكم ان كنتم صادقين) انها الهة قال ابن عباس فاعبدوهم هل يشيبونكم او يجازونكم إن كنتم صادقين ان لكم عندها منفعة ثم بين عجزهم فقال

(ألهم أرجل يمشون بها أم لهم أيد يبطشون بها) قرأ أبو جعفر بضم الهاء هنا وفي القصص والدخان وقرأ الاخرون بكسر الطاء (أم لهم أعين يبصرون بها أم لهم آذان يسمعون بها) أراد أن قدرة المخلوقين تكون بهذه الجوارح والالات وليست للأصنام هذه الالات فأنتم مفضلون عليها بالأرجل الماشية والأيدي الباطشة والأعين الباصرة والاذان السامعة فكيف تعبدون من أنتم أفضل وأقدر منهم (قل ادعوا شركاءكم) يامعشر المشركين (ثم كيدون) أنتم وهم (فلا تنظرون) أي لا تمهلوني واعجلوا في كيدي قوله (إن ولي الله الذي

آلهة وجعلتم أنفسكم لهم عبيدا ثم وصفهم بالعجز فقال تعالى (ألهم أرجل يمشون بها أم لهم أيد يبطشون بها أم لهم أعين يبصرون بها أم لهم آذان يسمعون بها) يعني أن قدرة الإنسان المخلوق إنما تكون بهذه الجوارح الأربعة فانها آلات يستعين بها الإنسان في جمع أموره والأصنام ليس لها من هذه الأعضاء والجوارح شيء فهم مفضلون عليها بهذه الأعضاء لأن الرجل الماشية أفضل من الرجل العاجزة عن المشي وكذلك اليد الباطشة أفضل من اليد العاجزة عن البطش والعين الباصرة أفضل من العين العاجزة عن الإدراك والأذن السامعة افضل من الأذن العاجزة عن السمع فظهر بهذا البيان ان الانسان افضل من هذه الأصنام العاجزة بكثير بل لا فضل لها البتة لأنها حجارة وجماد لا تضر ولا تنفع وإذا كان الأمر كذلك فكيف يليق بالإنسان العاقل الأفضل أن يشتغل بعبادة الأخس الأدون الأرذل الذي لا فضل له البتة ولا يضر ولا ينفع فامتنع بهذه الحجة كون الأصنام الهة ثم قال تعالى (قل ادعو شركاءكم) أي قل يا محمد لهؤلاء المشركين أدعو شركاءكم هذه الأصنام التي تعبدونها حتى يتبين عجزها (ثم كيدون) يعني انتم وشركاؤكم وهذا متصل بما قبله في استكمال الحجة عليهم لأنهم لما قرعوا بعبادة من لا يملك ضرا ولا نفعا قيل لمحمد ﷺ قل ان معبودي يملك الضر والنفع فلو اجتهدتم في كيدي لم تصلوا إلى ضري لأن الله يدفع عني وقال الحسن كانوا يخوفونه بآلهتهم فقال الله تعالى قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون (فلا تنظرون) أي لا تمهلون واعجلوا في كيدي انتم وشركاؤكم (إن ولي الله) يعني ان الذي يتولى حفظي وينصرني عليكم هو الله (الذي نزل الكتاب) يعني القرآن المعنى كما أيدني بانزال القرآن على كذلك وهو يتولى حفظي وينصرني (وهو يتولى الصالحين) يعني يتولاهم بنصره وحفظه فلا تضرهم عداوة من عاداهم من المشركين وغيرهم ممن أرادهم بسوء أو كادهم بشر قال ابن عباس يريد بالصالحين الذين لا يعدلون بالله شيئا ولا يعصونه وفي هذا مدح للصالحين لان من تولاه الله يحفظه فلا يضره شيء * قوله عز وجل (والذين تدعون من دونه لا يستطيعون نصركم ولا أنفسهم ينصرون) هذه الاية قد تقدم تفسيرها والفائدة في تكريرها ان الاية الاولى مذكورة على جهة التقريع والتوبيخ وهذه الاية مذكورة على جهة الفرق بين من تجوز له العبادة وهو الله الذي يتولى الصالحين بنصره وحفظه وبين هذه الاصنام وهي ليست كذلك فلا تكون معبودة * وقوله سبحانه وتعالى (وإن تدعوهم إلى الهدى لا يسمعوا وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون) قال الحسن المراد بهم المشركون ومعناه وإن تدعوا أيها المؤمنون المشركين إلى الهدى لا يسمعوا دعاءكم لان آذانهم قد صمت عن سماع الحق وتراهم ينظرون اليك يا محمد وهم لا يبصرون يعني ببصائر قلوبهم وذهب أكثر المفسرين إلى ان هذه الاية أيضا واردة في صفات الاصنام لانها جماد لا تضر ولا تنفع ولا تسمع ولا تبصر * قوله تعالى (خذ العفو) العفو هنا الفضل وما جاء بلا كلفة والمعنى أقبل الميسور من أخلاق الناس ولا تستقص عليهم فيستعصوا عليك فتتولد منه العداوة والبغضاء وقال مجاهد يعني خذ العفو من اخلاق الناس واعمالهم من تجسس وذلك مثل قبول الاعتذار منهم وترك البحث عن الاشياء والعفو والتساهل في كل شيء (خ) عن عبد الله بن الزبير قال ما نزلت خذ العفو وأمر بالعرف إلا في اخلاق الناس وفي رواية قال امر الله نبيه صلى الله عليه وسلم ان يأخذ

نزل الكتاب) يعني القرآن اي انه يتولاني وينصرني كما ايدني بانزال الكتاب (وهو يتولى الصالحين) قال ابن عباس رضي الله عنهما يريد الذين يعدلون بالله شيئا فانه يتولاهم بنصره فلا يضرهم عداوة من عاداهم (والذين تدعون من دونه لا يستطيعون نصركم ولا انفسهم ينصرون وإن تدعوهم إلى الهدى لا يسمعوا) يعني الاصنام (وتراهم) يا محمد (ينظرون اليك يعني الاصنام (وهم لا يبصرون) وليس المراد من النظر حقيقة النظر إنما المراد منه المقابلة تقول العرب داري تنظر الى دارك اي تقابلها وقيل وتراهم ينظرون اليك اي كأنهم ينظرون اليك كقوله تعالى وترى الناس سكارى اي كأنهم سكارى هذا قول المفسرين وقال الحسن وإن تدعوهم إلى الهدى يعني المشركين لا يسمعوا ولا يعقلوا ذلك بقلوبهم وتراهم ينظرون اليك بأعينهم وهم لا يبصرون بقلوبهم قوله تعالى (خذ العفو) قال عبد الله بن الزبير امر الله نبيه عليه الصلاة والسلام ان يأخذ العفو من اخلاق الناس وقال مجاهد خذ العفو يعني العفو من اخلاق الناس واعمالهم من غير تجسس وذلك مثل قبول الاعتذار والعفو والمسامحة وترك البحث عن الاشياء ونحو ذلك وروى انه لما نزلت هذه الاية قال رسول الله ﷺ لجبريل ما هذا قال لا ادري حتى اسأله ثم رجع فقال ان ربك يأمرك ان تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك وقال ابن عباس رضي الله عنهما والسدي والضحاك والكلبي يعني خذ ما عفا لك من الاموال وهو الفضل من العيال وذلك معنى قوله يسألونك ماذا ينفقون قل العفو ثم نسخت هذه بالصدقات المفروضات

قوله تعالى (وأمر بالعرف) أى بالمعروف وهو كل ما يعرفه الشرع وقال عطاء وأمر بالعرف يعنى بلا إله إلا الله (وأعرض عن الجاهلين) أبى جهل وأصحابه نسختها آية السيف وقيل إذا تسفه عليك الجاهل فلا تقابله بالسفه وذلك مثل قوله وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما وذلك سلام المتاركة قال جعفر الصادق أمر الله

نبيه ﷺ بمكارم الأخلاق وليس فى القرآن آية أجمع لمكارم الأخلاق من هذه الآية أخبرنا عبد الله ابن عبد الصمد الجرجانى ثنا أبو القاسم على بن احمد الخزاعى ثنا هيثم بن كليب ثنا أبو عيسى الترمذى ثنا محمد ابن بشار ثنا محمد بن جعفر ثنا شعبة عن أبى اسحق عن أبى عبد الله الجدلى عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت لم يكن رسول الله ﷺ فاحشاً ولا متفحشا ولا سخابا فى الأسواق ولا يجزى بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح ثنا أبو الفضل زياد بن محمد الحنفى ثنا أبو سعيد عبد الملك ابن أبى عثمان الواعظ حدثنا عمار بن محمد البغدادى حدثنا احمد ابن محمد عن سعيد الحافظ ثنا محمد بن اسمعيل ثنا عمر ابن ابراهيم يعنى الكوفى حدثنا يوسف بن محمد ابن المنكدر عن أبيه عن جابر رضى الله عنهم قال قال رسول الله ﷺ إن الله بعثنى لتمام مكارم الأخلاق وإتمام محاسن الأفعال قوله تعالى (وإما ينزغنك من الشيطان نزغ) أى يصيبنك ويعتريك ويعرض لك من الشيطان

العفو من أقوال الناس وكذا فى جامع الأصول وفى الجمع بين الصحيحين للحميدى قال أمر الله نبيه ﷺ أن يأخذ العفو من أقوال الناس أو كما قال وقال ابن عباس يعنى خذ ما عفا لك من أموالهم فما أتوك به من شىء فخذه وكان هذا قبل ان تنزل براءة بفرائض للصدقات وتفصيلها وما انتهت اليه وقال السدى خذ العفو أى الفضل من المال نسختها آية الزكاة وقال الضحاك خذ ما عفا من أموالهم وهذا قبل أن تفرض الصدقة المفروضة (وأمر بالعرف) يعنى وأمر بكل ما أمرك الله به وهو ما عرفته بالوحى من الله عز وجل وكل ما يعرفه الشارع وقال عطاء وأمر بقول لا إله إلا الله (واعرض عن الجاهلين) أمر الله سبحانه وتعالى نبيه ﷺ ان يصفح عن الجاهلين وهذا قبل أن يؤمر بقتال الكفار فلما أمر بقتالهم صار الأمر بالاعراض عنهم منسوخا بآية القتال قال بعضهم أول هذه الآية وآخرها منسوخ ووسطها محكم يزيد بنسخ أولها أخذ الفضل من الأموال فنسخ بفرض الزكاة والأمر بالمعروف محكم والاعراض عن الجاهلين منسوخ بآية القتال روى انه لما نزلت هذه الآية قال رسول الله ﷺ لجبريل ما هذا قال لا أدرى حتى اسأل ثم رجع فقال ان ربك يأمرك ان تصل من قطعك وتعطى من حرمك وتعفو عمن ظلمك ذكره البغوى بغير سند وقال جعفر الصادق امر الله عز وجل نبيه ﷺ بمكارم الأخلاق وليس فى القرآن آية أجمع لمكارم الأخلاق من هذه عن عائشة قالت لم يكن رسول الله ﷺ فاحشاً ولا متفحشا ولا سخابا فى الأسواق ولا يجزى بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح أخرجه الترمذى وروى البغوى بسنده عن جابر قال قال رسول الله ﷺ ان الله بعثنى لتمام مكارم الأخلاق وتمام محاسن الأفعال * قوله عز وجل (وإما ينزغنك من الشيطان نزغ) قال ابن زيد لما نزل قوله سبحانه وتعالى خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين قال النبى ﷺ فكيف بالغضب يارب فأنزل الله عز وجل وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه سميع عليم ونزغ الشيطان عبارة عن وساوسه ونخسه فى القلب وقيل النزغ الانزعاج واكثر ما يكون عند الغضب واصله الازعاج بالحركة إلى الشر والإفساد يقال نزغت بين القوم إذا أفسدت بينهم وقال الزجاج النزغ ادنى حركة تكون ومن الشيطان ادنى وسوسة والمعنى واما يصيبنك يا محمد ويعرض لك من الشيطان وسوسة او نخسة (فاستعذ بالله) يعنى فاستجر بالله والجأ اليه فى دفعه عنك (إنه سميع) يعنى لدعائك (عليم) بحالك وقيل ان الشيطان يجد مجالا فى حمل الإنسان على مالا ينبغى فى حالة الغضب والغيظ فأمر الله بالالتجاء اليه والتعوذ به فى تلك الحالة فهى بجرى العلاج لذلك المرض ﴿فصل واحتج الطاعنون فى عصمة الأنبياء بهذه الآية﴾ فقالوا لو كان النبى معصوما لم يكن للشيطان عليه سبيل حتى ينزغ فى قلبه ويحتاج إلى الاستعاذة والجواب عنه من وجوه الأول ان معنى الكلام ان حصل فى قلبك نزغ من الشيطان فاستعذ بالله وانه لم يحصل له ذلك البتة فهو كقوله لئن اشركت وهو برىء من الشرك البتة والوجه الثانى على تقدير انه لو حصل وسوسة من الشيطان لكن الله عز وجل عصم نبيه ﷺ عن قبولها وثبوتها فى قلبه (م) عن ابن مسعود قال قال رسول الله ﷺ ما منكم من احد إلا وقد وكل به قرينه من الجن وقرينه من الملائكة قالوا وإياك يارسول الله قال وإياى إلا ان الله اعاننى عليه فاسلم فلا يأمرنى إلا بخير قال الشيخ محيى الدين النووى يروى فاسلم بفتح الميم وضمها فمن رفع قال معناه فاسلم انا من شره وفتنته ومن فتح قال معناه ان القرين اسلم من الاسلام يعنى صار مؤمنا لا يأمرنى بخير قال الخطابى الصحيح المختار الرفع ورجح القاضى عياض الفتح قال الشيخ وهو المختار لقوله فلا يأمرنى إلا بخير

نزغ نخسة والنزغ من الشيطان الوسوسة وقال الزجاج والنزغ ادنى حركة تكون من الادمى ومن الشيطان ادنى وسوسة وقال عبد الرحمن بن زيد لما نزلت هذه الآية خذ العفو قال النبى صلى الله عليه وسلم كيف يارب والغضب فنزل وإما ينزغنك من الشيطان نزغ (فاستعذ بالله) اى استجر بالله (انه سميع عليم

إن الذين اتقوا) يعنى المؤمنين (إذا مسهم طائف من الشيطان) قرأ ابن كثير وأهل البصرة والكسائى طيف وقرأ الاخرون طائف بالمد والهمزة وهما لغتان كالميت والمائت ومعناهما الشيء يلم بك وفرق قوم بينهما فقال ابو عمر والطائف مايطوف حول الشيء. والطيف اللمة والوسوسة وقيل الطائف ماطاف به من وسوسة الشيطان والطيف اللمم والمس (تذكروا) عرفوا قال سعيد بن جبير هو الرجل يغضب الغضبة فيذكر الله تعالى فيكظم للغيظ وقال مجاهد الرجل يهم بالذنب فيذكر الله فيدعه (٢٧١) (فاذا هم مبصرون) أى يبصرون مواقع

قال القاضى عياض واعلم أن الأمة مجمعة على عصمة النبى ﷺ من الشيطان فى جسمه وخاطره ولسانه وفى هذا الحديث إشارة إلى التحذير من فتنة القرين ووسوسته وإغوائه علمنا انه معنا لنحترز عنه بحسب الامكان والله اعلم الوجه الثالث يحتمل ان يكون الخطاب للنبى ﷺ والمراد به غيره ومعناه وإما ينزغنك ايها الانسان من الشيطان نزغ فاستعذ بالله فهو كقوله فاذا قرات القران فاستعذ بالله * قوله سبحانه وتعالى (ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف) وقرىء طيف (من الشيطان) وهما لغتان ومعناه الشيء يلم بالانسان وقيل بينهما فرق فالطائف مايطوف حول الانسان والطيف والوسوسة وقيل وطائف ماطاف به من وسوسة الشيطان والطيف اللمم والمس قال الأزهرى الطيف فى كلام العرب الجنون وقيل للغضب طيف لان الغضبان يشبه المجنون وقيل سمى الجنون والغضب والوسوسة طيفا لانه لمسة من الشيطان تشبه لمسة الخيال فذكر فى الاية الاولى النزغ وهو أخف من الطيف المذكور فى هذه الاية لان حالة الشيطان مع الانبياء اضعف من حاله مع غيرهم (تذكروا) يعنى عرفوا ماحصل لهم من وسوسة الشيطان وكيده قال سعيد بن جبير هو الرجل يغضب الغضب فيذكر الله فيكظم غيظه وقال مجاهد هو الرجل يلم بالذنب فيذكر الله فيقوم ويدعه (فاذا هم مبصرون) يعنى انهم يبصرون مواقع الخطأ بالتذكر والتفكر وقال السدى اذا زلوا تابوا وقال مقاتل هو الرجل اذا اصابه نزغ من الشيطان تذكر وعرف انه معصية فابصر ونزع عن مخالفة الله عز وجل (واخوانهم) يعنى واخوان الشياطين من المشركين (يمدونهم) اى يمدهم الشياطين (فى الغى) قال الكلبى لكل كافر اخ من الشياطين يمدونهم اى يطلبون لهم فى الاغواء حتى يستمروا عليه وقيل يزيدونهم فى الضلالة (ثم لا يقصرون) يعنى لا يكفون عن الضلالة ولا يتركونها وهذا بخلاف حال المؤمنين المتقين لان المؤمن اذا اصابه طيف من الشيطان تذكر وعرف ذلك فنزع عنه وتاب واستغفر والكافر مستمر فى ضلالته ولا يتذكر ولا يرعوى وقال ابن عباس لا الأنس يقصرون عما يعملون من السيئات ولا الشياطين يمسكون عنه فعلى هذا القول يحمل قوله لا يقصرون على فعل الأنس والشياطين جميعا * قوله عز وجل (واذا لم تاتهم باية) يعنى واذا لم تات المشركين يا محمد باية ومعجزة باهرة (قالوا) يعنى قال المشركون (لولا اجتبيتها) يعنى افتعلتها وانشاتها من قبل نفسك واختيارك تقول العرب اجتبيت الكلام اذا اختلقته وافتعلته وقال الكلبى كان اهل مكة يسألون النبى ﷺ الايات تعنتا فاذا تاخرت اتهموه وقالوا لولا اجتبيتها يعنى هلا احدثتها وانشاتها من عندك (قل اى قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين سالوا الايات (انما اتبع مايوحى الى من ربى) يعنى القران الذى انزل على وليس لى ان اقترح الايات والمعجزات (هذا بصائر من ربكم) يعنى هذا القران حجج وبرهان واصل البصائر من الابصار وهو ظهور الشيء حتى يبصره الانسان ولما كان القران سببا لبصائر العقول فى دلائل التوحيد والنبوة والمعاد اطلق عليه اسم البصائر فهو من باب تسمية السبب باسم المسبب (وهدى) يعنى وهو هدى (ورحمة) يعنى وهو رحمة من الله (لقوم يؤمنون) وهنا لطيفة وهى الفرق بين هذه المراتب الثلاث وذلك ان الناس متفاوتون فى درجات العلوم فمنهم من بلغ الاية فى علم التوحيد حتى صار كالمشاهد وهم اصحاب عين اليقين ومنهم من بلغ درجة الاستدلال والنظر وهم اصحاب علم اليقين ومنهم المسلم المستسلم وهو عامة المؤمنين وهم اصحاب حق اليقين فالقران

خطاياهم بالتذكر والتفكر قال السدى إذا زلوا تابوا وقال مقاتل إن المتقى إذا اصابه نزغ من الشيطان تذكر وعرف انه معصية فابصر فنزع عن مخالفة الله قوله (واخوانهم يمدونهم) يعنى اخوان الشياطين من المشركين يمدونهم اى يمدهم الشيطان قال الكلبى لكل كافر اخ من الشياطين (فى الغى) اى يطلبون لهم الاغواء حتى يستمروا عليه وقيل يزيدونهم فى الضلالة وقرأ أهل المدينة يمدونهم بضم الياء وكسر الميم من الامداد والاخرون بفتح الياء وضم الميم وهما لغتان بمعنى واحد) ثم لا يقصرون) اى لا يكفون قال ابن عباس رضى الله عنهما لا الأنس يقصرون عما يعملون من السيئات ولا الشياطين يمسكون عنهم فعلى هذا قوله ثم لا يقصرون من فعل المشركين والشياطين جميعا قال الضحاك ومقاتل يعنى المشركين لا يقصرون عن الضلالة ولا يبصرونها بخلاف ماقال فى المؤمنين تذكروا فاذا هم مبصرون قوله عز وجل (واذا لم تاتهم

بآية يعنى إذا لم تأت المشركين بآية (قالوا لولا اجتبيتها) هلا افتعلتها وأنشأتها من قبل نفسك واختيارك تقول العرب اجتبيت الكلام إذا اختلقته قال الكلبى كان أهل مكة يسألون النبى ﷺ الايات تعنتا فاذا تأخرت قالوا لولا اجتبيتها أى هلا أحدثتها ونشاتها من عندك (قل) لهم يا محمد (إنما أتبع ما يوحى إلى من ربى) ثم قال (هذا) يعنى القرآن (بصائر) حجج وبيان وبرهان (من ربكم) واحدتها بصيرة وأصلها ظهور الشيء واستحكامه حتى يبصره الانسان فيهتدى به يقول هذا دلائل تقودكم إلى الحق (وهدى ورحمة لقوم يؤمنون)

في حق الأولين وهم السابقون بصائر وفي حق القسم الثاني وهم المستدلون هدى وفي حق القسم الثالث وهم عامة المؤمنين رحمة * قوله تعالى (وإذا قرىء القرآن فاستمعوا له وأنصتوا) لما ذكر الله سبحانه وتعالى عظم شان القران بقوله هذا بصائر من ربكم وهدى ورحمة لقوم يؤمنون اتبعه بما يجب من تعظيم شانه عند قراءته فقال سبحانه وتعالى وإذا قرىء عليكم أيها المؤمنون القرآن فاستمعوا له يعني اصغوا اليه باسماعكم لتفهموا معانيه وتتدبروا مواعظه وانصتوا يعني عند قراءته والانصات السكوت للاستماع يقال نصت وانصت وانتصت بمعنى واحد واختلف العلماء في الحال التي امر الله عز وجل بالاستماع لقارىء القران والانصات له إذا قرأ لأن قوله فاستمعوا له وانصتوا أمر وظاهر الأمر للوجوب فمقتضاه أن يكون الاستماع والسكوت واجبين وللعلماء في ذلك أقوال القول الاول وهو قول الحسن واهل الظاهر ان تجري هذه الايات على العموم في اي وقت واي موضع وقرىء بالقران يجب على كل احد الاستماع له والسكوت والقول الثاني انها نزلت في تحريم الكلام في الصلاة روى عن ابي هريرة انهم كانوا يتكلمون في الصلاة بحوائجهم فامروا بالسكون والاستماع لقراءة القران وقال عبد الله كنا يسلم بعضنا على بعض في الصلاة سلام على فلان وسلام على فلان قال فجاء القران وإذا قرىء القران فاستمعوا له وانصتوا القول الثالث انها نزلت في ترك الجهر بالقراءة خلف الامام روى عن ابي هريرة قال نزلت هذه الاية في رفع الاصوات وهم خلف رسول الله ﷺ وعن ابن مسعود انه سمع ناسا يقرؤن مع الامام فلما انصرف قال اما ان لكم ان تفقهوا وإذا قرىء القران فاستمعوا له وانصتوا كما امركم الله وقال الكلبي كانوا يرفعون اصواتهم في الصلاة حين يسمعون ذكر الجنة والنار القول الرابع انها نزلت في السكوت عند الخطبة يوم الجمعة وهو قول سعيد ابن جبير ومجاهد وعطاء قال مجاهد الانصات للامام يوم الجمعة وقال عطاء وجب الصمت في اثنتين عند الرجل يقرا القران وعند الامام وهو يخطب وهذا القول قد اختاره جماعة وفيه بعد لان الاية مكية والخطبة إنما وجبت بالمدينة واتفقوا على انه يجب الانصات حال الخطبة بدليل السنة وهو ما روى عن ابي هريرة أن رسول الله ﷺ قال إذا قلت لصاحبك انصت والامام يخطب يوم الجمعة فقد لغوت اخرجاه في الصحيحين واختلف العلماء في القراءة خلف الامام فذهب جماعة إلى إيجابها سواء جهر الامام لقراءة او اسر يروى ذلك عن عمر وعثمان وعلي وابن مسعود ومعاذ وهو قول الاوزاعي واليه ذهب الشافعي وذهب قوم إلى انه يقرأ فيما أسر الامام فيه القراءة ولا يقرأ فيما جهر الامام فيه يروى ذلك عن ابن عمر وهو قول عروة بن الزبير والقاسم بن محمد وبه قال الزهري ومالك وابن المبارك واحمد واسحق وذهب قوم إلى انه لا يقرأ سواء أسر الامام أو جهر يروى ذلك عن جابر واليه ذهب اصحاب الرأي حجة من لا يرى القراءة خلف الامام ظاهر هذه الاية وحجة من قال يقرأ في السرية دون الجهرية قال ان الاية تدل على الامر بالاستماع لقراءة القران وادات السنة على وجوب القراءة خلف الامام فحملنا مدلول الاية على صلاة الجهرية وحملنا مدلول السنة على وجوب القراءة خلف الامام فحملنا مدلول الاية على صلاة الجهرية وحملنا مدلول السنة على صلاة السرية جمعا بين دلائل الكتاب والسنة وحجة من اوجب القراءة خلف الامام في صلاة السرية والجهرية قال الاية واردة في غير الفاتحة لان دلائل السنة قد دلت على وجوب قراءة الفاتحة خلف الامام ولم يفرق بين السرية والجهرية قالوا وإذا قرأ الفاتحة خلف الامام تتبع سكتاته ولا ينازعه في القراءة ولا يجهر بالقراءة خلفه ويدل عليه ما روى عن عبادة بن الصامت قال صلى رسول الله ﷺ الصبح فثقلت عليه القراءة فلما انصرف قال اراكم تقرؤون وراء امامكم قال قلنا يا رسول الله أي والله قال لا تفعلوا إلا بام القران فانه لا صلاة لمن لم يقرأ بها اخرجه الترمذي بطوله واخرجاه في الصحيحين اقصر منه قال قال رسول الله ﷺ لا صلاة لمن لم يقرا فيها بفاتحة الكتاب فهي خداج يقولها ثلاثا غير تمام فقيل لابي هريرة انا نكون وراء الامام قال اقرأ بها في نفسك وذكر الحديث * وقوله سبحانه وتعالى (لعلكم ترحمون) يعني لكي يرحمكم ربكم باتباعكم كما امر به من أوامره ونواهيه * قوله عز وجل

إلى انها في القراءة في الصلاة روى عن ابي هريرة انهم كانوا يتكلمون في الصلاة بحوائجهم فامروا بالسكوت والاستماع إلى قراءة القران وقال قوم نزلت في ترك الجهر بالقراءة خلف الامام روى زيد بن اسلم عن ابيه عن ابي هريرة قال نزلت هذه الاية في رفع الاصوات وهم خلف رسول الله ﷺ في الصلاة وقال الكلبي كانوا يرفعون اصواتهم في الصلاة حين يسمعون ذكر الجنة والنار وعن ابن مسعود رضي الله عنه انه سمع ناسا يقرؤن مع الامام فلما انصرف قال اما ان لكم ان تفقهوا وإذا قرىء القرآن فاستمعوا له وانصتوا كما امركم الله وهذا قول الحسن والزهري والنخعي ان الاية في القراءة في الصلاة وقال سعيد بن جبير وعطاء ومجاهد ان الاية في الخطبة امروا بالانصات لخطبة الامام يوم الجمعة وقال سعيد بن جبير هذا في الانصات يوم الاضحى والفطر ويوم الجمعة وفيما يجهر به الامام وقال عمر بن عبد العزيز الانصات لقول كل واعظ والاول اولاها وهو انها في القراءة في الصلاة لان الاية مكية والجمعة وجبت بالمدينة واتفقوا على انه مامور بالانصات حالة ما يخطب الامام اخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب ثنا عبد العزيز بن احمد

الخلال ثنا أبو العباس الأصم ثنا الربيع ثنا الشافعي ثنا مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إذا قلت لصاحبك انصت والامام يخطب يوم الجمعة فقد لغوت واختلف اهل العلم في القراءة خلف الامام في الصلاة فذهب جماعة إلى إيجابها سواء جهر الامام بالقراءة أو أسر روى ذلك عن عمر وعثمان وعلي وابن عباس ومعاذ وهو قول الأوزاعي والشافعي وذهب قوم إلى أنه يقرأ فيما اسر الامام فيه بالقراءة ولا يقرأ إذا جهر روى ذلك عن ابن عمر وهو قول عروة بن الزبير والقاسم بن محمد وبه قال الزهري ومالك وابن المبارك واحمد وإسحق وذهب قوم إلى انه لا يقرأ سواء أسر الامام أو جهر يروى ذلك (٢٧٣) عن جابر وبه قال الثوري وأصحاب الرأي ويتمسك من لا يرى القراءة خلف الامام بظاهر هذه الاية ومن اوجبها قال الاية في غير الفاتحة وإذا قرأ الفاتحة يتبع سكتات الامام ولا ينازع الامام في القراءة والدليل عليه ما أخبرنا أبو عثمان سعيد بن اسمعيل الضبي ثنا أبو محمد عبد الجبار بن محمد الجراحي ثنا ابو العباس المحبوبي ثنا ابو عيسى الترمذي ثنا هناد ثنا عبدة ابن سليمان عن محمد بن إسحق عن مكحول عن محمود بن الربيع عن عبادة بن الصامت قال صلى النبي ﷺ الصبح فثقلت عليه القراءة فلما انصرف قال إني اراكم تقرؤون وراء إمامكم قال قلنا يا رسول الله اي والله قال لا تفعلوا إلا بأم القرآن فانه لا صلاة لمن لم يقرأ بها قوله تعالى (واذكر ربك في نفسك) قال ابن عباس يعني بالذكر القراءة في الصلاة يريد يقرأ سرا في نفسه (تضرعا وخيفة) خوفا اى تتضرع إلى وتخاف مني هذا في صلاة السر وقوله (ودون الجهر من القول) أراد في صلاة الجهر لا تجهر جهرا شديدا بل في خفض وسكون تسمع من خلفك وقال مجاهد وابن جريج أمر أن يذكروه في الصدور بالتضرع إليه في الدعاء والاستكانة دون رفع الصوت والصياح بالدعاء (بالغدو والاصال ولا تكن من الغافلين) أي بالبكر والعشيات وواحد أصال أصيل مثل يمين وايمان وهو ما بين العصر والمغرب (ان الذين عند ربك) يعني الملائكة المقربين بالفضل والكرامة (لا يستكبرون) لا يتكبرون (عن عبادته

(واذكر ربك في نفسك) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ويدخل في غيره من أمته لأنه عام لسائر المكلفين قال ابن عباس يعني بالذكر القرآن في الصلاة يريد اقرأ سرا في نفسك والفائدة فيه أن انتفاع الانسان بالذكر إنما يكمل إذا وقع الذكر بهذه الصفة لأن ذكر النفس اقرب إلى الاخلاص والبعد عن الرياء وقيل المراد بالذكر في النفس أن يستحضر في قلبه عظمة المذكور جل جلاله وإذا كان الذكر باللسان عاريا عن ذكر القلب كان عديم الفائدة لان فائدة الذكر حضور القلب واستشعاره عظمة المذكور عز وجل (تضرعا) يقال ضرع الرجل يضرع ضراعة إذا خضع وذل واستكان لغيره (وخيفة ودون الجهر من القول) يعني وخوفا والمعنى تضرع إلي وخاف عذابي وقال مجاهد وابن جريج أمر أن يذكروه في الصدور بالتضرع والاستكانة دون رفع الصوت في الدعاء وهنا لطيفة وهي أن قوله سبحانه وتعالى واذكر ربك في نفسك فيه إشعار يقرب العبد من الله عز وجل وهو مقام الرجاء لأن لفظ الرب مشعر بالتربية والرحمة والفضل والاحسان فاذا تذكر العبد إنعام الله عليه وإحسانه اليه فعند ذلك يقوى مقام الرجاء ثم أتبعه بقوله تضرعا وخيفة وهذا مقام الخوف فاذا حصل في قلب العبد داعية الخوف والرجاء قوي إيمانه والمستحب ان يكون الخوف أغلب على العبد في حال صحته وقوته فاذا قارب الموت ودنا آخر أجله فليستحب أن يغلب رجاؤه على خوفه عن أنس بن مالك أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل على شاب وهو في الموت فقال كيف تجدك قال ارجو الله يا رسول الله وإني اخاف ذنوبي فقال رسول الله ﷺ لا يجتمعان في قلب عبد في مثل هذا الموطن إلا اعطاه الله ما يرجو منه وآمنه مما يخاف أخرجه الترمذي * وقوله سبحانه وتعالى (بالغدو) جمع غدوة (والاصال) جمع أصيل وهو ما بين صلاة العصر إلى المغرب والمعنى اذكر ربك بالبكر والعشيات وإنما خص هذين الوقتين بالذكر لأن الانسان يقوم بالغداة من النوم الذي هو اخر الموت فاستحب له أن يستقبل حالة الانتباه من النوم وهو وقت الحياة من موت النوم بالذكر ليكون اول اعماله ذكر الله عز وجل واما وقت الآصال وهو اخر النهار فان الانسان يريد ان يستقبل النوم الذي هو آخر الموت فيستحب له ان يستقبله بالذكر لأنها حالة تشبه الموت ولعله لا يقوم من تلك النومة فيكون سوته على ذكر الله عز وجل وهو المراد من قوله سبحانه وتعالى (ولا تكن من الغافلين) يعني عما يقربك إلى الله عز وجل وقيل إن أعمال العبد تصعد اول النهار واخره فيصعد عمل الليل عند صلاة الفجر ويصعد عمل النهار بعد العصر إلى المغرب فاستحب له الذكر في هذين الوقتين ليكون ابتداء عمله بالذكر واختتامه بالذكر وقيل لما كانت الصلاة بعد صلاة الصبح وبعد صلاة العصر مكروهة استحب للعبد أن يذكر الله في هذه الوقتين ليكون في جميع أوقاته مشتغلا بما يقربه إلى الله عز وجل من صلاة او ذكر * قوله عز وجل (إن الذين عند ربك) يعني الملائكة المقربين لما امر الله عز وجل رسوله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بالذكر في حالة التضرع والخوف ان الملائكة الذين عنده مع علو مرتبتهم وشرفهم وعصمتهم (لا يستكبرون عن عبادته) وطاعته لأنهم عبيده

خاضعون لعظمته وكبريائه عز وجل (ويسبحونه) يعنى وينزهونه عن جميع النقائض ويقولون سبحان ربنا (وله يسجدون) لا لغيره * فان قلت التسبيح والسجود داخلان فى قوله تعالى لا يستكبرون عن عبادته لانهما من جملة العبادة فكيف أفردهما بالذكر * قلت أخبر الله عن حال الملائكة أنهم خاضعون لعظمته لا يستكبرون عن عبادته ثم اخبر عن صفة عبادتهم انهم يسبحونه وله يسجدون ولما كانت الاعمال تنقسم إلى قسمين أعمال القلوب وأعمال الجوارح وأعمال القلوب هى تنزيه الله عن كل سوء وهو الاعتقاد القلبى عبر عنه بقوله ويسبحونه وعبر عن اعمال الجوارح بقوله وله يسجدون وهذه السجدة من عزائم سجود القرآن فيستحب للقارىء والمستمع أن يسجد عند قوله وله يسجدون ليوافق الملائكة المقربين فى عبادتهم

(ق) عن عبدالله بن عمر أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يقرأ القرآن فيقرأ سورة فيها سجدة فيسجد ونسجد معه حتى مايجد بعضنا موضعا لمكان جبهة فى غير وقت صلاة (م) عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكى يقول ياويلنا أمر ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة وأمرت بالسجود فأبيت فلى النار (م) عن ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عليك بكثرة السجود لله فانك لا تسجد لله سجدة إلا رفعك بها درجة وحط عنك بها خطيئة والله أعلم بمراده وأسرار كتابه

﴿تم الجزء الثانى بعون الله من تفسير الخازن ويليه الجزء الثالث وأوله تفسير سورة الأنفال﴾

ويسبحونه) وينزهونه ويذكرونه فيقولون سبحان الله (وله يسجدون) اخبرنا احمد بن عبدالله الصالحى انبأنا احمد بن الحسن الحيرى أنبأنا حاجب بن أحمد الطوسى ثنا عبد الرحيم بن منيب ثنا يعلى بن عبيد عن الاعمش عن أبى صالح عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكى فيقول ياويله امر هذا بالسجود فسجد فله الجنة وأمرت بالسجود فعصيت فعلى النار أخبرنا عبدالواحد بن احمد المليحى ثنا أبو منصور محمد ابن محمد بن سمعان ثنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن عبد الجبار الزياتى ثنا حميد بن زنجويه ثنا محمد بن يوسف ثنا الاوزاعى عن الوليد بن هشام عن معدان قال سألت ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت حدثنى حديثا ينفعنى الله به قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من عبد يسجد لله سجدة إلا رفعه الله بها درجة وحط عنه بها سيئة

﴿ فهرست الجزء الثانى من تفسير القرآن العظيم للإمام على بن محمد المعروف بالخازن ﴾

صحيفة

٢ ﴿ تفسير سورة المائدة ﴾
٥ فصل اختلف علماء الناسخ والمنسوخ فى هذه الاية (اى قوله تعالى ياايها الذين آمنوا لاتحلوا شعائر الله الخ
١٧ فصل فى فرائض الوضوء
١٧ فصل فى ذكر الأحاديث التى وردت فى صفة الوضوء وفضله
٢١ ذكر القصة فى قوله تعالى ولقد اخذ الله ميثاق بنى اسرائيل وبعثنا منهم اثنى عشر نقيباً
٢٨ ذكر قصة وفاة موسى وهرون عليهما السلام
٣٢ ذكر قصة القربان وسببه وقصة قتل قابيل وهابيل
٤٠ فصل فى بيان حكم الاية اى قوله تعالى والسارق والسارقة الخ) وفيه مسائل
٤١ فصل وهذه التوبة مقبولة الخ (اى توبة السارق)
٤٢ ذكر القصة فى ذلك (اى المتعلقة بقوله تعالى ياايها الرسول لايحزنك الخ)
٤٥ فصل اختلف علماء التفسير فى حكم هذه الاية (اى قوله تعالى فان جاؤك فاحكم بينهم الخ)
٦٧ ذكر قصة الهجرة الأولى وسبب نزول قوله تعالى (لتجدن اشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود الخ)
٧١ فصل فى حكم الاية اى قوله تعالى (فكفارته إطعام عشرة مساكين الخ) وفيه مسائل
٩٥ ﴿ تفسير سورة الانعام ﴾
٩٥ فصل فى ذكر نزولها
١٢٤ ذكر قصة مولد إبراهيم عليه الصلاة والسلام ودعائه قومه وما وقع بينه وبين نمرود
١٢٩ فصل احتج العلماء بقوله تعالى فبهداهم اقتده على ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل من جميع الانبياء عليهم الصلاة والسلام
١٣٨ فصل يتعلق بقوله تعالى لا تدركه الابصار
١٤٧ فصل اختلف العلماء فى ذبيحة المسلم إذا لم يذكر اسم الله عليها
١٦٣ فصل فى احتجاج القدرية والمعتزلة بقوله تعالى سيقول الذين اشركوا لوشاء الله ما اشركنا ولا اباؤنا الخ
١٧٢ ﴿ تفسير سورة الاعراف ﴾
١٨٠ فصل فى الاستدلال على صدور الذنب من الانبياء عليهم الصلاة والسلام والجواب عنه
٢٠٥ ذكر قصة عاد على ما ذكره محمد بن اسحق واصحاب السير والاخبار
٢٠٩ ذكر قصة ثمود على ما ذكره محمد ابن اسحق الخ
٢٢١ فصل فى بيان المعجزة وكونها دليلا على صدق الرسل
٢٣٢ فصل فى احتجاج من نفى الرؤية بظاهر قوله تعالى لن ترانى والرد عليهم فى ذلك
٢٤٥ شرح غريب الفاظ الحديث فى صفة النبى ﷺ المذكورة فى التوراة
٢٦١ ذكر اسماء الله الحسنى
٢٧٠ فصل فى احتجاج الطاعنين فى عصمة الانبياء عليهم الصلاة والسلام والجواب عن ذلك

﴿ تمت ﴾

﴿فهرست الجزء الثانى من كتاب معالم التنزيل لمحيى السنة ابى محمد الحسين الفراء البغوى﴾
﴿الذى بهامش الخازن﴾

صحيفة

٢ ﴿سورة المائدة﴾
٢١ ذكر القصة فى قوله تعالى (ولقد اخذ الله ميثاق بنى إسرائيل وبعثنا منهم اثنى عشر نقيبا)
٣٠ فصل فى ذكر وفاة موسى وهرون عليهما السلام
٣١ ذكر قصة القربان وسببه وقصة قتل قابيل وهابيل
٤٢ ذكر القصة المتعلقة بقوله تعالى يا ايها الرسول لا يحزنك الخ
٩٥ ﴿سورة الانعام﴾
١٢٣ ذكر قصة مولد إبراهيم عليه الصلاة والسلام ودعائه قومه وما وقع بينه وبين نمرود
١٧٢ ﴿سورة الاعراف﴾
٢٠٥ قصة عاد على ماذكره محمد بن اسحق وغيره
٢٠٩ قصة ثمود على ما ذكره محمد بن اسحق وغيره

﴿تمت﴾

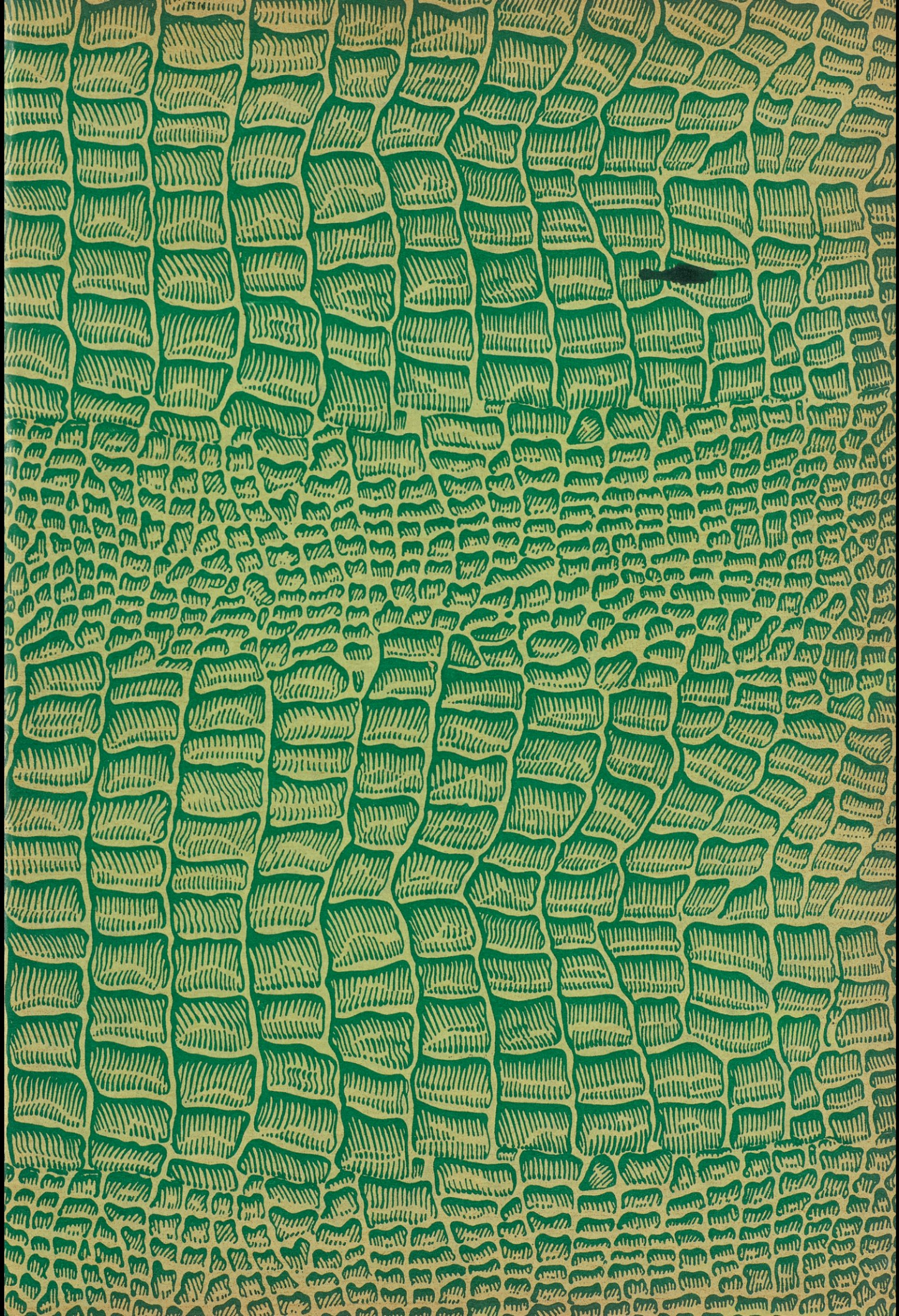

COLUMBIA UNIVERSITY
0026814854

893.7K84
DA7
v. 2

DEC 14 1961